(الجزء الثالث)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

1921143

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الثالث من
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام
الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى
قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة الحضرة من خزانة (أمراء نجد)
آل رشيد . لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح
الاكرم يشرف من عوارف رسمهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة
على النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية لازالت أنسجة النفع
به تستمد من سحائب البر وتبقاه الخلائق تعمهم مراحمه
بمتتابع البر بمنه وطوله الرؤف بخلقه جعلنا ممن يجتهد
مع الافضال على نشر العلم الشريف

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

Commentaire

de

Tabari

sur le Qorân.

3-5.

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى ۞ القول في تأويل قوله (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) يعني تعالى ذكره بذلك ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتتال والاختلاف وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحدانية الله ورسالة رسله ووحي كتابه فكفر بالله وبآياته بعضهم وآمن بذلك بعضهم فأخبر تعالى ذكره أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ تعمدا منهم للكفر بالله وآياته ثم قال تعالى ذكره لعباده ولو شاء الله ما اقتتلوا يقول ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقه إياهم عن معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا ولكن الله يفعل ما يريد بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به فيؤمن به ويطيعه ويخذل هذا فيكفر به ويعصيه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) يعني تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم وتصدقوا منها وأدوا منها الحقوق التي فرضناها عليكم وكذلك كان ابن جريج يقول فيما بلغنا عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قال من الزكاة والتطوع من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة يقول ادخروا لأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم بالنفقة منها في سبيل الله والصدقة على أهل المسكنة والحاجة وابتاء ما فرض الله عليكم فيها وابتاعوا بها ما عنده مما أعده لأوليائه من الكرامة بتقديم ذلك لأنفسكم ما دام لكم السبيل إلى ابتياعه بما ندبتم إليه وأمرتكم به من النفقة من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه يقول لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به أو ندبتكم إليه في الدنيا فإن الدنيا دار جزاء وثواب وعقاب لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية فيكون لهم إلى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ أو بالعمل بطاعة الله سبيل ثم أعلمهم تعالى ذكره أن ذلك اليوم مع ارتفاع العمل الذي ينال به رضى الله أو الوصول إلى كرامته بالنفقة من الأموال إذ كان لا مال هنالك يمكن إدراك ذلك به يوم لا خلة فيه نافعة كما كانت في الدنيا فإن خليل الرجل في الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه وأراده بسوء والمظاهرة له على ذلك فأيأسهم تعالى ذكره أيضا من ذلك لأنه لا أحد يوم القيامة ينصر أحدا من الله بل الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين كما قال الله تعالى ذكره وأخبرهم أيضا أنهم يومئذ مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم والعمل بأيديهم وعدمهم النصراء من الخلال والظهراء من الاخوان لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة وغير ذلك من الأسباب فبطل ذلك كله يومئذ كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا وإياهم في النار من شافعين ولا صديق حميم وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص وإنما معناه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع * وكان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين * وأما قوله والكافرون هم الظالمون فإنه يعني تعالى ذكره بذلك والجاحدون لله المكذبون به وبرسوله هم الظالمون يقول هم الواضعون جحودهم في غير موضعه والغاصبون غير ما لهم فعله والقائلون ما ليس لهم قوله وقد دللنا على معنى الظلم بشواهده فيما مضى قبل بما

ولا شفاعة ط الظالمون ه التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف وإماتتهم ثم إحيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الآية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبارة على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرائيل وفيه تشريف عظيم لجبرائيل كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا شك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من أمتك ليحتملوا شدائد الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها دلائل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم أكد ذلك بقوله وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة ودراسة وفيه أيضا تسلية للنبي فيما يراه من الكفار أهل النفاق من الخلاف والشقاق كما رآه الرسل قبله فالمصيبة إذا عمت طابت ولمثل هذا كرر فقال تلك الرسل أي الذين تعرفهم وأنت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من فضله الله بان كلمه الله من

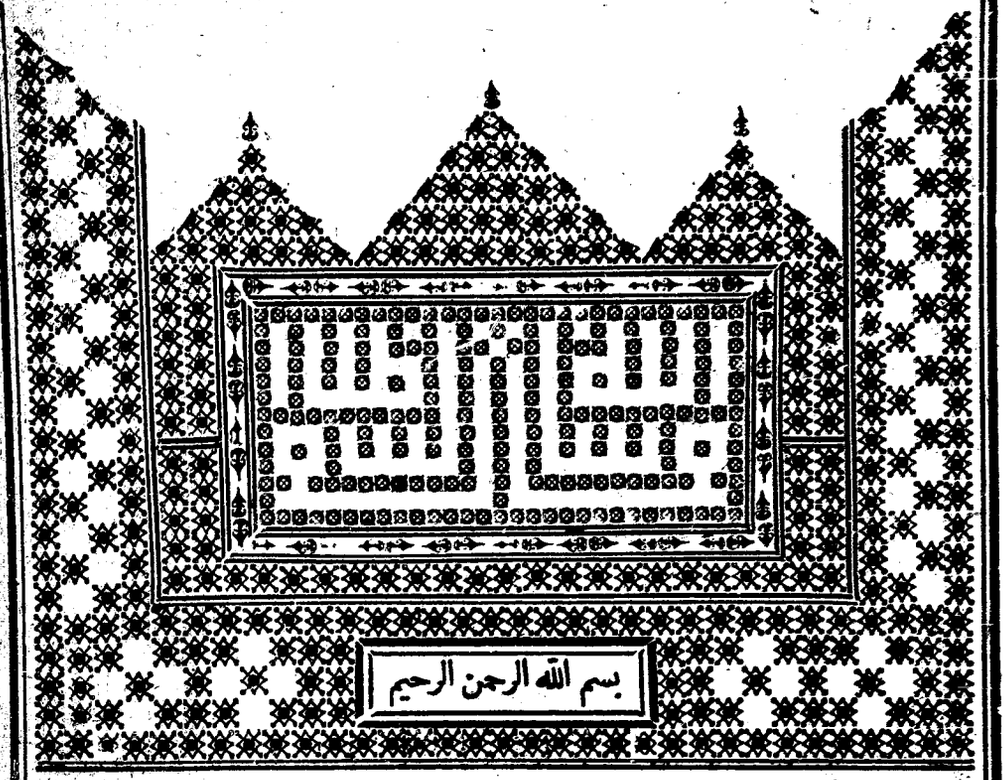

بسم الله الرحمن الرحيم

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) القراآت لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم * الوقوف بالحق ط للابتداء بان المرسلين ه الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد ه

القول في تاويل قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) يعني تعالى ذكره بقوله تلك الرسل الذين قص الله قصصهم في هذه السورة كموسى بن عمران وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وشمويل وداود وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة يقول تعالى ذكره هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض والذي كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا أبو عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال يقول منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات يقول كلم الله موسى وأرسل محمدا الى الناس كافة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه * ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي بعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب فان العدو ليرعب مني على مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولا تحل لاحد كان قبلي وقيل لي سل تعطه فاختبأتها شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من لا يشرك بالله شيأ القول في تاويل قوله (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) يعني تعالى ذكره بذلك وآتينا عيسى بن مريم البينات وآتينا عيسى بن مريم الحجج والادلة على نبوته من ابرائه الاكمه والابرص واحياء الموتى وما أشبه ذلك مع الانجيل الذي أنزلته اليه فبينت فيما فرضت عليه يعني تعالى ذكره بقوله وأيدناه وقويناه وأعنناه بروح القدس يعني بروح الله وهو جبريل وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم في معنى روح القدس والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع القول في تاويل قوله (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات) يعني تعالى ذكره بذلك ولو أراد الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يعني من بعد الرسل الذين وصفهم بانه فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وبعد عيسى بن مريم وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه ويعني بقوله من بعد ما جاءتهم البينات يعني من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيل وقد قيل ان الهاء والميم في قوله من بعدهم من بعد ذكر موسى وعيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

يزيد

أحوالهم وسيرهم فاختر أنت منها أجودها وأحسنها فانه لا يجوز أن يكون مأمورا بالاقتداء بهم في أصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن المراد محاسن الاخلاق ومنها أنه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل اعباء الرسالة أكثر فيكون ثوابه أزيد ومنها أن هذا الدين أفضل والالم ينسخ به سائر الاديان فيكون شارعه أفضل ومنها أن تكون أمته أفضل (٥) كنتم خير أمة أخرجت للناس واذا كان التابع أفضل فالمتبوع أفضل ومنها ان أمته أكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين أثرا قويا في علو شأن المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن يا موسى انى أنا الله وناديناه أن يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك وأما النبي صلى الله عليه وسلم فانه نودي بقوله يا أيها النبي يا أيها الرسول بل أقسم بحياته لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وأما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا واتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن ابراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجي الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول شفيع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله القيوم قال القائم على كل شئ حدثني المثنى قال ثنا اسحق عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم كل شئ يكلؤه ويرزقه ويحفظه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي القيوم وهو القائم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الحي القيوم قال القائم الدائم ﴿القول في تاويل قوله (لا تاخذه سنة ولا نوم) يعني تعالى ذكره بقوله لا تاخذه سنة لا يأخذه نعاس فينعس ولا نوم فيستثقل نوما والوسن خثورة النوم ومنه قول عدي بن الرقاع

وسنان قصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

ومن الدليل على ما قلنا من انها خثورة النوم في عين الانسان قول الاعشى ميمون بن قيس

تعاطى الضجيع اذا أقبلت * بعيد النعاس قبيل الوسن

(وقال آخر) باكرتها الاعراب في سنة النوم * فجرى خلال ٧ سؤل السيال

يعني عند هبوبها من النوم ووسن النوم في عينها يقال منه وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان اذا كان كذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لا تاخذه سنة قال السنة النعاس والنوم هو النوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن في قوله لا تاخذه سنة قالا النعسة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنة وهو دون النوم والنوم الاستثقال حدثني المثنى قال ثنا اسحق أبو زهير عن جويبر عن الضحاك لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس والنوم الاستثقال حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله سواء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لا تاخذه سنة ولا نوم أما سنة فهو ريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الانسان حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا تاخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنان بين النائم واليقظان حدثني عمار بن أبي طالب قال ثنا منجاب بن الحرث قال ثنا علي بن مسهر عن اسمعيل عن يحيى بن رافع لا تاخذه سنة قال النعاس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم قال الوسنان الذي يقوم من النوم لا يعقل حتى ربما أخذ السيف على أهله وانما عنى تعالى ذكره بقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لا تحله الآفات ولا تنله العاهات وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهم ذي الفهم ويزيلان من أصابه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه فتاويل الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا الله لا اله الا هو الحي الذي لا يموت القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال الى حال لا تاخذه سنة ولا نوم لا يغيره ما يغير غيره ولا يزيله عما لم يزل عليه تقل الاحوال وتصريف الليالي والايام بل هو الدائم على حال والقيوم على جميع الايام لو نام كان مغلوبا مقهورا لان النوم غالب النائم قاهره ولو وسن لكانت السموات والارض وما فيهما دكا لان قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته والنوم شاغل المدبر عن التدبير والنعاس مانع المقدر عن التقدير بوسنه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال وأخبرني الحكم بن أبان عن

غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا أي له وقيل حال من بعضهم أي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكأنه قال ورفعنا بعضهم رفعات وأيدعيسى بروح القدس (٤) ومع ذلك قد نالهم من قومهم ماذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف أمم أولئك ولكن ما قضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم أن الامة أجمعت على أن بعض الانبياء أفضل من بعض وعلى أن محمدا أفضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك فقرن ذكره بذكر محمد صلى الله عليه وسلم في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء ومنها أنه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وبيعته بيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله ورضاه رضاه والله ورسوله أحق أن يرضوه واجابته باجابته يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها أن معجزاته أكثر وقد ترتقي الى ألف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على ألفي معجز وأزيد لان التحدي وقع بأقصر سورة هي الكوثر وأنه ثلاث آيات وكل ثلاث آيات من القرآن تصلح للتحدي لكون معجزا برأسه ومنها أن معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وبخبر وانقرضت مع أن معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها أنه اجتمع فيه من الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم والاشارة بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي أطلنا الثناء على

أغنى عن اعادته وفي قوله تعالى ذكره في هذا الموضع والكافرون هم الظالمون دلالة واضحة على صحة ما قلناه وأن قوله ولا خلة ولا شفاعة انما هو مرادبه أهل الكفر فلذلك اتبع قوله ذلك والكافرون هم الظالمون فدل بذلك على أن معنى ذلك حرمنا الكفار النصرة من الاخلاء والشفاعة من الاولياء والاقرباء ولم نكن لهم في فعلنا ذلك بهم ظالمين اذ كان ذلك جزاء مثل ما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الافعال التي أوجبوا بها العقوبة من ربهم * فان قال قائل وكيف صرف الوعيد الى الكفار والآية مبتدأة بذكر أهل الايمان قيل له ان الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس أحدهما أهل كفر والآخر أهل ايمان وذلك قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به بحض أهل الايمان به على ما يقربهم اليه من النفقة في طاعته وفي جهاد أعدائه من أهل الكفر قبل مجيء اليوم الذي وصف صفته وأخبر فيه عن حال أعداء من أهل الكفر به اذ كان قتال أهل الكفر به في معصيته ونفقتهم في الصد عن سبيله فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا أنفقوا أنتم مما رزقناكم في طاعتي اذ كان أهل الكفر بي ينفقون في معصيتي من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع ما فرطوا في ابتياعه في دنياهم ولا خلة لهم يومئذ تنصرهم مني ولا شافع لهم يشفع عندي فتنجيهم شفاعته لهم من عقابي وهذا يومئذ فعل بهم جزاء لهم على كفرهم وهم الظالمون أنفسهم دوني لا اني غير ظلام لعبيدي وقد حدثني محمد بن عبد الرحيم قال ثني عمرو بن أبي سلمة قال سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون ۞ القول في تأويل قوله (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله الله وأما تأويل قوله لا اله الا هو فان معناه النهي عن أن يعبد شئ غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية يقول الله الذي له عبادة الخلق الحي القيوم لا اله سواه لا معبود سواه يعني لا تعبدوا شيأ سواه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي صفته ما وصف في هذه الآية وهذه الآية بانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفون في البينات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره انه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه فاقتتلوا فيه فكفر به من بعض وآمن به من بعض فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به ووفقنا للاقرار به وأما قوله الحي فانه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يحد ولا آخر له بامداد كان كل ما سواه فانه وان كان حيا فلحياته أول محدود وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها وبما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحي حي لا يموت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله * وقد اختلف أهل البحث في تأويل ذلك فقال بعضهم انما سمى الله نفسه حيا لصرفه الامور وتصاريفها وتقديره الاشياء مقاديرها فهو حي بالتدبير لا بحياة * وقال آخرون بل هو حي بحياة هي له صفة * وقال آخرون بل ذلك اسم من الاسماء تسمى به فقلنا فيه تسليما لامره وأما قوله القيوم فانه الفيعول من القيام وأصله القيووم سبق عين الفعل وهي واو ياء ساكنة فادغمتا فصارتا ياء مشددة وكذلك تفعل العرب في كل واو وكانت للفعل عينا سبقتها ياء ساكنة ومعنى قوله القيوم القائم برزق ما خلق وحفظه كما قال أمية

لم يخلق السماء والنجوم * والشمس معها قمر يقوم
قدره المهيمن القيوم * والحشر والجنة والنعيم
* الا لامر شانه عظيم *

وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبريل عليه السلام أخذ تراب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا أعظم من السجود وانه تعالى يصلي نفسه على محمد الى يوم القيامة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود أيضا انما كان لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته وان أول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك (٧) ومن تامل كتب دلائل النبوة وجدها في مقابلة

بعضهم هو علم الله تعالى ذكره ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وسالم بن جنادة قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسع كرسيه قال كرسيه علمه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وزاد فيه ألا ترى الى قوله ولا يؤده حفظهما وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ذكر من قال ذلك حدثني علي بن مسلم الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثني أبي قال ثني محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن عمارة بن عمير عن ابي موسى قال الكرسي موضع القدمين وله أطيط كاطيط الرحل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وسع كرسيه السموات والارض فان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وسع كرسيه السموات والارض قال كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن عمار الذهبي عن مصلم البطين قال الكرسي موضع القدمين حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وسع كرسيه السموات والارض قال لما نزلت وسع كرسيه السموات والارض قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والارض فكيف العرش فانزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسع كرسيه السموات والارض قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض * وقال آخرون الكرسي هو العرش نفسه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال كان الحسن يقول الكرسي هو العرش قال أبو جعفر ولكل قول من هذه الاقوال وجه ومذهب غير ان الذي هو أولى بتاويل الآية ما جاء به الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال ثنا عبيد الله بن موسى قال اخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله ان يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال ان كرسيه وسع السموات والارض وانه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال باصابعه فجمعها وان له أطيطا كاطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا يحيى بن أبي بكر عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال جاءت امرأة فذكر نحوه وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه انه قال هو علمه وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ولا يؤده حفظهما على ان ذلك كذلك فاخبر انه لا يؤده حفظ ما علم وأحاط به مما في السموات والارض وكما أخبر عن ملائكته انهم قالوا في دعائهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاخبر تعالى ذكره ان علمه وسع كل شئ فكذلك قوله وسع كرسيه السموات والارض وأصل الكرسي العلم ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة ومنه قول الراجز في صفة قانص * حتى اذا ما اختارها تكرسا * يعني علم ومنه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال أوتاد الارض يعني بذلك انهم العلماء الذين تصلح بهم الارض

كل معجز كان لنبي قبله معجزة أفضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وأيضا التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا تليق بكل أحد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل أن التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منهما ورد في مقام آخر ولغرض آخر فبينما هم يزدرون بشانه ويتعجبون من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال أنا أكرم الاولين والآخرين وأنا سيد العالمين وحيث رآهم يزدرون بشأن بعض الانبياء زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على أنه لا يلزم من النهي عن شئ عدم مطابقة ذلك الشئ للواقع فقد يكون الشئ حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم أن تعرفوا حقية جميع الانبياء وتؤمنوا بهم

ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلام الله التقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مسلم فانه يكلم الله قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في أن يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت كما يمتنع رؤية ما ليس بمكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على أن موسى قد كلمه الله

فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر واسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت (٦) بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه في

عكرمة مولى ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى سأل الملائكة هل ينام الله فأوحى الله الى الملائكة وأمرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه وينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب باحداهما الاخرى فكسرهما قال معمرا نما هو مثل ضربه الله يقول فكذلك السموات والارض في يديه حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل قال ثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى ذكره فأرسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان الله لو كان ينام لم تمسك السماء والارض ۞ القول في تأويل قوله (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) يعني تعالى ذكره بقوله له ما في السموات وما في الارض انه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود وانما يعني بذلك انه لا تنبغي العبادة لشيء سواه لان المملوك انما هو طوع يد مالكه وليس له خدمة غيره الا بأمره يقول فجميع ما في السموات والارض ملكي وخلقي فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه لانه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه ولا يطيع سوى مولاه وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعني بذلك من ذا الذي يشفع لها اليكه ان أراد عقوبتهم الا ان يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم وانما قال ذلك تعالى ذكره لان المشركين قالوا ما نعبد أوثاننا هذه الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى ذكره لهم لي ما في السموات والارض مع السموات والارض ملكا فلا ينبغي العبادة لغيري فلا تعبدوا الاوثان التي تزعمون انها تقربكم مني زلفى فانها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيأ ولا يشفع عندي أحد لاحد الا بتخليتي اياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي ۞ القول في تأويل قوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) يعني تعالى ذكره بذلك انه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما لا يخفى عليه شيء منه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله يعلم ما بين أيديهم ما مضى امامهم من الدنيا وما خلفهم ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي يعلم ما بين أيديهم قال ما بين أيديهم فالدنيا وما خلفهم فالآخرة وأما قوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فانه يعني تعالى ذكره انه العالم الذي لا يخفى عليه شيء يحيط بذلك كله محص له دون سائر من دونه وانه لا يعلم أحد سواه شيأ الا بما شاء هو أن يعلمه فاراد بعلموا نما يعني بذلك ان العبادة لا تنبغي لمن كان بالاشياء جاهلا فكيف يعبد من لا يعقل شيأ البتة من وثن وصنم يقول أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالاشياء كلها بعلمها لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا يحيطون بشيء من علمه يقول لا يعلمون بشيء من علمه الا بما شاء هو أن يعلمهم ۞ القول في تأويل قوله (وسع كرسيه السموات والارض) اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية انه وسع السموات والارض فقال

فضائل الصحابة ظهر علي بن أبي طالب من البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان ذخائر كل ملك ينبغي أن تكون على مقدار من تحت ملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة أكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أعم من نبوة سائر الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم أعطي من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤتى أحد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت أعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم ألقي في النار فانقلبت روحا وبردا وأوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود ألان الحديد في يده وسليمان أعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بعضهم بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب أن كون آدم مسجودا للملائكة لا يوجب كونه أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا

أعظم وأوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك أفخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه مخامسة وليس

وكان الحر العتيق من الاسفط ممزوجة بماء زلال

وانما هي معتقة قالوا فقوله العظيم معناه المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه قالوا وانما يحتمل قول القائل هو عظيم أحد معنيين أحدهما ما وصفنا من انه معظم والآخر انه عظيم في المساحة والوزن قالوا وفي بطول القول بان يكون معنى ذلك انه عظيم في المساحة والوزن صحة القول بما قلنا * وقال آخرون بل تأويل قوله العظيم هو أن له عظمة هي له صفة وقالوا لا نصف عظمته بكيفية ولكنا نضيف ذلك اليه من جهة الاثبات وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد لان ذلك تشبيه له بخلقه وليس كذلك وأنكر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها وقالوا لو كان معنى ذلك انه معظم لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق لانه لا معظم له في هذه الاحوال وقال آخرون بل قوله انه العظيم وصف منه نفسه بالعظم وقالوا كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر لصغرهم عن عظمته ۞ القول في تأويل قوله (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في قوم من الانصار أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هوّدوهم أو نصروهم فلما جاء الله بالاسلام أرادوا اكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوّده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا لا ندع أبناءنا فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال كانت المرأة تكون مقلى ولا يعيش لها ولد فقال شعبة وانما هو مقلاة فتجعل عليها ان بقي لها ولد لتهوّدنه قال فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم فقالت الانصار كيف نصنع بابنائنا فانزلت هذه الآية لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال من شاء أن يقيم أقام ومن شاء أن يذهب ذهب حدثنا حميد بن مسعود قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عامر قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتنذر ان عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم فجاء الاسلام وطوائف من أبناء الانصار على دينهم فقالوا انما جعلناهم على دينهم ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا واذ جاء بالاسلام فلنكرهنهم فنزلت لا اكراه في الدين فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والاسلام فمن لحق بهم اختار اليهودية ومن أقام اختار الاسلام ولفظ الحديث لحميد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود عن عامر بنحو معناه الا أنه قال فكان فصل ما بينهم اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير فلحق بهم من كان يهوديا ولم يسلم منهم وبقي من أسلم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر بنحوه الا أنه قال اجلاء النضير الى خيبر فمن اختار الاسلام أقام ومن كره لحق بخيبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبي اسحق عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية فانزل الله فيه ذلك حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال سألت سعيد بن جبير عن قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت هذه في الانصار قال قلت خاصة قال كانت المرأة في الجاهلية تنذر ان ولدت

قوله ورفع بعضهم درجات تكرار القوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الايتاء وأما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان أمتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو رتبتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من أمتهما لهما بل نازعوا وخالفوا وعن الواجب عليهم في طاعتهما أعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف أقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله أي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي تستند بالاخرة الى

واختلف في أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هل كلمه الله أم لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما أوحى وأورد ههنا أن التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس حيث قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات وأجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على أنه تعالى كلمه من غير (٨) واسطة لعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق أن المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي الموجبة للعن كما في حق ابليس وأن عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في أهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون أما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد بيان أن الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابراهيم خليلا وأعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب أما اذا حملناها على المعجزات ففيه أيضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء أوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه أهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسب للطب لان كل ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد وهي القرآن تضاهي ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات وكان متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه الثلاثة علمت أن محمدا كان مستجمعا للكل فنصيبه أعلى ومعجزته أبقى وقومه أكثر ودولته

ومنه قول الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة * كراسي بالاحداث حين تنوب

يعني بذلك علماء بحوادث الامور ونوازلها والعرب تسمي أصل كل شئ الكرسي يقال منه فلان كريم الكرسي أي كريم الاصل قال العجاج

قد يعلم القدوس ولي القدس * ان أبا العباس أولى نفس * بمعدن الملك الكريم الكرسي

يعني بذلك الكريم الاصل و يروى في معدن العز الكريم الكرسي ۞ القول في تاويل قوله (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) يعني تعالى ذكره بقوله ولا يؤده حفظهما ولا يشق عليه ولا يثقله يقال منه قد آدني هذا الامر فهو يؤدي أودا وايادا ويقال ما آدك فهو لي آيد يعني بذلك ما أثقلك فهو مثقل و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يؤده حفظهما لا يثقل عليه لا يجهده حفظهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه شئ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد السمتي قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة وحدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قالا جميعا أخبرنا جويبر عن الضحاك ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن عبيد عن الضحاك مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني خلادا يقول سمعت أبا عبد الرحمن المدني يقول في هذه الآية ولا يؤده حفظهما قال لا يكثر عليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولا يؤده حفظهما قال لا يكربه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حفظهما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يعز عليه حفظهما قال أبو جعفر والهاء والميم والالف في قوله حفظهما من ذكر السموات والارض فتاويل الكلام وسع كرسيه السموات والارض ولا يثقل عليه حفظ السموات والارض وأما تاويل قوله وهو العلي فانه يعني والله العلي والعلي الفعيل من قولك علا يعلو علوا اذا ارتفع فهو عال وعلي والعلي ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته وكذلك قوله العظيم ذو العظمة الذي كل شئ دونه فلا شئ أعظم منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته واختلف أهل البحث في معنى قوله وهو العلي فقال بعضهم يعني بذلك وهو العلي عن النظير والاشباه وأنكروا أن يكون معنى ذلك وهو العلي المكان وقالوا غير جائز أن يخلو منه مكان ولا معنى لوصفه بعلو المكان لان ذلك وصفه بانه في مكان دون مكان * وقال آخرون معنى ذلك وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه لانه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه كما وصف به نفسه انه على العرش فهو عال بذلك عليهم وكذلك اختلفوا في معنى قوله العظيم فقال بعضهم معنى العظيم في هذا الموضع المعظم صرف المفعل الى فعيل كما قيل للخمر المعتقة خمر عتيق وكما قال الشاعر

ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وأما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل أم كثر وفائدة الفصل أنهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك آيات الله أسراره (١١) وأنواره ورموزه وأشاراته نتلوها

من العرب أكرهوا على الدين لم يقبل منهم الا القتل أو الاسلام وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قوله لا اكراه في الدين قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الاوثان فلم يقبل منهم الا لا اله الا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم بان يقبل منهم الجزية فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال كانت العرب ليس لها دين فاكرهوا على الدين بالسيف قال ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس اذا أعطوا الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصراني يا جويرا اسلم ثم قال هكذا كان يقال لهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال وذلك لما دخل الناس في الاسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية * وقال آخرون هذه الآية منسوخة وانما نزلت قبل أن يفرض القتال ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فابى المشركون الا أن يقاتلوهم فاستأذن الله في قتالهم فاذن له وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في خاص من الناس قال عنى بقوله تعالى ذكره لا اكراه في الدين أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء اقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه وأنكر وا أن يكون شيء منها منسوخا وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب اللطيف من البيان عن أصول الاحكام من ان الناسخ غير كائن ناسخا الا ما نافى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما فاما ما كان ظاهره العموم من الامر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل واذ كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل أن يقال لا اكراه لاحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ولم يكن في الآية دليل على أن تاويلها بخلاف ذلك وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم انه أكره على الاسلام قوما فابى أن يقبل منهم الا الاسلام وحكم بقتلهم ان امتنعوا منه وذلك كعبدة الاوثان من مشركي العرب وكالمرتد عن دينه دين الحق الى الكفر ومن أشبههم وانه ترك اكراه آخرين على الاسلام بقبوله الجزية منه واقراره على دينه الباطل وذلك كاهل الكتابين ومن أشبههم كان بينا بذلك أن معنى قوله لا اكراه في الدين انما هو لا اكراه في الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه باداته الجزية ورضاه بحكم الاسلام ولا معنى لقول من زعم ان الآية منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة فان قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن ابن عباس وعمن روى عنه من أنها نزلت في قوم من الانصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الاسلام قلنا ذلك غير مدفوعة صحته ولكن الآية قد تنزل في خاص من الامر ثم يكون حكمها عاما في كل ما جانس المعنى الذي أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره انما كانوا قوما دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الاسلام لهم فنهى الله تعالى ذكره عن اكراههم على الاسلام فانزل بالنهي عن ذلك آية يعم حكمها كل من كان في مثل معناهم ممن كان على دين من الاديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها واقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك ومعنى قوله لا اكراه في الدين لا يكره أحد في دين الاسلام عليه وانما أدخلت الالف واللام في الدين تصريفا للدين الذي عنى الله بقوله لا اكراه فيه وانه هو الاسلام وقد يحتمل أن يكون أدخلتا تعقيبا من الهاء المنوية في الدين فيكون معنى الكلام حينئذ وهو العلي

عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبر وا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجاة في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في بحر القربات وأرسلوا الى أهل الغدر والغفلات وعبدة طواغيت الهوى وأصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجونهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وأنت عبرت المكونات فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لبى مع الله وقت وابتليت بسغارة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك أن تقول ما أوذي نبي مثل ما أوذيت لان غيرك ما سقي من شرب سقيت فما أوذي بغطام مثل ما أوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى أن التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من أهل الفضل أنوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء أضواء أنوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسرا يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من أفعال نفسه ثم انه تعالى لما أمر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله وأعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم أكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت أعقبه تارة أخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم وعن الحسن أنه مختص بالزكاة لان قبله من قبل أن يأتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على أنه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الآية وعيد وانما الغرض أن يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من أعماله ومعنى قوله لا بيع أنه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب أو يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لان كل أحد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه أو لان الخوف الشديد غالب على كل أحد تذهل كل مرضعة عما أرضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل أرادوا التاركون من الزكاة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فعال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين أي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله ووجدوا

ولدا أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه قال فلما جاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت النضير قالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فيهم قال فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرأصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فهم منهم قال فاجلوهم معهم **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمر وقال ثنا اسباط عن السدي قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الى لا انفصام لها قال نزلت في رجل من الانصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما باعوا وأرادوا ان يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا فرجعا الى الشام معهم فاتى أبوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني تنصرا وخرجا فاطلبهما فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب وقال أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما فنزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ثم انه نسخ لا اكراه في الدين فامر بقتال أهل القتال في سورة براءة **حدثني** محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا اكراه في الدين قال كان في اليهود يهود ارضعوا رجلا من الاوس فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلائهم قال أبناؤهم من الاوس لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم أهلوهم وأكرهوهم على الاسلام ففيهم نزلت الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن خصيف عن مجاهد لا اكراه في الدين قال كان ناس من الانصار مسترضعين في بني قريظة فارادوا أن يكرهوهم على الاسلام فنزلت لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد كانت النضير يهودا فارضعوا ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم قال ابن جريج وأخبرني عبد الكريم عن مجاهد انهم كانوا قد دان بدينهم أبناء الاوس دانوا بدين النضير **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود بن أبي هند عن الشعبي ان المرأة من الانصار كانت تنذر ان عاش ولدها لتجعلنه في أهل الكتاب فلما جاء الاسلام قالت الانصار يا رسول الله ألا نكره أولادنا الذين هم في يهود على الاسلام فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود عن الشعبي مثله وزاد قال كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الاسلام اجلاء بني النضير فمن خرج مع بني النضير كان منهم ومن تركهم اختار الاسلام **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا اكراه في الدين الى قوله العروة الوثقى قال هذا منسوخ **حدثني** سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وواصل عن الحسن ان أناسا من الانصار كانوا مسترضعين في بني النضير فلما أجلوا أراد أهلوهم أن يلحقوهم بدينهم فنزلت لا اكراه في الدين * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يكره أهل الكتاب على الدين اذا بذلوا الجزية ولكنهم يقرون على دينهم وقالوا الآية في خاص من الكفار ولم ينسخ منها شيء ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال أكره عليه هذا الحي من العرب لانهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الاسلام ولا يكره عليه أهل الكتاب اذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى عنهم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال هو هذا هو الحي

ولا ينفعه خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا أرسلنا الرسل وأنزلنا الكتب وأمرناهم بالانفاق وواعدناهم الثواب وحذرناهم العقاب وقد أعلمنا من أنذر والله المستعان

(الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي (١٣) يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم

عقبة عن أبي الدرداء انه عاد مريضا من جيرته فوجده في السوق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد فسألهم يريد أن ينطق قالوا نعم يريد أن يقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت قال أبو الدرداء وما علمكم بذلك قالوا لم يزل يردد ها حتى انكسر لسانه فنحن نعلم انه انما يريد أن ينطق بها فقال أبو الدرداء أفلح صاحبكم ان الله يقول فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ۞ القول في تاويل قوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة في هذا المكان مثل للايمان الذي اعتصم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بالعروة الوثقى الشئ الذي له عروة يتمسك بها اذ كان كل ذي عروة فانما يتعلق من أراده بعروته وجعل تعالى ذكره الايمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله من أوثق عرى الاشياء بقوله الوثقى والوثقى فعلى من الوثافة يقال في الذكر هو الاوثق وفي الانثى هي الوثقى كما يقال فلان الافضل وفلانة الفضلى ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بالعروة الوثقى قال الايمان حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال العروة الوثقى هو الاسلام حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي السوداء عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي السوداء الهندي عن سعيد بن جبير مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فقد استمسك بالعروة الوثقى مثله ۞ القول في تاويل قوله (لا انفصام لها) يعني تعالى ذكره بقوله لا انفصام لها لا انكسار لها والهاء والالف في قوله لها عائدة على العرو وتوسعني الكلام فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه اياه واسلامه عند حاجته اليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الاشياء التي لا يخشى انكسار عراها وأصل الفصم الكسر ومنه قول أعشى بني ثعلبة

ومبسمها عن شنب النبا * ت غير كسر ولا منفصم

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا انفصام لها قال لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا انفصام لها لا انقطاع لها ۞ القول في تاويل قوله (والله سميع عليم) يعني تعالى ذكره والله سميع ايمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحدانيته الله وتبرئه من الانداد والاوثان التي تعبد من دون الله عليم بما عزم عليه من توحيد الله واخلاص ربوبيته قلبه وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والاصنام والطواغيت ضميره وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى عليه أمر حتى يجازيه كل يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته نفسه ان خيرا فخير او ان شرا فشرا ۞ القول في تاويل قوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) يعني تعالى ذكره بقوله الله ولي الذين آمنوا نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه يخرجهم من الظلمات يعني بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وانما عنى بالظلمات في هذا الموضع الكفر وانما جعل

وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

القراآت تعرف بما مر

* الوقوف الاهوج لان قوله الحي يصلح بدلا عن الضمير وخبر ضمير آخر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولانوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقدر لمشيئته مبتدأ بالشئ بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم ۞ الغي ج لان من الشرط مع فاء التعقيب الوثقى ط

قد قيل للاستئناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة أي استمسك بها غير منفصمة لها ط عليم ۞ آمنوا الآن يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم أو مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا الان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ۞ التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط الانواع الثلاثة أعني علم التوحيد وعلم

العظيم لا اكراه في دينه قد تبين الرشد من الغي وكان هذا القول أشبه بتأويل الآية عندي وأما قوله قد تبين الرشد فانه مصدر من قول القائل رشدت فانا أرشد رشدا و رشادا وذلك اذا أصاب الحق والصواب وأما الغي فانه مصدر من قول القائل قد غوى فلان فهو يغوى غيا وغواية وبعض العرب تقول غوى فلان يغوى والذي عليه قراءة القراء ماضل صاحبكم وماغوى بالفتح وهي أفصح اللغتين وذلك اذا غوى الحق وتجاوزه فضل فتاويل الكلام اذا قد وضح الحق من الباطل واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه فتميز من الضلالة والغواية فلا تكرهوا من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق فان حاد عن الرشاد بعد استبانته له فالي ربه أمره وهو ولي عقوبته في معاده ۞ القول في تاويل قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) اختلف أهل التاويل في معنى الطاغوت فقال بعضهم هو الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن حسان بن فايد العنسي قال قال عمر بن الخطاب الطاغوت الشيطان حدثني محمد بن المثنى قال ثني ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي اسحق عن حسان بن فايد عن عمر مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عمن حدثه عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي قال الطاغوت الشيطان حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله فمن يكفر بالطاغوت قال الشيطان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الطاغوت الشيطان حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان * وقال آخرون الطاغوت هو الساحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي العالية انه قال الطاغوت الساحر وقد خولف عبد الاعلى في هذه الرواية وأنا ذاكر الخلاف بعد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا عوف عن محمد قال الطاغوت الساحر * وقال آخرون بل الطاغوت هو الكاهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال الطاغوت الكاهن حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قال الطاغوت الكاهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فمن يكفر بالطاغوت قال كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم أخبرني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أنه سمعه يقول وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون اليها فقال كان في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حي واحد وهي كهان ينزل عليها الشيطان والصواب من القول عندي في الطاغوت انه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه اما بقهر منه لمن عبده واما بطاعة ممن عبده انسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شئ وأرى ان أصل الطاغوت الطغوت من قول القائل طغى فلان يطغو اذا عدا قدره فجاوز حده كالجبروت من التجبر والحلبوت من الحلب ونحو ذلك من الاسماء التي تاتي على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه أعني لام الطاغوت فجعلت له عينا وحولت عينه فجعلت مكان لامه كما قيل جذب وجبذ وجابذ وجاذب وصاعقة وصاقعة وما أشبه ذلك من الاسماء التي على هذا المثال فتاويل الكلام اذا فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به و يؤمن بالله يقول و يصدق بالله انه الهه و ربه ومعبوده فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك باوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه كما حدثني أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندي قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا ابن أبي مريم عن حميد بن

ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد يبقى بعضهم في مكان من أماكن السموات كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وابراهيم عليه السلام في السماء السابعة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين أو أدنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما أخبر عن فضيلة الخواص بانها كانت تفضيلا لهم أخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم أخبر عن اجراء الفضل انه في الارتفاع والبذل فخاطب أهل الايمان أي ان كان

ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة عقبة

والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة أنفقوا مما لكناكم ومالنا في صلاح أنفسكم واغتنموا انساعة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل أن يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس في سوق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

نعوت جلاله وأوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت فى الشرف الى أقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بالتفسير أما لفظ الله فقد مر تفسيره فى أول الكتاب وأما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره فى قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وأما الحى القيوم فقد سلف أيضا معناهما فى شرح الاسماء الا أنا نزيدهما ههنا فنقول عن ابن عباس ان أعظم أسماء الله (١٥) الحى القيوم ويؤكده ما روينا من قصة

يكونوا كانوا فيه قبل كقول الرجل أخرجنى والدى من ميراثه اذا ملك ذلك فى حياته غيره فحرمه منه خطيئة ولم يملك ذلك القائل هذا الميراث قط فيخرج منه ولكنه لما حرمه وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه قيل أخرجه منه وكقول القائل أخرجنى فلان من كتيبته يعنى لم يجعلنى من أهلها ولم يكن فيها قط قبل ذلك فكذلك قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات يحتمل أن يكون اخراجهم اياهم من الايمان الى الكفر على هذا المعنى وان كان الذى قاله مجاهد وغيره أشبه بتأويل الآية فان قال لنا قائل وكيف قال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم والطاغوت واحد قيل ان الطاغوت اسم لجماع واحد وقد يجمع طواغيت واذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد كان نظير قولهم رجل عدل وقوم عدل ورجل فطر وقوم فطر وما أشبه ذلك من الاسماء التى تأتى موحدة فى اللفظ واحدها وجمعها وكما قال العباس بن مرداس * فقلنا أسلموا انا أخوكم * فقد برئت من الاحن الصدور

القول فى تاويل قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى تعالى ذكره بذلك هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار أهل النار الذين يخلدون فيها يعنى فى نار جهنم دون غيرهم من أهل الايمان الى غير غاية ولا نهاية أبدا القول فى تاويل قوله (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك) يعنى تعالى ذكره بقوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ألم تر يا محمد بقلبك الذى حاج ابراهيم يعنى الذى خاصم ابراهيم يعنى ابراهيم نبى الله صلى الله عليه وسلم فى ربه أن آتاه الله الملك يعنى بذلك حاجه فخاصمه فى ربه لان الله آتاه الملك وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من الذى حاج ابراهيم فى ربه ولذلك أدخلت الى فى قوله ألم تر الى الذى حاج وكذلك تفعل العرب اذا أرادت التعجيب من رجل فى بعض ما أنكرت من فعله قالوا ما ترى الى هذا والمعنى هل رأيت مثل هذا أو كهذا وقيل ان الذى حاج ابراهيم فى ربه جبار كان ببابل يقال له نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل انه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك قال هو نمرود بن كنعان حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن النضر بن عدى عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه قال كنا نتحدث انه ملك يقال له نمرود وهو أول ملك تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هو اسمه نمرود وهو أول من تجبر فى الارض حاج ابراهيم فى ربه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك قال ذكر لنا أن الذى حاج ابراهيم فى ربه كان ملكا يقال له نمرود وهو أول جبار تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال هو نمرود بن كنعان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو نمرود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنى زيد بن أسلم مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول هو نمرود قال ابن جريج هو نمرود ويقال انه أول ملك فى الارض

القول فى تاويل قوله (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله

بدر ولو كان ذكر أشرف منه لذكره وقتئذ فى السجود وأما الدليل العقلى فان الحى قيل هو الذى يصلح ان يعلم ويقدر أو هو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذا لا يقتضى المدح لمشاركة أخس الحيوانات اياه فى ذلك ونحن نقول ان الحى فى اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شئ يكون كاملا فى جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح أن يقال أحيى الموات وأحيى الله الارض فان كمال حال الارض أن تكون معمورة وكمال حال الاشجار أن تكون مورقة نضيرة ولما كان كمال حال الجسم أن يكون بحيث يصح أن يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حياة فالمفهوم من الحى هو الكامل فى جنسه والكامل فى الوجود هو الذى يجب وجوده بذاته فلا حى بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته وأما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين أحدهما أنه لا يفتقر فى قوامه الى غيره والثانى أن غيره يفتقر فى قوامه اليه وبهذا الثانى يزيد على مفهوم الحى ومن

هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فنها ان واجب الوجود واحد فى ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر فى تحققه الى وجود ذينك الجزأين فيقدح فى كونه قيوما ومنها أنه لا شريك له والاشتراك فى الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزأين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها أن لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم

الاحكام وعلم القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما للمبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق أيضا رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من أسلوب الى أسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته و يصير أقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله

لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم من آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب أنت وسيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي رضي الله عنه أنه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال عليه السلام فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فلا أزال اذهب وارجع وانظر اليه

الظلمات للكفر مثلا لان الظلمات حاجبة للابصار عن ادراك الاشياء واثباتها وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن ادراك حقائق الايمان والعلم بصحته وصحة أسبابه فاخبر تعالى ذكره عباده انه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فوفقهم لادلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر وظلم سواتر أبصار القلوب ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به فقال والذين كفروا يعني الجاحدين وحدانيته أولياؤهم يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم الطاغوت يعني الانداد والاوثان الذين يعبدونهم من دون الله يخرجونهم من النور والى الظلمات يعني بالنور الايمان على نحو ما بينا الى الظلمات و يعني بالظلمات ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الايمان وحقائق أدلته وسبله و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الشيطان يخرجهم من النور والى الظلمات يقول من الهدى الى الضلالة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والظلمات الكفر والنور الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور والى الظلمات يخرجونهم من الايمان الى الكفر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله تعالى ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الكفر الى الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يقول من الايمان الى الكفر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبد الله بن أبي لبابة عن مجاهد أو مقسم في قول الله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور والى الظلمات قال كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى أي يخرج الذين آمنوا الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال يخرجونهم من النور الى الظلمات حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت منصورا عن رجل عن عبدة بن أبي لبابة قال في هذه الآية الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال هم الذين كانوا آمنوا بعيسى بن مريم فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأنزلت فيهم هذه الآية وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد وعبدة ابن أبي لبابة يدل على أن الآية بمعناها الخصوص وانها ان كان الامر كما وصفنا نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الاوثان الذين لم يكونوا يقرون بنبوة عيسى وسائر الملل التي كان أهلها تكذب بعيسى فان قال قائل أو كانت النصارى على حق قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوا به قيل من كان منهم على ملة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فكان على حق واياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فان قال قائل فهل يحتمل أن يكون قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أن يكون معنيا به غير الذين ذكر مجاهد وعبدة انهم عنوا به من المؤمنين بعيسى أو غير أهل الردة والاسلام قيل نعم يحتمل أن يكون معنى ذلك والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم و بين الايمان و يصدونهم فيكفرون فيكون تضليلهم اياهم حتى يكفروا اخراجا منهم لهم من الايمان يعني صدهم اياهم عنه وحرمانهم اياهم خيره وان لم

يكونوا

وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو أشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من

ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا اختلفوا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم أعطاه قارورتين مملوأتين في كل يد واحدة وأمره بالاحتفاظ فكان يتعرز بجهده الى أن نام في آخر الامر فضرب احداهما على الاخرى (١٧) فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان

ان شئت قتلتك فاستبقني وان شئت استحييتك قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين قال اخرجوا هذا عني فلا تميروه شيأ فخرج القوم كلهم قد امتاروا وجوالقا ابراهيم يصطفقان حتى اذا نظر الى سواد جبال أهله قال ليحزنني صبيتي اسمعيل واسحق لوانى ملأت هذين الجوالقين من هذه البطحاء فذهبت بهما قرت عينا صبيتي حتى اذا كان الليل أهرقته قال فملأهما ثم خيطهما ثم جاء بهما فترامى عليهما الصبيان فرحا وألقى رأسه في حجر سارة ساعة ثم قالت ما يجلسني قد جاء ابراهيم تعبا الغبا لوقت فصنعت له طعاما الى أن يقوم قال فأخذت وسادة فأدخلتها مكانها وانسلت قليلا قليلا لئلا توقظه قال فجاءت الى احدى الغرارتين ففتقتهما فاذا حواري من النقي لم ير وامثله عند أحد قط فأخذت منه فطحنته وعجنته فلما أتت توقظ ابراهيم جاءته حتى وضعته بين يديه فقال أى شئ هذا يا سارة قالت من جوالقك لقد جئت وما عندنا قليل ولا كثير قال فذهب ينظر الى الجوالق الآخر فاذا هو مثله فعرف من أين ذاك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال هو يعني نمرود فانا أحيي وأميت فدعا برجلين فاستحيا أحدهما وقتل الآخر قال أنا أحيي وأميت قال أي أستحيي من شئت فقال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما خرج ابراهيم من النار أدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت أنا أدخل أربعة نفر فادخلهم بيتا فلا يطعمون ولا يسقون حتى هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا وتركت اثنين فماتا فعرف ابراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك قال له ابراهيم فان ربي الذي يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وقال ان هذا انسان مجنون فاخرجوه ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها وأن النار لم تأكله وخشي أن ينتضح في قومه أعني نمرود وهو قول الله تعالى ذكره وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فكان يزعم انه رب وأمر بابراهيم فأخرج **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول قال أنا أحيي وأميت أحيي فلا أقتل وأميت من قتلت قال ابن جريج كان أتى برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فقال أنا أحيي وأميت قال أقتل فأميت من قتلت وأحيي قال أستحيي فلا أقتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال ذكر لنا والله أعلم ان نمرود قال لابراهيم فيما يقول أرأيت الهك هذا الذي تعبده وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود فانا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأتركه وأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب أعرف انه كما تقول فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لا يطيق ذلك يقول تعالى ذكره فبهت الذي كفر يعني وقعت عليه الحجة يعني نمرود وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يهدي أهل الكفر الى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة لان أهل الباطل حجتهم داحضة وقد بينا ان معنى الظلم وضع الشئ في غير موضعه والكافر وضع جحوده ما جحد في غير موضعه فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه ونحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق **حدثنا** ابن

أنه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب أن ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر ثم اما بين كونه قيوما وأكده بما أكد ترتب عليه حكما وهو قوله له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه أن يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره في شئ من الاشياء حكم الا باذنه وأمره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار أي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه الاباءة كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

 والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا أو لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء عن مجاهد وعطاء والسدي أي يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا وما كان بعدهم من أمور الآخرة الضحاك والكلبي ما بين أيديهم الآخرة

وقد ثبت أنه واحد ومنها انه ليس في جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة عنده ذاته وذاته مقوم لغيره (١٦) والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها أنه قادر على كل المقدورات

والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة أو غير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي أصله حيي كفذر وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا الياءين أصل وقال ابن الانباري أصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم وأصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قوما على فعول لقيل قووم وعن عمر أنه قرأ الحي القيم وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم أكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعقبهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس أي لا يأخذه نعاس فضلا أن يأخذه نوم أو نقول نفي الاخص أولا ثم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم أولا ضمنا ثم نا يا صريحا ولو اقتصر على نفي الاخص لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى أنه لا يغفل عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ان ساعة اختل أمر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع وأهمل انك لو سنان نائم ومما يدل على أن السهو والغفلة والنوم على الله محال هو أن هذه الاشياء اما أن تكون عبارات عن عدم العلم أو عن اضداد العلم وعلى التقديرين فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضيا

يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر يا محمد الى الذي حاج ابراهيم في ربه حين قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت يعني بذلك ربي الذي بيده الحياة والموت يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الاحياء قال أنا أفعل ذلك فاحيي وأميت أستحيي من أودت قتله فلا أقتله فيكون ذلك مني احياءه وذلك عند العرب يسمى احياء كما قال تعالى ذكره ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وأقتل آخر فيكون ذلك مني اماتته قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها فات بها ان كنت صادقا انك اله من مغربها قال الله تعالى ذكره فبهت الذي كفر يعني انقطع وبطلت حجته يقال منه بهت يبهت بهتا وقد حكي عن بعض العرب انها تقول بهذا المعنى بهت ويقال بهت الرجل اذا افتريت عليه كذبا بهتانا وبهاتة وقد روي عن بعض القراء انه قرأ فبهت الذي كفر بمعنى فبهت ابراهيم الذي كفر ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت وذكر لنا أنه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فقال أنا أحيي هذا أنا أستحيي من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عند ذلك فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أنا أحيي وأميت أقتل من شئت وأستحيي من شئت أدعه حيا فلا أقتله وقال ملك الارض مشرقها ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران بختنصر ونمرود بن كنعان لم يملكها غيرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم أن أول جبار كان في الارض نمرود فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم يمتار مع من يمتار فاذا مر به ناس قال من ربكم قالوا أنت حتى مر ابراهيم قال من ربك قال الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر قال فرده بغير طعام قال فرجع ابراهيم على أهله فمر على كثيب أعفر فقال الا آخذ من هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فاخذ منه فأتى أهله قال فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هي بأجود طعام رأته فصنعت له منه فقربته اليه وكان عهده باهله ليس عندهم طعام فقال من أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعلم أن الله رزقه فحمد الله ثم بعث الله الى الجبار ملكا أن آمن بي واترك ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له ذلك فابى عليه ثم أتاه الثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم تبق الا العظام والملك كما هو ولم يصبه من ذلك شئ فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق وأرخم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة عام فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه وأماته الله وهو الذي بنى صرحا الى السماء فأتى الله بنيانه من القواعد وهو الذي قال الله فاتى الله بنيانهم من القواعد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه قال هو نمرود كان بالموصل والناس يأتونه فاذا دخلوا عليه قال من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم فاذا دخل ابراهيم ومعه بعير خرج يمتار به لولده قال فعرضهم كلهم فيقول من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم حتى عرض ابراهيم مرتين فيقول من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت

على ابتدائها حتى قال انى يحييها الله بعد موتها ولا بيان عندنا من الوجه الذى يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك وجائز أن يكون ذلك عزيرا وجائز أن يكون ارميا ولا حاجة بنا الى معرفة اسمه اذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك وانما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على احيائه خلقه بعد مماتهم واعادتهم بعد فنائهم وانه الذى بيده الحياة والموت من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل باطلاعه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما يزيل شكهم فى نبوته و يقطع عذرهم فى رسالته اذ كانت هذه الانباء التى أوحاها الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه من الانباء التى لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ولم يكن علم ذلك الا عند أهل الكتاب ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وقومه منهم بل كان أميا وقومه أميون فكان معلوما بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك الا بوحى من الله اليه ولو كان يعلم المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبا يقطع العذر و يزيل الشك ولكن القصد كان الى ذم قيله فابانه تعالى ذكره لخلقه واختلف أهل التأويل فى القرية التى مر عليها القائل انى يحيى هذه الله بعد موتها فقال بعضهم هى بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه قال لما رأى أو مباهدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد ابن معقل انه سمع وهب بن منبه قال هى بيت المقدس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عمن لا يتهم انه سمع وهب بن منبه يقول ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه بيت المقدس أتى عليه عزير بعد ما خربه بختنصر البابلى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها انه مر على الارض المقدسة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله أو كالذى مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر بها عزير بعد ما خربها بختنصر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أو كالذى مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر عليها عزير وقد خربها بختنصر * وقال آخرون بل هى القرية التى كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ذكره ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قال قرية كان نزل بها الطاعون ثم اقتص قصتهم التى ذكرناها فى موضعها عنه الى أن بلغ فقال لهم الله موتوا فى المكان الذى ذهبوا يبتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون قال ومر بها رجل وهى عظام تلوح فوقف ينظر فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله لم يتسنه والصواب من القول فى ذلك كالقول فى اسم القائل انى يحيى هذه الله بعد موتها سواء لا يختلفان * القول فى تأويل قوله (وهى خاوية على عروشها) يعنى تعالى ذكره بقوله وهى خاوية وهى خالية من أهلها وسكانها يقال من ذلك خوت الدار تخوى خواء وخويا وقد يقال للقرية تخويت والاول أغرب وأفصح وأما فى المرأة اذا كانت نفساء فانه يقال خويت تخوى خوى منقوصا وقد يقال فيها خوت تخوى كما يقال فى الدار وكذلك خوى الجوف يخوى خواء شديدا ولو قيل فى الجوف ما قيل فى الدار وفى الدار ما قيل فى الجوف كان

تسمية للشئ باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وأيضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى الارض كما يقال لهم أوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشرى وتقريره أنه يخاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى أرضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل أيدى الملوك وكذلك ما ذكر فى القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل

عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم أثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا أن المراد من الالفاظ الموهمة التشبيه فى الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى ولا يؤوده لا يثقله ولا يشق عليه حفظها ما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وأمره فى الكل على نعت واحد وصورة واحدة علوية كانت الاجسام أو سفلية كبيرة أو صغيرة ثم بين أنه مع كونه مقوما

لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين أيديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض أنه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى أذن لهم في تلك الشفاعة أم لا فانهم لا يحيطون بشئ من علمه أي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل أن يراد ولا يعلمون الغيب الا باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيأ الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم أولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر انه ملكه فيما عدا السموات والارضين أعظم وأجل وان ذلك مما ينقطع دون الايماء الى أدنى درجة من درجاتها أوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشئ اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي أي لم يحتمل غير ذلك وأما الكرسي فاصله التركب والتلبد ومنه الكرسي بالكسر للاوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض أوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته والمفسرين في معناه ههنا أقوال فعن الحسن أنه على جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي أنه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس

ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يهديهم في الحجة عند الخصومة لما هم عليه من الضلالة ۞ القول في تاويل قوله (أو كالذي مر على قرية) يعني تعالى ذكره بقوله أو كالذي مر على قرية نظير الذي عنى بقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه من تعجيب محمد صلى الله عليه وسلم منه وقوله أو كالذي مر على قرية عطف على قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وانما عطف بقوله أو كالذي على قوله الى الذي حاج ابراهيم في ربه وان اختلف لفظاهما لاتفاقهما في معنيهما لان قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه بمعنى هل رأيت يا محمد كالذي حاج ابراهيم في ربه ثم عطف عليه بقوله أو كالذي مر على قرية لان من شان العرب العطف بالكلام على معنى نظيره قد تقدمه وان خالف لفظه لفظه وقد زعم بعض نحوي البصرة ان الكاف في قوله أو كالذي مر على قرية زائدة وان المعنى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الذي مر على قرية وقد بينا فيما مضى قبل انه غير جائز أن يكون في كتاب الله شئ لا معنى له بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التاويل في الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال بعضهم هو عزير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال عزير حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو خزيمة قال سمعت سليمان بن بريدة في قوله أو كالذي مر على قرية قال هو عزير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال ذكر لنا انه عزير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله أو كالذي مر على قرية قال قال الربيع ذكر لنا والله أعلم ان الذي أتى على القرية هو عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال عزير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أو كالذي مر على قرية قال عزير حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال قال انه هو عزير حدثني يونس قال قال لنا سالم الخواص كان ابن عباس يقول هو عزير * وقال آخرون هو أرميا بن حلقيا وزعم محمد بن اسحق ان أرميا هو الخضر حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال اسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني اسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول في قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ان أرميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال هو أرميا حدثني محمد بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال سمعت عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن قيس ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير في قول الله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال كان نبيا وكان اسمه أرميا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن عبد الله بن عبيد مثله ثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن ٧ قال يقولون والله أعلم انه أرميا وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ممن قال اذ رأى قرية خاوية على عروشها انى يحيي هذه الله بعد موتها مع علمه انه ابتدا خلقها من غير شئ فلم يقنعه علمه بقدرته

٧ هنا بياض بالاصل

بحبى والعروة واحدة عرى الملو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تأنيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام أقوى ما يتشبث به فشبه فضل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر اليه بعينه فتزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشئ من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله (٢١) لانفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم

بني اسرائيل وأخبره بما أوحى الله اليه ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها الا نفسنا وان عفا عنا فبعدوته ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حتى لم يكونوا يتذكرون الآخرة وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها فقال ملكهم يابنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل ان يمسكم باس من الله وقبل ان يبعث عليكم ملوك لا رحمة لهم بكم فان ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير رحيم من تاب اليه فابوا عليه أن ينزعوا عن شئ مما هم عليه وان الله ألقى فى قلب بختنصر بن نعون بن زادان أن يسير الى بيت المقدس ثم يفعل فيه ما كان جده سنجاريب أراد أن يفعله فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بنى اسرائيل الخبر أن بختنصر أقبل هو وجنوده يريدكم فارسل الملك الى أرميا فجاءه فقال يا أرميا أبى ما زعمت لنا ان ربنا أوحى اليك أن لا يملك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الامر فى ذلك فقال أرميا للملك ان ربى لا يخلف الميعاد وأنابه واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم بعث الله ملكا من عنده فقال له اذهب الى أرميا فاستفته وأمره بالذى يستفتيه فيه فاقبل الملك الى أرميا قد تمثل له رجلا من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال رجل من بنى اسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى فاذن له فقال الملك يانبى الله أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به لم آت اليهم الا حسنا ولم آلهم كرامة فلا تزيدهم كرامتى اياهم الا سخطا على فافتنى فيهم يانبى الله فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصل وأبشر بخير فانصرف عنه الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل الذى جاءه فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك فى شأن أهلى فقال له نبى الله أوما طهرت لك أخلاقهم بعد ولم ترمنهم الذى تحب فقال يانبى الله والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا وقد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر بجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد فخرج منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بنى اسرائيل فدعا أرميا فقال يانبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم ان الملك أقبل الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى كنت استفتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أولم يأن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واعلم أنما قصدهم فى ذلك سخطى فلما أتيتهم اليوم ورأيتهم فى عمل لا يرضى الله ولا يحب الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أى عمل رأيتهم قال يانبى الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ولو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبى وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولك فاتيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى هو بعثك بالحق الا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال أرميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فى أرميا أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال يا مالك السماء ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى أرميا انهم لم يصبهم الذى أصابهم الا بعثياك التى أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبى صلى الله عليه وسلم انها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرات وانه رسول

يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع أولى قيل ان الموصول ههنا محذوف أى التى لا انفصام لها كقوله ومامنا الا له مقام معلوم أى منه وقيل معنى قوله لا اكراه فى الدين لا تكرهوا فى الدين على أنه اخبار فى معنى النهى والاكراه الزام الغير فعلى ٧ هذا لا يرى فيه خير يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو فى أهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم وأما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون وروى أنه كان لانصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله يدخل بعضى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه أى لا تقولوا لمن دخل فى الدين بعد الحرب أنه دخل مكرها لانه اذا رضى بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقوله من يتكلم بالكفر ويعلم ما فى قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما فى قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء

الممكنات مقيما للارضين والسموات متعالى عن المتحيزات ومقدس عن المتزمنات فقال وهو العلى العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم المكان ومديم الزمان قوله سبحانه لا اكراه في الدين الآية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك أنه لم يبق للكافر علة في اقامته على الكفر الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار وينافيه الاكراه والاجبار ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يقال بان الشئ واستبان وتبين وبين أيضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد تبين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه أي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله من طغى الا ان لام الفعل اقلبت الى موضع العين ثم صيرت ألفا فتحركها وانفتاح ماقبلها وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك أنه يفرد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فاما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لارادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل مايطغى وانما جعلت هذه الاشياء أسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لابد أن يتوب أولا ثم يؤمن بعد ذلك فعند استمساك بالعروة الوثقى استمساك وتمسك

صوابا غير ان الفصيح ماذكرت وأما العروش فانها الابنية والبيوت واحدها عرش وجمع قليله أعرش وكل بناء فانه عرش ويقال عرش فلان اذا تعرش ويعرش تعريشا ومنه قول الله تعالى ذكره وما كانوا يعرشون يعني يبنون ومنه قيل عريش مكة يعني به خيامها وأبنيتها وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس خاوية خراب قال ابن جريج بلغنا ان عزيرا خرج فوقف على بيت المقدس وقد خرب بختنصر فوقف فقال أبعد ما كان لك من المقدس والمقالة والمال ما كان فمزن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهي خاوية على عروشها قال هي خراب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال مر عليها عزير وقد خربها بختنصر حدثني موسى قال ثنا عمر وقال ثنا أسباط عن السدي وهي خاوية على عروشها يقول ساقطة على سقفها * القول في تاويل قوله (قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام) ومعنى ذلك فيما ذكرت أن قائله لما مر ببيت المقدس أو بالموضع الذي ذكر الله انه مر به خرابا بعد ما عهده عامرا قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فقال بعضهم كان قيله ما قال من ذلك شكا في قدرة الله على احيائه فاراه الله قدرته على ذلك فضرب به المثل له في نفسه ثم أراه الموضع الذي أنكر قدرته على عمارته واحيائه احياء ما رآه قبل خرابه أعمر ما كان قبل خرابه وذلك ان قائل ذلك كان فيما ذكر لنا عهده عامرا باهله وسكانه ثم رآه خاويا على عروشه قد باد أهله وشتتهم القتل والسبا فلم يبق منهم بذلك المكان أحد وخربت منازلهم ودورهم فلا يبقى الا الاثر فلما رآه كذلك بعد الحال التي عهده عليها قال على أي وجه يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها استنكارا فيما قاله بعض أهل التاويل فاراه كيفية احيائه ذلك بما ضرب به له في نفسه وفيما كان مراده وطعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره باظهاره احياء ما كان بحجا عنده في قدرة الله احياؤه لرأي عينه حتى أبصره ببصره فلما رأى ذلك قال اعلم ان الله على كل شئ قدير وكان سبب قيل ذلك كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني انه كان يقول قال الله لارميا حين بعثه نبيا الى بني اسرائيل يا أرميا من قبل ان أخلقك اخترتك ومن قبل ان أصورك في رحم أمك قدستك ومن قبل ان أخرجك من بطنها طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نبأتك ومن قبل ان تبلغ الاشد اخترتك ولامر عظيم اجتبيتك فبعث الله تعالى ذكره أرميا الى ملك بني اسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه قال ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله صنع بهم وما نجاهم من عدوهم سنجاريب فاوحى الله الى أرميا ان ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم احداثهم ثم ذكر ما أرسل الله به أرميا الى قومه من بني اسرائيل قال ثم أوحى الله الى ارمياء اني مهلك بني اسرائيل ببابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا وحي ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال ملعون يوم ولدت فيه ويوم لقيت التوراة ومن شر أيامي يوم ولدت فيه فما أبقيت آخر الانبياء الا لما هو أشر علي لو أرادني خيرا ما جعلني آخر الانبياء من بني اسرائيل فمن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك فلما سمع الله تضرع الحضر وبكاءه وكيف يقول ناداه أرميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني في بني اسرائيل مالا أسر به فقال الله وعزتي العزيزة لاهلكن بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح عند ذلك ارميا لما قال له ربه وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر ربي بهلاك بني اسرائيل أبدا ثم أتى ملك بني

الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه طريقة واحدة وهو أيضا في نفسه واحد وأما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من ينسب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث بأسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وتنتهي الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا أولئك الكفار أو

فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ان أرميا الخراب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم رد الله من رد من بني اسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته يعمر ونها ثلاثين سنة تمام المائة فلما ذهبت المائة رد الله روحه وقد عمرت على حالها الاولى فجعل ينظر الى العظام كيف تلتئم بعضها الى بعض ثم نظر الى العظام كيف تكسى عصبا ولحما فلما تبين له ذلك قال أعلم أن الله على كل شئ قدير فقال الله تعالى ذكره انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قال فكان طعامه تينا في مكتل وقلة فيها ماء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وذلك أن عزيرا مر جائيا من الشام على حماره معه عصير وعنبوتين فلما مر بالقرية فرآها وقف عليها وقلب بده وقال كيف يحيي هذه الله بعد موتها ليس تكذيبا منه وشكا فاماته الله وأمات حماره فهلكا ومر عليهما مائة سنة ثم ان الله أحيا عزيرا فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل له بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه الآية ۞ القول في تاويل قوله (ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) يعني تعالى ذكره بقوله ثم بعثه ثم أثاره حيا من بعد مماته وقد دللنا على معنى البعث فيما مضى قبل وأما معنى قوله كم لبثت فان كم استفهام في كلام العرب عن مبلغ العدد وهو في هذا الموضع نصب بلبثت وتاويله قال الله له كم قدر الزمان الذى لبثت ميتا قبل ان أبعثك من مماتك حيا قال المبعوث بعد مماته لبثت ميتا الى ان بعثتني حيا يوما واحدا أو بعض يوم وذكر أن المبعوث هو أرميا أو عزير أو من كان ممن أخبر الله عنه هذا الخبر وانما قال لبثت يوما أو بعض يوم لان الله تعالى ذكره كان قبض روحه أول النهار ثم رد اليه روحه آخر النهار بعد المائة العام فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت فكان ذلك عنده يوما لانه ذكر انه قبض روحه أول النهار وسئل عن مقدار لبثه ميتا آخر النهار وهو يرى أن الشمس قد غربت فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب فقال أو بعض يوم كما قال تعالى ذكره وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون بمعنى بل يزيدون فكان قوله أو بعض يوما رجوعا منه عن قوله لبثت يوما وبنحو الذى قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال ذكر لنا انه مات ضحى ثم بعثه قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنى يحيي هذه الله بعد موتها قال مر على قرية فتعجب فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله أول النهار فلبث مائة عام ثم بعثه في آخر النهار فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال قال الربيع أماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج لما وقف على بيت المقدس وقد خرب بختنصر قال أنى يحيي هذا الله بعد موتها كيف يعيدها كما كانت فاماته الله قال وذكر لنا انه مات ضحى وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام فقال كم لبثت قال يوما فلما رأى الشمس قال أو بعض يوم ۞ القول في تاويل قوله (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) يعني تعالى ذكره بقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم تغيره السنون التي أتت عليه وكان طعامه فيما ذكر بعضهم

هم من يطيعهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك * التاويل الحي القيوم أشير بهما الى الاسم الاعظم لان اسمه الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فان من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفته الحي معاني جميع أسمائه وصفاته وعند تجلي صفته القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وذهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم اذ سلب الحي جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فنفى التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى لانه حينئذ

ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما اذا كر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لا تاخذه سنة ولا نوم لان النوم أخ الموت والموت ضد الحياة وهو الحي الحقيقي

عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من الطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن الاصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم الى النور من الظلمة ان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار وروي أنه صلى الله عليه وسلم سمع انسانا قال أشهد أن لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فانه أراد بها الكفر والايمان الا قوله في أول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عني به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك فلما وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر أن الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية أنوار وتزداد النفس بها نورية وإشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور

ربه فطار أرميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا كل من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم تسعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فجعل فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمة وكان من أولئك الغلمان * دانيال * وعزاريا * ومسايل * وحنانيا * وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سباو ثلثا قتل وذهب بأسبية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وبالصبيان التسعين الالف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي ذكر الله تعالى ذكره نبي الله باحداثهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنه راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بني اسرائيل أقبل أرميا على حماره معه عصير من عنب في زكرة وسلة تين حتى أتى ايليا فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب وحل شك فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام وحماره وعصيره وسلة تينه عنده حيث أماته الله ومات حماره معه فاعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ثم بعثه الله تعالى فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فنظر الى حماره يتصل بعضه الى بعض وقد مالئ معه بالعروق والعصب ثم كيف كسي ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هم على هيئته حين وضعه لم يتغير * فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم ان الله على كل شئ قدير ثم عمر الله أرميا بعد ذلك فهو الذي يرى بقلوات الارض والبلدان حدثني محمد بن عمر وابن زنجويه قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول أوحى الله الى أرميا وهو بارض مصر أن الحق بارض ايليا فان هذه ليست لك بارض مقام فركب حماره حتى اذا كان ببعض الطريق ومعه سلة من عنب وتين وكان معه سقاء جديد فلأه ماء فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى والمساجد ونظر الى خراب لا يوصف فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وسار حتى نبوأ منها منزلا فربط حماره بحبل جديد وعلق سقاءه وألقى الله عليه السبات * فلما نام نزع الله روحه مائة عام فلما مرت من المائة سبعون عاما أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له بوسك فقال ان الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت فقال الملك أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ولما يصلحه من أداة العمل فانظره ثلاثة أيام فانتدب ثلثمائة قهرمان ودفع الى كل قهرمان ألف عامل وما يصلحه من أداة العمل فسار اليها فهرمته ومعهم ثلثمائة ألف عامل فلما وقعوا في العمل رد الله روح الحياة في عين أرميا وأخر جسده ميتا فنظر الى ايليا وما حولها من القرى والمساجد والانهار والحروث تعمل وتعمر وتجدد حتى صارت كما كانت وبعد ثلاثين سنة تمام المائة ورد اليه الروح فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة وقد أتى على ذلك ربح مائة عام وبرد مائة عام وحر مائة عام لم تتغير ولم تنتقص شيأ وقد تحلل جسم أرميا من البلى فانبت الله له لحما جديدا وانظر عظامه وهو ينظر فقال له الله انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما

ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت ثم أمنه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ماسوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يتسنه لم يتغير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه يقول لم يتغير فيحمض التين والعنب ولم يختمر العصير هما حلوان كما هما وذلك انه مر جائيا من الشام على حماره معه عصير وعنب وتين فاماته الله وأمات حماره ومر عليهما مائة سنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وقد أتى عليه مائة عام حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لم يتسنه لم يتغير حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن النضر عن عكرمة لم يتسنه لم يتغير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يتسنه لم يتغير فى مائة سنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن نصر قال يزعمون فى بعض الكتب ان أرمياء كان باباليا حين خرج بختنصر فخرج منها الى مصر فكان بها فاوحى الله اليه ان اخرج منها الى بيت المقدس فاتاها فاذا هى خربة فنظر اليها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حى قائم على رباطه واذا طعامه مسل عنب وسل تين لم يتغير عن حاله قال يونس قال لنا سالم الخواص كان طعامه وشرابه سل عنب وسل تين وزق عصير * وقال آخرون معنى ذلك لم ينتن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لم يتسنه لم ينتن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن جريج قوله الى طعامك قال سل تين وشرابك دن خمر لم يتسنه يقول لم ينتن وأحسب أن مجاهدا والربيع ومن قال فى ذلك بقولهما رأوا أن قوله لم يتسنه من قول الله تعالى ذكره ممسنون بمعنى المتغير الريح بالنتن من قول القائل أسن هذا الماء يأسن اسنا كما قال الله تعالى ذكره فيها أنهار من ماء غير آسن فان ذلك لو كان كذلك لكان الكلام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتأسن ولم يكن يتسنه فانه منه غير انه ترك همزه قبل فائه وان ترك همزه فغير جائز تشديد نونه لان النون غير مشددة وهى فى يتسنه مشددة ولو نطق من يتأسن بترك الهمز لقيل يتسنن بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه فنى ذلك بيان واضح انه غير جائز أن يكون من الاسن * القول فى تأويل قوله (وانظر الى حمارك) اختلف أهل التاويل فى تأويل قوله وانظر الى حمارك فقال بعضهم معنى ذلك وانظر الى احيائى حمارك والى عظامك كيف أنشزها ثم أكسوها لحما * ثم اختلفوا بعد أولوا ذلك هذا التاويل فقال بعضهم قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد ان أحياه خلقا سويا ثم أراد أن يحيى حماره تعريفا منه تعالى ذكره له كيفية احيائه القرية التى رآها خاوية على عروشها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها مستنكرا احياء الله اياها فاذ كر من ذل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن لا يتهم عن وهب بن منبه قال بعثه الله فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم الى قوله ثم نكسوها لحما قال فنظر الى حماره يتصل بعض الى بعض وقد كان مات معه بالعروق والعصب ثم كساذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق وتطر الى عصيره وتينه فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان الله أحياعزيرا فقال كم

ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله وانابة القلب الى الغناء فى الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلى تبت اليك أى عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن عالمى زمانه بالايمان العيانى وشريكا مع القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر

لى سكرتان وللندمان واحدة
شئ خصصت به من بينهم وحدى

ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن أن تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا تكون أيضا من بطشك والا كانت منفصمة بل تكون من بطشة ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تغنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم

جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين وأعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها أبدا الآبدين ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات

فلا يقدر أحد من الخلائق كقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نوري وأول ما خلق الله العقل وأن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام وما خلفهم من أهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الأنبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم إليه بالاضطرار ولا يحيطون بشيء من علمه وإنما هو شاهد على أحوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ونعلم أمور آخرتهم وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من ذلك إلا بما شاء أن يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والأرض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي صدره وسوف يجيء تمام التحقيق إن شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى وأن العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والأرض بالنسبة إلى سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ أسرار السموات والأرض وعلم آدم الأسماء كلها ولما أظهر لخلوقاته من العرش والكرسي ولقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء وائتزر بإزار العظمة والبهاء وهو أولى بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم فمن علا في الآخر والأولى فبما علاه ومن عظم فبتعظيمه ثم أخبر عن عزة الدين لارتباط اليقين بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع أن التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع

سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء وقال بعضهم بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين وشرابه زق من عصير * وقال آخرون بل كان طعامه سلة تين وشرابه دن خمر وزكرة خمر وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم في ذلك ونذكر ما فيه فيما يستقبل ان شاء الله وأما قوله لم يتسنه ففيه وجهان من القراءة أحدهما لم يتسن بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه زائدة صلة كقوله فبهداهم اقتده وجعل فعلت منه تسنيت تسنيا اعتل في ذلك بان السنة تجمع سنوات فتكون تفعلت على نهجه ومن قال في السنة سنينة فجائز على ذلك وان كان قليلا أن يكون تسنيت تفعلت بدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قال تظنيت وأصله الظن وقد قال قوم هو ماخوذ من قوله من حمإ مسنون وهو المتغير وذلك أيضا اذا كان كذلك فهو أيضا ممن بدلت نونه ياء وهو قراءة عامة قراء الكوفة * والآخر منهما اثبات الهاء في الوصل والوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ويجعل فعلت منه تسنهت وتفعل أتسنه تسنها وقال في تصغير السنه سنيهة وسنيه أسنيت عند القوم واستنهت عندهم اذا أقمت سنة هذه قراءة عامة قراء أهل المدينة والحجاز والصواب من القراءة عندي في ذلك اثبات الهاء في الوصل والوقف لانها مثبتة في مصحف المسلمين ولانها وجه صحيح في كلتي الحالتين في ذلك ومعنى قوله لم يتسنه لم يأت عليه السنون فيتغير على لغة من قال أسنهت عندكم أسنه اذا أقام سنة وكما قال الشاعر

وليست سنهاء ولا رجبية * ولكن غزاني في السنين الجوائح

فجعل الهاء في السنة أصلا وهي في اللغة الفصحى وغير جائز حذف حرف من كتاب الله في حال وقف أو وصل لاثباته وجه معروف في كلامها فان اعتل معتل بان المصحف قد ألحقت فيه حروف هن زوائد على نية الوقف والوجه في الاصل عند القراءة حذفهن وذلك كقوله فبهداهم اقتده وقوله يا ليتني لم أوت كتابيه فان ذلك هو مما لم يكن فيه شك انه من الزوائد وانه ألحق على نية الوقف فاما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غير زائد فغير جائز وهو في مصحف المسلمين مثبت صرفه الى أنه من الزوائد والصلات على ان ذلك وان كان زوائد فيما لا شك انه من الزوائد فان العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به في حال القطع فيكون وصلها اياه وقطعها سواء وذلك مع فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك باثبات الهاء في الوصل والوقف غير أن ذلك وان كان كذلك فلقوله لم يتسنه حكم مفارق حكم ما كان هاؤه زائدة لا شك في زيادته فيه ومما يدل على صحة ما قلنا من أن الهاء في يتسنه من لغة من قال قد أسنهت والمسانهة ما حدثت به عن القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدي عن أبي الجراح عن سليمان بن عمير قال ثني هانئ مولى عثمان قال كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت فقال زيد سله عن قوله لم يتسن أو لم يتسنه فقال عثمان اجعلوا فيها هاء حدثت عن القاسم حدثنا محمد بن محمد العطار عن القاسم وحدثنا أحمد العطار جميعا عن القاسم قال ثنا ابن مهدي عن ابن المبارك قال ثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هانئ البربري قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فارسلني بكتف شاة الى أبي بن كعب فيها لم يتسنه وفأمهل الكافرين ولا تبديل لخلق قال فدعا بالدواة فمحا احدى اللامين وكتب لا تبديل لخلق الله ومحا فامهل وكتب فمهل الكافرين وكتب لم يتسنه ألحق فيها الهاء ولو كان ذلك من يتسن أو يتسنن لما ألحق فيه أي هؤلاء موضع هاء ولا أمر عثمان بالحاقها فيها وقد روي عن زيد بن ثابت في ذلك نحو الذي روي فيه عن أبي بن كعب * واختلف أهل التاويل في تاويل قوله لم يتسنه فقال بعضهم بمثل الذي قلنا فيه من أن معناه لم يتغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه لم يتسنه لم يتغير حدثنا بشر

قال

تعالى ان أنا الا نذير واشباهه ذلك ستة وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما أصلية مجزومة يلم أوهاء سكت وأجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وأبو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بن شنبوذ عن أهل مكة ننشرها بالراء أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال أعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلى الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ أبو بكر وحماد جزأ مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة * الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك وبمت لا لان قال عامل اذ وأميت ط كفر ط الظالمين لا للعطف بأو للتعجب عروشها ج لان مابعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك أي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما ط لتمام البيان له لان قال جواب لما قدره الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم * التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلاثا أولها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابراهيم مالك

العظام كيف ننشرها قال الربيع ذكر لنا والله أعلم انه أول ما خلق منه عيناه ثم قيل انظر فجعل ينظر الى العظام يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينيه فقيل أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن زيد قال قوله وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك واقفا عليك منذ مائة سنة ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام يقول وانظر الى عظامك كيف نحييها حين سألتنا كيف نحيي هذه الارض بعد موتها قال فجعل الله الروح في بصره وفي لسانه ثم قال ادع الآن بلسانك الذي جعل الله فيه الروح وانظر ببصرك قال فكان ينظر الى الجمجمة قال فنادى ليلحق كل عظم باليه قال فجاء كل عظم الى صاحبه حتى اتصلت وهو يراها حتى ان الكسرة من العظم لتاتي الى الموضع الذي انكسرت فيه فتلتصق به حتى وصل الى جمجمته وهو يرى ذلك فلما اتصلت شدها بالعصب والعروق وأجرى عليها اللحم والجلد ثم نفخ فيها الروح ثم قال انظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له ذلك قال أعلم ان الله على كل شئ قدير قال ثم أمر فنادى تلك العظام التي قال اني يحيي هذه الله بعد موتها كما نادى عظام نفسه ثم أحياها الله كما أحياه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن نصر قال يزعمون في بعض الكتب ان الله أمات أرميا مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حي قائم على رباطه قال ورد الله اليه بصره وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة ثم نظر الى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله قال فيقولون والله أعلم انه الذي قال الله تعالى ذكره أو كالذي مر على قرية وهي خاوية الآية ومعنى الآية على تاويل هؤلاء وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى عظامك كيف ننشرها بعد بلاها ثم نكسوها لحما فنحييها بحياتك فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها * وأولى الاقوال في هذه الآية بالصواب قول من قال ان الله تعالى ذكره بعث قائل اني يحيي هذه الله بعد موتها من مماته ثم أراه نظير ما استنكر من احياء الله القرية التي مر بها بعد مماتها عيانا من نفسه وطعامه وحماره فجعل تعالى ذكره ما أراه من احيائه نفسه وحماره مثلا لما استنكر من احيائه اهل القرية التي مر بها خاوية على عروشها وجعل ما أراه من العبرة في طعامه وشرابه عبرة له وحجة عليه في كيفية احياء منازل القرية وجنانها وذلك هو معنى قول مجاهد الذي ذكرناه قبل وانما قلنا ذلك أولى بتاويل الآية لان قوله وانظر الى العظام انما هو بمعنى وانظر الى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشرها ثم نكسوها لحما وقد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التاويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب فلم يكن صرف معنى قوله وانظر الى العظام الى انه أمره بالنظر الى عظام الحمار دون عظام المامور بالنظر اليها ولا الى انه أمره بالنظر الى عظام نفسه دون عظام الحمار واذا كان ذلك كذلك وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره كان الاولى بالتاويل أن يكون الامر بالنظر الى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لان الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة * القول في تاويل قوله (ولنجعلك آية للناس) يعني تعالى ذكره بذلك ولنجعلك آية للناس أمتناك مائة عام ثم بعثناك وانما أدخلت اللام مع الواو التي في قوله ولنجعلك آية للناس وهو بمعنى كي لان في دخولها في كي وأخواتها دلالة على انها اشرط لفعل بعدها بمعنى ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك ولو لم تكن قبل اللام أعني لام كي واو كانت اللام شرطا للفعل الذي قبلها وكان يكون معناه وانظر الى حمارك لنجعلك آية للناس وانما عنى بقوله ولنجعلك آية ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي وشك في عظمتي وأنا القادر على فعل ما أشاء من اماتة واحياء وافناء وانشاء وانعام واذلال واقتار واغناء بيدي ذلك كله لا يعلكه أحد دوني ولا يقدر عليه غيري وكان بعض أهل التاويل يقول كان آية للناس بانه جاء بعد مائة عام الى ولده وولد ولده شابا وهم شيوخ ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا

النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أي هم أولياء الطاغوت كقوله أندادا يحبونهم كحب الله فان (٢٦) الطاغوت لو فسر بالاصنام فهي بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان أو النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض أولئك أي أرواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام أصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس فانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ العظام أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) القراآت ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح أنا أحيي بالمد أبو جعفر ونافع وكذلك ما أشبههما من المفتوحة والمضمومة وزاد أبو نشيط بالمد في المكسورة في قوله

لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه وانظر الى عظامه كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس له لحم ولا دم ثم ان الله كسا العظام لحما ودما فقام حمارا من لحم ودم وليس فيه روح ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فنهق الحمار فقال أعلم ان الله على كل شئ قدير فتأويل الكلام على من تأوله قائل هذا القول وانظر الى احيائنا حمارك والى عظامه كيف ننشرها ثم نكسوها لحما ولنجعلك آية للناس فيكون في قوله وانظر الى حمارك متروك من الكلام استغني بدلالة ظاهره عليه من ذكره وتكون الالف في قوله وانظر الى العظام بدلا من الهاء المرادة في المعنى لان معناه وانظر الى عظامه يعني الى عظام الحمار * وقال آخرون منهم بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد ان نفخ فيه الروح في عينه قالوا وهي أول عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح وذلك بعد أن سواه خلقا سويا وقبل أن يحيي حماره ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان هذا رجلا من بني اسرائيل نفخ الروح في عينيه فنظر الى خلقه كله حين يحييه الله والى حماره حين يحييه الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال بدأ بعينيه فنفخ فيهما الروح ثم بعظامه فانشزها ثم وصل بعضها الى بعض ثم كساها العصب ثم العروق ثم اللحم ثم نظر الى حماره فاذا حماره قد بلي وابيضت عظامه في المكان الذي ربطه فيه فنودي يا عظام اجتمعي فان الله منزل عليك روحا فسعى كل عظم الى صاحبه فوصل العظام ثم العصب ثم العروق ثم اللحم ثم الجلد ثم الشعر وكان حماره جذعا فاحياه الله كبيرا قد تسنن فلم يبق منه الا الجلد من طول الزمن وكان طعامه سلة عنب وشرابه دن خمر قال ابن جريج عن مجاهد نفخ الروح في عينيه ثم نظر بهما الى خلقه كله حين نشره الله والى حماره حين يحييه الله * وقال آخرون بل جعل الله الروح في رأسه وبصره وجسده ميتا فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه وطعامه وشرابه كهيئته يوم حل البقعة ثم قال الله له انظر الى عظام نفسك كيف ننشرها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول رد الله روح الحياة في عيني أرمياء وآخر جسده ميت فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة حدثت عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه فانظر الى حماره قائما قد مكث مائة عام والى طعامه لم يتغير قد أتى عليه مائة عام وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فكان أول شئ أحيا الله منه رأسه فجعل ينظر الى سائر جسده يخلق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن الضحاك في قوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما والى طعامه وشرابه لم يتغير فكان أول شئ خلق منه رأسه فجعل ينظر الى كل شئ منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه أول ما خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ثم قيل له انظر فجعل ينظر فجعلت عظامه تواصل بعضها الى بعض وبعين نبي الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك فقال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وكان حماره عنده كما هو ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام

ذلك الجهل والتلبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول أوفى المثال الاول بتلك الشبهة كان الانتقال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم أن يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام أن كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا أن الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب أن يكون المنتقل اليه أوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحياة لا قدرة للخلق عليه وأما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وأيضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات أقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وأيضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عنه عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس أن يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فعجل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو أورد هذا السؤال لكان من الواجب أن يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم أن الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة أسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فلما الذي حمل ابراهيم على أن ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق آخر وقالوا ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر أتدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء أم بواسطة الاسباب الارضية والسماوية أما الاول فلا سبيل اليه وأما الثاني فنظيره أو ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب

بهما الامتجة تقطع العذر وتوجب الحجة فبأيهما قرأ القارئ فصيب لانقياد معنييهما ولاحجة توجب لاحداهما من القضاء بالصواب على الاخرى فان ظن ظان أن الانشار اذا كان احياء فهو بالصواب أولى لان المأمور بالنظر الى العظام وهي تنشر انما أمر به ليرى عيانا ما أنكره بقوله اني يحيي هذه الله بعد موتها فان احياء العظام لاشك في هذا الموضع انما عنى به ردها الى أماكنها من جسد المنظور اليه وهو يحيي لاعادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات والذي يدل على ذلك قوله ثم نكسوها لحما ولاشك ان الروح انما نفخت في العظام التي أنشرت بعد ان كسيت اللحم واذا كان ذلك كذلك وكان معنى الانشار تركيب العظام ورددها الى أماكنها من الجسد وكان ذلك معنى الانشار كان معلوما استواء معنييهما وانهما متفقا المعنى لا مختلفاه ففي ذلك ابانة عن صحة ما قلناه فأما القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندي وهي قراءة من قرأ كيف ننشرها بفتح النون وبالراء لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب ۞ القول في تأويل قوله (ثم نكسوها لحما) يعني تعالى ذكره بذلك ثم نكسوها أي العظام لحما والهاء التي في قوله ثم نكسوها لحما من ذكر العظام ومعنى نكسوها نلبسها ونواريها به كما يوارى جسد الانسان كسوته التي يلبسها وكذلك تفعل العرب تجعل كل شئ غطى شيأ وواراه لباسا له وكسوة ومنه قول النابغة الجعدي

فالحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

فجعل الاسلام اذ غطى الذي كان عليه فواراه وأذهبه كسوة له وسربالا ۞ القول في تأويل قوله (فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير) يعني تعالى ذكره بقوله فلما تبين له فلما اتضح عيانا ما كان مستنكرا من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك قال اعلم الآن بعد المعاينة والاتضاح به والبيان ان الله على كل شئ قدير ثم اختلفت القراء في قراءة قوله قال اعلم أن الله فقرأه بعضهم قال اعلم على معنى الامر بوصل الالف من اعلم وجزم الميم منها وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة ويذكرون انها في قراءة عبد الله قيل اعلم على وجه الامر من الله الذي أحى بعد مماته فأمر بالنظر الى ما يحييه الله بعد مماته وكذلك روي عن ابن عباس حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي قال ثنا القاسم بن سلام قال ثني حجاج عن هرون قال هي في قراءة عبد الله قيل اعلم ان الله على وجه الامر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أحسبه شك أبو جعفر الطبري سمعت ابن عباس يقرأ فلما تبين له قال اعلم قال انما قيل ذلك له حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا والله أعلم انه قيل له أنظر فجعل ينظر الى العظام كيف يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينه فقيل له اعلم أن الله على كل شئ قدير فعلى هذا القول تأويل ذلك فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته قال الله له اعلم الآن ان الله على كل شئ قدير ولو صرف متأول قوله قال اعلم وقد قرأه على وجه الامر الى أنه من قبل الخبر عنه بما اقتص في هذه الآية من قصته كان وجها صحيحا وكان ذلك كما يقول القائل اعلم ان قد كان كذا وكذا على وجه الامر منه لغيره وهو يعني به نفسه وقرأ ذلك آخرون قال أعلم على وجه الخبر عن نفسه المتكلم به بهمز ألف أعلم وقطعها ورفع الميم بمعنى فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه قال ألبس ذلك أعلم الآن انا أن الله على كل شئ قدير وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراء أهل العراق وبذلك من التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما عاين من قدرة الله ما عاين قال اعلم أن الله على كل شئ قدير ثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول فلما تبين

اسحق قال ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان قال سمعت الاعمش يقول ولنجعلك آية للناس قال جاء شابا وولده شيوخ ، وقال آخرون معنى ذلك آية جاء وقد هلك من يعرفه فكان آية لمن قدم عليه من قومه ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال رجع الى أهله فوجد داره قد بيعت وبنيت وهلك من كان يعرفه فقال اخرجوا من داري قالوا ومن أنت قال أنا عزير قالوا أليس قد هلك عزير منذ كذا وكذا قال فان عزيرا أنا هو وكان من حالي وكان فلما عرفوا ذلك خرجوا له من الدار ودفعوها اليه والذي هو أولى بتاويل الآية من القول أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر انه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته واحياء الله اياه بعد مماته وعلى من بعث اليه منهم ۞ القول في تاويل قوله (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قد دللنا فيما مضى قبل على أن العظام التي أمر بالنظر اليها هي عظام نفسه وحماره وذكرنا اختلاف المختلفين في تاويل ذلك وما معنى كل قائل بما قاله في ذلك بما أغنى عن اعادته وأما قوله كيف ننشرها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعضهم فانظر الى العظام كيف ننشزها بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين بمعنى وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك الى مواضع من الجسم وأصل النشز الارتفاع ومنه قيل قد نشز الغلام اذا ارتفع طوله وشب وهيئة نشوز المرأة على زوجها ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الارض نشز ونشز ونشز فاذا أردت انك رفعته قلت أنشزته انشازا وانشزه واذا ارتفع بمعنى قوله وانظر الى العظام كيف ننشزها في قراءة من قرأ ذلك بالزاي كيف نرفعها من أماكنها من الارض فنردها الى أماكنها من الجسم وممن تاول ذلك هذا التاويل جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله كيف ننشزها كيف نخرجها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى كيف ننشزها قال نخرجها وقرأ ذلك آخرون وانظر الى العظام كيف ننشرها بضم النون قالوا من قول القائل انشر الله الموتى فهو ينشرهم انشارا وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى وانظر الى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كيف ننشرها قال نظر اليها حين يحييها الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها قال كيف نحييها واحتج بعض قراء ذلك بالراء وضم نون أوله بقوله ثم اذا شاء أنشره فرأى من الصواب الحاق قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها به وقرأ ذلك بعضهم وانظر الى العظام كيف ننشرها بفتح النون من أوله وبالراء كأنه وجه ذلك الى مثل معنى نشر الشئ وطيه وذلك قراءة غير محمودة لان العرب لا تقول نشر الموتى وانما تقول أنشر الله الموتى فنشروا هم بمعنى أحياهم فحيوا هم وبدلالة ذلك على ذلك قوله ثم اذا شاء أنشره وقوله آلهة من الارض هم ينشرون وعلى انه اذا أريد به حي الميت وعاش بعد مماته قيل نشر قول أعشى بني ثعلبة

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

وروي مما علم من العرب كان به حرب فنشر اذا عاد وحي والقول في ذلك عندي أن معنى الانشار ومعنى الانشاز متقاربان لان معنى الانشاز التركيب والاثبات وردّ العظام من العظام واعادتها لاشك أنه ردها الى أماكنها وصلها معها من الجسد بعد مفارقتها اياها فهما وان اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى وقد جاءت القراءة

طريقان الاول وعليه أكثر المفسرين أن ابراهيم عليه السلام لما رأى من نمرود أنه التبس تلك الشبهة عليه عن ذلك بجهها

الى دليل آخر أوضح من الاول فقال الله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال

المجادل من حجة الى حجة أورد عليه أن الشبهة اذا وقعت في الاستماع وجب على المحق للقاء وعلى ذكر الجواب أيد أن يذكر الجواب في الحال ازالة

الكافرين بسطة وسعة في الدنيا ومعنى أن آتاه الله أي لان الله آتاه الملك فابطره وأورثه الكبر والعتو أو جعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عادني فلان لاني أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز أن يكون المعنى حاج وقت أن آتاه وحين مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلابد أن يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان وأشكاله بصير باعضائه وأحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب ألم نخلقكم من ماء مهين ويروى أن الكافر دعا حينئذ شخصين فاستبقى أحدهما وقتل الآخر وقال أما أنا فاحيي أحي وأميت ثم الناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه أكثر المفسرين أن ابراهيم عليه السلام لما رأى من نمرود أنه التبس تلك الشبهة عليه عن ذلك بجهها الى دليل آخر أوضح من الاول فقال الله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال المجادل من حجة الى حجة أورد عليه أن الشبهة اذا وقعت في الاستماع وجب على المحق للقاء وعلى ذكر الجواب أيد أن يذكر الجواب في الحال ازالة

والسدى هو غير وقال عطاء عن ابن عباس هو أرميا هو من هؤلاء من قال ان أرميا هو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان أرميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بختنصر بيت المقدس وأحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله أني يحيي هذه الله بعد موتها يدل على أنه كان عالما بانه (٣١) وبانه تعالى يصح منه الاحياء في

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد مر ابراهيم بحوت نصفه في البر ونصفه في البحر فما كان منه في البحر فدواب البحر تأكله وما كان منه في البر فالسباع ودواب البر تأكله فقال له الخبيث يا ابراهيم متى يجمع الله هؤلاء من بطون هؤلاء فقال يارب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * وقال آخرون بل كان سبب مسئلته ربه ذلك المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال لما جرى بين ابراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله في سورة الانبياء قال نمرود فيما يذكرون لابراهيم أرأيت الهك هذا الذي تعبد وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت ثم ذكر ما قص الله من محاجته اياه قال فقال ابراهيم عند ذلك رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي من غير شك في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ولكنه أحب ان يعلم ذلك ويتاق اليه قلبه فقال ليطمئن قلبي أي ما تاق اليه اذا هو علمه وهذان القولان أعني الاول وهذا الآخر متقاربا المعنى في ان مسئلة ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عيانا ما كان عنده من علم ذلك خبرا وقال آخرون بل كانت مسئلته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بانه اتخذه خليلا فسأل ربه ان يريه عاجلا من العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اصطفاه لنفسه خليلا ويكون ذلك لما عنده مؤيدا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له ان يبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم وليس في البيت فدخل داره وكان ابراهيم أغير الناس ان خرج أغلق الباب فلما جاء وجد في داره رجلا فثار اليه ليأخذه قال من أذن لك ان تدخل داري قال ملك الموت اذن لي رب هذه الدار قال ابراهيم صدقت وعرف أنه ملك الموت قال من أنت قال أنا ملك الموت جئتك أبشرك بان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله وقال يا ملك الموت أرني الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذاك قال بلى قال فاعرض فاعرض ابراهيم ثم نظر اليه فاذا هو برجل اسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعره في جسده الا في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشي على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند الموت من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال فاعرض فاعرض ابراهيم ثم التفت فاذا هو برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا في ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عندربه من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه فانطلق ملك الموت وقام ابراهيم يدعو ربه يقول رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم اني خليلك قال أولم تؤمن بانني خليلك يقول تصدق قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بخلولتك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد ابن جبير ولكن ليطمئن قلبي قال بالخلة وقال آخرون قال ذلك لربه لانه شك في قدرة الله على احياء الموتى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب في قوله ولكن ليطمئن قلبي قال قال ابن عباس ما في القرآن آية أرجى عندي منها حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت يزيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال اتعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو اب يجتمعا قال ونحن يومئذ شيبة فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الامة فقال عبد الله بن عمرو يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حتى ختم الآية فقال ابن عباس اما

الجنة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وأيضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له أيضا روى عن ابن عباس أن بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم يرفيها أحدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها أي من أين يتوقع عمارتها الا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في أن مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عنه في موته أبصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهد ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله فسمع صوتا أيتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور

ابراهيم عليه السلام بناء على معتقدهم وكانوا أصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة ان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لابد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه أيضا طريق آخر ذكره في التأويلات ان شاء الله تعالى (٣٠) فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما وأفصح منهما القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوبا فيعلم منه أن الكل بقضاء الله وقدره وبمشيئته وارادته القصة الثانية قوله سبحانه أو كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي وأكثر النحويين الى أنه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كأنه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر

فلسنا بالجبال ولا الحديدا ... وعن الاخفش أن الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر وعن المبرد انما يضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج الى ابراهيم أو ألم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه أكثر المفسرين من المعتزلة أن المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله أني يحيي استبعاد وأنه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على أن ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله واعلم أن الله على كل شيء قدير وذهب سائر المفسرين الى أنه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك

حدثني له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال يعني نبي الله صلى الله عليه وسلم يعني انشار العظام اعلم ان الله على كل شيء قدير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال قال عزير عند ذلك يعني عند معاينة لاحياء الله حماره اعلم ان الله على كل شيء قدير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال - جعل ينظر الى كل شيء منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير شيء يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نحوه * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ اعلم بوصل الالف وجزم الميم على وجه الامر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته بالامر بان يعلم ان الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من احيائه اياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه حتى عاد اكهيئتهما يوم قبض أرواحهما وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شيء قادر كذلك وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره لان ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولا للذي أحياه الله بعد مماته وخطابا له به وذلك قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها فلما تبين ذلك له جوابا عن مسئلته ربه اني يحيي هذه الله بعد موتها قال الله له اعلم ان الله الذي فعل هذه الاشياء على ما رأيت على غير ذلك من الاشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله كما قال تعالى ذكره لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعد ان أجابه عن مسئلته اياه في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى واعلم ان الله عزيز حكيم فأمر ابراهيم بان يعلم بعد ان أراه كيفية احيائه الموتى انه عزيز حكيم وكذلك أمر الذي سأل فقال اني يحيي هذه الله بعد موتها بعد ان أراه كيفية احيائه اياها ان يعلم ان الله على كل شيء قدير ۞ القول في تاويل قوله (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني فانما صلح أن يعطف بقوله واذ قال ابراهيم على قوله أو كالذي مر على قرية وقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه لان قوله ألم تر ليس معناه ألم تر بعينيك وانما معناه ألم تر بقلبك فعناه ألم تعلم فتذكر فهو وان كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام وأحيانا بما يوافق معناه واختلف أهل التاويل في سبب مسئلة ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى فقال بعضهم كانت مسالته ذلك ربه انه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير فسأل ربه ان يريه كيفية احيائه اياها مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الارض ليرى ذلك عيانا فيزداد يقينا برؤيته ذلك عيانا الى علمه به خبرا فاراه الله ذلك مثلا بما أخبره انه أمره به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ذكر لنا ان خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى قال مر ابراهيم على دابة ميت قد بلي وتقسمته الرياح والسباع فقدم ينظر فقال سبحان الله كيف يحيي الله هذا وقد علم ان الله قادر على ذلك فذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج بلغني ان ابراهيم بينا هو يسير على الطريق اذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقي عظامها فلما ذهبت السباع وطارت الطير على الجبال والآكام فوقف وتعجب ثم قال رب قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليس الخبر كالمعاينة

في المعارف الالهية ولو قال أحياء لم تحصل هذه الفوائد قال كم لبثت أي كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والامن المعلوم أن الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا أن يعلم أن مدة موته طويلة أو قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما أو بعض يوم روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم والظاهر انه علم أن ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير وأصله من السنة أي لم يأت عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان أصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مسانات اذا عامله سنة واما أصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنهة في التصغير وقولهم أجرت الدار مسانهة وقيل أصله يتسنن اما من السن وهو التغير قال تعالى من حمإ مسنون أي متغير منتن واما من السنة أيضا بناء على ما نقل الواحدي من أن أصل سنة يجوز أن يكون سنهة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين أبدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن أبي علي الفارسي أن السن هو الصب فقوله لم يتسن أي الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وأما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه أن يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما أو بعض

قوله ليطمئن قلبي بأني خليلك وقال آخرون معنى قوله ليطمئن قلبي لاعلم انك تجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليطمئن قلبي قال اعلم انك تجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك وأما تاويل قوله قال أولم تؤمن فانه اولم تصدق كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي **وحدثنا** احمد بن اسحق قال ثنا ابو احمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله اولم تؤمن قال أولم توقن بأني خليلك ثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اولم تؤمن قال اولم توقن

القول في تاويل قوله (قال فخذ اربعة من الطير) يعني تعالى ذكره بذلك قال الله له فخذ اربعة من الطير فذكر ان الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم ان اهل الكتاب الاول يذكرون انه اخذ طاوسا وديكا وغرابا وحماما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال فخذ اربعة من الطير قال ابن جريج زعموا انه ديك وغراب وطاوس وحمامة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فخذ أربعة من الطير قال فاخذ طاوسا وحماما وغرابا وديكا مخالفة أجناسها وألوانها

القول في تاويل قوله (فصرهن اليك) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة فصرهن اليك بضم الصاد من قول القائل صرت هذا الامر اذا مِلْتُ اليه اصوره صورا ويقال انى اليك لاصوز أي مشتاق مائل ومنه قول الشاعر

الله يعلم انا في تلفتنا * يوم الفراق الى جيراننا صور

وهو جمع أصور وصوراء وصور مثل اسود وسوداء وسود ومنه قول الطرماح

عطائف الاذيال وان يصورها هوى * ٢ والهوى للعاشقين صروع

يعني بقوله وان يصورها هوى يميلها فمعنى قوله فصرهن اليك اضممهن اليك وجههن نحوك كما يقال صر وجهك الى أي اقبل به الى ومن وجه قوله فصرهن اليك الى هذا التاويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ويكون معناه حينئذ عنده قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك اذا قرئ كذلك بضم الصاد قطعهن كما قال توبة بن الحمير

فلما جذبت الحبل اطت بسوطه * باطراف عيدان شديدا سورها

فادنت لي الاسباب حتى بلغتها * بنهضي وقد كادا رتقاي يصورها

يعني يقطعها واذا كان ذلك تاويل قوله فصرهن اليك كان في الكلام تقديم وتاخير ويكون معناه فخذ أربعة من الطير اليك فصرهن ويكون اليك من صلة خذ وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فصرهن اليك بالكسر بمعنى قطعهن وقد زعم جماعة من نحوي الكوفة انهم لا يعرفون فصرهن ولا فصرهن بمعنى قطعهن في كلام العرب وانهم لا يعرفون كسر الصاد وضمها في ذلك الا بمعنى واحد وانهما جميعا لغتان بمعنى الاماله وان كسر الصاد منها لغة في هذيل وسليم وأنشدوا لبعض بني سليم

وفرع يصير الجيد حتى كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح ٧

يعني بقوله يصير يميل وان أهل هذه اللغة يقولون صاره وهو يصيره صيرا وصير وجهك الى أي أمله كما يقول صره وزعم بعض نحوي الكوفة انه لا يعرف لقوله فصرهن ولا لقراءة من قرأ فصرهن بضم الصاد وكسرها

من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فقر عزير فقال أعلم أن الله على كل شئ قدير ثم أنه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا أن عزير بن شرحيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس أربعين ألفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع

ان كنت تقول انها وان أرجى منها لهذه الامة قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى قال فخذ أربعة من الطير ليربه حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثني بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر نحوه * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وهو قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن وان تكون مسئلته ربه ما سأله ان ربه من احياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه كالذي ذكرنا عن ابن زيد آنفا من ان ابراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر قد تعاورته دواب البر ودواب البحر وطير الهواء ألقى الشيطان في نفسه فقال متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فسأل ابراهيم حينئذ ربه ان يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عيانا فلا يقدر بعد ذلك الشيطان ان يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما يرى من ذلك فقال له ربه أولم تؤمن يقول أولم تصدق يا ابراهيم بأني على ذلك قادر قال بلى يا رب لكن سألتك ان تريني ذلك ليطمئن قلبي فلا يقدر الشيطان ان يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت حدثني بذلك يونس قال أخبرنا ابن عبد الوهاب عن ابن زيد ومعنى قوله ليطمئن قلبي ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه وهذا التأويل الذي قلنا في ذلك هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله ليطمئن قلبي الى انه ليزداد ايمانا أو الى انه ليوفق ذكر من قال ذلك ليوفق أو ليزداد يقينا أو ايمانا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبي قال ليوفق ثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبي قال ليزداد يقيني حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولكن ليطمئن قلبي يقول ليزداد يقينا حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن ليطمئن قلبي قال وأراد نبي الله ابراهيم ليزداد يقينا الى يقينه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر وقال قتادة ليزداد يقينا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ولكن ليطمئن قلبي قال اراد ابراهيم ان يزداد يقينا حدثني المثنى قال ثنا محمد بن كثير البصري قال ثنا اسرائيل قال ثنا ابو الهيثم عن سعيد ابن جبير ليطمئن قلبي قال ليزداد يقيني حدثني المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن ابي الهيثم عن سعيد بن جبير ولكن ليطمئن قلبي قال ليزداد يقينا قال ثنا صالح بن مسمار قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا خلف بن خليفة قال ثنا ليث بن ابي سليم عن مجاهد وابراهيم في قوله ليطمئن قلبي قال لازداد ايمانا مع ايماني حدثنا صالح قال ثنا زيد قال اخبرنا زياد عن عبد الله العامري قال ثنا ليث عن ابي الهيثم عن سعيد بن جبير في قول الله ليطمئن قلبي قال لازداد ايمانا مع ايماني وقد ذكرنا فيما مضى قول من قال معنى

وأخرجت وعورضت بما أملاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انتعرت الحيطان من قواعدها فتسا قطت على سقوف المتهدمة وهذا من أحسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل أن يكون من خوى المنزل اذا خلا عن أهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن أي خاوية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية بتمام عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي هي قائمة ظالة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت

في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز أن يراد ان القرية خاوية قوله مع كون أشجارها معروشة وكان التعجب من ذلك أكثر لان الغالب من القرية الخالية أن يبطل ما فيها من عروش الغراكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة أقرب فيكون أدخل في كونه آية ثم بعثه أي احياه كما كان أولا عاقلا فهما مستعد النظر والاستدلال

لانها ترتفع عن حلوض الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشزها الا نظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم أكثر المفسرين على أن المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد أن العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى أحياه وأسوعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى أجزاء عظام نفسه فرآها (٣٥) تجتمع وينضم البعض الى البعض

من عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فصرهن قال هي بنبطية فشققهن حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي جمرة عن ابن عباس انه قال في هذه الآية تفذ أربعة من الطير فصرهن اليك قال انما هو مثل قطعهن ثم اجعلهن في أرباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فصرهن قال قطعهن حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك في قوله فصرهن اليك يقول قطعهن حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن ابي مالك مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فصرهن قال قال جناح ذه عند رأس ذه ورأس ذه عند جناح ذه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم أبو عمرو عن عكرمة في قوله فصرهن اليك قال قال عكرمة بالنبطية قطعهن حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن يحيى عن مجاهد فصرهن اليك قال قطعهن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصرهن اليك انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا ثم اخلط لحومهن بريشهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصرهن اليك قال انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فصرهن اليك أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ أربعة من الطير فيذبحن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فصرهن اليك قال فزقهن قال أمر ان يخلط الدماء بالدماء والريش بالريش ثم جعل على كل جبل منهن جزأ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فصرهن اليك يقول فشققهن وهو بالنبطية صرى وهو التشقيق حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فصرهن اليك يقول قطعهن حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فصرهن اليك يقول قطعهن اليك ومزقهن تمزيقا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن اسحق فصرهن اليك أي قطعهن وهو الصور في كلام العرب فمما ذكرنا من اقوال من روينا قوله في تاويل قوله فصرهن اليك أنه بمعنى فقطعهن اليك دلالة واضحة على صحة ما قلنا في ذلك وفساد قول من خالفنا فيه واذ كان ذلك كذلك فسواء قرأ القارئ ذلك بضم الصاد فصرهن اليك أو كسرها فصرهن ان كانت اللغتان معروفتين بمعنى واحد غير ان الامر وان كان كذلك فان أحبهما ألي ان أقرأ به فصرهن اليك بضم الصاد لانها أعلا اللغتين وأشهرهما واكثرهما في احياء العرب وعند نفر قليل من أهل التاويل أنها بمعنى أوثق ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فصرهن اليك صرهن أو نقهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فصرهن اليك قال اضممهن اليك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فصرهن اليك قال اجمعهن ۞ القول في تاويل قوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا) اختلف أهل التاويل في تاويل قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فقال بعضهم يعني بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزء منهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال اجعلهن في أرباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني

وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما أو بعض يوم انما يليق لمن لا يرى في نفسه أثر التغير لا لمن شاهد أجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وأيضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي أماتها وقيل هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قوله ضربني وضربت زيدا أو التقدير فلما تبين له ما أشكل عليه من أمر الاماتة والاحياء قال أعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظه الامر فمعناه انه عند التبين أمر نفسه بذلك أو الله تعالى أمره بذلك كما في آخر قصة ابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى أولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك أما الاخبار عن انه حصل

فائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد أمر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا أوردت القضية كلية نعم لو قيل أعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه أن يكون أمرا بتحصيل الحاصل على أن ذلك أيضا نوع فان الامر حينئذ يعود الى شيء آخر غير حاصل هو

يوم فالجواب أن الشبهة كلما كانت أقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها أشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن أن يبقى زمانا طويلا وهو والحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحياة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا أسود الرأس وبنوبنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير وأما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة أي كيف نحييها وقرئ كيف ننشزها من نشز الله الموتى بمعنى أنشزهم ويحتمل أن يكون من النشز ضد الطي فان الحياة تكون بالانبساط وقد وصف انه العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه نحركها وترفع بعضها الى بعض والتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة عن

وجها في التقطيع الا أن يكون فصرهن اليك في قراءة من قرأه بكسر الصاد من المقلوب وذلك ان تكون لام فعله جعلت مكان عينه وعينه مكان لامه فيكون من صرى يصرى صريا فان العرب تقول بات يصرى في حوضه اذا استقى ثم قطع واستقى ومن ذلك قول الشاعر

صرت نظرة لو صادفت جون دارع * غداة العواصي من دم الجون تنعر ٣

صرت قطعت نظرة ومنه قول الآخر

يقولون ان الشام يقتل أهله * فمن لي اذا لم آته بخلود

تعرب آبائي فهلا صرارهم * من الموت ان لم يذهبوا وجدودي

يعني قطعهن ثم نقلت ياؤها التي هي لام الفعل فجعلت عينا للفعل وحولت عينها فجعلت لاما فقيل صار يصير كما قيل عي يعيي عيا ثم حولت لامها فجعلت عينها فقيل عاث يعيث فاما نحوي البصرة فانهم قالوا فصرهن اليك سواء معناه اذا قرئ بالضم من الصاد وبالكسر في انه معنى به في هذا الموضع التقطيع قالوا وهما لغتان احداهما صار يصور والاخرى صار يصير واستشهدوا على ذلك ببيت توبة بن الحمير الذي ذكرنا قبل وبيت المعلى بن حماد العبدي

وجاءت جلعة دهشى صغايا * يصور عنقها الحوي زنيم

يعني يغرق عنقها ويقطعها وببيت خنسا * اظلت الشمس منها وهي تنصار * يعني بالشمس الجبال انها تتصدع وتتفرق وببيت أبي ذؤيب

فابصرن من فرع وسد فروعة * غير صوار وافنان واجدع ٣

قالوا فلقول القائل صرت الشيء معنيان أملته وقطعته وحكوا سماعا صرنا به الحكم فصلنا به الحكم وهذا القول الذي ذكرناه عن البصريين من ان معنى الضم في الصاد من قوله فصرهن اليك والكسر سواء بمعنى واحد وانهما لغتان معناهما في هذا الموضع فقطعهن وان معنى اليك تقديمها قبل فصرهن من أجل انها صلة قوله فخذ أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحوي الكوفيين الذين أنكروا أن يكون التقطيع في ذلك وجه مفهوم الا على معنى القلب الذي ذكرت لاجماع جميع أهل التأويل على ان معنى قوله فصرهن غير خارج من احدى معنيين اما قطعهن واما ضمهن اليك بالكسر قرئ ذلك أو بالضم ففي اجماع جميعهم على ذلك على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها ولا تفريق منهم بين معنيي القراءتين أعني الكسر والضم أوضح الدليل على صحة قول القائلين من نحوي أهل البصرة في ذلك ما حكينا عنهم من القول وخطأ قول نحوي الكوفيين لانهم لو كانوا انما تأولوا قوله فصرهن بمعنى فقطعهن على ان أصل الكلام فاصرهن ثم قلبت فقيل فصرهن بكسر الصاد تحول ياؤها صرهن مكان رائه وانتقال رائه مكان يائه لكان لاشك مع معرفتهم بلغتهم وعلمهم بمنطقهم قد فصلوا بين معنى ذلك اذا قرئ بكسر صاده وبينه اذا قرئ بضمها اذ كان غير جائز ان قلب فاصرهن الى فصرهن ان يقرأ فصرهن بضم الصاد وهو مع اختلاف قراءتهم ذلك قد تأولوه تأويلا واحدا على أحد الوجهين اللذين ذكرنا في ذلك أوضح الدليل على خطأ قول من قال ان ذلك اذا قرئ بكسر الصاد بتأويل التقطيع مقلوب من صرى يصرى الى صار يصير وجهل من زعم ان قول القائل صار يصور وصار يصير غير معروف في كلام العرب بمعنى قطع ذكر من حضرنا قوله في تأويل قول الله تعالى ذكره فصرهن انه بمعنى فقطعهن حدثنا سليمان بن الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة

---

٣ هذا الشاهد وما قبله من الابيات في هذا الموضع هو كذلك بالاصل ولا يخلو من تحريف فليراجع من مظانه اه مصححه

عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم انى أتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم عليه السلام وقال الهى ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيى الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم عليه السلام فى درجات النبوة وأداء الرسالة خطر بباله انى لعلى أكون ذلك الخليل فسأل الله احياء الموتى فقال الله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على انى خليل لك * الرابع لا يبعد أن يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم وأخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على أن الآتى ملك كريم لا شيطان رجيم * الخامس لعله طالع فى الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيى الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس أقل منزلة عند الله من عيسى وانه من أولاده * السادس أمر بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهى أمرتنى ان أجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفنى بان تجعل بدعائى فاقد الروح ذا روح * السابع أراد أن يخصه الله بهذا التشريف فى الدنيا بان جميع الخلائق يشاهدون الحشر فى الآخرة * الثامن لعل ابراهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة وأما ان ابراهيم عليه السلام كان شاكا فى المعاد فلا ينبغى أن يعتقد فيه ومن كفر النبى المعصوم فهو بالكفر أولى وكيف يظن ذلك بابراهيم عليه السلام وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبى كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك فى قدرة الله يوجب الشك فى نبوة نفسه والذى جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه نحن أحق بالشك منه والمعنى اننا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام فى قوله أولم تؤمن للتقرير كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * وأيضا المقصود من هذا السؤال ان

ابن عمر وقال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال ثم بددهن على كل جبل يأتينك سعيا وكذلك يحيى الله الموتى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن يأتينك سعيا كذلك يحيى الله الموتى هو مثل ضربه الله لابراهيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم بددهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن تعالين باذن الله فكذلك يحيى الله الموتى مثل ضربه الله لابراهيم صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أمره ان يخالف بين قوائمهن ورؤسهن وأجنحتهن ثم يجعل على كل جبل منهن جزأ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ خالف ابراهيم بين قوائمهن وأجنحتهن وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد وهو ان الله تعالى ذكره أمر ابراهيم بتفريق اعضاء الاطيار الاربعة بعد تقطيعه اياهن على جميع الاجبال التى كان يصل ابراهيم فى وقت تكليف الله اياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء لان الله تعالى ذكره قال له ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ والكل حرف يدل على الاحاطة بما أضيف اليه لفظه واحد ومعناه الجمع فاذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الاجبال التى أمر الله ابراهيم بتفريق أجزاء الاطيار الاربعة عليها الا حرجة من أحد معنيين اما أن تكون بعضا أو جمعا فان كانت بعضا فغير جائز أن يكون ذلك البعض الا ما كان لابراهيم السبيل على تفريق أعضاء الاطيار الاربعة عليه أو يكون جمعا فيكون أيضا كذلك وقد أخبر الله تعالى ذكره انه أمره بان يجعل ذلك على كل جبل وذلك اما كل جبل قد عرفهن ابراهيم باعيانهن واما ما فى الارض من الجبال فاما قول من قال ان ذلك أربعة أجبل وقول من قال هن سبعة فلا دلالة عندنا على صحة شئ من ذلك فنستجيز القول به وانما أمر الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يجعل الاطيار الاربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليرى ابراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهن متفرقات مبتددات فى أماكن مختلفة شتى حتى يؤلف بعضهن الى بعض فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وقبل تفريق أجزائهن على الجبال أطيارا أحياء يطرن فيطمئن قلب ابراهيم ويعلم ان كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ورد كل عضو من أعضائهم الى موضعه كالذى كان قبل الرد والجزء من كل شئ هو البعض منه كان منقسما جميعه عليه على صحة أو غير منقسم فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم لان السهم من الشئ هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحته ولذلك كثر استعمال الناس فى كلامهم عند ذكرهم انصباءهم من المواريث السهام دون الاجزاء وأما قوله ثم ادعهن فان معناه ما ذكرت آنفا عن مجاهد أنه قال هو انه أمر أن يقول لاجزاء الاطيار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين باذن الله فان قال قائل أمر ابراهيم أن يدعوهن وهن ممزقات أجزاء على رؤس الجبال أمواتا أم بعدما أحيين فان كان أمر أن يدعوهن وهن ممزقات لا أرواح فيهن فما وجه أمر من لا حياة فيه بالاقبال وان كان أمر بدعائهن بعدما أحيين فما كانت حاجة ابراهيم الى دعائهن وقد أبصرهن ينشرن على رؤس الجبال قيل ان أمر الله تعالى ذكره ابراهيم صلى الله عليه وسلم بدعائهن وهن أجزاء متفرقات انما هو أمر تكوين كقول الله للذين مسخهم قردة بعدما كانوا انسا كونوا قردة خاسئين لا أمر عبادة فيكون محالا الا بعد وجود المأمور والمتعبد ۞ القول فى تأويل قوله (واعلم ان الله عزيز حكيم) يعنى تعالى ذكره بذلك واعلم يا ابراهيم ان الذى أحياء هذه الاطيار بعد تمزيقك اياهن وتفريقك اياهن على الجبال بجمعهن ورد الهين الروح حتى أعادهن كهيئتهن قبل

عدم الشك فيما يستأنف من الزمان أي لتكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعترض لك شك فيما فيها بعد وذلك كقوله للمتحرك تحرك أي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراآت السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة * الثالثة قوله عم طوله واذ قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي أي ألم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهي انه لم يسم عزيرا في قصته بل قال أو كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم أثنى على الله أولا بقوله رب أرني وأيضا ان عزيرا استبعد الاحياء فاري ذلك في نفسه وابراهيم التمس ودعا بقوله أرني فاري ذلك في غيره ومعنى أرني بصري وذكر وافي سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة ممطورة على شط النهر فاذا مد البحر أكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا أكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل أولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال أن يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر أنا أحيي وأميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب أرني كيف ابن تحيي الموتى لتنكشف هذه المسألة عند نمرود وأتباعه ويزول الانكار عن قلوبهم وروى ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي أي بنجاتي من القتل أو ليطمئن قلبي بقوة يقيني وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن

أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال لما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن ثم يجزئهن على أربعة أجبل فذكر لنا انه شكل على أجنحتهن وأمسك برؤسهن بيده فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم دعاهن فاتينه سعيا على أرجلهن ويلقى كل طير برأسه وهذا مثل آتاه الله ابراهيم يقول كما بعث هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بين لحومهن وريشهن ثم قسمهن على أربعة أجزاء فجعل على كل جبل منهن جزأ فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم ثم دعاهن فاتينه سعيا يقول شدا على أرجلهن وهذا مثل أراه الله ابراهيم يقول كما بعث هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن بعض أهل العلم ان أهل الكتاب يذكرون انه أخذ الاطيار الاربعة ثم قطع كل طير بأربعة أجزاء ثم عمد الى أربعة أجبال فجعل على كل جبل ربعا من كل طائر فكان على كل جبل ربع من الطاوس وربع من الديك وربع من الغراب وربع من الحمام ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله كما كنتن فوثب كل ربع منها الى صاحبه حتى اجتمعن فكان كل طائر كما كان قبل ان يقطعه ثم أقبلن اليه سعيا كما قال الله وقيل يا ابراهيم هكذا يجمع الله العباد ويحيي الموتى للبعث من مشارق الارض ومغاربها وشامها وعنها فاراه الله احياء الموتى بقدرته حتى عرف ذلك بغير ما قال نمرود من الكذب والباطل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال فاخذ طاوسا وحمامة وغرابا وديكا ثم قال فرقهن اجعل رأس كل واحد وجوشون الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه فقطعهن وفرقهن أربعا على الجبال ثم دعاهن فجئنه جميعا فقال الله كما ناديتهن فجئنك فكما أحييت هؤلاء وجمعتهن بعد هذا فكذلك أجمع هؤلاء أيضا بعني الموتى وقال آخرون بل معنى ذلك ثم اجعل على كل جبل من الاجبال التي كانت الاطيار والسباع التي كانت تأكل من لحم الدابة التي رآها ابراهيم ميتة فسأل ابراهيم عند رؤيتها اياها ان يريه كيف يحييها وسائر الاموات غيرها وقالوا كانت سبعة أجبال ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما قال ابراهيم ما قال عند رؤيته الدابة التي تفرقت الطير والسباع عنها حين دنا منها وسأل ربه ما سأل قال فخذ أربعة من الطير قال ابن جريج فذبحها ثم خلط بين دمائهن وريشهن ولحومهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ حيث رأيت الطير ذهبت والسباع قال فجعلهن سبعة أجزاء وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن باذن الله فنظر الى كل قطرة من دم تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل بضعة وكل عظم يطير بعضه الى بعض من رؤس الجبال حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء ثم أقبلن يسعين حتى وصلت رأسها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على سبعة أجبال فاجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا فاخذ ابراهيم أربعة من الطير فقطعهن أعضاء لم يجعل عضوا من طير مع صاحبه ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا وصدر هذا مع جناح هذا وقسمهن على سبعة أجبال ثم دعاهن فطار كل عضو الى صاحبه ثم أقبلن اليه جميعا وقال آخرون بل أمره الله ان يجعل ذلك على كل جبل ذكر من قال ذلك حدثني محمد

بابراهيم فلا يلزمه من يتوأيضا ان ظاهر الآية يدل على انه أجيب الى ما سأل وعلى قوله لا تكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزأ دليل ظاهر على تجزئة الطير وجعل الجزء على أحد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كأنه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن (٣٩) عباس والحسن وقتادة والربيع أربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدى وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابراهيم وكان سبعة أما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على أرجلهن لان ذلك أبلغ في الحجة وقيل طيرانا وردبانه لا يقال للطير اذا طار سعى وأجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت أو طيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحياة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو قال القاضي دلت الآية على انه لا بد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حياتها والجواب أن حصول المقارنة لا يدل على وجوب المقارنة أما الانفكاك عنه في بعض الاحوال فيدل على أن المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على أن البنية ليست شرطا للحياة واعلم ان الله عز نزه غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء * التأويل ان الله تعالى لما أعطى نمرود ملكا ما أعطى أحدا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها أحد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فمتى وكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا لسيره الطبيعي لانه خلق من تراب وطبعه الميل الى السفل فيرى الكمال في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف

وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة قال كل سنبلة أنبتت مائة حبة فهذا لمن أنفق في سبيل الله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴿ القول في تأويل قوله (والله يضاعف لمن يشاء) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال بعضهم والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسنات بعد الذي أعطى المنفق في سبيله من التضعيف الواحدة سبعمائة فأما المنفق في غير سبيله فلا نفقه ما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا يضاعف لمن أنفق في سبيل الله يعني السبعمائة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم يعني لغير المنفق في سبيله * وقال آخرون بل معنى ذلك والله يضاعف لمن يشاء على السبعمائة لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة الى ألفي ألف ضعف وهذا قول ذكر عن ابن عباس من وجه لم أجد اسناده فتركت ذكره والذي هو أولى بتأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء والله يضاعف على السبعمائة لمن يشاء من التضعيف الى ما يشاء من المنفقين في سبيله لانه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله فيجوز لنا توجيه ما وعد تعالى ذكره في هذه الآية من التضعيف الى أنه عدة منه على العمل على غير النفقة في سبيل الله ﴿ القول في تأويل قوله (والله واسع عليم) يعني تعالى ذكره والله واسع أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التي وعده أن يزيده عليم من يستحق منهم الزيادة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم قال واسع أن يزيد من سعته عليم عالم بمن يزيده وقال آخرون معنى ذلك والله واسع لتلك الاضعاف عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله ﴿ القول في تأويل قوله (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني تعالى ذكره بذلك المعطي ماله المجاهدين في سبيل الله معونة لهم على جهاد أعداء الله يقول تعالى ذكره الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم وفي حولانهم وغير ذلك من مؤنهم ثم لم يتبع نفقته التي أنفقها عليهم مناعليهم بانفاق ذلك عليهم ولا أذى لهم فامنانه به عليهم بان يظهر لهم انه قد اصطنع اليهم بفعله وعطائه الذي أعطاهموه تقوية لهم على جهاد عدوهم معروفا يبدي ذلك اما بلسان أو فعل وأما الاذى فهو شكايته اياهم بسبب ما أعطاهم وقواهم من النفقة في سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم في الجهاد وما أشبه ذلك من القول الذي يؤذي به من أنفق عليه وانما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله وأوجب الاجر لمن كان غير مان ولا مؤذ من أنفق عليه في سبيل الله لان النفقة التي هي في سبيل الله مما ابتغي به وجه الله وطلب به ما عنده فاذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا فلا وجه لمن المنفق على من أنفق عليه لانه لا يدله قبله ولا صنيعة يستحق بها عليه ان لم يكافئه عليها المن والاذى اذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتسابا وابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وعلى الله مثوبته دون من أنفق ذلك عليه ونحو المعنى الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون علم الله أن أناسا يمنون بعطيتهم فكره ذلك وقدم فيه فقال قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها

يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون انه صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا بذلك عارفا به وأن المقصود من هذا السؤال شئ آخر واللام فى قوله ليطمئن تتعلق بمحذوف أى ولكن سألت ليزيد قلبى سكونا وطمانينة بضامة علم الضرورة علم الاستدلال وقد تعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول (٣٨) الطمانينة فى اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء أما اذا قلنا ان الغرض شئ آخر فلا اشكال نفذ

تغريقكم عزيز فى بطشه اذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة الذين خالفوا أمره وعصوا رسله وعبدوا غيره وفى نقمته حتى ينتقم منهم حكيم فى أمره حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق واعلم أن الله عزيز حكيم قال عزيز فى بطشه حكيم فى أمره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واعلم أن الله عزيز فى نقمته حكيم فى أمره ﴿ القول فى تاويل قوله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) وهذه الآية مردودة الى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون والآيات التى بعدها الى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله من قصص بنى اسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت وما بعد ذلك من نبا الذى حاج ابراهيم مع ابراهيم وأمر الذى مر على القرية الخاوية على عروشها وقصة ابراهيم ومسئلته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجا منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة وحض منه ببعضه المؤمنين على الجهاد فى سبيله الذى أمرهم به فى قوله وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم يعرفهم فيه أنه ناصرهم وان قل عددهم وكثر عدد عدوهم ويعدهم النصرة عليهم ويعلمهم سننه فيمن كان على منهاجهم من ابتغاء رضوان الله انه مؤيدهم وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بانه خاذلهم ومفرق جمعهم وموهن كيدهم وقطع منه ببعضه عذرا لليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلع نبيه عليه من خفى أمورهم ومكتوم أسرارهم أوائلهم وأسلافهم التى لم يعلمها سواهم ليعلموا أن ما أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله فانه ليس بتخريص ولا اختلاق واعذارا منه به الى أهل النفاق منهم ليحذر وابشكهم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من بأسه وسطوته مثل الذى أحلها باسلافهم الذين كانوا فى القرية التى أهلكها فتركها خاوية على عروشها ثم دعا تعالى ذكره الى الخير الذى يقرض الله قرضا حسنا وما عنده له من الثواب على قرضه فقال مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله يعنى بذلك مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم فى جهاد أعداء الله بانفسهم وأموالهم كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير أو غير ذلك من نبات الارض التى تسنبل سنبلة بذر هازارع فانبتت يعنى فاخرجت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة يقول فكذلك المنفق ماله على نفسه فى سبيل الله له أجره بسبعمائة ضعف على الواحد من نفقته كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فهذا لمن أنفق فى سبيل الله فله سبعمائة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء قال هذا الذى ينفق على نفسه فى سبيل الله ويخرج حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة الآية فكان من بايع النبى صلى الله عليه وسلم على الهجرة ورابط مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولم يكف وجها الا باذنه كانت الحسنة له بسبعمائة ضعف ومن بايع على الاسلام كانت الحسنة عشرة أمثالها فان قال قائل وهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو بلغتك فضرب بها مثل المنفق فى سبيل الله ماله قيل ان يكن ذلك موجودا فهو ذاك والا فجائز أن يكون معناه كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها ويحتمل أن يكون معناه فى كل سنبلة مائة حبة يعنى انها اذا هى بذرت أنبتت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر الذى كان منها من المائة الحبة مضافا اليها لانه كان عنها

أربعة من الطير عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفى قول مجاهد وابن زيد حمامه بدل النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره أى أملهن وضمهن اليك وقال الاخفش يعنى وجههن اليك وفائدة أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها أن يتاملها ويعرف أشكالها وهيئتها وحلاها كيلا تلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وفى الآية تحذيف كانه قيل أملهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روى انه أمر بذبحها وتنفير ريشها وأن يقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال التى يحضرها وفى أرضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضم من الربع رؤسهن كل جثة الى رأسها وأنكر أبو مسلم هذه القصة وقال ان ابراهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله أراه الله تعالى مثالا قريبا به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الاماله والتمرين على الاجابة أى وقد تعود الطيور الاوبة بحيث اذا دعوتها أجابتك حال الحياة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم اجعل أى الطير ولا الاجزاء يا تينك سعيا وزيف قول أبى مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص

ورأيت دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات الفلسفية بأن أمات عزيرا مائة سنة وجاره معه ثم أحياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما أحيى عزيرا الروح أحيى معه حمار الجسد وكما ان عزيرا الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤس تجلي صفات الجلال والجمال وسقاهم ربهم شرابا طهورا أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني

معانا كفره لانه ومن كان كذلك فغير كائن مرائيا باعماله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن حريث قال ان الرجل يغزو ولا يسرق ولا يزني ولا يغل لا يرجع بالكفاف فقيل له لم ذاك قال فان الرجل ليخرج فاذا أصابه من بلاء الذي قد حكم عليه سب ولعن أبا مسلم ساعة غزا وقال لا أعود لغزوة معه أبدا فهذا عليه وليس له مثل النفقة في سبيل الله يتبعها من ولا أذى فقد ضرب الله مثلها في القرآن يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى حتى ختم الآية ۞ القول في تأويل قوله (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني تعالى ذكره بذلك فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر والهاء في قوله فمثله عائدة على الذي كمثل صفوان والصفوان واحد وجمع فمن جعله جمعا فالواحدة صفوانة بمنزلة تمرة وتمر ونخلة ونخل ومن جعله واحدا جمعه صفوان وصفي كما قال الشاعر * مواقع الطير على الصفي * والصفوان هو الصفا وهي الحجارة الملس وقوله عليه تراب يعني على الصفوان تراب فأصابه يعني أصاب الصفوان وابل وهو المطر الشديد العظيم كما قال امرؤ القيس

ساحة ثم انتحاها وابل * ساقط الاكناف واه منهمر

يقال منه وبلت السماء فهي تبل وبلا وقد وبلت الارض فهي توبل وقوله فتركه صلدا يقول فترك الوابل الصفوان صلدا والصلد من الحجارة الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره وهو من الارض ما لا ينبت شيئا وكذلك من الرؤس كما قال الراجز

لما رأتني حلق المموه * براق أصلاد الجبين الاجله

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلي قدر صلود وقد صلدت تصلد صلودا ومنه قول تابط شرا

واست بحلب حلب وعد وفرة * ولا بصفا صلد عن الخير أعزل

ثم رجع تعالى ذكره الى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لاعمالهم فقال فكذلك أعمالهم بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب فأصابه الوابل من المطر فذهب بما عليه من التراب فتركه نقيا لا تراب عليه ولا شيء يراهم المسلمون في الظاهر ان لهم أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان بما يراؤونهم به فاذا كان يوم القيامة وصاروا الى الله اضمحل ذلك كله لانه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كان على الصفوان من التراب فتركه أملس لا شيء عليه فذلك قوله لا يقدرون يعني به الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا لانهم لم يعملوا لمعاد هم ولا لطلب ما عند الله في الآخرة ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلب حمدهم وانما حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها ثم أخبر تعالى ذكره انه لا يهدي القوم الكافرين يقول لا يسددهم لاصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فيوفقهم لها وهم للباطل عليها مؤثرون ولكنه تركهم في ضلالتهم يعمهون فقال تعالى ذكره للمؤمنين لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنكم على من تصدقتم بها عليه واذاكم لهم كما بطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فقر أحتى بلغ على شيء مما كسبوا فهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار يوم القيامة يقول لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفاة الجرداس عليه شيء أنقى ما كان عليه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا تبطلوا

ولحا والجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فقد علم كل أناس مشربهم شعر

شربنا وأهرقنا على الارض قسطها * وللارض من كأس الكرام نصيب

ثم أكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى فيفوح منه رائحة قول موسى رب أرني أنظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فما رأى غير النصب والتعب وأدب بتاديب الخاطئ الجاني وعرك بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

فلسكر موسى كان بسطا تارة مع الحق بقوله رب أرني أنظر اليك وبعربدة أخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال محو الخليل مازل قدمه في آداب العبودية في الحضور والهيبة

فلاجرم أكرم اليوم بكرامة الشيبة ان أول ما شاب شيبة ابراهيم وبحترم غلدا بالكسوذان أول من يكسى ابراهيم ولما ابتلى في ماله فبذل للضيفان وابتلى بولده فاسلم ولده للجبين وابتلى في نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبرائيل فقال أما اليك فلاجرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان أول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي

المال فيه ثم فى الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض أراد أن ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول أنا أحيى وأميت وليس للعالم رب الا أنا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا اصلح جوهره بحسن تربية النبى صلى الله عليه وسلم أو من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس فى الوجود سوى الله وهذا هو حقيقته فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعنى كن فانيا عن وجود لك بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانهم جدا وان لم تكن مجدا فان المجد من يدق بطسرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى أن يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ماسوى الله قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعتراض على قول الكافر أنا أحيى وأميت والمراد أن ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحياة من أفق البدن فان كنت صادقا فى دعواك ان هذا يأتى منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه آية القيامة من مات فقد قامت قيامته فهت الذى كفر لانه ان أمكنه ان يدعى الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه أن يدعى الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة لا يرد عليها شئ من الاعتراضات المذكورة فى التفسير ثم أخبر عن اظهار قدرته فى احياء الموتى بعد انقطاع المدعى فى بحثه عقيب الدعوى بقوله تعالى أو كالذى مر على قرية وذلك أن قوما أنكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح معللا و زعموا أن الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم الكلية التى استفادتها من عالم الحس فما حاجتها أن ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبى اذا استفاد العلوم فى المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى أن يرجع الى المكتب ورحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله

أذى والله غنى حليم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال للآخرين يعنى قال الله للآخرين وهم الذين لا يخرجون فى جهاد عدوهم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال فشرط عليهم قال والخارج لم يشرط عليه قليلا ولا كثيرا يعنى بالخارج الخارج فى الجهاد الذى ذكر الله فى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة الآية قال ابن زيد وكان أبى يقول ان أذن لك أن تعطى من هذا شيأ أو تقوى فقويت فى سبيل الله فظننت أنه يثقل عليه سلامك فكف سلامك عنه قال ابن زيد فهو خير من السلام قال وقالت امرأة لابى يا أبا اسامة تدلنى على رجل يخرج فى سبيل الله حقا فانهم لا يخرجون الا ليأكلوا الغوا كه عندى جعبة وأسهم فيها فقال لا بارك الله لك فى جعبتك ولا فى اسهمك فقد أسمتهم قبل أن تعطيهم قال وكان رجل يقول لهم اخرجوا وكلوا الغواكه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله لهم أجرهم عند ربهم فانه يعنى الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله على ما بين والهاء والميم فى لهم عائدة على الذين ومعنى قوله لهم أجرهم عند ربهم لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التى أنفقوها فى سبيل الله ثم لا يتبعونها منا ولا أذى وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يقول وهم مع مالهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التى أنفقوها على ما شرطنا لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا ولا فى أهوال القيامة وأن ينالهم من مكارهها أو يصيبهم فيها من عقاب الله ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) يعنى تعالى ذكره بقوله قول معروف قول جميل ودعاء الرجل لاخيه المسلم ومغفرة يعنى وستر منه عليه لما علم من خلته وسوء حالته خير عند الله من صدقة يتصدقها عليه يتبعها أذى يعنى يشتكيه عليها ويؤذيه بسببها كما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى يقول ان يمسك ماله خير من أن ينفق ماله ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله غنى حليم فانه يعنى والله غنى عما يتصدقون به حليم حين لا يعجل بالعقوبة على من عن بصدقته منكم ويؤذى فيها من يتصدق بها عليه وروى عن ابن عباس فى ذلك ما **حدثنا** به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس الغنى الذى كمل فى غناه والحليم الذى قد كمل فى حلمه ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم يقول لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والاذى كما أبطل كفر الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو مراآته اياهم بعمله وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس فى الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه وهو مريد به غير الله ولا طالب منه الثواب وانما ينفقه كذلك ظاهرا ليحمده الناس عليه فيقولوا هو سخى كريم وهو رجل صالح فيحسنوا عليه به الثناء وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية فى انفاقه ما أنفق فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر وأما قوله ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فان معناه ولا يصدق بوحدانية الله وربوبيته ولا بانه مبعوث بعد مماته فمجازى على عمله فيجعل عمله لوجه الله وطلب ثوابه وما عنده فى معاده وهذه صفة المنافق وانما قلنا انه منافق لان المظهر كفره والمعلن شركه مغلوم انه لا يكون بشئ من أعماله مراءيا لان المرائى هو الذى يرائى الناس بالعمل الذى هو فى الظاهر لله وفى الباطن عامله مراده به حمد الناس عليه والكافر لا يحمل على أحد أمره ان أفعاله كلها انما هى للشيطان اذا كان

قال أخبرنا معمر عن قتادة فتركه صلد ليس عليه شئ حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فتركه صلدا ليس عليه شئ ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) يعني بذلك جل ثناؤه ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصدقون بها ويحملون عليها في سبيل الله ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله وفي غير ذلك من طاعة الله طلب مرضاته وتثبيتا من أنفسهم يعني لهم على انفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقا من قول القائل ثبت فلانا في هذا الامر اذا صحت عزمه وحققته وقويت فيه رأيه أثبته تثبيتا كما قال ابن رواحة

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

وانما عنى الله جل وعز بذلك ان أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى فثبتهم في انفاق أموالهم ابتغاء مرضات الله وصحيح عزمهم وأراهم يقينا منها بذلك وتصديقا بوعد الله اياها ما وعدها وانما قال من قال من أهل التأويل في قوله وتثبيتا وتصديقا ومن قال منهم ويقينا ان تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله اياهم انما كان عن يقين منها وتصديق وعد الله ذكر من قال ذلك من أهل التأويل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال تصديقا وتيقينا حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال وتصديقا من أنفسهم ثبات ونصرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال يقينا من أنفسهم قال التثبيت اليقين حدثني يونس قال ثنا علي بن معبد عن أبي معاوية عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله وتثبيتا من أنفسهم يقول يقينا من عند أنفسهم * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم أنهم كانوا يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال يثبتون أي يضعون أموالهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم فقلت له ما ذاك التثبيت قال يتثبتون أين يضعون أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يثبتون أين يضعونها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن رفاعة عن الحسن في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يثبتون أين يضعون أموالهم يعني زكاتهم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن علي بن علي قال سمعت الحسن قرأ ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم قال كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك أمسك وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة وذلك أنهم تأولوا قوله وتثبيتا من أنفسهم بمعنى وتثبتا فزعموا أن ذلك انما قيل كذلك لان القوم كانوا يثبتون أين يضعون أموالهم ولو كان التأويل كذلك لكان وتثبتا من أنفسهم لان المصدر من الكلام ان كان على تفعلت التفعل فيقال تكرمت تكرما وتكلمت تكلما وكما قال جل ثناؤه أو ياخذهم على تخوف من قول القائل تخوف فلان هذا الامر تخوفا فكذلك قوله وتثبتا من أنفسهم لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام وتثبتا من أنفسهم لا وتثبيتا ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم اياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل ان هذا مخالف لذلك وذلك أن هذا انما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور وتبتل

اضطراب قلبه واضطرار حاله وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاءه وقال خذ أربعة من الطير الآية والمراد انك محجوب بك عني فحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فهما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ أربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من أزواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة

أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطير والاربعة طاوس البخل فاولم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص وبكوره عن حرصه ودلك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منها توالدها ما بقي له باب يدخل

وأولى من سلك طريق الحق وقال انى ذاهب الى ربى وأول من نطق بالحب وقال انى لا أحب الافلين وأول من أظهر الشوق وقال ان لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين وأول من أظهر الهداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لى الارب العالمين وأول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب أرنى ولا تفان أن اشتياقه الى الرب انما يكون وقت سؤاله شعر واست حديث انعهد شوقا ولوعة * حديث هواكم فى حشاى قديم

ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبى من سؤالى علمه بحالى الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير وسأله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربى الذى يحيى ويميت فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة لما مأمول فادرج فى السؤال السؤال فاخفى سره وهو أدنى فى علته وهو كيف تحيى الموتى وهو يعلم انه يعلم السر وأخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان أسمعه من كلامه بفضله وجوده وقال أولم تؤمن فكان فى هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلاثة معان مضمرة أولم تؤمن وقت ما آمنت عند نمرود بانى أحيى وأميت فما كان ايمانك حقيقيا أو لم تؤمن لميعادر ؤيتى فى الجنة فاريك ثمة أو لم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا فى كل منها الاثبات فى لغظة النفى فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلاثة ببلى سرا بسر أى بلى آمنت وكان ايمانى حقيقيا ولكن ما كان مقصودى الايمان والايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فانى فارغ من الموتى واحيائهم ولكنى سألت ليطمئن قلبى بما تريد أو بلى آمنت بميعاد رؤيتك فى الجنة ولكن ليطمئن قال قلبى برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبى من غاية يقينى أو بلى آمنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء ولكن سألتك عن كيفية الاحياء ففى ضمن ذلك يحصل مقصودى كما أن من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول أرنى

صدقاتكم بالمن الى قوله والله لا يهدى القوم الكافرين هذا مثل ضربه الله لاعمال الكافرين يوم القيامة يقول لا يقدرون على شئ مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفا نقيا لا شئ عليه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى قوله على شئ مما كسبوا أما الصفوان الذى عليه تراب فاصابه المطر فذهب ترابه فتركه صلدا فكذا هذا الذى ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا فتركه نقيا فكذلك ترك الرياء لا يقدر على شئ مما قدم فقال للمؤمنين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فتبطل كما بطلت صدقة الرياء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أن لا ينفق الرجل ماله خير من ان ينفقه ثم يتبعه مناوأذى فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فضرب مثلهما جميعا كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا فكذلك من أنفق ماله ثم اتبعه مناوأذى حدثنى محمد بن سعيد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا ليس عليه شئ وكذلك المنافق يوم القيامة لا يقدر على شئ مما كسب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال من بصدقته ويؤذيه فيها حتى يبطلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى فقرأ يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى حتى بلغ لا يقدرون على شئ مما كسبوا ثم قال أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيأ فكذلك منك وأذالك لم يدع مما أنفقت شيأ وقرأ قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقرأ وما أنفقتم من خير فلانفسكم فقرأ حتى بلغ وأنتم لا تظلمون ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (صفوان) قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية عن تغيرنا ما أردنا ذكر من قال مثل قولنا فى ذلك من أهل التاويل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كمثل صفوان كمثل الصفاة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل صفوان والصفوان الصفا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما صفوان فهو الحجر الذى يسمى الصفاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صفوان يعنى الحجر ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فاصابه وابل) قد مضى البيان عنه وهذا ذكر من قال قولنا فيه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اما وابل فمطر شديد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فاصابه وابل والوابل المطر الشديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فتركه صلدا) ذكر من قال نحو ما قلنا فى ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتركه صلدا يقول نقيا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فتركه صلدا قال تركها نقية ليس عليها شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله فتركه صلدا قال ليس عليه شئ حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك صلدا فتركه جردا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق

وجهك لا تنظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفي مذهب الملاح الطلب ذو السبيل سد فيقول أرني كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد أن يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب فيقول انظر الى كيف أخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الجليل من

قال أخبرنا معمر عن قتادة فتركه صلد ليس عليه شئ حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فتركه صلدا ليس عليه شئ ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) يعني بذلك جل ثناؤه ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصدقون بها ويحملون عليها في سبيل الله ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله وفي غير ذلك من طاعة الله طلب مرضاته وتثبيتا من أنفسهم يعني لهم على انفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقا من قول القائل ثبت فلانا في هذا الامر اذا صححت عزمه وحققته وقويت فيه رأيه أثبته تثبيتا كما قال ابن رواحة

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

وانما عنى الله جل وعز بذلك ان أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى فثبتهم في انفاق أموالهم ابتغاء مرضات الله وصحيح عزمهم وأراهم يقينا منها بذلك وتصديقا بوعد الله اياها ما وعدها وذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله وتثبيتا وتصديقا ومن قال منهم ويقينا لان تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله اياهم انما كان عن يقين منها وتصديق وعد الله ذكر من قال ذلك من أهل التأويل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال تصديقا وتيقينا حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال وتصديقا من أنفسهم ثبات ونصرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال يقينا من أنفسهم قال التثبيت اليقين حدثني يونس قال ثنا علي بن معبد عن أبي معاوية عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله وتثبيتا من أنفسهم يقول يقينا من عند أنفسهم * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم أنهم كانوا يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال يثبتون أي يضعون أموالهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم فقلت له ما ذلك التثبيت قال يتثبتون أين يضعون أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يثبتون أين يضعونها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن رفاعة عن الحسن في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يثبتون أين يضعون أموالهم يعني زكاتهم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن علي بن علي قال سمعت الحسن قرأ ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم قال كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك أمسك وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة وذلك أنهم تأولوا قوله وتثبيتا من أنفسهم بمعنى وتثبتا فزعموا أن ذلك انما قيل كذلك لان القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم ولو كان التأويل كذلك لكان وتثبتا من أنفسهم لان المصدر من الكلام ان كان على تفعلت التفعل فيقال تكرمت تكرما وتكلمت تكلما وكما قال جل ثناؤه أو ياخذهم على تخوف من قول القائل تخوف فلان هذا الامر تخوفا فكذلك قوله وتثبتا من أنفسهم لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام وتثبتا من أنفسهم لا وتثبيتا ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم اياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل ان هذا بخلاف ذلك وذلك أن هذا انما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور وتبتل

اضطراب قلبه واضطراره وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاءه وقال خذ أربعة من الطير الآية والمراد انك محجوب بك عني فبحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فهما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ أربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من أزواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فتتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة

أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فاسر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطير والاربعة طواويس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص ويكوره عن حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منعتها وانها ما بقي له باب يدخل

وأولى من سلك طريق الحق وقال انى ذاهب الى ربى وأول من نطق بالمحبة وقال انى لا أحب الافلين وأول من أظهر الشوق وقال ان لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين وأول من أظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لى الا رب العالمين وأول من اشتاق فسال الرؤية وقال رب أرنى ولا تفتن أن اشتياقه الى الرب انما يكون (٤٢) وقت سؤاله شعر واست حديث العهد شوقا ولوعة * حديث هواكم فى حشاى قديم

ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبى من سؤالى علمه بحالى الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير وسأله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربى الذى يحيى ويميت فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة لما مأمول فادرج فى السؤال السؤال فاخفى سره وهو أدنى فى علته وهو كيف تحيى الموتى وهو يعلم انه يعلم السر وأخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان أسمعه من كلامه بفضله وجوده وقال أولم تؤمن فكان فى هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلاثة معان مضمرة أولم تؤمن وقت ما آمنت عند نمرود بانى أحيى وأميت فما كان ايمانك حقيقيا أو لم تؤمن لمعادر ويتى فى الجنة فاريك ثمة أولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا فى كل منها الاثبات فى لفظة النفى فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلاثة ببلى سرا بسر أى بلى آمنت وكان ايمانى حقيقيا ولكن ما كان مقصودى الايمان والايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فانى فارغ من الموتى واحيائهم ولكنى سالت ليطمئن قلبى بما تريد أو بلى آمنت بمعادر ويتك فى الجنة ولكن ليطمئن قال قلبى برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبى من غاية يقينى أو بلى آمنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء ولكن سالتك عن كيفية الاحياء ففى ضمن ذلك يحصل مقصودى كما أن من له معشوق خباط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول أرنى

صدقاتكم بالمن الى قوله والله لا يهدى القوم الكافرين هذا مثل ضربه الله لاعمال الكافرين يوم القيامة يقول لا يقدرون على شئ مما كسبوا ومثله كمثل هذا المطر الصفا نقيا لا شئ عليه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى قوله على شئ مما كسبوا أما الصفوان الذى عليه تراب فاصابه المطر فذهب ترابه فتركه صلدا فكذا هذا الذى ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا فتركه نقيا فكذلك تركه الرياء لا يقدر على شئ مما قدم فقال للمؤمنين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فتبطل كما بطلت صدقة الرياء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أن لا ينفق الرجل ماله خير من ان ينفقه ثم يتبعه مناوأذى فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فضرب مثلهما جميعا كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا فكذلك من أنفق ماله ثم اتبعه مناوأذى حدثنى محمد بن سعيد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا ليس عليه شئ وكذلك المنافق يوم القيامة لا يقدر على شئ مما كسب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال من يصدقه ويؤذيه فيهاحتى يبطلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناولا أذى فقرأ يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى حتى بلغ لا يقدرون على شئ مما كسبوا ثم قال أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيأ فكذلك منك وأذاك لم يدع مما أنفقت شيأ وقرأ قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقرأ وما أنفقتم من خير فلانفسكم فقرأ حتى بلغ وأنتم لا تظلمون ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (صفوان) قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية فغير انا أردنا ذكر من قال مثل قولنا فى ذلك من أهل التاويل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كمثل صفوان كمثل الصفاة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل صفوان والصفوان الصفا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما صفوان فهو الحجر الذى يسمى الصفاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صفوان يعنى الحجر ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فاصابه وابل) قد مضى البيان عنه وهذا ذكر من قال قولنا فيه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اما وابل فمطر شديد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فاصابه وابل والوابل المطر الشديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فتركه صلدا) ذكر من قال نحو ما قلنا فى ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتركه صلدا يقول نقيا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فتركه صلدا قال تركها نقية ليس عليها شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله فتركه صلدا قال ليس عليه شئ حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك صلدا فتركه جردا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق

المحيي ليريه آية من آياته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه وب أرني والحبيب طلبها لامته أرنا الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته و رفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال أرنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة (٤٥) الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول

بربوة قال المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الانهار * وكان آخرون يقولون هي المستوية ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله كمثل جنة بربوة قال هي الارض المستوية التي تعلو فوق المياه وأما قوله أصابها وابل فيعني جل ثناؤه أصاب الجنة التي بالربوة من الارض وابل من المطر وهو الشديد العظيم القطر منه وقوله فآتت أكلها ضعفين فانه يعني الجنة انها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر والاكل هو الشئ المأكول وهو مثل الرعب والهدر وما أشبه ذلك من الاسماء التي تأتي على فعل وأما الاكل بفتح الالف وتسكين الكاف فهو فعل الآكل يقال منه أكلت أكلا وأكلت أكلة واحدة كما قال الشاعر

وما أكلة أكلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

ففتح الالف لانها بمعنى الفعل ويدلك على ان ذلك كذلك قوله ولا جوعة وان ضممت الالف من الاكلة كان معناه الطعام الذي أكلته فيكون معنى ذلك حينئذ ما طعام أكلته بغنيمة وأما قوله فان لم يصبها وابل فطل فان الطل هو الندى واللين من المطر كما حدثنا عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج فطل ندى عن عطاء الخراساني عن ابن عباس حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي اما الطل فالندى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان لم يصبها وابل فطل أي طش حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فطل قال الطل الرذاذ من المطر يعني اللين منه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فطل أي طش وانما يعني تعالى ذكره بهذا المثل كما ضعفت ثمرة هذه الجنة التي وصفت صفتها حين جاد الوابل فان أخطأ هذا الوابل فالطل كذلك يضعف الله صدقة المتصدق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتا من نفسه من غير من ولا أذى قلت نفقته أو كثرت لا تخيب وتخلف نفقته كما تضعف الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها قل ما أصابها من المطر أو كثر يخلف خيرها بحال من الحال و بنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل يقول كما أضعفت ثمرة تلك الجنة فكذلك يضاعف ثمرة هذا المنفق ضعفين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن يقول ليس بخيره خلف كما ليس بخير هذه الجنة خلف على أي حال اما وابل واما طل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضات الله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله الآية قال هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن فان قال قائل وكيف قيل فان لم يصبها وابل فطل وهذا خبر عن أمر قد مضى قبل ورادفيه كان ومعنى الكلام فآتت أكلها ضعفين فان لم يكن الوابل أصابها أصابها الطل وذلك في الكلام نحو قول القائل حبست فرسين فان لم أحبس اثنين فواحدا[٧] بقيمته بمعنى لا كراه لابد من اضمار كان لانه خبر ومنه قول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * ولم تجدي من ان تقري بها بدا

القول في تاويل قوله (والله بما تعملون بصير) يعني بذلك والله بما تعملون أيها الناس في نفقاتكم التي تنفقونها بصير لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفي غيرها شئ يعلم من المنفق منكم بالمن والاذى

[٧] قوله بقيمته الخ هكذا هذه العبارة بالاصل ولا معنى لها والمراد انه لابد من اضمار كان وبه يتم الجواب عن السؤال تامل اه مصححه

الكليم تعريضا وفيه أيضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية المائية فقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز أعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على أسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم

ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) القراآت أنبتت سبع وبابه بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه

به النار فصارت النار عليه بردا وسلاما والمبالغة في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط أجزائها اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي ابراهيم الروح بأمر الشرع ثم اجعل على كل جبل هي الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلاثة الحيواني والطبيعي (٤٤) والانسان الملكي فهذه الجبال كالاشجار والزروع وأجزاء الطيور كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من أولئك ويتربى بتربيتها ويتصرف فيها الروح الانساني فيحييها بشورهو من خصائص أرواح الانسان فتكون تلك الصفات مبنية عن أوصافها حية باخلاق الروحانيات هذا الخواص الخلق الذين الغالب على أحوالهم الروح وأما خواص الخواص ومن أدركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد خمود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيي فيحيي هذه الصفات الفانية عن أوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحياته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا في يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كان أميا يقول لكاتب أرني كيف تكتب فيجعل الكاتب قلما في يد الامي ويأخذ يده بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول أنا الكاتب كقوله

شعر عجبت منك ومني أدنيتني بك عني * فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي

فيعلم الامي انه أمي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك أي ذنب حسبان انك كاتب وأنت سني أمي عربي ما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى ان تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة

اليه فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام منه قبل تبتيلا وذلك أن المتروك هو تبتل فيتلك الله اليه تبتيلا وقد تفعل العرب مثل ذلك أحيانا تخرج المصادر على غير ألفاظ الافعال التي تقدمتها اذا كانت الافعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه كما قال جل وعز والله أنبتكم من الارض نباتا وقال فانبتها نباتا حسنا والنبات مصدر نبت وانما جاز ذلك لمجيء أنبت قبله فدل على المتروك الذي منه قيل نباتا والمعنى والله أنبتكم فنبتم من الارض نباتا وليس قوله وتثبيتا من أنفسهم كلاما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن اثباته ومعنى الكلام ويتثبتون في وضع الصدقات مواضعها فتصرف الى المعاني التي صرف اليها قوله وتبتل اليه تبتيلا وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الافعال التي هي ظاهرة قبلها * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم واحتسابا من أنفسهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتثبيتا من أنفسهم يقول احتسابا من أنفسهم وهذا القول أيضا بعيد المعنى من معنى التثبيت لان التثبيت لا يعرف في شيء من الكلام بمعنى الاحتساب الا أن يكون أراد مفسره كذلك أن أنفس المنفقين كانت محتسبة في تثبيتها أصحابها فان كان ذلك كان عنده معنى الكلام فليس الاحتساب بمعنى حينئذ للتثبيت به فيترجم عنه به * القول في تأويل قوله (كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) يعني بذلك جل وعز ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها ويتسبلونها في طاعة الله بغير من على من تصدقوا بها عليه ولا أذى منهم لهم بها ابتغاء رضوان الله وتصديقا من أنفسهم بوعده كمثل جنة والجنة البستان وقد دللنا فيما مضى على أن الجنة البستان بما فيه الكفاية من اعادته بربوة والربوة من الارض ما ارتفع عن السيل وانما وصفها بذلك جل ثناؤه لان ما ارتفع عن المسايل والاودية أغلظ وجنان ما غلظ من الارض أحسن وأزكى ثمرا وأغزر وأسوز رعا مما رق منها ولذلك قال اعشى بني ثعلبة في وصف روضة

مارو ضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل

وصفها بانها من رياض الحزن لان الحزن غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الاودية والتلاع وزروعها وفي الربوة لغات ثلاث وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراء وهي ربوة بضم الراء وبها قرأت عامة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق وربوة بفتح الراء وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض أهل الكوفة ويقال انها لغة لتميم وربوة بكسر الراء وبها قرأ فيما ذكر ابن عباس وغير جائز عندي أن يقرأ ذلك الا باحدى اللغتين اما بفتح الراء واما بضمها لان قراءة الناس في أمصارهم باحداهما وأنا القراءة بهما بضمها أشد ايثارا مني بفتحها لانها أشهر اللغتين في العرب فاما الكسر فان في رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة وانما سميت الربوة لانها ربت فغلظت وعلت من قول القائل ربا هذا الشيء يربو اذا انتفخ فعظم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كمثل جنة بربوة قال الربوة المكان الظاهر المستوى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال مجاهد هي الارض المستوية المرتفعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كمثل جنة بربوة يقول بنشز من الارض حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل جنة بربوة والربوة المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الانهار والذي فيه الجنان حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله بربوة برابية من الارض حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع كمثل جنة بربوة والربوة النشز من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس كمثل جنة بربوة

الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار أولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي يتملكها العباد الا بالانفاق اتبعه أحكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه أي مثل صدقاتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع أبواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء وعنى انبانها سبع سنابل أن يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد في الدنيا سنبلة بهذه الصفة أو لم توجد على انه قد وجد في الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلاثة قروء في اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف أي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين في الاخلاص أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستحق ذلك في مشيئته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لان فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل له عنده ثم لما عظم أمر الانفاق أردف بيان الامور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منع مسائله ومن ومنع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطي هو الله واذا كان العبد

فكذلك المنفق رياء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب كمثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال يقول أيود أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنات تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فتله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيأ وولده صغار لا يغنون عنها شيأ وكذلك المفرط بعد الموت كل شئ عليه حسرة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحدا يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه يا أمير المؤمنين اني أجد في نفسي منها شيأ قال فتلفت اليه فقال تحول ههنا لم تحقر نفسك قال هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال أيود أحدكم ان يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى ان يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فافسده كله فمفرقه أحوج ما كان اليه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن محمد بن سليم عن ابن أبي مليكة ان عمر تلا هذه الآية أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب قال هذا مثل ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون اليه عمل عمل السوء **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر عن عبيد بن عمير انه سمعه يقول سال عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم ترون أنزلت أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب فقالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضرب الله مثلا لعمل قال عمر أي عمل قال لعمل فقال عمر رجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها قال وسمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث نحو هذا عن ابن عباس سمعه منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر انه سمع عبيد بن عمير قال ابن جريج وسمعت عبد الله بن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس قالا جميعا ان عمر بن الخطاب سال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا انه قال عمر للرجل يعمل بالحسنات ثم يبعث الله له الشيطان فيعمل بالمعاصي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عنها ثم قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قالا ضربت مثلا للاعمال قال ابن جريج وقال ابن عباس ضربت مثلا للعمل يبدأ فيعمل عملا صالحا فيكون مثلا للجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات ثم يسيء في آخر عمره فيتمادى على الاساءة حتى يموت على ذلك فيكون الاعصار الذي فيه نار التي أحرقت الجنة مثلا لاساءته التي مات وهو عليها قال ابن عباس الجنة عيشه وعياش ولده فاحترقت فلم يستطع ان يدفع عن جنته من أجل كبره ولم يستطع ورثته ان يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم حتى احترقت يقول هذا مثله تلقاه وهو أفقر ما كان الى فلا يجد له عندي شيا ولا يستطيع ان يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده ان يعملوا جنة كذلك لا توبة اذا انقطع العمل حين مات قال ابن جريج عن مجاهد سمعت ابن عباس قال هو مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال ابن جريج وقال مجاهد أيود أحدكم ان تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنة فتله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيا وأولاده صغار ولا يغنون عنه شيا وكذلك المفرط بعد الموت كل شئ

ابن كثير وابن عامر و يزيد ويعقوب الباقون يضاعف رياء الناس غير مهموز حيث كان يزيد الشموني والخزاعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة أبو عمرو وعلى غير ليث وأبي حمدون وحمدويه و رويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل لقرآن بربوة بفتح (٤٦) الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها أكلها و بابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع وافق أبو عمرو فيما اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير بالياء التحتانية أبو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب

* الوقوف ما تقحبة ط لمن يشاء ط عليم ه عند ربهم ج بعطف المختلفتين يحزنون ه أذى ط حليم ه والاذى لا لتعلق كاف التشبيه أي ابطالا مثل ابطال الذي الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ه الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة أيضا الثمرات لا لان الواو للحال ضعف ص والوصل أولى والوقف على فاحترقت ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى أيحب أحدكم احتراق جنة صفتها كذا في حال كذا تتفكرون ه نصف السبع

* التفسير انه سبحانه لما ذكر من أصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه بيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما أجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الآية تلك الاضعاف وانما ذكر من الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت اني خلقتك وأكملت نعمي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من فكذلك

والمنفق ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من نفسه فيحصى عليكم حتى يجازي جميعكم جزاءه على عمله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وانما يعني بهذا القول جل ذكره التحذير من عقابه في النفقات التي ينفقها عباده وغير ذلك من الاعمال ان يأتي أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهي أو يفرط فيما قد أمر به لان ذلك بمرأى من الله ومسمع يعلمه ويحصيه عليهم وهو لخلقه بالمرصاد ۞ القول في تأويل قوله (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) يعني تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر الآية ومعنى قوله أيود أحدكم أيحب أحدكم ان تكون له جنة يعني بستانا من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار يعني من تحت الجنة وله فيها من كل الثمرات والهاء في قوله له عائدة على أحد والهاء والالف في فيها على الجنة وأصابه يعني وأصاب أحدكم الكبر وله ذرية ضعفاء وانما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والاعناب الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين أيود أحدكم أن تكون له مثلا لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس لا ابتغاء مرضات الله فالناس بما يظهر لهم من صدقته واعطائه لما يعطي وعمله الظاهر يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله عز وجل لعمله مثلا من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات لان في عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ويكتسب به المحمدة وحسن الثناء عند الناس ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر احصاؤها فله في ذلك من كل خير في الدنيا كما وصف جل ثناؤه الجنة التي وصف مثلا بعمله فان فيها كل الثمرات ثم قال جل ثناؤه وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يعني ان صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال فاصابها يعني فاصاب الجنة اعصار فيه نار فاحترقت يعني بذلك ان جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار في حال حاجته اليها وضرورته الى ثمرتها بكبره وضعفه عن عمارتها وفي حال صغر ولده وعجزه عن احيائها والقيام عليها فبقي لا شيء له أحوج ما كان الى جنته وثمارها بالآفة التي أصابتها من الاعصار التي فيه النار فكذلك المنفق ماله رياء الناس اطفى الله نوره وأذهب بهاء عمله وأحبط أجره حتى لقيه وعاد اليه أحوج ما كان الى عمله حين لا مستعتب له ولا اقالة من ذنوبه ولا توبة واضمحل عمله كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوج ما كان اليها فبطلت منافعها عنه وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية الا ان معاني قولهم في ذلك وان اختلفت تصاريفهم فيها عائدة الى المعنى الذي قلنا في ذلك وأحسنهم ابانة لمعناها وأقربهم الى الصواب قولا فيها السدي حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت هذا مثل آخر لنفقة الرياء انه ينفق ماله يرائي الناس به فيذهب ماله منه وهو يرائي فلا يأجره الله فيه فاذا كان يوم القيامة واحتاج الى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته حتى اذا بلغ وكثر عياله واحتاج الى جنته جاءت ريح فيها سموم فاحرقت جنته فلم يجد منها شيأ

وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رد بغير مقصود فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو عفو عن جهة السائل بان يعتذر له اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها أذى لانه اذا اتبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانتفاع والاضرار ورب مال يضيف ثواب النفع بعقاب الضرر وأما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى ومن

المؤمنين بالنهى عن المن والاذى فى صدقاتهم ثم ضرب مثلا لمن من وآذى من تصدق عليه بصدقة فمثله بالمرائى من المنافقين المنفقين أموالهم رياء الناس وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظير ما ضرب لهم من المثل قبلها فكان الحاقها بنظيرتها أولى من حمل تاويلها على أنه مثل مالم يجر له ذكر قبلها ولا معها فان قال لنا قائل وكيف قيل وأصابه الكبر وهو فعل ماض فعطف به على قوله أيود أحدكم قيل ان ذلك كذلك لان قوله أيود يصح ان يوضع فيه لو ومكان ان فلما صلحت بلو وان ومعناهما جميعا الاستقبال استجازت العرب ان يردوا فعلا بتاويل لو على تفعل مع ان فلذلك قال فاصابها وهو فى مذهبه بمنزلة لو اذا ضارعت ان فى معنى الجزاء فوضعت فى مواضعها وأجيب ان بجواب لو ولو بجواب ان فكانه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات فان قال وكيف قيل ههنا وله ذرية ضعفاء وقال فى النساء وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قيل لان فعيلا يجمع على فعلاء وفعال فيقال للرجل ظريف من قوم ظرفاء وظراف وأما الاعصار فانه الريح العاصف تهب من الارض الى السماء كانها عمود تجمع أعاصير ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميرى

أناس أجاروا نافكان جوارهم أعاصير من سوء العراق المنذر

واختلف أهل التاويل فى تاويل قوله اعصار فيه نار فاحترقت فقال بعضهم معنى ذلك ريح فيها سموم شديدة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن يزيد قال ثنا يوسف بن خالد السمتى قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله اعصار فيه نار ريح فيها سموم شديدة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فى اعصار فيه نار قال السموم الحارة التى خلق منها الجان التى تحرق حدثنا حميد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هى السموم الحارة حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ابن اسحق عن التيمى عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت التى تقتل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عمن ذكره عن ابن عباس قال ان السموم التى خلق منها الجان جزء من سبعين جزأ من النار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت هى ريح فيها سموم شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اعصار فيه نار قال سموم شديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اعصار فيه نار يقول أصابها ريح فيها سموم شديدة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اعصار فيه نار فاحترقت أما الاعصار فالريح وأما النار فالسموم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع اعصار فيه نار يقول ريح فيها سموم شديد * وقال آخرون هى ريح فيها برد شديد ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال كان الحسن يقول فى قوله اعصار فيه نار فاحترقت فيها صر وبرد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك اعصار فيه نار فاحترقت يعنى بالاعصار ريح فيها برد * القول فى تاويل قوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) يعنى بذلك جل ثناؤه كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أمر النفقة فى سبيله وكيف وجهها لكم وما ليس لكم فعله فيها كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها ويوضح لكم حجها انعاما منه بذلك عليكم لعلكم

الناس من خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غنى عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذى وغير المؤذى مثلا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن ابن عباس المن على الله والاذى للفقير كالذى أى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو أن يرائى بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الآخرة ويجوز أن تكون الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم ممثلين للذى ينفق فشمله الضمير اما أن يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المان بالمرائى المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما أن يعود الى المان المؤذى على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر

العظيم القطر والصلد الاجرد النقى ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضرب الله لعمل المان المؤذى واعمل المنافق فان الناس يرون فى الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة يضمحل كله ويبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من

في هذه الدرجة كان محروما عن معرفة الاسباب الربانية الحقيقية وكان في درجة البهائم التي لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات وأما الاذى فمنهم من حمله على أذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو أن يتطاول على الفقير بما أدلى اليه ويقول له ألست الامير ما وما أنت الا ثقيل وباعد الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما ذكرتا في سياق النفي لهم أجرهم وقال فيما يجيء فلهم أجرهم لان الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوي وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عارٍ عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنا ذلك الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التأكيد بما يوجب الربط بينهما هنا لك أنسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والمراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم أجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون أن المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يحبطان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول أن العمل يوجب الاجر لقوله لهم أجرهم وأجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثاني المؤمنين أن الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لا ثواب له أصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك أن يرد السائل بطريق أحسن وعدة حسنة ومغفرة عفو عن السائل اذا

عليه حسرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار الآية يقول أصابها ريح فيها سموم شديد كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فهذا مثل فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله فانه قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون هذا رجل كبرت سنه ودق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته على بقية ذلك كاحوج ما يكون اليه يقول أيحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة كاحوج ما يكون اليه حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة الى قوله فاحترقت يقول فذهبت جنته كاحوج ما كان اليها حين كبرت سنه وضعف عن الكسب وله ذرية ضعفاء لا ينفعونه قال وكان الحسن يقول فاحترقت فذهبت أحوج ما كان اليها فذلك قوله أيود أحدكم أن يذهب عمله أحوج ما كان اليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن تبارك وتعالى وقال أبو أيوب أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل الى قوله فيها من كل الثمرات يقول صنعه في شبيبته فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء عند آخر عمره فجاءه اعصار فيه نار فاحرق بستانه فلم يكن عندهم قوة ان سلب خيرا يعودون به عليه وكذلك الكافر يوم القيامة اذا رد الى الله تعالى يوم القيامة ليس له خير فيستعتب كما ليس له قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجد خيرا قدم لنفسه يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فيما أوتيا في الدنيا كيف نجا المؤمن في الآخرة وذخر له من الكرامة والنعيم وخزن عنه المال في الدنيا وبسط للكافر في الدنيا من المال ما هو منقطع وخزن له من الشر ما ليس يفارقه أبدا ويخلد فيها ما نا من أجل انه فخر على صاحبه ووثق بما عنده ولم يستيقن انه ملاق ربه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية قال هذا مثل ضربه الله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات والرجل قد كبر سنه وضعف وله أولاد صغار وابتلاهم الله في جنتهم فبعث الله عليها اعصارا فيه نار فاحترقت فلم يستطع الرجل ان يدفع عن جنته من الكبر ولا ولده لصغرهم فذهبت جنته أحوج ما كان اليها يقول أيحب أحدكم أن يعيش في الضلالة والمعاصي حتى يأتيه الموت فيجيء يوم القيامة قد ضل عنه عمله أحوج ما كان اليه فيقول ابن آدم أتيتني أحوج ما كنت قط الى خير فان ما قدمت لنفسك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ضرب ذلك مثلا فقال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب حتى بلغ فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال حرت أنهارها وثمارها وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت أيود أحدكم هذا فما يحمل أحدكم أن يخرج من صدقته ونفقته حتى اذا كان له عندي جنة وجرت أنهارها وثمارها وكانت لولده وولد ولده أصابها ريح اعصار فحرقها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار رجل غرس بستانا فيه من كل الثمرات فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فلا يستطيع أن يدفع عن بستانه من كبره ولم يستطع ذريته ان يدفعوا عن بستانه فذهبت معيشته ومعيشة ذريته فهذا مثل ضربه الله للكافر يقول يلقاني يوم القيامة وهو أحوج ما يكون الى خير يصيبه فلا يجد له عندي خيرا ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ وانما عاد للنا ان الذي هو أولى بتاويل ذلك ما ذكرناه لان الله جل ثناؤه تقدم الى عباده

بذل ماله ونور وجهه فقد ثبت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من التبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد أنهم (٥١) يثبتون أنفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا أنفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمئن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل أن يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق النحت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد يظهر على جوهر النفس صفاؤها ونوريتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشئ يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة التنفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ربعه لبعده عن الماء وربما تضربه الرياح كما أن الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ربعها فان ذا البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة أرض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما أن الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي أن تكون هذه الارض بحيث تربو

في تأويل قوله جل وعز (ولا تيمموا الخبيث) يعني بقوله جل ثناؤه ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا ولا تقصدوا وقد ذكر ان ذلك في قراءة عبد الله ولا تأموا من أممت وهذه من تيممت والمعنى واحد وان اختلفت الالفاظ يقال تأممت فلانا وتيممته وأممته بمعنى قصدته وتعمدته كما قال ميمون بن قيس الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه * من الارض من مهمه ذي شزن

وكما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تيمموا لا تعمدوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله ۞ القول في تأويل قوله (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) يعني جل ثناؤه بالخبيث الردىء غير الجيد يقول لا تعمدوا الردىء من أموالكم في صدقاتكم فتصدقوا منه ولكن تصدقوا من الطيب الجيد وذلك ان هذه الآية نزلت في سبب رجل من الانصار علق قنوا من حشف في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقة من تمره ذكر من قال ذلك حدثني الحسن ابن محمد بن عمر والعنقزي قال ثنا أبي عن اسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض الى قوله والله غني حميد قال نزلت في الانصار كانت الانصار اذا كان أيام جداذ النخل أخرجت من حيطانها اقناء البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم الى الحشف فيدخله مع اقناء البسر يظن ان ذلك جائز فانزل الله عز وجل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال لا تيمموا الحشف منه تنفقون حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط زعم السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب بنحوه الا انه قال فكان يعمد بعضهم فيدخل قنوا الحشف ويظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون القنو الذي قد حشف ولو أهدي لكم ما قبلتموه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك عن البراء بن عازب قال كانوا يجيئون في الصدقة بأردأ تمرهم وأردأ طعامهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية حدثني عصام بن رواد قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال سألت عليا عن قول الله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال فقال على نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة كان الرجل يعمد الى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية فاذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الردىء فقال عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عبد الجليل بن حميد اليحصبي ان ابن شهاب حدثه قال ثني أبو أسامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال هو الجعرور ولون خبيق فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ في الصدقة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال كانوا يتصدقون يعني من النخل بحشفه وشراره فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتصدقوا بطيبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله واعلموا أن الله غني حميد ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائط على عهد نبي الله صلى الله عليه وسلم فيعمد الى أردأ ما فيه تمرا فيتصدق به ويخلط فيمن الحشف فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه حدثنا الحسن بن

التراب وأما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة أوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى أزالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذى أو المنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن الفقال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح (٥٠) بذر في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا أصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شئ فيه ألا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شئ الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور أي لا يقدر أحد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي فرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين في قرن شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذي اما لان من والذي متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي واما لانه أشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شئ مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين بمعناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة أنه يظلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من أنفسهم قيل أي يوطنون أنفسهم على حفظ في هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه وبعضده قراءة مجاهد وتبينا من البيان وقيل ان النفس لاثبات لها في موقف العبودية الا اذا سارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها أمر ان الحياة العاجلة والمال فاذا

تتفكرون يقول لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها وتعملوا بما فيها من أحكامها فتطيعوا الله به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري قال قال مجاهد لعلكم تتفكرون قال تطيعون حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) يعني جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله وآي كتابه ويعني بقوله أنفقوا زكوا وتصدقوا كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول تصدقوا ۞ القول في تأويل قوله (من طيبات ما كسبتم) يعني بذلك جل ثناؤه وزكوا من طيب ما كسبتم بتصرفكم اما بتجارة واما بصناعة من الذهب والفضة ويعني بالطيبات الجياد يقول زكوا أموالكم التي اكتسبتموها حلالا واعطوا في زكاتكم الذهب والفضة الجياد منها دون الردىء كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا يزيد بن الحباب قال وأخبرني شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني حاتم بن بكر الضبي قال ثنا وهب عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال التجارة الحلال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن معقل أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال ليس في مال المؤمن من خبيث ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثني عصام بن داود بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا بن أبي طالب صلوات الله عليه عن قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من الذهب والفضة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من طيبات ما كسبتم قال التجارة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول من أطيب أموالكم وأنفسه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال هذا من الذهب والفضة ۞ القول في تأويل قوله جل وعز (ومما أخرجنا لكم من الارض) يعني بذلك جل ثناؤه وأنفقوا أيضا مما أخرجنا لكم من الارض فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الارض كما حدثني عصام بن روّاد قال ثني أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل ومما أخرجنا لكم من الارض قال يعني من الحب والثمر وكل شئ عليه زكاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومما أخرجنا لكم من الارض قال النخل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومما أخرجنا لكم من الارض قال من ثمر النخل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة ومما أخرجنا لكم من الارض من الثمار حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ومما أخرجنا لكم من الارض قال هذا في التمر والحب ۞ القول

الخبيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيامة فاذا أتبع الانفاق النفاق او المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذى يحرق تلك الجنة وورثته الخيبة والندامة التأويل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون أرواحهم وقلوبهم فى سبيل الله فلهم الله ومن أعطى تمرة الى فقير يأخذها الله بيمينه ويربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون أعظم من الجبل

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله الا أن تغمضوا فيه قال كانوا حين أمر الله أن يؤدوا الزكاة يجيء الرجل من المنافقين بأردأ طعام له من تمره وغيره فكره الله ذلك وقال أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض يقول لستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لم يكن رجل منكم له حق على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه الا وهو يعلم انه قد نقصه فلا ترضوا لى مالا ترضون لانفسكم فيأخذ شيأ وهو مغمض عليه انقص من حقه وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذى هذا الردىء الخبيث اذا اشتريتموه من أهله بسعر الجيد الا باغماض منهم لكم فى ثمنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن الحسن ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو وجدتموه فى السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم ثمنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لستم بآخذى هذا الردىء بسعر هذا الطيب الا أن يغمض لكم فيه * وقال آخرون معناه ولستم بآخذى هذا الردىء الخبيث لو أهدى لكم الا أن تغمضوا فيه فتأخذوه وأنتم له كارهون على استحياء منكم ممن أهداه لكم ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى عن اسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أهدى لكم ما قبلتموه الا على استحياء من صاحبه انه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدى عن عدى بن ثابت عن البراء نحوه الا أنه قال على استحياء من صاحبه وغيظا أنه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذى هذا الردىء ممن حقكم الا أن تغمضوا من حقكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولستم بآخذيه يقول ولستم بآخذيه من حق هو لكم الا أن تغمضوا فيه يقول أغمض لك من حقى * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذى الحرام الا أن تغمضوا على ما فيه من الاثم عليكم فى أخذه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال يقول لست آخذا ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الاثم قال وفى كلام العرب أما والله لقد أخذه ولقد أغمض على ما فيه وهو يعلم انه حرام باطل * والذى هو أولى بتأويل ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل حث عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم وفرضها عليهم فيها فصار ما فرض من ذلك فى أموالهم حقا لاهل سهمان الصدقة ثم أمرهم تعالى ذكره أن يخرجوا من الطيب وهو الجيد من أموالهم الطيب وذلك ان أهل السهمان شركاء أرباب الاموال فى أموالهم بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها فلا شك ان كل شريكين فى مال فلكل واحد منهما بقدر ملكه وليس لاحدهما منع شريكه من حقه من الملك الذى هو فيه شريكه باعطائه بمقدار حقه منه من غيره مما هو أردأ منه أو أحسن فكذلك المزكى ماله حرم الله عليه أن يعطى أهل السهمان مما وجب لهم فى ماله من الطيب الجيد من الحق فصار وافيه شركاءه من الخبيث الردىء غيره ومنعهم ما هو لهم من حقوقهم فى الطيب من ماله الجيد كما لو كان مال رب المال رديا كله غير جيد فوجبت فيه الزكاة وصار أهل سهمان الصدقة فيه شركاء بما أوجب الله لهم فيه لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذى منه حقهم فقال تبارك وتعالى لارباب الاموال الزكوا من جيد أموالكم الجيد ولا تيمموا الخبيث الردىء تعطونه أهل سهمان الصدقة وتمنعونهم الواجب لهم من الجيد الطيب فى أموالكم ولستم بآخذى الردىء لانفسكم مكان الجيد الواجب لكم قبل من وجب لكم ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم الا عن اغماض منكم وهضم لهم وكراهة منكم لاخذه يقول ولا تأتوا من الفعل

فمن أعطى قلبه الى المنه فهو يربيه بين أصبعى جلاله حتى يصير أعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بإبتاء صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وأرباب الصدق للقيام بامورهم فى تشفى ما فى صدورهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله فى طلبه لا فى طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لى عليك الاجر ولا أذى بان يطلب من الله غير الله ورأى أحمد بن خضرويه ربه فى المنام فقال له كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى لهم أجرهم عند ربهم فنزلهم فى مرتبة العندية عند ملك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله فى طلب المعروف ومغفرته وان لم يكن عنده ما يتصدق به خيره عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل أذى طلب غير الحق من الحق والله غنى عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار فى الطلب غيره ولولا حلمه فما التراب ورب الارباب يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض فيها نوع من الاعراض ومن أعرض عن الحق فقد أقبل على الباطل ومن أقبل على الباطل فقد أبطل على حقوقه فى الاعمال فما

وتشموفا تنت أكلها أي ثمرتها ومايؤكل منها ضعفين مثلي ما كان يعهد منها وقيل مثلي ما يكون في غيرها فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القدر يصيبها ولا ينتقص شيء من ثمرها الكرم منبتها أو المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من أن تثمر قل أم كثر وكذلك من أخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وفرام نزر و يحتمل أن (٥٢) يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما أن كل

يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال تعمد الى ردائه مالك فتصدق به ولست بآخذه الا ان تغمض فيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال كان الرجل يتصدق برذالة ماله فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثنا المثنى قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرنا عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال في الاقناء التي تعلق فرأى فيها حشفا فقال ما هذا قال ابن جريج سمعت عطاء يقول علق انسان حشفا في الاقناء التي تعلق بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا بئسما علق هذا فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال آخرون معنى ذلك ولا تيمموا الخبيث من الحرام فيه تنفقون وتدعوا ان تنفقوا الحلال الطيب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال الخبيث الحرام لا تتيمموه تنفق منه فان الله عز وجل لا يقبل وتأويل الآية هو التأويل الذي حكيناه عن حكينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفاق أهل التأويل في ذلك دون الذي قاله ابن زيد ۞ القول في تأويل قوله (ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه) يعني بذلك جل ثناؤه ولستم بآخذي الخبيث في حقوقكم والهاء في قوله بآخذيه من ذكر الخبيث الا ان تغمضوا فيه يعني الا ان تتجافوا في أخذكم اياه عن بعض الواجب لكم من حقكم فترخصوا فيه لانفسكم يقال منه أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض ومن ذلك قول الظرماح بن حكيم

لم يغتنا بالوترقوم والضيم * ورجال يرضون بالاغماض

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولستم بآخذي الردىء من غرمائكم في واجب حقوقكم قبلهم الا عن اغماض منكم لهم في الواجب لكم عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا عصام ابن رواد قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا عنه فقال ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول ولا يأخذ أحدكم هذا الردىء حتى يهضم له حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لرجل على رجل فاعطاه ذلك لم يأخذه الا انه يرى انه قد نقصه من حقه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوا بحساب الجيد حتى تنقصوه فذلك قوله الا ان تغمضوا فيه فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم وحتى عليكم من أطيب أموالكم وأنفسها وهو قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لا تأخذونه من غرمائكم ولا في بيوعكم الا بزيادة على الطيب في الكيل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وذلك ان رجالا كانوا يعطون زكاة أموالهم من التمر فكانوا يعطون الخشف في الزكاة فقال لو كان بعضهم يطلب بعضا ثم قضاه لم يأخذه الا ان يرى انه قد أغمض عنه حقه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان ذلك عليه هل كنت تأخذ ذلك منه الا وأنت له كاره حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله

واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثالا آخر فقال أيود أحدكم والهمزة للانكار البالغ أي لن يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة أوصاف الاول كونها من نخيل وأعناب كان الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد في رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب أولا بالذكر لانها أكرم الشجر أو أكثرها منافع قال في الكشاف ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيهما كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف أي صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود يا أيها فيه نار فاحترقت أي الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في المقصود أبلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى المال وذلك أوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا أصيب وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة وفي عينه من

الهداية وأصاب لصاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاضاعها اعصار من أعمال البرفيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بابتداء الاستعداد (٥٥) الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم

من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشر ابن سليمان قال ثنا عمرو عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال ان للانسان من الملك لمة ومن الشيطان لمة فاللمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق واللمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وتلا عبد الله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا قال عمرو وسمعت في هذا الحديث أنه كان يقال اذا أحس أحدكم من لمة الملك شيأ فليحمد الله وليسأله من فضله واذا أحس من لمة الشيطان شيأ فليستعذ بالله وليتعوذ من الشيطان حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي الاحوص أو عن مرة قال قال عبد الله الا أن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وذلكم بان الله يقول الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم فاذا وجدتم من هذه شيأ فاحمدوا الله عليه واذا وجدتم من هذه شيأ فتعوذوا بالله من الشيطان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبر معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود في قوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجدها فليحمد الله ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجدها فليستعذ بالله حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاده بالشر وتكذيب بالحق فمن أحس من لمة الملك شيأ فليحمد الله عليه ومن أحس من لمة الشيطان شيأ فليتعوذ بالله منه ثم تلا هذه الآية الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن قطر عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة عن عبد الله بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مرة بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وايعاد بالشر واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله وليحمد الله عليه ومن وجد الاخرى فليستعذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ۞ القول في تاويل قوله (والله واسع عليم) يعني تعالى ذكره والله واسع الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدقون بها يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم ۞ القول في تاويل قوله (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) يعني بذلك جل ثناؤه يؤتي الله الاصابة في القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الاصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيرا كثيرا * واختلف أهل التاويل في ذلك فقال بعضهم الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يؤتي الحكمة من يشاء قال الحكمة القرآن والفقه في القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والحكمة الفقه في القرآن حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا مهدي بن ميمون قال ثنا

ولا تضيعوا أعمالكم في طلب آمالكم وتستعدوا للموت قبل حلول آجالكم والله المستعان وهو حسبي (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا

في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) القراآت ولا تيمموا بتشديد الياء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب أي من يؤته الله الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين أبو عمرو والمفضل

ذا بعد الحق الا الضلال ولو كان فضلك في الصدقة طلب الحق لما منك على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء أي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني
لان الفقير يأخذ منه الدنيا ويعطيه الآخرة (٥٤) كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله

الى من وجب له في أموالكم حق مالا ترضون من غيركم أن يأتيه اليكم في حقوقكم الواجبة لكم في أموالهم فاما
اذا تطوع الرجل بصدقة غير مفروضة فاني وان كرهت له أن يعطي فيها الا أجود ماله وأطيبه لان الله عز وجل
أحق من يقرب اليه بأكرم الاموال وأطيبها والصدقة قربان المؤمن فلست أحرم عليه أن يعطي فيها غير
الجيد لان ما دون الجيد ربما كان أعم نفعا لكثرته أو لعظم خطره وأحسن موقعا من المسكين وممن أعطيه
قربة الى الله عز وجل من الجيد لقلته أو لصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه ومثل ما قلنا في ذلك قال
جماعة أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع
قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن
تغمضوا فيه قال ذلك في الزكاة الدرهم الزائف أحب الي من التمرة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية
قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فقال انما ذلك في الزكاة والدرهم
الزائف أحب الي من التمرة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين قال سألت
عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه فقال عبيدة انما هذا في الواجب ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمرة
والدرهم الزائف خير من التمرة حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين في
قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال انما هذا في الزكاة المفروضة فاما التطوع فلا بأس أن يتصدق الرجل
بالدرهم الزائف والدرهم الزائف خير من التمرة ۞ القول في تأويل قوله (واعلموا أن الله غني حميد)
يعني بذلك جل ثناؤه واعلموا أيها الناس ان الله عز وجل غني عن صدقتكم وعن غيرها وانما أمركم بها
وفرضها في أموالكم رحمة منه لكم ليغني بها عائلكم ويقوي بها ضعيفكم ويجزل لكم عليها في الآخرة
مثوبتكم لا من حاجة به فيها اليكم ويعني بقوله حميد انه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه وبسط لهم من
فضله كما حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي عن اسباط عن السدي عن عدي بن
ثابت عن البراء بن عازب في قوله والله غني حميد عن صدقاتكم ۞ القول في تأويل قوله (الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) يعني بذلك تعالى ذكره الشيطان يعدكم أيها الناس
بالصدقة تؤدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا ويأمركم بالفحشاء يعني ويأمركم بمعاصي
الله عز وجل وترك طاعته والله يعدكم مغفرة منه يعني ان الله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم
فحشاءكم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون وفضلا يعني ويعدكم أن
يخلف عليكم من صدقتكم فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم من أرزاقكم كما حدثنا محمد بن حميد
قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال اثنان من الله
واثنان من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر يقول لا تنفق مالك وامسكه عليك فانك تحتاج اليه ويأمركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلا في الرزق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا يقول مغفرة لفحشائكم وفضلا
لفقركم حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما
لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله

لكان ينفق لله ولو كان
يؤمن بالآخرة لانفق
للآخرة لا للناس فمثل
المرائي كمثل صفوان عليه
تراب هو عمله فاصابه وابل
هو وابل الرياء أغنى
الاغنياء عن الشرك
فتركه صلدا ملساء ثابتا
لا يقدرون على شئ مما
كسبوا ليتوسلوا به الى الله
والله لا يهدي القوم
الكافرين بنعمة طلب
شهود جماله فحرموا عن
دولة وصاله وتثبيتا من
أنفسهم وتخليصا لقيامهم
في طلب الحق ومرضاته من
حظوظ أنفسهم كمثل جنة
هي قلب المخلص بربوة في
رتبة عالية عند الحق أصابها
وابل الواردات الربانية فان
لم يصبها وابل فطل
الا لها مات فآتت أكلها
ضعفين ضعف من نعيم
الجنة وضعف من دولة
الوصال وشهود الاعين
رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر فان الله
تعالى كما يعطي أهل
الآخرة نصيبا من الدنيا
بالتبعية ولا يعطي أهل
الدنيا نصيبا من الآخرة
فكذلك يعطي أهل الله
نصيبا من الآخرة بالتبعية
ولا يعطي أهل الآخرة
مالا هم الله من القرب بتوابعه

بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضاة أو لاستيفاء اللذات من
واستبقاء الحياة ثم ضرب منه لروح الانسان وقلبه جنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في أحسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم
السمات منورا بأنوار العقل والحواس السليمة متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها انهار

ما كسبتم ومما أخرجنا أى من ظيبات ما أخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن أن المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على أن ظاهر الامر الوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكاة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روى عن على والحسن ومجاهد أن بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل (٥٧) ذات يوم بعذق حشف فوضعه فى الصدقة

وأليم العذاب كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ويحصيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياء ونذوره طاعة للشيطان فقال وما للظالمين من أنصار يعنى ومالمن أنفق ماله رياء الناس وفى معصية الله وكانت نذوره للشيطان وفى طاعته من أنصار وهم جمع نصير كالاشراف جمع شريف ويعنى بقوله من أنصار من ينصرهم من الله يوم القيامة فيدفع عنهم عقابه ويمنعهم قوته وشدة بطشه ولا بد فيه وقد دللنا على أن الظالم هو الواضع الشئ فى غير موضعه وانما سمى الله المنفق رياء الناس والناذر فى غير طاعته ظالما لوضعه انفاق ماله فى غير موضعه ونذره فى غير ماله وضعه فيه فكان ذلك ظلمه فان قال لنا قائل فكيف قال فان الله يعلمه ولم يقل يعلمهما وقد ذكر النذر والنفقة قيل انما قال فان الله يعلمه لانه أراد فان الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم فلذلك وحد الكناية ۞ القول فى تاويل قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) يعنى بقوله جل ثناؤه ان تبدوا الصدقات ان تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه فنعما هى يقول فنعم الشئ هى وان تخفوها يقول وان تسروها فلن تعلنوها وتؤتوها الفقراء يعنى وتعطوها الفقراء فى السر فهو خير لكم يقول فاخفاؤكم اياها خير لكم من اعلانكم اياها وذلك فى صدقة التطوع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم كل مقبول اذا كانت النية صادقة وصدقة السر أفضل وذكر لنا ان الصدقة يطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال كل مقبول اذا كانت النية صادقة والصدقة فى السر أفضل وكان يقول ان الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فجعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بقال بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل والاشياء كلها حدثنى عبد الله بن محمد الحنفى قال ثنا عبد الله بن عثمان قال ثنا عبد الله ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال يقول هو سوى الزكاة وقال آخرون انما عنى الله عز وجل بقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى ان تبدوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها فقراءهم فهو خير لكم قالوا وأما ما أعطى فقراء المسلمين من زكاة وصدقة تطوع فاخفاؤه أفضل من علانيته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الرحمن بن شريح انه سمع يزيد بن أبى حبيب يقول انما نزلت هذه الآية ان تبدوا الصدقات فنعما هى فى الصدقة على اليهود والنصارى حدثنى عبد الله بن محمد الحنفى قال أخبرنا عبد الله بن عثمان قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن لهيعة قال كان يزيد بن ابى حبيب يامر بقسم الزكاة فى السر قال عبد الله أحب أن تعطى فى العلانية يعنى الزكاة ولم يخصص الله من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى فذلك على العموم الا ما كان من زكاة واجبة فان الواجب من الفرائض قد أجمع الجميع على ان الفضل فى اعلانه واظهاره سوى الزكاة التى ذكرنا اختلاف المختلفين فيها مع اجماع جميعهم على انها واجبة فحكمها فى ان الفضل فى أدائها علانية حكم سائر الفرائض غيرها ۞ القول فى تاويل قوله

لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكاة فى كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكاة التجارة وزكاة الذهب والفضة وزكاة النعم وزكاة كل ما ينبت من الارض الا أن العلماء خصصوها بالاقوات لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة فى أربعة فى التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفى الزكاة فى غير الاربعة لكن ثبت أخذ الزكاة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكاة فى الاقوات دون غيرها ولا يكفى فى وجوب الزكاة كون الشئ مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعى بالقت وحب الحنظل وسائر البذور والبرية وشبهها ببقرة الوحش

لا زكاة فيها لان الناس لا يتعهدونها وأيضا لا تجب الزكاة فى القوت ما لم يبلغ خمسة أوسق وبه قال مالك وأحمد لرواية أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وقال أبو حنيفة يجب العشر فى القليل والكثير استدلالا بعموم الآية وتفصيل الكلام فى الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منهما مشهور

ويحيى وأبو جعفر ونافع غير ورش فنعماهي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخراز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراآت ونكفر بالنون والراء ساكنة أبو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون (٥٦) ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر وزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة يسيماهم بالامالة حمزة وعلي وابن شاذان عن خلاد مخيرا وقرأ أبو عمرو بالامالة الطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى * الوقوف من الارض ز لعطف المتفقتين تغمضوا فيه ط حميده بالفحشاء ج وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق فضلا ط عليم * وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل أجوز كثيرا ط الالباب * يعلمه ط أنصار * فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون أو الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير * من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي وجه الله ط لا يظلمون * في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من أحصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح استئنافا والحال أوجه أي يحسبهم الجاهل أغنياء وأنت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحاف وقد يجعل لا يسئلون استئنافا فيجوز الوقف على سيماهم الحافا وأليم ط عليم * عند ربهم ج يحزنون * التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك أن المال الذي أمر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب أن يكون فقال أنفقوا من طيبات

شعيب بن الحباب عن أبي العالية ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال الكتاب والفهم فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله يؤتي الحكمة من يشاء الآية قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفقه في القرآن * وقال آخرون يعني بالحكمة الاصابة في القول والفعل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا قال ومن يؤت الحكمة قال الاصابة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء قال يؤتي الاصابة من يشاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يؤتي الحكمة من يشاء قال الكتاب يؤتي اصابته من يشاء * وقال آخرون هو العلم بالدين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتي الحكمة من يشاء العقل في الدين وقرأ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك وما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له * وقال آخرون الحكمة الفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سفيان عن أبي حمزة عن ابراهيم قال الحكمة هي الفهم * وقال آخرون هي الخشية ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة الخشية لان رأس كل شئ خشية الله وقرأ انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال آخرون هي النبوة ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة هي النبوة وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة وانها ما خوذة من الحكم وفصل القضاء وانها الاصابة بما دل على صحته فاغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع فاذا كان ذلك كذلك كان معناه كان جميع الاقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك لان الاصابة في الامور انما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة واذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا الله فقيها عالما وكان النبوة من أقسامه لان الانبياء مسددون مفهمون وموفقون لاصابة الصواب في الامور والنبوة بعض معاني الحكمة فتاويل الكلام يؤتي الله اصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا ۞ القول في تاويل قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) يعني بذلك جل ثناؤه وما يتعظ بما وعظ به ربه في هذه الآيات التي وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به غيرهم فيها وفي غيرها من آي كتابه فيذكر وعده ووعيده فيها فينزجر عما زجره عنه ربه ويطيعه فيما أمره به الا أولوا الالباب يعني الا أولوا العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه فاخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة الا أولي الحجا والحلوم وأن الذكرى غير ناهية الا أهل النهى والعقول ۞ القول في تاويل قوله (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار) يعني بذلك جل ثناؤه وأي نفقة أنفقتم يعني أي صدقة تصدقتم أو أي نذر نذرتم يعني بالنذر ما أوجبه المرء على نفسه تبررا في طاعة الله وتقربا به اليه من صدقة أو عمل خير فان الله يعلمه أي ان جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شئ ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعكم على جميع ذلك فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه جازاه بالذي وعده من التضعيف ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذوره للشيطان جازاه بالذي أوعده من العقاب

لا تأخذونه فى حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن وأصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وأصله ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه كيلا يرى ذلك فكثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا أى لو أهدى لكم مثل هذه الاشياء لما أخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لى ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل أن يراد الا اذا أغمضتم بصر البائع أى كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه فى السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم حميد محمود على ما أنعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدى أو حامدا شاكرا على انفاقكم كقوله فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب فى أجود ما يملكه الانسان أن ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر أما الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل فى الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن أن يكون استعماله فى الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب أليم وأصل الفقر فى اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويأمركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق أن لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ماله فى سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيأ الا الجيد ولا الردىء والوسط أن يبخل بالجيد وينفق الردىء فالشيطان اذا أراد نقله من الافضل الى الاخس فمن حيث حيلته أن يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو أمره بالفحشاء وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يمكنه أن يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هى التخويف بالفقر اذا أنفق الجيد من

عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء فرخص لهم حدثنا المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اناس من الانصار لهم أنساء وقرابة من قريظة والنضير وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت ليس عليك هداهم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا ان رجالا من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم قالوا أنتصدق على من ليس من أهل ديننا فانزل الله فى ذلك القرآن ليس عليك هداهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء قال كان الرجل من المسلمين اذا كان بينه وبين الرجل من المشركين قرابة وهو محتاج فلا يتصدق عليه يقول ليس من أهل دينى فانزل الله عز وجل ليس عليك هداهم الآية حدثنى محمد قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعنى المشركين وأمر النفقة فبين أهلها حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال كانوا يتصدقون كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون قال هو مردود عليك فمالك ولهذا تؤذيه وتمن عليه انما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله والله يجزيك

القول فى تأويل قوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا) أما قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله فبيان من الله عز وجل عن سبيل النفقة ووجهها ومعنى الكلام وما تنفقوا من خير فلانفسكم تنفقون للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله واللام التى فى الفقراء مردودة على موضع اللام فى فلانفسكم كأنه قال وما تنفقوا من خير يعنى به وما تتصدقوا به من مال فللفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله فلما اعترض فى الكلام بقوله فلانفسكم فادخل الفاء التى هى جواب الجزاء فيه تركت اعادتها فى قوله للفقراء اذ كان الكلام مفهوما معناه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعنى المشركين وأما النفقة فبين أهلها فقال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله وقيل ان هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله فى هذه الآية فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله مهاجرى قريش بالمدينة مع النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة عليهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله الآية قال هم فقراء المهاجرين بالمدينة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله قال فقراء المهاجرين

القول فى تأويل قوله عز وجل (الذين أحصروا فى سبيل الله) يعنى تعالى ذكره بذلك الذين جعلهم جهادهم عدوهم يحصرونهم أنفسهم فيحبسونها عن التصرف فلا يستطيعون تصرفا وقد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى الاحصار تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوه وغير ذلك من علله الى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرف فى أسبابه بما فيه الكفاية فيما مضى قبل وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الذين أحصروا فى سبيل الله قال أحصروا أنفسهم

مذكور في الفروع فلذلك ولطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب في الآية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي وما مر في سبب النزول أنهم كانوا يتصدقون برذالة أموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز أخذه بالاغماض وبغيره والآية دلت على جواز أخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد أن الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم بآخذيه وأنتم تعلمون أنه محرم الا أن ترخصوا لانفسكم أخذ الحرام ولا تبالوا من أي وجه أخذتم المال من حلال له أو من حرام ويحتمل أن يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة أيضا لان الاستطابة قد تكون شرعا وقد تكون عقلا واعلم أن المال الزكوي ان كان كله شريفا وجب أن يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للآية لان المأخوذ في هذه الحال لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد وردىء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكاة من ردى مالك ولا تكلف أيضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم وإياك وكرائم أموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الآية التطوع أو هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى أن يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممته وتأممته كله بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه ليعلم أن المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه أي اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل أن يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدأ مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم

(وتكفر عنكم من سيآتكم) اختلف القراء في قراءة ذلك فروى عن ابن عباس انه كان يقرؤه وتكفر عنكم بالتاء ومن قرأه كذلك فانه يعني به وتكفر الصدقات عنكم من سيآتكم وقرأ آخرون ويكفر عنكم بالياء بمعنى ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر في الآية من سيآتكم وقرأ ذلك بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف بمعنى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم من سيئاتكم بمعنى مجازاة الله عز وجل بخفي الصدقة تكفير بعض سيآته بصدقته التي أخفاها وأولى القراآت في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف على معنى الخبر من الله عن نفسه انه يجازي المخفي صدقته من التطوع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيآته واذا قرئ كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء في قوله فهو خير لكم لان الفاء هنا لك حلت محل جواب الخبر فان قال لنا قائل وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء وقد علمت ان الافصح من الكلام في النسق على جواب الخبر الرافع وانما الجزم تجويز قيل اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه ان التكفير أعني تكفير الله من سيئات المصدق لاحالة داخل فيما وعد الله المصدق ان يجازيه به على صدقته لان ذلك اذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة ولو رفع كان قد يحتمل ان يكون داخلا فيما وعده الله ان يجازيه به وان يكون خبرا مستأنفا انه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم لان ما بعد الفاء في جواب الجزاء استئناف فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه في انه غير داخل في الجزاء ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر عطفا به على موضع الفاء من قوله فهو خير لكم وقراءته بالنون فان قال قائل وما وجه دخول من في قوله ونكفر عنكم من سيئاتكم قيل وجه دخولها في ذلك بمعنى ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلوا على وعده ما وعد على الصدقات التي يخفيها المتصدق فيجترؤا على حدوده ومعاصيه وقال بعض نحوي البصرة معنى من الاسقاط من هذا الموضع ويتأول معنى ذلك ونكفر عنكم سيئاتكم ۞ القول في تأويل قوله (والله بما تعملون خبير) يعني بذلك جل ثناؤه والله بما تعملون في صدقاتكم من اخفائها واعلان واسرارها واجهار وفي غير ذلك من أعمالكم خبير يعني بذلك ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو بجميعه محيط ولكله محص على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يعني تعالى ذكره ليس عليك هداهم يا محمد هدى المشركين الى الاسلام فتمنعهم صدقة التطوع ولا تعطيهم منها لبدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه الى الاسلام فيوفقهم له فلا تمنعهم الصدقة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن شعبة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين فنزلت وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله فتصدق عليهم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو داود عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون اقرباتهم من المشركين فنزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير قال كانوا يتقون أن يرضخوا اقرباتهم من المشركين حتى نزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لانسابهم من المشركين فنزلت ليس

واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق أولى وأفضل وأيضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وأيضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت التهم معقودة على أن يفتح الله عليه أبواب الرزق ولمثل ذلك من التأثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر على انجاز

تعرفهم بسيماهم قال السيما رثاثة ثيابهم والجوع خفي على الناس ولم يستطع الثياب التي يخرجون فيها تخفي على الناس وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان فيعرفهم وأصحابه بها كما يدرك المريض فيعلم انه مريض بالمعاينة وقد يجوز ان تكون تلك السيما كانت تخشعا منهم وان تكون كانت أثر الحاجة والضر وان تكون كانت رثاثة الثياب وأن تكون كانت جميع ذلك وانما ندرك علامات الحاجة وآثار الضر في الانسان ونعلم انها من الحاجة والضر بالمعاينة دون الوصف وذلك ان المريض قد يضرب في بعض أحوال مرضه من المرض نظير آثار المجهود من الفاقة والحاجة وقد يلبس الغني ذو المال الكثير الثياب الرثة فيتزيا بزي أهل الحاجة فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختل ذو فاقة وانما يدرى ذلك عند المعاينة بسيماه كما وصفهم الله تعالى بما يعرف انه مريض عند المعاينة دون وصفه بصفته ﴿ القول في تأويل قوله (لا يسئلون الناس الحافا) يقال قد ألحف السائل في مسئلته اذا ألح فهو يلح فيها الحاحا فان قال قائل فكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير الحاف قيل غير جائز أن يكون كانوا يسئلون الناس شيأ على وجه الصدقة الحافا وغير الحاف وذلك ان الله عز وجل وصفهم بانهم كانوا أهل تعفف وانهم انما كانوا يعرفون بسيماهم فلو كانت المسئلة من شانهم لم تكن صفتهم التعفف ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم الى علم معرفتهم بالادلة والعلامة حاجة وكانت المسئلة الظاهرة تنبي عن حالهم وأمرهم وفي الخبر الذي حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن هلال بن حصن عن أبي سعيد الخدري قال أعوزنا مرة فقيل لي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانطلقت اليه معتفا فكان أول ما واجهني به من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه ومن سألنا لم ندخر عنه شيأ نجده قال فرجعت الى نفسي فقلت ألا أستعف فيعفني الله فرجعت فما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا الا من عصم الله الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي معنى المسئلة من الشخص الواحد وان من كان موصوفا بالتعفف فغير موصوف بالمسئلة الحافا وغير الحاف فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فما وجه قوله لا يسئلون الناس الحافا وهم لا يسئلون الناس الحافا وغير الحاف قيل له وجه ذلك ان الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف وعرف عباده أنهم ليسوا أهل مسئلة بحال بقوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وأنهم انما يعرفون بالسيما زاد عباده ابانة لامرهم وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحين من السؤال عنهم وقال كما بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل فلما رأيت مثل فلان ولعله لم يسئله أحدا ولا نظيرا ونحو الذي قلنا في معنى الالحاف قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا يسئلون الناس الحافا قال لا يلحفون في المسئلة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يسئلون الناس الحافا قال هو الذي يلح في المسئلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئلون الناس الحافا ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله يحب الحليم الغني المستعفف ويبغض الغني الفاحش البذي السائل الملحف قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله عز وجل كره لكم ثلاثا قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فاذا شئت رأيته في قيل وقال يومه أجمع وصدر ليلته حتى يلقى حتفه على فراشه لا يجعل الله له من نهاره ولا ليلته نصيبا واذا شئت رأيته ذا مال في شهوته ولذاته وملاعبه وبعده عن حق الله

ما وعد عليم بحال من أنفق نفقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما ترجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه أحدها مواعظ القرآن وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة وآتاه الله الملك والحكمة * ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلوم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات

الحاصلة منها واعلم أن كمال الانسان في شيئين أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابراهيم صلى الله عليه وسلم ربه هب لي حكما وهو الحكمة النظرية وألحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية وفوق موسى عليه السلام اني أنا الله لا اله الا أنا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى عليه السلام انه قال اني

قال فاذا أطاعوه فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى أن يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكاة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا أصاب هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر وجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة (٦٠) اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي

صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول أولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة أخرى وعند وجدان العقبى لا يبقى من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف المعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف أو مرض أو مهم بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الآخرة فانه باق لا يزول وأيضا لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها ألم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الآخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم لاسيما وقد قرن به لفظة منه فانه غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل أن يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في آية أخرى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أو ان يجعل شفيعا في تعرفهم غفران ذنوب اخوانه المؤمنين وأما الفضل فيحتمل أن يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك أن المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي

في سبيل الله العزو ﴿ حدثني ﴾ يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال كانت الارض كلها كفرا لا يستطيع أحد أن يخرج يبتغي من فضل الله اذا خرج خرج في كفر وقيل كانت الارض كلها حربا على أهل هذا البلد وكانوا لا يتوجهون جهة الا لهم فيها عدو فقال الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية كانوا ههنا في سبيل الله وقال آخرون بل معنى ذلك الذين أحصرهم المشركون فمنعوهم التصرف ذكر من قال ذلك ﴿ حدثني ﴾ موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله حصرهم المشركون في المدينة ولو كان تاويل الآية على ما تاوله السدي لكان الكلام للفقراء الذين حصروا في سبيل الله ولكنه أحصروا فدل ذلك على ان خوفهم من العدو الذي صيرهم الى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم لا ان العدو هم كانوا الحابسهم وانما يقال لمن حبسه العدو حصره العدو واذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل أحصره خوف العدو ﴿ القول في تاويل قوله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني بذلك جل ثناؤه لا يستطيعون تقلبا في الارض وسفرا في البلاد ابتغاء المعاش وطلب المكاسب فيستغنوا عن الصدقات رهبة العدو وخوفا على أنفسهم منهم كما ﴿ حدثني ﴾ الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لا يستطيعون ضربا في الارض حبسوا أنفسهم في سبيل الله للعدو فلا يستطيعون تجارة ﴿ حدثني ﴾ موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لا يستطيعون ضربا في الارض يعني التجارة ﴿ حدثني ﴾ يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله لا يستطيعون ضربا في الارض كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فضل الله ﴿ القول في تاويل قوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) يعني بذلك يحسبهم الجاهل بامرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسئلة وتركهم التعرض لما في أيدي الناس صبرا منهم على البأساء والضراء كما ﴿ حدثنا ﴾ يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف يعني بقوله من التعفف من ترك مسئلة الناس وهو التفعل من العفة عن الشئ والعفة عن الشئ تركه كما قال روبة * يعف عن اسرارها بعد الغسق * يعني يرئ ويتجنب ﴿ القول في تاويل قوله (تعرفهم بسيماهم) يعني بذلك جل ثناؤه تعرفهم يا محمد بسيماهم يعني بعلامتهم وآثارهم من قول الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود هذه لغة قريش ومن العرب من يقول بسيمائهم فيمدها وأما تميم فبعض أسد فانهم يقولون بسيماهم ومن ذلك قول الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر

وقد اختلف أهل التأويل في السيما التي أخبر الله جل ثناؤه انها لهؤلاء الفقراء الذين وصفت صفتهم وانهم يعرفون بها فقال بعضهم هو التخشع والتواضع ذكر من قال ذلك ﴿ حدثني ﴾ محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعرفهم بسيماهم قال التخشع ﴿ حدثني ﴾ المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ﴿ حدثني ﴾ المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث قال كان مجاهد يقول هو التخشع وقال آخرون يعني بذلك تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة في وجوههم ذكر من قال ذلك ﴿ حدثني ﴾ موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي تعرفهم بسيماهم بسيما الفقر عليهم ﴿ حدثني ﴾ المثنى قال ثنا أسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله تعرفهم بسيماهم يقول تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة وقال آخرون معنى ذلك تعرفهم برثاثة ثيابهم وقالوا الجوع نحفي ذكر من قال ذلك ﴿ حدثني ﴾ يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره حدثنا المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الآية قال يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنونا يخنق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الآية وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة يبعثون وبهم خبل من الشيطان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال هو التخبل الذي يتخبله الشيطان من الجنون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال يبعثون يوم القيامة وبهم خبل من الشيطان وهي في بعض القراءة لا يقومون يوم القيامة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال من مات وهو يأكل الربا بعث يوم القيامة متخبطا كالذي يتخبطه الشيطان من المس حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني من الجنون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال هذا مثلهم يوم القيامة لا يقومون يوم القيامة مع الناس الا كما يقوم الذي يخنق مع الناس يوم القيامة كأنه خنق كأنه مجنون ومعنى قوله يتخبطه الشيطان من المس يتخبله من مسه اياه يقال منه قد مس الرجل والق فهو ممسوس ومألوق كل ذلك اذا ألم به الالمام فخبن ومنه قول الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ومنه قول الاعشى

وتصبح عن غب السرى وكأنما * ألم بها من طائف الجن أولق

فان قال لنا قائل أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا في تجارته ولم يأكله أيستحق هذا الوعيد من الله قيل نعم وليس المقصود من الربا في هذه الآية الاكل الا أن الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم وما كلهم من الربا فذكرهم بصفتهم معظما بذلك عليهم أمر الربا ومقبحا اليهم الحال التي هم عليها في مطاعمهم وفي قوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله الآية ما بين على صحة ما قلنا في ذلك وان التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الربا وان سواء العمل به وأكله وأخذه واعطاؤه كالذي تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه اذا علموا به ۞ القول في تأويل قوله (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) يعني بذلك جل ثناؤه ذلك الذي وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المس من الجنون فقال تعالى ذكره هذا الذي ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حل بهم من أجل أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون انما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا وذلك ان الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريمه الحق زدني في الاجل وأزيدك في مالك فكان يقال لهما اذا فعلا

يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة وأما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة أو اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي أو رزقني ولدا فلله علي ان أعتق رقبة أو أصوم أو أصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التنجيز وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شئ كقوله لله علي ان أصوم أو أصلي أو أعتق فالاصح أنه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم أيام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد أو ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه أن يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج

وأما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا أو غير معلق وكذا النذر أن لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف فاذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح وأما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فتلتزم بالنذر وذلك كالصوم والصلاة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات

عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وكلها النظرية وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد فاعلم أنه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في حق جميع الانبياء ينزل
الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة
العملية فعلم من هذه الآيات
وأمثالها ان كمال حال الانسان
في هاتين القوتين والحكمة
فعلة من الحكم كالنخلة من
النخل ورجل حكيم اذا كان ذا
تجارب واصابة رأي فعيل
بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول
فيها يفرق كل أمر حكيم
أي محكوم وفي الآية دليل
على ان جميع العلوم
النظرية والاخلاق المرضية
انما هي بايتاء الله تعالى
والذين جاءوا الايتاء على
التوفيق والاعانة كالمعتزلة
ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة
اذ لابد من الانتهاء اليه ان
سلكوا وما يذكر الا أولوا
الالباب الذين اذا حصل لهم
الحكم والمعارف لم يقفوا
عند المسببات فلم ينسبوا
هذه الاحوال الى أنفسهم
بل يرقون الى أسبابها حتى
يصلوا الى السبب الاول وأما
المعتزلة فانهم لما قصروا
الحكمة بقوة الفهم ووضع
الدلائل قالوا هذه الحكمة
لا تفيد بنفسها وانما ينتفع
بها المرء اذا تدبر وتذكر
فعرف ماله وما عليه وعند
ذلك تقدم أو تحجم ثم انه
تعالى تبعه على انه عالم بما في
قلب العبد من نية الاخلاص
أو الرياء وانه يعلم القدر
المستحق من الثواب والعقاب
على تلك النوايا والنيات

وكثرت بذلك اضاعة المال وان شئت رأيته باسطا ذراعيه يسأل الناس في كفيه فاذا أعطى أفرط في جدهم وان
منع أفرط في ذمهم القول في تاويل قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر عن أيمن بن نائل قال
حدثني شيخ من غافق ان أبا الدرداء كان ينظر الى الخيل مربوطة بين البراذين والهجن فيقول أهل هذه يعني
الخيل من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون * وقال آخرون عنى بذلك قوما أنفقوا في سبيل الله في غير اسراف ولا تقتير ذكر من قال ذلك **حدثنا**
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم الى قوله ولا هم يحزنون هؤلاء أهل الجنة
ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من نال المكثرون
هم الاسفلون قالوا يا نبي الا من قال المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال حتى خشوا أن تكون قد
مضت فليس لها رد حتى قال الا من قال بالمال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وهكذا بين يديه وهكذا خلفه
وقليل ما هم هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله التي افترض وارتضى في غير سرف ولا املاق ولا تبذير ولا فساد
وقد قيل ان هذه الآيات من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كان
مما نعمل قبل نزول ما في سورة براءة من تفصيل الزكوات فلما نزلت براءة قصر وا عليها ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان تبدوا
الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة فلما نزلت
براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات اليها ۞ القول في تاويل قوله (الذين يأكلون الربا
لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) يعني بذلك جل ثناؤه الذين يربون والاربا الزيادة
على الشيء يقال منه أربى فلان على فلان اذا زاد عليه يربي ارباء والزيادة هي الربا وربا الشيء اذا زاد على ما كان
عليه فعظم فهو يربو ربوا وانما قيل للربية لزيادتها في العظم والاشراف على ما استوى من الارض مما حولها
من قولهم ربا يربو ومن ذلك قيل فلان في ربا قومه يراد أنه في رفعة وشرف منهم فاصل الربا الانافة والزيادة ثم
يقال أربى فلان أي أبان صيرورة زائدا وانما قيل للمربي مرب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالا أو
لزيادته عليه فيه اسبب الاجل الذي يؤخره اليه فيزيد الى أجله الذي كان له قبل حل دينه ولذلك قال جل
ثناؤه يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر
من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في الربا
الذي نهى الله عنه كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه
حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الاجل
ولم يكن عند صاحبه قضاء زاد وأخر عنه فقال جل ثناؤه الذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا لا يقومون
في الآخرة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني بذلك يتخبطه الشيطان في الدنيا وهو
الذي يتخبطه فيصرعه من المس يعني من الجنون وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل الذين
يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا
حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال
ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذين

فلا يهمل شيا منها فقال وما أنفقتم من نفقة لله أو للشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو معصيته فان الله يعلمه وتذكير يأكلون
الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الانخفش والنذر ما يلزمه الانسان
بايجابه على نفسه وأصله من الخوف كأنه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار بلاغ مع تخويف واعلم أن النذر قسمان

والدليل المثبت للشفاعة تقاضى فى حق البعض وفى بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وأيضا اللفظ لا يكون قاطعا فى الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوى فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا ولو رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان (٦٥) صادق المودة وهذا خيل صادق الحوضة وصدق فلان فى خبره اذا أخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد الصداق به يتم ويكمل والزكاة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله فى ايمانه فنعما هى من قرأ بسكون العين فمحمول على انه أوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والالزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما روى فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة * نعم الساعون فى الامر المبر * قال سيبويه ما فى تاويل الشئ أى نعم الشئ هى وقال أبو على الجيد فى مثله أن يقال ما فى تاويل شئ لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هى مخصوصة بالمدح فالتقدير نعم شيا ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة أو نعم شيا تلك الصدقات أو تلك الخصلة

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها الا الطيب و يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل يمحق الله الربا و يربى الصدقات حدثنى محمد بن عبد الملك قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تصدق من طيب تقبلها الله منه و ياخذها بيمينه و يربيها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله أو قال فى كف الله عز وجل حتى تكون مثل أحد فتصدقوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن اسليمان قال سمعت يونس عن صاحب له عن القاسم بن محمد قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ولا يقبل منها الا ما كان طيبا والله يربى لاحدكم لقمته كما يربى أحدكم مهره وفصيله حتى يوافى بها يوم القيامة وهى أعظم من أحد وأما قوله والله لا يحب كل كفار أثيم فانه يعنى به والله لا يحب كل مصر على كفر مقيم عليه مستحل أكل الربا واطعامه أثيم متمادى فى الاثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوى عنه ولا يتعظ بموعظة تقرع به التى وعظه بها فى تنزيله وآى كتابه ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا خبر من الله عز وجل بان الذين آمنوا يعنى الذين صدقوا بالله و برسوله و بما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه وعملوا الصالحات التى أمرهم الله عز وجل بها والتى ندبهم اليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأدوها باستنهاء آتوا الزكاة المفروضة عليهم فى أموالهم بعد الذى سلف منهم من أكل الربا قبل مجىء الموعظة فيمن عند ربهم لهم أجرهم يعنى ثواب ذلك من أعمالهم وايمانهم وصدقتهم عند ربهم يوم حاجتهم اليه فى معادهم ولا خوف عليهم يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم فى جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من انابتهم وتوبتهم الى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم وتصديقهم بوعد الله ووعيده ولا هم يحزنون على تركهم ما تركوا فى الدنيا من أكل الربا والعمل به اذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى وهم على تركهم ما تركوا من ذلك فى الدنيا ابتغاء رضوانه فى الآخرة فوصلوا الى ما وعدوا على تركه ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) يعنى جل ثناؤه بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله و برسوله اتقوا الله يقول خافوا الله على أنفسكم فاتقوه بطاعته فيما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا يعنى ودعوا ما بقى من الربا يقول اتركوا طلب ما بقى لكم من فضل على رؤس أموالكم التى كانت لكم قبل أن تربوا عليها ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم محققين ايمانكم قولا وتصديقكم بالسنتكم بافعالكم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أسلموا ولهم على قوم أموال من ربا كانوا أربوه عليهم فكانوا قد قبضوا بعضه منهم وبقى بعض فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نزول هذه الآية وحرم عليهم اقتضاء ما بقى منه ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الى لا تظلمون قال نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب و رجل من بنى المغيرة كانا شريكين فى الجاهلية سلفا فى الربا الى أناس من ثقيف من بنى عمرو وهم بنو عمرو بن عمير فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فانزل الله ذروا ما بقى من فضل كان فى الجاهلية من الربا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا

وهى الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء فى صدقة التطوع أفضل كما أن الاظهار فى الزكاة أفضل أما الاول فلان ذلك أشق على النفس فيكون أكثر ثوابا ولانه أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مرائى ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك أنه يطلب السمعة

التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالحج فتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلاة على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم أيضا وكما يلزم أصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلاة بشرط طول القراءة أو الركوع أو السجود أو الحج (٦٤) بشرط المشي اذ جعلناه أفضل من الركوب وهو الاصح ولو أفرد الصفة بالالتزام

والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود أو القراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها وأما الاعمال والاخلاق المحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها أيضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها وأما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها أو تركها لم ينعقد نذره وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين ينفقون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو الرياء أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب في صاحب أو جمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر وردبان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا والا كان عاصيا ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وأيضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات

ذلك هذا ربا لا يحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله في قيلهم فقال وأحل الله البيع ۞ القول في تأويل قوله (وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني جل ثناؤه وأحل الله الارباح في التجارة والشراء والبيع وحرم الربا يعني الزيادة التي يزادرب المال بسبب زيادته غريمه في الاجل وتاخيره دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان احداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تاخير المال والزيادة في الاجل سواء وذلك أني حرمت احدى الزيادتين وهي التي من وجه تاخير المال والزيادة في الاجل وأحللت الاخرى منهما وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها فيستفضل فضلها فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا لاني أحللت البيع وحرمت الربا والامر أمري والخلق خلقي أقضي فيهم ما أشاء وأستعبدهم بما أريد ليس لاحد منهم أن يعترض في حكمي ولا أن يخالف أمري وانما عليهم طاعتي والتسليم لحكمي ثم قال جل ثناؤه فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى يعني بالموعظة التذكير والتخويف الذي ذكرهم وخوفهم به في آي القرآن وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب يقول جل ثناؤه فمن جاءه ذلك فانتهى عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه فله ما سلف يعني ما أكل وأخذ فضى قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه في ذلك وأمره الى الله يعني وأمر أكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم وبعد انتهاءه ما أكله عن أكله الى الله في عصمته وتوفيقه ان شاء عصمه عن أكله وثبته في انتهائه عنه وان شاء خذله عن ذلك ومن عاد يقول ومن عاد لاكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم من قوله انما البيع مثل الربا فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يعني فقاعلوذلك وقائلوه هم أهل النار يعني نار جهنم فيها خالدون وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله أما الموعظة فالقرآن وأما ما سلف فله ما أكل من الربا ۞ القول في تأويل قوله (يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) يعني عز وجل بقوله يمحق الله الربا يبغض الله الربا فيذهبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يمحق الله الربا قال ينعدد وهذا الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الربا وان كثر فالى قل وأما قوله ويربي الصدقات فانه جل ثناؤه يعني أنه يضاعف أجرها لربها وينميها له وقد بينا معنى الربا قبل والارباء وما أصله بما فيه الكفاية من اعادتها فان قال لنا قائل وكيف اراباء الله الصدقات قيل اضعافه الاجر لربها كما قال جل ثناؤه مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وكما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وكما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا عباد بن منصور عن القاسم انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثني سليمان بن عمر بن خالد الاقطع قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله عز وجل يقبل الصدقة ولا يقبل الا الطيب حدثني محمد بن عمرو بن علي المقدمي قال ثنا ريحان بن سعيد قال ثنا عباد عن القاسم عن عائشة

عباس قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله وهذه الاخبار كلها تنبئ عن ان قوله فاذنوا بحرب من الله ايذان من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل لا أمر لهم بايذان غيرهم ﴿القول في تاويل قوله﴾ (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم) يعني جل ثناؤه بذلك ان تبتم فتركتم أكل الربا وأنبتم الى الله عز وجل فلكم رؤس أموالكم من الدين التي لكم على الناس دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك وباسمكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم المال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغي لهم أن ياخذوا منه شيأ حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال وضع الله الربا وجعل لهم رؤس أموالهم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة في قوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم قال ما كان لهم من دين فجعل لهم أن ياخذوا رؤس أموالهم ولا يزدادوا عليه شيأ حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وان تبتم فلكم رؤس أموالكم الذي أسلفتم وسقط الربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الفتح ألا ان ربا الجاهلية موضوع كله أول ربا ابتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته ان كل ربا موضوع وأول ربا يوضع ربا العباس ﴿القول في تاويل قوله﴾ (لا تظلمون ولا تظلمون) يعني بقوله لا تظلمون بأخذكم رؤس أموالكم التي كانت لكم قبل الارباء على غرمائكم منهم دون أرباحها التي زدتموها باعلى من أخذتم ذلك منهم من غرمائكم فتاخذوا منهم ما ليس لكم أخذه أولم يكن لكم قبل ولا تظلمون بقول ولا الغريم الذي يعطيكم ذلك دون الربا الذي كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة في الاجل يبخسكم حقا لكم عليه فيمنعكموه لان ما زاد على رؤس أموالكم لم يكن حقا لكم عليه فيكون بمنعه اياكم ذلك ظالما لكم وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن عباس يقول وغيره من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قال لا تنقصون من أموالكم ولا تاخذون باطلا لا يحل لكم ﴿القول في تاويل قوله﴾ (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) يعني جل ثناؤه بذلك وان كان من تقبضون منه من غرمائكم رؤس أموالكم ذو عسرة يعني معسرا برؤس أموالكم التي كانت لكم عليهم قبل الارباء فانظروهم الى ميسرتهم وقوله ذو عسرة مرفوع بكان فالخبر متروك وهو ما ذكرنا وانما صلح ترك خبرها من أجل أن النكرات تضمر لها العرب اخبارها ولو وجهت كان في هذا الموضع الى أنها بمعنى الفعل المكتفي بنفسه التام لكان وجها صحيحا ولم يكن بها حاجة حينئذ الى خبر فيكون تاويل الكلام عند ذلك وان وجد ذو عسرة من غرمائكم برؤس أموالكم فنظرة الى ميسرة وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب وان كان ذا عسرة يعني وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وذلك وان كان في العربية جائزا فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين وأما قوله فنظرة الى ميسرة فانه يعني فعليكم أن تنظروه الى ميسرة كما قال فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبل فاغنى عن تكريره والميسرة المفعلة من اليسر مثل المرجمة والمشأمة ومعنى الكلام وان كان من غرمائكم

روى انه صلى الله عليه وسلم كان أكثر صلاته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الغريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له أفضل ولا سيما اذا خاف الظلمة أن يطمعوا في ماله وعن بعضهم أن معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيران كما يقال الثريد خير من الله وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق أن يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم أخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط في الاخفاء أن يحصل معه ايتاء الفقراء وأما في الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء أن يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف فقوله فهو في تاويل فيكون خير لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومن قرأ يجزم ما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن أعظم أجرا وأما من قرأ ونكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر في النون والضمير لله أو للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء

والمعطى فى ملأ من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم فى الاخفاء واجتهدوا أن لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقى الصدقة فى يد الاعمى وبعضهم يلقيها فى طريق الفقير أو فى موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطى وبعض يشدها فى ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال أيضا ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب فى الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وأيضا فى الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما أنكر الناس على الفقير أخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير فى المذمة والناس فى الغيبة ولان فى الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من أهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيأ فيقع فى حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا أظهرها اقتدى غيره به لم يبعد والحالة هذه أن يكون الاظهار أفضل وروى ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء واعلم أن الانسان اذا أتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفى نفسه شهوة أن يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان فى محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه عباس يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس صدقات السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عباد اراضوا أنفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم فى بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى

ان كنتم مؤمنين قال كانت ثقيف قد صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع فلما كان الفتح استعمل عتاب بن أسيد على مكة وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم فى الجاهلية فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كثير فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم فأبا بنو المغيرة أن يعطوهم فى الاسلام ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد فكتب عتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله الى ولا تظلمون فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب وقال ان رضوا والا فاذنهم بحرب قال ابن جريج عن عكرمة قوله اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا قال كانوا يأخذون الربا على بنى المغيرة يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير فهم الذين كان لهم الربا على بنى المغيرة فأسلم عبد ياليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود **حدثنى** على بن أبى طلحة قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين قال كان ربا يتبايعون به فى الجاهلية فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم ۞ القول فى تأويل قوله (فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) يعنى جل ثناؤه بقوله فان لم تفعلوا فان لم تذروا ما بقى من الربا واختلف القراء فى قراءة قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فقرأته عامة قراء أهل المدينة فاذنوا بقصر الالف من فاذنوا وفتح ذال ها بمعنى كونوا على علم واذن وقرأه آخرون وهى قراءة عامة قراء الكوفيين فآذنوا بمد الالف من قوله فآذنوا وكسر ذال ها بمعنى فآذنوا غيركم اعلموهم واخبروهم بأنكم على حربهم وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ فاذنوا بقصر ألفها وفتح ذال ها بمعنى اعلموا ذلك واستيقنوه وكونوا على اذن من الله عز وجل لكم بذلك وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبذ الى من قام على شركه الذى لا يقر على المقام عليه وأن يقتل المرتد عن الاسلام منهم بكل حال الا أن يراجع الاسلام أذنه المشركون بانهم على حربه أولم يأذنوه فاذ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون كان مشركا مقيما على شركه الذى لا يقر عليه أو يكون كان مسلما فارتد واذن بحرب فأى الامرين كان فانما نبذ اليه بحرب لانه أمر بالانذار بها ان عزم على ذلك لان الامر ان كان اليه فاقام على أكل الربا مستحلا له ولم يؤذن المسلمون بالحرب لم يلزمهم حربه وليس ذلك حكمه فى واحدة من الحالين فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الآذن بها وعلى هذا التأويل تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الى قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه حق على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أوعدهم الله بالقتل كما تسمعون فجعلهم بهرجا أينما ثقفوا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أوعدلآكل الربا بالقتل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن

أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال من كان ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم قال وكذلك كل دين على مسلم فلا يحل لمسلم له دين على أخيه يعلم منه عسرة ان يسجنه ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه وانما جعل النظرة في الحلال فمن أجل ذلك كانت الديون على ذلك حدثني علي ابن حرب قال ثنا ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت في الدين * والصواب من القول في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انه معني به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم عليهم ديون قد أربوا فيها في الجاهلية فأمرهم الاسلام قبل ان يقبضوها منهم فأمر الله بوضع ما بقي من الربا بعد ما أسلموا و بقبض رؤس أموالهم ممن كان منهم من غرمائهم موسرا وانظار من كان منهم معسرا برؤس أموالهم الى ميسرتهم فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريمه فان الاسلام يحط عن غريمه ما كان له عليه من قبل الربا و يلزمه أداء رأس ماله الذي كان أخذ منه أو لزمه من قبل الارباء اليه ان كان موسرا وان كان معسرا كان منتظرا برأس مال صاحبه الى ميسرته وكان الفضل على رأس المال مبطلا عنه غير ان الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا واياهم عنى بها فان الحكم الذي حكم الله به من انتظاره المعسر برأس مال المربي بعد بطول الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حل عليه وهو بقضائه معسر في انه منظر الى ميسرته لان دين كل ذي دين في مال غريمه على غريمه قضاؤه منه لا في رقبته فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا بيع وذلك ان مال رب الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة اما أن يكون في رقبة غريمه أو في ذمته يقضيه من ماله أو في مال له بعينه وان لم يكن في مال له بعينه فحتى يطل ذلك المال وعدم فقد بطل دين رب المال وذلك مالا يقوله أحد ويكون في رقبته فان يكن كذلك فحتى عدمت نفسه فقد بطل دين رب الدين وان خلف الغريم وفاء بحقه واضعاف ذلك وذلك أيضا لا يقوله أحد فقد تبين اذا اذا كان ذلك كذلك أن دين رب المال في ذمة غريمه يقضيه من ماله فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته لانه قد عدم ما كان عليه ان يؤدي منه حق صاحبه لو كان موجودا واذا لم يكن على رقبته سبيل لم يكن الى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل لانه غير ما نع حقا له الى قضائه سبيل فيعاقب بظلما ياه بالحبس ۞ القول في تاويل قوله (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) يعني جل وعز بذلك وأن تتصدقوا برؤس أموالكم على هذا المعسر خير لكم أيها القوم ان تنظروه الى ميسرته لتقبضوا رؤس أموالكم منه اذا أيسر ان كنتم تعلمون موضع الفضل في الصدقة وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه واختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الغني والفقير منهم خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم والمال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيأ وأن تصدقوا خير لكم يقول ان تصدقوا بأصل المال خير لكم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة وأن تصدقوا أي برأس المال فهو خير لكم وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وان تصدقوا خير لكم قال من رؤس أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم مثله حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وأن تصدقوا خير لكم قال ان تصدقوا برؤس أموالكم * وقال آخرون معنى ذلك وأن تصدقوا به على المعسر خير لكم نحو ما قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا

أسلم في صدقتكم على أقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم أو سد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خير في معنى نهي أي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد المدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف من

فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها أولا لكن المنفي أولا هو الهداية أي الاهتداء على سبيل الاختيار فكذا الثاني ومنه يعلم أن الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التغيير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وأمته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم تؤلبه فليس يضركم كفرهم أو فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله

والنصب باضمار أن ومعناه وان تخفوها تكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم خبر لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن عينه أي ستر ذنب الحنث وقوله من سيآتكم يحتمل أن يكون من للتبعيض لان السيآت كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم أبهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها (٦٨) وأحسن أحوال العبد أن يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل أن يكون للتعليل أي من أجل سيآتكم كما قلت ضربتك من سوء خلقك أي من أجل ذلك وقيل انها زائدة والله بما تعملون خبير كأنه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو أبعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه أسماء بنت أبي بكر فخاءتها أمها قتيلة وجدتها فسألتاها وهما مشركتان فقالت لا أعطيكما شيأ حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فأنزل الله تعالى ليس عليك هداهم فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فعلمتهما ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه آخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وراودوهم أن يسلموا واستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على أهل دينكم فأنزل الله ليس عليك هداهم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على أهل الاديان وعن بعض العلماء أخبرنا لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء أجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكاة الى غير المسلم فتكون الآية مخصوصة بالتطوع وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وأباه غيره ومعنى الآية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام

ذو عسرة فعليكم أن تنظروه حتى يوسر بما ليس لكم فيه صير من أهل اليسر به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني واصل بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت في الربا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين أن رجلا خاصم رجلا الى شريح قال فقضى عليه وأمر بحبسه قال فقال رجل عند شريح انه معسر والله يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله قال في كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال ذلك في الربا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الحسن أن الربيع بن خثيم كان له على رجل حق فكان يأتيه ويقوم على بابه ويقول أي فلان ان كنت موسرا فادوان كنت معسرا فالى ميسرة حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال جاء رجل الى شريح فكلمه فجعل يقول انه معسر انه معسر قال فظننت أنه يكلمه في محبوس فقال شريح ان الربا كان في هذا الحي من الانصار فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقال الله عز وجل ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذبنا عليه أدوا الامانات الى أهلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فنظرة الى ميسرة برأس ماله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انما أمر في الربا أن ينظر المعسر وليست النظرة في الامانة ولكن يؤدي الامانة الى أهلها حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وان كان ذو عسرة فنظرة برأس المال الى ميسرة يقول الى غنى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا في شان الربا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا في شان الربا وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون فلما أسلم من أسلم منهم أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة يعني المطلوب حدثني ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال الموت حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن محمد بن علي مثله حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال هذا في الربا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم في الرجل يتزوج الى الميسرة قال الى الموت أو الى فرقة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فنظرة الى ميسرة قال ذلك في الربا حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه وكان اذا حل دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه زاد عليه وأخره وحدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه * وقال آخرون هذه الآية عامة في كل من كان له قبل رجل معسر حق من أي وجهة كان ذلك الحق من دين حلال أو ربا ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن أبي طالب قال

حبسهم العقر عن الجهاد عقرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض أي سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة أو بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم ومن لم يخبر أمرهم أغنياء من التعفف من أجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشئ والكف عنه الرابعة تعرفهم أي أنت يا محمد أو كل واء بسيماهم والسيما والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشئ من السمة العلامة فوزنه فعلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدى أثر الجهد من الجوع والغقر الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع أبو زيد وثاثة ثيابهم وقيل المهابة في العيون وقيل آثار الغبار روي انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الغبر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا أي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى والتركيب يدل على الستر كانه لزم المسؤل لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا وأورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه أن يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر أي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف وأردت أن تمدح أحدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بحواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بحواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح شديد منهم على

القرآن بالعرش آية الدين يعني بذلك جل ثناؤه واحذروا أيها الناس يوما ترجعون فيه الى الله فتلقونه فيه ان تتوا عليه بسيآت تهلككم أو بمحرمات أو بغضبات تغضبكم فتهتك أستاركم أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به وانه يوم مجازاة الاعمال لا يوم استعتاب ولا يوم استقالة وتوبة وانابة ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر الا أحضرت فتوفى جزاءها بالعدل من ربها وهم لا يظلمون كيف يظلم من يجوزي بالاساءة مثلها وبالحسنة عشر أمثالها كلا بل عدل عليك أيها المسئ وتكرم عليك فافضل واسبغ أيها المحسن فاتق امرؤ ربه فاحذ منه حذره وراقبه ان يهجم عليه يومه وهو من الاوزار ظهره ثقيل ومن صالحات الاعمال خفيف فانه عز وجل حذر فاعذر ووعظ فابلغ ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم يعني اذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به أو تعاطيتم أو أخذ تم به الى أجل مسمى يقول الى وقت معلوم وقتموه بينكم وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل ما جاز السلم الى أجل معه يصير دينا على بائع ما أسلم اليه فيه ويحتمل مع الحاضر الجائز بيعه من الاملاك بالاثمان المؤجلة كل ذلك من الديون المؤجلة الى أجل مسمى اذا كانت آجالها معلومة بحد موقوف عليه وكان ابن عباس يقول نزلت هذه الآية في السلم خاصة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى الرملي عن سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال ابن عباس في يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا يحيى بن الصامت قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن أبي حيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال نزلت في السلم في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا علي بن سهل قال ثنا يزيد بن أبي الزرقاء عن سفيان عن أبي حيان عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه في السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن أبي حيان التيمي عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى في السلف في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن أبي حيان عن ابن عباس قال أشهد أن السلف المضمون الى أجل مسمى ان الله عز وجل قد أحله وأذن فيه وتلا هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان قال قائل وما وجه قوله بدين وقد دل بقوله اذا تداينتم عليه وهل تكون مداينة بغير دين فاحتيج الى أن يقال بدين قيل ان العرب لما كان مقولا عندها تداينا بمعنى تجازينا وبمعنى تعاطينا الاخذ والاعطاء بدين أبان الله بقوله بدين المعنى الذي قصد تعريفه من قوله تداينتم حكمه واعلمهم انه حكم الدين دون حكم المجازاة وقد زعم بعضهم ان ذلك تاكيد كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع ۞ القول في تاويل قوله (فاكتبوه) يعني جل ثناؤه بقوله فاكتبوه فاكتبوا الدين الذي تداينتموه الى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض واختلف أهل العلم في اكتتاب الكتاب بذلك على من هو وعليه هل هو واجب أو هو ندب فقال بعضهم هو حق واجب وفرض لازم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال من باع الى أجل مسمى أمر أن يكتب صغيرا كان أو كبيرا الى أجل مسمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

قوله فعلته له لان وجه الشئ أشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وأيضا قول القائل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره أما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه فى الآخرة أضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت (٧٠) معنى التأدية وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم لما بين انه يجوز

أسباط عن السدى وأن تصدقوا خير لكم قال وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الفقير فهو خير لكم فتصدق به العباس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم يقول وان تصدقت عليه برأس مالك فهو خير لك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك فى قوله وأن تصدقوا خير لكم يعنى على المعسر فاما الموسر فلا ولكن يؤخذ منه رأس المال والمعسر لا تأخذ منه حلال والصدقة عليه أفضل **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وأن تصدقوا برؤس أموالكم خير لكم من نظره الى ميسرة فاختار الله عز وجل الصدقة على النظارة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم قال من النظرة ان كنتم تعلمون **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم والنظرة واجبة وخيره الله عز وجل الصدقة على النظرة والصدقة لكل معسر فاما الموسر فلا وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال معناه وأن تصدقوا على المعسر برؤس أموالكم خير لكم لان تلو ذكر حكمه فى المعنيين والحاقه بالذى يليه أحب الى من الحاقه بالذى بعد منه وقد قيل ان هذه الآيات فى أحكام الربا هن آخر آيات نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد **وحدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وان نبى الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها فدعوا الربا والريبة **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر أن عمر رضى الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه والله ما أدرى لعلنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم وما أدرى لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم وانه كان من آخر القرآن تنزيلا آيات الربا فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبينه لنا فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم **حدثنى** أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان الثورى عن عاصم الاحول عن الشعبى عن ابن عباس قال آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا وانا نأمر بالشئ لا ندرى لعل به بأسا ونتهى عن الشئ لعله ليس به بأس ۞ القول فى تأويل قوله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقيل هذه الآية أيضا آخر آية نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك ثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس قال آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فهى آخر آية من الكتاب أنزلت **حدثنى** محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول عن عطية قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن أبى خالد عن السدى قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس وحجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آخر آية نزلت من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال ابن جريج يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدا يوم السبت ومات يوم الاثنين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال ثنى سعيد بن المسيب انه بلغه ان أحدث

صرف الصدقة الى أى فقير كان أراد أن يبين ان أشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء أى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فتقول عاقل لبيب أى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء أو المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحو أربعمائة رجل وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين أحصروا فى سبيل الله أى حصروا أنفسهم ووقعوا على الجهاد فى سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد فى عرف القرآن ولان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه القرآن

للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد فوضع الصدقة فيهم يكون أوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى أن هؤلاء قوم أصابتهم جراحات فى الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين

كاتب بالعدل قال اتقى الله كاتب فى كتبه فلا يدعن منه حقا ولا يزيدن فيه باطلا وأما قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فانه يعنى ولا يابى كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتب الدين كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك وحرمه كثيرا من خلقه وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتاب على الكاتب اذا استكتب ذلك بتغاير اختلافهم فى وجوب الكتاب على الذى له الحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ولا يأب كاتب قال واجب على الكاتب أن يكتب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب أواجب أن لا يابى أن يكتب قال نعم قال ابن جريج وقال مجاهد واجب على الكاتب أن يكتب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله قالا اذا لم يجدوا كاتبا فدعيت فلا تأب أن تكتب لهم ذكر من قال هى منسوخة قد ذكرنا جماعة ممن قال كل ما فى هذه الآية من الامر بالكتاب والاشهاد والرهن منسوخ بالآية التى فى آخرها واذكر قول من تركنا ذكره هنالك ببعض المعانى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا يأب كاتب قال كانت عزيمة فنسختها ولا يضار كاتب ولا شهيد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكان هذا واجبا على الكتاب * وقال آخرون هو على الوجوب ولكنه واجب على الكاتب فى حال فراغه ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله يقول لا يأب كاتب أن يكتب ان كان فارغا * والصواب من القول فى ذلك عندنا ان الله عز وجل أمر المتداينين الى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل وأمر الله فرض لازم الا أن تقوم حجة بانه ارشاد وندب ولا دلالة تدل على أن أمر مجمل ثناؤه باكتتاب الكتب فى ذلك وان تقدمه الى الكتاب ان لا يابى كابته ذلك ندب وارشاد فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ومن ضيعه منهم كان حرجا تضييعه ولا وجه لاعتلال من اعتل بان الامر بذلك منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته لان ذلك انما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل الى الكتاب أو الى الكاتب وأما الكتاب والكاتب موجودان فالفرض اذا كان الدين الى أجل مسمى ما أمر الله تعالى ذكره به فى قوله فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله وانما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة على السبيل التى قد بيناها فاما ما كان أحدهما غير نافى حكم الآخر فليس من الناسخ والمنسوخ فى شئ ولو وجب أن يكون قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخا قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله لوجب أن يكون قوله وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ناسخا الوضوء بالماء فى الحضر عند وجود الماء فيه وفى السفر الذى فرضه الله عز وجل بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأن يكون قوله فى كفارة الظهار فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ناسخا قوله فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فيسئل القائل ان قول الله عز وجل فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخ

أبى بكر حين تصدق باربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وكان أبو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال * التأويل أنفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه أحدها لو فسر الطيب بالحلال فليقبل الله منه ولو فسر بالجودة فليجز به بقدر جودته وثانيها ليثاب على التعظيم لامر الله وثالثها ليثاب على الشفقة على خلق الله ورابعها ليثاب على الايثار ويؤثرون على أنفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها ليثاب على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع فى زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر

الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفى الآية معنى آخر لطيف أنفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما أخرجنا لكم من أرض طينتكم فى تحليته ببرائر مكارم الاخلاق ولتكن النفقة طيبة من خيانة الشهات طيبا انفاقها من خيانة الاغراض الدنيوية والاخروية

عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال فمن ادان دينا فليكتب ومن باع فليشهد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فكان هذا واجبا وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وزاد فيه قال ثم قامت الرخصة والسعة قال فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان أبا سليمان المرعس كان رجلا صاحب كعبا فقال ذات يوم لاصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له قالوا وكيف يكون ذلك قال رجل باع شيأ فلم يكتب ولم يشهد فلما حل ماله جحده صاحبه فدعا ربه فلم يستجب له لانه قد عصى ربه وقال آخرون كان اكتتاب الكتاب بالدين فرضا فنسخه قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن شبرمة عن الشعبي قال لا بأس اذا أمنته أن لا تكتب ولا تشهد لقوله فان أمن بعضكم بعضا قال ابن عيينة قال ابن شبرمة عن الشعبي الى هذا انتهى حدثنا المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته قال الرخص من ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن عاصم عن الشعبي قال ان ائتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال فكانوا يرون ان هذه الآية فان امن بعضكم بعضا نسخت ما قبلها في الكتابة والشهود رخصة ورحمة من الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال غير عطاء نسخت الكتاب والشهادة فان امن بعضكم بعضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نسخ ذلك قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته قال ولو لا هذا الحرف لم يبع لاحد أن يدان بدين الا بكتاب وشهداء أو برهن فلما جاءت هذه نسخت هذا كله صار الى الامانة حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي قال سألت الحسن قلت كل من باع بيعا ينبغي له ان يشهد قال ألم تر ان الله عز وجل يقول فليؤد الذي أؤتمن أمانته حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته قال رخص في ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي في قوله فان أمن بعضكم بعضا قال ان أشهدت فحزم وان لم تشهد ففي حل وسعة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل ابن أبي خالد قال قلت للشعبي أرأيت الرجل يستدين من الرجل الشيء أحتم عليه أن يشهد قال فقال فقرأ الى قوله فان آمن بعضكم بعضا فقد نسخ ما كان قبله حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد ابن مروان العقيلي قال ثنا عبد الملك بن فضالة أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري انه قرأ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال فقرأ الى فان أمن بعضكم بعضا قال هذه نسخت ما قبلها

القول في تأويل قوله (وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله) يعني بذلك جل ثناؤه وليكتب كتاب الدين الى أجل مسمى بين الدائن والمدين كاتب بالعدل يعني بالحق والانصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما بما لا يحيف ذا الحق حقه ولا ينقصه ولا يوجبه حجة على من عليه دينه فيه بباطل ولا يلزمه ما ليس عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وليكتب بينكم

انفسهم لشدة حاجتهم كقوله ولي نفس أقول لها اذا ما * تنازعني لعلي أو عساني وقيل ان عدم السؤال بطريق الاخلاق يتضمن نفي السؤال عنهم رأسا لان كل سائل فلا بد أن يلم في بعض الاوقات كأنه يقول اذا أرقت ما وجهني فلا أرجع بغير مقصود وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه أمارات الحاجة فيكون في حال سكوته أنطق ما يكون فترق القلوب له فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من وقاحة الحال وآثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتحملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح أحد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان يأخذ أحدكم حبلا يحتطب به فيبيعه خير له من أن يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه أن ثواب هذا الانفاق الذي هو أعظم المصارف لا يكتنه كنهه فذلك موكل الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على أهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته اني بحسن خدمتك عالم ولحقك عارف كن أبلغ عملا ولك ان أجزك وأصل اليك ثم أرشد في خاتمة الآيات الى أكمل وجوه الانفاق بقوله الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها

كاتب

ولم يؤخروا مستعلين بوقت وحال والباء بمعنى في أي في الليل أو النهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية أيضا أي في أوقات السر والعلن أو على وصف المصدر أي انفاقا في علانية سرا أو على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل لما نزل للفقراء الذين أحصروا بعث عبد الرحمن بن عوف

الحق أفاض عليه تعالى غفرانه وبحار فضله وإحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل ما لا تدركه الأوهام للذين أحسنوا الهم الحسنى وزيادة فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات ما تكتسب (٧٥) بالبرهان وهي مشتركة بين أهل

غير الصنفين الآخرين واذا كان ذلك كذلك كان معلوما ان الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الاملال غير انه وضع عنه فرض الاملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه وان الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن املاله وان كان شديدا رشيدا اما لعي لسانه أو خرس به وان الموصوف بانه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع عن املاله اما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيملي عليه واما لغيبته عن موضع الاملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن املال الكتاب فوضع الله عنهم فرض املال ذلك للعلل التي وصفنا اذ كانت بهم وعذرهم بترك الاملال من أجلها وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولي الحق باملاله فقال فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يعني ولي الحق ولا وجه لقول من زعم ان السفيه في هذا الموضع هو الصغير وان الضعيف هو الكبير الاحمق لان ذلك وان كان كما قال لي جب أن يكون قوله أو لا يستطيع أن يمل هو هو العاجز من الرجال العقلاء الحائز الامر في أموالهم وأنفسهم عن الاملال اما العلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل واما الغيبة عن موضع الكتاب واذا كان ذلك كذلك معناه بطل معنى قوله فليملل وليه بالعدل لان العاقل الرشيد لا ولي عليه في ماله وان كان أخرس أو غائبا ولا يجوز حكم أحد في ماله الا بامره وفي صحة معنى ذلك ما يقضي على فساد قول من زعم أن السفيه في هذا الموضع هو الطفل الصغير أو الكبير الاحمق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يقول ولي الحق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل قال يقول ان عجز عن ذلك أمل ولي صاحب الدين بالعدل ذكر الرواية عمن قال عنى بالضعيف في هذا الموضع الاحمق وبقوله فليملل وليه بالعدل ولي السفيه والضعيف حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع ان يمل هو قال أمر ولي السفيه أو الضعيف ان يمل بالعدل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أما الضعيف فهو الاحمق حدثني المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أما الضعيف فالاحمق حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا لا يعرف فيثبت لهذا حقه ويجهل ذلك فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب في ذلك وأما قوله فليملل وليه بالعدل فانه يعني بالحق

القول في تأويل قوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعني بذلك جل ثناؤه واستشهدوا على حقوقكم شاهدين يقال فلان شهيدي على هذا المال وشاهدي عليه وأما قوله من رجالكم فانه يعني من أحراركم المسلمين دون عبيدكم ودون أحراركم الكفار كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واستشهدوا شهيدين من رجالكم قال الاحرار حدثني يونس قال أخبرنا علي بن سعيد عن هشيم عن داود بن أبي هند عن مجاهد مثله القول في تأويل قوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) يعني بذلك جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فليكن رجلا وامرأتين على الشهادة ورفع الرجل والمرأتان بالرد على الكون وان شئت قلت فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على ذلك وان شئت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه وان قلت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كان صوابا كل ذلك جائز ولو كان فرجل وامرأتان نصبا كان جائزا على تأويل فان لم يكونا

الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا تردد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويذكر الا أولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى لب عالم النور ثم أخبر عن توفية الاجور للمنفق في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء من أنصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن أذن له الله ابداء الصدقات ضد اخفائها واخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله أي عن حظوظ نفسه لتكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل الله قال صلى الله عليه وسلم ان المرء يكون في ظل صدقته يوم القيامة أي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت للجنة كان في ظل الجنة وان كانت للهوى كان في ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات أي

تظهروها لطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ فنعماهي فانها مرتبة الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين تعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها لقاء الله ثم أخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وأن الله فيها ولي الكفاية يا محمد ذلك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة وأنت سيد الاولين والآخرين

طيبا منفقها من خبائثه الا لنفقات والنظر في الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فالله قبول طيب من الوسائط فيأخذها بيده ويربيها قبل أن تقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في انفاقها فالله قبول طيب فانها أبلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فالله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من أصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولسنا بأخذي هذا الخبيث لاني أصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لانكم خلقتم من أصل طيب وطينة طيبة فالروح من أطيب الاطايب لانه أقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم أحياكم بالايمان فلتحيينه حياة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث في الظاهر والباطن الا أن تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا وقسرا كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم تكن الخبائث ذاتية للانسان بل كانت طارئة عليه عارية لذلك قال صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله ليطيب بالمواطبة عليها أخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة أن يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا أن الله غني فمن كمال غناه أراد أن يغنيكم بثواب الانفاق جعل على ما أنعم بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال الابدي الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة

قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ما الفرق بينه وبين القائل في التيمم ماذكرنا قوله فزعم أن كل ما أبيح في حال الضرورة لعلة الضرورة ناسخ حكمه في حال الضرورة حكمه في كل أحواله نظير قوله في ان الامر بالكتاب كتب الدين والحقوق منسوخ بقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته فان قال الفرق بيني وبينه ان قوله فان أمن بعضكم بعضا كلام منقطع عن قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة وقد انتهى الحكم في السفر اذا عدم فيه الكاتب بقوله فرهان مقبوضة وانما عنى بقوله فان أمن بعضكم بعضا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته قيل له وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس وقد انقضى الحكم في الدين الذي فيه الى الكاتب والكتاب سبيل بقوله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وأما الذين زعموا ان قوله فاكتبوه وقوله ولا يأب كاتب على وجه الندب والارشاد فانهم يسئلون البرهان على دعواهم في ذلك ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذي أمر في كتابه ويسئلون الفرق بين ما ادعوا في ذلك وأنكروه في غيره فلم يقولوا في شئ من ذلك قولا الا ألزموا في الآخر مثله ذكر من قال العدل في قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل الحق ۷ القول في تأويل قوله (وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ) يعني بذلك فليكتب الكاتب وليملل الذي عليه الحق وهو الغريم المدين بقول ليتول المدين املال كتاب ما عليه من دين رب المال على الكاتب وليتق الله وبه المملل الذي عليه الحق فليحذر عقابه في بخس الذي له الحق من حقه شيأ ان ينقص منه ظلما أو يذهب به منه تعديا فيؤخذ به حيث لا يقدر على قضائه الا من حسناته أو ان يتحمل من سيئاته كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فليكتب وليملل الذي عليه الحق فكان هذا واجبا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ يقول لا يظلم منه شيأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يبخس منه شيأ قال لا ينقص من حق هذا الرجل شيأ اذا أملى ۞ القول في تأويل قوله (فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل) يعني بقوله جل ثناؤه فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا فان كان المدين الذي عليه المال سفيها يعني جاهلا بالصواب في الذي عليه ان عليه على الكاتب كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان كان الذي عليه الحق سفيها أما السفيه فالجاهل بالاملاء والامور وقال آخرون بل السفيه في هذا الموضع الذي عناه الله الطفل الصغير ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فان كان الذي عليه الحق سفيها أما السفيه فهو الصغير حدثني يحيى ابن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا قال هو الصبي الصغير فليملل وليه بالعدل * وأولى التاويلين بالآية تاويل من قال السفيه في هذا الموضع الجاهل بالاملاء وموضع صواب ذلك من خطئه لما قد بينا قبل من ان معنى السفه في كلام العرب الجهل وقد يدخل في قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها كل جاهل بصواب ما عمل من خطئه من صغير وكبير وذكر وأنثى غير ان الذي هو أولى بظاهر الآية أن يكون مرادا بها كل جاهل بوضع خطا ما عمل وصوابه من بالغي الرجال الذين لا ولي عليهم والنساء لانه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى والصبي ومن يولى عليه لا يجوز مداينته وان الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرهم باملال كتاب الدين مع السفيه الضعيف ومن لا يستطيع املالا فني فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه في الصفة ومن لا يستطيع املاء الكتاب التي وصف بها كل واحد منهم ما أنبأ عن ان كل واحد من الاصناف الثلاثة الذين بين منه صفاتهم

---

۷ هكذا هذه العبارة بالاصل ولم يأت بمن قال ذلك فلعل فيه سقطا تامل اه مصححه

فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) القراآت الربا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله وما آتيتم من ربا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وأبو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة يقف بغير همزة أي بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسر بضم السين نافع ميسره بضم السين واثبات التاء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم التاء وأن تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أبو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول * الوقوف من المس ط مثل الربا ه كيلا يظن ان ما بعده من قولهم وان أمكن جعل وأحل حالا باضمار قد وحرم الربا ط لابتداء الشرط واستئناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج للعارض خالدون ه الصدقات ط أثيم ه عند ربهم ط يحزنون ه مؤمنين ه ورسوله ج أموالكم ج لان ما بعده مستأنف أو حال عامله معنى اللام التمليك ولا تظلمون ه ميسرة ط تعلمون

احداهما ذكرتها الاخرى وأما نصب فتذكر فبالعطف على تضل وفتحت ان يحاولها بحمل كي وهي في موضع جزاء والجواب بعده اكتفى بفتحها أعني بفتح ان من كي وسيق بالتاء أعني فتذكر على تضل ليعلم ان الذي قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر فقد دل عليه وادى عن معناه وعمله أي عن كي وانما اخترنا ذلك في القراءة لاجماع الحجة من قدماء القراء والمتاخرين على ذلك وانفراد الاعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاءبها المسلمون مستفيضة بينهم الى غيرها وأما اختيارها فتذكر بتشديد الكاف فانه بمعنى تادية الذكر من احداهما على الاخرى وتعريفها بانها ذلك لتذكر التشديد به أولى من التخفيف وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه فتأويل خطا لا معنى له لوجوه شتى * أحدها انه خلاف لقول جميع أهل التأويل * والثاني انه معلوم بان ضلال احدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها انما هو خطؤها عنها بنسيانها اياها كضلال الرجل في دينه اذا تحير فيه فعدل عن الحق واذا صارت احداهما بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الاخرى ذكرا معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لا شك انها الى التذكير أحوج منها الى الاذكار الآن أراد أن الذاكرة اذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها ستعدتها على ذكرها ضعفت بترك ذكره فنسيته فقوته بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكرها ضعفت عن ذكره من ذلك كما يقال للشيء القوي في عمله ذكر وكما يقال للسيف الماضي في ضربه سيف ذكر ورجل ذكر يراد به ماض في عمله قوي البطش صحيح العزم فان كان ابن عيينة هذا أراد فهو مذهب من مذاهب تاويل ذلك الا انه اذا تاول ذلك كذلك صار تاويله الى نحو تاويلنا الذي تاولنا فيه وان خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها بان تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله فتذكر ولا نعلم أحدا تاول ذلك كذلك ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى فالصواب في قوله اذ كان الامر عاما على ما وصفنا ما اخترنا ذكر من تاول قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى نحو تاويلنا الذي قلنا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علم الله أن ستكون حقوق فاخذ لبعضهم من بعض الثقة فخذوا بثقة الله فانه أطوع لربكم وأدرك لاموالكم ولعمري لئن كان تثقيلا يزيد الكتاب الا خيرا وان كان فاجرا فبالحري أن يؤدي اذا علم أن عليه شهودا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى يقول ان تنس احداهما فتذكرها الاخرى حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أن تضل احداهما يقول تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الاخرى حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك أن تضل احداهما يقول ان تنس احداهما تذكرها الاخرى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى قال كلاهما النقوهما سواء ونحن نقرأ فتذكر

القول في تاويل قوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداء عن اباء الاجابة اذا دعوا بهذه الآية فقال بعضهم معناه لا يأب الشهداء أن يجيبوا اذا دعوا ليشهدوا على الكتاب بالحق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فيدعوهم الى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم قال وكان قتادة يتأول هذه الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليشهدوا لرجل على رجل

وأنت أكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس كمثلك حداهم ولكن الهداية من خصائص سائقنا ولوائم برهاننا أنت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على أن أفضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي أحصرته المحبة في الله عن طلب المعاش لا الذي أحصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف أخذ عليه سلطان الحقيقة (٧٦) كل طريق فلانه في المشرق مذهب ولانه في المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب شعر

كأن فجاج الارض ضاقت برحبها
عليه فما يزداد طولا ولا عرضا

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة أهل الغيرية أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيري ما رأيت اذ رأيت ولكن الله رأى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم لا يرى بالبصر الانساني بل يرى من نور رباني فمن سيماهم في الظاهر من ظهور آثار أحوال الباطن أنهم لا يسألون الناس الحافا لا يقليل ولا بكثير لان آثار أنوار غنى قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال أو الجاه أو خدمة بالنفس أو اكرام أو ارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم في الظاهر أنهم اذا وجدوا مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا على ما يفوتهم لانهم

رجلين فاستشهدوا رجلا وامرأتين وقوله ممن ترضون من الشهداء يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم يقول في الدين فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وذلك في الدين ممن ترضون من الشهداء يقول عدول حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك واستشهدوا شهيدين من رجالكم أمر الله عز وجل ان يشهدوا ذوي عدل من رجالهم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ۞ القول في تاويل قوله (ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى بفتح الالف من ان ونصب تضل وتذكر بمعنى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كي تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير لان التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل لان المعنى ما وصفنا في قولهم وقالوا انما نصبنا تذكر لان الجزاء لما تقدم ان تضل بما قبله فصار جوابه مردودا عليه كما تقول في الكلام انه ليعجبني ان يسأل السائل فيعطى بمعنى انه ليعجبني أن يعطى السائل ان سأل أو اذا سأل فالذي يعجبك هو الاعطاء دون المسئلة ولكن قوله ان يسأل لما تقدم اتصل بما قبله وهو قوله ليعجبني فتح ان ونصب بها ثم اتبع ذلك قوله يعطى فنصبه بنصب قوله ليعجبني ان يسأل نسقا عليه وان كان في معنى الجزاء وقرأ ذلك آخرون كذلك غير انهم كانوا يقرؤنه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم في تاويل قراءتهم اياه كذلك وكان بعضهم يوجهه الى أن معناه فتصير احداهما الاخرى ذكرا باجتماعهما بمعنى ان شهادتها اذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين لان شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون الا باجتماع اثنتين على شهادة واحدة فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور فكأن كل واحدة منهما في قول متاولي ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكرا وذهب الى قول العرب لقد أذكرت بفلان أمه أي ولدته ذكرا فهي تذكر به وهي امرأة مذكرة اذا كانت تلد الذكور من الاولاد وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة انه كان يقوله حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام انه قال حدثت عن سفيان بن عيينة انه قال ليس تاويل قوله فتذكر احداهما الاخرى من الذكر بعد النسيان انما هو من الذكر بمعنى انها اذا شهدت مع الاخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر وقال آخرون منهم يوجهونه الى انه بمعنى الذكر بعد النسيان وقرأ ذلك آخرون فتذكر احداهما الاخرى بكسر ان من قوله ان تضل ورفع تذكر وتشديده كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان ان نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك عما قبله ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء فان احداهما ان ضلت ذكرتها الاخرى على استئناف الخبر عن فعلها ان نسيت احداهما شهادتها من تذكير الاخرى منهما صاحبتها الناسية وهذه قراءة كان الاعمش يقرأها ومن أخذها عنه وانما نصب الاعمش تضل لانها في محل جزم بحذف الجزاء وهو ان تاويل الكلام على قراءته ان تضل فلما اندغمت احدى اللامين في الاخرى حركها الى أخف الحركات ووقع تذكر بالتاء لانه جواب الجزاء بالفاء والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة من قرأه بفتح ان من قوله أن تضل احداهما وبتشديد الكاف من قوله فتذكر احداهما الاخرى ونصب الراء منه بمعنى فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان كي ان ضلت

احداهما

تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور

(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا

تذاكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف رأيي ثم بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أني قد رجعت عنه وبرئت الى الله منه حجتنا ابن عباس ان الله تعالى وأحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين وقوله وحرم الربا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة فوجب أن يبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى (٧٩) فيما بينهم ربا وهو ربا النسيئة وقد

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كانوا قد شهدوا حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال هو الذي عنده الشهادة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا يقول لا يأب الشاهد أن يتقدم فيشهد اذا كان فارغا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال هم الذين قد شهدوا قال ولا يضار انسانا أن يأبى ان يشهد ان شاء قلت لعطاء ماشأنه اذا دعي أن يكتب وجب عليه ان لا يأبى واذا دعي أن يشهد لم يجب عليه ان يشهد ان شاء قال كذلك يجب على الكاتب ان يكتب ولا يجب على الشاهد أن يشهد ان شاء الشهداء كثير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا شهد فلا يأب اذا دعي أن يأتي يؤدي شهادته ويقيمها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يأب الشهداء قال كان الحسن يتأولها اذا كانت عنده شهادة فدعي ليقيمها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كتب الرجل شهادته أو أشهد لرجل فشهد والكاتب الذي يكتب الكتاب دعوا الى مقطع الحق فعليهم أن يجيبوا وان يشهدوا بما أشهدوا عليه * وقال آخرون هو أمر من الله عز وجل الرجل والمرأة بالاجابة اذا دعي ليشهد على مالم يشهد عليه من الحقوق ابتداء لاقامة الشهادة ولكنه أمر ندب لا فرض ذكر من قال ذلك حدثني أبو العالية العبدي اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي في قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال أمرت أن تشهد فان شئت فاشهد وان شئت فلا تشهد حدثني أبو العالية قال ثنا أبو قتيبة عن محمد بن ثابت العصري عن عطاء بمثله * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال ولا يأب الشهداء من الاجابة اذا دعوا الاقامة الشهادة وأدائها عند ذي سلطان أو حاكم يأخذ من الذي عليه ما عليه للذي هو له وانما قلنا هذا القول بالصواب أولى في ذلك من سائر الاقوال غيره لان الله عز وجل قال ولا يأب الشهداء اذا مادعوا فانما أمرهم بالاجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم الشهداء وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء الا وقد استشهدوا قبل ذلك فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء فاما قبل أن يستشهدوا على شئ فغير جائز أن يقال لهم شهداء لان ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما استشهدوا على شئ يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الارض أحد له عقل صحيح الا وهو مستحق أن يقال له شاهد بمعنى انه سيشهد أو انه يصلح لان يشهد وان كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم الا من عنده شهادة لغيره أو من قد قام شهادته فلزمه لذلك هذا الاسم كان معلوما أن المعنى بقوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا من وصفنا صفته ممن قد استرعي شهادة أو شهد فدعي الى القيام بها لان الذي لم يستشهد ولم يسترع شهادة قبل الاشهاد غير مستحق اسم شهيد ولا شاهد لما قد وصفنا قبل مع أن في دخول الالف واللام في الشهداء دلالة واضحة على أن المسمى بالنهي عن ترك الاجابة للشهادة اشخاص معلومون قد عرفوا بالشهادة وانهم الذين أمر الله عز وجل أهل الحقوق باشهادهم بقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء واذا كان ذلك كذلك كان معلوما انهم انما أمروا باجابتهم داعيهم لاقامة شهادتهم بعدما استشهدوا فشهدوا ولو كان ذلك أمرا لمن أعرض من الناس فدعي الى الشهادة فشهد عليها لقيل ولا يأب شاهدا اذا مادعي غير ان الامر وان كان كذلك فان الذي نقول به في الذي يدعى لشهادة ليشهد عليها اذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلح للشهادة أن الفرض عليه اجابة داعيه اليها كما فرض على

تأكد هذا الرأي بما روى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا في النسيئة وفي رواية لا ربا الا فيما كان يدا بيد وذكر أبو المنهال انه سأل البراء بن عازب وزيد بن أرقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصح وأما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربا في القسمين أما النسيئة فبالقرآن وأما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه أما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسمي الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل أو الوزن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربا في كل مطعوم مكيل أو موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت أو يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربا وعند أبي حنيفة

لا يظلمون * التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربا وذلك ان بين الصدقة وبين الربا مناسبة من الضد فان الصدقة تنقيص ما مورجها والربا زيادة منهي عنها وأيضا لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب أن يرد فيما لا يكتسب الحرام وهو الربا والحلال وهو البيع ما يناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين يأكلون الربا أما الاكل فيعم جميع التصرفات الا أنه عبر عن الشئ بمعظم مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وأيضا نفس الربا لا يمكن أن يؤكل ولكن يصرف الى المأكول فيؤكل فالمراد التصرف فيه والربا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن أمالها فلكان كسر الراء وهو في المصحف مكتوب بالواو وأنت مخير في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربا قسمان ربا النسيئة وربا الفضل أما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على أن يأخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالب المديون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زاد في الحق والاجل وأما ربا الفضل فان يبيع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له أبو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد أسمعت ما لم نسمع فروى له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء ثم قال أبو سعيد لا أراني وإياك في ظل بيت ما دمت على هذا فيروى انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة أما

حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال كان الرجل يطوف في القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا فلا يتبعه أحد منهم فانزل الله عز وجل ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لا تأب ان تشهد اذا ما دعيت الى شهادة * وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء الا انهم قالوا يجب فرض ذلك على من دعي للاشهاد على الحقوق اذا لم يوجد غيره فاما اذا وجد غيره فهو في الاجابة الى ذلك مخير ان شاء أجاب وان شاء لم يجب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن جابر عن الشعبي قال لا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال ان شاء شهد وان شاء لم يشهد فاذا لم يوجد غيره شهد * وقال آخرون معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للشهادة على من أراد الداعي اشهاده عليه والقيام بما عنده من الشهادة من الاجابة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال الحسن الاقامة والشهادة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال كان الحسن يقول جعت أمرين لا تأب اذا كانت عندك شهادة أن تشهد ولا تأب اذا دعيت الى شهادة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يعني من احتج اليه من المسلمين شهد على شهادة ان كانت عنده ولا يحل له أن يأبى اذا ما دعي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لاقامتها ولا يبد أبها اذا دعاه ليشهده واذا دعاه ليقيمها * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للقيام بالشهادة التي عندهم للداعي من اجابته الى القيام بها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا شهد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يقول اذا كانوا قد أشهدوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانت عندك شهادة فدعيت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانت شهادة فاقمها فاذا دعيت لتشهد فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح عن عمران بن حدير قال قلت لابي مجلز ناس يدعونني لاشهد بينهم وأنا أكره ان أشهد بينهم قال دع ما تكره فاذا شهدت فاجب اذا دعيت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر قال الشاهد بالخيار ما لم يشهد حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لاقامة الشهادة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي عامر عن عطاء قال في اقامة الشهادة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو عامر المزني قال سمعت عطاء يقول ذلك في اقامة الشهادة يعني قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بحرة أخبرنا عن الحسن انه سأله سائل قال أدعى الى الشهادة وأنا أكره ان أشهد عليها قال فلا تجب ان شئت حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة قال سألت ابراهيم قلت أدعى الى الشهادة وأنا أخاف ان أنسى قال فلا تشهد ان شئت حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن عطاء قال للاقامة حدثنا

تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يصرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وأرباب الحزم والدهاء وأكثر المسلمين على أن الشيطان لا يبعد أن يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى والمفسرين في الآية أقوال أحدها ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع أو يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا آكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هنالك حركات مضطربة وأفعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات آكل الربا على ذلك أورثه الخبط في الآخرة وأوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع ومن حق القياس ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا أو نسيئة فهذا حلال وكذا اذا أعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع

الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فلا أجل فيها ولا تأخير ولا نساء فليس عليكم جناح ألا تكتبوها يقول فلا حرج عليكم ألا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم يقول معكم بالبلد تروونها فتؤخذون فليس على هؤلاء جناح ألا يكتبوها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله الى قوله فليس عليكم جناح ألا تكتبوها قال أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله وأمر ما كان يدا بيد أن يشهد عليه صغيرا كان أو كبيرا ورخص لهم ألا يكتبوه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وعامة القراء الا أن تكون تجارة حاضرة بالرفع وانفرد بعض قراء الكوفيين فقرأه بالنصب وذلك وان كان جائزا في العربية اذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان وتضمر معها في كان مجهولا فتقول ان كان طعاما طيبا فائتنابه وترفعها فتقول ان كان طعام طيب فائتنابه فتتبع النكرة خبرها بمثل اعرابها فان الذي أختار من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغيره الرفع في التجارة الحاضرة لاجماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم ولا يعترض بالشاذ على الحجة ومما جاء نصبا في ذلك قول الشاعر

أعيني هلا تبكيان عفاقا * اذا كان طعنا بينهم وعناقا

(وقال الآخر)

ولله قومي أي قوم بحرة * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

وانما تفعل العرب ذلك في النكرات لما وصفنا من اتباع أخبار النكرات أسماءها وكان من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب فاذا رفعوهما جميعهما تذكروا اتباع النكرة خبرها واذا نصبوهما تذكروا صحبة كان منصوب ومرفوع ووحدوا النكرة يتبعها خبرها وأخبر وافي كان مجهولا لاحتمالها الضمير وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك الا أن تكون تجارة حاضرة انما قرأه على معنى الا أن يكون تجارة حاضرة فزعم انه كان يلزم قارئ ذلك أن يقرأ يكون بالياء وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الاعراب وألزمه غير ما يلزمه وذلك ان العرب اذا جعلوا مع كان نكرة ومؤنثا تتبعها أو خبرها أنثوا كان مرة وذكروها أخرى فقالوا ان كانت جارية صغيرة فاشتروها يذكر كان وان نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت أحيانا وتؤنث أحيانا وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله الا أن تكون تجارة حاضرة مرفوعة فيه التجارة الحاضرة لان يكون بمعنى التمام ولا حاجة بها الى الخبر بمعنى الا أن توجد أو تقع أو تحدث فالزم نفسه ما لم يكن لها الزاما لانه انما ألزم نفسه ذلك اذ لم يكن يجد لكان منصوبا ووجد التجارة الحاضرة مرفوعة وأغفل جواز قوله تديرونها بينكم أن تكون خبر الكان فيستغني بذلك عن الزام نفسه ما ألزم والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ في العربية غير أن الذي قلنا بكلام العرب أشبه وفي المعنى أصح وهو أن يكون في قوله تديرونها بينكم وجهان أحدهما أنه في موضع نصب على أنه حال من خبر كان والتجارة الحاضرة اسمها والآخر أنه في موضع رفع على اتباع التجارة الحاضرة لان خبر النكرة يتبعها فيكون تاويله الا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ﴿ القول في تاويل قوله (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعني بذلك جل ثناؤه وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم عاجل ذلك وآجله ونقده ونسائه فان ارخاصي لكم في ترك الكتاب الكتاب بينكم فيما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدا بيد

العلة الكيل حتى ثبت الربا في الجص والنورة وعن أحمد رواية كأبي حنيفة والأخرى كالجديد وأما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما لعينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب (٨٠) والفضة لانتفاء العلة وقال أحمد وأبو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه وأما السبب في تحريم الربا فهو أن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض وأخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء رأس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من أن يتجر فيه وينتفع به أمر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل وأخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا أو نسيئة أعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولانه تمكين للغني من أن يأخذ من الزائد من الفقير وقيل ان حرمة الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقوم الاكما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء أو تخبط الشيطان قيل من الا زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس أي مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا أيضا من زعماتهم وقيل ان عادة الناس اذا أرادوا تقبيح شيء أن يضيفوه الى الشيطان كما في قوله

الكاتب اذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه فغرض عليه ان يكتب كما فرض على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الايمان وشرائع الاسلام فحضره جاهل بالايمان وبفرائض الله فسأله تعليمه وبيان ذلك له أن يعلمه ويبينه له ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الاجابة للشهادة اذا دعي ابتداء ليشهد على ما أشهد عليه بهذه الآية ولكن بأدلة سواها وهي ما ذكرنا وقد فرضنا على الرجل احياء ما قدر على احيائه من حق أخيه المسلم والشهداء جمع شهيد ۞ القول في تأويل قوله (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تسأموا أيها الذين تداينون الناس الى أجل ان تكتبوا صغير الحق يعني قليله أو كبيره يعني أو كثيره الى أجله الى أجل الحق فان الكتاب أحصى للاجل والمال حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن ليث عن مجاهد ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله قال هو الدين ومعنى قوله ولا تسأموا الاتملوا يقال منه سئمت فانا اسأم سأمة وسآمة ومنه قول لبيد

ولقد سئمت تكاليف الحياة ومن * يعش ثمانين عاما لا أبا لك يسأم

يعني يملّ وقال بعض نحويي البصريين تأويل قوله الى أجله الى أجل الشاهد ومعناه الى الاجل الذي تجوز شهادته فيه وقد بينا القول فيه ۞ القول في تأويل قوله (ذلكم أقسط عند الله) يعني جل ثناؤه بقوله ذلكم اكتتاب كتاب الدين الى أجله ويعني بقوله أقسط أعدل عند الله يقال منه أقسط الحاكم فهو يقسط اقساطا وهو مقسط اذا عدل في حكمه وأصاب الحق فيه فاذا جار قيل قسط فهو يقسط قسوطا ومنه قول الله عز وجل وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا يعني الجائرون وبمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله ذلكم أقسط عند الله يقول أعدل عند الله ۞ القول في تأويل قوله (وأقوم للشهادة) يعني بذلك جل ثناؤه وأصوب للشهادة وأصله من قول القائل أقمته من عوجه اذا سويته فاستوى وانما كان الكتاب أعدل عند الله وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه لانه يحوي الالفاظ التي أقربها البائع والمشتري ورب الدين والمستدين على نفسه فلا يقع بين الشهود اختلاف في ألفاظهم بشهادتهم لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب واذا اجتمعت شهادتهم على ذلك كان فصل الحكم بينهم أبين لمن احتكم اليه من الحكام مع غير ذلك من الاسباب وهو أعدل عند الله لانه قد أمر به وأتباع أمر الله لاشك انه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه ۞ القول في تأويل قوله (وأدنى ألا ترتابوا) يعني جل ثناؤه بقوله وأدنى وأقرب من الدنو وهو القرب ويعني بقوله ألا ترتابوا من أن لا تشكوا في الشهادة كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ذلك أدنى ألا ترتابوا يقول لا تشكوا في الشهادة وهو تفعيل من الريبة ومعنى الكلام ولا تملوا أيها القوم أن تكتبوا الحق الذي لكم قبل من داينتموه من الناس الى أجل صغيرا كان ذلك الحق قليلا أو كثيرا فان كتابكم ذلك أعدل عند الله وأصوب لشهادة شهودكم عليه وأقرب لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والاجل اذا كان مكتوبا ۞ القول في تأويل قوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يساموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوق التي لهم عليهم ما وجب لهم قبلهم من حق عن مبايعة بالنقود الحاضرة يدا بيد فرخص لهم في ترك اكتتاب الكتب بذلك لان كل واحد منهم أغنى من الباعة والمشتري يقبض اذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعونه بعدا ما وجب له قبل مبايعيه قبل المفارقة فلا حاجة لهم في ذلك الى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتابا بما وجب لهم قبلهم وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم فلذلك قال تعالى ذكره

تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب ثم الحاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وأيضا روى ان عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وأيضا قوله وأحل الله البيع يقتضي أن يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربا يقتضي أن يكون كل ربا حراما لان

كاتب فيكتب غير الذي أملى عليه قال والكتاب يومئذ قليل ولا يدرون أي شئ يكتب فضار فيكتب الذي غير الذي أملى عليه فيبطل حقهم قال والشهيد يضار فيحول شهادته فيبطل حقهم فاصل الكلمة على تاويل من ذكرنا من هؤلاء ولا يضار كاتب ولا شهيد ثم أدغمت الراء في الراء لانهما من جنس وحركت الى الفتح وموضعها جزم لان الفتح أخف الحركات * وقال آخرون ممن تاول هذه الكلمة هذا التأويل معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بالامتناع ممن دعاهما الى أداء ما عندهما من العلم والشهادة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول أن يؤديا ما قبلهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار أن يؤديا ما عندهما من العلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال لا يضار كاتب ولا شهيد قال أن يدعوهما فيقولان ان لنا حاجة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد ولا يضار كاتب ولا شهيد قالا واجب على الكاتب أن يكتب ولا شهيد قالا اذا كان قد شهد قبله * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يضار المستكتب والمستشهد والكاتب والشهيد وتاويل الكلمة على مذهبهم ولا يضار على وجه ما لم يسم فاعله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كان عمر يقرأ ولا يضار وكاتب ولا شهيد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك قال كان ابن مسعود يقرأ ولا يضار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد انه كان يقرأ ولا يضار كاتب ولا شهيد وانه كان يقول في تاويلها ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده الى أن يشهد ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه ان ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته وقال مجاهد لا يقم عن شغله وحاجته فيجد في نفسه أو يخرج حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد والضرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله قد أمرك ان لا تابى اذا دعيت فيضاره بذلك وهو مكتف بغيره فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال وان تفعلوا فانه فسوق بكم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول انه يكون للكاتب والشاهد حاجة ليس منها بد فيقول خلوا سبيله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال يكون به العلة أو يكون مشغولا يقول فلا يضار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه كان يقول ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول لا يأتي الرجل فيقول انطلق فاكتب لي واشهد لي فيقول ان لي حاجة فالتمس غيري فيقول اتق الله فانك قد أمرت أن تكتب لي فهذه المضارة ويقول دعه والتمس غيره والشاهد بتلك المنزلة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول يدعو الرجل الكاتب والشهيد فيقولان لنا حاجة فيقول الذي يدعوهما ان الله عز وجل أمركما أن تجيبا في الكتابة والشهادة يقول الله عز وجل لا يضارهما حدثت عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد هو الرجل يدعو الكاتب والشاهد وهما على حاجتهما فيقولان انا على حاجتهما فاطلب غيرنا فيقول والله لقد أمركما أن تجيبا فامره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما يعني لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما حدثني موسى قال ثنا عمر وقال

الربا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا وجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة فانتهى امتنع من استحلال الربا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم أو للتقليل أي موعظة بليغة أو شئ من المواعظ وقيل النهي المتأخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما أكل من الربا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه أول ما يخرج من عصيرها وأمره الى الله لانه ان انتهى عن أكل الربا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

يشاء ومن عاد الى استحلال الربا وانه مثل البيع فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى أكل الربا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربا وكان بالغ في الآي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربا وفعل الصدقة فقال (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) والمحق نقص الشئ حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من

ونقد الليس بارخاص منى لكم فى ترك الاشهاد منكم على من بعتموه شيأ أو ابتعتم منه لان فى تركم الاشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين أما على المشترى بان يجحد البائع المبيع وله بينة على ملكه ما قد باع ولا بينة للمشترى منه على الشراء منه فيكون القول حينئذ قول البائع مع يمينه ويقضى له به فيذهب مال المشترى باطلا وأما على البائع فان يجحد المشترى الشراء وقد زال ملك البائع عما باع ووجب له قبل المبتاع ثمن ما باع فيحلف على ذلك فيبطل حق البائع قبل المشترى من ثمن ما باعه فامر الله عز وجل الفريقين بالاشهاد لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر ثم اختلفوا فى معنى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم أهو أمر من الله واجب بالاشهاد عند المبايعة أم هو ندب فقال بعضهم هو ندب ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن وشقيق عن رجل عن الشعبى فى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ألم تسمع الى قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا الربيع بن صبيح قال قلت للحسن أرأيت قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان أشهدت عليه فهو ثقة للذى لك وان لم تشهد عليه فلا باس حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن صبيح قال قلت للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقد فى شهرين ولا ثلاثة أترى باسا أن لا أشهد عليه قال ان أشهدت فهو ثقة للذى لك وان لم تشهد فلا باس حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن داود عن الشعبى وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاؤا أشهدوا وان شاؤا لم يشهدوا * وقال آخرون الاشهاد على ذلك واجب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ولكن أشهدوا عليها اذا تبايعتم أمر الله ما كان يديد أن يشهدوا عليه صغيرا كان أو كبيرا حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان بيع حاضر فان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وما كان من بيع الى أجل فامر الله أن يكتب ويشهد عليه وذلك فى المقام وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن الاشهاد على كل مبيع ومشترى حق واجب وفرض لازم لما قد بينا من ان كل أمر لله ففرض لازم ما قامت حجته من الوجه الذى يجب التسليم له بانه ندب وارشاد وقد دللنا على وهى قول من قال ذلك منسوخ بقوله فليؤد الذى اؤتمن أمانته فيما مضى فاغنى عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله (ولا يضار كاتب ولا شهيد) اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم ذلك نهى من الله لكاتب الكتاب بين أهل الحقوق والشهيد أن يضار أهله فيكتب هذا ما لم يملله المملى ويشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يملل عليه ولا شهيد بما لم يستشهد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس قال كان الحسن يقول لا يضار كاتب فيزيد شيأ أو يحرف ولا شهيد قال لا يكتم الشهادة ولا يشهد الا بحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قتادة قال اتقى الله شاهد فى شهادته لا ينقص منها حقا ولا يزيد فيها باطلا اتقى الله كاتب فى كتابه فلا يدع منه حقا ولا يزيد فيه باطلا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار كاتب فيكتب ما لم يملل ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار

يدله على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربا دون الاقدام على أكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون أكل الربا من الكبائر ويجب تاويل مقدمة الآية بان المراد من أكلهم الربا استطابته واستحلاله كما يقال فلان يأكل مال الله قضما وهضما أى يستحل التصرف فيه الان جمهور المفسرين جعلوا الآية على وعيد من يتصرف فى مال الربا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل أن يكون قوله وأحل الله البيع وحرم الربا من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد وأكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار هو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار أو على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وأيضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وأيضا المسلمون لم يزالوا متمسكين فى البيع بهذه الآية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث الشافعى

كاتب

وهو ان الآية من المجملات التى لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفى فى العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته أضعف مما لو قيل وأحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع ذلك فقد

ان يعود كلاهما الى أكل الربا ويكون تغليظا في أمر الربا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الآية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربا فان استحلاله كفر وهو في نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى الآية ساكتة عن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما نعم قد عرفه بدليل آخر وان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام لم يستاهل بمحبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن حكمه ههنا والله أعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان كما مر وأجيب بانه قال في الآية وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة وردبان الاصل حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم أجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد وذلك النقد حاضر متى شاء البائع أخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة ولا شك ان الاول أفضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس أي فيما يستقبلهم من أحوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال

الله ويبين لكم الواجب لكم وعليكم فاعملوا به والله بكل شئ عليم يعني من أعمالكم وغيرها يحصيها عليكم ليجازيكم بها ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله ويعلمكم الله قال هذا تعليم علمكموه فخذوا به ۞ القول في تاويل قوله (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته القراء في الامصار جميعا كاتبا بمعنى ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذي تداينتموه الى أجل مسمى فرهان مقبوضة وقرأ جماعة من المتقدمين ولم تجدوا كتابا بمعنى ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين سبيل اما بتعذر الدواة والصحيفة واما بتعذر الكاتب وان وجدتم الدواة والصحيفة والقراءة التي لا تجوز غيرها عندنا هي قراءة الامصار ولم تجدوا كاتبا بمعنى من يكتب لان ذلك كذلك في مصاحف المسلمين وان كنتم أيها المداينون في سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين الذي تداينتموه الى أجل بينكم مسمى الذي أمرتكم باكتتابه والاشهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التي تداينتموها الى الاجل المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينوه كذلك ليكون ثقة لكم باموالكم ذكر من قال ما قلنا في ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فمن كان على سفر فبايع بيعا الى أجل فلم يجد كاتبا فرخص له في الرهان المقبوضة وليس له ان وجد كاتبا أن يرتهن حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا يقول كاتبا يكتب لكم فرهان مقبوضة حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان من بيع الى أجل فامر الله عز وجل أن يكتب ويشهد عليه وذلك في المقام فان كان قوم على سفر تبايعوا الى أجل فلم يجدوا فرهان مقبوضة ذكر من تأول ذلك على القراءة التي حكيناها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس فان لم تجدوا كاتبا يعني بالكتاب الكاتب والصحيفة والدواة والقلم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني أبي عن ابن عباس انه قرأ فان لم تجدوا كتابا قال ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتبا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد كان يقرأها فان لم تجدوا كتابا ويقول ربما وجد الكاتب ولم يجد الصحيفة أو المداد ونحو هذا من القول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا يقول مدادا يقرأها كذلك يقول فان لم تجدوا مدادا فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة فرهن مقبوضة قال لا يكون الرهن الا في السفر حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب قال ان أبا العالية كان يقرأها فان لم تجدوا كتابا قال أبو العالية توجد الدواة ولا توجد الصحيفة * واختلف القراء في قراءة قوله فرهان مقبوضة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق فرهان مقبوضة بمعنى جماع رهن كما الكباش جمع كبش والبغال جمع بغل والنعال جمع نعل وقرأ ذلك جماعة آخرون فرهن مقبوضة على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع وقد وجهه بعضهم الى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف وقرأه آخرون فرهن مخففة الهاء على معنى جمع رهن كما تجمع السقف سقفا قالوا ولا نعلم اسما على فعل يجمع على فعل وفعل الا الرهن والرهن والسقف والسقف والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه فرهان مقبوضة لان ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فعل كما يقال جبل وجبال وكعب وكعاب ونحو ذلك من الاسماء فاما جمع الفعل على الفعل أو الفعل فنادر قليل انما جاء في أحرف يسيرة وقيل سقف وسقف وسقف وقلب وقلب وقلب من قلب النخل وجدد وجدد للجد

الى حال أخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق أهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وأيضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة أزيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب

محق الربا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الآخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان تؤول عاقبته الى الفقر وزوال البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما جامع الظلمة في ماله ظنا منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربا لا يبقى عند الموت وتبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربا المثل الذي ضربه فيما تقدم * كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم مهره أو فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وأيضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وتميل القلوب اليه وتنقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان في المآل والصدقة ان كانت نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل كفار أثيم الكفار فعال من الكفر الله ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كختار وقوال والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو أيضا للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحدا وجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل

ثنا اسباط عن السدي قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ليس ينبغي أن يعترض رجلا له حاجة فيضاره فيقول له اكتب لي فلا يتركه حتى يكتب له ويفوته حاجته ولا شاهدا من شهود له وهو مشغول فتقول اذهب فاشهد لي تحبسه عن حاجته وأنت تجد غيره حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لما نزلت هذه الآية ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله كان أحدهم يجيء الى الكاتب فيقول اكتب لي فيقول اني مشغول أولي حاجة فانطلق الى غيري فيلزمه ويقول انك قد أمرت أن تكتب لي فلا يدعه ويضاره بذلك وهو يجد غيره ويأتي الرجل فيقول انطلق معي فيقول اذهب الى غيري فاني مشغول أولي حاجة فيلزمه ويقول قد أمرت أن تتبعني فيضاره بذلك وهو يجد غيره فانزل الله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ان لي حاجة فدعني فيقول اكتب لي ولا شهيد كذلك * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بمعنى ولا يضارهما من استكتب هذا أو استشهد هذا بان يأبى على هذا الا أن يكتب له وهو مشغول بأمر نفسه ويأبى على هذا الا أن يجيب الى الشهادة وهو غير فارغ على ما قاله قائلو ذلك من القول الذي ذكرنا قبل وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره لان الخطاب من الله عز وجل في هذه الآية من مبتدئها الى انقضائها على وجه افعلوا ولا تفعلوا انما هو خطاب لاهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتاب والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون فاما ما كان من أمر أو نهي فيها لغيرهم فانما هو على وجه الامر والنهي للغائب عن المخاطب كقوله وليكتب بينكم كاتب وكقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وما أشبه ذلك فالواجب اذا كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم أشبه منه بان يكون مردودا على الكاتب والشهيد ومع من ذلك ان الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرر لقيل وان يفعلا فانه فسوق بهما لانهما اثنان وانهما غير مخاطبين بقوله ولا يضار بل النهي بقوله ولا يضار نهي للغائب عن المخاطب فتوجيه الكلام الى ما كان نظير المعاني في سياق الآية أولى من توجيهه الى ما كان منعدلا عنه ۞ القول في تأويل قوله (وان تفعلوا فانه فسوق بكم) يعني بذلك جل ثناؤه وان تضاروا الكاتب والشاهد وما نهيتم عنه من ذلك فانه فسوق بكم يعني اثم بكم ومعصية * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك وان تفعلوا فانه فسوق بكم يقول ان تفعلوا غير الذي آمركم به فانه فسوق بكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس وان تفعلوا فانه فسوق بكم والفسوق المعصية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق العصيان * وقال آخرون معنى ذلك وان يضار كاتب فيكتب غير الذي أملي المملي ويضار شهيد فيحول شهادته ويغيرها فانه فسوق بكم يعني فانه كذب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق الكذب قال هذا فسوق لانه كذب الكاتب قول كتابه فكذب وكذب الشاهد قول شهادته فاخبرهم الله انه كذب وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد انما معناه لا يضارهما المستكتب والمستشهد بما فيه الكفاية بقوله وان تفعلوا انما هو اخبار منه مضارهما بحكمه فيهما وان من يضارهما فقد عصى ربه وأثم به وركب ما لا يحل له وخرج عن طاعة ربه في ذلك ۞ القول في تأويل قوله (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) يعني بقوله جل ثناؤه واتقوا الله وخافوا الله أيها المتداينون في الكتاب والشهود ان تضاروهم وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه ويعني بقوله ويعلمكم

فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب الشافعي وأما سبب نزول الآية فعن ابن عباس رضي الله عنهما والله أعلم انها نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فاتى بنو عمرو بن عمير و بنو المغيرة الى عتاب بن أسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان أنتما أخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما جاء الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربا فان لم تفعلوا أي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربا لانه خطاب

الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول على الشاهد أن يشهد حيث ما استشهد ويجير بها حيث استجير حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن مسلم قال أخبرنا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا كانت عندك شهادة فسألك عنها فاخبره بها ولا تقل أخبر بها عند الامير أخبره بها لعله يراجع أو يرعوي وأما قوله والله بما تعملون فانه يعني بما تعملون في شهاداتكم من اقامتكم والقيام بها أو كتمانكم اياها عند حاجة من استشهدكم اليها و بغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها عليم يحصيه عليكم ليجزيكم بذلك كله جزاءكم اما خيرا واما شرا على قدر استحقاقكم ۞ القول في تاويل قوله (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) يعني جل ثناؤه بقوله لله ما في السموات وما في الارض لله ملك كل ما في السموات وما في الارض من صغير وكبير واليه تدبير جميعه و بيده صرفه وتقليبه لا يخفى عليه منه شئ لانه مدبره ومالكه ومصرفه وانما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادة يقول لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ومن يكتمها يغير قلبه ولن يخفى على كتمانه ذلك لاني بكل شئ عليم و بيدي صرف كل شئ في السموات والارض وملكه أعلم خفي ذلك وجليه فاتقوا عقابي اياكم على كتمانكم الشهادة وعيد من الله بذلك من كتمها وتخويف عامنه به ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فاض عمرها أو أظهر موبقة فابداها من نفسه من المحاسبة عليها فقال وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أيها القول وان تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حق رب المال الجحود والانكار وتخفوا ذلك فتضمروا في أنفسكم وغير ذلك من سيئ أعمالكم يحاسبكم به يعني بذلك يحتسب به عليه من أعماله فيجازي من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله وغافر منكم لمن شاء من المسلمين ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فقال بعضهم بما فلنا من أنه عنى به الشهود في كتمانهم الشهادة وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها ذكر من قال ذلك حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا أبو نفيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول يعني في الشهادة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال في الشهادة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال سئل داود عن قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فحدثنا عن عكرمة قال هي الشهادة اذا كتمتها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو وأبي سعيد انه سمع عكرمة يقول في هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال في الشهادة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي عن الشعبي في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال في الشهادة حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نزلت في كتمان الشهادة واقامتها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن عكرمة في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يعني كتمان الشهادة واقامتها على وجهها * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية اعلاما من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لا يعملونه ثم اختلف متأولو ذلك كذلك فقال بعضهم ثم نسخ الله ذلك بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن

أزيد مما وجدنا فان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وهو سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله ولما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت أو الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب عليه الصلاة والزكاة مات فهما بالاتفاق من أهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربا فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا فبين انه يحرم أخذ ما بقي من الربا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا أيها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب ان هذا كما يقال ان كنت أخي فاكرمني معناه ان من كان أخا أكرم أخاه ومعناه اذ كنتم مؤمنين أو ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان أو يا أيها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا أصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر وأجيب بان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وظن نفسه على ان تلك الزيادة حصلت له فخطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون بالتخلي عما نهى عنه وهذه الآية أصل كبير في أحكام الكفار اذا أسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو ولا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام

الذي هو بمعنى الخط وأما ما جاء من جمع فعل على فعل فنحو وثن ووثن ورد ورجو ورجو وانما دعا الذي قرأ ذلك فرهن مقبوضة الى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فعل انه وجد الرهان مستعملة في رهان الخيل فاحب صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل الذي هو بغير بمعنى الرهان الذي هو جمع رهن ووجد الرهن مقولا في جمع رهن كما قال قعنب

بانت سعاد وأمسى دونها عدن * وعلقت عندها من قبلك الرهن

القول في تاويل قوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه) يعني بذلك جل ثناؤه فان كان المدين أمينا عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفر رهنا بدينه لامانته عنده على ماله وثقته فليتق الله المدين ربه يقول فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده أو يلطل دونه أو يحاول الذهاب به فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه اليه وقد ذكرنا قول من قال هذا الحكم من الله عز وجل ناسخ الاحكام التي في الآية قبلها من أمر الله عز وجل بالشهود والكتاب وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته انما يعني بذلك في السفر فاما الحضر فلا وهو واجد كاتبا فليس له أن يرتهن ولا يأمن بعضهم بعضا وهذا الذي قاله الضحاك من أنه ليس لرب الدين ائتمان المدين وهو واجد الى الكاتب والكتاب والاشهاد عليه سبيلا وان كان في سفر فكما قال لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل وأما ما قال من أن الامر في الرهن أيضا كذلك مثل الائتمان في أنه ليس لرب الحق الارتهان بماله اذا وجد الى الكاتب والشهيد سبيلا في حضر أو سفر فانه قول لا معنى له لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشترى طعاما لنسائه ورهن به درعا له فجائز للرجل أن يرتهن بما عليه ويرتهن بماله من حق في السفر والحضر لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان معلوما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حين رهن من ذكرنا غير واجد كاتبا ولا شهيدا لانه لم يكن متعذرا عليه بمدينته في وقت من الاوقات الكاتب والشاهد غيرانهما اذا تبايعا برهن فالواجب عليهما اذا وجدا سبيلا الى كاتب وشهيد وكان البيع أو الدين الى أجل مسمى أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرهن وانما يجوز ترك الكتاب والاشهاد في ذلك حيث لا يكون لهما الى ذلك سبيل القول في تاويل قوله (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) وهذا خطاب من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدين ورب المال باشهادهم فقال لهم ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تكتموا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحكام كما شهدتم على ما شهدتم عليه ولكن أجيبوا من شهدتم له اذا دعاكم لاقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته وابائه من أدائها والقيام به عند حاجة المستشهد الى قيامه بها عند الحاكم أو ذي سلطان فقال ومن يكتمها يعني ومن يكتم شهادته فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه مكتسب بكتمانه اياها معصية الله كما حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فلا يحل لاحد أن يكتم شهادة هي عنده وان كانت على نفسه والوالدين ومن يكتمها فقد ركب اثما عظيما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله لان الله يقول ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وشهادة الزور

من المال والنظرة التأخير والامهال وفى الآية حذف والتقدير فالحكم أو فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره على الامر أى سامحه بالانتظار وناظره أى صاحب الحق منتظرة أو ذو نظره مثل مكان عاشب أى ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله وإقام الصلوة (٨٩) واختلفوا فى ان حكم الانظار مختص بالربا أو عام فى الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدى وابراهيم الآية فى الربا قال الكلبى قال بنو عمرو لبنى المغيرة هاتوا رؤس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم أهل عسرة فاخرونا الى أن تدرك الثمرة فابوا أن يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة فى كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلا بد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن أداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول أكثر الفقهاء كمالك وأبى حنيفة والشافعى والاعسار فى الشرع هو أن لا يجد فى ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له مال لو باعه لامكن أداء الدين من ثمنه ومن وجد دارا أو ثوبا لا يعد من ذوى العسارة اذا أمكنه بيعها وأداء ثمنها ولا يجوز له أن يحبس الاقوت يومه لنفسه وعياله ومالا بد لهم من كسوة لصلاتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه أن يؤجر نفسه من صاحب الدين أو غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا الوبذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه أن يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا ذلك واذا علم الانسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وأن يطالبه بماله عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ربح فى اعساره جاز أن يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذى لزمه حصل له عن

فنسختها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله الى قوله وعليها ما اكتسبت فتجوز لهم من حديث النفس وأخذوا بالاعمال **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سالم ان أباه قرأ ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فدمعت عينه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التى بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال نسخت هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه لا يكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قالوا أنؤاخذ بما حدثنا به أنفسنا ولم تعمل به جوارحنا قال فنزلت هذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت قال فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة لم تعطها الامم قبلها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل عن عامر ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فنسختها الآية بعدها قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها الآية التى بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله وان تبدوا قال يحاسبكم بما بدا من سر أو اخفى من صر فنسختها التى بعدها **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبى قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فكان فيها شدة حتى نزلت هذه الآية التى بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فنسخت ما كان قبلها **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ذكروا عند الشعبى ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه حتى بلغ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فقال الشعبى الى هذا صار رجعت الى آخر الآية **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال قال ابن مسعود كانت المحاسبة قبل أن تنزل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلما نزلت نسخت الآية التى كانت قبلها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يذكر عن ابن مسعود نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن الشعبى قال نسخت ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وسفيان عن جابر عن مجاهد وعن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قالوا نسخت هذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر بمثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن حميد عن الحسن فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الى آخر الآية قال محتها لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه قال نسخت هذه الآية يعنى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية التى كانت قبلها ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا

لمع قوم تقدم ذكرهم وما هم إلا المخاطبون بقوله يا أيها الذين آمنوا ومعنى قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا به من لم ينته عن الربا
بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا أمروا باعلام غيرهم فهم أيضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة في
الابلاغ آكد ممن قرأ فاذنوا (٨٨) من أذنت بالشئ اذا علم به أي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف أمر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه
اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه وأجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر مانعي الزكاة وكذا القول لو أجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربا أو عن معاملة الربا فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذوا عسار على ان كان هي التي تسمى تامة بمعنى وجد الشئ وحدث في نفسه فنسختها

مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فاشتد ذلك على القوم فقالوا يا رسول انا لمؤاخذون بما نحدث به أنفسنا هلكنا فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية الى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الى آخر الآية قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع وثنا سفيان بن وكيع قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دخل قلوبهم منها شئ لم يدخلها من شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا وسلمنا قال فالقى الله عز وجل الايمان في قلوبهم قال فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال أبو كريب فقرأ بذلا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين **حدثني** أبو الرداد المصري عبد الله بن عبد السلام قال ثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد عن حيوة بن شريح قال سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول قال ابن شهاب حدثني سعيد بن مرجانة قال جئت عبد الله بن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ثم قال ابن عمر لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه قال ثم جئت عبد الله بن العباس فقلت يا أبا عباس اني جئت ابن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية ثم قال لئن واخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى حتى سالت دموعه فقال ابن عباس يغفر الله لعبد الله بن عمر لقد فرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كما فرق ابن عمر منها فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فنسخ الله الوسوسة وأثبت القول والفعل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة يحدث انه بينا هو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية فقال والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه فقال ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما تلا ابن عمر وما فعل حين تلاها فقال عبد الله بن عباس يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فانزل الله بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الامر الى ان قضى الله عز وجل ان للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت الزهري يقول في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال فقرأها ابن عمر فبكى وقال انا لمؤاخذون بما نحدث به في أنفسنا فبكى حتى سمع نشيجه فقام رجل من عنده فاتى ابن عباس فذكر ذلك له فقال رحم الله ابن عمر لقد وجد المسلمون نحوا مما وجد حتى نزلت لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر عن سليمان عن جميد الاعرج عن مجاهد قال كنت عند ابن عمر فقال ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية فبكى فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك فضحك ابن عباس فقال يرحم الله ابن عمر أوما يدري فيم أنزلت ان هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديدا وقالوا يا رسول الله هلكنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا

لا بمعنى وجد موصوفا بشئ فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم أو المشتري ذا عسرة والقراءة المشهورة أولى كيلا تكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل تعمه وغيره من أرباب العسرة وهي اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود

فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل أن يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذى أوقع نفسه فى تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وأزاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه وأمهل هذا على اصول (٩١) المعتزلة وأما على اصول الاصحاب

أخبرهم الله بما كانوا يسرون فى أنفسهم مما لم يعملوه فيقول انه كان لا يعزب عنى شئ وانى مخبركم بما كنتم تسرون من السوء ولم تكن حفظتكم عليكم مطلعين عليه فهذه المحاسبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو نعيلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال هى محكمة لم ينسخها شئ يقول يحاسبكم به الله يقول يعرفه الله يوم القيامة انك أخفيت فى صدرك كذا وكذا لا يؤاخذه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال هى محكمة لم تنسخ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال من الشك واليقين حدثنى محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول فى اليقين والشك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة وان تبدوا ما فى أنفسكم من شئ من الاعمال فتظهروا بايدانكم وجوارحكم أو تخفوه فتسروه فى أنفسكم فلم يطلع عليه أحد من خلقى أحاسبكم به فاغفر كل ذلك لاهل الايمان وأعذب أهل الشرك والنفاق فى دينى وأما على الرواية التى رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه وعلى ما قاله الربيع بن أنس فان تأويلها ان تظهروا ما فى أنفسكم فتعملوه من المعاصى أو تضمروا الردة فى أنفسكم فتخفوه يعلمكم به الله يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وأما قول مجاهد فشبيه معناه بمعنى قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة * وقال آخرون ممن قال هذه الآية محكمة وهى غير منسوخة ووافقوا الذين قالوا معنى ذلك ان الله عز وجل أعلم عباده ما هو فاعل بهم فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم معناها ان الله محاسب جميع خلقه بما أبدوا من سيئ أعمالهم وجميع ما أسروه ومعاقبهم عليه غير ان عقوبته اياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ما يحدث لهم فى الدنيا من المصائب والامور التى يحزنون عليها ويألمون منها ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال كانت عائشة رضى الله عنها تقول من هم بسيئة فلم يعملها أرسل الله عليه من الهم والحزن مثل الذى هم به من السيئة فلم يعملها فكانت كفارته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال كانت عائشة تقول كل عبد يهم بمعصية أو يحدث بها نفسه حاسبه الله بها فى الدنيا يخاف ويحزن ويهتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو نعيلة عن عبيد عن الضحاك قال قالت عائشة فى ذلك كل عبد هم بسوء ومعصية وحدث نفسه به حاسبه الله فى الدنيا يخاف ويحزن ويشتد همه لا ينال من ذلك شيأ كأهم بالسوء ولم يعمل منه شيأ حدثنا الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أمية انها سألت عائشة عن هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ومن يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة هذه متابعة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها فى كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها فى طينه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وأولى الاقوال التى ذكرناها بتاويل الآية قول من قال انها محكمة وليست بمنسوخة وذلك ان النسخ لا يكون فى حكم الا تبعه بآخر له نافٍ من كل وجوهه

فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وثمانين يوما وقيل احدى وعشرين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات والله تعالى أعلم بحقيقة الحال التأويل أخبر عن حرص أهل الدنيا وهم أكلة الربا بعد ذكر قناعة أهل العقبى فمثل آكل الربا كمثل من له جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر فانها أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع وفى الحديث مثلان أحدهما للمفرط بحيث يفضى به الى الهلاك فى الدنيا والعقبى فى جمع الدنيا وأشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم وذلك ان الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك أو تقارب الهلاك والمثل الآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك

عوض كالبيع أو القرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك فان لم يكن عن عوض كاتلاف وضمان وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر رأس المال خير لكم وحصول الشاء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه أو تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده أو تعلمون ان ما يامركم به ربكم أصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربا كانوا أصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم أحكام الربا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر في الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تاهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله أي الى ما اعد لكم من ثواب أو عقاب أو الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له أحوال ثلاث

مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الى آخر الآية اشتدت على المسلمين وشقت مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله لو وقع في أنفسنا شئ لم نعمل به واخذنا الله به قال فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قالوا بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله قال فنزل القرآن يفرجها عنهم آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فصيره الى الاعمال وترك ما يقع في القلوب **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا هشيم عن سيار أبي الحكم عن الشعبي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسخت هذه الآية التي بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وسوست به أنفسهم وما عملوا فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان عمل أحدنا واو لم يعمل أخذنا به والله ما نملك الوسوسة فنسخها الله بهذه الآية التي بعدها بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكان حديث النفس مما لم تطيقوا الآية **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت نسختها قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقال آخرون ممن قال معنى ذلك الاعلام من الله عز وجل عباده انه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه وهذه الآية محكمة غير منسوخة والله عز وجل محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصروه في أنفسهم ونووه وأرادوه فيغفره للمؤمنين ويؤاخذ به أهل الكفر والنفاق ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فانها لم تنسخ ولكن الله عز وجل اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول الله عز وجل اني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي فاما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله يقول يخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من الشك والنفاق **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فذلك سر عملكم وعلانيته يحاسبكم به الله فليس من عبد مؤمن يسر في نفسه خيرا يعمل به فان عمل به كتبت له به عشر حسنات وان هو لم يقدر أن يعمل به كتبت له به حسنة من أجل انه مؤمن والله يرضى سر المؤمنين وعلانيتهم وان كان سوأ حدث به نفسه اطلع الله عليه وأخبره به يوم تبلى السرائر وان هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به فان عمل به تجاوز الله عنه كما قال أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال اخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال قال ابن عباس ان الله يقول يوم القيامة ان كتابي لم يكتبوا من أعمالكم الا ما ظهر منها فاما ما أسررتم في أنفسكم فانا أحاسبكم به اليوم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا علي بن عاصم قال أخبرنا بيان عن بشر عن قيس بن أبي حازم قال اذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل يسمع الخلائق انما كان كتابي يكتبون عليكم ما ظهر منكم فاما ما أسررتم فلم يكونوا يكتبونه ولا يعلمونه أنا الله أعلم بذلك كله منكم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله كان ابن عباس يقول اذا دعي الناس للحساب

على الترتيب الاولى كونه جنينا لا عمل له تصرفا فلا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى فضاء وهنالك يرى للابوين ولغيرهما أخبرهم تصرف فيه ظاهر الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا لله تعالى فكأنه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت أي جزاء ذلك أو المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما يحصله بتجارته والمراد ان كل مكلف

بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة فلم يصل اليها أعدلا بجلا عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه آجلا وأن تصدقوا تبذلوا فيما تمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة آي القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك ان فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات لهديتهم سبلنا من حجب أوصافهم الى درجة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عند ها جنة المأوى فيتنعمون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى لاوصاف الى قاب قوسين ثم اية حجاب النفس بداية أنوار القدس وهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام أو أدنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجودك النفخة وآخر حالك الجذبة وهم اصطفى آدم وكرم نبيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا أولاد آدم لان أهل الكرامة منهم من هو

بالله كفروا الموعود الغفران بقول فيغفر لمن يشاء وهو الذي أخفى وما يخفيه الهمة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الامور التي كان جائزا ابتداء تحليله وابا حته فحرمه على خلقه جل ثناؤه أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله مما كان جائزا ابتداء اباحة تركه فاوجب فعله على خلقه فان الذي هم بذلك من المؤمنين اذا هو لم يمض همه بما يهم به و يحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن ماخوذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فهذا الذي وصفناه هو الذي يحاسب الله به مؤمني عباده ثم لا يعاقبهم عليه فاما من كان ما أخفته نفسه شكا في الله وارتيابا في نبوة أنبيائه فذلك هو الهالك المخلد في النار الذي أوعده جل ثناؤه العذاب الاليم بقوله و يعذب من يشاء فتاويل الآية اذا وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فتظهروه أو تخفوه فتنطوي عليه نفوسكم يحاسبكم به الله فيعرف مؤمنيكم تفضله بعفوه عنه ومغفرته له فيغفره و يعذب منافقيكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ونبوة أنبيائه ۞ القول في تاويل قوله (والله على كل شئ قدير) يعني بذلك جل ثناؤه والله عز وجل على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه على الشك في توحيد الله عز وجل ونبوة أنبيائه ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه وعلى غير ذلك من الامور قادر القول في تاويل قوله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) يعني بذلك جل ثناؤه صدق الرسول يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقر بما أنزل اليه يعني بما أوحي اليه من ربه من الكتاب وما فيه من حلال وحرام و وعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال يحق له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال و يحق له ان يؤمن وقد قيل انها نزلت بعد قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله على كل شئ قدير لان المؤمنين برسول الله من أصحابه شق عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو اسرائيل فقالوا بل نقول سمعنا وأطعنا فانزل الله ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقول وصدق المؤمنون أيضا مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله الآيتين وقد ذكرنا قائلي ذلك قبل واختلف القراء في قراءة قوله وكتبه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة و بعض قراء أهل العراق وكتبه على وجه جمع الكتاب على معنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسله وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة وكتابه بمعنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و بالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابن عباس انه كان يقرأ ذلك وكتابه و يقول الكتاب أكثر من الكتب وكان ابن عباس يوجه تاويل ذلك الى نحو قوله والعصر ان الانسان لفي خسر بمعنى جنس الناس وجنس الكتاب كما يقال ما أكثر درهم فلان وديناره و يراد به جنس الدراهم والدنانير وذلك وان كان مذهبا من المذاهب معروفا فان الذي هو أعجب الى من القراءة في ذلك ان يقرأ بلفظ الجمع لان الذي قبله جمع والذي بعده كذلك أعني بذلك وملائكته وكتبه و رسله فالحاق الكتب في الجمع لفظا به أعجب الى من توحيده واخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد ليكون لاحقا في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده و بمعناه ۞ القول في تاويل قوله جل

ان الخضر ليست من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلا الصيف التي تزعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان

وليس في قوله جل وعز لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله أو تخفوه يحاسبكم به الله لان المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فاخبر ان كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها فلم تكن الكتب وان أحصت صغائر الذنوب وكبائرها بموجب احصائها على أهل الايمان بالله ورسوله وأهل الطاعة ان يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين لان الله عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر فقال في تنزيله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما فدل أن محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسب به من الامور التي أخفتها أنفسهم غير موجبة لهم منه عقوبة بل محاسبته اياهم ان شاء الله عليها ليعرفهم بفضله عليهم بعفوه لهم عنها كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي حدثني به أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يدني الله عبده المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بسيئاته يقول هل تعرف فيقول نعم فيقول سترتها في الدنيا واغفرها اليوم ثم يظهر له حسناته فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه أو كما قال وأما الكافر فانه ينادي به على رؤس الاشهاد حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وسعيد وهشام وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا هشام قالا جميعا في حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله ابن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب اغفر مرتين حتى اذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ان الله يفعل بعبده المؤمن من تعريفه اياه سيئات أعماله حتى يعرفه تفضلا عليه بعفوه له عنها فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته اياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك ثم يغفر له كل ذلك بعد تعريفه تفضله وتكرمه عليه فيستره عليه وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين فقال يغفر لمن يشاء فان قال قائل فان قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينبئ عن ان جميع الخلق غير مؤاخذين الا بما كسبته أنفسهم من ذنب ولا مثابين الا بما كسبته من خير قيل ان ذلك كذلك وغير مؤاخذ العبد بشئ من ذلك الا بفعل ما نهي عن فعله أو ترك ما أمر بفعله فان قال فاذ كان ذلك كذلك فما معنى وعيد الله عز وجل ايانا على ما أخفته أنفسنا بقوله ويعذب من يشاء ان كان لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا من هم بذنب أو ارادة لمعصية لم تكتسبه جوارحنا قيل له ان الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين ان يغفر لهم عما هو أعظم مما هم به أحدهم من المعاصي فلم يفعله وهو ما ذكرنا من وعده اياهم العفو عن صغائر ذنوبهم اذا هم اجتنبوا كبائرها وانما الوعيد من الله عز وجل بقوله ويعذب من يشاء على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفي الشك في الله والمرية في وحدانيته أو في نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله أو في المعاد والبعث من المنافقين على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ومن قال بمثل قولهما ان تاويل قوله أو تخفوه يحاسبكم به الله على الشك واليقين غيرانا نقول ان المتوعد بقوله ويعذب من يشاء هو من كان اخفاء نفسه ما تخفيه الشك والمرية في الله وفيم يكون الشك فيه

نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمته ارتكاب المنهي مرتكب الربا في ظلمات ثلاث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية وأمره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وأنواره أثيم عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم أخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلاة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بانوار ايتاء الزكاة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لغوات أنوار الشريعة ثم أخبر عن أهل الايمان المجازي فقال يا أيها الذين آمنوا باللسان اتقوا الله أي بالله كما جاء كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربا اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا بالله فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تحكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله بعد منهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس أموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون

بالضم على الاصل ان تصل بكسر الهمزة على الشرط جزم والفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع جزم وجبلة فتذكر بالرفع من الاذكار أبو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار و بالنصب أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وأبو عمرو و الباقون

ان الوسع اسم من قول القائل وسعني هذا الامر مثل الجهد والوجد من جهدني هذا الامر ووجدت منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم فقال الله جل ثناؤه ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال اتقوا الله ما استطعتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت ضج المؤمنون منها ضجة وقالوا يا رسول الله هذا نتوب من عمل اليد والرجل واللسان كيف نتوب من الوسوسة كيف نمتنع منها فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها انكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لا يكلف الله نفسا الا وسعها وسعها طاقتها وكان حديث النفس مما لا يطيقون ۞ القول في تأويل قوله (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) يعني بقوله جل ثناؤه لها للنفس التي أخبر انه لا يكلفها الا وسعها يقول لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير وعليها يعني وعلى كل نفس ما اكتسبت ما عملت من شر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت أي من خير وعليها ما اكتسبت أي من شر أو قال من سوء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لها ما كسبت يقول ما عملت من خير وعليها ما اكتسبت يقول وعليها ما عملت من شر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت عمل اليد والرجل واللسان فتأويل الآية اذا لا يكلف الله نفسا الا ما يسعها فلا يجهدها ولا يضيق عليها في أمر دينها فيؤاخذها بهمة ان همت ولا بوسوسة ان عرضت لها ولا بخطرة ان خطرت بقلبها ۞ القول في تأويل قوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وهذا تعليم من الله عز وجل عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه وما يقولون في دعائهم اياه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا شيأ فرضت علينا عمله فلم نعمله أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا الى معصيتك ولكن على جهالة منا به وخطأ كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ان نسينا شيأ مما افترضته علينا أو أخطأنا شيأ مما حرمته علينا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل تجاوز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال زعم السدي ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال له جبريل صلى الله عليه وسلم فقل ذلك يا محمد ان قال لنا قائل وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطؤا فيسألوه ان لا يؤاخذهم بذلك قيل ان النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما أمر بتحفظه و وكل به وضعف عقله عن احتماله فاما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد الى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فاخرجه من الجنة فقال في ذلك ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فرغبة العبد الى الله عز وجل بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا

فرهان * الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقتين فليكتب ج شياط بالعدل ط من رجالكم ج للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول أجله ط ألا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقتين ولا شهيد ط بكم واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ٥ مقبوضة ط لابتداء شرط واستئناف معنى آخر به ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم ٥ * التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية وأطنب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربا أباح السلف وأنزل فيه أطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل لها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان المبايعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيأ بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى

يوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى وبحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ان ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) القرآن الا ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون

ثناؤه (لا نفرق بين أحد من رسله) وأما قوله لا نفرق بين أحد من رسله فانه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك ففي الكلام في قراءة من قرأ لا نفرق بين أحد من رسله بالنون متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عنه وذلك المتروك هو يقولون وتأويل الكلام والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون لا نفرق بين أحد من رسله وترك ذكر يقولون لدلالة الكلام عليه كما ترك ذكره في قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم بمعنى يقولون سلام وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين لا يفرق بين أحد من رسله بالياء بمعنى والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته ورسله لا يفرق الكل منهم بين أحد من رسله فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ولكنهم يصدقون بجميعهم ويقرون أن ما جاؤا به كان من عند الله وانهم دعوا الى الله والى طاعته ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ومن أشبههم من الامم الذين كذبوا بعض رسل الله وأقروا ببعضهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا نفرق بين أحد من رسله كما صنع القوم يعني بني اسرائيل قالوا فلان نبي وفلان ليس نبيا وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون لا نفرق بين أحد من رسله لانها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه التشاغر والتواطؤ والسهو والغلط يعني ٧ ما وصفنا من يقولون لا نفرق بين أحد من رسله ولا يعترض بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلا ورواية ۞ القول في تأويل قوله (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) يعني بذلك جل ثناؤه وقال الكل من المؤمنين سمعنا قول ربنا وأمره ايانا بما أمرنا به ونهيه عما نهانا عنه وأطعنا يعني أطعنا ربنا فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسألناه وقوله غفرانك ربنا يعني وقالوا اغفر انك ربنا بمعنى اغفر لنا ربنا غفرانك كما يقال سبحانك بمعنى نسبحك سبحانك وقد بينا فيما مضى أن الغفران والمغفرة الستر من الله على ذنوب من غفر له وصفحه لك عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة وعفوه عن العقوبة عليه وأما قوله واليك المصير فانه يعني جل ثناؤه وانهم قالوا واليك يا ربنا مصيرنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا فان قال لنا قائل فما الذي نصب قوله غفرانك قيل له وقوعه وهو مصدر موقع الامر وكذلك تفعل العرب بالمصادر والاسماء اذا حلت محل الامر وأدت عن معنى الامر نصبتها فيقولون شكرا لله يا فلان وحمدا له بمعنى أشكر الله وأحمده والصلاة الصلاة بمعنى صلوا ويقولون في الاسماء الله الله يا قوم ولو رفع بمعنى هو الله أو هذا الله ووجه الى الخبر وفيه تأويل الامر كان جائزا كما قال الشاعر

ان قوما منهم عمير وأشبا * ه عمير ومنهم السفاح
لجديرون بالوفاء اذا قا * ل أخو النجدة السلاح السلاح

ولو كان قوله غفرانك ربنا جاء رفعا في القراءة لم يكن خطأ بل كان صوابا على ما وصفنا وقد ذكر ان هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء من الله عليه وعلى أمته قال له جبريل صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء فسل ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن حكيم بن جابر قال لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قال جبريل ان الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة ۞ القول في تأويل قوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني بذلك جل ثناؤه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيتعبدها الا بما يسعها ولا يضيق عليها ولا يجهدها وقد بينا فيما مضى قبل

الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك أيضا على الاطلاق ولكنه يجب أن يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يحص أحدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة أمر للمتداينين بتخيير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها أديبا ديانا قال بعض الفقهاء العدل أن (٩٧) يكون ما يكتبه متفقا بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاضي من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب أن يكتب وقوله كما علمه الله اما أن يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للاول أي فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها أو بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني أمرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تأكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك أو انه قيل على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتابة عليه وان وجد أشخاصا فالواجب كتابة أحدهم وقيل متعلق الايجاب هو أن يكتب كما علمه الله وأن لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم بما هو له واعلم أن الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا تتم الا بامداد من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته وأجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء

من قبلنا من اليهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا لا نطيقه ولا نستطيع القيام به كما حملته على الذين من قبلنا اليهود والنصارى فلم يقوموا به فاهلكتهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك اصرا قال المواثيق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع الاصر العهد وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي * وقال آخرون معنى ذلك ولا تحمل علينا ذنوبا وآثاما كما حملت ذلك على من قبلنا من الامم فتمسخنا قردة وخنازير كما مسختهم ذكر من قال ذلك حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح في قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا تمسخنا قردة وخنازير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا لا تحمل علينا ذنبا ليس فيه توبة ولا كفارة * وقال آخرون معنى الاصر بكسر الالف الثقل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يقول التشديد الذي شددته على من قبلنا من أهل الكتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعني مالكا عن قوله ولا تحمل علينا اصرا قال الاصر الامر الغليظ فاما الاصر بفتح الالف فهو ما عطف الرجل على غيره من رحم أو قرابة يقال أصرتني رحمي بيني وبين فلان عليه بمعنى عطفتني عليه وما يأصرني عليه أي ما يعطفني عليه وبيني وبينه أصر رحم يأصرني عليه اصرا يعني به عاطفة رحم تعطفني عليه ۞ القول في تأويل قوله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعني بذلك جل ثناؤه وقولوا أيضا ربنا لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به تشديد يشدده به كما شدده على من كان قبلكم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به مسخ القردة والخنازير حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا أبو حفص عمرو بن سعيد التنوخي قال ثنا محمد بن شعيب بن سابور عن سالم بن سابور في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من التغليظ والاغلال التي كانت عليهم من التحريم وانما قلنا ان تأويل ذلك ولا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام على نحو الذي قلنا في ذلك لانه عقيب مسئلة المؤمنين ربهم أن لا يؤاخذهم ان نسوا أو أخطؤوا وان لا يحمل عليهم اصرا كما حمله على الذين من قبلهم فكان الحاق ذلك معنى ما قبله من مسئلتهم التيسير في الدين أولى مما خالف ذلك المعنى ۞ القول في تأويل قوله (واعف عنا واغفر لنا) وفي هذا أيضا من قول الله عز وجل خبرا عن المؤمنين من مسئلتهم اياه ذلك الدلالة الواضحة انهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لانهم عقبوا ذلك بقولهم واعف عنا مسئلة منهم ربهم أن يعفوا لهم عن تقصير ان كان منهم في بعض ما أمرهم به من فرائضه فيصفح لهم عنه ولا يعاقبهم عليه وان خف ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم ونحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل

بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية وأما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة أو التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه أو ليشمل أي دين كان صغيرا أو كبيرا سلما أو غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كاما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم أقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون الحكم حاصلا في الكل أو نقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فتكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا والاجل مدة الشئ ومنه أجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد أو الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى أمر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كلا المتداينين أوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاعيان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة أما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل أحد لوجود أميين كثيرين في الدنيا بل من له استئهال

ما لم يكن تركه ما تركه من ذلك تفريطا منه فيه وتضييعا كفرا بالله عز وجل فان ذلك اذا كان كفرا بالله فان الرغبة الى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة لان الله عز وجل قد أخبر عباده انه لا يغفر لهم الشرك به فمسئلته فعل ما قد أعلمهم به انه لا يفعله خطا وانما يكون مسئلته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته و بمثل نسيانه صلاة أو صياما باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما وأما الذي العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته فان ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذي لا وجه لمسئلة العبد ربه أن يغفره له لانه مسئلة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب وذلك مثل امرئ يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه كالرجل يحرص على حفظ القرآن يجد منه فيقرأه ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ذكر ما أودع قلبه منه وما أشبه ذلك من النسيان فان ذلك مما لا يجوز مسئلة الرب بمغفرته لانه لا ذنب للعبد فيه فيغفره له باكتسابه وكذلك الخطا وجهان أحدهما من وجه مانهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وارادة فذلك خطا منه وهو به ماخوذ يقال منه خطئ فلان وأخطا فيما أتى من الفعل واثم اذا أتى ما يتاثم فيه وركبه ومنه قول الشاعر

الناس يلحون الامير اذا هموا * خطؤا الصواب ولا يلام المرشد

يعني أخطؤا الصواب وهذا الذي يرغب العبد الى ربه في صفح ما كان منه من اثم عنه الا ما كان من ذلك كفرا والآخر منهما ما كان منه على وجه الجهل به والظن منه بان له فعله كالذي يأكل في شهر رمضان ليلا وهو يحسب ان الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره اياها دخول وقتها فيخرج وقتها وهو يرى ان وقتها لم يدخل فان ذلك من الخطا الموضوع عن العبد الذي وضع الله عز وجل عن عباده الاثم فيه فلا وجه لمسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه به وقد زعم قوم ان مسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسي أو أخطا انما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى أو لما ندبه اليه من التذلل له والخضوع بالمسئلة فاما على وجه مسئلته الصفح فلا وجه له عندهم وللبيان عن هؤلاء كتاب سيأتي فيه ان شاء الله على ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه

القول في تاويل قوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) ويعني بذلك جل ثناؤه قولوا ربنا لا تحمل علينا اصرا يعني بالاصر العهد كما قال جل ثناؤه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم اصري وانما عنى بقوله ولا تحمل علينا اصرا ولا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه كما حملته على الذين من قبلنا يعني على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة فعلم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبة اليه بمسئلته ان لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال ان ضيعوها أو أخطؤا فيها ونسوها مثل الذي حمل من قبلهم فيحل بهم بخطئهم فيه وتضييعهم اياه مثل الذي أحل بمن قبلهم و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تحمل علينا اصرا قال لا تحمل علينا عهدا وميثاقا كما حملته على الذين من قبلنا يقول كما غلظ على من قبلنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن قيس الحضرمي عن مجاهد في قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اصرا قال عهدا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله اصرا يقول عهدا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا والاصر العهد الذي كان على

أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي عليه السلام لا يجوز شهادة العبد في شئ وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على أن العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فيعلم منه أن العبد لا يجوز أن يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند أبي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل أن تضل أن لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها الغلبة البرد والرطوبة على أمزجتهن أو احدى النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احداهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له أي ارادة أن تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قوله أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير أن ههنا غرضين أحدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين * والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين أن اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال فتذكر احداهما معناه فتجعل احداهما للاخرى ذكرا يعني انهما اذا

لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو حميد عن سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال ويقول قد فعلت فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة ولم تعطها الامم قبلها حدثنا علي بن حرب الموصلي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا أحمل عليكم الى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا الى آخر السورة قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وروى عن الضحاك بن مزاحم ان اباية الله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا كان جبريل عليه السلام يقول له سلها فسألها نبي الله ربه جل ثناؤه فاعطاه اياه فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن ابن اسحق ان معاذا كان اذا فرغ من هذه السور قرأ انصرنا على القوم الكافرين قال آمين

﴿تفسير سورة آل عمران﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رضي الله عنه ❁ القول في تأويل قوله (الم الله لا اله الا هو) قال أبو جعفر قد أتينا على البيان عن معنى قوله الم فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك البيان عن قوله الله وأما معنى قوله لا اله الا هو فانه خبر من الله جل وعز أخبر عباده ان الالوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والانداد وان العبادة لا تصلح ولا تجوز الا له لانفراده بالربوبية وتوحده بالالوهية وان كل ما دونه فملكه وان كل ما سواه خلقه لا شريك له في سلطانه وملكه احتجاجا منه تعالى ذكره عليهم بان ذلك اذ كان كذلك فغير جائزة لهم عبادة غيره ولا اشراك أحد معه في سلطانه اذ كان كل معبود سواه فملكه وكل معظم غيره فخلقه وعلى المملوك افراد الطاعة لمالكه وصرف خدمته الى مولاه ورازقه ومعروف من كان من خلقه يوم انزل ذلك الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتنزيله ذلك اليه وارساله به اليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه مقيما على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو انسي أو ملك أو غير ذلك من الاشياء التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته والاهتمام ومتخذته دون مالكه وخالقه الها وربا انه مقيم على ضلالة ومنعدل عن المحجة وراكب غير السبيل المستقيمة بصرفه العبادة الى غيره ولا أحد له الالوهية غيره وقد ذكر ان هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به من نفي الالوهية أن يكون لغيره وصفه نفسه بالذي وصفها به في ابتدائها احتجاجا منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران فحاجوه في عيسى صلوات الله عليه والحدوا في الله فانزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفا وثلاثين آية من أولها احتجاجا عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فابوا الا المقام على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم الى المباهلة فابوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم وانصرفوا الى بلادهم غير ان الامر وان كان كذلك واياهم قصدا بالحجاج فان من كان معناه من سائر الخلق معناهم في الكفر بالله واتخاذ

لغتان قال الفراء أملت عليه الكتاب لغة أهل الحجاز وبني أسد وأمليت لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي على هذه بكرة وأصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ أمر أن لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيأ والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه (٩٨) لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي أمره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها أو صبيا أو وكيل ان كان غير مستطيع أو ترجمان يملي عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل في قوله أن يمل هو أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع أن الضمير في وليه عائد الى الذي أي الذي له الدين ليملل قيل وفيه بعد لان قول المدعى كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتابة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا أي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته أن يشهد شهيدين أي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم أي من رجال أهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من أهل العدالة فان لم يكونا لا أي الشهيدان وجلين فرجل وامرأتان أي فليشهد أو فالشاهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل أحد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة

ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واعف عنا قال اعف عنا ان قصرنا عن شيء من أمرك مما أمرتنا به وكذلك قوله واغفر لنا يعني واستر علينا زلله ان أتيناها فيما بيننا وبينك فلا تكشفها ولا تفضحنا باظهارها وقد دللنا على معنى المغفرة فيما مضى قبل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد واغفر لنا ان انتهكنا شيأ مما نهيتنا عنه ۞ القول في تاويل قوله (وارحمنا) يعني بذلك جل ثناؤه تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك أحد الا برحمتك اياه دون عمله وليست أعمالنا منجيتنا ان أنت لم ترحمنا فوفقنا لما يرضيك عنا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وارحمنا قال يقول لا تنال العمل بما أمرتنا به ولا تنزلك ما نهيتنا عنه الا برحمتك قال ولم يزل أحد الا برحمتك ۞ القول في تاويل قوله (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) يعني بقوله جل ثناؤه أنت مولانا أنت ولينا بنصرك دون من عاداك وكفر بك لانا مؤمنون بك ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا فانت ولي من أطاعك وعدو من كفر بك فعصاك فانصرنا لانا حزب على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الالهة والانداد دونك وأطاعوا في معصيتك الشيطان والمولى في هذا الموضع المفعل من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية وهو وليه ومولاه وانما صارت الياء من ولي ألفا لانفتاح اللام قبلها التي هي عين الاسم وقد ذكروا ان الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم استجاب الله له في ذلك كله ذكر الاخبار التي جاءت بذلك حدثني المثنى بن ابراهيم ومحمد بن خلف قالا ثنا آدم قال ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله غفرانك ربنا قال الله عز وجل قد غفرت لكم فلما قرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال الله عز وجل لا أحملكم فلما قرأ واغفر لنا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لكم فلما قرأ وارحمنا قال الله عز وجل قد رحمتكم فلما قرأ وانصرنا على القوم الكافرين قال الله عز وجل قد نصرتكم عليهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقالها فقال جبريل قد فعل وقال له جبريل قل ربنا لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقالها فقال جبريل قد فعل فقال قل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقالها فقال جبريل صلى الله عليه وسلم قد فعل فقال قل واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقالها فقال جبريل قد فعل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدي ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقال له جبريل فقال ذلك يا محمد ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقال له جبريل في كل ذلك فعل لك يا محمد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال أنزل الله عز وجل ربنا

واليمين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وأنكره أبو حنيفة ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة أي اذا دعوا والفعل أي الى أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما أمر الكاتب أن لا يأبى الكتابة أمر الشاهد أن لا يأبى تحمل الشهادة وقيل أمر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل أولا والاداء ثانيا والقول الاول أصح لانه أطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وأيضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وأيضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء أولى ليفيد فائدة جديدة وهي أن الشاهد ان كان متعينا وجب عليه أداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا أن تكتبوه أي الدين أو الحق لتقدم ذكرهما على أي حال كان الحق صغيرا أو كبيرا مما جرت العادة بكتبته لا كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما أفضى الى نزاع كثير وانما نهي عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وأيضا من كثرت مدايناته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه وايهابه ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلو بكتابته الى أجله الى وقته الذي اتفقا على تسميته ذلكم الكتب أو ذلكم الذي أمرتم به من الكتب والاشهاد أقسط أعدل عند الله وأقوم للشهادة أعون على اقامة الشهادة وهو امامن أقسط وأقام فيكون محمولا على قولهم أفلس من ابن المذلق واما من قوم وقاسط بمعنى ذو قسط على طريقة النسب والا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا جار

عليه الغناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل علمتم عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال أفلستم تعلمون ان الله عز وجل لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ۞ القول في تأويل قوله (الحي القيوم) اختلفت القراء في ذلك فقرأته قراء الامصار الحي القيوم وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما الحي القيام وذكر عن علقمة بن قيس انه كان يقرأ الحي القيم حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا عثام ابن علي قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر قال سمعت علقمة يقرأ الحي القيم قلت أنت سمعته قال لا أدري حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن علقمة مثله وقد روي عن علقمة خلاف ذلك وهو ما حدثنا أبو هشام قال ثنا عبد الله قال ثنا شيبان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن علقمة انه قرأ الحي القيام والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا في ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين نقلا مستفيضا عن غير تواطؤ وراثة وما كان مثبتا في مصاحفهم وذلك قراءة من قرأ الحي القيوم ۞ القول في تأويل قوله (الحي) اختلف أهل التأويل في معنى قوله الحي فقال بعضهم معنى ذلك من الله تعالى ذكره انه وصف نفسه بالبقاء ونفى الموت الذي يجوز على من سواه من خلقه عنها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير الحي الذي لا يموت وقدمات عيسى وصلب في قولهم يعني في قول الاحبار الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحي قال يقول حي لا يموت * وقال آخرون معنى الحي الذي عناه الله عز وجل في هذه الآية ووصف به نفسه انه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء لا يمتنع عليه شئ أراده وانه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والانداد وقال آخرون معنى ذلك ان له الحياة الدائمة التي لم تزل له صفة ولا تزال كذلك وقالوا انما وصف نفسه بالحياة لان له حياة كما وصفها بالعلم لان لها علما وبالقدرة لان لها قدرة ومعنى ذلك عندي انه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله فاخبر عباده انه المستوجب على خلقه العبادة والالوهة والحي الذي لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا ويبيد كل من ادعى من دونه الها واحتج على خلقه بان من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى فلا يكون الها يستوجب ان يعبد دون الاله الذي لا يبيد ولا يموت وان الاله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى وذلك الله الذي لا اله الا هو ۞ القول في تأويل قوله (القيوم) قد ذكرنا اختلاف القراءة في ذلك والذي نختار منه وما العلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك فأما تأويل جميع الوجوه التي ذكرنا ان القراء قرأت بها فمتقارب ومعنى ذلك كله القيم بحفظ كل شئ ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى بن ميمون قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه الحي القيوم قال القائم على كل شئ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

اجتمعنا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم أن الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد أو دع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى أزيد من اثنين الا في الزنا لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري أنه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنا اما عقوبة أو غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف وأما غير العقوبات فما ليس بمال ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين أيضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري أنه قال مضت السنة أن يجوز شهادة النساء في كل شئ لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شئ من ذلك باقل من أربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى وأما ما هو مال أو يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل على هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد

ماسوى الله تعالى باوالها معبودا مفحومون بالحجة التي جاء الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ومحجوجون في الغرقان الذي فرق به لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم * ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله في نزول افتتاح هذه السورة انه نزل في الذين وصفنا صفتهم من النصارى حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم في الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد وهو صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه قال ابن اسحق قال محمد بن جعفر بن الزبير قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات حبرات حبرة وأردية في الطرث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق قال وكانت تسمية الاربعة عشر منهم الذين يؤول اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد بن عمرو وخالد وعبد الله ويحيس في ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهو من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية يحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله باذن الله ليجعله آية للناس ويحتجون في قولهم انه ولد أنهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد بشئ لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون في قولهم انه ثالث ثلاثة يقول الله عز وجل فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم فلما كلمته الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال انكما لم تسلما فاسلما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله عز وجل ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فانزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها الله لا اله الا هو الحي القيوم فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والامر لا شريك له فيه ورد عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا عليهم بقولهم في صاحبهم ليعرفهم بذلك ضلالتهم فقال الله لا اله الا هو أي ليس معه شريك في أمره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال ان النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى بن مريم وقالوا له من أبوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي

ذلك وانما رخص تعالى في هذا النوع من التجارة لكثرة دورانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة أو الاشهاد في كل لحظة حرج عليهم من أن خوف التجاحد في مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كأنه لما رفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم أن حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل أن يكون أمرا بالاشهاد مطلقا جزما كان (١٠٣) التبايع أو كالنا لانه أحوط عن

كتب ورسول ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) يعني بذلك وأنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى من قبل يقول من قبل الكتاب الذي نزله عليك ويعني بقوله هدى للناس بيانا للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله وتصديق رسله ومفيد يا محمد انك نبي ورسول وفي غير ذلك من شرائع دين الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما أنزل الكتب على من كان قبلهما ۞ القول في تأويل قوله (وأنزل الفرقان) يعني جل ثناؤه بذلك وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الاحزاب وأهل الملل في أمر عيسى وغيره وقد بينا فيما مضى ان الفرقان انما هو الفعلان من قولهم فرق الله بين الحق والباطل يفصل بينهما بنصره بالحق على الباطل اما بالحجة البالغة واما بالقهر والغلبة بالايدي والقوة وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير ان بعضهم وجه تأويله الى انه فصل بين الحق والباطل في أمر عيسى وبعضهم الى انه فصل بين الحق والباطل في أحكام الشرائع ذكر من قال معناه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى والاحزاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل الفرقان أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ذكر من قال معنى ذلك الفصل بين الحق والباطل في الاحكام وشرائع الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل الفرقان هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحق والباطل فاحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهى عن معصيته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وأنزل الفرقان قال الفرقان القرآن فرق بين الحق والباطل والتأويل الذي ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير في ذلك أولى بالصحة من التأويل الذي ذكرناه عن قتادة والربيع وأن يكون معنى الفرقان في هذا الموضع فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجوه في أمر عيسى وفي غير ذلك من أموره بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لان أخبار الله عن تنزيله القرآن قبل اخباره عن تنزيله التوراة والانجيل في هذه الآية قد مضى بقوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ولا شك ان ذلك الكتاب هو القرآن لاغيره فلا وجه لتكريره مرة أخرى اذ لا فائدة في تكريره ليست في ذكره اياه وخبره عنه ابتداء ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته وان عيسى عبد له واتخذوا المسيح الها وراوا دعوه لله ولدا لهم عذاب من الله شديد يوم القيامة والذين كفروا هم الذين جحدوا آيات الله وآيات الله أعلام الله وأدلته وحجته وهذا القول من الله عز وجل ينبئ عن معنى قوله وأنزل الفرقان انه معنى به الفصل عن الذي هو حجة لاهل الحق على أهل الباطل لانه عقب ذلك بقوله ان الذين كفروا بآيات الله يعني ان الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقان الذي أنزله فرقا بين الحق والمبطل لهم عذاب شديد وعيد من الله لمن عاند الحق بعد وضوحه له وخالف سبيل الهدى بعد قيام الحجة عليه ثم أخبرهم انه عزيز في سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ولا يحول بينه وبينه حائل ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد وانه ذو انتقام ممن جحد حجته وأدلته بعد ثبوتها عليه وبعد وضوحها له ومعرفتهم بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال

الحسن ان شاء أشهدوان شاء لم يشهدوعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على بافة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل فيكون أصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعيسى أكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب أن يزيد أو ينقص والشاهد ان أن يحرفا أو يتركا الاجابة الى مايطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسق وائم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد أن التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس وانه نهي للمتداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يجلا عن مهم ويلزما أولا يعطي الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلدوان تفعلوا مانهيتكم عن الضرار أو كل مانهيتكم عنه من فعل معصية أو ترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار أو ارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن أمر الله وطاعته ومعنى بكم أي ملتصق بكم واتقوا الله في أوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شئ من مصالح عباده عليم واعلم أنه سبحانه جعل المباحات في هذا المقام على ثلاثة أقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة والقسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه في غير

وأقسط أى عدل وأدنى الأمرنا وأقرب من انتفاء الريب ترتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلاث فوائد * الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين أقرب وعن الجهل أبعد فيكون أعدل عند الله * والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه أبلغ فى الاستقامة التى هى ضد الاعوجاج وأعون للحفظ والذكر * والثالثة أنه يرفع الضرر عن نفسه بان لا يضل فى أمره ولا يترددو عن غيره بان لا ينسبه الى الكذب

مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم تيم كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه وقال آخرون معنى ذلك القيام على مكانه ووجهوه الى القيام الدائم الذى لازوال معه ولا انتقال وان الله عز وجل انما نفى عن نفسه بوصفها بذلك التغيير والتنقل من مكان الى مكان وحدوث التبدل الذى يحدث فى الآدميين وسائر خلقه غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمر بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير القيوم القيام على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول وقد زال عيسى فى قولهم يعنى فى قول الاحبار الذين حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم من أهل نجران فى عيسى عن مكانه الذى كان به وذهب عنه الى غيره وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع وان ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بانه القائم بامر كل شئ فى رزقه والدافع عنه وكلائه وتدبيره وصرفه فى قدرته من قول العرب فلان قائم بامر هذه البلدة يعنى بذلك المتولى تدبير أمرها فالقيوم اذ كان ذلك معناه الفيعول من قول القائل الله قيوم بامر خلقه وأصله القيووم غير ان الواو الاولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهى متحركة قلبت ياء فجعلت هى والياء التى قبلها ياء مشددة لان العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة اذا تقدمتها ياء ساكنة وأما القيام فان أصله القيوام وهو الفيعال من قام يقوم سبقت الواو المتحركة من قيوام ياء ساكنة فجعلتا جميعا ياء مشددة ولو ان القيوم فعول كان القووم ولكنه الفيعول وكذلك القيام لو كان الفعال لكان القوام كما قيل الصوام القوام وكما قال جل ثناؤه كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولكنه الفيعال فقيل القيام وأما القيم فهو الفيعل من قام يقوم سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة كما قيل فلان سيد قومه من ساد يسود وهذا طعام جيد من جاد يجود وما أشبه ذلك وانما جاء ذلك بهذه الالفاظ لانه قصد به قصد المبالغة فى المدح فكان القيوم والقيام والقيم أبلغ فى المدح من القائم وانما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ان شاء الله القيام لان ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز فى ذوات الثلاثة من الياء والواو فيقولون للرجل الصواغ الصياغ ويقولون للرجل الكثير الدوران الديار وقد قيل ان قول الله جل ثناؤه لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انما هو دوار افعالا من داريدور ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز وأقرت كذلك فى المصحف ۞ القول فى تاويل قوله (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) يقول جل ثناؤه يا محمد ان ربك ورب عيسى ورب كل شئ هو الرب الذى أنزل عليك الكتاب يعنى بالكتاب القرآن بالحق يعنى بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والانجيل وفيما خالفك فيه محاجوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم مصدقا لما بين يديه يعنى بذلك القرآن انه مصدق لما كان قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده لان منزل جميع ذلك واحد فلا يكون فيه اختلاف ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه قال لما قبله من كتاب أو رسول حدثنى موسى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتاب أو رسول حدثنى محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير نزل عليك الكتاب بالحق أى بالصدق فيما اختلفوا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب التى قد خلت قبله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول مصدقا لما قبله من

الكتاب

بلاء فانه اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أى اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذى ارتفع شره وعلا وذو كواكب أى شديد ويقال فى التهديد لارينك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أى يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم أن تكون الكتابة المذكورة أولا واجبة وقد أثبتنا خلاف

وتحليانه فلا يقع فى الغيبة والجهالة فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها فى الضبط والترتيب الا أن تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى أجل قريب وقد يكون الى أجل بعيد فاستثنى عن المداينة ما يكون أجله قريبا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله ولا تسأموا أن تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كان التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستانفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف فى المال لطلب الربح فسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة فان المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الآن تتبايعونها ناجزا يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة أو الناقصة والخبر مضمر ونحوها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كتبت الكتاب بنى أسد هل تعلمون

فليؤد الذي اؤتمن أمانته فليكن المدين عند ظن الدائن به وسمي الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل أنه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجوب الامانة اللغوية أطلق أحدهما على الآخر والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدور في خلده جحود واختيان وفي الآية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها أمانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد وأخذ الرهن والحق أن تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس أنه قال في اية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه وجوه * الاول عن القفال أنه تعالى لما أباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المدين أمينا ثم كان من الجائز أن يكون الظن خطأ وأن يخرج المدين جاحدا للحق وكان من الممكن أن يكون بعض الناس مطلعا على أحوالهم ندب الله ذلك الانسان أن يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة أم لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل أن يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة أن ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من أدائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك ابطال

سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم قال يعني الرب عز وجل انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه لاله الا هو العزيز الحكيم قال العزيز في نصرته ممن كفر به من اشياء والحكيم في عذره وحجته الى عباده حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لاله الا هو العزيز الحكيم يقول عز ربنا في نقمته حكيم عن أمره ۞ القول في تاويل قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) يعني بقوله جل ثناؤه هو الذي أنزل عليك الكتب ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك الكتاب يعني بالكتاب القرآن وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذي من أجله سمي القرآن كتابا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله منه آيات محكمات فانه يعني من الكتاب آيات يعني بالآيات آيات القرآن وأما المحكمات فانهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد وثواب وعقاب وأمر وزجر وخبر ومثل وعظة وعبر وما أشبه ذلك ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بانهن هن أم الكتاب يعني بذلك انهن أصل الكتاب الذي فيه إعماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق اليه الحاجة من أمر دينهم وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم وانما سماهن أم الكتاب لانهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة اليه وكذلك تفعل العرب تسمي الجامع معظم الشيء اما له فتسمي راية القوم التي تجمعهم في العساكر أمهم والمدبر بعض معظم أمر القرية والبلدة أمها وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ووحد أم الكتاب ولم يجمع فيقول هن أمهات الكتاب وقد قال هن لانه أراد جميع الآيات المحكمات أم الكتاب لا ان كل آية منهن أم الكتاب ولو كان معنى ذلك ان كل آية منهن أم الكتاب لكان لا شك قد قيل هن أمهات الكتاب وتغيير قول الله عز وجل هن أمهات الكتاب على التأويل الذي قلنا في توحيد الام وهي خبر لهن قوله تعالى ذكره وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لان معناه وجعلنا جميعهما آية اذ كان المعنى واحدا انهما جعلنا فيه للخلق عبرة ولو كان مراده الخبر عن كل واحد منهما على انفراده بانه جعل للخلق عبرة لقيل وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين لانه قد كان في كل واحد منهما لهم عبرة وذلك ان مريم ولدت من غير رجل ونطق ابنها فتكلم في المهد صبيا فكان في كل واحد منهما للناس آية وقد قال بعض نحوي البصرة انما قيل هن أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب على وجه الحكاية كما يقول الرجل مالي أنصار فتقول انا أنصارك أو مالي نظير فتقول نحن نظيرك قال وهو شبيه بمعنى من تمرتان وأنشد لرجل من فقعس

تعرضت لي بمكان خالي * تعرض المهرة في الطوالي * تعرض المال عن قتال

كل ٧ أي يحكى به على الحكاية لانه كان منصوبا قبل ذلك كما يقول نودي الصلاة الصلاة يحكى قول القائل الصلاة الصلاة وقال بعضهم انما هي ان تفعلا لي ولكنه جعله عينا لان ان في لغته تجعل موضعها عن والنصب على الامر كانك قلت ضربا لزيدا وهذا قول لا معنى له لان كل هذه الشواهد التي استشهد بها لا شك انهن حكايات حالتهن بما حكي عن قول غيره وألفاظه التي نطق بهن وان معلوما ان الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله أم الكتاب فيجوز أن يقال انما خرج ذلك مخرج الحكاية عمن قال ذلك كذلك وأما قوله وأخر فانها جمع آخر ثم اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم يصرف أخر فقال بعضهم لم يصرف أخر من أجل انها نعت واحدتها أخرى كما لم تصرف جمع وكتع لانهن نعوت وقال آخرون انما لم تصرف الآخر لزيادة الياء التي في واحدتها وان جمعها مبني على واحدها في ترك الصرف قالوا وانما ترك صرف أخرى كما ترك

٧ هكذا هذه العبارات بالاصل ولعل هنا سقطا لبعض الشواهد والكلام هنا عليه تامل

حق المسلم وحرمة ماله كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد وقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والآثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والشخص بجملته آثم لا قلبه وحده هو أن أفعال الجوارح

سفر ولكنه ورد الآية على الغالب فان الغالب ان لا يوجد الكاتب في السفر أولا يوجد أدوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقر أولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك (١٠٤) يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر أخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أي ان الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ۞ القول في تأويل قوله (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء يقول فكيف يخفى على يا محمد وأنا علام جميع الاشياء ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى بن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء أي قد علم ما يريدون وما تكيدون وما تضاهون بقولهم في عيسى اذ جعلوه ربا والها وعندهم من علمه غير ذلك غرة بالله وكفرا به ۞ القول في تأويل قوله (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) يعني بذلك جل ثناؤه الله الذي يصوركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى وهذا أسود وهذا أحمر يعرف عباده بذلك ان جميع ما اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوره وخلقه كيف شاء وان عيسى بن مريم ممن صوره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحب وانه لو كان الها لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه لان خلاق ما في الارحام لا تكون الارحام عليه مشتملة وانما تشتمل على المخلوقين كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قد كان عيسى ممن صور في الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء أي انه صور عيسى في الرحم كيف يشاء وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قال اذا وقعت النطفة في الارحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فاذا بلغ أن يخلقها بعث الله ملكا يصورها فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلطه في المضغة ثم يجعنه بها ثم يصورها كما يؤمر فيقول أذكر أو أنثى أشقي أو سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قادر والله ربنا أن يصور عباده في الارحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى أو أسود أو أحمر تام خلقه وغير تام ۞ القول في تأويل قوله (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه ان يكون له في ربوبيته ندا ومثيل أو ان تجوز الالوهة لغيره وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ولجميع من ادعى مع الله معبودا أو أقر بربوبية غيره ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته وعيد امنه ان عبد غيره أو أشرك في عبادته أحدا سواه فقال هو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد ولا ينجيه منه وال ولا لجاء ذلك لعزته الذي يذل لها كل مخلوق ويخضع لها كل موجود ثم أعلمهم انه الحكيم في تدبيره واعذاره الى خلقه ومتابعة حججه عليهم ليهلك من هلك منهم عن بينة ويحيى من حي عن بينة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا

الهوام وهن الشئ اذا دام وثبت ونعمة راهنة أي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان مثل كباش في كبش وقيل ان أحدهما جمع الآخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو فعليه رهن أو فالوثيقة أو الذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة أن الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد بالالزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقيل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم وأما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن أو وكيله بينه وبين المرتهن أو وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير أيضا بوزن سلمة أو كيل أو ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر باذنه أو وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان أمن بعضكم بعضا فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره

يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن الاسجان الى القصور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور والله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من أرباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وأنتم نساء فان لم يكونا رجلين من أرباب القلوب فرجل منهم وامرأتان أى رجلان من أهل (١٠٧) الصلاح ليكونا بمثابة رجل من أهل الولاية

المنسوخ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يحدث قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله منه آيات محكمات يعنى الناسخ الذى يعمل به وأخر متشابهات يعنى المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة عن الضحاك منه آيات محكمات قال ما لم ينسخ وأخر متشابهات قال ما قد نسخ * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ما أشبه بعضه بعضا فى المعانى وان اختلفت ألفاظه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله منه آيات محكمات ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يصرف بعضه بعضا وهو مثل قوله وما يضل به الا الفاسقين ومثل قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ومثل قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه منها ما احتمل من التأويل أوجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن جعفر ابن الزبير هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه وأخر متشابهة فى الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق * وقال آخرون معنى المحكم ما أحكم الله فيه من آى القرآن وقصص الامم ورسلهم الذين أرسلوا اليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته والمتشابه هو ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور فقصة باتفاق الالفاظ واختلاف المعانى وقصة باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع وعشرين آية منها وحديث نوح فى أربع وعشرين آية منها ثم قال تلك من أنباء الغيب ثم ذكر والى عاد فقرأ حتى بلغ واستغفروا ربكم ثم مضى ثم ذكر صالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وفرغ من ذلك وهذا يقين ذلك يقين أحكمت آياته ثم فصلت قال والمتشابه ذكر موسى فى أمكنة كثيرة وهو متشابه وهو كلمعنى واحد ومتشابهه أسلك فيها الحبل فيها أسلك يدك أدخل يدك حية تسعى ثعبان مبين قال ثم ذكر هودا فى عشر آيات منها وصالحا فى ثماني آيات منها وابراهيم فى ثماني آيات أخرى ولوطا فى ثماني آيات منها وشعيبا فى ثلاث عشرة آية وموسى فى أربع آيات كل هذا يقضى بين الانبياء وبين قومهم فى هذه السورة فانتهى ذلك الى مائة آية من سورة هود ثم قال ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وقال فى المتشابه من القرآن من يرد الله به البلاء والضلالة يقول ما شأن هذا لا يكون هكذا وما شأن هذا لا يكون هكذا وقال آخرون بل المحكم من آى القرآن ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وما أشبه ذلك فان ذلك لا يعلمه أحد وقالوا انما سمى الله من آى الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التى فى أوائل بعض سور القرآن من نحو الم والمص والمر والر وما أشبه ذلك لانه من متشابهات فى الالفاظ وموافقات حروف حساب الجمل وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الاسلام وأهله ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته فأكذب الله أحدوثتهم بذلك وأعلمهم ان ما اتبعوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف

فى فائدة الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح أن يكون من شهداء الله كما قال أنتم شهداء الله فى أرضه أن تضل احداهما عن جادة الاستقامة فى بادية النفس المملوءة من شياطين الهوى فتذكر احداهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان أهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف فى عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وأما السائر فلا يقف فى محل ولا ينزل فى منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمى الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق والهمة فى فضاء الحقيقة وفى

رجله جلجلة الشريعة فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذى يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس ورتبة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفنى صاحب اليمين وقال لى امل على شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فانى أريد ان أتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل ان لم يؤد حق

تابعة لافعال القلوب ومتولدة عما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب أبلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما أبصرته عيني وسمعته أذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين أن الفاعل والعارف المأمور والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير لكاتم وتهديد له عن ابن عباس أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (التأويل) انه تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وأشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما أمركم أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا أمر الملائكة أن يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في أعناقكم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال ياقوي الظلم ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير مما على يخاطب وبالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب فعليه أن يملي الحق للحق المنسوخ فان كان الذي عليه محق للحق سفيها جاهلا بإملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل أو ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه أو لا يستطيع أن يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في انهاء ما لا يحزنه ويسر فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا

صرف حمر او بيضا في النكرة والمعرفة لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو والياء ثم افترق جمع حمراء وأخرى فبنى جمع أخرى على واحدته فقيل فعل أخر فترك صرفها كما ترك صرف أخرى وبنى جمع حمراء وبيضاء على خلاف واحدته فصرف فقيل حمر وبيض فلاختلاف حالتيهما في الجمع اختلف اعرابهما عندهم في الصرف ولاتفاق حالتيهما في الواحدة اتفقت حالتا هما فيها وأما قوله متشابهات فان معناه متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى كما قال جل ثناؤه وأتوا به متشابها يعني في المنظر مختلفا في المطعم وكما قال مخبرا عمن أخبر عنه من بني اسرائيل انه قال ان البقر تشابه علينا يعنون بذلك تشابه علينا في الصفة وان اختلفت أنواعه فتأويل الكلام اذا ان الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي أنزل الكتاب عليك يا محمد القرآن منه آيات محكمات بالبيان عن أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين واليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الاسلام وآيات أخر هن متشابهات في التلاوة مختلفات في المعاني وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وما المحكم من آي الكتاب وما المتشابه منه فقال بعضهم المحكمات من آي القرآن المعمول بهن وهن الناسخات أو المثبتات الاحكام والمتشابهات من آيه المتروك العمل بهن المنسوخات ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن ابن عباس في قوله منه آيات محكمات قال هي الثلاث الآيات التي هنا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى ثلاث آيات والتي في بني اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به قال وأخر متشابهات والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الى وأخر متشابهات فالمحكمات التي هي أم الكتاب الناسخ الذي يدان به ويعمل به والمتشابهات من المنسوخات التي لا يدان بهن حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى قوله كل من عند ربنا أما الآيات المحكمات فهن الناسخات التي يعمل بهن وأما المتشابهات فهن المنسوخات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمحكمات الناسخ الذي يعمل به ما أحل الله فيه حلاله وحرم فيه حرامه وأما المتشابهات فالمنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله آيات محكمات قال المحكم ما يعمل به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات قال المحكمات الناسخ الذي يعمل به والمتشابهات المنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخات وأخر متشابهات قال ما نسخ وترك يتلى حدثني ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال المحكم ما لم ينسخ وما يتشابه منه ما نسخ حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخ وأخر متشابهات قال

بعضا كما اختر ثك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذى ائتمن أمانته ولا تكتموا الشهادة أشهدتكم على أنفسكم يوم الميثاق باقرار قبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم أطالبكم باداء حقها فادوها الى ملغوفة بلغاف التقوى الايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة أن يكون شهودك مع غير شواهد ربك وهذا من نتائج خيانة قلبك فى (١٠٩) أمانة ربك ربك فلا يشاهد قلبك الا

شواهد ربك ولا يؤدى سرك حقيقة أمانة ربك الا الى ربك بربك لربك (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) القرآن فيغفر لمن يشاء بادغام الراء فى اللام أبو عمرو وجله أهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير أبى عمرو والحلوانى عن قالون وابن مجاهد وأبو عون وأبو ربيعة عن البزى وخلف

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فاما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الهدى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى قلوبهم زيغ قال شك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فاما الذين فى قلوبهم زيغ قال من أهل الشك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاما الذين فى قلوبهم زيغ أما الزيغ فالشك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال زيغ شك قال ابن جريج الذين فى قلوبهم زيغ المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى بقوله جل ثناؤه فيتبعون ما تشابه منه ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الاباطيل من التأويلات فى ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فيتبعون ما تشابه منه فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون فيلبس الله عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فيتبعون ما تشابه منه أى ما تحرف منه وتصرف ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فيتبعون ما تشابه منه قال الباطل الذى ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاء تأويله * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله فيتبعون ما تشابه منه يتبعون المنسوخ والناسخ فيقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ما جاز هذه الآية فتركت الاولى وعمل بهذه الاخرى هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجىء الاولى التى نسخت وما بال ما يعد العذاب من عمل عملا يعذبه النار وفى مكان آخر من عمله فانه لم يوجب النار واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى به الوفد من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاجوه به وخاصموه بان قالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته وتأولوا فى ذلك ما يقولون فيه من الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال عمد وا يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران فخاصموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فانزل الله عز وجل فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ثم ان الله جل ثناؤه أنزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية * وقال آخرون بل أنزلت هذه الآية فى أبى ياسر بن أخطب وأخيه يحيى بن أخطب والنفر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدر مدة أجله وأجل أمته وأراد واعلم ذلك من قبل قوله الم والمص والمر والر فقال الله جل ثناؤه فيهم فاما الذين فى قلوبهم زيغ يعنى هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق فيتبعون ما تشابه منه يعنى معانى هذه الحروف المقطعة المحتملة التصريف فى الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاء الفتنة وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل فى أول السورة التى تذكر فيها البقرة * وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة تخالفة لما ابتعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتأويل يتأوله من بعض آى

لنفسه يعذب من بالاظهار أبو عمرو بدغم ويعذب من يشاء كل القرآن وكتبه جعلا يغرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون أخطأنا مثل فادارأتم (الوقوف) ومافى الارض ط بالله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستئناف أى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط أو أخطأنا ج

صاحب الحق أو يكون هار بامنه فاما الذى آناء الليل وأطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه وما يبرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذى هو موكل على الهارب يكون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وللسائر بن رهان مقبوضة عند الله رهان وأية رهان قلوب (١٠٨) ليس فيها غير الله قبض وأى قبض مقبوضة بين أصبعين من أصابع الرحمن أما الطيار الذى هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد

شعر

مستهام ضاق مذهبه
فى هوى من عز مطلبه
كل أمر فى الهوى عجب
وخلاصى منه أعجبه

وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة أمين يؤتمن لتحمل اعباء أمانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها وأتى بحملها فلما حملها واستحسن منه ما تفرد به من أصحابه جاءت له من الحضرة ألقاب فنسب فى البداية الى الافساد وسفك الدماء أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب فى النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا أمر عجيب ونقش غريب من لم يطلع فى جمل الامانة وأبى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين مطاع ثم أمين ومن أطاع فى جمل الامانة وأتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين أحدهما ان الذلة والمسكنة وقعت فى قسم العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت فى طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا فى مرآة ذلة العاشق * وثانيهما ان من له كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن فى الظاهر بصلاح كتمان أمر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته فى الظاهر وذلته فى الحقيقة يدل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا لآدم وعتاب انى أعلم ما لا تعلمون فان أمن بعضكم

المتشابهة لا يدركونها اولا من قبل غيرها وان ذلك لا يعلمه الا الله وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب ان هذه الآية نزلت فيه وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته فى تاويل ذلك فى تفسير قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وهذا القول الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتاويل الآية وذلك ان جميع ما أنزل الله عز وجل من آى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فانما أنزله عليه بيانا له ولامته وهدى للعالمين وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم اليه ولا أن يكون فيه ما بهم اليه الحاجة ثم لا يكون لهم الى علم تاويله سبيل فاذا كان ذلك كذلك فكل ما فيه خلقه اليه الحاجة وان كان فى بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى وان اضطرته الحاجة اليه فى معان كثيرة وذلك كقول الله عز وجل يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فاعلم النبى صلى الله عليه وسلم أمته ان تلك الآية أخبر الله جل ثناؤه عباده انها اذا جاءت لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك هى طلوع الشمس من مغربها فالذى كانت بالعباد اليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعدد السنين والشهور والايام فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسرا والذى لا حاجة لهم الى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التى بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية فان ذلك مما لا حاجة بهم الى علمه فى دين ولا دنيا وذلك هو العلم الذى استاثر الله جل ثناؤه به دون خلقه فحجبه عنهم وذلك وما أشبهه هو المعنى الذى طلبت اليهود معرفته فى مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله الم والمص والر والمر ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات التى أخبر الله جل ثناؤه انهم لا يدركون تاويل ذلك من قبله وانه لا يعلم تاويله الا الله فاذ كان المتشابه هو ما وصفنا فكل ما عداه فمحكم لانه لن يخلو من أن يكون محكما بانه بمعنى واحد لا تاويل له غير تاويل واحد وقد استغنى بسماعه عن بيان مبينه أو يكون محكما وان كان ذا وجوه وتاويلات وتصرف فى معان كثيرة فالدلالة على المعنى المراد منه اما من بيان الله تعالى ذكره عنه أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لامته ولن يذهب علم ذلك عن علماء الامة لما قد بينا ۞ القول فى تاويل قوله (هن أم الكتاب) قد أتينا على البيان عن تاويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ونحن ذاكر واختلاف أهل التاويل فيه وذلك انهم اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معنى قوله هن أم الكتاب هن الآى فيهن الفرائض والحدود والاحكام نحو قولنا الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر انه قال فى هذه الآية محكمات هن أم الكتاب قال يحيى هن اللاتى فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين وضرب لذلك مثلا فقال أم القرى مكة وأم خراسان مرو وام المسافرين الذين يجعلون اليهم أمرهم نقباؤهم فى سفرهم قال فذلك أمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هن أم الكتاب قال هن جماع الكتاب وقال آخرون بل معنى ذلك فواتح السور التى منها يستخرج القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن أبى فاختة انه قال فى هذه الآية فيه آيات محكمات هن أم الكتاب قال أم الكتاب فواتح السور منها يستخرج القرآن الم ذلك الكتاب منها استخرجت البقرة والم الله لا اله الا هو منها استخرجت آل عمران ۞ القول فى تاويل قوله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) يعنى بذلك جل ثناؤه فاما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه يقال منه زاغ فلان عن الحق فهو يزيغ عنه زيغا وزيغانا وزيغوغة وزيوغا وأزاغه الله اذا أماله فهو يزيغه ومنه قوله جل ثناؤه ربنا لا تزغ قلوبنا الا تميلنا عن الحق بعد اذ هديتنا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل

المصير فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا (١١١) ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين

وأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون ما تشابه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذركم الله فاذا رأيتموهم فاعرفوهم حدثنا علي قال ثنا الوليد عن نافع عن عمر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموهم فاحذروهم ثم نزع فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ولا يعملون بمحكمه حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال أخبرنا عمي قال أخبرني شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن ابن أبي مليكة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فقال فاذا أرأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن يزيد عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة في هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الآية يتبعها يتلوها ثم يقول فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فاحذروهم فهم الذين عنى الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى آخر الآية قال هم الذين سماهم الله فاذا أريتموهم فاحذروهم قال أبو جعفر والذي يدل عليه ظاهر الآية انها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله اما في أمر عيسى واما في مدة أجله وأجل أمته وهو بان تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه في مدته ومدة أمته أشبه لان قوله وما يعلم تأويله الا الله دال على ان ذلك اخبار عن المدة التي أراد واعلمها من قبل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله فاما أمر عيسى وأسبابه فقد أعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وبينه لهم فعلوم انه لم يعن الا ما كان خفيا عن الآحاد ۞ القول في تأويل قوله (ابتغاء الفتنة) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ابتغاء الشرك ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي ابتغاء الفتنة قال ارادة الشرك حدثني المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ابتغاء الفتنة يعني الشرك * وقال آخرون معنى ذلك ابتغاء الشبهات ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم عن عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات بها اهلكوا حدثني المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله ابتغاء الفتنة الشبهات قال هلكوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات قال والشبهات ما اهلكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ابتغاء الفتنة اي اللبس واولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ارادة الشبهات واللبس فمعنى الكلام اذا فاما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وحيف عنه فيتبعون من آي الكتاب ما تشابهت الفاظه واحتمل صرفه في وجوه التأويلات باحتمالها المعاني المختلفة ارادة اللبس على نفسه وعلى غيره احتجاجا به على باطله الذي مال اليه قلبه دون الحق الذي آتاه الله فاوضحه بالمحكمات من آي كتابه وهذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا انها نزلت فيه من اهل الشرك فانه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آي القرآن ثم حاج به وجادل به اهل الحق وعدل عن الواضح من ادلة آيه المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على اهل الحق من المؤمنين وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان واي اصناف البدعة كان من

من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم أن العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق وأما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من أفعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا أو حزن أو أذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب وروت انها سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول قوله

لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه حسيبه ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من أصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة بالتوبة وهو

من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال على السؤال لنا به ج واعف عنا واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل
بين أنواع المقاصد والاعتراف بان الطائعين غير واحد الكافرين * التفسير انه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الاصول
وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وأشياء (١١٠) كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلاة والزكاة والقصاص والصوم والحج
والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن أبي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان من كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم الكثيرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما أمر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود رجوع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما أوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وأبي هريرة واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الركب فقالوا ان الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك

القرآن المحتملة للتأويلات وان كان الله قد أحكم بيان ذلك اما في كتابه واما على لسان رسوله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر لمن كان يعقل أو يبصر ان الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام العراق وأزواجه يومئذ احياء والله ان خرج منهم ذكر ولا أنثى حرورياقط ولا رضوا الذي هم عليه ولا ما الوهم فيه بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم ونعته الذي نعتهم به وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بالسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم اذا لقوهم ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالا فتفرق وكذلك الامر اذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا فقد ألا صواهذا الامر منذ زمان طويل فهل افلحوا فيه يوما أو نجحوا يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم باولهم لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه فهم كلما أيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم واهراق دماءهم وان كتموا كان قرحا في قلوبهم وعمى عليهم وان أظهروه اهراق الله دماءهم ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه والله ان اليهودية لبدعة وان النصرانية لبدعة وان الحرورية لبدعة وان السبائية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله طلب القوم التأويل فاخطؤا التاويل وأصابوا الفتنة فاتبعوا ما تشابه منه فهلكوا من ذلك لعمري لقد كان في أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوان وذكر نحو حديث عبد الرزاق عن معمر عنه حدثني محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب الى قوله وما يذكر الا أولوا الالباب فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة انها قالت قرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الى وما يذكر الا أولوا الالباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه أو قال يتجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم قال مطر عن أيوب انه قال فلا تجالسوهم فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو معناه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا الحرث عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات الآية كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه والذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله أولئك الذين قال الله فلا تجالسوهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن يزيد بن ابراهيم عن ابن أبي مليكة قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ الى آخر الآيات فقال اذا رأيتم

التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز أن يفرد بمعنى كل واحد ويجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه صلى الله عليه وسلم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من المعجزات (١١٣) على يد جبريل عليه السلام ان هذا

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به قالت كان من رسوخهم في العلم ان آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال كان ابن عباس يقول ومايعلم تأويله الا الله يقول الراسخون آمنا به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة كان أبي يقول في هذه الآية ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ولكنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله عن أبي نهيك الاسدي قوله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فيقول انكم تصلون هذه الآية وانها مقطوعة ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فانتهى علمهم الى قولهم الذي قالوا حدثنا المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول والراسخون في العلم انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا حدثني يونس قال أخبرنا أشهب عن مالك في قوله ومايعلم تأويله الا الله قال ثم ابتدأ فقال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وليس يعلمون تأويله * وقال آخرون بل معنى ذلك ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس انه قال أنا ممن يعلم تأويله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومايعلم تأويله الذي أراد ما أراد الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل الحكمة التي لا تأويل لاحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فتفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر فمن قال القول الاول في ذلك قال ان الراسخون في العلم مرفوع بالابتداء في قول البصريين ويجعل خبره يقولون آمنا به وأما في قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم في يقولون وفي قول بعضهم بجملة الخبر عنهم وهي يقولون ومن قال القول الثاني وزعم ان الراسخين يعلمون تأويله عطف بالراسخين على اسم الله فعرفهم بالعطف عليه والصواب عندنا في ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو يقولون لما قدمنا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية وهو فيما يبلغني مع ذلك في قراءة أبي ويقول الراسخون في العلم كما ذكرناه عن ابن عباس انه كان يقرأه وفي قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون وأما معنى التأويل في كلام العرب فانه التفسير والمرجع والمصير وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

على انها كانت تأول حبها * تأول ربعي السقاب فاصحبا

وأصله من آل الشيء الى كذا اذا صار اليه ورجع يؤل أولا وأوليه انا صيرته اليه وقد قيل ان قوله وأحسن

القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتدأ من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرائع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان أما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من أول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي أنزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير ويعرفه فيمكنه أن يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه وسلم مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به واعلم ان الآية دلت على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان * المرتبة الاولى هي الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ

والرسول يتوقف على وجود المبلغ والمرسل * والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى * والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي صلى الله عليه وسلم فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد من الشمس

تخصيص من غير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ومراضيه محترزا عن مساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة أو نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين في آخرها ان الذين مدحتهم في أول السورة هم أمة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير بركاتك هناك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم اليه بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هناك أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو نقول انه تعالى سبحانه لما ذكر في هذه السورة أنواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول اعترف لعجزه قدلت له على صدق الملك ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي أخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق في دعواه وهو المرتبة المتأخرة ومن تامل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة ألفاظه ذكر

و بلاغة معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيب ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ثم ههنا احتمالان أحدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي

اهل النصرانية كان او اليهودية او المجوسية او كان سابيا او حروريا او قدريا او جهميا كالذي قال صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون به فهم الذين عنى الله فاحذروهم وكما حدثني يونس قال اخبرنا سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس وذكر عنده الخوارج ومايلقون عند القرار فقال يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه وقرأ ابن عباس ومايعلم تاويله الا الله الآية وانما قلنا القول الذي ذكرنا انه أولى التاويلين بقوله ابتغاء الفتنة لان الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شرك وانما أرادوا بطلب تاويل ماطلبوا تاويله اللبس على المسلمين والاحتجاج به عليهم ليصدوهم عما هم عليه من الحق فلا معنى لان يقال فعلوا ذلك ارادة الشرك وهم قد كانوا مشركين ۞ القول في تاويل قوله (وابتغاء تاويله) اختلف أهل التاويل في معنى التاويل الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله وابتغاء تاويله فقال بعضهم معنى ذلك الاجل الذي أرادت اليهود ان تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل كالم والمص والر والمر وما أشبه ذلك من الآجال ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس أما قوله ومايعلم تاويله الا الله يعني تاويله يوم القيامة الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك عواقب القرآن وقالوا انما أرادوا ان يعلموا متى يجيء ناسخ الاحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لاهل الاسلام قبل مجيئه فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وابتغاء تاويله أرادوا ان يعلموا تاويل القرآن وهو عواقبه قال الله ومايعلم تاويله الا الله وتاويله عواقبه حتى يأتي الناسخ منه فينسخ المنسوخ * وقال آخرون معنى ذلك وابتغاء تاويل ماتشابه من آي القرآن يتاولونه اذ كان ذا وجوه وتصاريف في التاويلات على مافي قلوبهم من الزيغ ومار كبوه من الضلالة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وابتغاء تاويله وذلك على ماركبوا من الضلالة في قولهم خلقنا وقضينا وقضينا والقول الذي قاله ابن عباس من ان ابتغاء التاويل الذي طلبه القوم من المتشابه هو معرفة انقضاء المدة ووقت قيام الساعة والذي ذكرنا عن السدي من انهم طلبوا وأرادوا معرفته وقت هو جاء قبل مجيئه أولى بالصواب وان كان السدي قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه الى حصره على ان معناه ان القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك وانما قلنا ان طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آي القرآن أولى بتاويل قوله وابتغاء تاويله لما قد دللنا عليه قبل من أخبار الله جل ثناؤه ان ذلك التاويل لا يعلمه الا الله ولا شك ان معنى قوله وقضينا وفعلنا قد علم تاويله كثير من جهلة أهل الشرك فضلا عن اهل الايمان وأهل الرسوخ في العلم منهم ۞ القول في تاويل قوله (ومايعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) يعني جل ثناؤه بذلك ومايعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمته وما هو كائن الا الله دون من سواه من البشر الذين أملوا ادراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا لا يعلمون ذلك ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم العلم بان الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه واختلف أهل التاويل في تاويل ذلك وهل الراسخون معطوفون على اسم الله بمعنى ايجاب العلم لهم بتاويل المتشابه أو هم مستانف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم انهم يقولون آمنا بالمتشابه وصدقنا ان علم ذلك لا يعلمه الا الله فقال بعضهم معنى ذلك ومايعلم تاويل ذلك الا الله وحده منفردا بعلمه وأما الراسخون في العلم فانهم ابتدئ الخبر عنهم بانهم يقولون آمنا بالمتشابه والمحكم وان جميع ذلك من عند الله

أوجسمانية محضة أومركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة أوكثيفة وان كانت لطيفة فنورانية أوهوائية فذلك مقام العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وأن لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وانهم وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من أقسام

كل اذا أضمر فيها فقال بعض نحوي البصريين اذا جاز حذف المراد الذي كان معها الذي الكل اليه مضاف في هذا الموضع لانها اسم كما قال انا كل فيها يعني انا كلنا فيها قال ولا يكون كل مضمرا فيها وهي صفة لا يقال مررت بالقوم كل وانما يكون فيها مضمر اذا جعلتها اسما لو كان انا كلا فيها على الصفة لم يجز لان الاضمار فيها ضعيف لا يتمكن في كل مكان وكان بعض نحوي الكوفيين يرى الاضمار فيها وهي صفة أو اسم سواء لانه غير جائز أن يحذف ما بعدها عنده الا وهي كافية بنفسها عما كانت تضاف اليه من المضمر وغير جائز أن تكون كافية منه في حال ولا تكون كافية في أخرى وقال سبيل الكل والبعض في الدلالة على ما بعدهما بانفسهما وكفايتهما منه بمعنى واحد في كل حال صفة كانت أو اسما وهذا القول الثاني أولى بالقياس لانها اذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها في حال الدلالة عليها فالحكم فيها انها كلما وجدت دالة على ما بعدها فهي كافية منه ۞ القول في تأويل قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) يعني بذلك جل ثناؤه وما يتذكر ويتعظ وينزجر عن أن يقول في متشابه آي كتاب الله ما لا علم له به الا أولوا العقول والنهى وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما يذكر الا أولوا الالباب يقول وما يذكر في مثل هذا يعني في رد تأويل المتشابه الى ما قد عرف من تأويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد الا أولوا الالباب ۞ القول في تأويل قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) يعني بذلك جل ثناؤه ان الراسخين في العلم يقولون آمنا بما تشابه من آي كتاب الله وانه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا وحيه ويقولون أيضا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا يعني أنهم يقولون ورغبة منهم الى ربهم في أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آي القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك لا تزغ قلوبنا لا تملها فتصرفها عن هداك بعد اذ هديتنا له فوفقتنا للايمان بمحكم كتابك ومتشابهه وهب لنا يا ربنا من لدنك رحمة يعني من عندك رحمة يعني بذلك هب لنا من عندك توفيقا وثباتا للذي نحن عليه من الاقرار بمحكم كتابك ومتشابهه انك أنت الوهاب يعني انك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أي لا تمل قلوبنا وان ملنا يا جد ثناؤه وهب لنا من لدنك رحمة وفي مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم اليه في ان لا يزيغ قلوبهم وان يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحق الذي هم عليه مقيمون ما أبان عن خطا قول الجهلة من القدرية ان ازاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته واماله عنها جور لان ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا بالذم أولى منهم بالمدح لان القول لو كان كما قالوا لكان القوم انما سألوا ربهم مسألتهم اياه أن لا يزيغ قلوبهم أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم وذلك من السائل جهل لان الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم وقد أعلم عباده ذلك ونفاه عن نفسه بقوله وما ربك بظلام للعبيد ولو جعل مسئلته ان يكون بالصفة التي قد أخبرهم انه بها وفي فسادما قالوا من ذلك الدليل الواضح على ان عدلا من الله عز وجل ازاغة من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته فلذلك استحق المدح من رغب اليه في أن لا يزيغه لتوجه الرغبة الى أهلها ووضعه مسئلته موضعها مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته الى ربه في ذلك مع محله منه وكرامته عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ثم قرأ ربنا لا تزغ

هذا العالم وأما الايمان بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله وليس لاحد من المخلوقات أن يلقي فيها شيأ من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي أمر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق والافعال كما مر في قصة آدم وان تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وأن بعض الانبياء أفضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وأما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء أفضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية أفضل منهم وانهم أفضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم أيضا وان تعلم أن شرعهم وان صار منسوخا الا أن نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن أنبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى أصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما أن يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بمجموع الكتب والرسل واما أن يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال

وتوصله الينا فكذا الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الأنبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط والانتظام لمصالح الخلق لا يسعني فيه مالك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم وهذا سر تطلع منه على أسرار أخرى ان كنت من أهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه أما الايمان بوجوده فهو ان تعلم أن وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالجسم لا يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذات الله تعالى وأما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز وأما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية أو سلبية أو اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا في تفسير آية الكرسي وأما الايمان بافعاله فان تعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك أن مشيئة الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وأما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد وان تعلم أن المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم أن له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء وأراد وأن تعلم أنه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شيء وانه في الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب كل من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه وأما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات أنبيائه المرسلة وقدمر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله وأما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودهما فاما البحث عن انهار وحانية محضة

تأويلا أي جزاء وذلك ان الجزاء هو الذي آل اليه أمر القوم وصار اليه ويعني بقوله تأول حبها وتفسيرها ومرجعه وانما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا في قلبه فآل من الصغر الى العظم فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديما كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه وقد ينشد هذا البيت

على انها كانت توابع حبها * توالى ربى السقاب فاصحبا

القول في تأويل قوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) يعني بالراسخين في العلم العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه وحفظوه وحفظا لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس وأصل ذلك من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته وولوجه فيه يقال منه رسخ الايمان في قلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا وقد روي في نعتهم خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا فياض بن محمد الرقي قال ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخ في العلم قال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذي قالا ثنا نعيم بن حماد قال ثنا فياض الرقي قال ثنا عبد الله بن يزيد الاودي قال وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنا أنس بن مالك وأبو امامة وأبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك الراسخ في العلم وقد قال جماعة من أهل التأويل انما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم الراسخين في العلم بقولهم آمنا به كل من عندربنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الراسخون في العلم الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي والراسخون في العلم هم المؤمنون فانهم يقولون آمنا به بناسخه ومنسوخه كل من عند ربنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قال عبد الله بن سلام الراسخون في العلم وعلمهم قولهم قال ابن جريج الراسخون في العلم يقولون آمنا به وهم الذين يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا ويقولون ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه الآية وأما تأويل قوله يقولون آمنا به فانه يعني ان الراسخين في العلم يقولون صدقنا بما تشابه من آي الكتاب وانه حق وان لم نعلم تأويله وقد حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة بن نبيط عن الضحاك والراسخون في العلم يقولون آمنا به قال المحكم والمتشابه القول في تأويل قوله (كل من عند ربنا) يعني بقوله جل ثناؤه كل من عند ربنا كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا وهو تنزيله ووحيه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله كل من عند ربنا قال يعني ما نسخ منه وما لم ينسخ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قالوا كل من عند ربنا آمنوا بتشابهه وعملوا بمحكمه حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كل من عند ربنا يقولون المحكم والمتشابه من عند ربنا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا يؤمن بالمحكم ويدين به ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به وهو من عند الله كله حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله والراسخون في العلم يعملون به يقولون نعمل بالمحكم ونؤمن به ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به وكل من عند ربنا واختلف أهل العربية في حكم

وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه وأما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون أى ليومك هذا سيصل اليك فيه نتائج أعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بعد بقمن ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار

فيه ان الله لا يخلف الميعاد وهذا من الكلام الذى استغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره وذلك ان معنى الكلام ربنا انك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذ واعف عنا فانك لا تخلف وعدك ان من آمن بك واتبع رسولك وعمل بالذى أمر به فى كتابك انك غافره يومئذ وانما هذا من لقوم مسألة ربهم ان يثبتهم على ما هم عليه من حسن نصرتهم بالايمان بالله ورسوله وما جاءهم به من تنزيله حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وأعمالهم فانه اذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة لانه قد وعد من فعل ذلك به من عباده انه يدخله الجنة فالآية وان كانت قد خرجت مخرج الخبر فان تأويلها من القوم مسألة ودعاء ورغبة الى ربهم وأما معنى قوله ليوم لا ريب فيه فانه لا شك فيه وقد بينا ذلك بالادلة على صحته فيما مضى قبل ومعنى قوله ليوم فى يوم وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل القضاء بينهم فى موقف العرض والحساب والميعاد المفعال من الوعد ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار) يعنى جل ثناؤه بقوله ان الذين كفروا ان الذين جحدوا الحق الذى قد عرفوه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل ومنافقيهم ومنافقى العرب وكفارهم الذين فى قلوبهم زيغ فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعنى بذلك ان أموالهم وأولادهم لن تقيهم من عقوبة الله ان أحلها بهم عاجلا فى الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تثبيتهم واتباعهم المتشابه طلب اللبس فيدفعها عنهم ولا يغنى ذلك عنهم منها شيأ وهم فى الآخرة وقود النار يعنى بذلك حطبها ۞ القول فى تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ عند حلول عقوبته بهم كسنة آل فرعون ودعائهم والذين من قبلهم من الامم الذين كذبوا بآياتنا فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ حين جاءهم بأسنا كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم رسلهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كدأب آل فرعون فقال بعضهم معناه كسنتهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله كدأب آل فرعون يقول كسنتهم وقال بعضهم معناه كعملهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان وحدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قالا ثنا سفيان جميعا عن جويبر عن الضحاك كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كدأب آل فرعون قال كأعمالهم كتكذيبهم حين كذبوا الرسل وقرأ قول الله مثل دأب قوم نوح ان يصيبهم مثل الذى أصابهم عليه من عذاب الله قال الدأب العمل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح عن أبى جزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد فى قوله كدأب آل فرعون قال كفعل آل فرعون كشأن آل فرعون حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله كدأب آل فرعون قال كصنع آل فرعون ۞ وقال آخرون معنى ذلك كتكذيب آل فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم فى الجحود

أو نقول والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدى أى سمعنا قوله وأطعنا أمره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا أولى ليفيد انه ليس فى الوجود قول يجب سماعه الا قوله ولا أمر يجب اطاعته الا أمره والسماع ههنا بمعنى القبول أى سمعنا بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال وأطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم فى هذه التكاليف فهم ما أخلوا بشئ منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بأبواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله أى اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه أى لن تعدموا جزاءه وفى الكشاف أى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال والاستغناء به عن فعله نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو أن القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فأى حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا أن يكون فرط منهم تقصير فيما يأتون ويذرون أو لعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد جعل قوله صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذ

قلوبنا بعد اذ هديتنا الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر ابن حوشب عن أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله وان القلب ليقلب قال نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم الا وقلبه بين أصبعين من أصابعه فان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب قالت قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة ادعو بها لنفسي قال بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن حدثني محمد بن منصور الطوسي قال ثنا محمد بن عبد الله الزبيري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال له بعض أهله يخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به قال ان القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى يقول بهما هكذا وحرك أبو أحمد أصبعيه قال أبو جعفر وان أبا الطوسي رسق بين أصبعيه حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن أبي سفيان عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلنا يا رسول الله قد آمنا بك وصدقنا بما جئت به فيخاف علينا قال نعم ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها تبارك وتعالى حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا بشر بن بكر وحدثني علي بن سهل قال ثنا أيوب بن بشر جميعا عن ابن جابر قال سمعت ابن عبد الله قال سمعت أبا ادريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة حدثني عمر بن عبد الملك الطائي قال ثنا محمد بن عبيدة قال ثنا الجراح بن مليح الهراني عن الزبيدي عن جويبر عن سمرة بن فاتك الاسدي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموازين بيد الله يرفع أقواما ويضع أقواما وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء ازاغه وان شاء اقامه حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال أخبرني أبو هانئ الخولاني انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرف كيف يشاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله وان القلوب لتقلب قال نعم ما من خلق الله من بني آدم بشرا الا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسأل الله ربنا لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب ۞ القول في تأويل قوله (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد) يعني بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضا مع قولهم آمنا بما تشابه من آي الكتاب ربنا كل المحكم والمتشابه الذي فيه من عندك ربنا يا ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب

فان النكرة في سياق النفي تعم وذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على أيديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم أن قوله آمن الرسول الى قوله بين أحد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة أو نقول ان للانسان أياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدأ واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو فيه معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر فيه كمال القدرة وأما علم الوسط وهو علم ما يجب أن يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب

لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستأنفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس

قد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد انك ترى انا كقومك لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى أولي الابصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال فحاص اليهودي في يوم بدر لا يغرنك محمد ان غلب قريشا وقتلهم ان قريشا لا تحسن القتال فنزلت هذه الآية قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال أبو جعفر فكل هذه الاخبار تنبئ عن ان المخاطبين بقوله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد هم اليهود المقول لهم قد كان لكم آية في فئتين الآية ويدل على ان قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء ومعنى قوله وتحشرون وتجمعون فتجلبون الى جهنم وأما قوله وبئس المهاد و بئس الفراش جهنم التي تحشرون اليها وكان مجاهد يقول كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وبئس المهاد قال بئسما مهدوا لانفسهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون وغيره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد كان لكم آية عبرة وتفكر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله الا انه قال وتفكر في فئتين يعني في فرقتين وحزبين والفئة الجماعة من الناس التقتا للضرب واحدى الفئتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر والاخرى مشركو قريش فئة تقاتل في سبيل الله جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة وهم مشركو قريش كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وأخرى كافرة فئة قريش الكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة قريش يوم بدر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين قال في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين قال في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله قال ذلك يوم بدر التقى المسلمون والكفار ورفعت فئة تقاتل في سبيل الله وقد قيل ذلك في فئتين بمعنى احداهما تقاتل في سبيل الله على الابتداء كما قال الشاعر

وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم أن المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها أصلين الاول أن العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق أما الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب أن العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية عنده خصص الآية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من أهل النار على انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل أن يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب أن يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب

ولان جميع الطاعات فى جنب واجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى عن أهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم أى أنت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أى كل الحمد له وان كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران (١١٨) مقرون بامرين أحدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله ربنا أما القيد الاول فمعناه أطلب المغفرة منك وأنت الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة أن يعطى عطية كاملة وماذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات أو تكون الاضافة اشارة الى ماورد فى الحديث ان الله تعالى ما تنجزء من الرحمة قسم جزأ منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون ويتعاطفون وأخر تسعة وتسعين جزأ ليوم القيامة أو لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر أثرها فى محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك ورأفتك وأما أطلب الغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حقى وفى حق أمثالى من المذنبين وأما القيد الثانى فمعناه ربيتنى اذ أوجدتنى مع انك لولم تربنى فى ذلك الوقت لم أتضرر به لانى كنت أبقى فى العدم والآن لولم تربنى أتضرر به فاسئلك أن لا تهملنى أو ربيتنى حين لم أذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك أن لا تربينى وقد أفنيت عمرى فى توحيدك أو ربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك لى فى الماضى قد شفعا لى فى ان تربينى فى المستقبل أو ربيتنى فيما مضى فانتم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع أحد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه

والتكذيب وأصل الدأب من دأبت فى الامر دأبا اذا أدمنت العمل والتعب فيه ثم ان العرب نقلت معناه الى الشان والامر والعادة كما قال امرؤ القيس بن حجر

وان شفائى عبرة مهراقة فهل * عند رسم دارس من معول

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

يعنى بقوله كدأبك كشانك وأمرك وفعلك يقال منه هذا دأبى ودأبك أبدا يعنى به فعلى وفعلك وأمرى وأمرك وشأنى وشأنك يقال منه دأبت دؤوبا ودأبا وحكى عن العرب سمعا دأبت دأبا مثقلة محركة الهمزة كما قيل هذا شعر وبهر فتحرك ثانيه لانه حرف من الحروف الستة فالحق الدأب اذ كان ثانيه من الحروف الستة كما قال الشاعر

له نعل لا يطأ الكلب ريحها * وان وضعت بين المجالس شمت

وأما قوله والله شديد العقاب فانه يعنى به والله شديد عقابه لمن كفر به وكذب رسله بعد قيام الحجة عليه ۞ القول فى تاويل قوله (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) اختلفت القراء فى ذلك فقرأه بعضهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون بالتاء على وجه الخطاب للذين كفروا بانهم سيغلبون واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله قد كان لكم آية فى فئتين قالوا ففى ذلك دليل على ان قوله ستغلبون كذلك خطاب لهم وذلك هو قراءة عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين وقد يجوز لمن كانت بينه وفى هذه الآية ان الموعودين بان يغلبوا هم الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بان يقول ذلك لهم ان يقرأه بالياء والتاء لان الخطاب بالوحى حين نزل لغيرهم فيكون نظير قول القائل فى الكلام قلت للقوم انكم مغلوبون وقلت لهم انهم مغلوبون وقد ذكر ان فى قراءة عبد الله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ان ينتهوا يغفر لكم وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة ستغلبون ويحشرون على معنى قل لليهود سيغلب مشركو العرب ويحشرون الى جهنم ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز فى قراءته غير الياء والذى نختار من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه بالتاء بمعنى قل يا محمد للذين كفروا من يهود بنى اسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آى الكتاب الذى أنزلته اليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك على قراءته بالياء لدلالة قوله قد كان لكم آية فى فئتين على انهم بقوله ستغلبون مخاطبون خطابهم بقوله قد كان لكم فكان الحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب وأخرى ان أبا كريب حدثنا قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر يهود اسلموا قبل ان يصيبكم مثل ما أصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تات مثلنا فانزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى قوله لاولى الابصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما أصاب الله قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة ثم ذكر نحو حديث أبى كريب عن يونس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان من أمر بنى قينقاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم

منكر وجوب الزكاة احتج بوجوب الزكاة أحتج به والجواب أن دلائل وجوب الزكاة أخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فصار من

يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله ياخذ المذنب بالذنب والمذنب ياخذ به بالعفو والكرم أي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو أن يترك الفعل لتاويل فاسد كما ان الخطا هو أن يفعل الفعل لتاويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا العمل لله فترك أن يثيبهم واما ضد الذكر وأورد عليه ان النسيان والخطا متجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن رأى دما في ثوبه وأخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عمد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر حاجته شد خيطا في أصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كان يصدر

عبرة يخوفهم بذلك ان يحل بهم منهم مثل الذي أحل باهل بدر على أيديهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة أنزلت في التخفيف يوم بدر كان المؤمنون كانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان المشركون مثليهم فانزل الله عز وجل قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة فايد الله المؤمنين فكان هذا الذي في التخفيف على المؤمنين وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن عدة المشركين يوم بدر وذلك ان الناس انما اختلفوا في عددهم على وجهين فقال بعضهم كان عددهم ألفا وقال بعضهم ما بين التسعمائة الى الالف ذكر من قال عددهم ألف حدثني هرون بن اسحق الهمداني قال ثنا مصعب ابن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن علي قال سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فاما القرشي فافلت وأما مولى عقبة فاخذناه فجعلنا نقول كم القوم فيقول هم والله كثير شديد باسهم فجعل المسلمون اذا قال ذلك صدقوه حتى انتهوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم فقال هم والله كثير شديد باسهم فجهد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يخبره كم هم فابى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله كم تنحرون من الجزور وقال عشرة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ألف حدثني أبو سعيد أن يوشع البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أسرنا رجلا منهم يعني من المشركين يوم بدر فقلنا كم كنتم قال ألفا ذكر من قال كان عددهم ما بين التسعمائة الى الالف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق قال يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون له ماء فاصابوا راويا يتمن قريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص فاتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما كم القوم فقالا كثير قال ما عدتهم فقالا لا ندري قال كم تنحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ذلكم يوم بدر الف المشركون أو قاربوا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا الى قوله رأي العين قال يضعفون عليهم فقتلوا منهم سبعين واثنين وأسروا تسعين بغلة يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين قال كان ذلك يوم بدر وكان المشركون تسعمائة وخمسين وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر والمشركون ما بين التسعمائة الى الالف فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القول الذي رويناه عن ابن عباس في عدد المشركين يوم بدر فاذ كان ما قاله من حكيناه ممن ذكران عددهم كان زائدا على التسعمائة فالتاويل الاول الذي قلناه على الرواية التي رويناها عن ابن مسعود أولى بتاويل الآية * وقال آخرون كان عدد المشركين زائدا على التسعمائة فراى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد وقالوا

أخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اختصال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على أن العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيفما صدر عنه قالت المعتزلة في الآية دليل على أن الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدورا فعاله منه

فكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكما قال ابن مقرع

فكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان
فاما التي صحت فازد شنوءة * وأما التي شلت فازد عمان

وكذلك تفعل العرب في كل مكرر على نظيره قد تقدمه اذا كان مع المكرر خبر ترد على اعراب الاول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع وتنصبه في التام من الفعل والناقص وقد جوز ذلك كله نخفض على الرد على أول الكلام كأنه يعني كنت كذي رجلين كذي رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك الخفض في قوله فئة تقاتل على الرد على قوله في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وهذا وان كان جائزا في العربية فلا استجيز القراءة به لاجماع الحجة من القراء على خلافه ولو كان قوله فئة جاء نصبا كان جائزا أيضا على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا مختلفتين ۞ القول في تأويل قوله (يرونهم مثليهم رأى العين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة ترونهم بالتاء بمعنى قد كان لكم أيها اليهود آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله والاخرى كافرة ترون المشركين مثلي المسلمين رأى العين يريد بذلك عظنهم يقول ان لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين يرونهم مثليهم بالياء بمعنى يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلي المسلمين في القدر فتأويل الآية على قراءتهم قد كان لكم يا معشر اليهود عبرة ومتفكر في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين في كثرة عددهم فان قال قائل وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء وأي الفئتين رأت صاحبتها مثليها الفئة المسلمة هي التي رأت المشركة مثليها أم المشركة هي التي رأت المسلمة كذلك أم غير هما رأت احداهما كذلك قيل اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم الفئة التي رأت الاخرى مثلي أنفسها الفئة المسلمة رأت عدد الفئة المشركة مثلي عدد الفئة المسلمة قللها الله عز وجل في أعينها حتى رأتها مثلي عدد أنفسها ثم قللها في حال أخرى فرأتها مثل عدد أنفسها ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال هذا يوم بدر قال عبد الله بن مسعود قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قول الله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم فمعنى الآية على هذا التأويل قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا احداهما مسلمة والاخرى كافرة كثير عدد الكافرة قليل عدد المسلمة ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا لها انما يكثرها من العدد بمثل واحد فهم يرونهم مثليهم فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذي هو مثل عدد الفئة التي رأتهم والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم فهذا أحد معنيي التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين انه قللهم في أعينهم والمعنى الآخر منه التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود هو ان أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا وقال آخرون من أهل هذه المقالة ان الذين رأوا المشركين مثلي أنفسهم هم المسلمون غير ان المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقللوا في أعينهم ولكن الله أيدهم بنصره قالوا ولذلك قال الله عز وجل للهود قد كان لكم فيهم

قراءة العرب في كل مكرر على نظيره قد تقدمه اذا كان مع المكرر خبر ترد على اعراب الاول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع وتنصبه في التام من الفعل والناقص وقد جوز ذلك كله نخفض على الرد على أول الكلام كأنه يعني كنت كذي رجلين كذي رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك الخفض في قوله فئة تقاتل على الرد على قوله في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وهذا وان كان جائزا في العربية فلا استجيز القراءة به لاجماع الحجة من القراء على خلافه ولو كان قوله فئة جاء نصبا كان جائزا أيضا على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا مختلفتين ۞ القول في تأويل قوله (يرونهم مثليهم رأى العين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة ترونهم بالتاء بمعنى قد كان لكم أيها اليهود آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله والاخرى كافرة ترون المشركين مثلي المسلمين رأى العين يريد بذلك عظنهم يقول ان لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين يرونهم مثليهم بالياء بمعنى يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلي المسلمين في القدر فتأويل الآية على قراءتهم قد كان لكم يا معشر اليهود عبرة ومتفكر في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين في كثرة عددهم فان قال قائل وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء وأي الفئتين رأت صاحبتها مثليها الفئة المسلمة هي التي رأت المشركة مثليها أم المشركة هي التي رأت المسلمة كذلك أم غير هما رأت احداهما كذلك قيل اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم الفئة التي رأت الاخرى مثلي أنفسها الفئة المسلمة رأت عدد الفئة المشركة مثلي عدد الفئة المسلمة قللها الله عز وجل في أعينها حتى رأتها مثلي عدد أنفسها ثم قللها في حال أخرى فرأتها مثل عدد أنفسها ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال هذا يوم بدر قال عبد الله بن مسعود قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قول الله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم فمعنى الآية على هذا التأويل قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا احداهما مسلمة والاخرى كافرة كثير عدد الكافرة قليل عدد المسلمة ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا لها انما يكثرها من العدد بمثل واحد فهم يرونهم مثليهم فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذي هو مثل عدد الفئة التي رأتهم والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم فهذا أحد معنيي التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين انه قللهم في أعينهم والمعنى الآخر منه التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود هو ان أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا وقال آخرون من أهل هذه المقالة ان الذين رأوا المشركين مثلي أنفسهم هم المسلمون غير ان المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقللوا في أعينهم ولكن الله أيدهم بنصره قالوا ولذلك قال الله عز وجل للهود قد كان لكم فيهم

أخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اختصال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على أن العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيفما صدر عنه قالت المعتزلة في الآية دليل على أن الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدورا فعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولا انتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تقرير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالآية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين أن لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وأنه لا يلزم من طرو أحدهما زوال الآخر وقال الجبائي تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما أضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها في اثبات أن الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها أن المضمونات لا تملك بأداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل أم الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان

غرة

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار يقول لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر أيدهم الله ونصرهم على عدوهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تأويل قوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) يعنى تعالى ذكره زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدد وانما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه وكان الحسن يقول من ذمها ما أحد أشد لها ذما من خالقها حدثنى بذلك أحمد ابن سازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشعث عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن جرير عن عطاء عن أبى بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال قال عمر لما نزل زين للناس حب الشهوات قلت الآن يارب حين زينتها للناس فنزلت قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأما القناطير فانها لجمع القنطار واختلف أهل التأويل فى مبلغ القنطار فقال بعضهم هو ألف ومائتا أوقية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سالم بن أبى الجعد عن معاذ بن جبل قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سالم بن أبى الجعد عن معاذ مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يعنى حفص بن ميسرة عن أبى مروان عن أبى طيبة عن ابن عمر قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا القاسم بن مالك المزنى قال أخبرنى العلاء بن المسيب عن عاصم بن أبى النجود قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح عن أبى هريرة مثله حدثنى زكريا بن يحيى الصديق قال ثنا شبابة قال ثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية وقال آخرون القنطار ألف دينار ومائتا دينار ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف ومائتا دينار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا يونس عن الحسن قال القنطار ألف ومائتا دينار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول القناطير المقنطرة يعنى المال الكثير من الذهب والفضة القنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال * وقال آخرون القنطار اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال القنطار اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار حدثنى المثنى قال ثنا عمرو ابن عوف قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال القنطار ألف دينار ومن الورق اثنا عشر ألف درهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ان القنطار اثنا عشر ألفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال أخبرنا عوف عن الحسن القنطار اثنا عشر ألفا حدثنا ابن بشار قال ثنا عوف عن الحسن اثنا عشر ألفا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن بمثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن قال القنطار ألف دينار دية أحدكم وقال آخرون هو ثمانون ألفا من الدراهم أو مائة رطل من الذهب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار

غلب القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم فى التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غلب عليهم وكانت مصلحتهم فى التخفيف وترك التغليظ وأما ان اليهود لم خصت بغلظ الطبع وهذه الامة بالطافة والكرم فليس لنا أن نعلم تفاصيل جميع الكائنات ومالا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسك به فى جواز تكليف مالا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء وأجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا أى ما يشق فعله لا الذى لا قدرة لنا عليه وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق أى لا يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب أى لا تحملنا عذابك الذى لا نطيق احتماله سلمنا أنهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم مالا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز أن يفعل

خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل على جواز أن يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولا تخزنى يوم يبعثون لا يدل على ان خزى الانبياء جائز قيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذى لا قدرة عليه بالتحميل وأجيب بان الحامل قد يحمل ما لا يطاق هو التحميل دون الحمل قيل لما طلب ان لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لانه أقل من عكس

عنهم مالا ينبغي الاعلى وجه الخطا والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فرب ما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة أو لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما أرشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطا لابد أن يفسرا بما فيه العمل والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد أمر الله المسلمين أن يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما آصرني على فلان اصرة أي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا

أرى الله المسلمين عدد المشركين قليلا آية للمسلمين قالوا وانما عنى الله عز وجل بقوله يرونهم مثليهم المخاطبين بقوله قد كان لكم آية في فئتين قالوا وهم اليهود غير انه رجع من المخاطبة الى الخبر عن الغائب لانه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك لهم فحسن ان يخاطب مرة ويخبر عنهم على وجه الخبر مرة أخرى كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا فان قال لنا قائل فكيف قيل يرونهم مثليهم رأي العين وقد علمتم ان المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين قلنا لهم كما يقول القائل وعنده عبد احتاج الى مثله أنا محتاج اليه والى مثله ثم يقول احتاج الى مثليه فيكون ذلك خبرا عن حاجته الى مثله والى مثلي ذلك المثل وكما يقول الرجل معي ألف واحتاج الى مثليه وهو محتاج الى ثلاثة فلما رأى أن يكون الالف داخلا في معنى المثل صار المثل أشرف ٧ والاثنان ثلاثة قال ومثله في الكلام أراكم مثليكم كما يقال ان لكم ضعفكم وأراكم مثليكم يعني أراكم ضعفكم قالوا فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثل عددهم وهذا أيضا خلاف ما دل عليه ظاهر التنزيل لان الله جل ثناؤه قال في كتابه واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم فاخبر ان كلا من الطائفتين قلل عدد صاحبتها في مرأى الاخرى وقرأ آخرون ذلك ترونهم بضم التاء بمعنى يريكموهم الله مثليهم وأولى هذه القراءة بالصواب قراءة من قرأ يرونهم بالياء بمعنى وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم يعني مثلي عدد المسلمين لتقليل الله اياهم في أعينهم في حال فكان حزرهم اياهم كذلك ثم قللهم في أعينهم عن التقليل الاول فحزروهم مثلي عدد المسلمين ثم تقليلا ثالثا فحزروهم أقل من عدد المسلمين كما

حدثني أبو سعيد البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا وقد روي عن قتادة انه كان يقول لو كانت ترونهم لكانت مثليكم حدثني المثنى قال ثنى عبد الرحمن بن أبي حماد عن ابن المبارك عن معمر عن قتادة بذلك ففي الخبرين اللذين رويناعن عبد الله بن مسعود ما أبان عن اختلاف حزر المسلمين يومئذ عدد المشركين في الاوقات المختلفة فاخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين اليهود على ما كان به عندهم مع علم اليهود ببلغ عدد الفئتين اعلاما منه لهم انه مؤيد المؤمنين بنصره لئلا يغتروا بعددهم وباسهم ويحذروا منه ان يحل بهم من العقوبة على أيدي المؤمنين مثل الذي أحل باهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدر هم وأما قوله رأي العين فانه مصدر رأيته يقال رأيته رأيا ورؤية ورأيت في المنام رؤيا حسنة غير مجراة يقال هو مني رأي العين ورأي العين بالنصب والرفع يراد حيث يقع عليه بصري وهو من الرائي مثل والقوم راؤا اذا جلسوا حيث يرى بعضهم بعضا فمعنى ذلك يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم وتراهم عيونهم مثليهم * القول في تاويل قوله (والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) يعني بذلك جل ثناؤه والله يؤيد بقوى بنصره من يشاء من قول القائل قد أيدت فلانا بكذا اذا قويته وأعنته فانا أؤيده تأييدا وفعلت منه أدته فانا أؤيده أيدا ومنه قول الله عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني ذا القوة وتأويل الكلام قد كان لكم آية يا معشر اليهود في فئتين التقتا احداهما تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم فايدنا المسلمة وهم قليل عددهم على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر والله يقوي بنصره من يشاء جل ثناؤه في ذلك يعني ان فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تاييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها العبرة يعني لمتفكرا ومتعظا لمن عقل وذكر نصرنا الحق كما

حدثنا

سعيد بن جبير هى الراعية يعنى السائمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن
عبد الرحمن بن ابزى يقول الراعية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
أبيه عن ابن عباس والخيل المسومة قال الراعية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
عن الحسن والخيل المسومة المسروجة فى الرعى حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن
أبيه عن الربيع قوله والخيل المسومة قال الخيل الراعية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه
عن ليث عن مجاهد انه كان يقول الخيل الراعية * وقال آخرون المسومة الحسان ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قال مجاهد المسومة المطهمة
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن مجاهد فى قوله
والخيل المسومة قال المطهمة الحسان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والخيل المسومة قال المطهمة حسنا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال
ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب
عن مجاهد المطهمة حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا سعيد بن أبى أيوب عن
بشر بن أبى عمرو الخولانى قال سألت عكرمة عن الخيل المسومة قال تسويمها حسنها حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سعيد بن أبى أيوب عن بشر بن أبى عمرو الخولانى قال سمعت عكرمة يقول
الخيل المسومة قال تسويمها الحسن حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى
والخيل المسومة والانعام الرائعة وقد حدثنى بهذا الحديث عن عمرو بن حماد عن موسى قال الراعية
* وقال آخرون الخيل المسومة المعلمة ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال
ثنى معاوية عن على عن ابن عباس والخيل المسومة يعنى المعلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة والخيل المسومة وسيماها شيتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة فى قوله والخيل المسومة قال شية الخيل فى وجوهها وقال غيرهم المسومة المعدة للجهاد ذكر
من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والخيل المسومة قال المعدة للجهاد قال أبو
جعفر أولى هذه الاقوال بالصواب فى تأويل قوله والخيل المسومة المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسنا من
أجل ان التسويم فى كلام العرب هو الاعلام فالخيل الحسان معلمة باعلام الله اياها بالحسن من ألوانها وشياتها
وهيآتها وهى المطهمة أيضا ومن ذلك قول النابغة بنى ذبيان فى صفة الخيل

بسمر كالقداح مسومات * عليها معشر أشباه جن

يعنى بالمسومات المعلمات وقول لبيد

وغداة قاع القريتين أتيتهم * زجلا يلوح خلالها التسويم

فمعنى تأويل من تأول ذلك المطهمة والمعلمة والرائعة واحد وأما قول من تأوله بمعنى الراعية فانه ذهب الى قول
القائل أسمت الماشية فانا أسيمها اسامة اذا رعيتها الكلا والعشب كما قال الله عز وجل ومنه شجر فيه تسيمون
يعنى ترعون ومنه قول الاخطل مثل ابن برعة أو كآخر مثله * أولى من مسيمة الاجمال * يعنى بذلك
راعية الاجمال فاذا أريد الماشية هى التى رعت قيل سامت الماشية تسوم سوما ولذلك قيل ابل سائمة بمعنى
راعية غير انه غير مستفيض فى كلامهم سومت الماشية بمعنى أرعيتها وانما يقال اذا أريد ذلك أسمتها فاذ كان
ذلك كذلك فتوجيه تأويل المسومة الى انها المعلمة بما وصفنا من المعانى التى تقدم ذكرها أصح وأما الذى

تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة
وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرأ الآيتين من آخر
سورة البقرة فى ليلة كفتاه
وعنه صلى الله عليه وسلم
أوتيت خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم
يؤتهن نبى قبلى وعنه صلى
الله عليه وسلم أنزل الله
آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل أن يخلق
الخلق بالفى سنة من قرأهما
بعد العشاء الآخرة أجزأتاه
عن قيام الليل وروى
الواحدى عن مقاتل بن
سليمان انه لما أسرى بالنبى
صلى الله عليه وسلم الى
السماء أعطى خواتيم
سورة البقرة فقالت
الملائكة له ان الله عز وجل
أكرمك بحسن الثناء
بقوله آمن الرسول فاسأله
وارغب اليه فعلمه جبريل
عليه السلام كيف يدعو
فقال النبى صلى الله عليه
وسلم غفرانك ربنا فقال
الله قد غفرت لكم فقال
لا تؤاخذنا فقال الله
لا أؤاخذكم فقال لا تحمل
علينا اصرا فقال لا أشدد
عليكم فقال لا تحملنا ما لا
طاقة لنا به فقال لا أحملكم

ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفى بعض الروايات ان محمدا صلى
الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون آمين (التأويل) الانسان مركب من عالمى الامر والخلق له روح نورانى من عالم
الامر والملكوت له نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فعناية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة أوصافها

الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر أى لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تغريطهم فى المحافظة عليها وأما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا أن لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا وهو التكليف بما تكلف من قبلهم ثم سألوا أن لا يكلفهم التكليف الشاق الذى لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم أم لا وقيل

وأحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سليمان التيمى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث ان القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألفا من الورق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألف درهم من ورق حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح قال القنطار مائة رطل حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى القنطار يكون مائة رطل وهو ثمانية آلاف مثقال وقال آخرون القنطار سبعون ألفا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله القناطير المقنطرة قال القنطار سبعون ألف دينار حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمرو بن حوشب قال سمعت عطاء الخراسانى قال سئل ابن عمر عن القنطار فقال سبعون ألفا وقال آخرون هى ملء مسك ثور ذهبا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سالم بن نوح قال ثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة قال ملء مسك ثور ذهبا حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشهب عن أبى نضرة ملء مسك ثور ذهبا وقال آخرون هو المال الكثير ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال القناطير المقنطرة المال الكثير بعضه على بعض وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ان العرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ولكنها تقول هو قدر ووزن وقد ينبغى أن يكون ذلك كذلك لان ذلك لو كان محدودا قدره عندها لم يكن بين متقدمى أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف فالصواب فى ذلك ان يقال هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحد قدر وزنه بحد على تعنف وقد قيل ما قيل مما رويناه وأما المقنطرة فهى المضعفة وكان القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وهو كما قال الربيع بن أنس المال الكثير بعضه على بعض كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله القناطير المقنطرة يعنى المال الكثير من الذهب والفضة وقال آخرون معنى المقنطرة المضروبة دراهم أو دنانير ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما قوله المقنطرة فيقول المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وآتيتم احداهن قنطارا خبر لو صح سنده لم نعده الى غيره وذلك ما حدثنا به ابن عبد الرحمن البرقى قال ثنى عمرو بن أبى سلمة قال ثنا زهير بن محمد قال ثنى أبان بن أبى عياش وحميد الطويل عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتيتم احداهن قنطارا قال ألفا ومائتين يعنى ألفين ۞ القول فى تأويل قوله (والخيل المسومة) اختلف أهل التأويل فى معنى المسومة فقال بعضهم هى الراعية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير الخيل المسومة قال الراعية التى ترعى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن

الاول طلب ترك التشديد فى مقام القيام بظاهر الشريعة والثانى طلب ذلك فى مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمه أى لا تطلب منى جدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك وأما الفائدة فى حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع فى لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا فذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شئ كان حصوله أرجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قول ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بأن العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القرب وتوالى من الله والفرق بين العفو والمغفرة وارحمنا ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسمانى والثانى هو العذاب الروحانى وبعد التخلص منهما أقبل على طلب الثواب وهو أيضا قسمان جسمانى هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحانى وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله أنت مولانا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولى لكل نعمة ينالونها وهو المعطى لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذى لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذى لا ينتظم شمل

سعيد

قبل أن أخلقك وخلقت الكائنات لحبتك ولان أمتك أكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم مادام موافي متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت أمتك من أنوار متابعتك تستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتوانى عن ظل متابعتك تستاهل المصير فى دركات السعير فتارة أسكره لذة هذا الخطاب وأخرى أقحمته سطوة هذا العتاب فقال وبنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا أى لا تعاقب أمتى ان نسيت عهدك الذى عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك وأخطات طريق طلبك ولكن ما أخطات طريق عبوديتك فلم يعبدوا غيرك وأنت قلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا أسرى النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا بحب أنانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا أنت مولانا ولينا فى رفع وجودنا وناصرنا فى نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك وأعنا فى المصير اليك على قمع كفار الانانية التى تمنعنا من وحدتك شعر

بينى وبينك انى ينازعنى
فارفع بحودك انى من البين

وحسبى الله

(سورة آل عمران وهى مدنية حروفها ٤٤٢٤ كلماتها ٤٨٥ آياتها مائتان)

ماذا لك أو على انه يقال ماذا لهم أو ماذا لك فقال هو جنات تجرى من تحتها الانهار الآية * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من جعل الاستفهام متناهيا عند قوله بخير من ذلكم والخبر بعده مبتدأ عن له الجنات بقوله للذين اتقوا عند ربهم جنات فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر وهو انابة عن معنى الخبر الذى قال أؤنبئكم به فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة الى ضمير * قال أبو جعفر الطبرى وأما قوله خالدين فيها فمنصوب على القطع ومعنى قوله للذين اتقوا الذين خافوا الله فاطاعوه باداء فرائضه واجتناب معاصيه عند ربهم يعنى فذلك لهم جنات تجرى من تحتها الانهار عند ربهم والجنات البساتين وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى وان قوله تجرى من تحتها الانهار يعنى به من تحت الاشجار وأن الخلود فيها دوام البقاء فيها وأن الازواج المطهرة هن نساء الجنة اللواتى طهرن من كل أذى يكون بنساء أهل الدنيا من الحيض والمنى والبول والنفاس وما أشبه ذلك من الاذى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ورضوان من الله يعنى ورضى الله وهو مصدر من قول القائل رضى الله عن فلان فهو يرضى عنه رضى منقوص ورضوانا ورضوانا ومرضاة فاما الرضوان بضم الراء فهو لغة قيس وبه كان عاصم يقرأ وانما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخبر رضوانه لان رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة كما حدثنا ابن بشار قال ثنى أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى أعطيكم أفضل من هذا فيقولون أى ربنا أى شئ أفضل من هذا قال رضوانى * وقوله والله بصير بالعباد يعنى بذلك والله ذو بصر بالذى يتقيه من عباده فيخافه فيطيعه ويؤثر ما عنده مما ذكر انه أعده للذين اتقوه على حب ما زين له فى عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدد منها تعالى ذكره وبالذى لا يتقيه فيخافه ولكنه يعصيه ويطيع الشيطان ويؤثر ما زين له فى الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والاموال على ما عنده من النعيم المقيم عالم تعالى ذكره بكل فريق منهم حتى يجازى كلهم عند معادهم اليه جزاءهم المحسن باحسانه والمسئ باساءته ۞ القول فى تاويل قوله (الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) ومعنى ذلك قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقد يحتمل الذين يقولون وجهين من الاعراب الخفض على الرد على الذين الاولى والرفع على الابتداء اذ كان فى مبتدأ آية أخرى غير التى فيها الذين الاولى فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثم قال فى مبتدأ الآية التى بعدها التائبون العابدون ولو كان جاء ذلك مخفوضا كان جائزا ومعنى قوله الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا الذين يقولون انا صدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها وتركك عقوبتنا عليها وقنا عذاب النار ادفع عنا عذابك ايانا بالنار أن تعذبنا بها وانما معنى ذلك لا تعذبنا يا ربنا بالنار وانما خصوا المسئلة بان يقيهم عذاب النار لان من زحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب الله وحسن مآبه وأصل قوله قنا من قول القائل وقى الله فلانا كذا اذا رأيته دفع عنه فهو يقيه فاذا سأل بذلك سائل قال قنى كذا ۞ القول فى تاويل قوله (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين) يعنى بقوله الصابرين الذين صبروا فى البأساء والضراء وحين البأس ويعنى بالصادقين الذين صدقوا الله فى قولهم بتحقيقهم الاقرار به وبرسوله وما جاء به من عنده بالعمل بما أمر به والانتهاء عما نهاه عنه ويعنى بالقانتين المطيعين له وقد أتينا على الابانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها وبالاخبار عمن قال فيها قولا فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد كان قتادة يقول فى ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الصابرين والصادقين

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر

وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم مودع من أنوار الاخلاق الروحانية فى الظاهر باعمال الشريعة وفى الباطن باحوال الحقيقة أو تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية فى الظاهر بمخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول أنوار الروح أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنور قربه العلى الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمى الامر والخلق قدير لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فاجاب صلى الله عليه وسلم بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا وأطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون منى فى جزاء السمع والطاعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا أن تسترهم بستر بال فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيرى اليك لا الى من سواك قال الله فى جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك فى مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولهذا قال لك جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت وان ما الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم فى سماء واقفون حبستهم رحمتى كيلا تحرقهم سبحات وجهى وسطوات قهرى فكيف أكلف أمتك المذنبة المرحومة بهذا المصير وانى بضعف حالهم بصير وانما بلغك هذا المقام حتى جاورت الرسل الكرام ان اتخذتك حبيبا

قاله ابن زيد من انها المعدة فى سبيل الله فتأويل من معنى المسومة بمعزل ۞ القول فى تاويل قوله (والانعام والحرث) فالانعام جمع نعم وهو الازواج الثمانية التى ذكرها فى كتابه من الضان والمعز والبقر والابل وأما الحرث فهو الزرع وتاويل الكلام زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ومن كذا ومن كذا ومن الانعام والحرث ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك جميع ماذكر فى هذه الآية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فكنى بقوله عن جميعهن وهذا يدل على ان ذلك يشتمل على الاشياء الكثيرة المختلفة المعانى ويكنى به عن جميع ذلك وأما قوله متاع الحياة الدنيا فانه خبر من الله عن ان ذلك كله مما يستمتع به فى الدنيا أهلها أحياء فيتبلغون به فيها ويجعلونه وصلة فى معايشهم وسببا لقضاء شهواتهم التى زينها لهم حبها فى عاجل دنياهم دون أن يكون عدة لمعادهم وقربة لهم الى ربهم الا ما أسلك فى سبيله وأنفق منه فيما أمر به وأما قوله والله عنده حسن المآب فانه يعنى بذلك جل ثناؤه وعند الله حسن المآب يعنى حسن المرجع كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى والله عنده حسن المآب يقول حسن المنقلب وهى الجنة وهو مصدر على مثال مفعل من قول القائل آب الرجل الينا اذا رجع فهو يؤوب اياباً وأوبة وأيبة وما آب فانه جاء منها مهموز والعين مبدلة من الواو التى الالف بحركتها الى الفتح قلنا كان حظها الحركة الى الفتح وكانت حركتها منقولة الى الحرف الذى قبلها وهو فاء الفعل انقلبت فصارت ألفا كما قيل قال فصارت عين الفعل ألفا لان حظها الفتح والمآب مثل المقال والمعاد والمحال كل ذلك مفعل منقولة حركة عينه الى فائه فصير قواوه أو ياؤه ألفا لفتحة ما قبلها ۞ فان قال قائل وكيف قيل والله عنده حسن المآب ولقد علمت ما عنده لمن مات من أليم العذاب وشديد العقاب قيل ان ذلك معنى به خاص من الناس ومعنى ذلك والله عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم وقد أنبأنا عن ذلك فى هذه الآية التى تليها فان قال وما حسن المآب قيل هو ما وصفه به جل ثناؤه وهو المرجع الى جنات تجرى من تحتها الانهار مخلدا فيها والى أزواج مطهرة ورضوان من الله ۞ القول فى تاويل قوله (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) يعنى جل ثناؤه قل يا محمد للذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين وسائر ماذكر ربنا جل ثناؤه أنبئكم أخبركم وأعلمكم بخير من ذلكم يعنى بخير وأفضل لكم من ذلكم يعنى مما زين لكم فى الدنيا حب شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وأنواع الاموال التى هى متاع الدنيا * ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تناهى اليه الاستفهام من هذا الكلام فقال بعضهم تناهى ذلك عند قوله من ذلكم ثم ابتدأ الخبر عما للذين اتقوا عند ربهم فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فلذلك رفع الجنات ومن قال هذا القول لم يجز فى قوله جنات تجرى من تحتها الانهار الا الرفع وذلك انه خبر مبتدأ غير مردود على قوله بخير فيكون الخفض فيه جائزا وهو وان كان خبر مبتدأ عندهم ففيه انابة عن معنى الخبر الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أنبئكم به والجنات على هذا القول مرفوعة بالام التى فى قوله للذين اتقوا عند ربهم * وقال آخرون منهم بنحو هذا القول الا انهم قالوا ان جعلت اللام التى فى قوله للذين من صلة الانباء جاز فى الجنات الخفض والرفع الخفض على الرد على الخبر والرفع على أن يكون قوله للذين اتقوا خبر مبتدأ على ما قد بيناه قبل * وقال آخرون بل منتهى الاستفهام قوله عند ربهم ثم ابتدأ جنات تجرى من تحتها الانهار وقالوا تاويل الكلام قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم ثم كانه قيل ماذا لهم أو

أوفاء التعقيب للتسبيب الوهاب فيه ط المبعاده شيأ ط النزولا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط بآياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه (التفسير) اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني أن يكون ذلك على لغة من يقطع ألف الوصل وأما من فتح الميم ففيه قولان أحدهما قول الفراء (١٢٩) واختيار كثير من البصريين وصاحب

المتقدمين منهم والمتاخرين بدعوى تاويل على ابن عباس وابن مسعود زعم انهما قالاه وقرآبه وغير معلوم ما ادعى عليه برواية صحيحة ولا سقيمة تركني شاهدا على خطأ قراءة خرج وجها من قراءة أهل الاسلام فالصواب اذ كان الامر على ما وصفنا من قراءة ذلك فتح الالف من انه الاولى وكسر الالف من ان الثانية أعني من قوله ان الدين عند الله الاسلام ابتداء وقد روى عن السدى فى تاويل ذلك قول كالدال على صحة ما قرأبه فى ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية فى فتح أن من قوله ان الدين وهو ما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة الى لا اله الا هو العزيز الحكيم فان الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس ان الدين عند الله الاسلام فهذا التأويل يدل على أن الشهادة انما هى عاملة فى ان الثانية التى فى قوله ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا التأويل جائز فى ان فى الاولى وجهان من التأويل أحدهما أن تكون الاولى منصوبة على وجه الشرط بمعنى شهد الله بانه واحد فتكون مفتوحة بمعنى الخفض فى مذهب بعض أهل العربية وبمعنى النصب فى مذهب بعضهم والشهادة عاملة فى ان الثانية كانك قلت شهد الله ان الدين عند الله الاسلام لانه واحد ثم تقدم لانه واحد فتفتحها على ذلك التاويل والوجه الثانى ان تكون ان الاولى مكسورة بمعنى الابتداء لانها معترضة بها والشهادة واقعة على ان الثانية فيكون معنى الكلام شهد الله فانه لا اله الا هو والملائكة ان الدين عند الله الاسلام كقول القائل أشهد فانى محق انك مما تعاب به برىء فان الاولى مكسورة لانها معترضة والشهادة واقعة على ان الثانية وأما قوله قائما بالقسط فانه بمعنى الذى يلى العدل بين خلقه والقسط هو العدل من قولهم هو مقسط وقد أقسط اذا عدل ونصب قائما على القطع * وكان بعض نحوى أهل البصرة يزعم انه حال من هو التى فى لا اله الا هو * وكان بعض نحوى الكوفة يزعم انه حال من اسم الله الذى مع قوله شهد الله فكان معناه شهد الله القائم بالقسط أنه لا اله الا هو وقد ذكر انها فى قراءة ابن مسعود كذلك وأولو العلم القائم بالقسط ثم حذفت الالف واللام من القسط فصار نكرة وهو نعت لمعرفة فنصب * وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندى قول من جعله قطعا على انه من نعت الله جل ثناؤه لان الملائكة وأولى العلم معطوفون عليه فكذلك الصحيح أن يكون قوله قائما حالا منه وأما تاويل قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم فانه نفى أن يكون شئ مستحق العبودة غير الواحد الذى لا شريك له فى ملكه ويعنى بالعزيز الذى لا يمتنع عليه شئ أراده ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه الحكيم فى تدبيره فلا يدخله خلل وانما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى من البنوة ومانسب اليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا واتخاذهم دونه أربابا فاخبرهم الله عن نفسه انه الخالق كل ما سواه وانه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربا دونه وان ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيما لنفسه وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا اليها كما سن لعباد أن يبدؤا فى أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك والمراد من الكلام الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدموه من ملائكته وعلماء عباده فاعلمهم ان ملائكته التى تعظمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدها الكثير منهم وأهل العلم منهم منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم فى عيسى وقول من اتخذ باغيا من سائر الخلق فقال شهدت الملائكة وأولوا العلم أنه لا اله الا هو وان كل من اتخذ بادون الله فهو كاذب احتجاجا منه لنبيه عليه السلام على الذين حاجوه من وفد نجران فى عيسى واعترض بذكر الله وصفته على ما بينه كما قال جل ثناؤه واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه افتتاحا باسمه الكلام فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة

الكشاف ان أسماء المعروف موقوفة الاواخر تقول ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأ انابه ثبت الهمزة متحركة الانهم أسقطوا الهمزة للتخفيف وألقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها فى حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة فى الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الانهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هى المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها فى الوصل أصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدى نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم

أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح والثانى مشيرهم ووزيرهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم يقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموله وأكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم فلما قدموا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان الى جنبه أخوه كرز بن علقمة

متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد (١٢٨) ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار

والقانتين والمنفقين الصادقين يوم صدقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم وصدقوا في السر والعلانية
والصابرين يوم صبر واعلى طاعة الله وصبروا عن محارمه والقانتون هم المطيعون لله وأما المنفقون فهم المؤدون
زكوات أموالهم وواضعوها على ما أمرهم الله بإتيانها والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم بجل
ثناؤه بانفاقها فيها وأما الصابرين والصادقين وسائر هذه الحروف فمخفوض رداعلى قوله الذين يقولون ربنا
انا آمنا والخفض في هذه الحروف يدل على أن قوله الذين يقولون خفض رداعلى قوله للذين اتقوا عند ربهم
القول في تأويل قوله (والمستغفرين بالاسحار) اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة
صفتهم فقال بعضهم المصلون بالاسحار ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة والمستغفرين بالاسحار هم أهل الصلاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر
عن أبيه عن قتادة والمستغفرين بالاسحار قال يصلون بالاسحار * وقال آخرون هم المستغفرون ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حريث بن أبي مطر عن ابراهيم بن حاطب عن أبيه قال
سمعت رجلا في العصر في ناحية المسجد وهو يقول رب أمرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي فنظرت فاذا ابن
مسعود حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر
عن قول الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار قال حدثني سليمان بن موسى قال ثنا نافع أن ابن عمر كان
يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن بعض البصريين عن أنس بن مالك قال أمرنا أن نستغفر بالاسحار
سبعين استغفارة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو يعقوب الضبي
قال سمعت جعفر بن محمد يقول من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين
بالاسحار * وقال آخرون هم الذين يشهدون الصبح في جماعة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا
اسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن قال قلت لزيد بن أسلم من المستغفرين بالاسحار
قال هم الذين يشهدون الصبح * وأولى هذه الاقوال بتأويل قوله والمستغفرين بالاسحار قول من قال هم
السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالاسحار وهي جمع سحر وأظهر معاني ذلك أن تكون مسئلتهم
اياه بالدعاء وقد يحتمل أن يكون معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ماذكرنا من
الدعاء القول في تأويل قوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا
هو العزيز الحكيم) يعني بذلك جل ثناؤه شهد الله أنه لا اله الا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم فالملائكة
معطوف بهم على اسم الله وانه مفتوحة بشهد * وكان بعض البصريين يتأول قوله شهد الله قضى الله ويرفع
الملائكة بمعنى والملائكة شهود وأولو العلم وهكذا قرأت قراء أهل الاسلام بفتح الالف من أنه على ماذكرت
من اعمال شهد في أنه الاولى وكسر الالف من ان الثانية وابتدائها سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية
كان يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما بمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وأن الدين عند الله الاسلام فعطف بان الدين
على أنه الاولى ثم حذف واو العطف وهي مرادة في الكلام واحتج في ذلك بان ابن عباس قرأ ذلك شهد الله أنه
لا اله الا هو الآية ثم قال ان الدين بكسر الاولى وفتح أن الثانية بأعمال شهد فيها وجعل أن الاولى اعتراضا في
الكلام غير عامل فيها شهد وأن ابن مسعود قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو بفتح أن وكسر ان من ان الدين عند
الله الاسلام على معنى اعمال الشهادة في أن الاولى وأن الثانية مبتدأة فزعم انه أراد بقراءته اياهما بالفتح
جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الاسلام

كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآياتنا
فأخذهم الله بذنوبهم والله
شديد العقاب) القراآت الم
الله مقطوعة الالف والميم
ساكنة يزيد والمفضل
والاعشى والبرجمي الباقون
موصولا بفتح الميم التوراة
عمالة حيث كان أبو عمرو
وحمزة وعلي وخلف
والنجاري عن ورش والخزاز
عن هبيرة وابن ذكوان
غير ابن مجاهد كدأب حيث
كان بغير همزة أبو عمر و
وغير شجاع ويزيد
والاعشى والاصفهاني عن
ورش والخزاز عن هبيرة
وحمزة في الوقف (الوقوف)
الم ج كوفي مختلف فان
غير الاعشى والبرجمي
ويزيد والمفضل يصلون
الاهو ج القيوم ط
والانجيل ط الفرقان
ط شديد ط انتقام ه
في السماء ط كيف يشاء
ط الحكيم ه متشابهات
ط لاستئناف تفضيل
وابتغاء تأويله ج لان
الواو تصلح استئنافا والحال
أليق الا الله م عند
أهل السنة لانه لو وصل فهم
ان الراسخون يعلمون
تأويل المتشابه كما يعلم الله
ومن لم يحترز من هذا
وجعل المتشابه غير صفة لله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتأويل وجعل المحكمات الاصول المنصوص المتقدمين
المجمع عليها فعطف لقوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له أن لا يقف على الا الله آمنا به لان قوله كل من عند ربنا من
مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الا الباب ه رجحة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل

فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام و يشرب الشراب و يحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم أبوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه

يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها فاقتتل بعضهم بعضا على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن ابن عمر انه كان يكثر تلاوة هذه الآية ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها من قبلها والله أتينا ما كان علينا من يكون علينا بعد أن يأخذ فينا كتاب الله وسنة نبيه ولكنا أتينا من قبلها **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بنى اسرائيل فاستودعهم التوراة وجعلهم أمناء عليه كل حبر جزأ منه واستخلف موسى يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول ومضى الثانى ومضى الثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين حتى أهراقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيا بينهم على الدنيا طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها فسلط الله عليهم جبابرتهم فقال الله ان الدين عند الله الاسلام الى قوله والله بصير بالعباد يقول الربيع بن أنس هذا يدل على انه كان عنده انه معنى بقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب اليهود من بنى اسرائيل دون النصارى منهم ومن غيرهم وكان غيره يوجه ذلك الى أن المعنى به النصارى الذين أوتوا الانجيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذى جاءك أى ان الله الواحد الذى ليس له شريك بغيا بينهم يعنى بذلك النصارى ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) يعنى بذلك ومن يجحد حجج الله وأعلامه التى نصبها ذكرى لمن عقل وأدلة لمن اعتبر وتذكر فان الله محص عليه أعماله التى كان يعملها فى الدنيا فمجازيه بها فى الآخرة فانه جل ثناؤه سريع الحساب يعنى سريع الاحصاء وانما معنى ذلك انه حافظ على كل عامل عمله لاحاجة به الى عقد كما يعقده خلقه بأكفهم أو يعونه بقلوبهم ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ولا مؤنة ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحساب و بنحو الذى قلنا فى معنى سريع الحساب كان مجاهد يقول **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب قال احصاؤه عليهم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب احصاؤه ۞ القول فى تاويل قوله (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى) يعنى بذلك جل ثناؤه فان حاجوك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران فى أمر عيسى صلوات الله عليه فخاصموك فيه بالباطل فقل انقدت لله وحده بلسانى وقلبى وجميع جوارحى وانما خص جل ذكره بأمره بان يقول أسلمت وجهى لله لان الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه وفيه بهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه بشئ فقد خضع له الذى هو دونه فى الكرامة عليه من جوارح بدنه وأما قوله ومن اتبعنى فانه يعنى وأسلم من اتبعنى أيضا وجهه لله معى ومن معطوف بها على التاء فى أسلمت كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فان حاجوك أى بما يأتونك به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وجعلنا وأمرنا فانما هى شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى ۞ القول فى تاويل قوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والامين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) يعنى بذلك جل ثناؤه وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والامين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب أأسلمتم يقول قل لهم هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والالوهة لرب العالمين دون سائر الانداد والاشراك التى تشركونها معه

كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فى ذلك نزل فاما الذين فى قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجىء فى آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب ونسق أنيق وذلك ان أولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه فى شأن الاله أو فى أمر النبوة أما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حى قيوم كما مر فى تفسير آية الكرسى وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان يأكل و يشرب و يحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة أعنى قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث وأما الثانى فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وأنزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين أقوال الكاذبين ثم ان المعجز

قائم فى كون القرآن نازلا من عند الله كقيام فى الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازعه فى دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذى

فبينما بغلة أبي خلوثة تسير اذ عثرت فقال كرز أخوه تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل تعست أمك فقال ولم يا أخي فقال انه والله النبي صلى الله عليه وسلم الذي ننتظره فقال له أخوه كرز فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمنا بمحمد (١٣٠) لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب أخيه كرز وكان يضمره الى ان أسلم وكان

بما وصفنا من نفي الالوهة عن غيره لتكذيب أهل الشرك به فاما ما قال الذي وصفنا قوله من انه عنى بقوله شهد قضى فما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم لان الشهادة معنى والقضاء غيرها وبنحو الذي قلنا في ذلك روى عن بعض المتقدمين القول في ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بخلاف ما قالوا يعني بخلاف ما قال وفد نجران من النصارى قائما بالقسط أي بالعدل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل ۞ القول في تأويل قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ومعنى الدين في هذا الموضع الطاعة والذلة من قول الشاعر

ويوم الحزن اذ حسدت معد * وكان الناس الا نحن دينا

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل ومنه قول القطامي * كانت تدين بدينك الاديانا * يعني تذلل وقول الاعشى ميمون بن قيس

هو دان الرباب اذ كرهوا الدين * دراكا بغزة وحيال

يعني بقوله دان ذلل وبقوله كرهوا الدين الطاعة وكذلك الاسلام وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم بمعنى دخل في السلم كما يقال أقحط القوم اذا دخلوا في القحط وأربعوا اذا دخلوا في الربيع فكذلك أسلموا اذا دخلوا في السلم وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة فاذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله ان الدين عند الله الاسلام ان الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له واقرار الالسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون اشراك غيره من خلقه معه في العبودية والالوهية وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الدين عند الله الاسلام والاسلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء به من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزي الا به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ثنا أبو العالية في قوله ان الدين عند الله الاسلام قال الاسلام الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر الفرائض لهذا تبع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أسلمنا قال دخلنا في السلم وتركنا الحرب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ان الدين عند الله الاسلام أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل ۞ القول في تأويل قوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) يعني بذلك جل ثناؤه وما اختلف الذين أوتوا الانجيل وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى وافتراءهم على الله فيما قالوا فيه من الاقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم وتشتت بها كلمتهم وبان بها بعضهم بعضا حتى استحل بها بعضهم بعضا وما نقض الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني الا من بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره واتفقوا انهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون فاخبر الله عباده انهم أتوا ما أتوا من الباطل وقالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطأ ما قالوا وانهم لم يقولوا ذلك جهلا بخطأ ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعديا من بعضهم على بعض وطلب الرياسات والملك والسلطان كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم قال قال أبو العالية الا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم بغيا بينهم

يحدث بذلك ثم تكلم أولئك الثلاثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من أديانهم فتارة يقول عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلاثة يحتجون في مقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له أب يعلم ويحتجون على ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وفعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا فقالوا قد أسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وأنتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتأكلون الخنزير قالوا فمن أبوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك أول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها آية المباهلة ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه أباه قالوا بلى يقول قال ألستم تعلمون انه حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيأ من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال

أو توريه بكسر الراء تفعله مثل توقية الا ان الراء فتحت على لغة طى فانهم يقولون فى باديته باداه وزعم الخليل والبصريون ان اصلها ووريه فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث وأما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل أى هو الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته أى انه تعالى أظهر الحق بسببه أبو عمرو والشيبانى التناجل (١٣٣) التنازع سمى بذلك لان القوم

اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال هؤلاء أهل الكتاب كانوا اتباع الانبياء ينهونهم ويذكرونهم فيقتلونهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان ناس من بنى اسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب كان الوحى يأتى اليهم فيذكرون قومهم فيقتلون على ذلك فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس حدثنى أبو عبيد الرصافى محمد بن جعفر قال ثنا ابن حميد قال ثنا أبو الحسن مولى بنى أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل يأمرون من قتلهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم وهم الذين ذكر الله عز وجل فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين يعنى بقوله جل ثناؤه فبشرهم بعذاب أليم فأخبرهم يا محمد أعمالهم ان لهم عند الله عذابا مؤلما لهم وهو الموجع وأما قوله أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فانه يعنى بقوله أولئك الذين يكفرون بآيات الله ومعنى ذلك ان الذين ذكرناهم هم الذين حبطت أعمالهم يعنى بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فاما قوله فى الدنيا فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس لانهم كانوا على ضلال وباطل ولم يرفع الله لهم بها ذكرا بل اعنهم وهتك أستارهم وابدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله فى كتبه التى أنزلها عليهم فابقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة فذلك حبوطها فى الدنيا وأما فى الآخرة فانه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف فى كتابه واعلم عباده ان أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها لانها كانت كفرا بالله فجزاء أهلها الخلود فى الجحيم وأما قوله ومالهم من ناصرين فانه يعنى ومالهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله اذا هو انتقم منهم بما سلف من اجرامهم واجترائهم عليه فيستنقذهم منه ۞ القول فى تاويل قوله (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) يعنى بذلك جل ثناؤه الم تر يا محمد الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يقول الذين اعطوا حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله واختلف أهل التاويل فى الكتاب الذى عنى الله بقوله يدعون الى كتاب الله فقال بعضهم هو التوراة دعاهم الى الرضا بما فيها اذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقر بها وبما فيها انها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها ما نسخ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم ودينه فقالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم

تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل أى من قبل ان ينزل القرآن (وهدى للناس) اما أن يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التوراة والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال فى أول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق فى نفسه سواء قبلوه أو لم يقبلوه وأما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وأنزل الفرقان قيل أى جنس الكتب السماوية لانها كلها تفرق بين الحق والباطل وقيل أى الكتب التى ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال شعر الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم وقيل أى الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شئ من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل أن يجاب بان غاية المواعظ هى التزام الاحكام المعلومة

فيؤول الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفى التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه أنزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذى يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم أولئك النصارى أو كل من أعرض عن هذه الدلائل فان خصوصى

أنزل على عبده الكتاب فالمراد هنا نزوله مطلقا من غير اعتبار التعميم قال أبو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق بما تضمنه من الاخبار عن الامم أو ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم أي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه أميا لم يخالط أهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال أن يسلم من التحريف والجزاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بالله بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم أو لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها أكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على أحكامها الى حين بعثه ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فافهم فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف

(١٣٢) الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة

في عباداتكم اياهم واقراركم بربوبيتهم وأنتم تعلمون انه لا رب غيره ولا له سواه فان أسلموا يقول فان انقادوا لافراد الوحدانية لله واخلاص العبادة والالوهية فقد اهتدوا يعني فقد أصابوا سبيل الحق وسلكوا محجة الرشد فان قال قائل وكيف قيل فان أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام وهل يجوز في الكلام أن يقال لرجل هل تقوم فان تقم أكرمك قيل ذلك جائز اذا كان الكلام مرادا به الامر وان خرج مخرج الاستفهام كما قال جل ثناؤه ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعني انتهوا وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن الحواريين انهم قالوا لعيسى يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء وانما هو مسئلة كما يقول الرجل هل أنت كاف عنا بمعنى اكفف عنا وكما يقول الرجل للرجل أين أين بمعنى أقم فلا تبرح ولذلك جوزي في الاستفهام كما جوزي في الامر في قراءة عبد الله هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم آمنوا ففسرها بالامر وهي في قراءتنا على الخبر فالمجازاة في قراءتنا على قوله هل أدلكم وفي قراءة عبد الله على قوله آمنوا على الامر لانه هو التفسير وبنحو معنى ما قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل للذين أوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين قال الاميون الذين لا يكتبون ۞ القول في تأويل قوله (وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) يعني جل ثناؤه بقوله وان تولوا وان أدبروا معرضين عما تدعوهم اليه من الاسلام واخلاص التوحيد لله رب العالمين فانما أنت رسول مبلغ وليس عليك غير ابلاغ الرسالة الى من أرسلتك اليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي والله بصير بالعباد يعني بذلك والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به اليه فيطيعك بالاسلام وبمن يتولى منهم عنه معرضا فيرد عليك ما أرسلتك به اليه فيعصيك بإبائه الاسلام ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يكفرون بآيات الله أي يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها من أهل الكتابين التوراة والانجيل كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم جمع أهل الكتابين جميعا وذكر ما أحدثوا وابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق الى قوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وأما قوله ويقتلون النبيين بغير حق فانه يعني بذلك انهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يرسلون اليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله وركوب ما كانوا يركبونه من الامور التي قد تقدم الله اليهم في كتبهم بالزجر عنها نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله ۞ القول في تأويل قوله (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قراء الامصار ويقتلون الذين يأمرون بالقسط بمعنى القتل وقرأه بعض المتأخرين من قراء الكوفة ويقاتلون بمعنى القتال تأولا منه قراءة عبد الله بن مسعود وادعى ان ذلك في مصحف عبد الله وقالوا فقرأ الذي وصفنا أمرهن القراءة بذلك التأويل ويقاتلون والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه ويقتلون لاجماع الحجة من القراء عليه مع مجيء التأويل من أهل التأويل بان ذلك تأويله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن معقل بن أبي مسكين في قول الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان الوحي يأتي الى بني اسرائيل فيذكرون ولم يكن يأتيهم كتاب فيقتلون فيقوم رجال ممن

اتبعهم

والتوراة والانجيل اسمان أعجميان أحدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال القراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار قال وأصلها تورية بفتح الياء والراء ولهذا قلبت الياء ألفا

في ذلك على نوعين من الشبهة أحدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم والثاني يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهاتين فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فمن المعلوم بالضرورة من أحوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس بالله ولكن احاطته ببعض المغيبات لا تدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحي أو الالهام وأزال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لا مات أولئك الذين أخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص أو احياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة البعض أو احيائه يدل على عدم الالهية قطعا وأما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدية الى مقدمات الزامية وهو انكم أيها المسلمون تواقعوننا على انه ما كان له أب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله أيضا هو الذي يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه صنعة فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير أب وأيضا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ألست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن لله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل أو تفويضه الى علام انه وذلك قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الآية فظاهر انه ليس في المسئلة حجة ولا شبهة

أباهم يعقوب أن لا يدخل أحدا من ولده النار الا تحلة القسم فاكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل النار هم فيها خالدون دون المؤمنين بالله ورسله وما جاؤا به من عنده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات قالوا ان تمسنا النار الا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل ثم ينقطع القسم والعذاب عنا قال الله عز وجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون أي قالوا نحن أبناء الله واحباؤه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات الآية قال قالوا لن نعذب في النار الا أربعين يوما قال يعني لليهود قال وقال قتادة مثله وقال هي الايام التي نصبوا فيها العجل يقول الله عز وجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون حين قالوا نحن أبناء الله واحباؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون قال غرهم قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات ۞ القول في تاويل قوله (فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بقوله جل ثناؤه فكيف اذا جمعناهم فاي حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول وفعلوا ما فعلوا من اعراضهم عن كتاب الله واغترارهم بربهم وافترائهم الكذب وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد وتهديد غليظ وانما يعني بقوله فكيف اذا جمعناهم الآية فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتنكيله بهم اذا جمعهم ليوم لا ريب فيه وفي كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه غير مظلوم فيه لانه لا يعاقب فيه الا على ما اجترم ولا يؤاخذ الا بما عمل يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا يخاف أحد من خلقه منه يومئذ ظلما ولا هضما فان قال قائل وكيف قيل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ولم يقل في يوم لا ريب فيه قيل لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى في وذلك أنه لو كان مكان اللام في لكان معنى الكلام فكيف اذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب وليس ذلك المعنى في دخول اللام ولكن معناه مع اللام فكيف اذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب مع اللام في ليوم لا ريب فيه نية فعل وخبر مطلوب قد ترك ذكره أخيرا لدلالة دخول اللام في اليوم عليه منه وليس ذلك مع في فلذلك اختيرت اللام فادخلت في ليوم دون في وأما تاويل قوله لا ريب فيه فانه لا شك في مجيئه وقد دللنا على انه كذلك بالادلة الكافية مع ذكر من قال ذلك في تاويله فيما مضى بما أغنى عن اعادته وعنى بقوله ووفيت ووفى الله كل نفس ما كسبت يعني ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون يعني انه لا ينجس المحسن جزاء احسانه ولا يعاقب مسيئا بغير جرمه ۞ القول في تاويل قوله (قل اللهم) أما تاويل قل اللهم فانه قل يا محمد يا الله واختلف أهل العربية في نصب ميم اللهم وهو منادى وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع وفي دخول الميم فيه وهو في الاصل الله بغير ميم فقال بعضهم انما زيدت فيه الميمان لانه لا ينادى بيا كما ينادى الاسماء التي لا ألف فيها ولا لام وذلك ان الاسماء التي لا ألف ولا لام فيها تنادى بيا كقول القائل يا زيد ويا عمرو قال فجعلت الميم فيه خلفا من يا كما قالوا فم ودم وهم وزرقم وما أشبه ذلك من الاسماء والنعوت التي تحذف منها الحرف ثم يبدل مكانه ميم قال فكذلك حذفت من اللهم يا التي ينادى بها الاسماء التي على ما وصفنا وجعلت الميم خلفا منها في آخر الاسم وأنكر ذلك من قولهم آخرون وقالوا قد سمعنا العرب تنادى اللهم بيا كما تنادى ولا ميم فيه قالوا فلو كان الذي قال هذا القول مصيبا في دعواه لم تدخله العرب ياء وقد جاؤا بالخلف منها وأنشدوا في ذلك سماعا من العرب

السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب أذلا حد لقدرته وانتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت اذا كافأته بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شئ لما ذكر انه حي قيوم والقيوم هو القائم بإصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع أمرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات أشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة أخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز أن يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلاجرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من أعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية وأشرفها تعديل المزاج وأشار اليها بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وروحانية وأشرفها العلم فلاجرم أشار الى ذلك بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا

فابيا عليه فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون الى قوله ما كانوا يفترون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فذكر نحوه الا أنه قال فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلما الى التوراة وقال أيضا فانزل الله فيهما الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وسائر الحديث مثل حديث أبي كريب وقال بعضهم بل ذلك كتاب الله الذي أنزله على محمد وانما دعيت طائفة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحق فابت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون أولئك أعداء الله اليهود دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم والى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ثم تولوا عنه وهم معرضون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية قال هم اليهود دعوا الى كتاب الله والى نبيه وهم يجدونه مكتوبا عندهم ثم يتولون وهم معرضون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم قال كان أهل الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق يكون وفي الحدود وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الاسلام فيتولون عن ذلك * وأولى الاقوال في تاويل ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده ممن قد أوتي علما بالتوراة أنهم دعوا الى كتاب الله الذي كانوا يقرون به انه من عند الله وهو التوراة في بعض ما تنازعوا فيه هم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذي كانوا يتنازعون فيه ثم دعوا الى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الاجابة اليه كان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته ويجوز أن يكون ذلك كان أمر ابراهيم خليل الرحمن ودينه ويجوز أن يكون ذلك ما دعوا اليه من أمر الاسلام والاقرار به ويجوز أن يكون ذلك كان في حد فان كل ذلك مما قد كانوا تنازعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فيه الى حكم التوراة فابى الاجابة فيه وكتمه بعضهم ولا دلالة في الآية على ان ذلك كان ممن أبى فيجوز أن يقال هو هذا دون هذا ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك لان المعنى الذي دعوا اليه جلته هو مما كان فرضا عليهم الاجابة اليه في دينهم فامتنعوا منه فاخبر الله جل ثناؤه عنهم بردتهم وتكذيبهم بما في كتابهم وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم بالقامته والعمل به فلن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمدا وما جاء به من الحق مثلهم في تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتلونه ويقرون به ومعنى قوله ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ثم يستدبر عن كتاب الله الذي دعاه الى حكمه معرضا عنه منصرفا وهو بحقيقته وبحته عالم وانما قلنا ان ذلك الكتاب هو التوراة لانهم كانوا بالقرآن مكذبين وبالتوراة بزعمهم مصدقين فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقرون أبلغ وللعذر أقطع

القول في تاويل قوله (ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) يعني جل ثناؤه بقوله بانهم قالوا بان هؤلاء الذين دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبوا الاجابة الى حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وهي أربعون يوما وهن الايام التي عبدوا فيها العجل ثم يخرجنا منها ربنا اغترارا منهم بما كانوا يفترون يعني بما كانوا يختلقون من الاكاذيب والاباطيل في ادعائهم انهم أبناء الله واحباؤه وان الله قد وعد

القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام في اللغة المنع وكذا اسائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة الجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث الخثعمي حكم اليتيم كما تحكم والدك أي امنعه من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي وأما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لايهتدي

توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل توج تدخل يقال منه قد ولج فلان منزله اذا دخله فهو يلجه ولجا وولوجا وولجته أولجته انا اذا أدخلته ويعني بقوله توج الليل في النهار تدخل ما نقصت من ساعة الليل في ساعة النهار فيزيد من نقصان هذا في زيادة هذا وتوج النهار في الليل وتدخل ما نقصت من ساعة النهار في ساعة الليل كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات وتدخل النهار في الليل حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نقص من النهار يجعله في الليل وما نقص من الليل يجعله في النهار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر متعاقبان أو يتعاقبان شك أبو عاصم ذلك من الساعات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل ما ينقص من أحدهما في الآخر يتعاقبان ذلك من الساعات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال هو نقصان أحدهما في الآخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال يأخذ الليل من النهار و يأخذ النهار من الليل يقول نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل يعني انه يأخذ أحدهما من الآخر فيكون الليل أحيانا أطول من النهار والنهار أحيانا أطول من الليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال هذا طويل وهذا قصير أخذ من هذا فأدلجه في هذا حتى صار هذا طويلا وهذا قصيرا ۞ القول في تأويل قوله (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك انه يخرج الشيء الحي من النطفة الميتة و يخرج النطفة الميتة من الشيء الحي ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي و يخرج الرجل منها حي وهي ميتة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال الناس الاحياء من النطف والنطف ميتة و يخرجها من الناس الاحياء والانعام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي فذكر نحوه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي فالنطفة ميتة تكون تخرج من انسان حي و يخرج انسان حي من نطفة ميتة حدثني محمد بن عمرو وابن علي عن عطاء المقدمي قال ثنا أشعث السجستاني قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبي خالد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج النطفة من الرجل والرجل من النطفة حدثنا

الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه أشكل أي دخل في شكل غيره ثم ان كل أحد من أصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا أن يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي أو عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا ألبتة لتوقفه على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون أولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن

 لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما أشعر به الظاهر فعند هذا لا يحتاج الى ان عرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ما ذا الا ان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل

الاوقد اشتملت هذه الآيات دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو أطلق كان أبلغ قلت الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض أقوى لعظمتهما في الحس والحس متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم أتم والادراك أكمل وهذه فائدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التاليف بين أجزائه وأصله من صاره اذا أماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل أبويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمي رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال أي على أي حال أراد طويلا أو قصيرا أسود أو أبيض حسنا أو قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما أجاب عن شبههم أعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب أحكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كون كله كذلك ما حققا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن أحد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه توجل بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة من التناقض ان هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فيعني ههنا بالمحكم ما هو المستقل بين النص والظاهر وبالمتشابه

وما عليك أن تقول كلما * صليت أو كبرت يا اللهما * اردد علينا شيخنا مسلما

ويرى سبحت أو كبرت قالوا ولم تر العرب زادت مثل هذه الميم الا مخففة في نواقص الاسماء مثل فم ودم وهم قالوا ونحن نرى انها كانت تضم اليها أم بمعنى يا الله امنا بخير فكثرت في الكلام فاختلطت به قالوا فالهمزة التي في الهاء من همزة أم لما تركت انتقلت الى ما قبلها قالوا ونرى أن قول العرب هلم الينا مثلها انما كانت هل م ضم اليها أم فتركت على نصبها قالوا ومن العرب من يقول اذا طرح الميم يا أنه اغفر لي وبا الله اغفر لي بهمز الالف من الله مرة ووصلها أخرى فمن حذفها أجراها على أصلها لانها ألف ولام مثل الالف واللام اللتين يدخلان في الاسماء المعارف زائدتين ومن وصلها وحذف الهمزة توهم انها من الحروف اذ كانت لا تسقط منه وأنشدوا في همزة الالف منها مبارك هو ومن سماه * على اسمك اللهم يا أنه قالوا وقد كثرت اللهم في الكلام حتى خفف ميمها في بعض اللغات وأنشدوا لحلفة من أبي رباح * يسمعها اللهم الكبار والرواة تنشد ذلك يسمعها الاهه الكبار وقد أنشده بعضهم يسمعها الله والكبار ۞ القول في تاويل قوله (مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) يعني بذلك مالك الملك يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله قل اللهم مالك الملك أي رب العباد الملك لا يقضي فيهم غيرك وأما قوله تؤتي الملك من تشاء فانه يعني تعطي الملك من تشاء فتملكه وتسلطه على من تشاء وقوله وتنزع الملك ممن تشاء أي أن تنزعه منه فتركه ذكر أن تنزعه منه اكتفاء بدلالة قوله وتنزع الملك ممن تشاء عليه كما يقال خذ ما شئت وكن فيما شئت يراد خذ ما شئت أن تاخذ، وكن فيما شئت أن تكون فيه وكما قال جل ثناؤه في أي صورة ما شاء ركبك يعني في أي صورة شاء أن يركبك فيها ركبك وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا لمسئلة ربه أن يجعل ملك فارس والروم لامته ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته فانزل الله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى انك على كل شئ قدير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة قال ذكر لنا والله أعلم ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته ثم ذكر مثله وروى عن مجاهد أنه كان يقول معنى ملك في هذا الموضع النبوة ذكر الرواية عنه بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قال النبوة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تاويل قوله (وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) يعني جل ثناؤه وتعز من تشاء باعطائه الملك والسلطان وبسط القدرة له وتذل من تشاء بسلبك ملكه وتسلط عدوه عليه بيدك الخير أي كل ذلك بيدك واليك لا يقدر على ذلك أحد لانك على كل شئ قدير دون سائر خلقك ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والاميين من العرب الها وربا يعبدونه من دونه كالمسيح والانداد التي اتخذها الاميون ربا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله تؤتي الملك من تشاء الآية أي ان ذلك بيدك لا الى غيرك انك على كل شئ قدير لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك ۞ القول في تاويل قوله (توجل الليل في النهار وتوجل النهار في الليل) يعني بقوله جل ثناؤه

---

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل صوابها ومن نظمها وأثبت الهمزة توهم الخ ليغاير ما قبله تامل اه مصححه

مذهب مثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبأنها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخالفون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى وبالنافي ليس كمثله شئ فكل منهم يسمى الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن

أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وأما تاويل من تاوله بمعنى الحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة والبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فان ذلك وان كان له وجه مفهوم فليس ذلك الاغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل الى الظاهر المستعمل في الناس أولى من توجيهها الى الخفي القليل في الاستعمال واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بالتشديد وتثقيل الياء من الميت بمعنى انه يخرج الشئ الحي من الشئ الذي قد مات وما لم يمت وقرأت جماعة أخرى منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بتخفيف الياء من الميت بمعنى انه يخرج الشئ الحي من الشئ الذي قد مات دون الشئ الذي لم يمت وتخرج الشئ الميت دون الشئ الذي لم يمت من الشئ الحي وذلك ان الميت مثقل الياء عند العرب ما لم يمت وسيموت وما قد مات وأما الميت مخففا فهو الذي قد مات واذا أرادوا البعث قالوا انك ما ئت غدا وانهم ما ئتون وكذلك كل ما لم يكن بعد فانه يخرج على هذا المثال الاسم منه يقال هو الجائد بنفسه والطائبة نفسه بذلك واذا أريد معنى الاسم قيل هو الجواد بنفسه والطيبة نفسه فاذ كان ذلك كذلك فاولى القراءتين في هذه الآية بالصواب قراءة من شدد الياء من الميت لان الله جل ثناؤه يخرج الحي من النطفة التي قد فارقت الرجل فصارت ميتة ويخرج منها بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل ويخرج الميت من الحي النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحي ميتا وهي قبل خروجها منه حية فالتشديد أبلغ في المدح وأكمل في الثناء ﴿القول في تاويل قوله (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني بذلك جل ثناؤه انه يعطي من يشاء من خلقه فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه لانه لا يخاف دخول انتقاص في خزائنه ولا الفناء على ما بيده كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وترزق من تشاء بغير حساب قال يخرج الرزق من عنده بغير حساب لا يخاف أن ينقص ما عنده تبارك وتعالى فتأويل الآية اذا اللهم يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير دون من ادعى الملحدون انه لهم اله ورب وعبدوه دونك واتخذوه شريكا معك أو انه لك ولد وبيدك القدرة التي تفعل هذه الاشياء وتقدر بها على كل شئ توالج الليل في النهار وتوالج النهار في الليل فتنقص من هذا وتزيد في هذا وتنقص من هذا فتزيد في هذا وتخرج من ميت حيا ومن حي ميتا وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك لا يقدر على ذلك أحد سواك ولا يستطيعه غيرك كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير توالج الليل في النهار وتوالج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي أي بتلك القدرة يعني بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه ممن تشاء وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أي وان كنت سلطت عيسى على الاشياء التي بها يزعمون انه الله من احياء الموتى وابراء الاسقام والخلق للطير من الطين والخبر عن الغيوب لتجعله آية للناس وتصديقا له في نبوته التي بعثته بها الى قومه فان من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه كتمليكي الملوك وامر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل واخراج الحي من الميت والميت من الحي ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب فكل ذلك لم أسلطه عيسى عليه ولم أملكه اياه فلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة ان لو كان الها لكان ذلك كله اليه وهو في علمهم يهرب من الملوك وينتقل منهم في البلاد من بلد الى بلد ﴿القول في تاويل قوله (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا أن تتقوا منهم تقاة) وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا

المتشابه نقيا كان أقرب الى حصول الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وأيضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وأيضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمانينة وافتقر أيضا الى تحصيل علوم أخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الكلام الى غير ذلك ولما في المشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب أقوى وهو ان القرآن

كلام مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه تخاطبا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في أول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل

وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في تعيين التاويل غير جائز والله أعلم * المسئلة الثانية في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل السور أولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة كانشاء الخالق في قوله تعالى فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كآيات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل رجحانها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمأول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق أيضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب ولعل الاصم يسمي ما هو الابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي أو بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك متشابه * المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب أمواتا

الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال يخرج الحي من هذه النطفة الميتة وتخرج هذه النطفة الميتة من الحي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي الآية قال الناس الاحياء من النطف والنطف ميتة من الناس الاحياء ومن الانعام والنبت كذلك قال ابن جريج وسمعت يزيد بن عويمر يخبر عن سعيد بن جبير قال اخراجه النطفة من الانسان واخراجه الانسان من النطفة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النطفة ميتة فتخرج منها احياء وتخرج الميت من الحي تخرج النطفة من هؤلاء الاحياء والحب ميت تخرج منه حيا وتخرج الميت من الحي تخرج من هذا الحب الحي حبا ميتا * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج النخلة من النواة والنواة من النخلة والسنبل من الحب والحب من السنبل والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا عبد الله عن عكرمة قوله تخرج الحي من الميت قال هي البيضة تخرج من الحي وهي ميتة ثم يخرج منها الحي حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن سعيد ابن عمرو عن الحسن قرأ تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو عن ابن مسعود وأكبر ظني انه عن سلمان قال ان الله عز وجل خمر طينة آدم أربعين ليلة أو قال أربعين يوما ثم قال بيده فيه فخرج كل طيب في يمينه وخرج كل خبيث في يده الاخرى ثم خلط بينهما ثم خلق منها آدم فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فاذا بامرأة حسنة النغمة فقال من هذه قالت احدى خالاتك قال ان خالاتي بهذه البلد لغرائب وأي خالاتي هذه قالت خلدة ابنة الاسود بن عبد يغوث قال سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافرا حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هل علمتم ان الكافر يلد مؤمنا وان المؤمن يلد كافرا فقال هو كذلك * وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تاويل من قال يخرج الانسان الحي والانعام والبهائم الاحياء من النطف الميتة وذلك اخراج الحي من الميت ويخرج النطفة الميتة من الانسان الحي والانعام والبهائم الاحياء وذلك اخراج الميت من الحي وذلك ان كل حي فارق شيئا من جسده فذلك الذي فارقه منه ميت فالنطفة ميتة لمفارقتها جسدا من خرجت منه ثم ينشئ الله منها انسانا حيا وبهائم وأنعاما احياء وكذلك حكم كل شيء حي زايله شيء منه فالذي زايله منه ميت وذلك هو نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم

الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالفها فهي المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلاثة أقسام أحدهما ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها

أولياء من دون المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين وقال الله الا أن تتقوا منهم تقاة الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم الا أن يصل رحما له في المشركين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء قال لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا في دينه وقوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال صاحبهم في الدنيا معروفا والرحم وغيره فاما في الدين فلا وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه وليس بالوجه الذي يدل عليه ظاهر الآية الا أن تتقوا من الكافرين تقاة فالاغلب من معاني هذا الكلام الا أن تخافوا منهم مخافة فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية انما هي تقية من الكفار لا من غيرهم ووجهه قتادة الى أن تأويله الا أن تتقوا من الله من أجل القرابة التي بينكم وبينهم تقاة فتصلونهم جميعا وليس ذلك الغالب على معنى الكلام والتأويل في القرآن على الاغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم وقد اختلفت القراء في قراءة قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار الا أن تتقوا منهم تقاة قال تقدير فعله مثل تخمة وتؤدة وتكأة من اتقيت وقرأ ذلك آخرون الا أن تتقوا منهم تقية على مثال فعيلة والقراءة التي هي القراءة عندنا قراءة من قرأها الا أن تتقوا منهم تقاة لثبوت حجة ذلك بانه القراءة الصحيحة بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه الخطأ ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) يعني تعالى ذكره بذلك ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا من معاصيه أو تتولوا أعداءه فان لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويوم حشركم لموقف الحساب يعني بذلك متى صرتم اليه وقفنا الفتم ما أمركم به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما لكم من عقابه بكم ما لا قبل لكم به يقول فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فانه شديد العقاب ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شئ قدير) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ان تخفوا ما في صدوركم من موالاة الكفار فتسروه أو تبدوا ذلك من نفوسكم بالسنتكم وأفعالكم فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه يقول فلا تضمروا لهم مودة ولا ظهروا لهم موالاة فينالكم من عقوبته بكم ما لا طاقة لكم به لانه يعلم سركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ منه وهو محصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالاحسان احسانا وبالسيئة مثلها كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال أخبرهم انه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا قال ان أخفوا ما في صدورهم أو أبدوه وأما قوله ويعلم ما في السموات وما في الارض فانما يعني انه اذ كان لا يخفى عليه شئ هو في سماء أو أرض أو حيث كان فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما في صدوركم من الميل اليهم بالمودة والمحبة أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلا وقولا وأما قوله والله على كل شئ قدير فانه يعني والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم اياهم ومظاهرتكم وهم على المؤمنين وعلى ما يشاء من الامور كلها لا تتعذر عليه شئ أراد ولا يمتنع عليه شئ طلبه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يعني بذلك جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا موفرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يعني غاية بعيدة فان مصيركم أيها القوم يومئذ اليه فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم وكان قتادة يقول في معنى قوله محضرا ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد

التي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثانيها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة أخرى وهي ان الدليل العقلي يختلف فيه أيضا بحسب مراتب كل فريق وتخيله صادقا في ظنه مادة وصورة فكل فرقة يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما توافق مذهبه وتأكد به الظاهر الذي تعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوي ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين أحدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستحقار بالشئ والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين هو الضلال عنه أي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله أي طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير أن يكون قد وجد له في كتاب الله بيانا قال القاضي أبو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين أحدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة

المحكمات قوله هن أم الكتاب الام في اللغة الاصل الذي يتكون منه الشيء فلما كانت المحكمات معقومة بذواتها والمتشابهات انما تصير معقومة باعادة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات أصولا للمتشابهات وانما لم يقل أمهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة وأخر أي ومنه آيات أخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروحا منه قال صلى الله عليه وسلم بلى قالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في أوائل السورة وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال في آخر وما يعلم تأويله الا الله وماذا لا الوقت القيامة فانه تعالى أخفاها عن الخلائق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولو ما تأتينا بالملائكة فهو الامر على الضعفة قال أهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك

ولذلك كسر يتخذ لانه في موضع جزم بالنهي ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا تتولونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فانه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بالسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تتابعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قال نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهروا لهم اللطف ويخالفوهم في الدين وذلك قوله الا أن تتقوا منهم تقاة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا ببعض من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر بن زبير وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا زومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فابى أولئك النفر الا مباطنتهم ولزومهم فانزل الله عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى قوله والله على كل شيء قدير حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يقول لا يتخذ المؤمن كافرا وليا من دون المؤمنين حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا يتخذ المؤمنون الكافرين الى الا أن تتقوا منهم تقاة أما أولياء فيوالهم في دينهم ويظهرهم على عورة المؤمنين فمن فعل هذا فهو مشرك فقد برئ الله منه الا أن تتقوا منهم تقاة فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عمن حدثه عن ابن عباس الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقاة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال مالم يهرق دم مسلم ومالم يستحل ماله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الا مصانعة في الدنيا ومخالفة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى الا أن تتقوا منهم تقاة قال قال أبو العالية التقية باللسان وليس بالعمل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو به معصية فتكلم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن بالايمان فلا اثم عليه انما التقية باللسان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فالتقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالايمان فان ذلك لا يضره انما التقية باللسان * وقال آخرون معنى الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن يكون بينك وبينه قرابة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين

أولياء

تعالى فى أول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتاويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم فى الايمان به مدح ولا فى قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيأ على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون فى العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التى لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز أن يكون ظاهرها مرادا لله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى شئ غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى أى شئ كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون فى العلم بالله بحيث لم يزغ عنهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم فى الطعن فى كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا أى كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفى زيادة عند مزيد توضيح وتاكيد وتفخيم لشان القرآن ويحتمل ان يعود الضمير فى آمنا به الى الكتاب أى يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف

صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى ان كان الذى يقولونه فى عيسى من عظيم القول انما يقولونه تعظيما لله وحبا له فاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ان كنتم تحبون الله أى ان كان هذا من قولكم يعنى فى عيسى حبا لله وتعظيما له فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم أى ما مضى من كفركم والله غفور رحيم قال أبو جعفر * وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير لانه لم يجر لغير وفد نجران فى هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادعوا انهم يحبون الله ولا انهم يعظمونه فيكون قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى جوابا لقولهم على ما قاله الحسن وأما ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه فلا نعبر به عندنا يصح فيجوز أن يقال ان ذلك كذلك وان لم يكن فى السورة دلالة على انه كما قال الا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر انهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى فيكون ذلك من قوله نظير اخبارنا فاذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ولا فى الآية دليل على ما وصفنا فاولى الامور بنا أن نلحق تاويله بالذى عليه الدلالة من آى السورة وذلك هو ما وصفنا لان ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم واحتجاج من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحمود دليل على بطول قولهم فى المسيح فالواجب أن تكون هى أيضا مصروفة المعنى الى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها فاذ كان الامر على ما وصفنا قتاويل الآية قل يا محمد للوفد من نصارى نجران ان كنتم كما تزعمون انكم تحبون الله وانكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون حبا منكم لربكم فحققوا قولكم الذى تقولونه ان كنتم صادقين باتباعكم اياى فانكم تعلمون أنى لله رسول اليكم كما كان عيسى رسولا الى من أرسل اليه فانه ان اتبعتمونى وصدقتمونى على ما أتيتكم به من عند الله يغفر لكم ذنوبكم فيصفح لكم عن العقوبة عليها ويعفو لكم عما مضى منها فانه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم وبغيرهم من خلقه ۞ القول فى تاويل قوله (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران أطيعوا الله والرسول محمدا فانكم قد علمتم يقينا انه رسولى الى خلقى ابتعثه بالحق تجدونه مكتوبا عندكم فى الانجيل فان تولوا فاستدبروا عما دعوتهم اليه من ذلك وأعرضوا عنه فانه لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق وأنكره بعد علمه وانتهى منهم بجحودهم نبوتك وانكارهم الحق الذى أنت عليه بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوتك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل أطيعوا الله والرسول فانتم تعرفونه يعنى الوفد من نصارى نجران وتجدونه فى كتابكم فان تولوا على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الله اجتبى آدم ونوحا واختارهما لدينهما وآل ابراهيم وآل عمران لدينهم الذى كانوا عليه لانهم كانوا أهل الاسلام فاخبر الله عز وجل انه اختار دين من ذكرنا على سائر الاديان التى خالفته وانما عنى بآل ابراهيم وآل عمران المؤمنين وقد دل الناعلى ان آل الرجل اتباعه وقومه ومن هو على دينه وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس انه كان يقوله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله عز وجل ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهم المؤمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد

كتابه ويحتمل أن يكون قوله يقولون حالا لازما وان ذا الحال هو الذى تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا أولو الالباب ما يتعظ الا ذو والعقول الكاملة الذين يستعملون أذهانهم فى فهم القرآن فيعلمون ما الذى يطابق ظاهر دلائل العقل فيكون محكما وما الذى هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من

والثانى ان يحكموا بحكم فى الموضع الذى لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم قال عز من قائل وما يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا فى هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن أنس والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبى على الجبائى ومنهم (١٤٢) من لم يجعل الواو فى والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ فى العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد روى عن ابن عباس أيضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان أما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر وأما الراسخون فى العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفى المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به فى المسائل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع أن يكون فى المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها الان فى مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين أحدها الا بدليل لغوى ظنى والقول بالظن فى ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن أنس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها صلى ما قيل ان هذه الآية تذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين فى العلم بانهم يقولون آمنا به وقال

قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يقول موفرا وقد زعم أهل العربية أن معنى واذكر يوم تجد ويوم تجد وقال ان ذلك انما جاء كذلك لان القرآن انما نزل للامر والذكر كأنه قيل لهم اذكروا كذا وكذا الآن فى القرآن فى غير موضع واتقوا يوم كذا وحين كذا وأما ما التى مع عملت فبمعنى الذى ولا يجوز أن تكون جزاء لوقوع تجد عليه وأما قوله وما عملت من سوء فانه معطوف على قوله ما الاولى وعملت صلة بمعنى الرفع ٧ كما قيل تودّ فتأويل الكلام يوم تجد كل نفس الذى عملت من خير محضرا والذى عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا والامد الغاية التى ينتهى اليها ومنه قول الطرماح

كل حى مستكمل عدة العمـ ـر ومودا اذا انقضى أجله

يعنى غاية أجله وقد حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا امكانا بعيدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أمدا بعيدا قال أجلا حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قال يسر أحدكم أن لا يلقى عمله ذلك أبدا يكون ذلك مناه وأمانى الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها ۞ القول فى تأويل قوله (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) يقول جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم فتوافوه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وهو عليكم ساخط فينالكم من أليم عقابه ما لا قبل لكم به ثم أخبر عز وجل انه رؤف بعباده رحيم بهم ومن رأفته بهم تحذيره اياهم نفسه وتخويفهم عقوبته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معاصيه كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن الحسن فى قوله ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قال من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ۞ القول فى تأويل قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فى السبب الذى أنزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم أنزلت فى قوم قالوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا فامر الله جل وعز نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ان كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعونى فان ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن بكر بن الاسود قال سمعت الحسن يقول قال قوم على عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنى المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال ثنا عبد الوهاب عن أبى عبيدة قال سمعت الحسن يقول قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمدا انا نحب ربنا فانزل الله جل وعز بذلك قرآنا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال كان قوم يزعمون انهم يحبون الله يقولون انا نحب ربنا فامرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل اتباع محمد علما لحبه حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان كنتم تحبون الله الآية قال ان أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون انهم يحبون الله فاراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فقال ان كنتم تحبون الله الآية كان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم * وقال آخرون بل هذا أمر من الله نبيه محمد

---

٧ قوله بمعنى الرفع كما قيل الخ يتامل فى هذه العبارة فانه لا يظهر لها معنى والمنصوص ان ما الثانية مبتدا وتود خبر تامل اه مصححه

قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يعني الداعيتين ومما يؤكد ذلك أن الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت أن يتكلموا بالمتشابه فتكون هذه الآية من أقوى المحكمات وهو ظاهر في أن الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى أما المعتزلة فقد قالوا المادات الدلائل

النضر بن عدي عن مجاهد في قوله محررا قال خادما للبيعة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عدي عن مجاهد قال خادما للكنيسة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال فرغته للعبادة **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال جعلته في الكنيسة وفرغته للعبادة **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل عن الشعبي نحوه **حدثني** محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال للكنيسة يخدمها **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد اني نذرت لك ما في بطني محررا قال خالصا لا يخالطه شيء من أمر الدنيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير اني نذرت لك ما في بطني محررا قال للبيعة والكنيسة **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد اني نذرت لك ما في بطني محررا قال محررا للعبادة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآية وكانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها وكانوا انما يحررون الذكور وكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال نذرت ولدها للكنيسة **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم قال وذلك ان امرأة عمران جلست فظنت أن ما في بطنها غلام فوهبته لله محررا لا يعمل في الدنيا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها قال وكانوا انما يحررون الذكور فكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها **حدثت** عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة ان امرأة عمران كانت عجوزا عاقرا تسمى حنة وكانت لا تلد فجعلت تغبط النساء لاولادهن فقالت اللهم ان علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدامه قال وقوله نذرت لك ما في بطني محررا انها للحرة ابنة الحرائر محررا للكنيسة يخدمها **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله اذ قالت امرأة عمران الآية كلها قال نذرت ما في بطنها ثم سيبها ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم) يعني جل ثناؤه بقوله فلما وضعتها فلما وضعت حنة النذيرة ولذلك أنث ولو كانت الهاء عائدة على ما التي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا لكان الكلام فلما وضعته قالت رب اني وضعته أنثى ومعنى قوله وضعتها ولدتها يقال منه وضعت المرأة تضعه وضعا قالت رب اني وضعتها أنثى أي ولدت النذيرة أنثى والله أعلم بما وضعت واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وضعت خبرا من الله عز وجل عن نفسه انه العالم بما وضعت من غير قيلها رب اني وضعتها أنثى وقرأ ذلك بعض المتقدمين والله أعلم بما وضعت على وجه الخبر بذلك عن أم مريم انها هي القائلة والله أعلم بما ولدت مني وأولى

على أن الازاغة لا يجوز أن تصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد أن يمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله أن يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبلنا ببلوى يزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك أي لا تفعل ما أصير عنده مؤذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى أن له أثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزائغ كما يقال فلان يكفر فلانا أي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية أيضا بسببه وقال الجبائي أيضا لا نزغ قلوبنا عن جنتك

ونوابك وهو كالاول الا أن يحمل على شيء آخر وهو انه تعالى اذا علم أنه مؤمن في الحال وعلم أنه لو بقي الى السنة الثانية لكفر أماته في هذه السنة ويرد عليه أنه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية فوجب عليه أن يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره

لايجوز فى كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لابد أن يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالثناء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى بعد وقت هدايتنا والثانى قولهم (١٤٤) وهب لنا من لدنك رحمة سالوا ربهم أولا أن لايجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينورقلوبهم بانوار المعرفة و يزين جوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة ونكر رحمة ليشمل جميع أنواعها فاولها ان يحصل فى القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة وثانيها ان يحصل فى الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل له فى الدنيا سهولة أسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية وتوابعها أن يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة فى القبر وسادسها فى القيامة سهولة الحساب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها فى الجنة ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وثامنها فى الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفى قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لايحصل الامن عنده و يؤكده قوله انك أنت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال أهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيه اذلو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد فى القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد من آل ابراهيم حدثنى محمد ابن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم الى قوله والله سميع عليم قال فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الانبياء الاتقياء المصطفين لربهم ۞ القول فى تاويل قوله (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) يعنى بذلك ان الله اصطفى آل ابراهيم وآل عمران ذرية بعضها من بعض فالذرية منصوبة على القطع من آل ابراهيم وآل عمران لان الذرية نكرة وآل عمران معرفة ولو قيل نصبت على تكرير الاصطفاء لكان صوابا الان المعنى اصطفى ذرية بعضها من بعض وانما جعل بعضهم من بعض فى الموالاة فى الدين والموازرة على الاسلام والحق كما قال جل ثناؤه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال فى موضع آخر المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعنى أن دينهم واحد وطريقتهم واحدة فكذلك قوله ذرية بعضها من بعض يعنى انما معناه ذرية دين بعضها دين بعض وكلمتهم واحدة وملتهم واحدة فى توحيد الله وطاعته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذرية بعضها من بعض يقول فى النية والعمل والاخلاص والتوحيد له وقوله والله سميع عليم يعنى بذلك والله ذو سمع لقول امرأة عمران وذو علم بما تضمره فى نفسها اذ نذرت له مافى بطنها محررا ۞ القول فى تاويل قوله (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) يعنى بقوله جل ثناؤه اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى فاذ من صلة سميع وأما امرأة عمران فهى أم مريم ابنة عمران أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وكان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقود بن قتيل كذلك حدثنا به محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبة وقال غير ابن حميد ابنة فاقود بالدال ابن قتيل فاما زوجها عمران فانه عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن احريق بن يوبم بن عزاريا بن أمصيا بن يأوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن اشابربان بن رجيع بن سليمان بن داود بن ايشا كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبه وأما قوله رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فان معناه انى جعلت لك يارب نذرا أن لك الذى فى بطنى محرر العبادتك يعنى بذلك حبسته على خدمتك وخدمة قدسك فى الكنيسة عتيقة من خدمة كل شئ سواك مفرغة لك خاصة ونصب محرر اعلى الحال من ما التى بمعنى الذى فتقبل منى مانذرت لك يارب انك أنت السميع العليم يعنى انك أنت يارب السميع لما أقول وادعو العليم لما أنوى فى نفسى وأريد لايخفى عليك سر أمرى وعلانيته وكان سبب نذر حنة ابنة فاقود امرأة عمران الذى ذكره الله فى هذه الآية فيما بلغنا ماحدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال تزوج زكريا وعمران أختين فكانت أم يحيى عند زكريا وكانت أم مريم عند عمران فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم فهى جنين فى بطنها قال وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان فبينا هى فى ظل شجرة نظرت الى طائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا فحملت بمريم وهلك عمران فلما عرفت ان فى بطنها جنينا جعلته لله نذيرة والنذيرة أن تعبده فتجعله حبسا فى الكنيسة لاينتفع به بشئ من أمور الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم ذكر امرأة عمران وقولها رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا أى نذرته يقول جعلته عتيقا لعبادة الله لاينتفع به بشئ من أمور الدنيا فتقبل منى انك أنت السميع العليم حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا

واعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة أما الاول فاليه أشار بقوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم لانهما أقرب الامور التى يفزع اليه المرء عند الخطوب واذا لم يغد أقرب الطرق الى دفع المضار فى ذلك اليوم فاعداه بالتعذر أولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير وأما الثانى فاليه أشار بقوله وأولئك هم وقود النار فانه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها فى الحطب اليابس ومن فى قوله من الله للبدل مثله فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيأ أى بدله والمضاف محذوف تقديره ان تغنى عنهم بدل رحمة الله أو طاعته شيأ وفى الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفعه جده وحظه فى الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وأنشد أبو على شعر فليت لنا من ماء (١٤٧) زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان

وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز أن يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شئ أو من زائدة لتأكيد النفى التقدير لن تغنى عنهم عذاب الله شيأ من الغناء أى لن تدفع وقال أبو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغنى عند الله شيأ قوله تعالى كدأب آل فرعون يقال دأب فلان فى عمله أى جد وتعب دأبا ودؤبا فهو دئيب وأدأبته أنا والدائبان الليل والنهار والدأب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك وأصله من دأبت اطلاقا لاسم الخاص على العام أى جد هؤلاء الكفار واجتهادهم أو شانهم أو صنيعهم فى تكذيب محمد وكفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم انا أهلكنا أولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم على أنه جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم أى صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ المأسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كدأب الله فى آل فرعون أى بجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه فى آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل أن تكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كأنه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم فى ايذاء محمد كعادة من قبلهم فى ايذاء الرسل وعادتنا أيضا فى اهلاك هؤلاء كعادتنا فى اهلاك أولئك الكفرة وقيل الدؤب والدأب اللبث والدوام والتقدير دؤبهم فى النار كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم فى النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وقيل المشبه هو أن أموالهم وأولادهم لا تنفعهم

طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبى الا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها فان أمها قالت حين وضعتها انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونهما حجاب فطعن فى الحجاب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو عن شعيب بن خالد عن الزبيرى عن سعيد بن المسيب قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم مولود يولد الا قد مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا بمسه اياه غير مريم وابنها فقال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن أبى ذؤيب عن عجلان مولى المشمعل عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من بنى آدم يمسه الشيطان باصبعه الا مريم وابنها **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث ان أبا يونس سليمان مولى أبى هريرة حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه الا مريم وابنها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث ان أبا يونس حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من مسة الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا قيس عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين الا عيسى ابن مريم ومريم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ما ولد مولود الا وقد استهل غير المسيح بن مريم لم يسلط عليه الشيطان ولم ينهره **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان الافطس انه سمع وهب بن منبه يقول لما ولد عيسى أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا فى حادث حدث فقال مكانكم فطار حتى جاء خافقى الارض فلم يجد شيأ ثم جاء البحار فلم يجد شيأ ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد عند مدود حمار واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا أنا بحضرتها الا هذه فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل الخفة والعجلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كل بنى آدم طعن الشيطان فى جنبه الا عيسى ابن مريم وأمه جعل بينهما وبينه حجاب فاصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما شئ

فوجب أن لا يخلقهم عن الأصم أيضا لا تزغ قالوا بنلعن كمال العقل بالجنون بعد اذهذ يقتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين فى قلوبهم زيغ وقال أبو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شروره أنفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا أن يصونهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة فكأنهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه أى فى وقوعه فاللام للوقت أو جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كأنه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا أن يحمل على الالتفات ومعناه ان الآلهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا (١٤٦) سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف المظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت

القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها وذلك قراءة من قرأ والله أعلم بما وضعت ولا يعترض بالشاذ عنها عليها فتأويل الكلام اذا والله أعلم من كل خلقه بما وضعت ثم رجع جل ذكره الى الخبر عن قولها وانها قالت اعتذارا الى ربها مما كانت نذرت فى حملها فحررته لخدمته وليس الذكر كالانثى لان الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها وان الانثى لا تصلح فى بعض الاحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس وانى سميتها مريم كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى لما جعلتها له محررة نذيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق وليس الذكر كالانثى لان الذكر هو أقوى على ذلك من الانثى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس الذكر كالانثى كانت المرأة لا تستطيع ان يصنع بها ذلك يعنى ان تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والاذى فعند ذلك قالت وليس الذكر كالانثى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال رب انى وضعتها أنثى وانما كانوا يحررون الغلمان قال وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما فى بطنها وكانت على رجاء ان يهب لها غلاما لان المرأة لا تستطيع ذلك يعنى القيام على الكنيسة لا تبرحها وتكنسها لما يصيبها من الاذى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ان امرأة عمران ظنت ان ما فى بطنها غلام فوهبته لله فلما وضعت اذا هى جارية فقالت تعتذر الى الله رب انى وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى تقول انما يحرر الغلمان يقول الله والله أعلم بما وضعت فقالت انى سميتها مريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة انه أخبره عن عكرمة وأبى بكر عن عكرمة فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى يعنى فى المحيض ولا ينبغى لامرأة أن تكون مع الرجال أمها تقول ذلك ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) يعنى بقولها وانى أعيذها بك وذريتها وانى أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك وأصل المعاذ الموئل والملجأ والمعقل فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم فلم يجعل له عليها سبيلا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس مولود تولد الا والشيطان ينال منه تلك الطعنة وبها يستهل الصبى الا ما كان من مريم ابنة عمران فانها لما وضعتها قالت رب انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب فطعن فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود من ولد آدم له

والموضع قاله فى الصحاح واعلم أنه لا يلزم من أنه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد فى وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما أنه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدى ولم لا يجوز أن يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم

اذا وعدا السراء أنجز وعده
وان وعد الضراء فالعفو مانعه

وناظر أبو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول فى أصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا وأوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال أبو عمرو انك أعجم لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الايعاد كرما وأنشد

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وذلك أن الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن أسقط طعنة حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على أنا لا نسلم أن الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب فى كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا فى قصتهم ان أبا حارثة بن علقمة قال لاخيه انى أعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولكنى ان أظهرت ذلك أخذ ملوك الروم منى ما أعطونى من المال فالله تعالى بين أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله فى الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ

الميم وانما أودع في آخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا في الآية من أول حروفها الى آخر حروفها مكتنفا بما بينهما والحروف الثلاثة من قوله الم يكون الالف من أولها دالا على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من أوسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روى عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن وصفوته كما روى عن أبي بكر وعلي عليه السلام ثم انه تعالى بعد ان أظهر أسرار ألوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم أظهر ألطاف ربوبيته المكنونة في أستار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وأنواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن زرك فصرت مشاهدا لسر الله المودع (١٤٩) في الم وهو الذي بين يدي الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فافهم اذ لم تتعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وأنت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السيارين وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظنن يا محمد أن انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي أنواره باسراره وحقائق بيني وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف وألواح يقرأها كل قارئ ويستوي في هداها الانبياء والامم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي أنوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وأنزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعليمك القرآن وبين تعليم الكتب فان كانوا يتدارسون الكتب فانت مخلق بالقرآن فشتان بين نبي يجيء وهو يذانه نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء ومعه نور من الكتاب قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتابه الموعظة له في الالواح وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف أمته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز أهل العز بنيل المرام وينتقم من أهل السلوة بحجاب العزة ثم أخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى

قرع عنهما من شاحه فيها وذلك انه بلغنا ان زكريا وخصومه في مريم اذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده تساهموا بقداحهم وموا بها في نهر الاردن فقال بعض أهل العلم ثب قدح زكريا فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء فجعل الله ذلك لزكريا انه أحق المتنازعين فيها وقال آخرون بل صعد قدح زكريا في النهر وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت فكان ذلك له علما من الله في انه أولى القوم بها وأي الامرين كان من ذلك فلا شك ان ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بانه أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك فانما ضمها زكريا الى نفسه بضم الله اياها اليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحهم فيها واختصامهم في أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك كان بينا ان أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد كفلها وأما ما اعتل به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله أيهم يكفل مريم وان ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله وكفلها فحجة داله على ضعف اختيار المحتج بها وذلك انه غير ممتنع على ذي عقل من ان يقول قائل كفل فلان فلانا فكفله فلان فكذلك القول في ذلك ألق القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله اياه بقضائه الذي يقضي بينهم عند القائهم الاقلام وكذلك اختلفت القراء في قراءة زكريا فقرأته عامة قراءة المدينة بالمد وقرأته عامة قراء الكوفة بالقصر وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في قراءة المسلمين وليس في القراءة باحداهما خلاف لمعنى القراءة الاخرى فبايهما قرأ القارئ فهو مصيب غير ان الصواب عندنا اذا مد زكريا ان ينصب بغير تنوين لانه اسم من أسماء العجم لا يجري ولان قراءتنا في كفلها بالتشديد وتثقيل الفاء فزكريا منصوب بالفعل الواقع عليه وفي زكريا لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو زكري بحذف المدة والياء الساكنة تشبيها العرب بالمنسوب من الاسماء فتنونه وتجريه في أنواع الاعراب مجاري ياء النسبة فتاويل الكلام وضمها الله الى زكريا من قول الشاعر

* فهو لضلال الهوام كافل * يراد به لما ضل من متفرق النعم ومنتشره ضام الى نفسه وجامع وقد روي فهو لضال الهوام كافل بمعنى انه لما ند فهرب من النعم ضام من قولهم ضل الظليم اذا أسرع الطيران يقال منه للرجل مالك تكفل كل ضالة يعني به تضمها اليك وتأخذها ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الرحمن بن الاسود الطفاوي قال ثنا محمد بن ربيعة عن النضر بن عربي عن عكرمة في قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم قال القوا أقلامهم فرفرت بها الجرية الاقلم زكريا صاعدا فكفلها زكريا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وكفلها زكريا قال ضمها اليه قال القوا أقلامهم يقول عصيهم قال فالقوها تلقاء جرية الماء فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء نقرعهم حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فانطلقت بها أمها في خوفها يعني أم مريم بمريم حين ولدتها الى المحراب وقال بعضهم انطلقت حين بلغت الى المحراب وكان الذين يكتبون التوراة اذا جاؤا اليهم بانسان

فى ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذى عنده لم ينفعهم مال ولا ولد كذلك حالكم أيها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغنى عنكم الاموال والاولاد ويحتمل أن يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستئصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صار والى دوام العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد أمران أحدهما المحن المعجلة من القتل والسبى والاذلال وسلب الاموال والديه الاشارة بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثانى المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * التاويل لم الالف اظهار الوحدة مطلقا اذا وصفة فان الالف واحد فى ذاته وصفاته فى وضع الحساب ومتفرد بالاولية (١٤٨) والانقطاع عن غيره فى وضع الحروف ويشير باستقامته وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحدانى أزلا وأبدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم فى اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اثبات أن كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذى لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف وأما اللام فاشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصور وعالم الملك والاجساد فوقوعه فى المرتبة الثانية من الالف اشارة الى أنه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغير موزونه والميم اشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك أن الميم أول حرف من اسمه المبدئ وآخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى أنه كما أبدأ المبدأ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر فرع

وذكر لنا انهما كانا لا يصيبان الذنوب كما تصيبها سائر بنى آدم وذكر لنا ان عيسى كان يمشى على البحر كما يمشى على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والاخلاص حدثنى المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كل آدمى طعن الشيطان فى جنبه غير عيسى وأمه كان لا يصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم قال قال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثنى على ربه وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز انه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين تلده أمه الا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب حدثنا الربيع قال ثنا شعيب قال أخبرنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز انه قال قال أبو هريرة أرأيت هذه الصرخة التى يصرخها الصبى حين تلده أمه فانما منها حدثنى أحمد بن الفرج قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا الزبيدى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد يستهل صارخا ۞ القول فى تاويل قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) يعنى بذلك ان الله جل ثناؤه وتقبل مريم من أمها حنة بتحريرها اياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها بقبول حسن والقبول مصدر من قبلها ربها فاخرج المصدر على غير لفظ الفعل ولو كان على لفظه لكان فتقبلها ربها تقبلا حسنا وقد تفعل العرب ذلك كثيرا ان يأتوا بالمصادر على اصول الافعال وان اختلفت ألفاظها فى الافعال بالزيادة وذلك كقولهم تكلم فلان كلاما ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل تكلم فلان تكاما ومنه قوله وأنبتها نباتا حسنا ولم يقل انباتا حسنا وذكر عن أبى عمرو بن العلاء انه قال لم تسمع العرب بضم القاف فى قبول وكان القياس الضم لانه مصدر مثل الدخول والخروج قال ولم أسمع بحرف آخر فى كلام العرب يشبهه حدثت بذلك عن أبى عبيد قال أخبرنى اليزيدى عن أبى عمرو وأما قوله وأنبتها نباتا حسنا فان معناه وأنبتها ربها فى غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن قال تقبل من أمها ما أرادت بها الكنيسة وأجرها فيها وأنبتها قال نبتت فى غذاء الله ۞ القول فى تاويل قوله (وكفلها زكريا) اختلفت القراء فى قراءة قوله وكفلها فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة وكفلها مخففة الفاء بمعنى ضمها زكريا اليه واعتبارا بقول الله عز وجل يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وكفلها زكريا بمعنى وكفلها الله زكريا وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ وكفلها مشددة الفاء بمعنى وكفلها الله زكريا بمعنى وضمها الله اليه لان زكريا أيضا ضمها اليه باجابة الله له ضمها اليه بالقرعة التى أخرجها الله له والآية التى أظهرها لخصومه فيها فجعله بها أولى منهم اذ

بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية وأستار الاطوار وينطق بلسان الاسرار لا بلسانه الذي أجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لبه هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور لباب ذلك الوجود السمع المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي أبصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك اللب الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان أنواه يذكر انه قشرها كما قال فذكر انما أنت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا أولوا الالباب انما يتذكر أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طبائعنا وطبائعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى (١٥١) سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا

فكانت اليهم ومعهم حتى اذا بلغت دخولها الكنيسة للذر أمها التي نذرت فيها قالوا والاقتراع فيها بالاقلام انما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدة اصابتهم ضعف ذكرنا عن حمل مؤنتها فتدافعوا حمل مؤنتها الارغبة منهم ولا تنافسا عليها وعلى احتمال مؤنتها وسنذكر قصتها في قول من قال ذلك اذا بلغنا اليها ان شاء الله تعالى **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق فعلى هذا التأويل تصح قراءة من قرأ وكفلها زكريا بتخفيف الغاء لو صح التأويل غير ان القول متظاهر من أهل التاويل بالقول الاول ان استهام القوم فيها كان قبل كفالة زكريا اياها وان زكريا انما كفلها باخراج سهمه منها فالعاجل سهام خصومه فيها فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف ۞ القول في تاويل قوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) يعني بذلك جل ثناؤه ان زكريا كان كلما دخل عليها المحراب بعد ادخاله اياها المحراب وجد عندها رزقا من الله لغذائها فقيل ان ذلك الرزق الذي كان يجده زكريا عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجد عندها رزقا قال وجد عندها عنبا في مكتل في غير حينه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد في قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال العنب في غير حينه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة في غير حينها **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو اسحق الكوفي عن الضحاك انه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف يعني في قوله وجد عندها رزقا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن بعض أشياخه عن الضحاك مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا من سمع الحكم بن عيينة يحدث عن مجاهد قال كان يجد عندها العنب في غير حينه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وجد عندها رزقا قال عنبا وجده زكريا عند مريم في غير زمانه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد في قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال كنا نحدث انها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجد عندها رزقا قال وجد عندها ثمرة في غير زمانها **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال جعل زكريا دونها عليها سبعة أبواب فكان يدخل عليها

بلب أبصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك انك أنت الوهاب وفيه اشارة الى أن وظيفة الطالب أن لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طلابا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه وان بعد هذه الدار داراهي دار القرار ونوفى فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب في الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد وان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا واستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغني عنهم طاغوت أموالهم وأولادهم من أنوار الله التي حجبوا عنها وأولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا القشور والجلود ولا تخلص الى القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحياة الى سموم الممات شعر ففي فؤاد المحب نار هوى * أحر نار الجحيم أبردها وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة أنوار نا ومحافظة أسرار نا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب أليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشراقه شعر بالنار خوفني قومي فقلت لهم * النار ترحم من في قلبه نار (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

وانه هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الآية اشارة الى أنه اذا سقطت من صلب ولا يترجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد أحواله الظاهرة والباطنة على وفق أمر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة أو يجد رائحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بأمر الشيخ وتدبيره فالله تعالى بتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل أربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى أن يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيتكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة (١٥٠) الله في أرضه فيستحق الآن أن ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه وأوليائه يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم أجمعون الآيات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ ألبست قلوبهم غطاء الريب وحرموا أنوار الغيب وهم أهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا بأهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بآرائهم والراسخون في العلم يقولون آمنا به بما شاهدوا من أنوار الحق في تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا أولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور لباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق فكانت

يجرون له اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه وكان زكريا أفضلهم يومئذ وكان نبيهم وكانت خالة مريم تحته فلما أتوا بها اقترعوا عليها وقال لهم زكريا أنا أحقكم بها تحتي خالتها فأبوا فخرجوا الى نهر الاردن فالقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الاقلام وقام قلم زكريا على قرنته كأنه في طين فاخذ الجارية وذلك قول الله عز وجل وكفلها زكريا فجعلها زكريا معه في بيته وهو المحراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وكفلها زكريا قال سهمهم بقلمه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة قال كانت مريم ابنة سيدهم وامامهم قال فتشاح عليها أحبارهم فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها قال قتادة وكان زكريا زوج أختها فكفلها وكانت عنده وحضنها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة انه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعني أم مريم بمريم في خرقها تحملها الى بني الكاهن بن هرون أخي موسى بن عمران قال وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فاني حررتها وهي ابنتي ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا اردها الى بيتي فقالوا هذه ابنة امامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة وصاحب قربانهم فقال زكريا ادفعوها الى فان خالتها عندي قالوا لا تطيب أنفسنا هي ابنة امامنا فذلك حين اقترعوا فاقترعوا باقلامهم عليها بالاقلام التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال جعلها زكريا معه في محرابه قال الله عز وجل وكفلها زكريا قال حجاج قال ابن جريج الكاهن في كلامهم العالم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير وكفلها زكريا بعد أبيها وأمها فذكرها بالبستم ثم قص خبرها وخبر زكريا حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال كانت عنده حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال جعلها زكريا معه في محرابه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وتقارعها القوم فقرع زكريا فكفلها زكريا وقال آخرون بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم كفلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ولا منازعة أحد اياه فيها وانما كفلها لان أمها ماتت بعد موت أبيها وهي طفلة وعند زكريا خالتها الاشياع ابنة فاقود وقد قيل ان اسم أم يحيى خالة عيسى أشيع حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الحبائي ان اسم أم يحيى أشيع فضمها الى خالتها أم يحيى

لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الآية اشارة الى أن علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات وأشهدهم على أنفسهم بشواهد الربوبية ألست بربكم فبشهود تلك الشواهد ركن في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم آدم الاسماء كلها فلما وردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى أن وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى أسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والتنطق بها ثم أبواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر

الفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المأتي بهما من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج للآية على جعل الذين خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو مدحا على أعني الذين ولجواز انه نعت للعباد أو للمتقين النار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف أجوز نصبا على المدح بالاسحار ط الاهو ط للعطف ولو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة وأولوا العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الاالذين قرأ ان بالفتح على البدل من أنه الاسلام ٥ بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ٥ ومن اتبعن ط لابتداء أمر يشمل أهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة جزاء الشرط أسلمتم ط لتناهي الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباده ٥ (١٥٣) بغير حق ز لمن قرأ ويقاتلون

لعدول المعنى من قوله يقتلون اليم ٥ والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ٥ معرضون ٥ معدودات ص لان الواو للعطف أو الحال يفترون ٥ لايظلمون ٥* التفسير عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشر به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى أهل

يعجب مما يرى من ذلك ويقول لها تعجبا مما يرى انى لك هذا فتقول من عند الله **حدثني** بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني بعض أهل العلم فذكر نحوه **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله قال فانه وجد عندها الفاكهة الرطبة حين لا توجد الفاكهة عند أحد فكان زكريا يقول يا مريم انى لك هذا وأما قوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فخبر من الله أنه يسوق الى من يشاء من خلقه رزقه بغير احصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده لانه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك اليه كذلك خزائنه ولا يزيدها عطاؤه اياه ومحاسبته عليه في ملكه وفيما لديه شيأ ولا يعوزه عنه علم ما يرزقه وانما يحاسب من يعطي ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلا بما يعطي على غير حساب (قوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) أما قوله هنالك دعا زكريا ربه فمعناه عند ذلك أي عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في ذلك لها ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته اياها عندها في الارض طمع في الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر فرجا أن يرزقه الله منها الولد مع الحال التي هما بها كما رزق مريم على نخلها من الناس ما رزقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف وان لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العادات في الارض بل المعروف في الناس غير ذلك كما ان ولادة العاقر غير الامر الجاري به العادات في الناس فرغب الى الله جل ثناؤه في الولد وسأله ذرية طيبة وذلك ان أهل بيت زكريا فيما ذكرنا كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما رأى زكريا من حالها ذلك يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال ان ربا أعطاها هذا في غير حينه لقادر على أن يرزقني ذرية طيبة ورغب في الولد فقام فصلى ثم دعا ربه سرا فقال رب انى وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا وقوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء يقول رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال أخبرني علي بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فلما رأى ذلك زكريا يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف عند مريم قال ان الذي يأتي بهذا مريم في غير زمانه قادر أن يرزقني ولدا قال الله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال فذلك حين دعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه فقال رب انى وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا الى قوله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من

مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة أما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة ويعني جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر

المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله
بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ألم تر
الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب
الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق
منهم وهم معرضون ذلك
بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا أياما معدودات وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون
فكيف اذا جمعناهم ليوم
لا ريب فيه ووفيت كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون)
القراآت سيغلبون ويحشرون
بياء الغيبة حمزة وعلي
وخلف وعباس مخير الباقون
بتاء الخطاب ترونهم بتاء
الخطاب أبو جعفر ونافع
وسهل ويعقوب الباقون
بالياء مثليهم بضم الهاء سهل
ويعقوب وكذلك ما انفتح
قبل الياء مثل بجنتيهم رأى
العين بغير همز أبو عمرو
غير شجاع ويزيد والاعشى
والاصفهاني عن ورش وحمزة
في الوقف الباقون بهمزة
ساكنة أؤنبئكم بهمزة غير
ممدودة بعدها واو مضمومة
ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس وأوقية وأبي شعيب ونافع غير قالون أؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون يعجب
وعباس وأوقية وأبو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافقا يحيى وحمادا الا
في من اتبع رضوانه في المائدة ان الذين بفتح ان على الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر غير النجاري عن هشام
وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي ومن اتبعني باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو وأبا جعفر ونافع غير
قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية علي بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف أبو جعفر الباقون بالعكس
الوقوف جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان التقدير منهما فئة أحداهما العين ط من يشاء ط الابصار ه والحرث ط الدنيا ج

فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا
عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال جعلها زكريا معه في بيت وهو المحراب فكان يدخل عليها في الشتاء
فيجد عندها فاكهة الصيف ويدخل في الصيف فيجد عندها فاكهة الشتاء حدثت عن الحسين قال سمعت
أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وجد عندها رزقا قال كان يجد عندها فاكهة
الصيف في الشتاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال وجد عندها ثمار الجنة فاكهة
الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني بعض أهل
العلم ان زكريا كان يجد عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء حدثني محمد بن سنان قال ثنا
أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن قال كان زكريا اذا دخل عليها يعني على مريم المحراب وجد عندها رزقا من
السماء من الله ليس من عند الناس وقالوا لو ان زكريا كان يعلم ان ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه وقال
آخرون بل معنى ذلك ان زكريا كان اذا دخل اليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلا مما كان يأتيها به الذي
كان يمونها في تلك الايام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال
كفلها بعد هلاك أمها فضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا بلغت ادخلوها الكنيسة لتذر أمها الذي نذرت فيها
فجعلت تنبت وتزيد قال ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها
فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل أتعلمون والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران فقالوا ونحن
لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم فتداعوها بينهم وهم لا يرون لهم من حملها بدا حتى
تقارعوا بالاقلام فخرج السهم بحملها على رجل من بني اسرائيل نجار يقال له جريج قال فعرفت مريم في
وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فكانت تقول له يا جريج أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل جريج يرزق
بمكانها فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله وكثره فيدخل عليها
زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق وليس بقدر ما يأتيها به جريج فيقول يا مريم انى لك هذا فتقول هو من عند
الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وأما المحراب فهو مقدم كل مجلس ومصلى وهو سيد المجالس وأشرفها
وأكرمها وكذلك هو من المساجد ومنه قول عدي بن زيد كدمى العاج في المحاريب * أو كالبيض في الروض
وهو مسقف مستتر والمحاريب جمع محراب وقد يجمع على محارب ۞ القول في تأويل قوله (قال يا مريم أنى لك
هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يعني بذلك جل ثناؤه قال زكريا يا مريم انى
لك هذا من أي وجه لك هذا الذي أرى عندك من الرزق قالت مريم مجيبة له هو من عند الله تعني ان الله هو
الذي يرزقنيها ذلك فساقه اليها وأعطاها وانما كان زكريا يقول ذلك لها لانه كان فيما ذكر لنا يغلق عليها
سبعة أبواب ويخرج ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فكان

هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما تلا هذا المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفر فوا الحكمة في ذلك أن بهاجهم المشركون ويجتنبوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا على أن تقليلهم تارة في أعينهم وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلاثة أمثالهم فلو رأوهم كاهم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع أن يكون الرائون هم المسلمون ثم انهم رأوا المشركين على الضعف (١٠٠) من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن

ركب سفينة واحدة وكما يقال لمن سمعت هذا الخبر فيقال من الناس وانما سمعه من رجل واحد وقد قيل ان منه قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والقائل كان فيما ذكروا واحدا وقوله واذا مس الناس ضر والناس بمعنى واحد وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد وانما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك انهما قراءتان معروفتان أعني التاء والياء فبايتهما قرأ القارئ فصيب وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القراءتين وهما جميعا فصيحتان عند العرب وذلك ان الملائكة ان كان مرادا بها جبريل كما روي عن عبد الله فان التانيث في فعلها فصيح في كلام العرب لفظها ان تقدمها الفعل وجائز فيه التذكير لمعناها وان كان مرادا بها جمع الملائكة فجائز في فعلها التانيث وهو من قبلها لفظها وذلك ان العرب اذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته فقالت قالت النساء وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد اذا تقدم فعله فيقال قال الرجال وأما الصواب من القول في تاويله فان يقال ان الله جل ثناؤه أخبر ان الملائكة نادته والظاهر من ذلك انها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد فلن يجوز أن يحمل تاويل القرآن الا على الاظهر الاكثر من الكلام المستعمل في السن العرب دون الاقل ما وجد الى ذلك سبيل ولم يضطر ناحاجة الى صرف ذلك الى انه بمعنى واحد فيحتاج له الى طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني وبما قلنا في ذلك من التاويل قال جماعة من أهل العلم منهم قتادة والربيع بن أنس وعكرمة وجاهد وجماعة غيرهم وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى ۞ القول في تاويل قوله (وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) وتاويل قوله وهو قائم فنادته الملائكة في حال قيامه مصليا فقوله وهو قائم عند وقت نداء الملائكة زكريا وقوله يصلي في موضع نصب على الحال من القيام وهو رفع بالياء وأما المحراب فقد بينا معناه وانه مقدم الجسد واختلفت القراء في قراءة قوله ان الله يبشرك فقرأته عامة القراء ان الله بفتح الالف من أن بوقوع النداء عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك وقرأ بعض قراء أهل الكوفة ان الله يبشرك بكسر الالف بمعنى قالت الملائكة ان الله يبشرك لان النداء قول وذكروا أنها في قراءة عبد الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا ان الله يبشرك قالوا واذا بطل النداء أن يكون عاملا في قوله يا زكريا فباطل أيضا أن يكون عاملا في ان والصواب في القراءة في ذلك عندنا ان الله يبشرك بفتح أن بوقوع النداء عليه بمعنى فنادته الملائكة بذلك وليست العلة التي اعتل بها القارئون بكسر ان من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك وذلك ان عبد الله ان كان قرأ ذلك كذلك فانما قرأها بزعمهم وقد اعترض بهذا زكريا بين ان وبين قوله فنادته واذا اعترض بينهما فان العرب تعمل حينئذ النداء في أن وتبطله عنها أما الابطال فانه بطل عن العمل في المنادى كله فاسلكوا الذي بعد مسلكه في بطول عمله وأما الاعمال فلان النداء فعل رافع كسائر الافعال وأما قراءة من قرأ فنادوه الملائكة فليس نداء زكريا بيا زكريا معترضا بين أن وبين قوله فنادته واذ لم يكن ذلك بينهما فالكلام الفصيح من كلام العرب اذا نصبت تقول ناديت اسم المنادى وأوقعوه عليه أن يوقعوه كذلك على ان بعده وان

أن يقول به أحد لان هذا يوجب نصرة الكفار ويقع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنادي في ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان أول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد بقوله أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاول والثاني يقتضي أن المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب أن يكون الموجود الحاضر غير مرئي أما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى أنزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا لكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال أو نحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك أو معناه

رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وأما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائز الا واجبا والزمان زمان خوارق العادات وأما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشروط وسلامة الحس اعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتامل البالغ فقد يرى البعض دون البعض أو لعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض أو خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية تلك العسكر أو يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والغالبة كيوم أحد ان في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة لنوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار ذوي العقول التي تصير القضايا معها

من قرأ بتاء الخطاب فعناه الامر بان يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر باى لفظ أراد صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ أى قل لهم قولك سيغلبون وفى الآية احتجاج للقائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى أخبرعنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا وأطاعوا انقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والنشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما أخبر اخباره عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم نظيره فى حق عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجرى مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل فى سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة أخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه

أحدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف أمور منها قلة العدد كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك ابتداء عادة فى الحرب لانها من أول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل فى المشركين اضداد هذه المعانى كانوا سبعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وأهل الخبر كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر عن ذلك باخبار الله فى قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى جمع قريش أو عير أبى سفيان وكان أخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز وثالثها امداد الملائكة كما سيجىء فى هذه السورة ورابعها قوله يرونهم مثليهم وفيه أربعة احتمالات لان الضمير فى يرون اما أن يعود الى الفئة الكافرة أو الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير فى مثليهم الى كل منهما فهذه أربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلى عدد المشركين قريبا من ألفين الثانى انها رأت المسلمين مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى أنفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير فى يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة أولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب أن يكون الرائون

الله الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم قال فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسن ولا ولد له وقد انقرض أهل بيته فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ثم شكا الى ربه فقال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا الى واجعله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب الآية وأما قوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة فانه يعنى بالذرية النسل وبالطيبة المباركة كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يقول مباركة وأما قوله من لدنك فانه يعنى من عندك وأما الذرية فانها جمع وقد تكون فى معنى الواحد وهى فى هذا الموضع واحد وذلك ان الله عز وجل قال فى موضع آخر مخبرا عن دعاء زكريا فهب لى من لدنك وليا ولم يقل أولياء فدل على أنه سأل واحدا وانما أنث طيبة لتانيث الذرية كما قال الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى فانث وهو ذكر لتانيث لفظ الخليفة كما قال الآخر

كما زدرى من حية جبلية * سكاب اذا ما عض ليس بازدراء

فانث الجبلية لتانيث لفظ الحية ثم رجع الى المعنى فقال اذا ما عض لانه كان أراد حية ذكرا وانما يجوز هذا فيما لم يقع عليه فلان من الاسماء كالدابة والذرية والخليفة فاما اذا سمى رجل بشىء من ذلك فكان فى معنى فلان لم يجز تانيث فعله ولا نعته وأما قوله انك سميع الدعاء فان معناه انك سامع الدعاء غير أن سميع أمدح وهو بمعنى ذو سمع له وقد زعم بعض نحوى البصرة ان معناه انك تسمع ما تدعى به فتاويل الآية فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال رب هب لى من عندك ولدا مباركا انك ذو سمع دعاء من دعا ۞ القول فى تاويل قوله (فنادته الملائكة) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة فنادته الملائكة على التانيث بالتاء يرادبها جمع الملائكة وكذلك تفعل العرب فى جماعة الذكور اذا تقدمت أفعالها أنثت أفعالها ولا سيما الاسماء التى فى ألفاظها التانيث كقولهم جاءت الطلحات وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء بمعنى فناداه جبريل فذكروه للتاويل كما قد ذكرنا آنفا أنهم يؤنثون فعل الذكر للفظ فكذلك يذكرون فعل المؤنث أيضا للفظ واعتبر واذلك فيما أرى بقراءة يذكرانها قراءة عبد الله بن مسعود وهو ما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ان قراءة ابن مسعود فناداه جبريل وهو قائم يصلى فى المحراب وكذلك تاول قوله فنادته الملائكة جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فناداه الملائكة وهو جبريل أو قالت الملائكة وهو جبريل ان الله يبشرك بيحيى فان قال قائل وكيف جاز أن يقال على هذا التاويل فناداه الملائكة والملائكة جمع لا واحد قيل ذلك جائز فى كلام العرب بان تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال فى الكلام خرج فلان على بغال البريد وانما ركب بغلا واحدا وركب السفن وانما ركب

ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام انى أحببت حب الخير ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضى ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك أنه موجود فى الاغلب وفى أكثر الاوقات فلا يبعد التعميم فطالما أعطى الاغلب حكم الكل على أن من همته بحوامعها مقصورة على طلب الذات الروحانية فى غاية الندرة وبقاء ذلك النادر فى جميع الاحيان على ذلك الخاطر أعز وأمنع ثم شرع فى بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هى الامهات ورتبها فى سبع مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى النساء الثانية الاولاد (١٥٧) ولاسيما البنين ولهذا خصوا بالذكر

جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال انما سمى يحيى لان الله أحياه بالايمان ۞ القول فى تأويل قوله (مصدقا بكلمة من الله) يعنى بقوله جل ثناؤه ان الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابنا لك مصدقا بكلمة من الله يعنى بعيسى ابن مريم ويصف قوله مصدقا على القطع من يحيى لان مصدقا نعته له وهو نكرة ويحيى غير نكرة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد قال قالت امرأة زكريا لمريم انى أجد الذى فى بطنى يتحرك للذى فى بطنك قال فوضعت امرأة زكريا يحيى ومريم عيسى ولذا قال مصدقا بكلمة من الله قال يحيى مصدق بعيسى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الرقاشى فى قول الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله مصدقا بكلمة من الله يقول مصدق بعيسى بن مريم وعلى سننه ومنهاجه حدثنا ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى بن مريم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم يقول على سننه ومنهاجه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مصدقا بكلمة من الله قال كان أول رجل صدق عيسى وهو كلمة من الله وروح حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى مصدقا بكلمة من الله يصدق بعيسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله كان يحيى أول من صدق بعيسى وشهد انه كلمة من الله وكان يحيى ابن خالة عيسى وكان أكبر من عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال عيسى بن مريم هو الكلمة من الله اسمه المسيح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال كان عيسى ويحيى ابنى الخالة وكانت أم يحيى تقول لمريم انى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك فذلك تصديقه بعيسى سجوده فى بطن أمه وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ويحيى أكبر من عيسى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال الكلمة التى صدق بها عيسى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى فقالت امرأة زكريا يا مريم استشعرت انى حبلى قالت مريم استشعرت انى أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله حدثنى محمد بن بشار قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن

ومحبة النساء والاولاد كانها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ما خوذ من عقد الشئ واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق بها فى عقد النوائب أبو عبيد انه وزن لا يحد أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف أوقية أنس عنه هو ألف دينار أبى بن كعب عنه هو ألف ومائتا أوقية ابن عباس ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبى ان القنطار بلسان الروم مل مسك ثور من ذهب أو فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة ألف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبى القناطير ثلاثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فالكلهما كالمالك لجميع الاشياء وكل الصيد يوجد فى الفرا ولولا التى لقلت جلت قدرته وصفة المالكية هى القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدى الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها فى مشيتها ويسمى الخيال خيالا لجولان هذه القوة فى استحضار الصور والمسومة قيل المرعية أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها فى مرجها للرعى ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هى المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا فى تلك العلامة فعن أبى مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هى البلق وقال قتادة الشية وقيل الكى ومجاهد وعكرمة المسومة المطهمة أى الحسان قال الاصمعى رجل مطهم أى تام كل شئ

كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لمعتبر الانسان وهو انه زين للناس الذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وأبقى وأنها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة وأما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان أبا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا أنه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى أما عند الاشاعرة فلانه خالق أفعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان وأما عند جمهور المعتزلة فالحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو أن يتصدق بها أو يتقوى بها على طاعة الله واشتغل بشكرها كان الصاحب ابن عباد يقول شربا لماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من أقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات اذا تركها وأقبل على أداء وظائف الخدمة كان أشق له وأكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فالتزين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزين فيه من الشيطان وحكى عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الآية بانه أطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا لمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض ذلك متاع الحياة الدنيا والذم للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا جعفر فكيف يكون مزينا لهاثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدر مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة أخرى هي ان الشهوة صفة مستذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على أن الحب غير الشهوة لان المضاف يجب أن يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من أفعال العباد وهي أن يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيأ ولكنه يحب أن لا يحبه وقد يحبه ويحب أن يحبه ويعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة

كان جائزا ابطال عمله فقوله نادته قد وقع على مكنى زكريا فكذلك الصواب أن يكون واقعا على أن وعاملا فيها مع ان ذلك هو القراءة المستفيضة في قراءة أمصار الاسلام ولا يعترض بالشاذ على الجماعة التي تجيء حجة وأما قوله يبشرك فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان الله يبشرك بتشديد الشين وضم الياء على وجه تبشير الله زكريا بالولد من قول الناس بشرت فلانا البشري بكذا وكذا أي اتته بشارات البشري بذلك وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وغيرهم ان الله يبشرك بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها بمعنى ان الله يبشرك بولد يهبه لك من قول الشاعر

بشرت عيالي اذ رأيت صحيفة * أتت من الحجاج يتلى كتابها

وقد قيل ان بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش وأنهم يقولون بشرت فلانا بكذا فانا أبشره بشرا وهل أنت باشر بكذا وينشدلهم البيت في ذلك

واذا رأيت الناهسين الى العلى * غبرا أكفهم بقاع ممحل
فاعنهم وابشر بما بشروا به * واذا هم نزلوا بضنك فانزل

فاذا صاروا الى الامر فالكلام الصحيح من كلامهم بالالف فيقال ابشر فلانا بكذا ولا يكادون يقولون بشره بكذا ولا أبشره وقد روي عن جيد بن قيس أنه كان يقرأ يبشرك بضم الياء وكسر الشين وتخفيفها وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن معاذ الكوفي قال من قرأ يبشرهم منقلة فانه من البشارة ومن قرأ يبشرهم مخففة بنصب الياء فانه من السرور يسرهم والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين بمعنى التبشير لان ذلك هي اللغة السائرة والكلام المستفيض المعروف في الناس مع ان جميع قراء الامصار مجمعون في قراءتهم يبشرون على التشديد والصواب في سائر ما في القرآن من نظائره أن يكون مثله في التشديد وضم الياء وأما ما روي عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك وأن أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح فلا معنى لما حكي من ذلك عنه وقد قال جرير بن عطية

يا بشر حق لوجهك التبشير * هلا غضبت لنا وأنت أمير

فقد علم انه أراد بقوله التبشير الجمال والنضارة والسرور فقال التبشير ولم يقل البشر فقد بين ذلك ان معنى التخفيف والتثقيل في ذلك واحد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال بشرته الملائكة بذلك وأما قوله بيحيى فانه اسم أصله يفعل من قول القائل حيي فلان فهو يحيى وذلك اذا عاش فيحيى يفعل من قولهم حيي وقيل ان الله جل ثناؤه سماه بذلك لانه يتأول اسمه أحياه بالايمان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يبشرك بيحيى يقول عبد أحياه الله بالايمان حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي

لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب أن يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الآخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا أو بصيرهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا بهم وباحوالهم فلذلك أعدلهم الجنات الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا قوسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن أن يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم أنه حاصل له اظهارا للذل العبودية (١٠٩) وابداء للاستكانة والخشوع وأيضا صورة

وأصل جميع ذلك واحد وهو المنع والحبس ومثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن خلف قال ثنا حماد بن شعيب عن عاصم عن زر عن عبد الله فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى عن سعيد بن المسيب انه قال نبى ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فاخذ عودا صغيرا ثم قال وذلك انه لم يكن له ما للرجال الا مثل هذا العود وبذلك سماه الله سيدا وحصورا حدثنى يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ليس أحد الا يلقى الله يوم القيامة ذا ذنب الا يحيى بن زكريا كان حصورا معه مثل الهدبة حدثنا أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا عمرو بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال قال ابن العاص اما عبد الله وأما أبوه ما أحد يلقى الله الا وهو ذو ذنب الا يحيى بن زكريا قال وقال سعيد بن المسيب وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يغشى النساء ولم يكن ما معه الا مثل هدبة الثوب حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد بن المسيب فى قوله وحصورا قال الحصور الذى لا يشتهى النساء ثم ضرب بيده الى الارض فاخذ نواة فقال ما كان معه الا مثل هذه حدثنا ابن بشار قال ثنا بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد مثله حدثنى ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد مثله حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد وحصورا قال الذى لا يأتى النساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحصور لا يقرب النساء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشى الحصور الذى لا يقرب النساء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك الحصور الذى لا ولد له وليس له ماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وحصورا قال هو الذى لا ماء له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحصورا كنا نحدث ان الحصور الذى لا يقرب النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الحصور الذى لا ينزل الماء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنى موسى قال ثنا

العمل الصالح لا تفيد ما لم تقع فى حيز القبول فعلى المتقى أن لا يتكل عليها ويبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من أوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها أو اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين أى فى أداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كاد يتلف روحه والصادقين أى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر

على من تيسر بشرطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار أى فيها والسحر قبل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا اليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالاسحار من بدائع أنوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا أعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد أن يفيض عليه سجال المغفرة وأن يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف وآثار اللطائف أما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل أداء جميل التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات أمر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا أمرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع

على حده فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا الابل خاصة فانه غلب عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذى ذكر متاع الحياة الدنيا ان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما أن تكون من بنى نوعه أو من غيره والاول أصل وهو المرأة أو فرع وهو الولد وانما فرض الكلام فى المذكور لشرفهم والثانى اما أن تكون من المعدنيات وأكثرها فائدة وأعمها عائدة الجوهر ان الثمينان خصا بالذكر واما أن تكون من الحيوانات المركوب والكر والفر وهو الخيل أو للحمل واللحم وهو الانعام واما أن تكون من النباتيات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب أولا معهم والله عنده حسن المآب أى المرجع (١٥٨) وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتى غضبى ثم بين ان ذلك المرجع كما أنه حسن فى نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد أنه كما أن الدنيا أطيب وأفسح من بطن الام فكذلك الآخرة أفسح وأوسع من الدنيا أولا لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير أنبئكم بخير أى بشئ هو خير من ذلكم الذى عددنا ثم استأنف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل أدلكم على خير خير من فلان عندى رجل من صفته كيت وكيت و بيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمتوان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها و ينقص لذتها و بعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصف الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة أى من الاقذار والمنفرات وأصل

الحسن فى قول الله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة ان معنى قوله مصدقا بكلمة من الله بكتاب من الله من قول العرب أنشدنى فلان كلمة كذا يريد به قصيدة كذا جهلا منه بتأويل الكلمة واجترأ على ترجمة القرآن برأيه ۞ القول فى تأويل قوله (وسيدا) يعنى بقوله جل ثناؤه وسيدا وشريفا فى العلم والعبادة ونصب السيد عطفا على قوله مصدقا وتأويل الكلام ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بهذا وسيدا والسيد الفعيل من قول القائل ساد يسود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسيدا اى والله لسيد فى العبادة والحلم والعلم والورع حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا قال السيد لا أعلمه الا قال فى العلم والعبادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال السيد الحليم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير وسيدا قال الحليم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وسيدا قال السيد التقى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الكريم على الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشى ان السيد الكريم على الله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الحليم التقى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وسيدا قال يقول تقيا حليما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان فى قوله وسيدا قال حليما تقيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله وسيدا قال السيد الشريف حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية عن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الفقيه العالم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وسيدا قال يقول حليما تقيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة وسيدا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب ۞ القول فى تأويل قوله (وحصورا ونبيا من الصالحين) يعنى بذلك ممتنعا من جماع النساء من قول القائل حصرت من كذا أحصر اذا امتنع منه ومنه قولهم حصر فلان فى قراءته اذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها وكذلك حصر العدو حبسهم الناس ومنعهم اياهم التصرف ولذلك قيل للذى لا يخرج مع ندمائه هو حصور كما قال الاخطل

وشارب مرجج بالكأس نادمنى * لا بالحصور ولا فيها بسوار

و يروى بستار * و يقال أيضا للذى لا يخرج سره و يكتمه حصور لانه يمنع سره أن يظهر كما قال جرير

ولقد نساقطنى الوشاة فصادفوا * حصرا سؤولا ما تنينا ۞

من الله غير الصلاة من الملائكة فان قيل المدعى الوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى أرشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل أي شيء أكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله أنه لا اله الا هو قائما بالقسط وهذا أوجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا أبوك عطوفا أولا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل أن يكون حالا من أولي العلم أي حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في أداء هذه الشهادة الثاني أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث أن يكون نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله شعر

الذي قد يئس من الولد ومن العاقر التي لا يرجى من مثلها الولادة كما خلقك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيأ لان الله الذي لا يتعذر عليه خلق شيء أراده ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه لان قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ﴿ القول في تاويل قوله (قال رب اجعل لي آية) يعني بذلك جل ثناؤه خبرا عن زكريا قال زكريا رب ان كان هذا النداء الذي نوديته والصوت الذي سمعته صوت ملائكتك وبشارة منك لي فاجعل لي آية يقول علامة ان ذلك كذلك ليزول عني ما قد وسوس الى الشيطان فالقاه في قلبي من أن ذلك صوت غير الملائكة وبشارة من عند غيرك كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال رب اجعل لي آية قال قال يعني زكريا يا رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية وقد دللنا فيما مضى على معنى الآية وانها العلامة بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل العربية في سبب ترك العرب همزتها ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة فقال بعضهم ترك همزها لانها كانت آية فثقل عليهم التشديد فابدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا أما فلان فاجزاه الله وقال آخرون منهم بل هي فاعلة منقوصة فسئلوا فقيل لهم فما بال العرب تصغرها أيية ولم يقولوا أوية فقالوا لقيل ذلك كما قيل في فاطمة هذه فطيمة فقيل لهم فانهم انما يصغرون فاعلة على فعيلة اذا كان اسما في معنى فلان وفلانة فاما في غير ذلك فليس من تصغيرهم فاعلة على فعيلة وقال آخرون انه فعلة صيرت ياؤها الاولى ألفا كما فعل بحاجة وقامة فقيل لهم انما تفعل العرب ذلك في أولى الثلاثة وقال من أنكر ذلك من قيلهم لو كان كما قالوا القيل في نواة ناية وفي حياة حاية ﴿ القول في تاويل قوله (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) فعاقبه الله فيما ذكر لنا بمسئلته الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بالبشارة فجعل آيته على تخصيص ما سمع من البشارة من الملائكة يعني انه من عند الله آية من نفسه جعل تعالى ذكره بها العلامة التي سأل ربه على ما يبين له حقيقة البشارة انها من عند الله وتمحيصا له من هفوته وخطا قيله ومسالته ونحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا انما عوقب بذلك لان الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى فسال الآية بعد كلام الملائكة اياه فاخذ عليه بلسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا ما أومى وأشار فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا قال شافهته الملائكة فقال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا يقول الا ايماء وكانت عقوبة عوقب بها اذ سال الآية مع مشافهة الملائكة اياه بما بشرته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن الربيع في قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ذكر لنا والله أعلم انه عوقب لان

ويأوي الى نسوة عطل وشعثا

مراضيع مثل السعالى

ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير أي يجريه على سنن الاستقامة أو مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص والنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما أو خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة أو يشبه

الجور أو القبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلقه أعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلقه العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة وكلها احكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعد الادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك خوض فيما

الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا انا نسألك عن شهادة فان أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله أنه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٠) ووجه النظم أنه مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله ربنا اننا آمنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم أن الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن أولى العلم يحتمل أن تكون بمعنى واحد ويحتمل أن لا تكون كذلك أما الاول فتقريره من وجهين أحدهما أن الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي حق أولي العلم أما من الله فذلك انه أخبر في القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية في هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها وأما من الملائكة وأولي العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم أخبروا أيضا ان الله واحد لا شريك له وثانيهما الوجهين أن تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى أظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة وأولو العلم أظهروا ذلك وبينوه أيضا الذي

عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وحصورا قال الحصور الذي لا يريد النساء حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن وحصورا قال لا يقرب النساء وأما قوله ونبيا من الصالحين فانه يعني رسولا نزيه الى قومه ينبئهم عنه بامره ونهيه وحلاله وحرامه ويبلغهم عنه ما أرسله به اليهم ويعني بقوله من الصالحين من أنبيائه الصالحين وقد دللنا فيما مضى على معنى النبوة وما أصلها بشواهد ذلك والادلة الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تاويل قوله (قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر) يعني ان زكريا قال اذ نادته الملائكة ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر يعني من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له وامرأتي عاقر والعاقر من النساء التي لا تلد يقال منه امرأة عاقر ورجل عاقر كما قال عامر بن الطفيل

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذري لدى كل محضر

وأما الكبر فصدر كبر فلان فهو يكبر كبرا وقيل بلغني الكبر وقد قال في موضع آخر وقد بلغت من الكبر لان ما بلغك فقد بلغته وانما معناه قد كبرت وهو كقول القائل وقد بلغني الجهد بمعنى اني في جهد فان قال قائل وكيف قال زكريا وهو نبي الله أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله اياها به أشك في صدقهم فذلك ما لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان بالله فكيف الانبياء والمرسلون أم كان ذلك منها استكبارا للقدرة به فذلك أعظم في البلية قيل كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننت بل كان قيله ما قال من ذلك كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لما سمع النداء يعني زكريا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى جاءه الشيطان فقال له يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحى اليك في غيره من الامر فشك مكانه وقال أني يكون لي غلام ذكر يقول ومن أين وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال فاتاه الشيطان فاراد أن يكدر عليه نعمة ربه فقال هل تدري من ناداك قال نعم ناداني ملائكة ربي قال بل ذلك الشيطان لو كان هذا من ربك لاخفاء اليك كما أخفيت نداءك فقال رب اجعل لي آية فكان قوله ما قال من ذلك ومراجعته ربه فيما راجع فيه بقوله أني يكون لي غلام للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان حتى خيلت اليه أن النداء الذي سمعه كان نداء من غير الملائكة فقال رب أني يكون لي غلام مستثبتا في أمره ليتقرر عنده بآية يريه الله في ذلك انه بشارة من الله على ألسن ملائكته ولذلك قال رب اجعل لي آية وقد يجوز أن يكون قيله ذلك مسئلة منه ربه من أي وجه يكون الولد الذي بشر به أمن زوجته فهي عاقر أم من غيرها من النساء فيكون ذلك على غير الوجه الذي قاله عكرمة والسدي ومن قال مثل قولهما ۞ القول في تاويل قوله (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعني جل ثناؤه بقوله كذلك الله أي هو ما وصف به نفسه انه هين عليه أن يخلق ولدا من الكبير

الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشئ الذي به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان شئ واحد في حق الكل فكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى أمر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام وأما الثاني فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فالصلاة

ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب أن يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على ان الفعل واقع على الثانى وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه أوضح الدلائل وأزال الشبهات والقوم ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين أوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب فانه سلم التوراة الى السبعين رجلا من الاحبار وجعلهم أمناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم فى أمر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه

أنه يذكر الله والرمز الاشارة يشير اليهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الرمز الايماء **حدثنى** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى الرمز يقول اشارة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير الرمز الاشارة **حدثنى** محمد بن عمر بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال أمسك بلسانه فجعل يومئ بيده الى قومه أن سبحوا بكرة وعشيا ۞ القول فى تأويل قوله (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) يعنى بذلك قال الله جل ثناؤه لزكريا يا زكريا آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا بغير خرس ولا عاهة ولا مرض واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع ذكره ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب قال لو كان الله رخص لاحد فى ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وأما قوله وسبح بالعشى فانه يعنى عظم ربك بعبادته بالعشى والعشى من حين تزول الشمس الى أن تغيب كما قال الشاعر

ولا الفال من برد الضحى يستطيعه * ولا الفى ممن برد العشى يذوق

فالفىء انما يبتدئ وقته عند زوال الشمس وينتهى بمغيبها وأما الابكار فانه مصدر من قول القائل بكر فلان فى حاجة فهو يبكر ابكارا وذلك اذا خرج فيها من بين مطلع الفجر الى وقت الضحى فذلك ابكار يقال فيه بكر فلان وبكر يبكر بكورا فمن الابكار قول عمر بن أبى ربيعة * أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * ومن البكور قول جرير

ألا بكر سلمى فد بكورها * وشق العصا بعد اجتماع أميرها

ويقال من ذلك بكر النخل يبكر بكورا وأبكر يبكر ابكارا والباكور من الفواكه أولها ادراكا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وسبح بالعشى والابكار قال الابكار أول الفجر والعشى ميل الشمس حتى تغيب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك ومعنى قوله اصطفاك اختارك واجتباك لطاعته وما خصك به من كرامته وقوله وطهرك يعنى طهر دينك من الريب والادناس التى فى أديان نساء بنى آدم واصطفاك على نساء العالمين يعنى اختارك على نساء العالمين فى زمانك بطاعتك اياه بفضلك عليهم كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد يعنى بقوله خير نسائها خير نساء أهل الجنة **حدثنى**

وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب الامن بعد ما جاءهم العلم أى الدلائل التى لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لا نالو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله فى التفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة أو المراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه أى يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله فى محاجتهم فقال فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله قال الفراء أى أخلصت عملى لله فعلى هذا الوجه فى معنى العمل وقيل أى أسلمت وجهى لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر منى من الاعمال فالوجه فى الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير أسلمت نفسى لله وليس فى العبادة مقام أعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع فى أسلمت وحسن للفصل أو مفعول معه والواو بمعنى مع ثم فى كيفية ايراد هذا الكلام طريقان أحدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد أظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد مر فى هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين نفى الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله أنه لا اله الا هو وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغى والحسد فلم يبق الان يقول أما أنا ومن اتبعن فنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد ذكره المحتج المحق مع المبطل المصر فى آخر كلامه وثانيهما ان قوله أسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع

لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد لوان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من أفعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسبه الى الجور في فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من أزل الآزال الى أبد الآباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا أو شرا في اعتقاده حسنا أو قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب ابن أخت خالته لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا آخر وخالقا غير الله تعالى (١٦٢) ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله أنه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لأمة محمد ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة وأولى العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب أن يكررها المسلم ما أمكن * هو المسك ما كررته يتضوع *

ثم أكد كونه منفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا تتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سميت دينا لانها سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم أو في السلامة أو في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ أي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر وان

ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ويطلق أخرى على الانقياد الكلي وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد أما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في صفة من الصفات كما شهد هو به وأما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وأمر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عن البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله أن الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا أرى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شهد الله أنه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله أنه لا اله الا هو

الملائكة شافهته مشافهة فبشرته بيحيى فسأل الآية بعد فاخذ بلسانه حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا والله أعلم انه عوقب لان الملائكة شافهته فبشرته بيحيى قالت ان الله يبشرك بيحيى فسأل بعد كلام الملائكة اياه الآية فاخذ عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا رمزا يقول يومي ايماء حدثني أبو عبيد الرصافي قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا صفوان بن عمرو عن جويبر بن نصير في قوله قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ربا لسانه في فيه حتى ملأه ثم أطلقه الله بعد ثلاث وانما اختارت القراء النصب في قوله ألا تكلم الناس لان معنى الكلام قال آيتك ألا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام فكانت أن هي التي تنصب الاسماء دون التي تنصب الافعال فتنصبها ولو كان المعنى فيه آيتك انك لا تكلم الناس ثلاثة أيام أي انك على هذه الحال ثلاثة أيام كان وجه الكلام الرفع لان ان كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ولكن لم يكن ذلك جائزا لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر وأما الرمز فان الاغلب من معانيه عند العرب الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجبين والعينين أحيانا وذلك غير كثير فيهم وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت الرمز ومنه قول حوبة بن عابد

وكان يكلم الابطال رمزا * وهمهمة لهم مثل الهدير

يقال منه رمز فلان فهو يرمز ويرمز رمزا وينمز نمزا ويقال ضربه ضربة فارتمز منها أي اضطرب للموت قال الشاعر * جررت منها القفا ي ارتمز * وقد اختلف أهل التاويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في اخباره عن زكريا من قوله آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وأي معاني الرمز عنى بذلك فقال بعضهم عنى بذلك آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا تحريكا بالشفتين من غير أن ترمز بلسانك الكلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عربي عن مجاهد في قوله الا رمزا قال تحريك الشفتين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثلاثة أيام الا رمزا قال ايماؤه بشفتيه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل عنى الله بذلك الايماء والاشارة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك الا رمزا قال الاشارة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا رمزا قال الرمز أن يشير بيده أو رأسه ولا يتكلم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس الا رمزا قال الرمز ان أخذ بلسانه فجعل يكلم الناس بيده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا رمزا قال والرمز الاشارة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الآية قال جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الا

عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل أي ذلك من شأنه ان وجد القابل أو نقول وصفوا بسيرة أسلافهم لانهم راضون بذلك عن أبي عبيدة بن الجراح قلت يارسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا وقتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فبشرهم بعذاب أليم انما دخلت الفاء لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلاثة أقسام الاول اجتماع أسباب الآلام والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال أسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله أولئك

يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين و بمثل الذي قلنا في معنى قوله وطهرك انه وطهر دينك من الدنس والريب قال مجاهد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الله اصطفاك وطهرك قال جعلك طيبة اعمانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج واصطفاك على نساء العالمين قال ذلك للعالمين يومئذ وكانت الملائكة فيما ذكر ابن اسحق تقول ذلك لمريم شفاها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال كانت مريم حبيسا في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف وقد كانت أمه وأبوه جعلاه نذيرا حبيسا فكانا في الكنيسة جميعا وكانت مريم اذا نغد ماؤها وماء يوسف أخذ اقلتيهما فانطلقا الى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه فيملآن قلتيهما ثم يرجعان الى الكنيسة والملائكة في ذلك مقبلة على مريم يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين فاذا سمع ذلك زكريا قال ان لابنة عمران لشانا ۞ القول في تاويل قوله (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) يعني جل ثناؤه بقوله خبرا عن قيل ملائكته لمريم يامريم اقنتي لربك أخلصي الطاعة لربك وحده وقد دللنا على معنى القنوت بشواهده فيما مضى قبل والاختلاف بين أهل التاويل فيه في هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك وسنذكر قول بعضهم أيضا في هذا الموضع فقال بعضهم معنى اقنتي أطيلي الركود ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يامريم اقنتي لربك قال أطيلي الركود يعني القنوت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اقنتي لربك قال قال مجاهد أطيلي الركود في الصلاة يعني القنوت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يامريم اقنتي لربك قامت حتى ورم كعباها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يامريم اقنتي لربك قامت حتى ورمت قدماها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي ليلى عن مجاهد اقنتي لربك قال أطيلي الركود حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يامريم اقنتي لربك قال القنوت الركود يقول قومي لربك في الصلاة يقول اركدي لربك أي انصبي له في الصلاة واسجدي واركعي مع الراكعين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن ليث عن مجاهد يامريم اقنتي لربك قال كانت تصلي حتى تورم قدماها حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو قال ثنا الاوزاعي يامريم اقنتي لربك قال كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها وقال آخرون معناه اخلصي لربك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد يامريم اقنتي لربك قال اخلصي لربك

جعلت أعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فبدل المدح بالذم والثناء باللعن وأسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل والجزية وأما في الآخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله ومالهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد أهل الكتاب فقال ألم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي نزلت في اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بالرجم وأنكر اليهود عليه صلى الله عليه وسلم وسوف نجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم أولا ياهم والنصارى الى الآيات الدالة على صحة نبوته من التوراة أو منها ومن الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله أوتوا نصيبا أي حظا وافرا من علم الكتاب يريد أحبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل أي حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التوراة كما مر في أسباب النزول ولانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما توجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم أي الكتاب بينهم أي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف

وكونه مستقما للعبادة فكأنه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداع الى الحق اليه وانما الخلاف في أمور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الآية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن أبي مسلم ان الآية في هذا الموضع كقول ابراهيم عليه السلام اني وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض كأنه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابراهيم وأنتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم (١٦٤) بالتي هي أحسن وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم مشركو العرب الذين لا كتاب لهم أسلموا ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن محضت له المسئلة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في آية تحريم الخمر فهل أنتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء فان أسلموا فقد اهتدوا الى ما يهدي الله اليه أو الى الفوز والنجاة في الآخرة وان تولوا أعرضوا عن الاسلام لي والاتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من شاء ويترك على الضلالة من أراد ثم وصف المتولي بصفات ثلاث وأردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بآيات الله أي ببعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الآيات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه وشيء من المعاد أو بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض آيات الله يقول

بذلك الحسين بن علي الصدائي قال ثنا محاصر بن المورع قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا بالعراق يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني المنذر بن عبد الله الحزامي عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء الجنة مريم بنت عمران وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول حسبك من مريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد من نساء العالمين قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مركبا الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده قال قتادة وذكر لنا أنه كان يقول لو علمت ان مريم ركبت الابل ما فضلت عليها أحدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير نسائها مركبا الابل صلح نساء قريش أحناه على ولد وأرعاه على زوج في ذات يد قال أبو هريرة ولم تركب مريم بعيرا قط حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد حدثني المثنى قال ثنا أبو الاسود المصري قال ثنا ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان أن فاطمة بنت حسين بن علي حدثته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأنا عند عائشة فناجاني فبكيت ثم ناجاني فضحكت فسألتني عائشة عند ذلك فقلت لقد عجلت أخبرك بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتني فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عائشة فقالت نعم ناجاني فقال جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة وانه قد عارضني القرآن مرتين وانه ليس من نبي الا عمر نصف عمر الذي كان قبله وان عيسى أخي كان عمر عشرين ومائة سنة وهذه لي ستون وأحسبني ميتا في عامي هذا وانه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت ولا تكوني دون امرأة صبرا قالت فبكيت ثم قال أنت سيدة نساء أهل الجنة الا مريم البتول فتوفي عامه ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو الاسود قال ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن الحرث ان أبا زياد الحيري حدثه أنه سمع عمار بن سعد

والشيطان وإن الدنيا فبغلبات النفس والهوى ردا الى أسفل سافلى الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد مهادا مهدوه فى معاشه قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ان لله تعالى فئتين فى الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس وأعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم أخبر عن جنود الفئتين وأعوان الفرقتين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلاث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم أصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم أرباب الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا وأهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك ثم أشار الى أحوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما الحاولى لهم الدنيا يا دنيا مرى على أوليائك ولا وقفوا عند جنة المأوى مازاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين أحسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته الاحدى وكونه الصمدى أنه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها أحد فكما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا أين ولا عقل ولا جهل ولا غير ولا شر ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا أولوا العلم

يعنى به الكتاب الثابت فى الخبر وقد يقال فى الكتاب خاصة اذا كتبه الكاتب وحى بغير الف ومنه قول رؤبة

كأنه بعد رياح تدهمه * ومن ثعنان الدحون تثمه ٧ * خليل توراة وحى مثمنمه

القول فى تاويل قوله (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) يعنى جل ثناؤه بقوله وما كنت لديهم وما كنت يا محمد عندهم فتعلم ما نعلمكه من أخبارهم التى لم تشهدها ولكنك انما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفناك ومعنى قوله لديهم عندهم ومعنى قوله اذ يلقون حين يلقون أقلامهم وأما أقلامهم فسهامهم التى استهم بها المستهمون من بنى اسرائيل على كفالة مريم على ما قد بينا قبل فى قوله وكفلها زكريا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله وما كنت لديهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يلقون أقلامهم زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلت عليهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون كانت مريم ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا وكان زوج أختها فكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يلقون أقلامهم قال تساهموا على مريم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وان مريم لما وضعت فى المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحى فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم اقترعوا بأقلامهم أيهم يكفل مريم فقرعهم زكريا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم قال حيث اقترعوا على مريم وكان غيبا عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبره الله وانما قيل أيهم يكفل مريم لان القاء المستهمين أقلامهم على مريم انما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحق ففى قوله عز وجل اذ يلقون أقلامهم دلالة على محذوف من الكلام وهو لينظروا أيهم يكفل وليتبينوا ذلك ويعلموه فان ظن ظان أن الواجب فى أيهم النصب اذ كان ذلك معناه فقد ظن خطأ وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أى يقتضى استغفاما واستخبارا وحظ أى فى الاستخبار الابتداء وبطول عمل المسئلة والاستخبار عنه وذلك أن معنى قول القائل لانظرن أيهم قام لاستخبرن الناس أيهم قام وكذلك قولهم لاعلمن وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى يكفل يضم بما أغنى عن اعادته فى هذا

الثانى للعلم به أو يراد الحكم فى الاختلاف الواقع بينهم كما فى قصة الزانيين ولهذا راجعوا فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يكون عنده رخصة فى ترك الرجم قال فى الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار أو الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتى الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض دينهم وهجراهم والضمير فى هم اما ان يرجع الى الفريق أى هم جامعون بين التولى والاعراض لا عن استماع الحجة فى ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء والرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومتقدميهم واما ان يرجع

الى كل أهل الكتاب أى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولى والاعراض أو ذلك العقاب أو الوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون فى أمر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات هى أيام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه أحدها استقصارهم مدة العذاب ومن أين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه أو من قولهم لن تمسنا النار الا أياما أو من قولهم نحن أولى بالنبوة من قريش أو من زعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون أو فكيف حالهم وفى هذا الحذف فخامة لما هم فيه من

يعنى تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا ليوم الخميس معناه جمعوا الفعل أو جد فى يوم الخميس أما اذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وأيضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب أو عقاب أو جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسى روى ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار التأويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس

وقال آخرون معناه أطيعى لربك ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله اقنتى لربك قال أطيعى لربك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى اقنتى لربك أطيعى لربك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن فهو طاعة لله حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد بن منصور عن الحسن فى قوله يا مريم اقنتى لربك قال يقول اعبدى ربك قال أبو جعفر وقد بينا أيضا معنى الركوع والسجود بالادلة الدالة على صحته وانهما بمعنى الخشوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية فتاويل الآية اذا يا مريم اخلصى عبادة ربك لوجهه خالصا واخشعى لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الادناس والتفضيل على نساء عالم دهرك ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعنى جل ثناؤه بقوله ذلك الاخبار التى أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا وابنه يحيى وسائر ما قص فى الآيات من قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا ثم جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك فقال هذه الانباء من أنباء الغيب من أخبار الغيب و يعنى بالغيب انها من خفى أخبار القوم التى لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ولا يعلمها الا قليل من أحبار أهل الكتابين و رهبانهم ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه أوحى ذلك اليه حجة على نبوته وتحقيقا لصدقه وقطعا منه عذر منكرى رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدا لم يصل الى علم هذه الانباء مع خفائها ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها الا باعلام الله ذلك اياه اذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمى لا يكتب فيقرأ الكتب فيصل الى علم ذلك من قبل الكتب ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم وأما الغيب مصدر من قول القائل غاب فلان عن كذا فهو يغيب عنه غيبا وغيبة وأما قوله نوحيه اليك فان تاويله ننزله اليك وأصل الايحاء القاء الموحى الى الموحى اليه وذلك قد يكون بكتاب واشارة وايماء وبالهام وبرسالة كما قال جل ثناؤه وأوحى ربك الى النحل بمعنى ألقى ذلك اليها فالهمها وكما قال واذ أوحيت الى الحواريين بما ألقيت اليهم علم ذلك الهاما وكما قال الراجز * أوحى لها القرار فاستقرت * بمعنى ألقى اليها ذلك أمرا وكما قال جل ثناؤه فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا بمعنى فألقى ذلك اليهم أيضا والاصل فيه ما وصفت من القاء ذلك اليهم وقد يكون لقاؤه ذلك اليهم ايماء ويكون بكتاب ومن ذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يلقون اليهم ذلك وسوسة وقوله وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ألقى الى بمجىء جبريل عليه السلام به الى من عند الله عز وجل وأما الوحى فهو الواقع من الموحى الى الموحى اليه ولذلك سمت العرب الخط والكتاب وحيا لانه واقع فيما كتب ثابت فيه كما قال كعب بن زهير

أتى العجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحى فى الحجر الاصم

السموات وما في الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) القرا آت الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد على فعل حيث كان أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها أبو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة * الوقوف ممن تشاء ط لتناهي الجملتين المتضايفين معنى الى جملتين (١٦٩) مثلهما وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه في

اسمها تأنيثا ولو لا ذلك لم تدخل الهاء في التصغير وقال بعض نحوي الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوي البصرة في أن الهاء من ذكر الكلمة وخالفه في المعنى الذي من أجله ذكر قوله اسمه والكلمة متقدمة قبله فزعم أنه انما قيل اسمه وقد تقدمت الكلمة ولم يقل اسمها لان من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والاسماء التي لم توضع لتعريف المسمى به كفلان وفلان وذلك مثل الذريعة والخليقة والدابة ولذلك جاز عنده أن يقال ذرية طيبة وذرية طيبا ولم يجز أن يقال طلحة أقبلت ومغيرة قامت وأنكر بعضهم اعتلال من اعتل في ذلك بذي التأنيث وقالوا انما أدخلت الهاء في ذي التأنيث لانه أريد بذلك القطعة من الشئ كما نيل كنانة في لحمة ونبيذة يراد به القطعة منه وهذا القول نحو قولنا الذي قلناه في ذلك وأما قوله اسمه المسيح عيسى بن مريم فانه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى وانه ابن أمه مريم ونفى بذلك عنه ما أضاف اليه الملحدون في الله جل ثناؤه من النصارى من اضافتهم بنوته الى الله عز وجل وما نزغت أمه به المفتريه عليها من اليهود كما حدثني به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين أي هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه وأما المسيح فانه فعيل صرف من مفعول الى فعيل وانما هو ممسوح يعني مسحه الله فطهره من الذنوب ولذلك قال ابراهيم المسيح الصديق وقال آخرون مسيح بالبركة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال قال سعيد انما سمي المسيح لانه مسح بالبركة

القول في تأويل قوله (وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) يعني بقوله وجيها ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة ومنه يقال للرجل الذي يشرف وتعظمه الملوك والناس وجيه يقال منه ما كان فلان وجيها فلقد وجه وجاهة وان له لوجها عند السلطان وجاها ووجاهة والجاه مقلوب قلبت واوه من أوله الى موضع العين منه فقيل جاه وانما هو وجه وفعل من الجاه جاه يجوه مسموع من العرب أحاف أن يجوهني باكثر من هذا يعني أن يستقبلني في وجهي باعظم منه وأما نصب الوجيه فعلى القطع من عيسى لان عيسى معرفة والوجيه نكرة وهو من نعته ولو كان مخفوضا على الرد على الكلمة كان جائزا وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها في الدنيا والآخرة عند الله قال فيما بلغنا محمد بن جعفر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وجيها قال وجيها في الدنيا والآخرة عند الله وأما قوله ومن المقربين فانه يعني انه ممن يقربه الله يوم القيامة فيسكنه في جواره ويدنيه منه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله القول

الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي ز لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط وما في الارض ط قدير ه محضرا ج والاجود أن يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم لا لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين أي سمع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت أو اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر * التفسير أنه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن الياء وانما أخرت تبركا باسم الله تعالى

وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وعند الكوفيين أصله يا الله امنا بخير أي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من أم وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم أن يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز أن يتكلم به على أصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء وأجيب بانه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون آكد وبان الاصل كثيرا ما يصير مترو كا مثل ما أكرمه فانه لا يقال شيئا ما أكرمه في التعجب ومالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما

ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذى كان عما كان كما كان وهو أنه لا اله الا هو ثم أبدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من أجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن يتبوع ماء التوحيد هو القدم فجرى فى مجارى أنهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة وأولى العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان أولوا العلم ولكن اختص أولوا العلم منهم بمشربية وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى فحقيقة معنى الآية شهد الله أنه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة وأولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائد الى أولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا أعزة من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا اختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق لتعاريهم فى الصف أو لتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف أو لتدابرهم فى المنزل الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد للقبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكان كمال الانسان فى قبول فيض اللطف ان يغدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خبير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فافهم هذا

الموضع ۞ القول فى تاويل قوله (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وما كنت يا محمد عند قوم مريم اذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى وذلك من الله عز وجل وان كان خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم فتوبيخ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين يقول كيف يشك أهل الكفر بك منهم وأنت تنبئهم هذه الانباء ولم تشهدها ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الامور ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ولا جالس أهلها فسمع خبرهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما كنت لديهم اذ يختصمون أى ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه ۞ القول فى تاويل قوله (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) يعنى بقوله جل ثناؤه اذ قالت الملائكة وما كنت لديهم اذ يختصمون وما كنت لديهم أيضا اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك والتبشير اخبار المرء بما يسره من خير وقوله بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده وهو من قول القائل ألقى فلان الى كلمة سرنى بها بمعنى أخبرنى خبرا فرحت به كما قال جل ثناؤه وكلمته ألقاها الى مريم يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها اليها فتاويل الكلام وما كنت يا محمد عند القوم اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده هى ولدك اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقد قال قوم وهو قول قتادة ان الكلمة التى قال الله عز وجل بكلمة منه هو قوله كن حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله بكلمة منه قال قوله كن فسماه الله عز وجل كلمته لانه كان عن كلمته كما يقال لما قدر الله من شئ هذ قدر الله وقضاه يعنى به هذا عن قدر الله وقضائه حدث وكما قال جل ثناؤه وكان أمر الله مفعولا يعنى به ما أمر الله به وهو المأمور الذى كان عن أمر الله عز وجل وقال آخرون بل هى اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الاسماء وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال الكلمة هى عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قال عيسى هو الكلمة من الله وأقرب الوجوه الى الصواب عندى القول الاول وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التى أمرها أن تلقيها اليها ان الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل ولذلك قال عز وجل اسمه المسيح فذكر ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لان الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان وانما هى بمعنى البشارة فذكرت كناية ذكر كناية الذرية والدابة والالقاب على ما قد بيناه قبل فيما مضى فتاويل ذلك كما قلنا آنفا من أن معنى ذلك ان الله يبشرك بشرى ثم بين عن البشرى انها ولد اسمه المسيح وقد زعم بعض نحوى البصرة أنه انما ذكر فقال اسمه المسيح وقد قال بكلمة منه والكلمة عنده هى عيسى لانه فى المعنى كذلك كما قال جل ثناؤه أن تقول نفس يا حسرتا ثم قال بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها وكما يقال ذو الشدية لان يده كانت قصيرة قريبة من ثديه فجعلها كان اسمها

يحبط أعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس ألم الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من أوتى حظا من العلم فعليه اذا دعى الى حكم من أحكام الله أو الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان مغرورا بالدنيا مفتريا فى الدعوى وهذه حال أكثر من أوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم أهل العزة بالله فكيف حال المغرور بن اذا جمعهم الله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى

تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون أن اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى أنه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى أنه ينتزعها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب أو بمعنى أنه لا يعطيها النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله أولتعودن في ملتنا مع أن الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو أن يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم أن كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد رأينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما زادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا أن الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل أحد يدعي حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا أن يكون من مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجى حرم الغنى
ضدان مفترقان أي تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وهكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه من العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وبهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح أن الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك الافعال والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والآخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله

وهو يومئذ كهل ونصب كهلا عطفا على موضع ويكلم الناس وأما قوله ومن الصالحين فانه يعني من عدادهم وأوليائهم لان أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل ۞ القول في تأويل قوله (قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعني بذلك جل ثناؤه قالت مريم اذ قالت لها الملائكة ان الله يبشرك بكلمة منه رب أنى يكون لي ولد من أي وجه يكون لي ولد آمن قبل زوج أم من وجه بعل أنكحه أو تبتدئ في خلقه من غير بعل ولا فحل ومن غير أن يمسني بشر فقال الله لها كذلك الله يخلق ما يشاء يعني هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد فيعطي الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل فيحرم ذلك من يشاء من النساء وان كانت ذات بعل لانه لا يتعذر عليه خلق شئ أراد خلقه انما هو أن يأمر اذا أراد شيأ ما أراد فيقول له كن فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر أي اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف يشاء فيكون ما أراد ۞ القول في تأويل قوله (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء الكوفيين ويعلمه بالياء ردا على قوله كذلك الله يخلق ما يشاء ويعلمه الكتاب فالحقوا الخبر في قوله ويعلمه بنظير الخبر في قوله يخلق ما يشاء وقوله فانما يقول له كن فيكون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين ونعلمه بالنون عطفا به على قوله نوحيه اليك كأنه قال ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ونعلمه الكتاب وقالوا انما بعد نوحيه في صلته الى قوله كن فيكون ثم عطف بقوله ونعلمه عليه والصواب من القول في ذلك عندنا انهما قراءتان مختلفتان غير مختلفي المعاني فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب في ذلك لاتفاق معنى القراءتين في أنه خبر عن الله بانه يعلم عيسى الكتاب وما ذكر أنه يعلمه وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة فقال كذلك الله يخلق منك ولدا من غير فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب وهو الخط الذي يخطه بيده والحكمة وهي السنة التي نوحيها اليه في غير كتاب والتوراة وهي التوراة التي أنزلت على موسى كانت فيهم من عهد موسى والانجيل انجيل عيسى ولم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه اليه وانما أخبرها بذلك فسماه لها لانها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب ان الله باعث نبيا يوحي اليه كتابا اسمه الانجيل فاخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي سمعت بصفته لذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي سمي انجيلا هو الولد الذي وهبه لها وبشرها به وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج ويعلمه الكتاب قال بيده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونعلمه الكتاب والحكمة

لا يوصف أخواتها من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه و يا ثومان و يا ملكعان وقل وأجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وأنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره صلى الله عليه وسلم فاخذ المعول من سلمان فضرب بها صلى الله عليه وسلم ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها كالمصباح في جوف بيت (١٧٠) مظلم وكبر صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب صلى الله عليه وسلم الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبرائيل ان أمتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى أمر نبيه أن يسأله أن يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وأمره بذلك دليل على أنه يستجيب له صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا أمروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك أي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه أن قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وأنه هو الذي يقدر كل قادر على وهو مقدوره و يملك كل مالك على مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء أي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها أعظم مراتب الملك لان العلماء لهم أمر على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق والانبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل أحد أن يقبل شريعتهم ولهم أن يقتلوا من أرادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة أن يكون النبي بشرا أبعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة في أسلافنا فنحن أحق بها وقدر و ينافي

في تأويل قوله (و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) أما قوله و يكلم الناس في المهد فان معناه ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها عند الله ومكلما الناس في المهد فيكلم وان كان مرفوعا لانه في صورة يفعل بالسلامة من العوامل فيه فانه في موضع نصب وهو نظير قول الشاعر

بت أغشيها بعضب باتر * تقصد في أسوقها وجائر

وأما المهد فانه يعني به مضجع الصبي في رضاعه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس و يكلم الناس في المهد قال مضجع الصبي في رضاعه وأما قوله وكهلا فانه ومحتنكا فوق الغلومة ودون الشيخوخة يقال منه رجل كهل وامرأة كهلة كما قال الراجز

ولا أعود بعدها كريا * أمارس الكهلة والصبيا

وانما عنى جل ثناؤه بقوله و يكلم الناس في المهد وكهلا و يكلم الناس طفلا في المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها وحجة له على نبوته و بالغا كبيرا بعد احتنا كه بوحي الله الذي يوحيه اليه وأمره ونهيه وما تقول عليه من كتابه وانما أخبر الله عز وجل عباده بذلك من أمر المسيح وأنه كذلك كان وان كان الغالب من أمر الناس انهم يتكاملون كهولا وشيوخا احتجاجا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل وانه كان في معاناة أشياء مولودا طفلا ثم كهلا يتقلب في الاحداث و يتغير بمرور الازمنة عليه والايام من صغر الى كبر ومن حال الى حال وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه كان ذلك غير جائز عليه فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واحتج به عليهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعلمهم انه كان كسائر بني آدم الا ما خصه الله به من الكرامة التي أبانه بها منهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم بحالاته التي يتقلب بها في عمره كتقلب بني آدم في أعمارهم صغارا وكبارا الا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد مواقع قدرته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين يقول يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع و يكلم الناس في المهد وكهلا قال يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكهلا ومن الصالحين قال الكهل الحليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كلمهم صغيرا وكبيرا وكهلا وقال ابن جريج وقال مجاهد الكهل الحليم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو يزيد الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله و يكلم الناس في المهد وكهلا قال يكلمهم في المهد صبيا وكلمهم كبيرا * وقال آخرون معنى قوله وكهلا انه سيكلمهم اذا ظهر ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني ابن زيد يقول في قوله و يكلم الناس في المهد وكهلا قال قد كلمهم عيسى في المهد وسيكلمهم اذا قتل الدجال

يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات أخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن موالي الكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل أن يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا أيها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك ولهذا قال (١٧٣) مقاتل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد أن دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا أنه منهي عنه حذرا من أن يجره الى استحسان طريقته وارتضاء دينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله أي من ولايته أو من دينه في شئ يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ عن ولاية الله رأسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا أمر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال

تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس القول عنك بعازب

قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فانه يحب لهما فان أراد أحد أن يعم الحكم

قائل وكيف قيل فانفخ فيه وقد قيل أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قيل لان معنى الكلام فانفخ في الطير ولو كان ذلك فانفخ فيها كان صحيحا جائزا كما قال في المائدة فانفخ فيها يريد فانفخ في الهيئة وقد ذكر أن ذلك في احدى القراءتين فانفخها بغير في وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول رب ليلة قد بتها وبت فيها قال الشاعر

ماشق جيب ولا قامتك نائحة * ولا بكتك جياد عند أسلاب

يعني ولا قامت عليك وكما قال جرير

احدى بني عبد الله استمر بها * حلو العصارة حتى ينفخ الصور

القول في تأويل قوله (وأبرئ الاكمه والابرص) يعني بقوله وأبرئ وأشفي يقال منه أبرأ الله المريض اذا شفاه منه فهو يبرئه ابراء وبرأ المريض فهو يبرأ برأ وقد يقال أيضا برئ المريض فهو يبرأ لغتان معروفتان واختلف أهل التأويل في معنى الاكمه فقال بعضهم هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأبرئ الاكمه قال الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون هو الاعمى الذي ولدته أمه كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الاكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله وأبرئ الاكمه والابرص قال كنا نحدث أن الاكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الاكمه الذي ولد وهو أعمى وقال آخرون بل هو الاعمى ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وأبرئ الاكمه هو الاعمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الاعمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمى حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمى وقال آخرون هو الاعمش ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمش والمعروف عند العرب من معنى الكمه العمى يقال منه كمهت عينه فهي تكمه كمها وكمهتها انا اذا أعميتها كما قال سويد بن أبي كاهل * كمهت عينيه حتى ابيضتا * فهو يلجئ نفسه لمارع ومنه قول رؤبة

هر جت فارتد ارتداد الاكمه * في عائلات الخائر المنتهه

وانما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبني اسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات عليهم في نبوته وذلك ان الكمه والبرص لا علاج لهما فيقدر على ابرائه ذو طب بعلاج فكان ذلك

لا بد له ان يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة الان تتقوا منهم تقاة قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وفاؤها واو كثرات فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز أن يجعل تقاة ههنا مثل دعاة ورماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير اضر وبه فالمعنى أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه ورخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفتهم ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا أي لكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله والتقية عند العلماء أحكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضمر

تعالى وتقدره بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شئ وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة أي بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك أولان جميع أفعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير أولان القادر على ايصال الخير أقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع أن ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شئ قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير توليج الليل في النهار وتوليج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك المقدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما (١٧٢) قوام العالم ونظامه أو يأتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول أقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد أدخل فيه ويخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر أو من كان ميتا فاحييناه أي كافرا فهديناه أو الطيب من الخبيث أو الحيوان من النطفة أو الطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم أو يخرج السنبلة من الحبة تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله أردفه بشريطة الشفقة على خلق الله أو نقول لما ذكر أنه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين أنه ينبغي أن يكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الدال للساكنين قال الزجاج ولو رفع قائل على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن أبي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار يفتنونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فانهم أولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس أيضا في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن

قال الحكمة السنة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قال الحكمة السنة والتوراة والانجيل قال كان عيسى يقرأ التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ونعلمه الكتاب والحكمة قال الحكمة السنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال أخبر يعني أخبر الله مريم ما يريد به فقال ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التي كانت فيهم من عند موسى والانجيل كتابا آخر أحدثه اليه لم يكن عندهم علمه الا ذكره أنه كائن من الانبياء قبله ۞ القول في تاويل قوله (ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) يعني بقوله جل ثناؤه ورسولا ونجعله الى بني اسرائيل فترك ذكر ونجعله لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

وقوله أني قد جئتكم بآية من ربكم يعني ونجعله رسولا الى بني اسرائيل بانه نبي وبشير ونذير وحجتي على صدقي على ذلك أني قد جئتكم بآية من ربكم يعني بعلامة من ربكم تحقق قولي وتصدق خبري أني رسول من ربكم اليكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أي يحقق بها نبوتي وأني رسول منه اليكم ۞ القول في تاويل قوله (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) يعني بذلك جل ثناؤه ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ثم بين عن الآية ما هي فقال أني أخلق لكم فتأويل الكلام ورسولا الى بني اسرائيل بانى قد جئتكم بآية من ربكم بان أخلق لكم من الطين كهيئة الطير والطير جمع طائر واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل الحجاز كهيئة الطائر فانفخ فيه فيكون طائرا على التوحيد وقرأه آخرون كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا على الجماع كلهما وأعجب القراءتين الى في ذلك قراءة من قرأ كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا على الجماع فيهما جميعا الان ذلك كان من صنعة عيسى أنه يفعل ذلك باذن الله وأنه موافق خلط المصحف واتباع خط المصحف مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به أعجب الي من خلاف المصحف وكان خلق عيسى ما كان يخلق من الطير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فاخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا وتستطيع ذلك قال نعم باذن ربي ثم هيأه حتى اذا جعله في هيئة الطائر فنفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فافشوه في الناس وتزعزع فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم أي الطير أشد خلقا فقيل له الخفاش كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال أي الطير أشد خلقا قالوا الخفاش انما هو لحم قال فنفخ فان قال

والضمير في بينه لليوم أي يود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا أيضا وأن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا كانت أو زمانا والمقصود تمني بعده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو أن يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف حاضرا أو يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل غرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل أن يكون تود صفة لسوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل أن يكون حالا واحتمل أن يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل أن يكون ما شرطية وتود جزاءه وهو قليل كقوله وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحتملهما على السواء الا أن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك (١٧٥) اليوم ويحذركم الله نفسه تأكيد للوعيد والله رؤف بالعباد قال الحسن ومن رأفته أن حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته وأنه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استجلاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز أن يراد أنه رؤف بهم حيث أمهلهم للتوبة والتلافي أو هو وعد كما أن التحذير وعيد أو المراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ومحذرهم نفسه فهو رؤف بالعباد المطيعين والمحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان به ورسوله من طريق آخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحبه بنا فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا أنهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل أن كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد أن يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فليس في متابعته الا أنه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره

مما يعلمه الغلمان الا بدوه الى علمه قبل أن يعلمه اياه فيقول ألا تعجبون لابن هذه الارملة ما أذهب أعلمه شيء الا وجدته أعلم به مني **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة فكان يلعب مع الغلمان غلمان القرية التي كان فيها فيحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن سعيد بن جبير في قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال كان عيسى بن مريم اذا كان في الكتاب يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم قال سمعت سعيد بن جبير يقول وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال ان عيسى بن مريم كان يقول للغلام في الكتاب يا فلان ان أهلك قد خبؤا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه فهكذا فعل الانبياء وحجها انما تأتي بما أتت به من الحجج بما قد يوصل اليه ببعض الحيل على غير الوجه الذي يأتي به غيرها بل من الوجه الذي يعلم الخلق انه لا يوصل اليه من ذلك الوجه بحيلة الا من قبل الله وبنحو ما قلنا في تأويل قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال بما أكلتم البارحة وما خبأتم منه عيسى بن مريم يقوله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح يعني قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم غيبا علمه الله اياه **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال ما يأكلون مما أكلتم البارحة من طعام وما خبأتم منه **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان يعني عيسى بن مريم يحدث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعون لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فذلك قول الله عز وجل وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليس هم ههنا فقال ما في هذا البيت فقالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير فذلك قوله على لسان داود وعيسى بن مريم **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله وما تدخرون في بيوتكم قال ما تخفون مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شيء وقال آخرون انما عنى بقوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم وما تدخرون منها ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم

خلافه ويعرض في كل ما يقول ما أمكن فان التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب ومنها أنها رخصة فالوتر تركها كان أفضل لما روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أتشهد أني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال أتشهد أن محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال أتشهد أني رسول الله فقال اني أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الآية الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار (١٧٤) الموالاة والمعاداة وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما

الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها أن الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها أنها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في أول الاسلام فقل الضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن أنه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا أرجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل أي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة أعدائه لان

من أدلته على صدق قوله انه رسول لانه من المعجزات مع سائر الآيات التي أعطاه الله اياها دلالة على نبوته فاما ما قال عكرمة ان الكمه العمش وما قاله مجاهد من انه سوء البصر بالليل فلا معنى لهما لان الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل على معارضته فيها ولو كان مما احتج به عيسى على بني اسرائيل في نبوته أنه يبرئ الاعمش والذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بان يقولوا وما في هذا من الحجة وفينا خلق ممن تعالج ذلك وليس لله أنبياء ولا رسلا ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من ان الكمه هو العمى الذي لا يبصر شيأ لا ليلا ولا نهارا وهو بما قال قتادة من أنه المولود كذلك أشبه لان علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر الا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى وكذلك علاج الابرص ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وكان احياء عيسى الموتى بدعاء الله يدعوله فيستجيب له كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة أوحى الله الى أمه وهو بارض مصر وكانت هربت من قومها حين ولدته الى أرض مصر ان اطلعي به الى الشام ففعلت الذي أمرت به فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاثين سنة ثم رفعه الله اليه قال وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجمعة الواحدة خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي اليه وانما كان يداويهم بالدعاء الى الله وأما قوله وأنبئكم بما تأكلون فانه يعني وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه وما تدخرون يعني بذلك وما ترفعونه فتخبؤنه ولا تأكلونه يعلمهم ان من حجته أيضا على نبوته مع المعجزات التي أعلمهم أنه يأتي بها حجة على نبوته وصدقه في خبره ان الله أرسله اليهم من خلق الطير من الطين وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله التي لا يطيقها أحد من البشر الا من أعطاه الله ذلك علما له على صدقه وآية له على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله ومن أحب من خلقه انباءه عن الغيب الذي لا سبيل لاحد من البشر عليه فان قال قائل وما كان في قوله لهم وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم من الحجة له على صدقه وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب قيل ان المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك انهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الاسباب المؤدية الى علمه ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورسله وانما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باختبار ولكن ابتدأ باعلام الله اياه من غير أصل يقدم ذلك احتذاءه أو بنى عليه أو فزع اليه كما يفزع المتنجم الى حسابه والمتكهن الى رئيه فذلك هو الفصل بين علم الانبياء بالغيوب واخبارهم عنها وبين علم سائر الكذبة على الله والمدعية على ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرا أو نحو ذلك أدخلته أمه الكتاب فيما يزعمون فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يذهب يعلمه شيأ

شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذرمنه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره مما وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء أي ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم أي قلوبكم وضمائركم لان القلب في الصدر مجازا اقامة الظرف مقام المظروف أو تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استأنف بيانا أشفى فقال ويعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال انما للتحذير والله على كل شئ قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شئ قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعالى تعظيما للشأنه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر أي اذكروا والاظهر أن العامل فيه يود

أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب صلى الله عليه وسلم ريح يوسف من مسيرة أيام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني أنه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب أن يحمل هذا على معنى آخر وهو أنه تعالى لا يبعد أن يجعل المنافي ملائما للاعجاز أو الخاصية أو دعها في المنافي حتى يصير ملائما وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب واذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي وأما القوة المحركة فكعروج النبي صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى عليه السلام الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار وأما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس أو كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم تجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس وأكمل ولهذا بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك أفضل من البشر أو من سكان السموات أيضا عند من يرى البشر أفضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على أن أول الاشياء اصطفى آدم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم وهم شيث وأولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم انشعب من ابراهيم صلى الله عليه وسلم شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه صلى الله عليه وسلم وبقي الدين والملك في أمته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة فالمراد بآل ابراهيم أولاده عليهم الصلاة والسلام وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما وأما آل عمران فقيل أولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك ان عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى عليه السلام بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله اياه لا لكونه ثمرة للاله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين ذرية بدل من سوى آدم بعضها من بعض قيل

عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول ان عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليه وسلم وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس فقال لبني اسرائيل اني لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم من الآصار **حدثني** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم كان الذي جاءه به عيسى ألين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب وأشياء من الطير والحيتان **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى قال وكان حرم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة لحوم الابل والثروب فاحلها لهم على لسان عيسى وحرمت عليهم الشحوم وأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفي أشياء من السمك وفي أشياء من الطير مما لا صيصة له وفي أشياء حرمها عليهم وشددها عليهم فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الانجيل فكان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى صلوات الله عليه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال لحوم الابل والشحوم لما بعث عيسى أحلها لهم وبعث الى اليهود فاختلفوا وتفرقوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومصدقا لما بين يدي من التوراة أي لما سبقني منها ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي أخبركم أنه كان حراما عليكم فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال كان حرم عليهم أشياء فجاء عيسى ليحل لهم الذي حرم عليهم يبتغي بذلك شكرهم ۞ القول في تأويل قوله (وجئتكم بآية من ربكم) يعني بذلك وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم قال ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها وما أعطاه ربه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها ويعني بقوله من ربكم من عند ربكم ۞ القول في تأويل قوله (فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) يعني بذلك وجئتكم بآية من ربكم تعلمون بها يقينا صدقي فيما أقول فاتقوا الله يا معشر بني اسرائيل فيما أمركم ونهاكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى فاوفوا بعهده الذي عاهدتموه فيه وأطيعون فيما دعوتكم اليه من تصديقي فيما أرسلني به اليكم ربي وربكم فاعبدوه فانه بذلك أرسلني اليكم وباحلال بعض ما كان محرما عليكم في كتابكم وذلك هو الطريق

لمن أحب الله كان زائفا فيه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقدم فى تفسير قوله والذين آمنوا أشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور فى الدنيا يستر على عبده أنواع المعاصى رحيم فى الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى أنه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى قال عبد الله بن أبى ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى فنزلت قل أطيعوا الله والرسول وذلك أن الآية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق ألقى شبهة فى البين أمره الله تعالى أن يقول انما أوجبت عليكم متابعتى (١٧٦) لانى ما يقوله النصارى فى عيسى بل لكونى رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه فان

تولوا أعرضوا أو تعرضوا على أن يكون التاء الاولى محذوفة ويدخل فى جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحصل للكافرين محبة الله لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين أن محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الآية أى جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشئ الذى يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحلمى فى كتاب المنهاج أن الانبياء عليهم السلام مخالفون لغيرهم فى القوى الجسمانية والقوى الروحانية أما القوى الجسمانية فهى اما مدركة أو محركة أما المدركة فهى الحواس الظاهرة أو الباطنة أما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله أقيموا صفوفكم وتراصوا فانى أراكم من وراء ظهرى وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكروا فى تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد فانه روى أن زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط فسمعت طيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة أن فيثاغورس رأض نفسه حتى سمع حفيف الملك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى

فكان القوم لما سألوا المائدة فكانت جزاء نزل عليه أينما كانوا ثمرا من ثمار الجنة فامر القوم أن لا يخونوا فيه ولا يخبؤا ولا يدخروا لغد بلاء ابتلاهم الله به فكانوا اذا فعلوا من ذلك شيأ أنباهم به عيسى بن مريم فقال وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون قال أنبئكم بما تاكلون من المائدة وما تدخرون منها قال فكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فادخروا وخانوا فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا فذلك قوله فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال معمر عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر ذلك وأصل يدخرون من الفعل يفتعلون من قول القائل دخرت الشئ بالدال فانا ادخره ثم قيل يدخر كما قيل يذكر من ذكرت الشئ يراد به يذتخر فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج ثقل اظهارهما على اللسان فادغمت احداهما فى الاخرى وصيرتا دالا مشددة صيروها عدلا بين الذال والتاء ومن العرب من يغلب الدال على التاء فيدغم التاء فى الدال فتقول ومادخرون وهو مدخرلك وهو مدكر واللغة التى بها القراءة الاولى وذلك ادغام الذال فى التاء وابدالهما دالا مشددة لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراء بها وهى اللغة الجودى كما قال زهير

ان الكريم الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

يروى بالظاء يريد فيفتعل من الظلم ويروى بالطاء أيضا ۞ القول فى تاويل قوله (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان فى خلقى من الطين الطير باذن الله وفى ابرائى الاكمه والابرص واحيائى الموتى وانبائى اياكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ابتداء من غير حساب وتنجيم ولا كهانة وعرافة لعبرة لكم ومتفكرا تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به انى محق فى قولى لكم انى رسول من ربكم اليكم وتعلمون به أنى فيما أدعوكم اليه من أمر الله ونهيه صادق ان كنتم مؤمنين يعنى ان كنتم مصدقين بحجج الله وآياته مقرين بتوحيده ونبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها ۞ القول فى تاويل قوله (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه وبانى قد جئتكم بآية من ربكم وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ولذلك نصب مصدقا على الحال من جئتكم والذى يدل على أنه نصب على قوله وجئتكم دون العطف على قوله وجيها قوله لما بين يدى من التوراة ولو كان عطفا على قوله وجيها لكان الكلام ومصدق لما بين يديه من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وانما قيل ومصدقا لما بين يدى من التوراة لان عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها وأنها من عند الله وكذلك الانبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله وان اختلف بعض شرائع أحكامهم لمخالفة الله بينهم فى ذلك مع ان عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة لم يخالف شيأ من أحكامها الا ما خفف الله عن أهلها فى الانجيل مما كان مشددا عليهم فيها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الكريم قال ثنى

عبد

المؤمنين وهي متابعة أعماله صلى الله عليه وسلم والثانية درجات الخواص وهي متابعة أخلاقه والثالثة درجة أخص الخواص وهي متابعة أحواله وأما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لمتابعي الاعمال الذين يطمعون أجرا على ما يعملون وفيه قال أبو الطيب وما أنا بالباغي على الحب رشوة * ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا ولانه أهل لذلك كما قالت رابعة

* أحبك حبين حب الهوى * وحب لانك أهل لذا كا * ويضطر هذا الحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد بقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر سأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبدا عظام واجلال والثالثة محبة أخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا لمخفيا فاحببت (١٧٩) ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف

وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية

غذينا بالمحبة يوم قالت
له الدنيا أتينا طائعينا

وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار تفنى الحطب بسطوتها وتبقى النار منه بلا هو وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقى ولا تذر وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وأفعاله قرأ القارئ بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير رحمه الله قوله يحبهم ويحبونه فقال يحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه بحقيقة الا انه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا لمخفيا فاحببت ان أعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخاص من أهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من أهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات أحياء غير أموات ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب

ثنى حجاج عن ابن جريج من أنصاري الى الله يقول مع الله وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين فان بين أهل العلم فيه اختلافا فقال بعضهم كان سبب ذلك ما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما بعث الله عيسى فامره بالدعوة نفثه بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيحون في الارض فنزل في قرية على رجل فضافهم وأحسن اليهم وكان لذلك المدينة ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل يوما وقد وقع عليهم وحزن فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم لها ما شأن زوجك أراه حزينا قالت لا تسالي قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت فان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه هو وجنوده ويسقيهم من الخمر فان لم يفعل عاقبه وانه قد بلغت نوبته اليوم الذي يريد أن يصنع له فيه وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم فاني آمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك قالت مريم لعيسى في ذلك قال عيسى يا أمه اني ان فعلت كان في ذلك شر قالت فلا تبال فانه قد أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني قال فلما ملأهن أعلمه فدعا الله فتحول ما في القدور لحما ومرقا وخبزا وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط واياه طعاما فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر سأل من أين هذه الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمري أوتي بها من تلك الارض فليس هي مثل هذه قال هي من أرض أخرى فلما خلط على الملك استد عليه قال فانا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وأنه دعا الله فجعل الماء خمرا قال الملك وكان له ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن له حتى يحيي ابني فدعا عيسى فكلمه فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال الملك لا أبالي أليس أراه فلا أبالي ما كان فقال عيسى عليه السلام فان أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب أينما شئنا قال الملك نعم فدعا الله فحاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا منه يريد أن يستخلفه ابنه فيأكلنا كما أكلنا أباه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه وصحبهما يهودي وكان مع اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى شاركني فقال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف ندم فلما ناما جعل اليهودي يريد أن يأكل الرغيف فلما أكل لقمة قال له عيسى ما تصنع فيقول لا شيء فيطرحها حتى فرغ من الرغيف كله فلما أصبحا قال له عيسى هلم طعامك فجاء برغيف فقال له عيسى أين الرغيف الآخر قال ما كان معي الا واحد فسكت عنه عيسى فانطلقوا فمروا براعي غنم فنادى عيسى يا صاحب الغنم اجزرشاة من غنمك قال نعم أرسل صاحبك يأخذها فارسل عيسى اليهودي فجاء بالشاة فذبحوها وشووها ثم قال اليهودي كل ولا تكسرن عظما فاكلا فلما شبعوا قذف عيسى العظام في الجلد ثم ضربها بعصاه

أي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير آدم كانوا متوالدين من آدم وقيل يعني ان الأولين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من فاهث وفاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشا ويهودا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وأفعالهم فيصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل أن يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه تعريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون أول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كأنه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم (١٧٨) باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل أن يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف

القويم والهدى المتين الذي لا اعوجاج فيه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم تبريا من الذي يقولون فيه يعني ما يقول فيه النصارى واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي هذا الذي قد جئتكم عليه وجئتكم به واختلفت القراء في قراءة قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه فقرأته عامة القراء بكسر ألف ان على ابتداء الخبر وقرأه بعضهم ان الله ربي وربكم بفتح ألف أن بتأويل وجئتكم بآية من ربكم ان الله ربي وربكم على ردان على الآية والابدال منها والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الامصار وذلك كسر ألف ان على الابتداء لاجماع الحجة من القراء على صحة ذلك وما اجتمعت عليه فحجة وما انفرد به المنفرد عنها فرأي ولا يعترض بالرأي على الحجة وهذه الآية وان كان ظاهرها خبرا ففيها الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران باخبار الله عز وجل عن ان عيسى كان بريا مما نسبه اليه من نسبه الى غير الذي وصف به نفسه من أنه لله عبد كسائر عبيده من أهل الارض الا ما كان الله جل ثناؤه خصه به من النبوة والحجج التي أتاه دليلا على صدقه كما أتى سائر المرسلين غيره من الاعلام والدلالة على صدقهم والحجة على نبوتهم ۞ القول في تاويل قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) يعني بقوله جل ثناؤه فلما أحس عيسى منهم الكفر فلما وجد عيسى منهم الكفر والاحساس هو الوجود ومنه قول الله عز وجل هل تحس منهم من أحد فاما الحس بغير ألف فهو الافناء والقتل ومنه قوله اذ تحسونهم باذنه والحس أيضا العطف والرقة ومنه قول الكميت

هل من بكى الدار راح أن تحس له * أو يبكي الدار ما العبرة الحصل ؟

يعني بقوله ان تحس له ان ترق له فتأويل الكلام فلما وجد عيسى من بني اسرائيل الذين أرسله الله اليهم جحود النبوة وتكذيبا لقوله وصداعما دعاهم اليه من أمر الله قال من أنصاري الى الله يعني بذلك قال عيسى من أعواني على المكذبين بحجة الله والمولين عن دينه والجاحدين نبوة نبيه الى الله عز وجل ويعني بقوله الى الله مع الله وانما حسن أن يقال الى الله بمعنى مع الله لان من شأن العرب اذا ضموا الشيء الى غيره ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر اذا ضم اليه جعلوا مكان مع الى احيانا وأحيانا يخبرون عنهما بمع فتقول الذود الى الذود ابل بمعنى اذا ضممت الذود الى الذود صارت ابلا فاما اذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بالى ولم يجعلوا مكان مع الى غير جائز أن يقال قدم فلان اليه مال بمعنى ومعه مال وبمثل ما قلنا في تاويل قوله من أنصاري الى الله قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله من أنصاري الى الله يقول مع الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

التأويل ما آل الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل القبض القهري بيدك الخير انك على كل شيء قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فاتنا وأعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار أنوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحياة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحياة الحقيقية من النفس الحية بالحياة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا أولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن ثنى يفعل ذلك من القلوب فليس من أنوار الله وألطافه في شيء الا ان تخافوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير في الرجوع وتهلك في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه أي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معاداة الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في ارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت أثرا الخير والشر ظاهر في ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه أو يسود ولكنه في غفلة من هذا المحجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لذغته حية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها مادام نائما ونوم الغفلة فاذا مات انتبه وأحس ثم أخبر عن طريق الوصول انه في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلاث درجات ولمحبة المحب ثلاث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلاث درجات أما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام

يتعدى الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لالان وجد جواب كاما وزفاج لاتحادفاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب بربه ج لما قلنا في برزقا طيبة ج للابتداء والجواز لانك الدعاء ٥ في المحراب لاوان كسران لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين ٥ عاقر ط مايشاء ٥ آية ط رمزا ط والابكار ٥ * التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة أم مريم البتول وجة عمران بن ماثان بنت فاقوذ أخت يشاع التي كانت تحت زكريا بن أذن روى ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى أن كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم أم موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه (١٨١) من الرق وحررت الكتاب اذا أصلحته وخلصت من الغلط و رجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي وكان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان أبى المقام وأراد أن يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما لبيان الامر على الغرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان أجعل ما في بطني محررا فلما

اليهودي يا عيسى اتق الله ولا تظلمني فانما هو أنا وأنت ما هذه الثلاثة قال عيسى هذا لي وهذا لك وهذا الثالث لصاحب الرغيف قال اليهودي فان أخبرتك بصاحب الرغيف تعطيني هذا المال فقال عيسى نعم قال أنا هو قال عيسى خذ حظي وحظك وحظ صاحب الرغيف فهو حظك من الدنيا والآخرة فلما حمله مشى به شيأ فخسف به وانطلق عيسى بن مريم فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال أفلا تمشون حتى تصطادوا الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم فآمنوا به وانطلقوا معه فذلك قول الله عز وجل من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون **حدثنا** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله الآية قال استنصر فنصره الحواريون وظهر عليهم وقال آخرون كان سبب استنصار عيسى من استنصر لان من استنصر الحواريين عليه كانوا أرادوا قتله ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أحس عيسى منهم الكفر قال كفروا وأرادوا قتله فذلك حين استنصر قومه قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله والانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف والاشهاد جمع شهيد وأما الحواريون فان أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سموا حواريين فقال بعضهم سموا بذلك لبياض ثيابهم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال سمعت أبي قال ثنا قيس بن الربيع عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال انما سموا الحواريين ببياض ثيابهم وقال آخرون سموا بذلك لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن أبي أرطاة قال الحواريون الغسالون الذين يحورون الثياب يغسلونها وقال آخرون هم خاصة الانبياء وصفوتهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن روح بن القاسم ان قتادة ذكر رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان من الحواريين فقيل له من الحواريون قال الذين تصلح لهم الخلافة **حدثت** عن المنجاب قال ثنا الحسين قال ثنا بشر عن عمارة عن أبي روق عن الضحاك في قوله اذ قال الحواريون قال أصفياء الانبياء وأشبه الاقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال سموا بذلك لبياض ثيابهم ولانهم كانوا غسالين وذلك ان الحور عند العرب شدة البياض ولذلك سمي الحواري من الطعام حواريا لشدة بياضه ومنه قيل للرجل الشديد بياض مقلة العينين أحور وللمرأة حوراء وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكرنا من تبييض الثياب وأنهم كانوا قصارين فعرفوا بصحبة عيسى واختياره اياهم لنفسه أصحابا وأنصارا فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كالخاصة للرجل

وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت أنثى في علم الله أو على تأويل النفس أو النسمة أو الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كما سمي بالحمل ثم أدخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير أنه يكون أنثى فالترب اني وضعتها أنثى ثم من قرأ والله أعلم بما وضعت على الحكاية فمعنى الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها أنثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من أنها لا تقع الموقع الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت أن يظن بها انها قالت ذلك لاعلام الله تعالى فقالت والله أعلم بما وضعت وليس كالذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لاسيما في باب السدانة فان تحرير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل

والمحبة واحدا كما ان الرائى فى المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائى والمرئى والرؤية واحدا قل أطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدف درة محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة أنواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع فى آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو تشريف ونفخت فيه من روحى فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفته ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم وان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص أولاد آدم نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقى بعضهم من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها أهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما (١٨٠) وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) القراآت منى انك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وأبو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة وانى أعيذها بفتح الياء أبو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون اليهودى خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد وقرأ أبو بكر وحماد بالمد والنصب ههنا الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة على وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث فى المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلى الباقون بالتشديد لدى آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير * الوقوف منى ج للابتداء ولاحتمال لانك العليم ه أنثى ط لمن قرأ بما وضعت بتاء التأنيث الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم ه حسنا ص لمن قرأ وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب وقبل

وقال قومى باذن الله فقامت الشاة تثغو فقال يا صاحب الغنم خذ شاتك فقال له الراعى من أنت قال أنا عيسى ابن مريم قال أنت الساحر وفر منه قال عيسى لليهودى بالذى أحيا هذه الشاة بعدما أكلناها كم كان معك رغيفا فحلف ما كان معه الا رغيف واحد فمروا بصاحب بقر فنادى عيسى فقال يا صاحب البقر أجزرنا من بقرك هذه عجلا قال ابعث صاحبك يأخذه قال انطلق يا يهودى فجئ به فانطلق فجاء به فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر فقال له عيسى كل ولا تكسرن عظما فلما فرغوا قذف العظام فى الجلد ثم ضربه بعصاه وقال قم باذن الله فقام ولها خوار قال خذ عجلك قال ومن أنت قال أنا عيسى قال أنت السحار ثم فر منه قال اليهودى يا عيسى أحييته بعدما أكلناه قال عيسى فبالذى أحيا الشاة بعدما أكلناها والعجل بعدما أكلناه كم كان معك رغيفا فحلف بالله ما كان معه الا رغيف واحد فانطلقا حتى نزلا قرية فنزل اليهودى أعلاها وعيسى فى أسفلها وأخذ اليهودى عصا مثل عصا عيسى وقال أنا الآن أحيى الموتى وكان ملك تلك المدينة مريضا شديد المرض فانطلق اليهودى ينادى من يبتغى طبيبا حتى أتى ملك تلك القرية فأخبر بوجعه فقال ادخلونى عليه فانا أريه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء فبالك ليس من طبيب يداويه ولا يفى داؤه شيأ الا أمر به فصلب قال ادخلونى عليه فانى سأريه فادخل عليه فاخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول قم باذن الله فاخذ ليصلب فبلغ عيسى فاقبل اليه وقد رفع على الخشبة فقال أرأيتم ان أحييت لكم صاحبكم أتتركون لى صاحبى قالوا نعم فاحيا الله الملك لعيسى فقام وأنزل اليهودى فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا فقال عيسى فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى لليهودى أنشدتك بالذى أحيا الشاة والعجل بعدما أكلناهما وأحياه هذا بعدما مات وأنزلك من الجذع بعدما رفعت عليه لتصلب كم كان معك رغيفا قال فحلف بهذا كله ما كان معه الا رغيف واحد قال لا باس فانطلقا حتى مرا على كنز قد حفرته السباع والدواب فقال اليهودى يا عيسى لمن هذا المال قال عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى فانطلق مع عيسى ومر بالمال أربعة نفر فلما رأوه واجتمعوا عليه فقال اثنان لصاحبيهما انطلقا فابتاعا لنا طعاما وشرابا ودواب نحمل عليها هذا المال فانطلق الرجلان فابتاعا دواب وطعاما وشرابا وقال أحدهما لصاحبه هل لك أن نجعل لصاحبينا فى طعامهما سما فاذا أكلا ماتا فكان المال بيني وبينك فقال الآخر نعم ففعلا وقال الآخران اذا ما أتيا بالطعام فليقم كل واحد الى صاحبه فيقتله فيكون الطعام والدواب بيني وبينك فلما جا بطعامهما قاما فقتلاهما ثم قعدا على الطعام فاكلا منه فماتا واعلم ذلك لعيسى فقال لليهودى احرجه حتى نقتسمه فاخرجه فقسمه عيسى بين ثلاثة فقال

من أول أمرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب الذكور والارجح انه لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهي غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو أشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة أبواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم أن الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها أنه (١٨٣) روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة وانى أعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم جاع في زمن مجاعة فاهدت له صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع صلى الله عليه وسلم اليها وقال هلمي يا بنتي فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته صلى الله عليه وسلم حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضي الله عنها على جيرانها وفي أمثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي صلى الله عليه وسلم يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه أن يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما أن الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم وأجابوا عن حديث أبي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطامعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من

الهم فيما ثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم ان عيسى سار بهم يعني بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك فآمنوا به واتبعوه اذ دعاهم حتى أتى بني اسرائيل ليلا فصاح فيهم فذلك قوله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة الآية وأما مكر الله بهم فانه فيما ذكر السدي القاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى وهم يحسبونه عيسى وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم ان بني اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت فقال عيسى لاصحابه من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة فاخذها رجل منهم وصعد بعيسى الى السماء فذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فاخبروهم أن عيسى قد صعد به الى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه فذلك قول الله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه اياهم ليبلغ الكتاب أجله كما قد بينا ذلك في قول الله الله يستهزئ بهم

القول في تاويل قوله (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا)

يعني بذلك جل ثناؤه ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم اذ قال الله جل ثناؤه اني متوفيك فاذكره من قوله ومكر الله يعني ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى اني متوفيك ورافعك الى فتوفاه ورفعه اليه ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية فقال بعضهم هي وفاة نوم وكان معنى الكلام على مذهبهم اني منيمك ورافعك في نومك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله اني متوفيك قال معنى وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك اني قابضك من الارض فرافعك الي قالوا ومعنى الوفاة القبض كما يقال توفيت من فلان مالي عليه بمعنى قبضته واستوفيته قالوا فمعنى قوله اني متوفيك ورافعك أي قابضك من الارض حيا الى جواري وآخذك الى ما عندي بغير موت ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق في قول الله اني متوفيك قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله اني متوفيك قال متوفيك من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا قال فرفعه

أن تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب انى وضعتها أنثى ولكنك أعرف واعلم بحال ما وضعت فاعلم
انك فيه سرا وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لى لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام فى الذكر وفى الانثى للعهود
حاضر ذهنى لكنها فى الذكر حاضر ذهنى تقديرا للدلالة ما فى بطنى عليه ضمنا وفى الانثى لحاضر ذهنى حقيقة لتقدم لفظة أنثى ومن قرأ بما
وضعت بسكون التاء للتأنيث فالجملتان أعنى قوله والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله أعلم بالشئ الذى وضعت
لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهى جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى
وهبت لها وانى سميتها مريم وذلك ان أباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم فى لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله أن يعصمها حتى يكون فعلها (١٨٢) مطابقا لاسمها ولهذا أردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها

من أصحابه وأنصاره حواريه ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوارى وحوارى الزبير يعنى
خاصته وقد سمى العرب النساء اللواتى مساكنهن القرى والامصار حواريات وانما سمين بذلك لغلبة البياض
عليهن ومن ذلك قول أبى خلدة اليشكرى

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا يبكنا الا الكلاب النوابح

ويعنى بقوله قال الحواريون قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من تبييضهم الثياب آمنا بالله صدقنا بالله واشهد
أنت يا عيسى باننا مسلمون وهذا خبر من الله عز وجل أن الاسلام دينه الذى ابتعث به عيسى والانبياء قبله
لا النصرانية ولا اليهودية وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها كما برأ ابراهيم من سائر الاديان
غير الاسلام وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران كما حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان
قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم
واشهد بانا مسلمون لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه يعنى وفد نصارى نجران ۞ القول فى تاويل قوله
(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين
أنهم قالوا ربنا آمنا أى صدقنا بما أنزلت يعنى بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك واتبعنا الرسول يعنى
بذلك أصرنا أتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به وأعوانه على الحق الذى أرسلته به الى عبادك وقوله فاكتبنا
مع الشاهدين يقول فاثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق وأقروا لك بالتوحيد وصدقوا رسلك
واتبعوا أمرك ونهيك فاجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك واجعلنا محلهم ولا تجعلنا ممن
كفر بك وصد عن سبيلك وخالف أمرك ونهيك يعرف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضى أقوالهم
وأفعالهم ليحتذوا طريقتهم ويتبعوا منهاجهم فيصلوا الى مثل الذى وصلوا اليه من درجات كرامته ويكذب
بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة فى دعواهم على أنبياء الله انهم كانوا على غيرها ويحتج به على
الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران بأن قيل من رضى الله عنه من اتباع عيسى كان
خلاف قبلهم ومنهاجهم غير منهاجهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن
الزبير ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أى هكذا كان قولهم وايمانهم ۞ القول
فى تاويل قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومكر الذين كفروا من بنى
اسرائيل وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر وكان مكرهم الذى وصفهم الله به مواطأة بعضهم
بعضا على الفتك بعيسى وقتله وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد اخراج قومه اياه وأممن بين أظهرهم عاد

الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التى خاطبت ونادت بقولها رب انى وضعتها ويحتمل أن يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى أنه كلما ولدته فى بطن أمها وسيرت به بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشئ وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى أنه لم يسمع غيره وأجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء فى قوله بقبول بمنزلة الباء فى قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفى التقبل نوع تكلف فكأنه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال فى الكشاف معناه فتقبلها بذى قبول حسن أى بامر ذى قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها أنثى فى النذر أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز أن يكون القبول اسما يقبل به الشئ كالسعوط والمدود لما يسعط به ويدلد وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك اليهم من قولهم استقبل الامر اذا أخذه باوله أى فاخذها من أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت فى اليوم مثل ما تنبت المولود فى عام وقيل المراد نماؤها فى الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة والوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات وفى كل مرة كان يرتفع قلم زكريا وترسب أقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها

النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال أن لا تكون الاجابة مصلحة فحينئذ تصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه وأقول ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالبندرة على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن أصلح لم يبعثه الله عليه ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له أسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال أريد منك يارب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا والواحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وأنث الطيبة لتأنيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة يجيء على اللفظ وأخرى على المعنى وهذا في أسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه (١٨٥) لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف أعظم ثم ما روى ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة أي يركب من هذا الجنس ويأكل منه أو لان جبريل كان رئيس الملائكة فلما يبعث الا ومعه آخرون يبشرك بيحيى يحتمل أن زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل أن يكون المعنى يبشرك بولد سمه يحيى كما يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم أعجمي كموسى وعيسى ومن جوز أن يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال أبو عبيدة أي مؤمنا بكتاب الله وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت أم يحيى أم عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم أشعرت اني حبلى فقالت مريم وأنا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي كن من غير واسطة أب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء أو لكونه متكلما في أوان الطفولية أولانه منشأ الحقائق والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا

لانه لم يكن بيني وبينه نبي وأنه خليفتي على أمتي وأنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع في الارض الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيثبت في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه قال أبو جعفر ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين لان الله عز وجل انما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم كما قال جل ثناؤه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ فتأويل الآية اذا قال الله لعيسى يا عيسى اني قابضك من الارض ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوتك وهذا الخبر وان كان مخرجه مخرج خبر فان فيه من الله عز وجل احتجاجا على الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من وفد نجران بان عيسى لم يقتل ولم يصلب كما زعموا وانهم واليهود الذين أقروا بذلك وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ثم أخبرهم يعني الوفد من نجران ورد عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فانه يعني منظفك فمخلصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق وسائر الملل غيرها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومطهرك من الذين كفروا قال اذهموا منك بما هموا حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ومطهرك من الذين كفروا قال طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعني بذلك جل ثناؤه جاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الاسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك وخالف سبيلهم جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به وصدوا عن الاقرار به فصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة هم أهل الاسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناواهم الى يوم القيامة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر

كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلون به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وبزمان المكاشفة بعيد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات أن يحس به في وقت آخر ويصرخ على ان أثر مس الشيطان ونخسه يظهر في هيئات النفس وأحوالها وانها أمور لا يحس بها الا بعد المفارقة أو قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعي فهما استعدادا آخر غير العلوم الظاهرية قال الجبائي لم لا يجوز أن تكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيأ بعينه في وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو (١٨٤) من عند الله لا من عند غيره فعند ذلك يعلم ان الله تعالى أظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل أن

اياه اليه توفيه اياه وتطهيره من الذين كفروا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح أن كعب الاحبار قال ما كان الله عز وجل ليميت عيسى بن مريم انما بعثه الله داعيا ومبشرا يدعو اليه وحده فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكى ذلك الى الله عز وجل فاوحى الله اليه اني متوفيك ورافعك الي وليس من رفعته عندي ميتا وانى سأبعثك على الاعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحي قال كعب الاحبار وذلك بصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كيف بكم يا أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير يا عيسى اني متوفيك أي قابضك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اني متوفيك ورافعك الى قال متوفيك قابضك قال ومتوفيك ورافعك واحد قال ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وقرأ قول الله عز وجل ويكلم الناس في المهد وكهلا قال رفعه الله اليه قبل أن يكون كهلا قال وينزل كهلا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قول الله عز وجل يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى الآية كلها قال رفعه الله اليه فهو عند في السماء وقال آخرون معنى ذلك اني متوفيك وفاة موت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اني متوفيك يقول اني ممتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفع اليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه الله وقال آخرون معنى ذلك اذ قال الله يا عيسى اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالي اياك الى الدنيا وقالوا هذا من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك اني قابضك من الارض ورافعك الي لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الارض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن مسلم الزهري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليهبطن الله عيسى بن مريم حكما عدلا وامام مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يجده من يأخذه وليسلكن الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليدينن بهما جميعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم

يكون زكريا شاهد عند مريم رزقا معتادا لانه كان يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من أن يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا نسلم انه ظهر لها شئ من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيأ من ذلك خاف ان ذلك الرزق أتاها من حيث لا ينبغي وكان يسألها عن كيفية الحال قلت أمثال هذه الشبهات يوجبها الشك في القرآن وفي الحديث أو العصبية المحضة على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وأيضا كيف تنتفع بمجرد اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن أخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين وقال لانه وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه هنالك أي في ذلك المكان الذي كانا فيه في المحراب أو في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي أن يكون قد عرف في ذلك الزمان أو المكان أمرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس وان ذلك خارق للعادة فطمع هو أيضا في أمر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي أن يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب في الطلب وأما المعتزلة فحين أنكروا كرامات الاولياء وأرهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى أن يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء

البشارة فى زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائتو عشرون سنة أو تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون وعن السدى ان الشيطان
جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتا كد بالمعجزة
فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسأل ما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل استبعادا وتشكيكا فى قدرة الله تعالى وانما أراد تعيين
الجهة التى بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقرها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة أى
الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفانى والعجوز العاقر أو جملتان فيكون كذلك الله مبتدا وخبرا
أى على نحو هذه الصفة الله يفعل ما يشاء بيانا له أى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه صلى الله عليه وسلم لغرط سروره وثقته
بكرمه به وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لى آية علامة أعرف (١٨٧) بها العلوق فان ذلك لا يظهر من أول

فرضت من فرائضى على لسانك وشرعت من شرائعى وسننت من سنتى كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله
ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وعملوا الصالحات يقول أدوا فرائضى فيوفيهم
أجورهم يقول فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يبخسون منه شيأ ولا ينقصونه وأما قوله والله لا يحب
الظالمين فانه يعنى والله لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيأ فى غير موضعه فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك
ان يظلم عباده فيجازى المسيئ ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به أو يجازى المحسن ممن آمن به واتبع أمره
وانتهى عما نهاه عنه فاطاعه جزاء المسيئين ممن كفر به وكذب رسله وخالف أمره ونهيه فقال انى لا أحب
الظالمين فكيف أظلم خلقى وهذا القول من الله تعالى ذكره وان كان خرج مخرج الخبر كانه وعيد منه
للكافرين به وبرسله ووعد منه للمؤمنين به وبرسله لانه أعلم الفريقين جميعا انه لا يبخس هذا المؤمن حقه ولا
يظلم كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه فيكون لها بوضعها فى غير أهلها ظالما ۞ القول فى
تاويل قوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك هذه الانباء التى
أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمه مريم وأمها حنة وزكريا وابنه يحيى وما قص من أمر الحواريين واليهود من بنى
اسرائيل نتلوها عليك يا محمد يقول نقرؤها عليك يا محمد على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم يوحيها اليك
من الآيات يقول من العبر والحجج على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بنى اسرائيل الذين كذبوك
وكذبوا ما جئتهم به من الحق من عندى والذكر يعنى والقرآن الحكيم يعنى ذى الحكمة الفاصلة بين الحق
والباطل بينك وبين ناسبى المسيح الى غير نسبه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد
ابن جعفر بن الزبير ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذى لم يخلطه
الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا يقبلن خبرا غيره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق
قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم قال القرآن حدثنى
المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله والذكر يقول
القرآن الحكيم الذى قد كمل فى حكمته ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) يعنى جل ثناؤه ان شبه عيسى فى خلقى اياه من غير فحل
فاخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندى كشبه آدم الذى خلقته من تراب ثم قلت له كن فكان من غير
فحل ولا ذكر ولا أنثى يقول فليس خلقى عيسى من أمه من غير فحل بأعجب من خلقى آدم من غير ذكر ولا أنثى
فكان لما يقول وأمرى اذ أمرته أن يكون فكان فكذلك خلقى عيسى أمرته أن يكون فكان وذكر
أهل التأويل ان الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران

الامر فقال تعالى آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أى بلياليها ولهذا ذكر فى سورة مريم ثلاث ليال ومعنى قوله ألا تكلم الناس قال المفسرون أى لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن أمور الدنيا وأقدره على الذكر والتسبيح ليكون فى تلك المدة مشتغلا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ الواحد علامة على المقصود وأداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفى هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه صلى الله عليه وسلم عوتب

بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت وأحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا
لها وفيه لطيفة أخرى وهى انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل أن يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل أن يكون قد طلب دلالة على احداث
الحوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته للواقعة حيث سأل ما كان من حقه
ان لا يسئل وزعم أبو مسلم ان المعنى آيتك أن تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا اشارة بيد أو رأس أو
بالشفتين ونحوها وأصل الترکيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الرموز للحروهو استثناء من قوله ألا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من
جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز أن يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفى وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير
تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرأ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو سؤال منه ومن الناس

أيضا لانه سبب حياة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان أولانه وردت البشارة به فى كلمات الانبياء وكتبهم كلما أخبرت عن حدوث أمر ثم اذا حدث قلت قد جاء قولى أو كلامى أى ما كنت أقول وأتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذى يفوق قومه فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم فى الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذى لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل أى محصورا عن النساء لضعف فى الآلة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق فى معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل وهو الذى لا يأتى النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان أفضل فى تلك الشريعة فلو لان الامر بالنكاح والحث عليه وارد فى شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم (١٨٦) الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما رجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد

نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال ناصر من اتبعك على الاسلام على الذين كفروا الى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة أما الذين اتبعوك فيقال هم المؤمنون وليس هم الروم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال المسلمون من فوقهم جعلهم أعلى ممن ترك الاسلام الى يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومطهرك من الذين كفروا قال الذين كفروا من بنى اسرائيل وجاعل الذين اتبعوك قال الذين آمنوا به من بنى اسرائيل وغيرهم فوق الذين كفروا النصارى فوق اليهود الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق يهود فى شرق ولا غرب هم فى البلدان كلها مستذلون ۞ القول فى تاويل قوله (ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم الى ثم الى الله أيها المختلفون فى عيسى مرجعكم يعنى مصيركم يوم القيامة فاحكم بينكم يقول فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره وهذا من الكلام الذى صرف من الخبر عن الغائب الى المخاطبة وذلك ان قوله الى مرجعكم انما قصد به الخبر عن متبعى عيسى والكافرين به وتأويل الكلام وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجع الفريقين الذين اتبعوك والذين كفروا بك فاحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ولكن رد الكلام الى الخطاب لسوق القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ۞ القول فى تأويل قوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) يعنى بقوله جل ثناؤه فأما الذين كفروا فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى وخالفوا ملتك وكذبوا بما جئتهم به من الحق وقالوا فيك الباطل وأضافوك الى غير الذى ينبغى أن يضيفوك اليه من اليهود والنصارى وسائر أصناف الاديان فانى أعذبهم عذابا شديدا امافى الدنيا فبالقتل والسباء والذلة والمسكنة وأما فى الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبدا وما لهم من ناصرين يقول ومالهم من عذاب الله مانع ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة لانه العزيز ذو الانتقام وأما قوله وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه يعنى تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بك يا عيسى يقول صدقوك فاقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحق من عندى ودانوا بالاسلام الذى بعثتك به وعملوا بما

ثم ان الملائكة لما نادوه بما نادوه قال لزكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب أنى يكون فرضت لى غلام وقد بلغنى الكبر أدركتنى السنون العالية وأثر فى طول العمر وأضعفنى قال أهل اللغة كل شئ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا أمكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغنى الكبر لان الكبر كالشئ الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان أيضا يأتيه بمروره والعمر عليه ولا يجوز بلغنى البلد فى موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتى عاقر هى من الصفات الخاصة بالنساء ويقال مر مل عاقر أى لا تنبت شيأ فان قيل لما كان زكريا هو الذى سأل الولد ثم أجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله أنى يكون من أين يحصل لى غلام فالجواب على ما فى الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسى ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع

خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلما أصبحوا غادوا فقرأ عليهم الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قال أتى نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له هل علمت أن أحدا ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك قال فأنزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون أكان لآدم أب أو أم كما خلقت هذا في بطن هذه فان قال قائل فكيف قال كمثل آدم خلقه وآدم معرفة والمعارف لا توصل قيل ان قوله خلقه من تراب غير صلة لآدم وانما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه وكيف كان وأما قوله ثم قال له كن فيكون فانما قال فيكون وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم وذلك خبر عن خبر قد تقضى وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى فقال جل ثناؤه خلقه من تراب ثم قال له كن لانه بمعنى الاعلام من الله نبيه ان تكوينه الاشياء بقوله كن ثم قال فيكون خبرا مبتدا وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله كن فتأويل الكلام اذا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فهو كائن فلما كان في قوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن دلالة على ان الكلام يراد به اعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه انه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول له ولا عنصر استغنى بدلالة الكلام على المعنى وقيل فيكون فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى وقد قال بعض أهل العربية فيكون رفع على الابتداء ومعناه كن فكان فكأنه قال فاذا هو كائن ۞ القول في تأويل قوله (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) يعني بذلك جل ثناؤه الذي أنبأتك به من خبر عيسى وان مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له ربه كن هو الحق من ربك يقول هو الخبر الذي هو من عند ربك فلا تكن من الممترين يعني فلا تكن من الشاكين في ان ذلك كذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحق من ربك فلا تكن من الممترين يعني فلا تكن في شك من عيسى انه كمثل آدم عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يقول فلا تكن في شك مما قصصنا عليك ان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته منه وروح وان مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن

والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) القراءة

وبعلمه بياء الغيبة أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون اني أخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع اني أخلق بالفتح فيهما ابن كثير وأبو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغني ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون الطير فتكون بتاء التأنيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا أبو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا أنصاري الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وقرأ قتيبة وأبو عمرو وطريق أبي الزعراء بالامالة فيوفيهم

دفعة بمعنى الامر امرين كما يعلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد تسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه والعشي مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر بكر يبكر اذا خرج للامر من أول النهار ومنه الباكورة لاول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار * التاويل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركتها أسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا أخرج الله من الاسرار عن اطعام طائر فرخه وماذا أظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني راجع الى المحرر لا الى النحرير أي تقبلها مني ان تتكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها (١٨٨) ربها أي تقبلها وربها ان يربيها بقبول حسن كقبول ذكر او قبولا أخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كفل رأفته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث أراد أن يخرج عيسى منها بلا أب لئلا يدخل عليها غيره فتكون أبعد من التهمة وجد عندها رزقا أي من فتوحات الغيب الذي يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند أنفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ما لم يكن في حسابها من الولد بلا أب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك الخ دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة أي ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب خلقه والوسط الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثاني الذي هو لارواح الاولياء وبينه وبين الله تعالى حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذي هو لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلي بسائر سره في الملكوت يحارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلي بالموت لا بموت القلب بالمعاصي ولا بموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل أحياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا أي حرا من رق الكونين بل سيد الرقيق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من أهل الصف الاول رب أنى يكون لي غلام لم يكن استبعاده من قبيل القدوة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك ألا تكلم الناس اغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان

الذين حاجوه في عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولا فكانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية في سورة آل عمران ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وذلك ان رهطا من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا لمحمد ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال محمد أجل انه عبد الله قالوا له فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربنا السميع العليم فقال قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى آخر الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ذكر لنا ان سيدي أهل نجران وأسقفهم السيد والعاقب لقيا نبي الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن عيسى فقالا كل آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له فانزل الله عز وجل فيه هذه الآية ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد وماسرجس وماريحنا فسألوه ما يقول في عيسى فقال هو عبد الله وروحه وكلمته قالوا هم لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فاراناقدرته وأمره فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال نزلت في العاقب والسيد من أهل نجران وهما نصرانيان قال ابن جريج بلغنا ان نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم فيهم السيد والعاقب وهما ومئذ سيدا أهل نجران فقالوا يا محمد فيم تشتم صاحبنا قال من صاحبكما قالا عيسى بن مريم تزعم انه عبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فغضبوا وقالوا ان كنت صادقا فارنا عبدا يحيي الموتى ويبرئ الاكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الآية لكنه الله فسكت حتى أتاه جبريل فقال يا محمد لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل انهم سألوني ان أخبرهم بمثل عيسى قال جبريل مثل عيسى كمثل آدم

اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها المراد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا أوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتي أمر بالعبادة على العموم واسجدي أمر بالصلاة تسمية للشيء بمعظم أركانه كما في قوله وأدبار السجود وفي الخبر اذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود أشرف الاركان لقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول أمر بالصلاة مطلقا والثاني أمر بالصلاة في الجماعة وانما عبر عن الصلاة ههنا بالركوع اما لتغيير العبارة وقد يسمى الشيء باحد أركانه واما تسمية للشيء بمعظم أركانه بناء على ما قيل الركوع أفضل من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه أكثر وللتمييز عن صلاة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين أمر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل أن يراد بقوله اقنتي الامر بالصلاة لان القنوت

أحد أجزائها وأن يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال كل منهما في وقته اللائق به والواو تفيد التشريك لا الترتيب أو المراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء روي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن أقل في خدمتك من احدى النساء ذلك الذي سبق من أنباء حنة وزكريا ويحيى ومريم من أخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الوحي اليه بامر خفي من اشارة أو كتابة أو غيرها وبهذا التفسير يعلم الالهام وحيا كقوله وأوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وقال فاوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه ألقى هذه الانباء الى النبي بواسطة جبريل بحيث تخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة في حقه صلى الله عليه وسلم فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ يلقون أقلامهم ينظرون أولعلوا أو يقولون أيهم يكفل مريم حذف متعلق الاستفهام للدلالة الالقاء عليه وظاهر الآية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي في الخبر أنهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جرى الماء فالبدله ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا قصارا أولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم

هؤلاء الذين حاجوك في عيسى عما جاءك من الحق من عند ربك في عيسى وفي غيره من سائر ما أتاك من الهدى والبيان فاعرضوا عنه ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين يقول فان الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ويعملون في أرضه وبلاده بمعاينتهم عنه وذلك هو افسادهم يقول تعالى ذكره فهو عالم بهم وباعمالهم يحصيها عليهم ويحفظها حتى يجازيهم عليها جزاءهم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق أي ان هذا الذي جئتك به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ان هذا لهو القصص ان هذا الذي قلنا في عيسى لهو القصص الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هذا لهو القصص الحق قال ان هذا القصص الحق في عيسى ما ينبغي لعيسى ان يتعدى هذا ولا يجاوز ان يتعدى أن يكون كلمة الله ألقاها الى مريم وروحا منه وعبدا لله ورسوله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان هذا لهو القصص الحق ان هذا الذي قلنا في عيسى هو الحق ومامن اله الا الله الآية فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل وأمره ان هم تولوا عما دعاهم اليه من الاقرار بوحدانية الله وانه لا ولد له ولا صاحبة وان عيسى عبده ورسوله وأبوا الا الجدل والخصومة ان يدعوهم الى الملاعنة ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انخزلوا فامتنعوا من الملاعنة ودعوا الى المصالحة كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال فامر يعني النبي صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم يعني بملاعنة أهل نجران بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فتواعدوا ان يلاعنوه وواعدوه الغد فانطلقوا الى السيد والعاقب وكانا أعقلهم فتابعاهم فانطلقوا الى رجل منهم عاقل فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعتم وندمهم وقال لهم ان كان نبيا ثم دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبدا ولئن كان ملكا فظهر عليكم لا يستبقينكم أبدا قالوا فكيف لنا وقد واعدنا فقال لهم اذا غدوتم اليه فعرض عليكم الذي فارقتموه عليه فقولوا نعوذ بالله فان دعاكم أيضا فقولوا له نعوذ بالله ولعله ان يعفيكم من ذلك فلما غدوا غدا النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا حسنا آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه فدعاهم الى الذي فارقوه عليه بالامس فقالوا نعوذ بالله ثم دعاهم فقالوا نعوذ بالله مرارا قال فان أبيتم فاسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل فان أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون كما قال الله عز وجل قالوا ما نملك الا أنفسنا قال فان أبيتم فاني أنبذ اليكم على سواء كما قال الله عز وجل قالوا ما لنا طاقة بحرب العرب ولكن نؤدي الجزية قال فجعل عليهم في كل

بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون ه الوقوف العالمين ه الراكعين ه اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ه منه ج قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا ه فالوجه أن لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين ه بشر ط يشاء ط فيكون ه والانجيل ج لان ورسولا يجوز أن يكون معطوفا على ومن الصالحين أو منصوبا بمحذوف أي ويجعله رسولا والوقف أجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ اني أخلق بالكسر باذن الله ج والثاني كذلك للتفصيل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم ه الى الله ط أنصار الله ج لان آمنا في نظم الاستئناف مع امكان الحال أي وقد آمنا بالله كذلك (١٩٠) لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ه الشاهدين ه ومكر الله ط الماكرين ه القيامة ج لترتيب الاخبار والآخرة ز للابتداء بالنفي مع ان النفي تمام المقصود ناصرين ه أجورهم ط الظالمين ه الحكيم ه آدم ط لان الجملة لا يتصف بها المعرف فيكون ط الممترين ه * التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو معنى قوله اذ قالت امرأة عمران لكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم أن مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبريل اليها اما أن يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما أن يكون لوها صالحيتي وهو حائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة أو معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما هؤلاء في حق أم موسى وأوحينا الى أم موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاء آن بمعنى واحد للتكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في أول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها أنثى ومنها قال الحسن ما ضمنتها أمها طرفة عين بل ألقتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من أنواع اللطف والهداية والعصمة في حقها وأما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة وأما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في آخر عمرها من ولادة عيسى بغير أب وشهادته ببراءتها مما قذفها اليهود قيل المراد

الزبير الحق من ربك بما جاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترفيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تكن من الممترين قال والممترون الشاكون والمرية الشك والريب واحد سواء كهيئة ما تقول اعطني وناولني وهلم فهذا مختلف في الكلام وهو واحد ۞ القول في تاويل قوله (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعني بقوله جل ثناؤه فمن حاجك فيه فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم والهاء في قوله فيه عائدة على ذكر عيسى وجائز أن تكون عائدة على الحق الذي قال تعالى ذكره الحق من ربك ويعني بقوله من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى انه عبد الله فقل تعالوا هلموا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل يقول ثم نلتعن يقال في الكلام ماله بهله الله أي لعنه الله وماله عليه بهلة الله يريد اللعن وقال لبيد وذكر قوما هلكوا فقال * نظر الدهر اليهم فابتهل * يعني دعا عليهم بالهلاك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي في عيسى انه عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الى قوله على الكاذبين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم يقول من حاجك في عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين قال منا ومنكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال وثنى ابن لهيعة عن سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليت بيني وبين أهل نجران حجابا فلا أراهم ولا يروني من شدة ما كانوا يمارون النبي صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تاويل قوله (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) يعني بذلك جل ثناؤه ان هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه وانه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها الى مريم وروح مني لهو القصص والنبأ الحق فاعلم ذلك واعلم انه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه اياهم الا معبودك الذي تعبده وهو الله العزيز الحكيم ويعني بقوله العزيز العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها غيره أو عبد رباسواه الحكيم في تدبيره لا يدخل ما دبره وهن ولا يلحقه خلل فان تولوا يعني فان أدبر

ما جاعلك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج ليدعو أهل نجران فلما رأوه خرجوا بأبنائهم وفرقوا فرجعوا قال معمر قال قتادة فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة اتبعينا فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون النبي صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زكريا عن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لاعنوني ما حال الحول ويحضرتهم منهم أحد الا أهلك الله الكاذبين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لاعنت القوم بمن كنت تأتي حين قلت أبناءنا وأبناءكم قال حس وحسين **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو كريب الحنفي قال ثنا المنذر بن ثعلبة قال ثنا علباء بن أحمر اليشكري قال لما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم الآية قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة وابنيها الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود ويحكم أليس عهدكم بالأمس من اخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا فانتهوا ﴿القول في تأويل قوله﴾ (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لاهل الكتاب وهم أهل التوراة والانجيل تعالوا هلموا الى كلمة عدل بيننا وبينكم والكلمة العدل هي ان يوحد الله فلا يعبد غيره ويبرأ من كل معبود سواه فلا يشرك به شيئا وقوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه فان تولوا يقول فان أعرضوا عما دعوتهم اليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم اليها فلم يجيبوك اليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك اشهدوا بأنا مسلمون واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت في يهود بني اسرائيل الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى الكلمة السواء وهم الذين حاجوا في ابراهيم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى كلمة السواء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم

مسحه بجناحيه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وأما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه مسح احدى عينيه أو لانه يمسح الارض أي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال دجل في الارض أي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه وليس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لمريم تنبيها على انه لا أب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى أمه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر

وقيل الكريم لان أشرف أعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب والآخرة بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر في الوقوف أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر أمه وقيل الآلة المعروفة لاضجاع الصبي وكيف كان فالمراد أنه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف أي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات أي قوي روي ان عمره بلغ ثلاثا وثلاثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان أكمل أحوال الانسان ما بين الثلاثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد أن يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من

ألقوا عصيهم في الماء الجاري فمن ثبت عصاه قام كريا على صدر جرية الماء فغلبهم وقال أبو مسلم المراد بالقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون سهاما يكتبون عليها أسماءهم فمن أخرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام أقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى أصل الاشتقاق الا أن العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في أنهم كانوا من الخواص وأعلى الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل أن يكون ما كان قبل الاقتراع وأن يكون اختصاما آخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل نفسها حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية أن لها ولابنها شأنا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبريل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت لان هذا بدل من ذاك ويجوز أن يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز أن يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روى عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز أن ترد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر الى أن يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب أمر ممكن في نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على ما سبيل التولد كتولد الفأر عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج غاية الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق أخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يزيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون أسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كأصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع أن يقال انها ما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد لمني المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية أي بكلمة

سنة ألفي حلة ألفا في رجب وألفا في صفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر والعصافير على الشجر لو توا على الملاعنة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير قال نقلت للمغيرة ان الناس يروون في حديث أهل نجران ان عليا كان معهم فقال أما الشعبي فلم يذكره فلا أدري لسوء رأي بني أمية في علي أو لم يكن في الحديث **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمره بما أمره به من ملاعنتهم ان ردوا عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى قال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا النبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم حتى يرى كم رأيه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد عن أبي الجارود عن زيد بن علي في قوله تعالى وأبناءكم الآية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فاخذ يعني النبي صلى الله عليه وسلم بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي اتبعنا فخرج معهم فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا انا نخاف أن يكون هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم وليس دعوة النبي كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو خرجوا لاحترقوا فصالحوه على صلح على ان له عليهم ثمانين ألفا فما عجزت الدراهم ففي العروض الحلة باربعين وعلى ان له عليهم ثلاثا وثلاثين درعا وثلاثا وثلاثين بغيرا وأربعة وثلاثين فرسا غازية كل سنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لها حتى تؤديها اليهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا وفد من وفد نجران من النصارى وهم الذين حاجوه في عيسى فنكصوا عن ذلك وخافوا ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده ان كان العذاب لقد تدلى على أهل نجران ولو فعلوا لاستوصلوا عن جديد الارض **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فمن حاجك فيه من بعد

والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي وجئتكم لأجله وفي الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي أو الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل ونطقا بأني قد جئتكم ونطقا بأني أصدق ما بين يدي وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس ورسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس لا الفرد لانه عدد أنواعا من الآيات ثم أبدل عن الآية قوله اني أخلق فمن قرأ بفتح الهمزة فهي وجهان أن يكون ان مع ما بعده مرفوعا أي هي اني أخلق ومن قرأ اني أخلق فالاستئناف أو للبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا أحسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير من هيأت الشيء أصلحته فانفخ فيه أي في ذلك الطير المصور أو الشيء المماثل كهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع ويروى انه خلق أنواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذ وا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله وبتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز أن يقال انه تعالى أودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشيء حيا وذلك انه تولد من نفخ جبريل في مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد أو يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت فاو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وأبرئ الاكمه والابرص ذهب أكثر أهل اللغة الى أن الاكمه هو الذي ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا رواه الخليل وعن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل وأما البرص فانه بياض يظهر في ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فتضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم حارا وهو داء عسير البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والاخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا ذاك اجر بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا أخذ جلده

المبتدا وان شئت أجريته على الاول وجعلته صفة مقدمة كأنها من سبب الاول فجرت عليه وذلك اذا جعلته في معنى مستوى والرفع وجه الكلام كما فسرت لك وقال بعض نحوي الكوفة سواء مصدر وضع موضع الفعل يعني موضع مستو ومتساو فمرة يأتي على الفعل ومرة على المصدر وقد يقال في سواء بمعنى عدل سوى سوى كما قال جل ثناؤه مكانا سوى وسوى يراد به عدل ونصف بيننا وبينك وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ ذلك الى كلمة عدل بيننا وبينك وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله الى كلمة سواء بيننا وبينكم بان السواء هو العدل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عدل بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ مثله وقال آخرون هو قول لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال أبو العالية كلمة السواء لا اله الا الله وأما قوله ألا نعبد الا الله فان أن في موضع خفض على معنى تعالوا الى أن لا نعبد الا الله وقد بينا معنى العبادة في كلام العرب فيما مضى ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن اعادته وأما قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا فان اتخاذ بعضهم بعضا هو ما كان بطاعة الاتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصي الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله كما قال جل ثناؤه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يقول لا يطع بعضنا بعضا في معصية الله ويقال ان تلك الربوبية أن تطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة وان لم يصلوا لهم وقال آخرون اتخاذ بعضهم بعضا أربابا سجود بعضهم لبعض حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله قال سجود بعضهم لبعض وأما قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فانه يعني فان تولى الذين تدعوهم الى الكلمة السواء عنها وكفروا فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم اشهدوا علينا بانا بما توليتم عنه من توحيد الله واخلاص العبودية له وأنه الاله الذي لا شريك له مسلمون يعني خاضعون لله به متذللون له بالاقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا وقد بينا معنى الاسلام فيما مضى ودللنا عليه بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) قال أبو جعفر يعني تعالى ذكره بقوله يا أهل الكتاب يا أهل التوراة والانجيل لم تحاجون لم تجادلون في ابراهيم وتخاصمون فيه يعني في ابراهيم خليل

المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال أبو مسلم معناه أنه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبا الى الكهولة فان التغير على الاله محال وقيل المراد أنه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي و بالنبوة قال الاصم المراد أنه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من أعجب الامور وأغربها ولا شك ان مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أول الناس بمعرفتها النصارى لانهم أفرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم أطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد أصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما

كان لله لانه على براءة مريم مما نسب اليها من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء ويتعذر ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القرآن بذلك ثم ختم أوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك أوصاف يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا وتشكيكا وانما أرادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق تفسيره الا أنه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا أتم وهو تخليق المولود بغير أب ولهذا أكده بقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه المبتدا ويحتمل أن يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه أمور أربعة أولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التوراة لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الخمسة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها ومابعده الى بني اسرائيل أي الى كافهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول أي ناطقا اني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف على قوله بآية أي مع آية

دعا يهود أهل المدينة الى ذلك فابوا عليه فجاهدهم قال دعاهم الى قول الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية ثم قال آخرون بل نزلت في الوفد من نصارى نجران ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة يعني وفد نجران حدثنا موسى قال ثنا اسباط عن السدي قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الوفد من نصارى نجران فقال يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قال يعني جل ثناؤه ان هذا لهو القصص الحق في عيسى على ما قد بيناه فيما مضى قال فابوا يعني الوفد من نجران فقال ادعهم الى أيسر من هذا قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فقرأ حتى بلغ أربابا من دون الله فابوا ان يقبلوا هذا ولا الآخر وانما قلنا عنى بقوله يا أهل الكتاب أهل الكتابين لانهما جميعا من أهل الكتاب ولم يخصص جل ثناؤه بقوله يا أهل الكتاب بعضا دون بعض فليس أن يكون موجها ذلك الى انه مقصود به أهل التوراة باولى منه بان يكون موجها الى انه مقصود به أهل الانجيل ولا أهل الانجيل باولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة واذ لم يكن أحد الفريقين بذلك باولى من الآخر لانه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ولا أثر صحيح فالواجب أن يكون كل كتابي معنيا به لان افراد العبادة لله وحده واخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهي من خلق الله وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الانجيل فكان معلوما بذلك انه عنى به الفريقان جميعا وأما تاويل قوله تعالوا فانه أقبلوا وهلموا وانما هو تفاعلوا من العلو فكان القائل لصاحبه تعال الى فانه تفاعل من العلو كما يقال تدانى مني من الدنو وتقارب مني من القرب وقوله الى كلمة سواء فانها الكلمة العدل والسواء من نعت الكلمة وقد اختلف أهل العربية في وجه اتباع سواء في الاعراب الكلمة وهو اسم لا صفة فقال بعض نحوي البصرة سواء لانها من صفة الكلمة وهي العدل وأراد مستوية قال ولو أراد استواء كان النصب وان شاء أن يجعلها على الاستواء ويجز جاز ويجعل من صفة الكلمة مثل الخلق لان الخلق هو المخلوق والخلق قد يكون صفة واسما ويجعل الاستواء مثل المستوى قال عز وجل الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان السواء الآخر وهو اسم ليس بصفة فيجري على الاول وذلك اذا أراد به الاستواء فان أراد به مستويا جاز أن يجري على الاول والرفع في ذا المعنى جيد لانها لا تغير عن حالها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث فاشبهت الاسماء التي هي مثل عدل ورضى وجنب وما أشبه ذلك وقالوا أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فالسواء للمحيا والممات بهذا

حرمنا عليهم طيبات أحللت لهم واستمر ذلك التحريم لمجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل ويجوز أن يكون تكريرا لقوله اني قد جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير أب فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات وأطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية ورد ما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم

القصة الخامسة ذكر عاقبة أمر عيسى ثم شرع في بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات (١٩٧) فهم بماذا عاملوه فقال فلما أحس

أي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس أو انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا نفافهم واختفى عنهم وكان أمر عيسى في قومه كامر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وأمه يسيحان في الارض فاتفق أنه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك أنه جعل على كل رجل منا يوما نطعمه ونسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله لينجي ذلك فقال عليه السلام يا أمي اني ان فعلت ذلك كان فيه شر

لا تعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم وأتتكم به رسل الله من عنده ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته فلم تحاجون بقول فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم يعني في الذي لا علم لكم به من أمر ابراهيم ودينه ولم تجدوه في كتب الله ولا أتتكم به أنبياؤه ولا شاهدتموه فتعلموه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم أما الذي لهم به علم فما حرم عليهم وما أمر وابه وأما الذي ليس لهم به علم فشأن ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم يقول فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا والله يعلم وأنتم لا تعلمون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله من أمر ابراهيم وغيره من الامور وفيما تجادلون فيه لانه لا يغيب عنه شئ ولا يعزب عنه علم شئ في السموات ولا في الارض وأنتم لا تعلمون من ذلك الا ما عاينتم فشاهدتم أو أدركتم علمه بالاخبار والسماع القول في تأويل قوله عز وجل (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وهذا تكذيب من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا في ابراهيم وملته من اليهود والنصارى وادعوا أنه كان على ملتهم وتنزيه لهم منه وأنهم لدينه مخالفون وقضاء منه عز وجل لاهل الاسلام ولامة محمد صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل دينه وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والاديان غيرهم يقول الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين الذين يعبدون الاصنام والاوثان ان مخلوقا دون خالقه الذي هو له الخلق وبارئهم ولكن كان حنيفا يعني متبعا أمر الله وطاعته مستقيما على محجة الهدى التي أمر بلزومها مسلما يعني خاشعا لله بقلبه متذللا له بجوارحه مذعنا لما فرض عليه وألزمه من أحكامه وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى الحنيف فيما مضى ودللنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم بما أغنى عن اعادته وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن شاهين الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال قالت اليهود ابراهيم على ديننا وقالت النصارى ابراهيم على ديننا فانزل الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية فاكذبهم الله وأدحض حجتهم يعني اليهود الذين ادعوا ان ابراهيم مات يهوديا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن موسى بن

فقالت قد أحسن وأكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجيء الملك فاعلمي فلما قرب مجيء الملك قام ولزم صومعته ثم أعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدر طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاءه الملك أكل وشرب وسأله من أين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى أخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى عليه السلام وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما أبالي ما كان فدعا الله فعاش الغلام لكلام عيسى عليه السلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار أمر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله صلى الله عليه وسلم وأظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين أنه هو المسيح المبشر به في التوراة وأنه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من أول الامر طالبين قتله قال من أنصاري الى الله قيل انه لما دعا عليه السلام بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه السلام فر منهم وأخذ يسيح في الارض فر بطائفة من صيادي السمك منهم

بالابهام والسبابة وأشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة تخرج منه دم أو رطوبة موروده ولاشك ان ابراءه مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز يروى وبما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه وعيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وأحيى الموتى أحياء عاذر او كان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت ليجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى أهله وبقى ولده قال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيى الاموات بياحى ياقيوم وكرر قوله باذن الله ورفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وأنبئكم بما تاكلون وماتدخرون فى بيوتكم قيل انه كان من أول أمره يخبر بالغيوب يروى السدى أنه كان يلعب مع الصبيان ثم كان عليه السلام يخبرهم بافعال آبائهم وأمهاتهم وكان عليه السلام يخبرهم بان أمك خبأت لك كذا فيرجع الصبى الى أهله ويبكى الى أن يأخذ ذلك الشئ فقالوا الصبيانهم لاتلعبوا مع الساحر (١٦٦) وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا فى البيت فقال عليه السلام فمن فى هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فاذاهم خنازير وقيل أن الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك أن القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من ادخر قلبت كل من التاء والذال دالا ثم أدغم واعلم أن الاخبار عما غاب مجز دال على أن ذلك الخبر صار معلوما بالوحى مالم يستعن فيه بآلة ولاتقديم مسئلة بخلاف مايقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من أحوال الكواكب أو الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر أنه لماذا أرسل فقال ومصدقا لما بين يدى من التوراة وذلك أنه يجب على كل نبى أن يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب

الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض فى بعثة عيسى عليه السلام تقرير أحكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا آخر فى بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وهذا لاينافض تصديقه لما فى التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التأبيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق فى وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة فى التوراة فمجىء عيسى يكون تصديقا لما فى التوراة وعن وهب بن منبه أن عيسى ماغير شيأ من أحكام التوراة وأنه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين أحدهما أن الاحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها وأعاد الامر الى ما كان والثانى ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا

الرحمن صلوات الله عليهم وكان حجاجهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين انه كان منهم وانه كان يدين دين أهل نحلته فعابهم الله عز وجل بادعائهم ذلك ودل على مناقضتهم ودعواهم فقال وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم وبينكم اما يهودية أو نصرانية واليهودى منكم يزعم أن دينه اقامة التوراة والعمل بما فيها والنصرانى منكم يزعم أن دينه اقامة الانجيل وما فيه وهذان كتابان لم ينزلا الا بعد حين من مهلك ابراهيم ووفاته فكيف يكون منهم فما وجه اختصامكم فيه وادعاؤكم انه منكم والامر فيه على ما قد علمتم وقيل نزلت هذه الآية فى اختصام اليهود والنصارى فى ابراهيم وادعاء كل فريق منهم انه كان منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون قالت النصارى كان نصرانيا وقالت اليهود كان يهوديا فاخبرهم الله ان التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده وبعده كانت اليهودية والنصرانية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم يقول لما تحاجون وتزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده فكانت اليهودية بعد التوراة وكانت النصرانية بعد الانجيل أفلا تعقلون وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى دعوى اليهود ابراهيم انه منهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى كلمة السواء وهم الذين حاجوا فى ابراهيم يهوديا فاكذبهم الله عز وجل ونفاهم منه فقال يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى محمد بن عمير قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم قال اليهود برأهم الله عز وجل منه حين ادعى كل أمة أنه منهم والحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله أفلا تعقلون فانه يعنى أفلا تعقلون تفقهون خطأ قيلكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وقد علمتم ان اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ۞ القول فى تاويل قوله (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم

منوا آمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثنى عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من أنت قال عيسى بن مريم قال فاني أترك ملكي فاتبعك فتبعه ذلك الملك مع أقاربه فاولئك هم الحواريون قال المقاتل يجوز أن يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا أنصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن أنصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه وأشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيامة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه أيضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك أو اكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا أظلم وقيل أصله من اجماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما تويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا أما مكرهم بعيسى عليه السلام فهو انهم هموا بقتله وأما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه وروي أن ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبريل لا يفارقه ساعة فامره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل من تلك الروزنة

الذين اتبعوه وهم المؤمنون ۞ القول في تاويل قوله (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) يعني بقوله جل ثناؤه ودت تمنت طائفة يعني جماعة من أهل الكتاب وهم أهل التوراة من اليهود وأهل الانجيل من النصارى لو يضلونكم يقول لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الاسلام ويردونكم عنه الى ما هم عليه من الكفر فيهلكونكم بذلك والاضلال في هذا الموضع الاهلاك من قول الله عز وجل وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد يعني أذا هلكنا ومنه قول الاخطل في هجاء جرير

كنت القذى في موج أكدر مزبد * قذف الأتي به فضل ضلالا

يعني هلك هلا كا وقول نابغة بني ذبيان

فآب مضاوه بعين جلية * وغودر بالخذلان حزم ونائل

يعني مهلكوه وما يضلون الا أنفسهم وما يهلكون بما يفعلون من محاولتهم صدكم عن دينكم أحدا غير أنفسهم يعني بانفسهم تباعهم وأشياعهم على ملتهم وأديانهم وانما أهلكوا أنفسهم وتباعهم بما حاولوا من ذلك لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه واستحقاقهم به غضبه ولعنته لكفرهم بالله ونقضهم الميثاق الذي أخذ الله عليهم في كتابهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه والاقرار بنبوته ثم أخبر جل ثناؤه عنهم انهم يفعلون ما يفعلون من محاولة صد المؤمنين عن الهدى الى الضلالة والردى على جهل منهم بما الله بهم محل من عقوبته ومدخر لهم من أليم عذابه فقال تعالى ذكره وما يشعرون أنهم لا يضلون الا أنفسهم بمحاولتهم اضلالكم أيها المؤمنون ومعنى قوله وما يشعرون وما يدرون ولا يعلمون وقد بينا تاويل ذلك بشواهده في هذا الموضع فاغنى ذلك عن اعادته ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) يعني بذلك جل ثناؤه يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون يقول لم تجحدون بآيات الله يعني بما في كتاب الله الذي أنزله اليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته وأنتم تشهدون أنه حق من عند ربكم وانما هذا من الله عز وجل توبيخ لاهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حق وأنه من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد في كتابكم ثم تكفرون به ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والانجيل النبي الامي حدثني

شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال عيسى عليه السلام انكم تصيدون السمك فهل لكم أن تسيروا بحيث تصيدون الناس لحياة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فى الماء فاصطاد شيأ فامره عيسى عليه السلام بالقاء شبكته فى الماء مرة أخرى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه فى آخر أمره للقتل وكان هو فى الهرب منهم قال لاولئك الاثنى عشر من الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة على أن يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى فى انجيلهم أن اليهود لما أخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم أدنى عليه السلام أذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل أن المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه عليه السلام وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال فى موضع آخر

عقبة عن سالم بن عبد الله لا أراه الا يحدثه عن أبيه ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينه وقال انى لعلى أن أدين دينكم فاخبرنى عن دينكم فقال اليهودى انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيأ أبدا وانا لا أستطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا قال ما أعلمه الا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يك يهوديا ولا نصرانيا وكان لا يعبد الا الله فخرج من عنده فلقى عالما من النصارى فسأله عن دينه فقال انى لعلى أن أدين دينكم فاخبرنى عن دينكم قال انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال لا أحمل من لعنة الله شيأ ولا من غضب الله شيأ أبدا وانا لا أستطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا فقال له نحوا مما قاله اليهودى لا أعلمه الا أن تكون حنيفا فخرج من عندهم وقد رضى الذى أخبراه والذى اتفقا عليه من شأن ابراهيم فلم يزل رافعا يديه الى الله وقال اللهم انى أشهدك انى على دين ابراهيم

القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) يعنى جل ثناؤه بقوله ان أولى الناس بابراهيم أن أحق الناس بابراهيم ونصرته وولايته للذين اتبعوه يعنى الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوحدوا الله مخلصين له الدين وسنوا سننه وشرعوا شرائعه وكانوا الله حنفاء مسلمين غير مشركين به وهذا النبى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا يعنى والذين صدقوا محمدا بما جاءهم به من عند الله والله ولى المؤمنين يقول والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين له فى نبوته وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهل الملل والاديان وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته وهذا النبى وهو نبى الله محمد والذين آمنوا معه وهم المؤمنون الذين صدقوا نبى الله واتبعوه كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين أولى الناس بابراهيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن المثنى وجابر بن الكردى والحسن بن أبى يحيى المقدسى قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان ولى منهم أبى وخليل ربى ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن عبد الله أراه قال عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس يقول الله سبحانه ان أولى الناس بابراهيم

فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياى وقيل من أنصارى الى الله أن أظهر دين الله فالجار على القولين من صلة أنصارى مضمنا معنى الاضافة وقيل من أنصارى حال ذهابى الى الله أو حال التجائى اليه وقيل من أنصارى فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك ولك أى تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى فى أى فى سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن أنصار الله أعوان دينه ورسوله وحوارى الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها الحوارى واحد ونظيره الحوالى للذين وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة أخلاقهم ومنه قولهم فلان نقى الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذى يغسل الثياب يسمى بلغة النبط حوارى فعرب واما أن الحواريين من هم نفسل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان أمه دفعته الى صباغ فكان اذا أراد أن يعلمه شيأ كان هو أعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة فقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كونى باذن الله كما أريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال قد أفسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون

وأرفعك عن الارض فيكون من باب اطلاق الشئ على ما يشابهه في أكثر أوصافه وسعاده توفيك أي متوفي عمرك ورافع طاعتك فكأنه بشره بقبول طاعته وأن ما وصل اليه من المتاعب في تشييد دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع أجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتأخير فان الواو لا تقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك أما قوله ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابراهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام وقد سمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم أو المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية تولتى (٢٠١) سلم أنه تعالى يمكن أن يكون في مكان

من الحق حق وأنه من عند الله وهذا اقرار من الله عز وجل خبر عن تعمد أهل الكتاب الكفر به وكتمانهم ما قد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجدوه في كتبهم وجاءتهم به أنبياؤهم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) اختلف أهل التأويل في صفة المعنى الذي أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الايمان وجه النهار وكفر آخره فقال بعضهم كان ذلك أمر امنهم اياهم بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته وما جاء به من عند الله وأنه حق في الظاهر من غير تصديقه في ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك وبالكفر وجحود ذلك كله في آخره ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره فقال بعضهم لبعض أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار واكفروا آخره فانه أجدران يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن حصين عن أبي مالك في قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون معكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبرا فقال البعضهم ادخلوا في دين محمد أول النهار وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق فاذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا انا رجعنا الى علمائنا وأحبارنا فسألناهم فحدثونا أن محمدا كاذب وأنتم لستم على شئ وقد رجعنا الى ديننا فهو أعجب الينا من دينكم لعلهم يشكون يقولون هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم فاخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن حصين عن أبي مالك الغفاري قال قالت اليهود بعضهم لبعض أسلموا أول النهار وارتدوا آخره لعلهم يرجعون فاطلع الله على سرهم فانزل الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وقال آخرون بل الذي أمرت به من الايمان الصلاة وحضورها معهم أول النهار وتترك ذلك آخره ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار يهود صلت مع محمد صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد ان كانوا اتبعوه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بمثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت

فليس رفع عيسى عليه السلام الى ذلك المكان سببا لبشارته مالم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو أن يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان لله تعالى ثم انه كما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا أي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيامة ولعمري انه كذلك فلا ترى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على أنا نقول المراد بمتبعي المسيح هم

 الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد أو المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليها شكالات الاول أنه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رأيت ولدي ثم رأيته ثانيا فحينئذ أجوز أن هذا الذي رأيته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان آخر ألقى شبهه عليه وكذا الصحابة الذين رأوا محمدا يأمرهم وينهاهم احتمل أن يكون محمد انسانا آخر ألقى شبهه عليه وأنه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على أن يكون المخبر الاول انما أخبر عن المحسوس وأنتم جوزتم وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره ابطال النبوات الثاني أن جبريل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي

وكان قد ألقى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله فأخذوه وصلبوه فتفرق الحاضرون ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب إلى السماء وقالت فرقة كان ابن الله وأخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل إن الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عليه السلام وذكر محمد بن اسحق أن اليهود عذبوا الحواريين بعد أن رفع عيسى فشمر وهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل إنه قتل رجلا من بني اسرائيل ممن يحب أمرك وكان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث إلى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل (٢٠٠) النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طبارس وهو صار نصرانيا الا أنه ما أظهر ذلك ثم

انه جاء بعد ملك آخر يقال له طيطس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من أربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء أمره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته وقهر بالذل أعداءهم اليهود والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم أن المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله تعالى محال فالغلط اذن من المتشابهات فيجب أن يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع في حق الله تعالى الا أنه قد اختص في العرف من بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذا قال الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله أو مفعول اذكر يا عيسى اني متوفيك أي متمم عمرك وعاصمك من أن يقتلك الكفار الآن بل أرفعك الى سمائي وأصونك من أن يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك أي مميتك كيلا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أرفعك الي وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلاث ساعات ثم رفع وأحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه وقال الربيع بن أنس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب أخذا من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي أخذ الشيء وافيا أي آخذك بروحك وبجسدك جميعا فارفعك الى دفعا لوهم من يتوهم انه أخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان أي استوفيته وقيل أجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره

محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون آيات الله محمد وأما تشهدون فيشهدون أنه الحق يجدونه مكتوبا عندهم **حدثنا** الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ان الدين عند الله الاسلام ليس لله دين غيره ۞ القول في تاويل قوله (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) يعني بذلك جل ثناؤه يا أهل التوراة والانجيل لم تلبسون يقول لم تخلطون الحق بالباطل وكان خلطهم الحق بالباطل اظهارهم بالسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما صنع فيرجعوا عن دينهم فأنزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الى قوله والله واسع عليم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل يقول لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره الاسلام ولا يجزي الا به **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال الذي لا يقبل من أحد غير الاسلام ولم يقبل ولا يجزي الا به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الاسلام باليهودية والنصرانية وقال آخرون في ذلك بما **حدثني** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل لم تلبسون الحق بالباطل قال الحق التوراة التي أنزل الله على موسى والباطل الذي كتبوه بايديهم قال أبو جعفر وقد بينا معنى اللبس فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تاويل قوله (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ولم تكتمون يا أهل الكتاب الحق والحق الذي كتموه ما في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون كتموا شأن محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون يقول يكتمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج تكتمون الحق الاسلام وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعلمون أن محمدا رسول الله وأن الدين الاسلام وأما قوله وأنتم تعلمون فانه يعني به وأنتم تعلمون أن الذي تكتمونه

وتلاوته صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والله ذكر الحكيم القرآن ووصف بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه أو هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى أن الاحكام تستفاد منه أو بمعنى المحكم أحكمت آياته أي عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء أخبر أنه تعالى أنزل هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال صلى الله عليه وسلم وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فان كنت صادقا فأرنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم أي حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه أن كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير أب وأم أغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي أن يكون أقوى حالا من المشبه (٢٠٣) في وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله

ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن تبع اليهودية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن آمن بدينكم لا من خالفه فلا تؤمنوا به ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) اختلف أهل التأويل في تاويل ذلك فقال بعضهم قوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض به في وسط الكلام خبر من الله عن ان البيان بيانه والهدى هداه قالوا وسائر الكلام بعد ذلك متصل بالكلام الاول خبر عن قيل اليهود بعضها لبعض يعني الكلام عندهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم أي ولا تؤمنوا ان يحاجكم أحد عند ربكم ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وان الهدى هدى الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حسدا من يهود أن تكون النبوة في غيرهم وارادة أن يتبعوا على دينهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ وقال آخرون تاويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان البيان بيان الله أن يؤتى أحد قالوا ومعناه لا يؤتى أحد من الامم مثل ما أوتيتم كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى لا تضلوا وكقوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى أن لا يؤمنوا مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيت أنت يا محمد وأمتك من الاسلام والهدى ان يحاجوكم عند ربكم قالوا ومعنى أو الا أي الا أن يحاجوكم يعني الا ان يحاجلوكم عند ربكم بما تفعل بهم ربكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيتم يا محمد أو يحاجوكم عند ربكم تقول اليهود فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة حتى أنزل علينا المن والسلوى فان الذي أعطيتكم أفضل فقولوا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الآية فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه والهدى الثاني رد على الهدى الاول وان في موضع رفع على انه خبر عن الهدى وقال آخرون بل هذا أمر من الله لنبيه أن يقوله لليهود وقالوا تاويله قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم يقول مثل الذي أوتيتموه أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله ومثل نبيكم فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثل الذي أعطيتكم من فضلي فان الفضل بيدي أوتيه من أشاء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم

خلقه من تراب أي قدره جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمي آدم لانه خلق من أديم الارض كلها أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم أعجمي كآزر ووزنه فاعل لا أفعل والضمير عائد الى آدم الموجود كقولك هذا الكون أصله من الطين ثم قال له أي لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر وانما لم يقل فكان اما لانه حكاية حال ماضية واما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله

فاضربها بلا دهش فخرت
أو المراد اعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر عن المخبر كقول القائل أعطيت زيدا ألفا اليوم ثم أنا أعطيته أمس ألفين أي ثم أنا أخبركم اني اعطيته أمس ألفين فكذا قوله خلقه من تراب أي صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم أنه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء انما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون أشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي أضوأ الاجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو أرق الاجرام وأعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من أمواج مياه البحار وأبقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الاجرام فآتاه النور والهدايا وتوكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على أنه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا مزاج وعلاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا تتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج

لاهل الارض فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على امانة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقتل والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث أنه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان يرفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع أن ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا أن المصلوب هو عيسى وأنه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع أن النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى أخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول أن كل من أثبت القادر المختار سلم أنه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث أن ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور وقد أزاله تلامذة عيسى الحاضرون منه انعالمون بالواقعة وعن الرابع أنه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روى أن الذي ألقي عليه شبه كان من خواص أصحابه فلهذا صبر على أنا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عنه فهذه الاحتمالات تمنع أن تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية قال ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين وبين الجاحدين وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة وأنواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل السيء مكان العمل الصالح وذلك أن المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو وان أراد كفر الكافر الا أنه لم يوصل الثواب اليه وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى أنه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذي سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك والتلاوة والقص كلاهما يؤول الى معنى واحد وهو ذكر الشيء بعضه على أثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الآيات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل أن يراد أنه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها خبار لا يعلمها الا قارئ كتاب أو من يوحى اليه وظاهر أنك لا تكتب ولا تقرأ فبقي أن يكون من الوحي ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي

طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار الآية وذلك أن طائفة من اليهود قالوا اذا لقيتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار فآمنوا واذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا لعلهم ينقلبون عن دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتأويل الكلام اذا وقالت طائفة من أهل الكتاب يعني من اليهود الذين يقرؤن التوراة آمنوا صدقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق وشرائعه وسننه وجه النهار يعني أول النهار وسمي أوله وجهه لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه منه كما يقال لاول الثوب وجهه وكما قال ربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجه النهار أول النهار حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وجه النهار أول النهار واكفروا آخره يقول آخر النهار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره قال قالوا صلوا معهم الصبح ولا تصلوا معهم آخر النهار لعلكم تسترلونهم بذلك وأما قوله واكفروا آخره فانه يعني به انهم قالوا واجحدوا ما صدقتم به من دينهم في وجه النهار في آخر النهار لعلهم يرجعون يعني بذلك لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قتادة لعلهم يرجعون يقول لعلهم يدعون دينهم ويرجعون الى الذي أنتم عليه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لعلهم يرجعون لعلهم ينقلبون عن دينهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي لعلهم يرجعون لعلهم يشكون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لعلهم يرجعون قال يرجعون عن دينهم ۞ القول في تأويل قوله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم فكان يهوديا وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لاخوانهم من اليهود آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واللام التي في قوله لمن تبع دينكم نظيرة اللام التي في قوله عسى أن يكون ردف لكم بمعنى ردفكم بعض الذي تستعجلون وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا قول بعضهم لبعض حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد ابن

فكان قد بقي عليه اسم المسيح أي الممسوح وكهلا أي حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في أرضه قابل لجميع أنوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التي هي من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر ولاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول أنوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي صلى الله عليه وسلم آيات المعجزات وعلى الولي أمارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى ألقاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل أنوار الصفات في بدو أمره فكلم الناس في المهد ويكتب (٢٠٥) ويقرأ التوراة والانجيل من غير تعلم

قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج في قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء قال الاسلام ۞ القول في تأويل قوله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني بقوله يختص برحمته من يشاء يفتعل من قول القائل خصصت فلانا بكذا أخصه به وأما رحمته في هذا الموضع فالاسلام والقرآن مع النبوة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يختص برحمته من يشاء قال النبوة يخص بها من يشاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يختص برحمته من يشاء قال يختص بالنبوة من يشاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج يختص برحمته من يشاء قال القرآن والاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج مثله والله ذو الفضل العظيم يقول ذو فضل يتفضل به على من أحب وشاء من خلقه ثم وصف فضله بالعظيم فقال فضله عظيم لانه غير مشبه في عظم موقعه ممن أفضله عليه افضال خلقه ولا يقارنه في جلالة خطره ولا يدانيه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما) وهذا خبر من الله عز وجل ان من أهل الكتاب وهم اليهود من بني اسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ومنهم الخائن أمانته الفاجر في يمينه المستحل فان قال قائل وما وجه اخبار الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الناس لم يزالوا كذلك منهم المؤدي أمانته والخائنها قيل انما أراد جل وعز باخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم ان يأتمنوهم أموالهم وتخويفهم الاغترار بهم لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين فتأويل الكلام ومن أهل الكتاب الذي ان تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤده اليك ولا يخنك فيه ومنهم الذي ان تأمنه على دينار يخنك فيه فلا يؤده اليك الا ان تلح عليه بالتقاضي والمطالبة وبا في قوله بدينار وعلى متقاربات في هذا الموضع كما يقال مررت به ومررت عليه واختلف أهل التأويل في تأويل قوله الا ما دمت عليه قائما فقال بعضهم الا ما دمت له متقاضيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا ما دمت عليه قائما الا ما طلبته واتبعته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا ما دمت عليه قائما قال تقتضيه اياه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا ما دمت عليه قائما قال مطالبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون معنى ذلك الا ما دمت عليه قائما على رأسه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال

بحي ويبرئ الى غير ذلك من الآيات فلما أحس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما أحس من النفس وصفاتها الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن أنصار الله آمنا بالله أي بوحدانيته والتبرئ عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما أنزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات ألطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا أي النفس وصفاتها والشياطين وأتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى جذبات العناية كما أسري بعبدنا الى قاب قوسين أو أدنى ومن خواص الجذبة الربوبية خود الصفات البشرية ثم الى مرجعكم باللطف أو القهر بالاختيار على قدم السلوك أو بالاضطرار عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون أنفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك لكنه أجراها في تكوين آدم من تراب بلا أب وأم وخلق حواء منه بلا أم وخلق عيسى بن مريم بلا أب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما بانف من قال بالايجاب في الايجاب فلا تكن من الممترين نهي الكينونة قاله في الازل فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز

بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا انى خالق بشرا من طين ثم انه تسلى من ألطف أجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم سنه وغير رائحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون عن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى عليه السلام قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق يعنى الذى أنبأتك من شأن عيسى لا الذى اعتقد النصارى فيه أنه اله ولا الذى يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار أو الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانبارى أصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك (٢٠٤) يجتذب بشكه شرا وفى هذا النهى ترغيب له فى زيادة الثبات والطمأنينة ولطف للامة

وقد مر نظائره فى سورة البقرة * التأويل الاصطفاء ثلاثة أنواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن جنس حين خلقه وأسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله * لولاك لما خلقت الافلاك * وقال صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائى واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى انى اصطفيتك على الناس ولم يرد ان الله اصطفاك لاصطفائك اياه وطهرك عن الالتفات لغيره واصطفاك على نساء العالمين لنيل درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شأن النساء ان الله يشرك بكلمة كل صنف من أصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من أصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه مخلق نسخة العالم بما فيه قال فيه فهو أيضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه مخص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربى بتربية أرباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم أعنى الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال فى بدء أمره وقد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال فى المهد انى عبد الله آتانى الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت أنا وجنينى حدثته وحدثنى فاذا شغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع وسمى المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات فرياته لم يرده الى مقامه كما جاء فى الخبر ان الله تعالى أذن للذرات بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى ألقاها الى مريم

يقول لما أنزل الله كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك قل ان الفضل بيد الله الآية حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقال آخرون بل تأويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله قالوا وهذا آخر القول الذى أمر الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود من هذه الآية قالوا وقوله أو يحاجوكم مردود على قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وتأويل الكلام على قول أهل هذه المقالة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتتركوا الحق أن يحاجوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه فاخترتموه انه محق وانكم تجدون نعته فى كتابكم فيكون حينئذ قوله أو يحاجوكم مردودا على جواب تهى مترك على قول هؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول هذا الامر الذى أنتم عليه ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قال قال بعضهم لبعض لا تخبروهم بما بين الله لكم فى كتابه يحاجوكم قال ليخاصموكم به عند ربكم قل ان الهدى هدى الله معترض به وسائر الكلام متسق على ميثاق واحد فيكون تأويله حينئذ ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بمعنى لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم بمعنى أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بايمانكم لانكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم فيكون الكلام كله خبرا عن قول الطائفة التى قال الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار سوى قوله قل ان الهدى هدى الله ثم يكون الكلام مبتدأ بتكذيبهم فى قولهم قل يا محمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التى وصفت لك قولها اتباعها من اليهود ان الهدى هدى الله ان التوفيق توفيق الله والبيان بيانه وان الفضل بيده يؤتيه من يشاء لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود وانما اخترنا ذلك من سائر الاقوال التى ذكرناها لانه أصحها معنى وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب وأشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد الكلام * القول فى تأويل قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت قولهم لاوليائهم ان الفضل بيد الله ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله واليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من يشاء من خلقه يعنى يعطيه من أراد من عباده تكذيبا من الله عز وجل لهم فى قولهم لتباعهم لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ليس ذلك اليكم انما هو الى الله الذى بيده الاشياء كلها واليه الفضل وبيده يعطيه من يشاء والله واسع عليم يعنى والله ذو سعة بفضله على من يشاء ان يتفضل عليه عليم ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر

والذي نفسي بيده ان الهلاك قد دنا على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروى عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي عليه السلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي والتنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل تعال علوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على أعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان أي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ندع (٢٠٧) أبناءنا وأبناءكم أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم أعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا أي لعنته ويقال بهله الله أي لعنه وأبعده من رحمته ومنه قولهم أبهله اذا أهمله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها وأخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا أصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الآية لئلا يلزم التكرار أي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله ان يلعنه وفي الآية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم عد ان يدعو أبناءه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا أفضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفسه على مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلما الاثني عشرية يزعم ان عليا أفضل من سائر الانبياء سوى محمد قال ورذلك أنه ليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره وأجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن أبي طالب فاذا نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا علي عليه السلام قال ويؤكده ما رويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن

قالوا ليس علينا في الاميين سبيل قال بايع اليهود رجال من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم فقالوا ليس لكم علينا أمانة ولا قضاء لكم عندنا لانكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فقال الله عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن صعصعة قال قلت لابن عباس انا نغزو أهل الكتاب فنصيب من ثمارهم قال وتقولون كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق الهمداني عن صعصعة ان رجلا سأل ابن عباس فقال انا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة فقال ابن عباس فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم الا بطيب أنفسهم ۞ القول في تاويل قوله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ان القائلين منهم ليس علينا في أموال المؤمنين من العرب حرج ان نحن نالناهم اياد يقولون بقيلهم ان الله أحل لنا ذلك فلا حرج علينا في خيانتهم اياه وترك قضائهم الكذب على الله عامدين الاثم بقيل الكذب على الله أنه أحل ذلك لهم وذلك قوله عز وجل وهم يعلمون كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي فيقول على الله الكذب وهو يعلم يعني الذي يقول منهم اذا قيل له مالك لا تؤدي أمانتك ليس علينا حرج في أموال العرب قد أحلها الله لنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني ادعاءهم انهم وجدوا في كتابهم قولهم ليس علينا في الاميين سبيل ۞ القول في تاويل قوله (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) وهذا اخبار من الله عز وجل عمن أدى أمانته الى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته عنده فقال جل ثناؤه ليس الامر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود من انه ليس عليهم في أموال الاميين حرج ولا اثم ثم قال بلى ولكن من أوفى بعهده واتقى يعني ولكن الذي أوفى بعهده وذلك وصيته اياهم التي أوصاهم بها في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به والهاء في قوله من أوفى بعهده عائدة على اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب يقول بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به وبما جاءه به من الله من أداء الامانة الى من ائتمنه عليها وغير ذلك من أمر الله ونهيه واتقى يقول واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التي حرمها عليه فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه فان الله يحب المتقين يعني فان الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم ويطيعونه فيما أمرهم به وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول هو اتقاء الشرك

الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أيها الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) * القراآت ها أنتم بالمد وغير الهمزة حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وروى ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ها أنتم على (٢٠٦) وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز * الوقوف الكاذبين ه القصص الحق ج ط الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط لتناهى جملة واقية الى ابتداء شرط مسلمون ه من بعده ط تعقلون ه ليس لكم به علم ط لا تعلمون ه مسلما ط المشركين ه والذين آمنوا ط المؤمنين ه لو يضلونكم ط يشعرون ه تشهدون ه تعلمون ه * التفسير روى انه صلى الله عليه وسلم لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم أصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله أمرنى ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فان أبيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا قالوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه صلى الله عليه وسلم مرط من شعر اسود وكان صلى الله عليه وسلم قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه صلى الله عليه وسلم وعلى عليه السلام خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو دعت الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال صلى الله عليه وسلم فانى أناجزكم أى أحاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفى حلة ألفا فى صفر وألفا فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم

ثنا اسباط عن السدى قوله الا مادمت عليه قائما يقول يعترف بامانته مادمت قائما على رأسه فاذا قمت ثم جئت تطلبه كافرك الذى يؤدى والذى يجحد وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك الا مادمت عليه قائما بالمطالبة والاقتضاء من قولهم قام فلان بحق على فلان حتى استخرجه لى أى عمل فى تخليصه وسعى فى استخراجه منه حتى استخرجه لان الله عز وجل انما وصفهم باستحلالهم أموال الاميين وان منهم من لا يقضى ما عليه الا بالاقتضاء الشديد والمطالبة وليس القيام على رأس الذى عليه الدين بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحل ولكن قد يكون مع استحلاله الذهاب بما عليه لرب الحق الى استخراجه السبيل بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة فذلك الاقتضاء هو قيام رب المال باستخراج حقه ممن هو عليه ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى بذلك جل ثناؤه ان من استحل الخيانة من اليهود وجحود حقوق العربى التى هى له عليه فلم يرد ما ائتمنه العربى عليه اليه الا مادام له متقاضيا مطالبا من أجل انه يقول لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا اثم لانهم على غير الحق وانهم مشركون واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل الآية قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ليس علينا فى الاميين سبيل قال ليس علينا فى المشركين سبيل يعنون من ليس من أهل الكتاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال يقال له ما بال لا تؤدى أمانتك فيقول ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير لما نزلت ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ما من شئ كان فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عبيد الله عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير قال لما قالت اليهود ليس علينا فى الاميين سبيل يعنون أخذ أموالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال الا وهو تحت قدمى هاتين الا الامانة فانها مؤداة ولم يزد على ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل وذلك ان أهل الكتب كانوا يقولون ليس علينا فى الاميين سبيل الى آخر الآية وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك بانهم

والانصاف لان سبيله الانصاف فطلبه انصف وفيه التسوية بين المتساويين ما جبر والمراد في كلمة سواء مستو يه بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة بقوله أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فصل أن لا نعبد خفض على البدل من كلمة أو رفع على الخبر أي هي أن لا نعبد وانما ذكر أمورا ثلاثة لان النصارى جمعوا بين الثلاثة فعبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به غيره لانهم أثبتوا أقانيم ثلاثة أبا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان أقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح وأقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلتين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث أثبتوا ثلاثة ذوات مستقلة فقد أشركوا ثم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا لانهم أطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم من غير شريعة بتوبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهوى النفس وروية (٢٠٩) الامور من الوسائط أفرأيت من اتخذ

حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا جرير بن حازم عن عدي بن عدي عن رجاء بن حيوة والغرض انهما حدثاه عن أبيه عدي بن عمير قال كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومة فارتفعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الحضرمي بينتك والا فيمينه قال يا رسول الله ان حلف ذهب بارضي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان فقال امرؤ القيس يا رسول الله فما لمن تركها وهو يعلم انها حق قال الجنة قال فاني أشهدك اني قد تركتها قال جرير فكنت مع أبي بردة الكعبتاني حين سمعنا هذا الحديث من عدي فقال أبو بردة ان عديا قال في حديثه العرس بن عمير فنزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية قال جرير ولم احفظها ومنذ من عدي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال آخرون أن الاشعث بن قيس اختصم هو ورجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض كانت في يده لذلك الرجل أخذها التعزية في الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقم بينتك قال الرجل ليس يشهد لي أحد على الاشعث قال فلك يمينه فقام الاشعث ليحلف فانزل الله عز وجل هذه الآية فنكل الاشعث وقال اني أشهد الله وأشهدكم ان خصمي صادق فرد اليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة مخافة ان يبقى في يده شئ من حقه فهي لعقب ذلك الرجل بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية ثم ان الاشعث بن قيس خرج الينا فقال ما حدثكم أبو عبد الرحمن حدثناه بما قال فقال صدق اني أنزلت كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله عز وجل تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية * وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال أخبرني داود بن أبي هند عن عامر ان رجلا أقام سلعته أول النهار فلما كان آخره جاء رجل يساومه فحلف لقد منعها أول النهار من كذا ولولا المساء ما باعها به فأنزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية الى ولهم عذاب أليم أنزلهم الله بمنزلة السحرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عمران بن حصين كان يقول من حلف على يمين فاجرة يقتطع بها مال أخيه فليتبوأ مقعده من النار

الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه أثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم أثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلاثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قيل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشتراك أيضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب أن لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والائتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم هو ذاك وعن

الغضيل لا أبالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب المغلوب في جدال أو صراع لزمتك الحجة فاعترف بانى أنا الغالب أو يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث أعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده فكيف يعقل أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يقال هذا أيضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابراهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما أنزل بعده بزمان أطول مما بينه وبين انزال التوراة والانجيل لانا نقول القرآن أخبر بان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين انه كان يهوديا أو نصرانيا فظهر الفرق وأيضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابراهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وأيضا النسخ في دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابراهيم ها أنتم

أبي طالب عليه السلام فدل الحديث على انه اجتمع فيه عليه السلام ما كان متفرقا فيهم وأجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبي وأجمعوا على ان عليا عليه السلام ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وسلم فكذا في حق سائر الانبياء وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها أيضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض أعز بنه وخويصته وأفلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستئصال ولولا ان القوم عرفوا من التوراة والانجيل ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لما احجموا عن مباهلته وأما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة (٢٠٨) فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا يأذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح ويعود على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان قولوا بما وصفت من التوحيد وان الله الخلق يجب أن يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك منهم وفوض أمرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم وأغراضهم الفاسدة فحاجزيهم بأعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما أورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية أمره الله تعالى بنمط آخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا أهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف تخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روى ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا البعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن عن ابن عباس قوله بلى من أوفى بعهده واتقى يقول اتقى الشرك ان الله يحب المتقين يقول الذين يتقون الشرك وقد بينا اختلاف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول فيه بالادلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يستبدلون بنركهم عهد الله الذي عهد اليهم ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله الى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه والاقرار به وما جاءه من عند الله و بأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرم الله عليهم من أموال الناس التي ائتمنوا عليها ثمنا يعني عوضا بدلا خسيسا من عرض الدنيا وحطامها أولئك لا خلاق لهم في الآخرة يقول فان الذين يفعلون ذلك لا حظ لهم في خيرات الآخرة ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعد الله لاهلها فيها دون غيرها وقد بينا خلاف أهل التأويل فيما مضى في معنى الخلاق ودللنا على أولى أقوالهم في ذلك بالصواب بما فيه الكفاية وأما قوله ولا يكلمهم الله فانه يعني ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يقول ولا يعطف عليهم بخير معتمن الله لهم كقول القائل لآخر انظر الي نظر الله اليك بمعنى تعطف علي تعطف الله عليك بخير ورحمة وكما يقال للرجل لاسمع الله لك دعاءك يرادلا استجاب الله لك والله لا يخفى عليه خافية وكما قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أني لا * يكون الله يسمع ما أقول

وقوله ولا يزكيهم يعني ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ولهم عذاب أليم يعني ولهم عذاب موجع واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ومن عنى بها فقال بعضهم نزلت في أحبار من أحبار اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وقال آخرون بل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب سالم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فقال الاشعث بن قيس في والله كان ذلك كان بيني و بين رجل من اليهود ارض فجحدني فتقدمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألك بينة قلت لا فقال لليهودي احلف قلت يا رسول اذا يحلف فيذهب مالي فانزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية حدثنا

جعفر فقال النجاشي ثم ملئ حلوا بإيمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما يمنعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحيى بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن علينا حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك أهل الارض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فرهذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل أعبيد نحن أم أحرار فان كنا (٢١١) عبيدا بقنا من أربابنا فاردد نا اليهم فقال النجاشي أعبيدهم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما أهل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطالبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه أصدقني قال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة وأما الدين الذي تحولنا اليه

يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وهم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم وذلك تحريفهم اياه عن موضعه وأصل اللي الفتل والقلب من قول القائل لوى فلان يد فلان اذا فتلها وقلبها ومنه قول الشاعر * لوى يده الله الذي هو غالبه * يقال منه لوى يده ولسانه يلوي ليا ولوى ظهر فلان أحدا اذا لم يصرعه أحد ولم يفتل ظهره انسان ولا لوى بعيد المستمر اذا كان شديد الخصومة صابرا عليها لا يغلب فيها قال الشاعر

فلو كان في ليلى سدى من خصومة * للويت أعناق الخصوم الملاويا

القول في تأويل قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) يعني بذلك جل ثناؤه وما ينبغي لاحد من البشر والبشر جمع بني آدم لا واحد له من لفظه مثل القوم والخلق وقد يكون اسما لواحد أن يؤتيه الله الكتاب يقول أن ينزل الله عليه كتابه والحكم يعني ويعلمه فصل الحكمة والنبوة يقول ويعطيه النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله يعني ثم يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد أتاه الله ما أتاه من الكتاب والحكم والنبوة ولكن اذا أتاه الله ذلك فانما يدعوهم الى العلم بالله ويحذرهم على معرفة شرائع دينه وأن يكونوا ربانيين في المعرفة بأمر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته بكونكم معلمي الناس الكتاب وبكونكم دارسيه وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أتدعونا الى عبادتك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني أو كما قال فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الآية الى قوله بعد اذ أنتم مسلمون حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي فذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله يقول ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يأمر عباده أن يتخذوه ربا من

فدين الله الاسلام جاء نابه من الله رسول في كتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيأ مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما أتى ذكر مريم وعيسى رفع

هؤلاء حرف التنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وجاجتم جملة مستأنفة مبينة للأولى يعني أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة إنما أراد هب أنكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كان حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وأنتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا أو عرض بالمشركين عن اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزير والمسيح فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان أردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان (٢١٠) أردتم به الموافقة في الفروع لزم أن لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح أفعالهم أو الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز أن الله تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابراهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر وما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا بمن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا وأهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي آرائكم

فقال له قائل شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم لتجدون ذلك ثم قرأ هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا حسين بن علي عن زائدة عن هشام قال قال محمد بن عمران بن حصين من حلف على يمين مصبورة فليتبوأ بوجهه مقعده من النار ثم قرأ هذه الآية كلها ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال ان اليمين الفاجرة من الكبائر ثم تلا ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عبد الله ابن مسعود كان يقول كنا نرى ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنب الذي لا يغفر يمين الصبر اذا فجر فيها صاحبها ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وان من أهل الكتاب وهم اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده من بني اسرائيل والهاء والميم في قوله منهم عائدة على أهل الكتاب الذين ذكرهم في قوله ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك وقوله لفريقا يعني جماعة يلوون يعني يحرفون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي يحرفونه لكلامهم من كتاب الله وتنزيله يقول الله عز وجل وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله ويزعمون ان ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فالحقوه في كتاب الله من عند الله يقول مما أنزله الله على أنبيائه وما هو من عند الله يقول وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فاحدثوه مما أنزله الله الى أحد من أنبيائه ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم افتراء على الله يقول عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني بذلك أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله والشهادة عليه بالباطل والالحاق بكتاب الله ما ليس منه طلبا للرياسة والخسيس من حطام الدنيا ونحو ما قلنا في معنى يلوون ألسنتهم بالكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال يحرفونه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب حتى بلغ وهم يعلمون هم أعداء الله اليهود حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منهم لفريقا

يلوون

فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط مع هدايا الادم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون واصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل أحد منا عليهم ولا يخرج منهم أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك وقد حشك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا وصاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مرحبا بهذا الصائح فليعد كلامه ففعل

عن الحسن وابن زيد حرفوا التوراة فطلبوا المنزل بالحرف وعن ابن عباس أظهروا الاسلام أول النهار ثم جحدوا عنه في آخره تشكيكا للناس قيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن فلبسوا على الضعفاء أحد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بان شرع موسى حق ثم ان التوراة دلت على أنه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات وأما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة في زماننا وأنتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا أو تعلمون انكم أهل المعرفة أو تعلمون حقيتها أو أن عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم الله حسبي (وقالت طائفة من أهل الكتاب (٢١٣) آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) القراآت أن يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤدهي ولا يؤدهي ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس ومهل وزيد عن يعقوب وقرأه أبو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو في رواية الزيدي طريق أبي أيوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلى والاعشى والبرجمي وأبو زيد غير المفضل وقرأ أبو عمرو بالاختلاس الباقون بالتمام * الوقوف يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله

الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله كونوا ربانيين يقول كونوا فقهاء علماء وقال آخرون بل هم الحكماء الاتقياء ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قوله كونوا ربانيين قال حكماء أتقياء وقال آخرون بل هم ولاة الناس وقادتهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله كونوا ربانيين قال الربانيون الذين يربون الناس ولاة هذا الامر يربونهم يلونهم وقرأ ألا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الربانيون الولاة والاحبار العلماء قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني وان الرباني المنسوب الى الربان الذي يرب الناس وهو الذي يصلح أمورهم ويربهاويقوم بها ومنه قول علقمة بن عبدة

وكنت امرأ أفضت اليك ربابتي * وقبلك ربي فضعت ربوب

يعني بقوله ربي ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويصلحه فلم يصلحه ولكنهم أضاعوني فضعت يقال منه رب أمري فلان فهو يربه ربا وهو رابه فاذا أريد به المبالغة في مدحه قيل هو ربان كما يقال هو نعسان من قولهم نغس ينعس وأكثر ما يجيء ممن الاسماء على فعلان ما كان من الافعال ماضيه على فعل مثل قولهم سكران وعطشان وريان من سكر يسكر وعطش يعطش وروي يروى وقد يجيء ما كان ماضيه على فعل يفعل نحو ما قلنا من نغس ينغس ورب يرب فاذا كان الامر في ذلك على ما وصفنا وكان الربان ما ذكرنا والرباني هو المنسوب الى من كان بالصفة التي وصفت وكان العالم بالفقه والحكمة من الصالحين يرب أمور الناس بتعليمهم اياهم الخير ودعائهم الى ما فيه مصلحتهم وكان كذلك الحكيم التقي لله والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم كانوا جميعا مستحقين انهم ممن دخل في قوله عز وجل ولكن كونوا ربانيين قال فالربانيون اذا هم عباد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا وبذلك قال مجاهد وهم فوق الاحبار لان الاحبار هم العلماء والرباني الجامع الى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم ۞ القول في تأويل قوله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل الحجاز وبعض البصريين بما كنتم تعلمون بفتح التاء وتخفيف اللام يعني تعلمكم الكتاب ودراستكم اياه وقراءتكم واعتلوا للاختيار هم قراءة ذلك كذلك بان الصواب لو كان بتشديد اللام وضم التاء لكان الصواب

النجاشي نغنث من سواكه فقرما يقذي العين وقالوا والله ما زاد المسيح على ما يقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي جاؤه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم جوار وأنزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة والتأييد والتوفيق والتسديد (٢١٢) ومعنى أولى الناس أخصهم به وأقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا

النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وأن وليي منهم أبي وخليل رب ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس الآية ثم بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما أرادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرناه في سورة البقرة وما يضلون الا أنفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال أو وما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح أفعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل أي بالتوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو ان ابراهيم كان حنيفا مسلما أو ان

دون الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم بتحريفهم كتاب الله عن موضعه فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله في كتابه ۞ القول في تأويل قوله (ولكن كونوا ربانيين) يعني جل ثناؤه بذلك ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فترك القول استغناء بدلالة الكلام عليه وأما قوله كونوا ربانيين فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه كونوا حكماء علماء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبي رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمر وعن منصور عن أبي رزين مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي رزين ولكن كونوا ربانيين حكماء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن في قوله كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كونوا ربانيين قال فقهاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم عن مجاهد قوله ولكن كونوا ربانيين قال فقهاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن منصور بن المعتمر عن أبي رزين في قوله كونوا ربانيين قال علماء حكماء قال معمر قال قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله كونوا ربانيين أما الربانيون فالحكماء الفقهاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الربانيون الفقهاء العلماء وهم فوق الاحبار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن كونوا ربانيين يقول كونوا حكماء فقهاء حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي حمزة الثمالي عن يحيى بن عقيل الربانيون والاحبار قال الفقهاء العلماء حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس مثله حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كونوا ربانيين قال كونوا حكماء فقهاء حدثت عن

الحسين

الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل اما الكفر بما يدلان عليه فيكون قد أطلق اسم الدليل على المدلول أو الكفر بنعت التوراة والانجيل لانهم كانوا يحرفونهما وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وأنتم تشهدون أنهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم أنهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية أردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق

وآخر صلاة الظهر وتحويره أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس فمر به اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلاة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلاة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها من أول النهار ثم اكفروا بها آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكرهؤلاء وأطلعه على سرهم كيلا تؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على أمثالها من الحيل وبصير ذلك واعظا لهم وفيه أيضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على أنه من بقية حكاية كلام أهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله (٢١٥) الا أنهم اختلفوا في ان قوله أن يؤتى أحد مثل

ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله أو من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير وإضمار فلهذا عدت الآية من المواضع المشكلة أما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى ابن عمر والمعنى ألان أي أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعد ذنوبه عليه وقد أحسن اليه أمن قبل احساني اليك أمن اهانتي لك والمعنى أمن هذا فعلت ما فعلت أم من ذاك ونظيره قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التوراة فاما من جاء بتغيير شئ من أحكام التوراة فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه أن يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل أن يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لاشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد

لي من دون الله وان يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا لان الآية نزلت في سبب القوم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك فاخبرهم الله جل ثناؤه انه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الناس الى عبادة نفسه ولا الى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ولكن الذي له أن يدعوهم الى أن يكونوا ربانيين فاما الذي ادعى من قرأ ذلك رفعا انه في قراءة عبد الله ولن يأمركم استشهاد الصحة قراءته بالرفع فذلك خبر غير صحيح سنده وانما هو خبر رواه حجاج عن هرون لا يجوز ان ذلك في قراءة عبد الله كذلك ولو كان ذلك خبرا صحيحا سنده لم يكن فيه لمحتج حجة لان ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يجوز تركه لتأويل يحمل قراءة أضيفت الى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو فتأويل الآية اذا وما كان للنبي أن يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله كما ليس له أن يقول لهم كونوا عبادا لي من دون الله ثم قال جل ثناؤه نافيا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بذلك أيأمركم بالكفر أيها الناس نبيكم بجحود وحدانية الله بعد اذ انتم مسلمون يعني بعد اذ أنتم له منقادون بالطاعة متذللون له بالعبودية أي ان ذلك غير كائن منه أبدا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ولا يأمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعني بذلك جل ثناؤه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وميثاقهم ما وثق به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية لما آتيتكم من كتاب وحكمة اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق لما آتيتكم بفتح اللام من لما الا أنهم اختلفوا في قراءة آتيتكم فقرأه بعضهم آتيتكم على التوحيد وقرأه آخرون آتيناكم على الجمع ثم اختلفت أهل العربية اذا قرئ ذلك كذلك فقال بعض نحوي البصرة اللام التي مع ما في أول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل لزيد أفضل منك لان لما اسم والذي بعدها صلة لها واللام التي في لتؤمنن به ولتنصرنه لام القسم كأنه قال والله لتؤمنن به يؤكد في أول الكلام وفي آخره كما يقال أما والله أن لو جئتني لكان كذا وكذا وقد يستغنى عنها فيؤكد في لتؤمنن به باللام في آخر الكلام وقد يستغنى عنها ويجعل خبر ما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به مثل لعبد الله والله لا يأتينه قال وان شئت جعلت خبر ما من كتاب يريد لما آتيتكم من كتاب وحكمة وتكون من زائدة وخطأ بعض نحوي الكوفيين ذلك كله وقال اللام التي تدخل في أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا فلا يقال لمن قام ما أحسن فاذا وقع في جوابها

ما فعلت أم من ذاك ونظيره قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التوراة فاما من جاء بتغيير شئ من أحكام التوراة فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه أن يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل أن يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لاشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد

لا لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل ان الهدى هدى الله معترض ومن قرأ أن يؤتى مستفهما وقف عليها عندكم ط بيد الله ج ط لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ٥ ط ج لاحتمال الاستئناف والصفة من يشاء ط العظيم ٥ اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستئناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ٥ المتقين ٥ تزكيهم ص اليم ٥ وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون ٥ تدرسون ٥ لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على أن يؤتيه أربابا ط مسلمون ٥ *التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل أن يراد كل ما أنزل الله عليهم ويحتمل أن يراد بعض ما أنزل أما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدي نواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم (٢١٤) ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار أي أوله والوجه في اللغة مستقبل كل شئ ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو منه روى تغلب عن ابن الاعرابي أتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وأنشد الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك * فلياتنسوتنا بوجه نهار يجدالنساء حواسرا يندبنه * قد قتل قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم أن لا يظهروا الجزع على المقتول الى أن يتركوا الثار فعنى البيت من كان مسرورا فليأت نسوتنا وقت تشفي الغيظ ودرك الثار قبل أن يمضي على المقتول تمام يوم وليلة وا يكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك فان أصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به في أول الامر وانما ذلك لاجل انهم أهل كتاب وقد تفكروا في أمره صلى الله عليه وسلم وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي أنه كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لى لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال أبو مسلم معنى وجه النهار وآخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا وأظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط أن تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من أهل الكتاب فان أمر هؤلاء في اضطراب فرجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف أمرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فتكون هذه الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تغريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به عسلم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم وترجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه وأما الاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلاة الصبح

في تدرسون بضم التاء وتشديد الراء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بما كنتم تعلمون الكتاب بضم التاء من تعلمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم اياه واعتلوا لاختيارهم ذلك بان من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم اذ لا يعلمون الا بعد تعلمهم بما يعلمون قالوا ولا موصوف بانه يعلم الا وهو موصوف بانه عالم قالوا فاما الموصوف بانه عالم فغير موصوف بانه معلم غيره قالوا فاولى القراءتين بالصواب أبلغهما في مدح القوم وذلك وصفهم بانهم كانوا يعلمون الناس الكتاب كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى ابن آدم عن ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد أنه قرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون مخففة بنصب التاء وقال ابن عيينة ما علموه حتى علموه وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام لان الله عز وجل وصف القوم بانهم أهل عماد للناس في دينهم ودنياهم وأهل اصلاح لهم ولامورهم وتربية يقول جل ثناؤه ولكن كونوا ربانيين على ما بينا قبل من معنى الرباني ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل اصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم اياهم كتاب ربهم ودراستهم اياه وتلاوته وقد قيل دراستهم الفقه وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب لانه عطف على قوله تعلمون الكتاب والكتاب هو القرآن فتكون الدراسة معنيا بها دراسة القرآن أولى من أن يكون معنيا بها دراسة الفقه الذي لم يجر له ذكر ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال قال يحيى بن آدم قال أبو زكريا كان عاصم يقرؤها بما كنتم تعلمون الكتاب قال القرآن وبما كنتم تدرسون قال الفقه يعني الآية ولكن يقول لهم تعالى ذكره كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم ربانيين بتعليمكم اياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم وبتلاوتكم اياه ودراستكموه ۞ القول في تاويل قوله عز وجل (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) اختلفت القراء في قراءة قوله ولا يأمركم فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة ولا يأمركم على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا واستشهد قارئ ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود انه كان يقرؤها وهو ولن يأمركم فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله وابتداء خبر مستأنف قالوا فلما صير مكان لن في قراءتنا لا وجبت قراءته بالرفع وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ولا يأمركم بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول للناس وكان تاويله عندهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس ولا أن يأمركم يعني ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ولا يأمركم بالنصب على الاتصال بالذي قبله بتأول ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا

أمره صلى الله عليه وسلم وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي أنه كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لى لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال أبو مسلم معنى وجه النهار وآخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا وأظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط أن تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من أهل الكتاب فان أمر هؤلاء في اضطراب فرجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف أمرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فتكون هذه الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تغريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به عسلم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم وترجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه وأما الاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلاة الصبح

خطأ من الكاتب وهي في قراءة ابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين يقول واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وكذلك كان يقرؤها الربيع واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب انما هي أهل الكتاب قال وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب قال الربيع ألا ترى أنه يقول ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه يقول لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه قال هم أهل الكتاب وقال آخرون بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الانبياء دون أممها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الآية قال أخذ الله ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن طالب قال لم يبعث الله عز وجل نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال لم يبعث الله عز وجل نبيا فيما بين نوح الا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه ان خرج وهو حي والا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرنه ان خرج وهم أحياء حدثني محمد بن سنان قال ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور قال سألت الحسن عن قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية كلها قال أخذ الله ميثاق النبيين ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا وقال آخرون معنى ذلك انه أخذ ميثاق النبيين وأممهم فاجتزأ بذكر الانبياء عن ذكر أممها لان في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه

(٢١٧) الركيكة عين ولا أثر وثانيهما أنهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله أن يفعله وأن لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على أن يؤتي بعض عباده مثل ما آتاكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى أمر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما آتاهم بل يكون أشرف وأعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى أشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن أهل الكتاب الآية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين أهل للامانة وأهل للخيانة فقيل ان أهل الامانة هم الذين أسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من يخالفهم في الدين وأخذ أموالهم وقيل ان أصحاب الامانة هم النصارى الغلبة الامانة عليهم وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تأمنه بقنطار يؤده هو عبد الله بن

والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم انا قلتم قال أو يحاجوكم يعنى دينكم ما دمتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو لما يتصل بالايتاء عندكم فهو من محاجتهم لكم عندربهم لان ما أوتوا مثل ما أوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم وأما ان لم تقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق أو يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ويكون أو بمعنى حتى ويتم الكلام بمحذوف أى حتى يحاجوكم عندربكم فيقضى لهم عليكم ويدحض حجتكم أو يقال أن يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له أن يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح أن يقال لا تنكروا أن يؤتى أحد سواكم من الهدى ما أوتيتموه أو يحاجوكم يعنى هؤلاء المسلمين بذلك عندربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم أو يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل و يضمر لا بعد ان (٢١٦) مثل أن تضلوا أى لا تضلوا والتقدير قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لامتك ان بيان الله هو أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهو دين الاسلام الذى هو أفضل الاديان وأن لا يحاجوكم يعنى هؤلاء اليهود عندربكم فى الآخرة لانه يظهر لهم فى الآخرة انكم محقون وأنهم ضالون وأما الاحتمال الثانى وهو أن يكون قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان هدى الله هو الهدى جملة معترضة فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من أن على القياس قال فى الكشاف أراد أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله أو يحاجوكم عطف على أن يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم خطا عند الله بالحجة قال ومعنى اعتراض ان الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وذبنكم أى سركم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول أو هو اعتراض آخر يجىء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها فان قيل ان جد القوم فى حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم من جدهم فى حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق أن يوصى بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلى الله عليه وسلم عند اتباعهم وأن يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهى الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد أنه ان اتفق منكم تكلم به فلا يكن الا عند خواصكم وأصحاب أسراركم على أنه يحتمل أن يكون شائعا ولكن النبى

ما ولا علم أن اللام ليست بتوكيد للاولى لانه يوضع موضعها ما ولا فتكون كالاولى وهى جواب للاولى قال وأما قوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة بمعنى اسقاط من غلط لان من التى تدخل وتخرج لا تقع مواقع الاسماء قال ولا تقع فى الخبر أيضا انما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء وأولى الاقوال فى تاويل هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام بالصواب أن يكون قوله لما بمعنى لهما وأن تكون ما حرف جزاء أدخلت عليها اللام وصير الفعل معها على فعل ثم أجيب بما كان به الايمان فصارت اللام الاولى يمينا أو تلقيت بجواب اليمين وقرأ ذلك آخرون لما آتيتكم بكسر اللام من لما وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة ثم اختلف قارؤ ذلك كذلك فى تاويله فقال بعضهم معناه اذ اقرئ كذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتيتكم فاعلى هذه القراءة بمعنى الذى عندهم وكان تاويل الكلام واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ثم ان جاءكم رسول يعنى ذكر محمد فى التوراة لتؤمنن به أى ليكونن ايمانكم به للذى عندكم فى التوراة من ذكره وقال آخرون منهم تاويل ذلك اذ اقرئ بكسر اللام من لما واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتاهم من الحكمة ثم جعل قوله لتؤمنن به من الاخذ أخذ الميثاق كما يقال فى الكلام أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان تاويل الكلام عند قائل هذا القول واذ استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم لتؤمنن به ولتنصرنه وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ واذ أخذ الله النبيين لما آتيتكم بفتح اللام لان الله عز وجل أخذ ميثاق جميع الانبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه الى خلقه فيما ابتعثه به اليهم كان ممن آتاه كتابا أو ممن لم يؤته كتابا وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل و رسله بانه كان ممن أبيح له التكذيب باحد من رسله فاذا كان ذلك كذلك وكان معلوما أن منهم من أنزل عليه الكتاب وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب كان بينا أن قراءة من قرأ ذلك لما آتيتكم بكسر اللام بمعنى من أجل الذى آتاكم من كتاب لا وجه لمفهوم الا على تاويل بعيد وانتزاع عميق ثم اختلف أهل التاويل فيمن أخذ ميثاقه بالايمان بمن جاءه من رسل الله مصدقا لما معه فقال بعضهم انما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب دون أنبيائهم واستشهدوا للصحة قولهم بذلك بقوله لتؤمنن به ولتنصرنه قالوا فانما أمر الذين أرسلت اليهم الرسل من الامم بالايمان برسل الله ونصرتها على من خالفها وأما الرسل فانه لا وجه لامرها بنصرة أحد لانها المحتاجة الى المعونة على من خالفها من كفرة بنى آدم فاما هى فانها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها قالوا واذا لم يكن غيرها وغير الامم الكافرة فمن الذى ينصر النبى فيؤخذ ميثاقه بنصرته ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال هى

فاذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم يحل أكل أموالهم الا بطيب أنفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه لجحد ونفي ما قبله أي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استئناف وقال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس علينا جناح قائم مقام قوله نحن أحباء الله تعالى فقيل لهم ان أهل الوفاء بالعهد وأهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شئ ولو أنهم أوفوا بالعهود أوفوا أول كل شئ بالعهد الذي أخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه صلى الله عليه وسلم ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ والضمير في بعهده يجوز أن يرجع الى من ويجوز أن يرجع الى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى أصلان لجميع مكارم (٢٤٩) الاخلاق فالوفاء بالعهد يشتمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتمتها وتزينها حتى يأتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون أن يقول يحب الموفين أو الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في أموال الناس والخيانة فيها لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم أردفها بالوعيد عليها وأيضا الخيانة في العهود وفي تعظيم أسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الآية واختلفت الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشا والمآكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود أولي فاقة اصابتهم سنة فاقتضوا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسالهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما نعلمه أنت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وأنا أريد ان أميركم واكسوعيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويداحتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم انهوا الى رسول الله فكلموه وسالوه ثم رجعوا فقالوا لقد كذكرى انه رسول الله فلما أتيناه اذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا صفته مخالفا للذي عندنا وأخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب فخرج وأمارهم وأنفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين

كتاب الله ورسالته الى عباده فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذوا مواثيق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه * وأول الاقوال بالصواب عندنا في تاويل هذه الآية أن جميع ذلك خبر من الله عز وجل عن أنبيائه انه أخذ ميثاقهم به وألزمهم دعاء أممهم اليه والاقرار به لان ابتداء الآية خبر من الله عز وجل عن أنبيائه انه أخذ ميثاقهم ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم فقال هو كذا وهو كذا وانما قلنا أن ما أخبر الله انه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك قد أخذت الانبياء مواثيق أممها به لانها أرسلت لتدعوا عباد الله الى الدينونة بما أمرت بالدينونة به في أنفسها في تصديق رسل الله على ما قدمنا البيان قبل فتأويل الآية واذكروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقد قال السدي في ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قوله لما آتيتكم يقول للهود أخذت ميثاق النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم فتأويل ذلك على قول السدي الذي ذكرناه واذكروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة هو هذا الذي قاله السدي كان تاويلا لا وجه غيره ولو كان المتنزيل بما آتيتكم ولكن التنزيل باللام لما آتيتكم وغير جائز في لغة أحد من العرب أن يقال أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم بمعنى بما آتيتكم ۞ القول في تاويل قوله (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا) يعني بذلك جل ثناؤه واذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر فقال لهم تعالى ذكره أقررتم بالميثاق الذي واثقتموني عليه من انكم مهما آتاكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وأخذتم على ذلكم اصري يقول وأخذتم على ما أوثقتموني عليه من الايمان بالرسل التي تاتيكم بتصديق ما معكم من عندي والقيام بنصرته اصري يعني عهدي ووصيتي وقبلتم في ذلك مني ورضيتموه والاخذ هو القبول في هذا الموضع والرضى من قولهم أخذ الوالي عليه البيعة بمعنى بايعه وقبل ولايته ورضي بما وقد بينا معنى الاصر باختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وحذفت الفاء من قوله قال أأقررتم لانه ابتداء كلام على نحو ما بينا في نظائره فيما مضى وأما قوله قالوا أقررنا فانه يعني به قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر في هذه الآية أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك وبنصرته ۞ القول في تاويل قوله (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) يعني بذلك جل ثناؤه قال الله فاشهدوا أيها النبيون بما أخذت به ميثاقكم من الايمان بتصديق رسلي التي تاتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ونصرته على أنفسكم وعلى اتباعكم من الامم

سلام استودعه رجل من قريش الفا وماتتي أوقية فجاء فادّاه اليه ومن ان تأمنه بدينار لا يؤده هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحد موخانه وقال أهل الحقيقة هي فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يعتني بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال أمنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه وأما الاقوال فيه فقد مرت في أوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار ألف ومائتا أوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس أنه محمول على المبايعة فقال منهم من (٢١٨) تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا

عنه أيضا انها نزلت في الوديعة وأما قوله الا ما دمت عليه قائما منهم من حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه مجتمعا معه ملازما اياه فان أنظرته وأخرت أنكر ومنهم من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة أصله ان الطالب للشئ يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى أمة قائمة أي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال أبو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما أي ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم يبالغون في الغضب عليهم حتى استحلوا قتل المخالف وأخذ ماله بأي طريق كان واما لانهم قالوا نحن أبناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فحكموا على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم وأموالهم روى ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة أو يعلمون حرمة الخيانة أو يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة فقال فتقولون

على التباع لان الامم هم تباع الانبياء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم ذكر ما أخذ عليهم يعني أهل الكتاب وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه يعني بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم واقرارهم به على أنفسهم فقال وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضا وأخذ الانبياء على أممها وتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به لان الانبياء عليهم السلام بذلك أرسلت الى أممها ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبيا أرسل الى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحجته في عباده بل كلها وان كذب بعض الامم بعض أنبياء الله بجحودها نبوته معترفة بان من ثبتت صحة نبوته فعليها الدينونة بتصديقه فذلك ميثاق مقر به جميعهم ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق انما أخذ على الامم دون الانبياء لان الله عز وجل قد أخبر أنه قد أخذ ذلك من النبيين فسواء قال قائل لم يأخذ ذلك منهار بها أو قال لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت وقد نص الله عز وجل انه أمرها بتبليغه لانهما جميعا خبران من الله عنها أحدهما انه أخذ منها والآخر منهما انه أمرها فان جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعنى بذلك أهل الكتاب من قوله لتؤمنن به ولتنصرنه فان ذلك غير شاهد على صحة ما قال لان الانبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض وتصديق بعضها بعضا نصرة من بعضها بعضا ثم اختلفوا في الذين عنوا بقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقال بعضهم الذين عنوا بذلك هم الانبياء أخذت مواثيقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن ينصر وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله وقال آخرون هم أهل الكتاب أمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعثه الله وبنصرته وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضا عمن قاله وقال آخرون ممن قال الذين عنوا باخذ الله ميثاقه منهم في هذه الآية هم الانبياء قولا ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم معني به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنا ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ثم قال ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال فهذه الآية لاهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني ابن أبي جعفر عن أبيه قال قال قتادة أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا

بالشدق والتلوى والتكلف لدموم قصد الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلى السنتهم فمالهم وتقريعاولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين ألفاظ المدح والذم فى الشئ الواحد لتحسبوه أى الحرف الذى دل عليه يلوون ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أى يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله نفى أولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه نفى العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من أحكامه المستنبطة من الاصول ويجوز أن يراد بالكتاب التوراة فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود فى كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم فى نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتوراة قالوا انه من التوراة وان وجدوا انوعا عقلا عزموا انه موجود فى كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير ألفاظ التوراة أو اعراب ألفاظها فالذين أقدموا على ذلك يجب أن يكونوا طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات فى وجوه الاستدلال الآت كما يفعله المبطلون فى ملتنا اذا استدل المحقون بانه من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الهانئ والكعبى بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والاصدق اليهود فى قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله وبخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله أو هو حكم من أحكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذى زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما فى الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه أهل الكتاب ان زعموا ان عيسى كان يدعى الالهية ويأمر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان أبا رافع القرظى من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا لبعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغى أن نسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان أحدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب أن لا تستنكفوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو أرادوا أن يقولوا ذلك يمنعهم الله منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا

الغيبة فقوله تبغون واليه ترجعون فى هذه الآية من ذلك وتاويل الكلام يامعشر أهل الكتاب أغير دين الله تبغون يقول أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون وله أسلم من فى السموات والارض يقول وله خشع من فى السموات والارض فخضع له بالعبودية وأقر له بافراد الربوبية وانقاد له باخلاص التوحيد والالوهية طوعا وكرها يقول أسلم لله طائعا من كان اسلامه منهم له طائعا وذلك كالملائكة والانبياء والمرسلين فانهم أسلموا لله طائعين وكرها من كان منهم كارها اختلف أهل التأويل فى معنى اسلام الكاره الاسلام وصفته فقال بعضهم اسلامه اقراره بان الله خالقه وربه وان أشرك معه فى العبادة غيره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد وله أسلم من فى السموات والارض قال هو كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال كل آدمى قد أقر على نفسه بان الله ربى وأنا عبده ممن أشرك فى عبادته فهذا الذى أسلم كرها ومن أخلص لله العبودية فهو الذى أسلم طوعا وقال آخرون بل اسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق فاقر به ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها قال حين أخذ الميثاق وقال آخرون عنى باسلام الكاره منهم سجود ظله ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد فى قول الله عز وجل وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها قال الطائع المؤمن وكرها ظل الكافر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله طوعا وكرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود الكافر وهو كاره حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود ظل الكافر وهو كاره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال سجود وجهه وظله طائعا وقال آخرون بل اسلامه بقلبه فى مشيئة الله واستقادته لامره وان أنكره الوهيته بلسانه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر بن عامر وله أسلم من فى السموات والارض قال استقادكلهم له وقال آخرون عنى بذلك اسلام من أسلم من الناس كرها حذر السيف على نفسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها الآية كلها فقال أكره أقوام على الاسلام

يستحق بها ما لاهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها مالم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه واليمين هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد أو وعيد أو انكار أو اقرار بذكر اسم الله تعالى أو صفة من سفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشراء بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة أنواع من الجزاء فقوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة اشارة الى أنه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب أليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره (٢٢٠) فانما ذلك لسخطه عليه وقد يأمره بحجبه عنه ويقول لا أكلمك ولا أراك وجهك واذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به وأصله فيمن يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية فيمن يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقلب الحدقة الى جانب المرئي لما سلف من أن الرؤية لا تتعلق بهذه الصفات من الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الآية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والالزم من هذه الآية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل فلت يجوز أن يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي يخص الله تعالى به أولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز أن يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفي رؤية لقاء العباد أيضا وقتئذ نفي رؤية لا يرونه حينئذ وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون ألسنتهم بالكتاب قال القفال معناه أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشئ ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة في الكشاف أي يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف أقول وذلك ان لي اللسان أشبه الغيبة

اذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب في قوله قال فاشهدوا يقول فاشهدوا على أنفسكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم ۞ القول في تاويل قوله (فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) يعني بذلك جل ثناؤه فمن أعرض عن الايمان برسلي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان من أنبيائي من الكتب والحكمة وعن نصرتهم فادبر ولم يؤمن بذلك ولم ينصر ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك يعني العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه فاولئك هم الفاسقون يعني بذلك أن المتولين عن الايمان بالرسل الذين وصف أمرهم ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذا عليهم بذلك هم الفاسقون يعني بذلك الخارجون من دين الله وطاعتهم بهم كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الامم فاولئك هم الفاسقون هم العاصون في الكفر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال أبو جعفر يعني الرازي فمن تولى بعد ذلك يقول بعد العهد والميثاق الذي أخذ عليهم فاولئك هم الفاسقون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع مثله وهاتان الآيتان وان كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر انه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله فانه مقصود به اخبار من كان حوالي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم عما لله عليهم من العهود في الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى تذكيرهم ما كان الله آخذا على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود وما كانت أنبياء الله فيهم وتقدمت اليهم في تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه وكذبه وتعريفهم ما في كتب الله التي أنزلها الى أنبيائه التي ابتعثهم اليهم من صفته وعلامته ۞ القول في تاويل قوله (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة وقراء الكوفة أفغير دين الله تبغون واليه ترجعون على وجه الخطاب وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز أفغير دين الله يبغون واليه يرجعون بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب وقرأ ذلك بعض أهل البصرة أفغير دين الله يبغون على وجه الخبر عن الغائب واليه ترجعون بالناء على وجه المخاطبة وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أفغير دين الله تبغون على وجه الخطاب واليه ترجعون بالتاء لان الآية التي قبلها خطاب لهم فاتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام الى غير نظيره وان كان الوجه الآخر جائزا لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحيانا على الخطاب كله وأحيانا على وجه الخبر عن الغائب وأحيانا بعضه على الخطاب وبعضه على

وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفي الآية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء لما لهم تفهم باذن الله ولا يأمركم من قرأ بالنصب فوجهان أحدهما أن يجعل لا مزيدة لتأكيد النفي المتقدم أي ما ينبغي لبشر أن ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالفه الى أن يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن يكون حرف النفي زائدا فيرجع المعنى الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له أتتخذنا باقيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين غيره صلى الله عليه وسلم كأنه أخرج نفسه (٢٢٣) بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستئناف فظاهر وتنصره قراءة عبد الله بن مسعود وأن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح أي أيأمركم أي البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار أي أنه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسجدوا له قلت وضع الشيء ابتداء أسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل أن يكون المراد ما صح ولا يعقل أن يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أمته بعبادة نفسه أول ما استنبئ فكيف يعقل أن يأمرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان بالله (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار

بعضهم ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدقت بعضا ولكنا نؤمن بجميعهم ونصدقهم ونحن له مسلمون يعني ونحن ندين له بالاسلام لا بدين غيره بل نتبرأ اليه من كل دين سواه ومن كل ملة غير ملته يعني بقوله ونحن له مسلمون ونحن له منقادون بالطاعة متذللون بالعبودية مقرون له بالالوهة والربوبية وانه لا اله غيره وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى وكرهنا اعادته ۞ القول في تأويل قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يطلب دينا غير دين الاسلام ليدين به فلن يقبل الله منه وهو في الآخرة من الخاسرين يقول من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل وذكر ان أهل كل ملة دعوا انهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية فامرهم الله بالحج ان كانوا صادقين لان من سنة الاسلام الحج فامتنعوا فادحض الله بذلك حجتهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال زعم عكرمة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن المسلمون فانزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فحج المسلمون وقعد الكفار حدثني المثنى قال ثنا العتبي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن المسلمون فانزل الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحجهم ان لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال لما نزلت ومن يبتغ غير الاسلام دينا الى آخر الآية قالت اليهود فنحن مسلمون قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر من أهل الملل فان الله غني عن العالمين وقال آخرون في هذه الآية بما حدثنا به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله ولا هم يحزنون فانزل الله عز وجل بعد هذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفيمن نزلت فقال بعضهم نزلت في الحرث بن سويد الانصاري وكان مسلما فارتد بعد اسلامه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رجل من الانصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك

لاذقنالك ضعف الحياة وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعى تبليغ الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو أمرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه والحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما أحسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى أمره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام لان ذلك

محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له أن يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله أن يتخذ من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي أن يغل ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن كونوا ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته كما يقال رجل الهبي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذي يربب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام والالف والنون كما في ربان وعطشان لا يختص بحال السبة والربانيون بهذا التفسير بعضهم يشمل الولاة أيضا قال القفال يحتمل أن يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم أمر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال أبو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرية تدل على الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الغير عن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة والباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم أو العلم على القراءتين فيعلم منه أن التعليم أو العلم أو الدراسة هي القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانيا أمرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وذلك الا بان يكون تعلمه لتعليم الله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب

وجاء أقوام طائعين حدثني الحسن بن قزعة الباهلي قال ثنا روح بن عطاء عن مطر الوراق في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال الملائكة طوعا والانصار طوعا وبنو سليم وعبد القيس طوعا والناس كلهم كرها وقال آخرون معنى ذلك ان أهل الايمان أسلموا طوعا وان الكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه اسلام كرها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفغير دين الله تبغون الآية فاما المؤمن فاسلم طائعا فنفعه ذلك وقبل منه وأما الكافر فاسلم كارها حين لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال أما المؤمن فاسلم طائعا واما الكافر فأسلم حين رأى باس الله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقال آخرون معنى ذلك في عبادة الخلق لله عز وجل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال عبادتهم لي أجمعين طوعا وكرها وهو قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وأما قوله واليه ترجعون فانه يعني واليه يا معشر من يبتغي غير الاسلام دينا من اليهود والنصارى وسائر الناس ترجعون يقول اليه تصيرون بعد عماتكم فمجازيكم باعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته وهذا من الله عز وجل تحذير لخلقه ان يرجع اليه أحد منهم فيصير اليه بعد وفاته على غير ملة الاسلام ﴿القول في تاويل قوله تعالى﴾ (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فان ابتغوا غير دين الله يا محمد فقل لهم آمنا بالله فترك ذكر قوله فان قالوا نعم وذكر قوله فان ابتغوا غير دين الله لدلالة ما ظهر من الكلام عليه وقوله قل آمنا بالله يعني به قل لهم يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والها لا اله غيره ولا نعبد أحدا سواه وما أنزل علينا يقول وقل وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله فأقررنا به وما أنزل على ابراهيم يقول وصدقنا أيضا بما أنزل على ابراهيم خليل الله وعلى ابنيه اسمعيل واسحق وابن ابنه يعقوب وبما أنزل على الاسباط وهم ولد يعقوب الاثنا عشر وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وما أوتي موسى وعيسى يقول وصدقنا أيضا مع ذلك بالذي أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي وبما أنزل على النبيين من بعده والذي أتى الله موسى وعيسى مما أمر الله عز وجل محمدا بتصديقهما فيه والايمان به التوراة التي أتاها موسى والانجيل الذي أتاه عيسى لا نفرق بين أحد منهم يقول لا نصدق بعضهم ونكذب

ونحن نقرأ واذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان أحدهما أن ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به ولتنصرنه هما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط أن يقال أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وماهي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان والنصرة فالاصح في هذا المقام أن يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا أدخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرن وأدخل اللام في الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من أول الامر وتمهد أن المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه لسد جواب القسم مسده ومن (٢٢٥) قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه أيضا وجهان أحدهما أن تكون ما مصدرية أي أخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة لمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم موافقا لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الانبياء والثاني أن تكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل أصله لمن ما أي لمن أجل ما آتيتكم أدغمت النون في الميم فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفوا أحدها للتخفيف فيؤول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراآت قيل لابد من اضمار بان يقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكأنه قيل واذ أخذت أو

منصور عن الحسن في قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الآية كلها قال اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول في قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم وأقروا به وشهدوا انه حق فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فانكروه وكفروا بعد اقرارهم حسدا للعرب حين بعث من غيرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم قال هم أهل الكتاب كانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابهم ويستفتحون به فكفروا بعد ايمانهم قال أبو جعفر وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من ان هذه الآية تعني بها أهل الكتاب على ما قال غيرا ن الاخبار بالقول الآخر أكثر والقائلين به أعلم بتأويل القرآن وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكرانهم كانوا ارتدوا عن الاسلام بجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات ثم عرف عباده سنته فيهم فيكون داخلا في ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ثم كفر به بعد ان بعث وكل من كان كافرا ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم ثم ارتد وهو حي عن اسلامه فيكون معنيا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما بل ذلك كذلك ان شاء الله فتأويل الآية اذا كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم يعني كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم أي بعد تصديقهم اياه واقرارهم بما جاء هم به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يقول وبعد أن أقروا ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خلقه حقا وجاءهم البينات يعني وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة وهم الذين بدلوا الحق الى الباطل فاختاروا الكفر على الايمان وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الظلم وانه وضع الشيء في غير موضعه بما أغنى عن اعادته أولئك جزاؤهم يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم وبعد ان شهدوا ان الرسول حق جزاؤهم ثوابهم من عملهم الذي عملوه ان عليهم لعنة الله يعني ان يحل بهم من الله الاقصاء والبعد ومن الملائكة والناس الايمان يسوءهم من العقاب أجمعين يعني من جميعهم لا من بعض من سماه جل ثناؤه من الملائكة والناس ولكن من جميعهم وانما جعل ذلك جل ثناؤه ثواب عملهم لان عملهم كان بالله كفرا وقد بينا صفة لعنة الناس الكافر في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته خالدين فيها يعني ماكثين فيها يعني في عقوبة الله لا يخفف عنهم العذاب لا ينقصون من العذاب شيء في حال من الاحوال ولا ينفسون فيمولاهم ينظرون يعني ولاهم ينظرون لمعذرة يعتذرون وذلك

(٢٩ - (ابن جرير) - ثالث) أخذنا ولما في أخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع أنه متكلف فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم أصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف أشرفهم أو الكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم أو جعل الداعي الى الكتاب والى العمل به كالذي أنزل عليه الكتاب ومن للبيان أو للتبعيض وقوله ثم جاءكم الرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم معناه أي في زمانكم وان كان المراد من النبيين أولادهم أو أممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات وأصول الشرائع فاما تفاصيلها وان وقع الخلاف فيها فذلك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على أن الحق في زمان موسى ليس الا شرعه عليه السلام وأن الحق في زمان محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا شرعه عليه السلام ولو قلنا ان المراد بالرسول

فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) القراآت لا بكسر اللام جزة والخزاز الباقون بفتحها آتيناكم على صيغة جمع المتكلم أبو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول أبو عمرو وغير عباس وقرأ عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة الارض بغير الهمز روى النجاري عن ورش وروى الاصفهاني عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما * الوقوف ولتنصرنه ط أقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه من ربهم ص منهم ج مسلمون ه منه ج لعطف المختلفتين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه أجمعين ه فيها ج لا ينظرون ه لا لاستثناء رحيم ه توبتهم ج الضالون ه افتدى به ط ناصرين ه * التفسير (٢٢٤) الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة

ثم ندم فارسل الى قومه سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة قال فنزلت كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فارسل اليه قومه فاسلم حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة بنحوه ولم يرفعه الى ابن عباس الا انه قال فكتب اليه قومه فقال ما كذبني قومي فرجع حدثنا أبو كريب قال ثنا حكيم بن جبير عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال ارتد رجل من الانصار فذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرنا حميد الاعرج عن مجاهد قال جاء الحرث بن سويد فاسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحرث فرجع الى قومه فانزل الله عز وجل فيه القرآن كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم قال فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله عز وجل لاصدق الثلاثة قال فرجع الحرث فاسلم فحسن اسلامه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق قال أنزلت في الحرث ابن سويد الانصاري كفر بعد ايمانه فانزل الله عز وجل فيه الآيات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ثم تاب وأسلم فنسخها الله عنه فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات قال رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال هو رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لحق بارض الروم فتنصر ثم كتب الى قومه سلوا لي هل لي من توبة قال فحسبت انه آمن ثم رجع قال ابن جريج قال عكرمة نزلت في أبي عامر الراهب والحرث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الاسلت في اثني عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى أهلهم هل لنا من توبة فنزلت الا الذين تابوا من بعد ذلك الآيات وقال آخرون عنى بهذه الآية أهل الكتاب وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم فهم أهل الكتاب عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن

محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها أخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ أخذ الله وقيل واذكروا يا أهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما أن يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه أو من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله أما الاحتمال الاول فيؤيده ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والمأخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن علي أنه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا أخذ عليه العهد ثم بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية أما والله لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو انهم لو كانوا أحياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف أو أمة النبيين فقد ورد كثيرا في القرآن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم واريد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون أهل الكتاب وقد رد على زعمهم نهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة أبي وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وأما الاحتمال الثاني فالمعنى أن الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويؤكده أنه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب

في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل أفتبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا أنه قدم المفعول لانه أهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان أهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كل الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الآية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه أن هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكروا أن يفعلوا ذلك أو قررانهم يفعلون ثم بين أن الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد أخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده (٢٢٧) ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلائل قدرته في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهرا أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير الآية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا أو كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل أي طائعين وكارهين كقولك آتاني ركضا أي راكضا ولو قلت أتاني كلاما أي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الآلام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره وأما الكافرون فينقادون في الدين كرها أي خوفا من السيف أو عند الموت أو نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض أقول وذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال أسلم طوعا ومن شاهد الجلال أسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون أي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم أنه سبحانه لما بين أخذ الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه أما وجه التوحيد في قل فظاهر بناء على ما قلنا وأما وجه الجمع في آمنا فلتشريف أمته بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان وليعلم أن هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته أو لاجلال قدر نبيه حيث أمر أن يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه أصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان بما أنزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة أحوالها الا بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر

كفروا فذكر نحو ما منه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود قال سألت عن هذه الآية ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قال هم اليهود والنصارى والمجوس أصابوا ذنوبا في كفرهم فأرادوا أن يتوبوا منها ولن يتوبوا من الكفر لانه يقول وأولئك هم الضالون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن داود عن أبي العالية في قوله لن تقبل توبتهم قال تابوا من بعض ولم يتوبوا من الاصل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قال هم اليهود والنصارى يصيبون الذنوب فيقولون نتوب وهم مشركون قال الله عز وجل لن تقبل التوبة في الضلالة وقال آخرون بل معنى ذلك ان الذين كفروا بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني بزيادتهم الكفر بما هم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون لن تقبل توبتهم لن تنفعهم توبتهم الاولى وايمانهم لكفرهم الآخر وموتهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ثم ازدادوا كفرا قال نعوا على كفرهم قال ابن جريج لن تقبل توبتهم يقول ايمانهم أول مرة لن ينفعهم وقال آخرون معنى قوله ثم ازدادوا كفرا ماتوا كفارا فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم وقالوا معنى لن تقبل توبتهم لن تقبل توبتهم عند موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون أما ازدادوا كفرا فماتوا وهم كفار وأما لن تقبل توبتهم فعند موته اذا تاب لم تقبل توبته * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال عنى بها اليهود وأن يكون تأويله ان الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه بعد ايمانهم به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ومقامهم على ضلالتهم لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ويراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله وانما قلنا ذلك أولى الاقوال في هذه الآية بالصواب لان الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت فأولى ان تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها اذا كانت في سياق واحد وانما قلنا معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي لانه جل ثناؤه قال لن تقبل توبتهم فكان معلوما ان معنى قوله لن تقبل توبتهم انما هو معنى به لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فمحال ان يقول عز وجل أقبل ولا أقبل في شيء واحد واذ كان ذلك كذلك وكان من حكم الله في عباده انه قابل توبة كل تائب من كل ذنب وكان الكفر بعد الايمان أحد تلك الذنوب التي وعد

هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد اما ماذكرنا أو ان نعته وصفته وأحواله مذكورة فى الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه مصدقا لما كان معهم والظاهر أن المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجىء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل أن يكون الميثاق اشارة الى ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق أنه تعالى شرح صفاته صلى الله عليه وسلم فى كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت أحواله صلى الله عليه وسلم مطابقة لما جاء فى الكتب الالهية وجب الانقياد له صلى الله عليه وسلم وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين أولادهم أو أممهم أو ميثاق النبيين من الامم أو ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم أحياء أقول والله أعلم يحتمل أن يراد بقوله ثم جاءكم المجىء فى الزمان الماضى (٢٢٦) فيكون معنى الآية ان الله تعالى أخذ ميثاق من كل نبى أوتى كتابا وحكمة أن يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصر دينه بان يظهر حقيقته فى وقته وأنه من عند الله سبحانه وأنه موافق له فى أصول العقائد وفى قواعد مكارم الاخلاق فتكون هذه الآية تمهيدا لما يجىء بعد من قوله قل آمنا بالله الآية قال الله أو كل نبى لامته مستفهما بمعنى الامر أأقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار فى الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفى اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشئ يقر اذا ثبت ولزم مكانه وأخذتم أى قبلتم على ذلك اصرى عهدى والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل أى لا يقبل ويأخذ الصدقات أى يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار أكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفى قوله وأنا معكم من الشاهدين وأنه لا يخفى عليه

كله أعنى الخلود فى العقوبة فى الآخرة ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم فقال تعالى ذكره الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا يعنى الا الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن ايمانهم فراجعوا الايمان بالله وبرسوله وصدقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم وأصلحوا يعنى وعملوا الصالحات من الاعمال فان الله غفور رحيم يعنى فان الله ان فعل ذلك بعد كفره غفور يعنى ساتر عليه ذنبه الذى كان منه من الردة فتارك عقوبته عليه وفضيحته به يوم القيامة غير مؤاخذه به اذا مات على التوبة منه رحيم متعطف عليه بالرحمة ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم عنى الله عز وجل بقوله ان الذين كفروا ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد لن تقبل توبتهم عند حضور الموت وحشرجته بنفسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قالوا اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا أعداء الله اليهود كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ثم ازدادوا كفرا قال ازدادوا كفرا حتى حضرهم الموت فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت قال معمر وقال مثل ذلك عطاء الخراسانى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقال هم اليهود كفروا بالانجيل ثم ازدادوا كفرا حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانكروا وكذبوا به وقال آخرون معنى ذلك ان الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا لن تقبل توبتهم من ذنوبهم وهم على الكفر مقيمون ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدادوا ذنوبا وهم كفار فلن تقبل توبتهم من تلك الذنوب ما كانوا على كفرهم وضلالتهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية قال قلت ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم قال انما عنى هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا بذنوب أصابوها فهم يتوبون منها فى كفرهم حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى قال أخبرنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية عن الذين آمنوا ثم

خافة تذكيرلهم وتوكيد عليهم ونحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل أحد نفسه شاهدا على نفسه كقوله وأشهدهم على أنفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر فى الجهل به وأصله أن الشاهد هو الذى يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشئ المعاين له أو يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال أفغير دين الله يبغون ويحتمل أن يراد يتولون فغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب فى أقررتم وأخذتم أو للالتفات بعد قوله أولئك هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير

البعير جل من قومه فغفر أهن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله أصدق الثلاثة ثم رجع فأسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة فى الآية ان أصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الآية بشئ آخر سوى نصب الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التى يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى أو المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار وقال أهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله فى باب التكليف وفى دار العمل أن كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وأرادوه (٢٢٩) وقال أهل التحقيق كيف يهدى

والجزاء من المفتدى منه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ثم أخبر عز وجل عما لهم عنده فقال أولئك يعنى هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار لهم عذاب أليم يقول لهم عند الله فى الآخرة عذاب موجع وما لهم من ناصرين يعنى وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره فيستنقذه من الله ومن عذابه كما كانوا ينصرونه فى الدنيا على ما حاول أذاه ومكروهه وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم قال فيقال لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك فذلك قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا قال هو كل كافر ونصب قوله ذهبا على الخروج من المقدار الذى قبله والتفسير منه وهو قوله ملء الارض كقول القائل عندى قدر زق سمنا وقدر رطل عسلا فالعسل تبين به ما ذكر من المقدار وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه وأما نحويو البصرة فانهم زعموا انه ملء لاشتغال الملء بالارض ومجىء الذهب بعدهما فصار نصبها نظير نصب الحال وذلك ان الحال يجىء بعد فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذى يأتى بعد الفعل الذى شغل بفاعله قالوا ونظير قوله ملء الارض ذهبا فى نصب الذهب فى الكلام لى مثلك رجلا بمعنى لى مثلك من الرجال وزعموا ان نصب الرجل لاشتغال الاضافة بالاسم فنصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل وأدخلت الواو فى قوله ولو افتدى به لمحذوف من الكلام بعده دل عليه دخول الواو كالواو فى قوله وليكون من الموقنين وتأويل الكلام وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والارض فكذلك ذلك فى قوله ولو افتدى به ولو لم يكن فى الكلام واو لكان الكلام صحيحا ولم يكن هنالك متروك وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو افتدى به ۞ القول فى تأويل قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) يعنى بذلك جل ثناؤه لن تدركوا أيها المؤمنون البر وهو البر من الله الذى يطلبونه منه بطاعتهم اياه وعبادتهم له ويرجونه منه وذلك بفضله عليهم بادخالهم جنته وصرف عذابه عنهم ولذلك قال كثير من أهل التأويل البر الجنة لان بر الرب بعبده فى الآخرة اكرامه اياه بادخاله الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فى قوله لن تنالوا البر قال الجنة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فى قوله لن تنالوا البر قال البر الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل اذ هو فى تقدير ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق وأكن ويجوز أن يكون الواو للحال باضمار قد أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الآية يؤل الى أنه تعالى لا يهدى قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق فى نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هى الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين للشئ فى غير موضعه وذلك أن الخصال الثلاث أعنى الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبى المبعوث فى آخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على أن زلة العالم أقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح فى آخر الآية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك فى أول الآية ثم أردفه بغاية الوعيد قائلا أولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله فى البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفى التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال وأصلحوا أى باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وأظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المغتر فتمغتر رجع عنها فان الله غفور فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو أو غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ذم كفر الى كفره وهو المراد فى الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل

الايمان بما أنزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حضور الكل وفى ذلك تنبيه على سوء عقيدة أهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى أنهم ليسوا من الدين فى شئ حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى أخذ الميثاق على كل نبى أن يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور وفى تفسير قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين فهيهنا قد أخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم يؤخذ عليه الميثاق لمن ياتى بعده فيكون فى الآية دليل على أنه لا نبى بعده واعلم أن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فيجوز أن يعدى أنزل بعلى تارة كما فى هذه الآية تو بحرف الانتهاء أخرى كما فى البقرة فنطق القرآن بالاعتبارين جميعا وقيل عدى هناك بالى لمكان قولوا فان الوحى يأتى الامة بطريق الانتهاء وعدى ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول يأتيه الوحى بطريق الاستعلاء وزيفه فى الكشاف بقوله تعالى وأنزلنا اليك الكتاب و بقوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا والانصاف أن هذا القائل لم يدع أن هذه المناسبة يجب اعتبارها فى كل موضع وانما ندعى اعتبارها فى الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله أعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار أن يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لاغرض فيه الا وجه الله دون شئ آخر من طلب المال والجاه بخلاف أحبار اليهود الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام فى شئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فاذا بعد الحق الا الضلال وهو فى الآخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند أهل السنة ومع أصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للآية وقد ذكرنا مرارا أن النزاع لفظى

قبول التوبة منها يقول الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه واذ كان ذلك كذلك فالذى لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله توبة صاحبه مما أقام على كفره لان الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله فاما ان تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف به نفسه غفور رحيم فان قال قائل وما ينكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور أجله أو توبته الاولى قيل أنكرنا ذلك لان التوبة من العبد غير كائنة الا فى حال حياته فاما بعد مماته فلا توبة وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم ولا خلاف بين جميع الحجة فى ان كافرا لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين ان حكمه حكم المسلمين فى الصلاة عليه والموارثة وسائر الاحكام غيرها فكان معلوما بذلك ان توبته فى تلك الحال لو كانت غير مقبولة لم ينتقل حكمه من حكم الكفار الى حكم أهل الاسلام ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز ان يقال لا يقبل الله فيها توبة الكافر فاذا صح انها فى حال حياته مقبولة ولا سبيل بعد الممات اليها بطل قول الذى زعم انها غير مقبولة عند حضور الاجل وأما قول من زعم ان معنى ذلك التوبة التى كانت قبل الكفر فقول لا معنى له لان الله عز وجل لم يصف القوم بايمان كان منهم بعد كفر ثم كفر بعد ايمان بل انما وصفهم بكفر بعد ايمان فلم يتقدم ذلك الايمان كفر كان للايمان لهم توبة منه فيكون تاويل ذلك على ما تاوله قائل ذلك وتاويل القرآن على ما كان موجودا فى ظاهر التلاوة اذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص أولى من غيره وان أمكن توجيهه الى غيره وأما قوله وأولئك هم الضالون فانه يعنى بذلك وهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين أضلوا سبيل الحق فاخطؤا منهجه وتركوا نصف السبيل وهدى الله الذى أخبرهم عنه فعموا عنه وقد بينا فيما مضى معنى الضلال بما فيه الكفاية ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا أى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة يهودها ونصارا ها ومجوسها وغيرهم وماتوا وهم كفار يعنى وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ولا جعل على العفو عنه ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الارض من مشرقها الى مغربها فاقر شا وجزاء على ترك عقوبته وفى العفو عنه على كفره عوضا مما الله محل به من عذابه لان الرشا انما يقبلها من كان ذا حاجة الى ما رشى فاما من له الدنيا والآخرة فكيف يقبل الفدية وهو خلاق كل فدية افتدى بها مفتد عن نفسه أو غيره وقد بينا ان معنى الفدية العوض والجزاء

لان الاسلام ان أريد به الانقياد الكلى فلا فرق بينه و بين الايمان كما فى هذه الآية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بناء على أن الاعتقاد القلبى داخل فى مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال كيف يهدى الله واختلف فى سبب النزول ففى رواية عن ابن عباس نزلت فى يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبى بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم البينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفى رواية أخرى عنه نزلت فى رهط كانوا أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم أخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد أسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الآية الى قوله فان الله غفور رحيم فبعث

بن وهب قال أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بفرس له يقال لها سبل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما أردت ان أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وغيره انها حين نزلت ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها اسامة بن زيد فكان زيد اوجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما ان الله قد قبلها

(تم الجزء الثالث من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الرابع أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل)

أقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم

نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر

مثل ضربت ضرب زيد أي مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله كما أنه يراد به في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا أي أنت وذلك ان المثلين يقوم أحدهما مقام الآخر في أغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم أن الكافر لا يملك يوم القيامة شيأ وبتقدير أن يملك فلا ينفع في الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب أنه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن أعز الاشياء والمراد أنه لو قدر على أعز الاشياء وفرض أن في بذله نفعا لما نفع هذا وأن المبذول في غاية الكثرة لعجز أن يتوصل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين قال أهل التحقيق ومتوا أي مات فلو جهم أولئك لهم عذاب أليم يموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم)

انهم أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت فى الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازدياده الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة فى الكفر ثم انه تعالى حكم فى الآية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى فى هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وأيضا ثبت بالدليل أن التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة (٢٣٠) للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن وقيل هى محمولة على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضى والقفال وابن الانبارى هى من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد أنه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد أن التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه أقول ويحتمل أن يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر ما يتوبون عن الكفر لما فى فعلهم من قساوة القلوب والاقضاء الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين أما على تقدير التعميم فنقول انما يجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية حينئذ لا تكون كلية فكم من مرتد أو يهودى مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع ابن الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى برز الكلام فى معرض الكناية ومن المعلوم انه اذا ذكر الملازم واراد اللازوم وأنه لا بد للعدول من فائدة فصح أن بين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهى التغليظ فى شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة التى هى أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذى عول عليه فى الكشاف والحاصل أنه كأنه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم أن لا تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون الكاملون فى الضلال ضلوا فى تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة * واعلم أن الكافرين على ثلاثة أقسام * أحدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى سيق لاجله الآية التى ردفها

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لن تنالوا البر أما البر فالجنة متأويل الكلام لن تنالوا أيها المؤمنون جنته بكم حتى تنفقوا مما تحبون يقول حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يقول لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ومما تهوون من أموالكم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر بن عياد عن الحسن قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال من المال وأما قوله وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم فانه يعنى به ومهما تنفقوا من شئ فتصدقوا به من أموالكم فان الله تعالى ذكره بما يتصدق به المتصدق منكم فينفقه مما يحب من ماله فى سبيل الله وغير ذلك عليم يقول هو ذو علم بذلك كله لا يعزب عنه شئ منه حتى يجازى صاحبه عليه جزاءه فى الآخرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم يقول محفوظ لكم ذلك الله به عليم شاكر له وبنحو التأويل الذى قلنا تأول هذه الآية جماعة من الصحابة والتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمر وقال ثنا ابو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فى قتال سعد بن أبى وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وهى مثل قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله سواء حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وهذه الآية من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال أبو طلحة يا رسول الله حائطى الذى بكذا وكذا صدقة ولو استطعت ان أجعله سرا لم أجعله علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها فى فقراء أهلك حدثنى المثنى قال ثنا أحمد بن المنهال قال ثنا حماد بن ثابت عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال أبو طلحة يا رسول الله ان الله يسألنا من أموالنا اشهدك انى قد جعلت أرضى بأريحا لله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها فى قرابتك فجعلها بين حسان بن ثابت وأبى بن كعب حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا ليث عن ميمون بن مهران ان رجلا سأل أبا ذر أى الاعمال أفضل قال الصلاة عماد الاسلام والجهاد سنام العمل والصدقة شئ عجب فقال يا أبا ذر لقد تركت شيأ هو أوثق عملى فى نفسى لا أراك ذكرته قال ما هو قال الصيام فقال قربة وليس هناك وتلا هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حدثنى يونس قال أخبرنا

(الجزء الرابع)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الرابع من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية)
على نفقة أصحابها (مصطفى البابى الحلبى وأخويه) بمصر

الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب أخذ عرق النسا فكان لا يبيت الليل من وجعه وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل نزول التوراة على موسى فسأل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهود ما هذا الذي حرم اسرائيل على نفسه فقالوا انزلت في التوراة بتحريم الذي حرم اسرائيل فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله فاولئك هم الظالمون وكذبوا وافتروا ولم تنزل التوراة بذلك وتاويل الآية على هذا القول كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة بعد نزولها الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بمعنى لكن اسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك وكان الضحاك وجه قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه الى الاستثناء الذي تسميه النحويون الاستثناء المنقطع وقال آخرون تاويل ذلك كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فان ذلك حرام على ولده بتحريم اسرائيل اياه على ولده من غير أن يكون الله حرمه على اسرائيل ولا على ولده ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فانه حرم على نفسه العروق وذلك انه كان يشتكي عرق النسا فكان لا ينام الليل فقال والله لئن عافاني الله منه لا يا كلنه ولد فليس مكتوبا في التوراة وسأل محمد صلى الله عليه وسلم نفرا من أهل الكتاب فقال ما شأن هذا حراما فقالوا هو حرام علينا من قبل الكتاب فقال الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الى ان كنتم صادقين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس أخذه يعني اسرائيل عرق النسا فكان لا يبيت بالليل من شدة الوجع وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يا كل عرقا أبدا وذلك قبل أن تنزل التوراة فقال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم نزلت التوراة بتحريم الذي حرم اسرائيل على نفسه قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكذبوا ليس في التوراة * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه فانه كان حراما عليهم بتحريم أبيهم اسرائيل ذلك عليهم من غير أن يحرمه الله عليهم في تنزيل ولا بوحي قبل التوراة حتى نزلت التوراة فحرم الله عليهم فيها ما شاء وأحل لهم فيها ما أحب وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل ذكر بعض من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة واسرائيل هو يعقوب قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين يقول كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها أشياء وأحل لهم ما شاء حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة نحوه واختلف أهل التأويل في الذي كان اسرائيل حرمه على نفسه فقال بعضهم كان الذي حرمه اسرائيل على نفسه العروق ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن يوسف بن ماهك جاء اعرابي الى ابن عباس فقال انه جعل امرأته عليه حراما قال ليست عليك بحرام قال فقال الاعرابي ولم والله يقول في كتابه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال فضحك ابن عباس وقال وما يدريك ما كان اسرائيل حرم على نفسه قال ثم أقبل على القوم يحدثهم فقال اسرائيل عرضت له الانسا فاضنته فجعل لله ان شفاه الله منها لا يطعم عرقا قال فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة

الواو لان الامن من الآيات آمنا ط سبيلا ط العالمين ٥ بآيات الله ط قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون ٥ شهداء ط تعملون ٥ كافرين ٥ رسوله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم ٥ * التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر ألبتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الآخرة وهو الانفاق من أحب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان أتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باحراز خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا أحبوا شيأ جعلوه لله يروى انها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله حائط لي بالمدينة يعني بيرحاء وهو أحب أموالي الي صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح واني أرى ان تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة افعل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها صلى الله عليه وسلم في أقاربه وروى انه صلى الله عليه وسلم جعلها بين حسان ابن ثابت وأبي بن كعب وروى ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة فوجد زيد في نفسه وقال انما أردت أن أتصدق به فقال

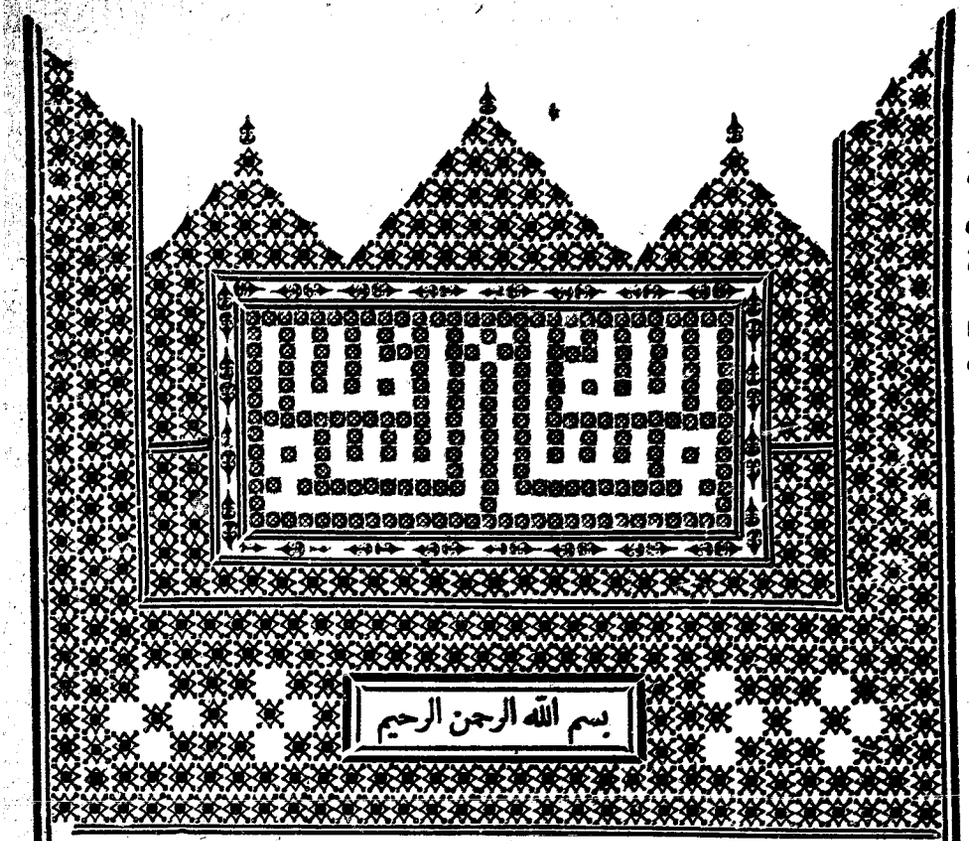

كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) ﴿القرآن ان تنزل خفيفا ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد ج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة على وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون بفتحها ﴿الوقوف تحبون ط عليم ه تنزل التوراة ط صادقين ه الظالمون ه حنيفا ظ المشركين ه العالمين ه ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا فمقام ابراهيم ج للابتداء بالشرط مع

﴿القول في تأويل قوله (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) يعني بذلك جل ثناؤه انه لم يكن حرم على بني اسرائيل وهم ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن شيأ من الاطعمة من قبل أن تنزل التوراة بل كان ذلك كله لهم حلالا الا ما كان يعقوب حرمه على نفسه فان ولده حرموه استنانا بابيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل ولا على لسان رسول له اليهم من قبل نزول التوراة ثم اختلف أهل التأويل في تحريم ذلك عليهم هل نزل في التوراة أم لا فقال بعضهم لما أنزل الله عز وجل التوراة حرم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل تنزولها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين قالت اليهود انما تحرم ما حرم اسرائيل على نفسه وانما حرم اسرائيل العروق كان يأخذه عرق النسا كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقا أبدا فحرمه الله عليهم ثم قال قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ما حرم هذا عليكم غيري بيغيكم فذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فتأويل الآية على هذا القول كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فان الله حرم عليهم من ذلك ما كان اسرائيل حرمه على نفسه في التوراة بيغيهم على أنفسهم وظلمهم لها قل يا محمد فاتوا أيها اليهود ان أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ان الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة وانكم انما تحرمونه لتحريم اسرائيل اياه على نفسه وقال آخرون ما كان شيء من ذلك عليهم حراما ولا حرمه الله عليهم في التوراة وانما هو شيء حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل في اضافتهم ذلك اليه فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم ذكر من قال ذلك حدثت عن

الحسين

لونه المؤمن في من شيء للتبيين يعني من أي شيء كان طيبا أو خبيثا فان الله به عليم فيجازيكم

بحسبه أو يعلم الوجه الذي لاجله تتفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب أجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه أحدها انهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فورد عليهم ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي بان يطالبهم باحضار التوراة الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التوراة الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف تاكل لحم الابل وألبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التوراة وثالثها لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم فاظلهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا اسنادا أول من حرمت هي عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت

مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم لحوم الانعام قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول ابن عباس الذي رواه الاعمش وابن حبيب عن سعيد عنه ان ذلك العروق ولحوم الابل لان اليهود مجمعة الى اليوم على ذلك من تحريمهما كما كان عليه من ذلك أوائلها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك خبر وهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يونس بن بدر عن عبد المجيد ابن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وأما قوله فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فان معناه قل يا محمد للزاعمين من اليهود ان الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الابل وألبانها ائتوا بالتوراة فاتلوها يقول قل لهم جيؤا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين لمن خفي عليه كذبهم وقيلهم الباطل على الله من أمرهم أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة ان كنتم صادقين يقول ان كنتم محقين في دعواكم ان الله أنزل تحريم ذلك في التوراة فاتوا بها فاتلوا تحريم ذلك علينا منها وانما ذلك خبر من الله عن كذبهم لانهم لا يجيؤن بذلك أبدا على صحته فاعلم الله بكذبهم عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اعلامه اياه ذلك حجة له عليهم لان ذلك اذ كان يخفى على كثير من أهل ملتهم فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أمي من غير ملتهم لولا ان الله أعلمه ذلك بوحي من عنده كان أحرى أن لا يعلمه فكان في ذلك له صلى الله عليه وسلم من أعظم الحجة عليهم بانه نبي لله صلى الله عليه وسلم اليهم لان ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفي علومهم الذي لا يعلمه غير خاصة منهم الا من أعلمه الذي لا يخفى عليه خافية من نبي أو رسول أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه ۞ القول في تاويل قوله (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون) يعني جل ثناؤه بذلك فمن كذب على الله منا ومنكم من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم اياها وعدمكم ما ادعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الابل وألبانها فيها فاولئك هم الظالمون يعني فمن فعل ذلك منهم فاولئك يعني فهؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الظالمون يعني فهم الكافرون القائلون على الله الباطل كما حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن زكريا عن الشعبي فاولئك هم الظالمون قال نزلت في اليهود ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد صدق الله فيما أخبرنا به من قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل وان الله لم يحرم على اسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الابل وألبانها وان ذلك انما كان شيأ حرمه اسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله اياه عليهم في التوراة وفي كل ما أخبر به عباده من خبر دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبة في اضافتكم تحريم ذلك الى الله عليكم في التوراة المفتريه على الله الباطل في دعواكم عليه غير الحق فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين يقول فان كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم انكم على الدين الذي ارتضاه الله لانبيائه ورسله فاتبعوا ملة ابراهيم خليل الله فانكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضاه الله من خلقه دينا وابتعثه به أنبياءه وذلك الحنيفية يعني الاستقامة على الاسلام وشرائعه دون اليهودية والنصرانية والمشركة وقوله وما كان من المشركين يقول لم يكن بشرك في عبادته أحدا من خلقه فكذلك أنتم أيضا أيها اليهود فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله تطيعونهم كطاعة ابراهيم ربه وأنتم يا معشر عبدة الاوثان فلا تتخذوا الاوثان والاصنام أربابا ولا تعبدوا شيأ من دون الله فان ابراهيم خليل الرحمن كان دينه اخلاص العبادة لربه وحده من غير اشراك أحد معه فيه فكذلك أنتم أيضا فاخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحدا فان جميعكم مقرون بان ابراهيم كان على حق

رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الله
مدائن كسرى فلما رآها أعجبته فقال
ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم
يصبها ونزل بابي فروسيف فقال
الراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة
مهزولة فقال خنتني فقال وجدت
خير الابل فلها فذكرت يوم
حاجتك اليه فقال ان يوم حاجتي
اليه ليوم أوضع في حفرتي وفي
تفسير البر قولان أحدهما ما به
يصيرون ابرارا لا يدخلون في قوله ان
الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر
ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة
المذكورة في قوله ولكن البر من
آمن وجملتها التقوى لقوله أولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون
والثاني الجنة أي تنالوا ثواب البر
وقيل المراد بر الله أولياءه واكرامه
اياهم من قول الناس برني فلان بكذا
وبرفلان لا ينقطع عني وقال تعالى
أن تبروا وتتقوا ومن في قوله مما
تحبون للتبعيض نحو أخذت من المال
ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود
بعض ما تحبون وفيه ان انفاق كل
المال غير مندوب بل غير جائز لمن
يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال
بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى
وانه لحب الخير لشديد وقيل هو
ما يكون محتاجا اليه كقوله
ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقيل هو أطيب المال وأرفعه كما
مر وعن ابن عباس أراد به الزكاة
أي حتى تخرجوا زكاة أموالكم
ورد عليه انه لا يجب على المزكي ان
يخرج أشرف أمواله وأكرمها
وقال الحسن هو كل ما أنفقه المسلم
من ماله يطلب به وجه الله ونقل
الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة بآية الزكاة وضعف بان ايجاب الزكاة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب

قد قبلها منك وكتب عمر الى أبي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت

عن أبي بشر قال سمعت يوسف بن ماهك يحدث ان اعرابيا أتى ابن عباس فذكر رجلا حرم امرأته
فقال انها ليست بحرام فقال الاعرابي أرأيت قول الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا
ما حرم اسرائيل على نفسه فقال ان اسرائيل كان به عرق النسا فحلف لئن عافاه الله لا يأكل العروق
من اللحم وانها ليست عليك بحرام **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان
التيمي عن أبي مجلز في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال ان
يعقوب أخذه وجع عرق النسا فجعل لله عليه أو أقسم أو قال لا يأكله من الدواب قال والعروق كلها
تبع لذلك العرق **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان الذي حرم
اسرائيل على نفسه ان الانسا أخذته ذات ليلة فاسهرته فتألى ان الله شفاه لا يطعم نسا أبدا فتتبعت
بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن
قتادة بنحوه وزاد فيه قال فتألى لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق
يخرجونها من اللحم وكان الذي حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة العروق **حدثنا** الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال
اشتكى اسرائيل عرق النسا فقال ان الله شفاني لاحرمن العروق فحرمها **حدثنا** الحسن بن يحيى
قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت له زقاء فجعل لله عليه ان شفاه أن لا يأكل العروق
فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال سفيان له زقاء
يعني صياح **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في
قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يشتكي عرق النسا فحرم العروق **حدثني** المثنى قال
ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال
حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله كل الطعام كان حلا لبني
اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قال كان اسرائيل يأخذه عرق النسا
فكان يبيت له زقاء فحرم على نفسه أن يأكل عرقا * وقال آخرون بل الذي كان اسرائيل حرم على نفسه
لحوم الابل وألبانها ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعنا انه اشتكى شكوى فقالوا انه عرق النسا فقال رب ان أحب
الطعام الى لحوم الابل وألبانها فان شفيتني فاني أحرمها على قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح لحوم
الابل وألبانها حرم اسرائيل **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن
الحسن في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل قال كان اسرائيل ٧ حرم على نفسه لحوم الابل وكانوا
يزعمون انهم يجدون في التوراة تحريم اسرائيل على نفسه لحوم الابل وانما كان حرم اسرائيل على
نفسه لحوم الابل قبل أن تنزل التوراة فقال الله فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فقال لا يجدون
في التوراة تحريم اسرائيل على نفسه الا لحم الابل **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد
قال ثنا سفيان قال ثنا حبيب بن أبي ثابت قال ثنا سعيد عن ابن عباس ان اسرائيل أخذه
عرق النسا فكان يبيت بالليل له زقاء يعني صياح قال فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني
لحوم الابل قال فحرمه اليهود وتلا هذه الآية كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على
نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أي ان هذا قبل التوراة
حدثنا ابن كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
في الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم العروق ولحوم الابل قال كان به عرق النسا فكان لا يأكل من لحومها
فبات بليلة يزقو فحلف أن لا يأكله أبدا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل وهي غير واضحة فلعل فيها تحريفا يدرك بالسابق واللاحق اه مصححه

مجاهد

أغرق الله قوم نوح ورفعه الله وطهره من أن يصيبه عقوبة أهل الارض فصار معمورا في السماء ثم ان ابراهيم تتبع منه آثارا بعد ذلك فبناه على أساس قديم كان قبله * والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه ان أول بيت مبارك وهدى وضع للناس للذي ببكة ومعنى ذلك ان أول بيت وضع للناس أي لعبادة الله فيه مباركا وهدى يعني بذلك ومالنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله واجلالا له الذي ببكة لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قال ثم أي قال المسجد الاقصى قال كم بينهما قال أربعون سنة ثم بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الارض على ما قلنا فما معنى وضعه بيتا بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع وبعضه في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله للذي ببكة مباركا فانه يعني للبيت الذي يزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم وأصل البك الزحم يقال منه بك فلان فلانا اذا زحمه وصدمه فهو يبكه بكا وهم يتباكون فيه يعني به يتزاحمون ويتصادمون فيه فكان بكة فعلة من بك فلان فلانا زحمه سميت البقعة لفعل المزدحمين بها فاذا كانت بكة ما وصفنا وكان موضع ازدحام الناس حول البيت وكان لا طواف يجوز خارج المسجد كان معلوما بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد وان ما كان خارج المسجد فكة لا بكة لانه لا معنى لخارجه يوجب على الناس التباك فيه واذ كان ذلك كذلك كان بينا بذلك فساد قول من قال بكة اسم لبطن مكة ومكة اسم للحرم ذكر من قال في ذلك ما قلنا من أن بكة موضع مزدحم الناس للطواف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك الغفاري في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال بكة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن أبي جعفر قال مرت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي وهي تطوف بالبيت فدفعها قال أبو جعفر انها بكة تبك بعضها بعضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا سلمة عن مجاهد قال انما سميت بكة لان الناس يتباكون فيها الرجال والنساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جاد عن سعيد قال قلت لاي شئ سميت بكة قال لانهم يتباكون فيها قال يعني يتزاحمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاسود بن قيس عن أخيه عن ابن الزبير قال انما سميت بكة لانهم يباتونها حجاجا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا فان الله بك به الناس بيعافيصلي النساء قدام الرجال ولا يصلح ببلد غيره حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بكة بك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن فضيل بن مسروق عن عطية العوفي قال بكة موضع البيت ومكة ما حولها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أزهر عن غالب بن عبيد الله انه سأل ابن شهاب عن بكة قال بكة البيت والمسجد وسأله عن مكة فقال ابن شهاب مكة الحرم كله حدثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ومجاهد قالا بكة بك فيها الرجال والنساء حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي قال قال ضمرة ابن ربيعة بكة المسجد ومكة البيوت وقال بعضهم بما حدثني به يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال هي مكة وقيل مباركا لان الطواف به مغفرة للذنوب فما نصب قوله مباركا فانه على الخروج من قوله وضع لان في وضع ذكرا

انه في جواب الشبه الثلاث وفيه تعريض تكذيبهم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي التي عليها نحمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حتى تخلصوا من

كل الطعام أي المطعومات كلها الحلة يفيد العموم أولا والطعام اسم لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض أصحاب أبي حنيفة انه اسم البر خاصة ورد عليه ان المستثنى في الآية من الطعام كان شيأ سوى الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل أن تكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا صلى الله عليه وسلم انها كانت محرمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة وأما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام والشراب اليه لحمان الابل وألبانها وهذا قول أبي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله أن لا يأكل شيأ من العروق وجاء في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا لحرمة فأجاب المفسرون بان الانبياء أشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء وأيضا لا يبعد أن يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وأيضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم فاعتبروا يا أولي الابصار ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد

وهدى مستقيم فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الحنيفية ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الاحزاب فانها بدع ابتدعتموها الى ما قد أجمعتم عليه أنه حق فان الذي أجمعتم عليه أنه صواب وحق من ملة ابراهيم هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحد من خلقي جاء بي به يوم القيامة وانما قال جل ثناؤه وما كان من المشركين يعني به وما كان من عددهم وأوليائهم وذلك أن المشركين بعضهم من بعض في التظاهر على كفرهم ونصرة بعضهم بعضا فبرأ الله ابراهيم خليله أن يكون منهم أو نصيرا لهم وأهل ولايتهم وانما عنى جل ثناؤه بالمشركين اليهود والنصارى وسائر الاديان غير الحنيفية قال لم يكن ابراهيم من أهل هذه الاديان المشركة ولكنه كان حنيفا مسلما ۞ القول في تأويل قوله (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين الذي ببكة قالوا وليس هو أول بيت وضع في الارض لانه قد كانت قبله بيوت كثيرة ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى علي فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض فقال لا ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا وقيل له ان أول بيت وضع للناس الذي ببكة هو أول بيت كان في الارض قال فأين كان قوم نوح وأين كان قوم هود قال ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سألت حفص الحسن وأنا أسمع عن قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال هو أول مسجد عبد الله فيه في الارض حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال ثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال قد كانت قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للعبادة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه للذي ببكة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال وضع للعبادة * وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس ثم اختلف قائلو ذلك في صفة وضعه أول فقال بعضهم خلق قبل جميع الارضين ثم دحيت الارضون من تحتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله ابن موسى قال أخبرنا شيبان عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله البيت قبل الارض بالفي سنة وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول ان أول ما خلق الله الكعبة ثم دحى الارض من تحتها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ان أول بيت وضع للناس كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين أما أول بيت فانه يوم كانت الارض كانت زبدة على الارض فلما خلق الله الارض خلق البيت معها فهو أول بيت وضع في الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده * وقال آخرون موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط قال أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين حتى اذا كان زمن الطوفان زمن

عبد السلام بن حرب قال ثنا خصيف عن مجاهد في الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال يؤخذ فيخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد يقول القتل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد مثل قول مجاهد حدثنا ابن كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا هشام عن الحسن وعطاء في الرجل يصيب الحد ويلجأ الى الحرم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فتأويل الآية على قول هؤلاء فيه آيات بينات مقام ابراهيم والذي دخله من الناس كان آمنا بها في الجاهلية وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا بها بمعنى الجزاء كنحو قول القائل من قام لي أكرمته بمعنى من يقم لي أكرمه وقالوا هذا أمر كان في الجاهلية كان الحرم مفزع كل خائف وملجأ كل جان لانه لم يكن يهاج به ذو جريرة ولا يعرض الرجل لقاتل أبيه وابنه بسوء قالوا وكذلك هو في الاسلام لان الاسلام زاده تعظيما وتكريما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مجاهد قال قال ابن عباس اذا أصاب الرجل الحد قتل أو سرق فدخل الحرم لم يبايع ولم يؤو حتى يتبرم فيخرج من الحرم فيقام عليه الحد قال فقلت لابن عباس ولكني لا أرى ذلك أرى ان يؤخذ ومنه ثم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فان الحرم لا يزيده الا شدة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا عبد الملك عن عطاء قال أخذ ابن الزبير سعدا مولى معاوية وكان في قلعة بالطائف فارسل الى ابن عباس من يشاوره فيهم انهم لناعين فارسل اليه ابن عباس لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له قال فارسل اليه ابن الزبير لاخرجهم من الحرم قال فارسل اليه ابن عباس أفلا قبل أن تدخلهم الحرم زاد أبو السائب في حديثه فاخرجهم فصلبهم ولم يصغ الى قول ابن عباس حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس قال من أحدث حدثا في غير الحرم ثم لجأ الى الحرم لم يعرض له ولم يبايع ولم يكلم ولم يؤو حتى يخرج من الحرم فاذا خرج من الحرم أخذ فاقيم عليه الحد قال ومن أحدث في الحرم حدثا أقيم عليه الحد حدثنا أبو كريب قال ثنا ابراهيم بن اسمعيل بن نصر السلمي عن أبي حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس انه قال من أحدث حدثا ثم استجار بالبيت فهو آمن وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شيء الى أن يخرج فاذا خرج قاموا عليه الحد حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن عطاء عن ابن عمر قال لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هجته حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن عطاء ان الوليد بن عتبة أراد أن يقيم الحد في الحرم فقال له عبيد بن عمير لا تقم عليه الحد في الحرم الا أن يكون أصابه فيه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مطرف عن عامر قال اذا أصاب الحد ثم هرب الى الحرم فقد أمن فاذا أصابه في الحرم أقيم عليه الحد في الحرم حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبي قال من أصاب حدا في الحرم أقيم عليه في الحرم ومن أصابه خارجا من الحرم ثم دخل الحرم لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم فيقام عليه حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا عبد السلام بن حرب قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعن عبد الملك عن عطاء بن أبي رباح في الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال لا يبيعه أهل مكة ولا يشترون منه ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه عدا أشياء كثيرة حتى يخرج من الحرم فيؤخذ بذنبه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الرجل اذا أصاب حدا ثم دخل الحرم أنه لا يطعم ولا يسقى ولا يؤوى ولا يكلم ولا ينكح ولا يبايع فاذا خرج منه أقيم عليه الحد حدثني المثنى قال ثني حجاج قال ثنا حماد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا أحدث الرجل حدثا ثم دخل الحرم لم يؤو ولم يجالس ولم يبايع ولم يطعم ولم يسق حتى يخرج من الحرم حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد

يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه أول بيت وضع للناس يحتمل أن يكون المراد انه أول في البناء والوضع ويحتمل أن يراد انه أول في الوضع وان كان متأخرا في البناء فلا جرم حصل فيه المفسرين قولان الاول انه أول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفي رواية أخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى أيضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن آبائه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن مجاهد والسدي انه أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض من تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابراهيم ثلاثة صفوح منها كتاب في الصفح الاول أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أفلاك حفافا باركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير

اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث أجأتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلت لابراهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على أن محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم ابراهيم بحله وفي الاصول لان محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم كليهما صلى الله عليهما وسلم لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان أول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة أخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس أفضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وأرض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطاعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان أعظم الامور التي أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من أعظم شعائر ملته أردفها بفضيلة البيت ليفرغ عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم وأهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال أول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا ولم يعد الى بيعتق أيضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه محل تعبدهم وموضع طاعتهم

عبد

من البيت هو به مشغول وهو معرفة ومبارك نكرة لا يصلح أن يتبعه في الاعراب وأما على قول من قال هو أول بيت وضع للناس على ما ذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله فانه نصب على الحال من قوله للذي ببكة لان معنى الكلام على قولهم ان أول بيت وضع للناس البيت ببكة مباركا فالبيت عندهم من صفة الذي ببكة والذي نصبته معرفة والمبارك نكرة فنصب على القطع منه في قول بعضهم وعلى الحال في قول بعضهم وهدى في موضع نصب على العطف على قوله مباركا ۞ القول في تأويل قوله (فيه آيات بينات) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ قراء الامصار فيه آيات بينات على جماع انه بمعنى فيه علامات بينات وقرأ ذلك ابن عباس فيه آية بينة يعني بها مقام ابراهيم يراد بها علامة واحدة ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فيه آيات بينات وما تلك الآيات فقال بعضهم مقام ابراهيم والمشعر الحرام ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم والمشعر حدثنا اسحق بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ومجاهد فيه آيات بينات مقام ابراهيم قالا مقام ابراهيم من الآيات البينات وقال آخرون الآيات البينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله فيه آيات بينات قال مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال آخرون الآيات البينات هو مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم أما الآيات البينات فمقام ابراهيم والذي قرؤا ذلك فيه آية بينة على التوحيد فانهم عنوا بالآية البينة مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فيه آيات بينات قال قدماه في المقام آية بينة يقول ومن دخله كان آمنا هذا شئ آخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد فيه آية بينة مقام ابراهيم قال أثر قدميه في المقام آية بينة * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال الآيات البينات منهن مقام ابراهيم وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما فيكون الكلام مرادا فيه منهن فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها فان قال قائل فهذا المقام من الآيات البينات فما سائر الآيات التي من أجلها قيل آيات بينات قيل منهن المقام ومنهن الحجر ومنهن الحطيم وأصح القراءات بين في ذلك قراءة من قرأ فيه آيات بينات على الجماع لاجماع قراء أمصار المسلمين على ان ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها وأما اختلاف أهل التأويل في تأويل مقام ابراهيم فقد ذكرناه في سورة البقرة وبينا أولى الاقوال بالصواب فيه هنالك وانه عند المقام المعروف به فتأويل الآية اذا ان أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين للذي ببكة فيه علامات بينات من قدرة الله وآثار خليله ابراهيم منهن أثر قدم خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الحجر الذي قام عليه ۞ القول في تأويل قوله (ومن دخله كان آمنا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله الخبر عن ان كل من جرى في الجاهلية جريرة ثم عاذ بالبيت لم يكن بها ماخوذا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا وهذا كان في الجاهلية كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب فاما في الاسلام فانه لا يمنع من حدود الله من سرق فيه قطع ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ومن قتل فيه قتل وعن قتادة ان الحسن كان يقول ان الحرم لا يمنع من حدود الله لو أصاب حدا في غير الحرم فلجأ الى الحرم لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد ورأى قتادة ما قاله الحسن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا قال ذلك كان في الجاهلية فاما اليوم فان سرق فيه أحد قطع وان قتل فيه قتل ولو قدر فيه على المشركين قتلوا حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا

جل ثناؤه وفرض واجبة على من استطاع من أهل التكليف السبيل الى بيته الحرام الحج اليه وقد بينا فيما مضى معنى الحج ودللنا على صحة ما قلنا من معناه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج فقال بعضهم هي الزاد والراحلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد ابن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار الزاد والراحلة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن ابن حباب عن الضحاك عن ابن عباس في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والبعير حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والسبيل أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل عن أبي عبد الله البجلي قال سألت سعيد بن جبير عن قوله من استطاع اليه سبيلا قال قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فهو السبيل اليه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن اسحق بن عثمان قال سمعت عطاء يقول السبيل الزاد والراحلة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما من استطاع اليه سبيلا فان ابن عباس قال السبيل راحلة وزاد حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال أخبرنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال الزاد والراحلة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحسن قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقال رجل يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة واعتل قائلوا هذه المقالة باخبار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا في ذلك ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابراهيم بن يزيد الجوزي قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر قال قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو خيثمة قال ثنا سفيان عن ابراهيم الجوزي عن محمد بن عباد عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الى الحج الزاد والراحلة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر ابن المفضل قال ثنا يونس وثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثنا أبو عثمان المقدمي والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا هلال بن عبيد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي قال ثنا أبو اسحق عن الحرث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله عز وجل يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل أو رجل يا رسول الله ما السبيل اليه قال من وجد زادا وراحلة حدثنا أحمد ابن الحسن الترمذي قال ثنا شاذ بن فياض البصري قال ثنا هلال بن هشام عن ابن اسحق الهمداني عن الحرث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة فلم يحج مات يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا حماد بن سلمة عن

ودفعه عن سعيد بن جبير كفيت لأنهم لم يقيدوا كون فيها أو يزيد بحرف في الطواف ونحو قول محمد بن علي الباقر رضي الله عنه وقد سئل عن قوله تعالى لينظروا بيتي يحج

أن الحيوانات المتضادة في الطبائع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها أمن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة أو خرب مكة بالكلية وأما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة أصحاب الفيل سوف تجيء في موضعها ان شاء العزيز ومنها انه تعالى وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها أنه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء بدعوة خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانه من أعظم الآيات ومنها أن لا يسكنها أحد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود أرباب الهمم الدنية ومنها أن لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها أنه تعالى أظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيبا من الدنيا فكأنه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الامين لأجعلهم في الآخرة أهل المقام الامين ومنها كأنه قيل كلم أجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا أجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة البيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم البلد الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة وأما اشتقاق بكة من قولهم بكه اذا زحمه

عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله ومن دخله كان آمنا فلو أن رجلا قتل رجلا ثم أتى الكعبة فعاذ بها ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبدا أن يقتله * وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا من النار ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن مسلم قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومي قال ثنا زياد بن أبي عياض عن يحيى بن جعدة في قوله ومن دخله كان آمنا قال آمنا من النار * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ومن قال معنى ذلك ومن دخله من غيره ممن لجأ اليه عائذا به كان آمنا ما كان فيه ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد ان كان أصاب ما يستوجب به في غيره ثم لجأ اليه وان كان أصابه فيه أقيم عليه فيه فتأويل الآية اذن فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن يدخله من الناس مستجيرا به يكون آمنا مما استجار منه ما كان فيه حتى يخرج منه * فان قال قائل وما منعك من اقامة الحد عليه فيه قيل لاتفاق جميع السلف على ان من كانت جريرته في غيره ثم عاذ به فانه لا يؤخذ بجريرته فيه وانما اختلفوا في صفة اخراجه منه لاخذه بها فقال بعضهم صفته ذلك منعه المعاني التي يضطر مع منعه وفقده الى الخروج منه وقال آخرون لا صفة لذلك غير اخراجه منه بما أمكن اخراجه من المعاني التي توصل الى اقامة حد الله عليه معها فلذلك قلنا غير جائز اقامة الحد عليه فيه الا بعد اخراجه منه فاما من أصاب الحد فيه فانه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد فكانت المسئلتين أصل مجمع على حكمها على ما وصفنا * فان قال لنا قائل وما دلالتك ان اخراج العائذ بالبيت اذا أتاه مستجيرا به من جريرة جرها أو من حد أصابه من الحرم جائز لاقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة وقد أقررت بان الله عز وجل قد جعل من دخله آمنا ومعنى الآمن غير معنى الخائف فيما هما فيه مختلفان قيل قلنا ذلك لاجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان اخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الاخراج لاخذه بما لزمه واجب على امام المسلمين وأهل الاسلام معه وانما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه فقال بعضهم السبب الذي يجوز اخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته واطعامه وسقيه وايواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لاقرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها وقال آخرون منهم بل اخراجه لاقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الاخراج فلما كان اجماعا من الجميع على ان حكم الله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها اخراجه منه لاقامته فرض الله على المؤمنين اقامته عليه ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز اخراجه به منه كان اللازم لهم ولامامهم اخراجه منه بأي معنى أمكنهم اخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خلوا منه اذا كان لجأ اليه من خارج على ما قد بينا قبل وبعد فان الله عز وجل لم يضيع حدا من حدوده على أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار اليها مما لزمه ذلك وقد تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ولا خلاف بين جميع الامة ان عائذا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخذ بالعقوبة فيه ولولا ما ذكرت من اجماع السلف على ان حرم ابراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره أعظم البقاع الى الله كحرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنا أمرنا باخراج من أمرنا باخراجه من حرم الله لاقامة الحد عليه لما ذكرنا من فعل الامة ذلك وراثة عن الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا ومن دخله كان آمنا ما كان فيه فاذا كان ذلك كذلك فمن لجأ اليه من عقوبة لزمته عائذا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه وانما يصير الى الخوف بعد الخروج به أو الخروج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه * القول في تأويل قوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) يعني بذلك

على يديه ويل لمن كان الشر على يديه (١٨) وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها أم القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلاة كان ثابتا في أديان جميع الانبياء وأيضا قال تعالى في سورة مريم أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا وبكيا لابد لهم من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هي أول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول الثاني روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن علي أن رجلا قال له هو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة اعلم أن الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير لاولية البناء في هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية أيضا كما روينا آنفا في سورة البقرة أيضا من الاخبار والآثار في فضائل البيت أن الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرائيل والبانيه ابراهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها أنه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى الجمار فيه فانه منذ آلاف سنة ترمى في كل سنة ستمائة ألف انسان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات سيل ماء أو مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار أن كل من جبل

بلغات العرب ومعانى كلامهم يعرفونه بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت من أنهم الفتان بمعنى واحد والذى نقوله فى قراءة ذلك ان القراءتين اذا كانتا مستفيضتين فى قراءة أهل الاسلام ولا اختلاف بينهما فى معنى ولا غيره فهما قراءتان قد جاءتا بالحجة فبأى القراءتين أعنى بكسر الحاء من الحج أو فتحها قرأ القارئ فصيب الصواب فى قراءته وأما من التى مع قوله من استطاع فانه فى موضع خفض على الابدال من الناس لان معنى الكلام ولله على من استطاع من الناس سبيلا الى حج البيت حجه فلما تقدم ذكر الناس قبل من بين بقوله من استطاع اليه سبيلا الذى عليه فرض ذلك منهم لان فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته فانكره وكفر به فان الله غنى عنه وعن حجه وعمله وعن سائر خلقه من الجن والانس كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الواحد ابن زياد عن الحجاج بن أرطاة عن محمد بن أبى المجالد قال سمعت مقسما عن ابن عباس فى قوله ومن كفر قال من زعم أنه ليس بفرض عليه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء وجويبر عن الضحاك فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من جحد الحج وكفر به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء قال من جحد به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمران القطان يقول من زعم ان الحج ليس عليه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من أنكره ولا يرى ان ذلك عليه حقا فذلك كفر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال من كفر بالحج حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من كفر بالحج كفر بالله حدثنى المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد عن هشام بن حسان عن الحسن فى قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من لم يره عليه واجبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال بالحج وقال آخرون معنى ذلك أن لا يكون معتقدا فى حكمه ان له الاجر عليه ولا اثر عليه بتركه اثما ولا عقوبة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى عبد الله بن مسلم عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال هو ما ان حج لم يره براوان قعد لم يره ماثما حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن ابن جريج عن مجاهد قال هو ما ان حج لم يره براوان قعد لم يره ماثما حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مطر عن أبى داود نفيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يا رسول من تركه كفر قال من تركه ولا يخاف عقوبته ومن حج ولا يرجو ثوابه فهو ذاك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومن كفر فان الله غنى عن العالمين يقول من كفر بالله فلم يرجه براولا تركه ماثما وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بالله واليوم الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال سألته عن قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ما هذا الكفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ومن كفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فقال يا أيها الناس ان الله عز وجل كتب عليكم الحج

نورانية وضمائرهم وبانية علم أنه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت أجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت أنوار أولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية فى سره قال العقال يجوز أن تكون بركته ماذكر فى قوله يجبى اليه ثمرات كل شئ فيكون كقوله الى الارض المقدسة التى باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك أنه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم أو مغرب أو عشاء فلا تخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وأيضا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفا من السنين دوام وأما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم أولانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من الآيات والاعاجيب أولانه يهدى الى الجنة ومعنى هدى هاديا أو ذا هدى قاله الزجاج وجوز أن يكون محله رفعا أى وهو هدى فيه آيات بينات يحتمل أن يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكأنه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذى اختاره موحد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات بيانه وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل أيضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحياته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله

ان ابراهيم كان أمة واما بان يجعل المقام مشتملا على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانارة بعض المعجزة

ابن علي الباقر يصلي فرت امرأة بين يديه فذهبت أدفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا ثم المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا باس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هنالك وفيه الازدحام ولا شك أن بكة غير البيت لان الآية تدل على أن البيت حاصل في بكة والشئ لا يكون مظروفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه وأما مكة فاشتقاقها من قولك أمك الفصيل ضرع أمه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجتذب الناس من كل جانب وقطر أو لغلة مائها كأن أرضها امتصت ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تملك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين أما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير الذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار وأما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شئ ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه أن الكعبة كالنقطة في وسط المتوجهين اليها في الصلوات في أقطار الارض وأكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا بلغائد

قتادة وحميد عن الحسن ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل اليه قال الزاد والراحلة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن قتادة عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقال آخرون السبيل الذي اذا استطاعها المرء كان عليه الحج الطاقة للوصول اليه قال وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول اليه بامتناع الطريق من العدو الحائل وبقلة الماء وما أشبه ذلك قالوا فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عز وجل بان يكون مستطيعا اليه السبيل وذلك الوصول اليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه وذلك قد يكون بالمشي وحده وان أعوزه المركب وقد يكون بالمركب وغير ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن خالد بن أبي كريمة عن رجل عن ابن الزبير قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال على قدر القوة حدثنا علي بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة فان كان شابا صحيحا ليس له مال فعليه أن يؤاجر نفسه باكمه وعقبه حتى يقضي حجته فقال له قائل كاف الله الناس أن يمشوا الى البيت فقال لو أن لبعضهم ميراثا بمكة أكان تاركه والله لا نطلق اليه ولو حبوا كذلك يجب عليه الحج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكير قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء من وجد شيأ يبلغه فقد وجد سبيلا كما قال الله عز وجل من استطاع اليه سبيلا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال ثنا سهل بن عامر عن هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل ما يسره الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن من وجد شيأ يبلغه فقد استطاع اليه سبيلا وقال آخرون السبيل الى ذلك الصحة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبيد الله بن عبد الحكم والمثنى بن ابراهيم قالوا حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال ثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك المغافري انه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الصحة وقال آخرون بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال من وجد قوة في النفقة والجسد والحلال قال وان كان في جسده ما لا يستطيع الحج فليس عليه الحج وان كان له قوة في مال كما اذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالا ولا قوة يقولون لا يكلف أن يمشي * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء ان ذلك على قدر الطاقة لان السبيل في كلام العرب الطريق فمن كان واجدا طريقا الى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد وضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه الا أداؤه فان لم يكن واجدا سبيلا أعني بذلك فان لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد اليه طريقا ولا يستطيعه لان الاستطاعة الى ذلك هو القدرة عليه ومن كان عاجزا عنه ببعض الاسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا يستطيع اليه السبيل وانما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها لان الله عز وجل لم يخصص اذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطيعي السبيل اليه بسقوط فرض ذلك عنه فذلك على كل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية فاما الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فانه الزاد والراحلة فانها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين واختلف القراء في قراءة الحج فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق بالكسر ولله على الناس حج البيت وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح ولله على الناس حج البيت وهما لغتان معروفتان للعرب فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية ولم نر أحدا من أهل العربية ادعى فرقا بينهما في معنى ولا غيره غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين الا ما حدثنا به أبو هشام الرفاعي قال قال حسن الجعفي الحج مفتوح اسم والحج مكسور عمل وهذا قول لم أر أهل المعرفة

وهو عبد بني الحسحاس * يقال وما تبغيه حتى وجدته * كأنك قد واعدته أمس موعدا

يعني ما لبك وما تطلبه يقال ابغ كذا إذا أراد وابتغه فإذا أرادوا أعني على طلبه وابتغه معي قالوا ابغني بقطع الألف وكذلك يقال احلبني بمعنى اكفني الحلب وأحلبني أعني عليه وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا وأما العوج فهو الاود والميل وانما يعني بذلك الضلال عن الهدى يقول جل ثناؤه لم تصدون عن دين الله من صد عنه ورسوله تبغون دين الله اعوجاجا عن سننه واستقامته وخرج الكلام على السبيل والمعنى لاهله كان المعنى تبغون لاهل دين الله ولن هو على سبيل الحق عوجا يقول ضلالا عن الحق وزيغا عن الاستقامة على الهدى والمحجة والعوج بكسر أوله الاود في الدين والكلام والعوج بفتح أوله الميل في الحائط والقناة وكل شيء منتصب قائم وأما قوله وأنتم شهداء فانه يعني شهداء على ان الذي تصدون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه في كتبكم وما الله بغافل عما تعملون يقول ليس الله بغافل عن أعمالكم التي تعملونها بما لا يرضاه لعباده. وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلة أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقوه فيجازيكم عليها وقد ذكرنا هاتين الآيتين من قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والآيات بعدهما الى قوله فاولئك لهم عذاب عظيم نزلت في رجل من اليهود حاول الاغراء بين الحيين من الاوس والخزرج ليراجعوا ما كانوا عليه في جاهليتهم من العداوة والبغضاء بعد الاسلام فعنفه الله بفعله ذلك وقبح له ما فعل ووبخه عليه ووعظ أيضا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وأمرهم بالاجتماع والائتلاف ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني الثقة عن زيد بن أسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عتا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم والفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فامر فتى شابا من اليهود وكان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت به الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى توثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس فانضمت الاوس بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع فانزل الله في شاس بن قيس وما صنع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآيتين وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الى قوله أولئك لهم عذاب عظيم وقيل انه عنى بقوله يا أهل

واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت أردفه بإيجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز أن ينوي الاستئناف بمن والخبر أو الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل أن يكون محله رفعا على البيان كأنه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت أو الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج أصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح أن يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الذمي مكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أن شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلاة مع أن الوضوء الذي هو شرط صحة الصلاة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق أجابه الاشاعرة بان هذا أيضا لازم لكم لان القادر اما أن يكون مأمورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف

الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله كان آمنا من تمة تفسير الآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر أ ومن شرط وجزاء الا أنه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكأنه قيل فيه آيات بينات وأمن من دخل كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة أمن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه يبني على أن الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير مما سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ومنهم من تمم الثلاثة فقال مقام ابراهيم وأمن من دخله وان لله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابراهيم هي ما أقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد قاله في الكشاف وفيه قوله كيدل لكون مقام ابراهيم وحده بيانا وأما حديث أمن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقيل كان آمنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه الطرق والتقيع يوخذ بأطرافهما ويقبر أن في أحدهما ولم يذكر ما يكتنفان الدار

فجحدوا فآمنت به فرقة واحدة وهي من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نستقبله فانزل الله عز وجل ومن كفر فان الله غني عن العالمين حدثني أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال سئل عامر عن قوله ومن كفر قال من كفر من الخلق فان الله غني عنه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله ومن كفر بالله واليوم الآخر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن مسلمون فانزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فحج المؤمنون وقعد الكفار وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين فقرأ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا فقرأ حتى بلغ من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من كفر بهذه الآيات فان الله غني عن العالمين ليس كما يقولون اذا لم يحج وكان غنيا وكانت له قوة فقد كفر بها وقال قوم من المشركين فانا نكفر بها ولا نفعل فقال الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وقال آخرون بما حدثني ابراهيم بن عبد الله بن مسلم قال أخبرنا أبو عمر الضرير قال ثنا حماد عن حبيب بن أبي بقية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال من كفر بالبيت وقال آخرون كفره تركه اياه حتى يموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما من كفر فمن وجد ما يحج به ثم لم يحج فهو كافر * وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال معنى ومن كفر ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه فان الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعا وانما قلنا ذلك أولى به لان قوله ومن كفر بعقب قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بان يكون خبرا عن الكافر بالحج أحق منه بان يكون خبرا عن غيره مع ان الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه بالله كافر وان الكفر أصله الجحود ومن كان له جاحدا ولفرضه منكرا فلا شك ان لم يرج بحجه براوان تركه فلم يحج لم يره مأثما فهذه التأويلات وان اختلفت العبارات بها فمتقاربات المعاني ۞ القول في تأويل قوله (قل يا أهل لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) يعني بذلك يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد نبوته لم تجحدون بآيات الله يقول لم تجحدون حجج الله التي أتاها محمدا في كتبكم وغيرها التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته حجته وأنتم تعلمون يقول لم تجحدون ذلك من أمره وأنتم تعلمون صدقه فاخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ومعرفة من كفرهم وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله أن آيات الله محمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات والله شهيد على ما تعملون قال هم اليهود والنصارى ۞ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تضلون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لانبيائه وأوليائه وأهل الايمان من آمن يقول من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله تبغونها عوجا يعني تبغون لها عوجا والهاء والالف اللتان في قوله تبغونها عائدتان على السبيل وانثها لتأنيث السبيل ومعنى قوله تبغون لها عوجا من قول الشاعر

وهو

وكالو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولو وجوب هذه الاستطاعة شرط زائد على الثلاثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة بالآلة والاستطاعة فوعان استطاعة مباشرته بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق به أمور أربعة أحدها الراحلة والناس قسمان أحدهما من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي أو لم يكن لما روى انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل أيضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة تحمل أو شق محمل ووجد شريكا يجلس في الجانب الآخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا * القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة أو معها مع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا أو استئجارا بثمن المثل أو باجرة المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد وأوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له أهل أو عشيرة يرجع اليهم أو لا غير الوطن من الاعمال وكذا الراحلة للاياب وأجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به

تعدنكم رسولنا بكم بعد اقراركم بما جاءكم به من عندنا بكم كافرين يقول لهم أحد من لما قد آمنتم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عندنا بكم فنهاهم جل ثناؤه أن ينتصحوهم ويقبلوا منهم رأيا أو مشورة لعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوون على غل وغش وحسد وبغض كما حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قد تقدم الله اليكم فيهم كما تسمعون وحذركم وأنبأكم بضلالتهم فلا يأتمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم فانهم الاعداء الحسدة الضلال كيف تأتمنون قوما كفروا بكتابهم وقتلوا رسلهم وتحيروا في دينهم وعجزوا عن أنفسهم أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله * القول في تأويل قوله عز وجل (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) يعني بذلك جل ثناؤه وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد ايمانكم بالله وبرسوله فترتدوا على أعقابكم وأنتم تتلى عليكم آيات الله يعني بحجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفيكم رسوله حجة أخرى عليكم لله مع آي كتابه يدعوكم جميع ذلك الى الحق ويبصركم الهدى والرشاد وينهاكم عن الغي والضلال يقول لهم تعالى ذكره فما وجه عذركم عندكم في جحودكم نبوة نبيكم وارتدادكم على أعقابكم ورجوعكم الى أمر جاهليتكم ان أنتم راجعتم ذلك وكفرتم وفيه هذه الحجج الواضحة والآيات البينة على خطائكم فعلكم ذلك ان فعلتموه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله الآية علمان بينان وجدان نبي الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله فاما نبي الله فمضى صلى الله عليه وسلم وأما كتاب الله فابقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وأما قوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم فانه يعني ومن يتعلق باسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي يقول فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم به الى رضى الله والى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعتصم بالله فقد هدي قال يؤمن بالله وأصل العصم المنع فكل مانع شيا فهو عاصمه والممتنع به معتصم به ومنه قول الفرزدق

أنا ابن العاصمين بني تميم * اذا ما أعظم الحدثان نابا

وانما قيل للحبل عصام وللسبب الذي يتسبب به الرجل الى حاجته عصام ومنه قول الاعشى

الى المرء قيس أطيل السرى * وآخذ من كل حي عصم

يعني بالعصم الاسباب أسباب الذمة والامان يقال منه اعتصمت بحبل الله من فلان واعتصمت حبلا منه واعتصمت به واعتصمته وأفصح اللغتين ادخال الباء كما قال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا وقد جاء اعتصمته كما قال الشاعر

اذا أنت جاوزت الاحاء بمثله * واستثنى ثم اعتصمت حبالها

فقال اعتصمت حبالها ولم يدخل الباء وذلك نظير قولهم تناولت الخطام وتناولت بالخطام وتعلقت به وتعلقته كما قال الشاعر

تعلقت هندا ناشئا ذات مئزر * وأنت وقد فارقت لم تدر ما الحلم

وقد بينت معنى الهدى والصراط وأنه معنى به الاسلام فيما مضى قبل بشواهده فكرهنا اعادته في هذا الموضع وقد ذكر ان الذي نزل في سبب تحاور القبيلتين الاوس والخزرج كان منه قوله وكيف

بعد الاطلاق أو بعد حصوله وحينئذ يكون
فوجب أن لا يتوجه التكليف والحق
أن وجوب الفعل بالقدرة والارادة
لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم
أن الحج لا يجب باصل الشرع في
العمر الا مرة واحدة لما روى عن
ابن عباس قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها
الناس ان الله كتب عليكم الحج
فقام الاقرع بن حابس فقال أفي كل
عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت
ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة
فمن زاد فتطوع وقد يجب أكثر
من مرة واحدة لعارض كالنذر
والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق
شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح
حج الكافر كصومه وصلاته ولا يشترط
فيها التكليف بل يجوز للولي أن
يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي
لا يميز وحينئذ يصح حجهما لما روى
عن ابن عباس أن النبي صلى الله
عليه وسلم مر بامرأة وهي في محفتها
فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت
ألهذا حج فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم ولك أجر وعن جابر
قال حججنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ومعنا النساء والصبيان
فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم
ولصحة المباشرة شرط زائد على
الاسلام وهو التمييز فلا تصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز
كسائر العبادات ويصح من الصبي
المميز أن يحرم ويحج باذن الولي
ولا يشترط فيها الحرية كسائر
العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام
شرطان زائدان البلوغ والحرية
لقوله صلى الله عليه وسلم أيما صبي
حج ثم بلغ فعليه حج الاسلام وأيما عبد
حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى
فيه أن الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن

الكتاب لم تصدون عن سبيل الله جماعة يهود بني اسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات والنصارى وان صدهم عن سبيل الله كان باخبارهم من سألهم عن أمر نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم هل يجدون ذكره في كتبهم أنهم لا يجدون نعته في كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا كانوا اذا سألهم أحد هل تجدون محمدا قالوا لا فصدوا عنه الناس وبغوا محمدا عوجا هلاكا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تصدون عن الاسلام وعن نبي الله من آمن بالله وأنتم شهداء فيما تقرؤن من كتاب الله أن محمدا رسول الله وأن الاسلام دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يجزي الا به يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله قال هم اليهود والنصارى نهاهم أن يصدوا المسلمين عن سبيل الله ويريدون أن يعدلوا الناس الى الضلالة فتأويل الآية على ما قاله السدي يا معشر اليهود لم تصدون عن محمد وتمنعون من اتباعه المؤمنين به بكتمانكم صفته التي تجدونها في كتبكم ومحمد على هذا القول هو السبيل تبغونها عوجا تبغون محمدا هلاكا وأما سائر الروايات غيره والاقوال في ذلك فانه نحو التأويل الذي بيناه قبل من أن معنى السبيل التي ذكرها في هذا الموضع الاسلام وما جاء به محمد من الحق من عند الله ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى بقوله يا أيها الذين آمنوا الاوس والخزرج وبالذين أوتوا الكتاب شاس بن قيس اليهودي على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم وقال آخرون فيمن عنى بالذين آمنوا مثل قول زيد بن أسلم غير أنهم قالوا الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من الانصار حتى هموا بالقتال ووجد اليهودي به مغمزا فيهم ثعلبة بن غنمة الانصاري ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال نزلت في ثعلبة بن غنمة الانصاري كان بينه وبين أناس من الانصار كلام فمشى بينهم يهودي من قينقاع فحمل بعضهم على بعض حتى همت الطائفتان من الاوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا فانزل الله عز وجل ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يقول ان حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن حميد الاعرج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب قال كان جماع قبائل الانصار بطنين الاوس والخزرج وكان بينهما في الجاهلية حرب ودماء وشنآن حتى من الله عليهم بالاسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم فاطفأ الله الحرب التي كانت بينهم وألف بينهم بالاسلام قال فبينا رجل من الاوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ومعهما يهودي جالس ولم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم حتى استبا ثم اقتتلا قال فنادى هذا قومه وهذا قومه فخرجوا بالسلاح ووصف بعضهم لبعض قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يمشي بينهم الى هؤلاء والى هؤلاء فسكتهم حتى رجعوا ووضعوا السلاح فانزل الله عز وجل القرآن في ذلك يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الى قوله عذاب عظيم فتأويل الآية يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله ان تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والانجيل فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به يضلوكم فيردوكم بعد

تصديقكم

قال حق تقاته أن يجاهد في الله حق جهاده ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم هي محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهد في الله حق جهاده ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فان لم تفعلوا ولم تستطيعوا فلا تموتن الا وأنتم مسلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال طاوس قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يقول ان لم تتقوه فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال آخرون هي منسوخة نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم أنزل التخفيف واليسر وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال اتقوا الله ما استطعتم فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية وتيسير حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطي قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال نسختها هذه الآية التي في التغابن اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لما نزلت اتقوا الله حق تقاته ثم نزلي بعدها فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية التي في آل عمران حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فلم يطق الناس هذا فنسخها الله عنهم فقال اتقوا الله ما استطعتم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء أمر شديد فقالوا ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه فلما عرف انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم فنسخها وأما قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فان تأويله كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال على الاسلام وعلى عروة الاسلام

القول في تأويل قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) يعني بذلك بل تناوه وتعلقوا بأسباب الله جميعا ويريد بذلك تعالى ذكره وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده اليكم في كتابه اليكم من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام وأما الحبل فانه السبب الذي يوصل به الى البغية والحاجة ولذلك سمي الامان حبلا لانه سبب يوصل به الى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر ومنه قول أعشى بني ثعلبة

واذا تجوزها حبال قبيلة * أخذت من الاخرى اليك حبالها

ومنه قول الله عز وجل الا بحبل من الله وحبل من الناس ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود انه قال في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الجماعة حدثنا المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال ثنا هشيم عن العوام عن الشعبي عن عبد الله في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال حبل الله الجماعة وقال آخرون عني بذلك القرآن والعهد الذي عهد فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعتصموا بحبل الله جميعا حبل الله المتين الذي

بالقضاء عنه وان أمرأتي خشيم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة أفاحج عنه قال نعم وقد تكون الاستنابة بطريق الاستئجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستئجار كتفريق الزكاة وعند أبي حنيفة وأحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني وأعطيك نفقتك وهذا أيضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لابد أن تكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو جبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الآية أنواع من التوكيد والتغليظ منها قوله لله على الناس أي حق واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها أم لم يعرفوا فان كثيرا من أعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية المراد وتفصيلا بعد الاجمال وايراد الفرض في صورتين تقرر ما له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه أرفق فانه يدل على غاية السخط والخذلان ووضع الظهر موضع الضمير حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد أولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله وهم

أو كان له مستغلات يرتفق منها فالاصح عند الائمة انه يكفيه الاول والحد الزائد والراجح في الحال ولا عبرة بتوقع الفقر في الاستقبال
والمتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن (١٨) الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال من عدو أو رصدي وان رضي

بشيء يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج أو محرم أو نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف العادة والمتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض أو غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولابد للاعمى من قائد وعند أبي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستحب قال الائمة ولابد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى الحج به السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة أو أكثر لم يلزمه الحج وقوخرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة أهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلاة في وقتها فيجوز التراخي لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال أحمد ومالك وأبو حنيفة في رواية انه على الفور وحجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة وأخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث أبا بكر أميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما وأما النوع الثاني فهو استطاعة الاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت أو الكبر أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أختي

نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج أفاحج عنها فقال لو كان على أختك دين أكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله تعالى فهو أحق

تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن خليفة بن خصين عن أبي نصر عن ابن عباس قال كانت الاوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية كل شهر فبينما هم جلوس اذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا فقام بعضهم الى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله الى آخر الآيتين واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء الى آخر الآية ﴿ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر من صدق الله ورسوله اتقوا الله خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه حق تقاته حق خوفه وهو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ولا تموتن أيها المؤمنون بالله ورسوله الا وأنتم مسلمون لربكم مذعنون له بالطاعة مخلصون له الالوهة والعبادة ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن زبيد عن مرة بن شراحيل الهمداني عن عبد الله بن مسعود مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا جرير عن زبيد عن عبد الله مثله حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مسعر عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن المسعودي عن زبيد الايامي عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا يحيى بن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة عن مرة عن الربيع بن خيثم قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمداني يحدث عن الربيع بن خيثم في قول الله عز وجل اتقوا الله حق تقاته فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم تقدم اليهم يعني الى المؤمنين من الانصار فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أما حق تقاته يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال آخرون بل تأويل ذلك كما حدثني به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته

بقوله جل ثناؤه واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الالفة والاجتماع على الاسلام واختلف أهل العربية في قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فقال بعض نحوي البصرة في ذلك انقطع الكلام عند قوله واذكروا نعمة الله عليكم ثم فسر بقوله فألف بين قلوبكم وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف كما تقول امسك الحائط أن يميل وقال بعض نحوي الكوفة قوله اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم تابع قوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطعة منها والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم متصل بقوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطع وتأويل ذلك واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء أي بشر ككم يقتل بعضكم بعضا عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله فألف الله بالاسلام بين قلوبكم فجعل بعضكم لبعض اخوانا بعد اذ كنتم أعداء تتواصلون بالالفة الاسلام واجتماع كامتكم عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم كنتم تذابحون فيها يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فآخى به بينكم وألف به بينكم أما والله الذي لا اله الا هو ان الالفة لرحمة وان الفرقة لعذاب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا ويأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فألف به بينكم وجمع جمعكم عليه وجعلكم عليه اخوانا فالنعمة التي أنعم الله على الانصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي الالفة الاسلام واجتماع كلمتهم عليها والعداوة التي كانت بينهم التي قال الله عز وجل اذ كنتم أعداء فانها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الاوس والخزرج في الجاهلية قبل الاسلام تزعم العلماء بايام العرب انها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كانت الحرب بين الاوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الاسلام وهم على ذلك فكانت حربهم بينهم وهم اخوان لاب وأم فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ثم ان الله عز وجل ألطفا ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فذكرهم جل ثناؤه اذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بعداوة بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضا وخوف بعضهم من بعض وما صاروا اليه بالاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع وأمن بعضهم من بعض ومصير بعضهم لبعض اخوانا وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا قال وكان سويدا نما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره ونسبه وشرفه قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله عز وجل والى الاسلام قال فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال محلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله علي هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج فكان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل ان محمود بن أسد بن عبد الاشهل قال لما قدم أبو الحيش أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون

زبدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صددتك طيبا أي صددت لك طيبا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك المنعوت في كتابنا أو المراد انكم تبغون أنفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم ويحتمل أن يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وأنتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قاله ابن عباس أو أنتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يصغون لاقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم أوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد أنكر طريقته لا يخفى علي سيرتك واست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما أظهروه من الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيما أضمروه وهو الصد بالاحتيال

والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عمن ساولك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن أسلم وجابر أيضا ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر

أمر أن يعتصم به هذا القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال بعهد الله وأمره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال ان الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله فان حبل الله هو كتاب الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن المفضل عن اسباط عن السدى واعتصموا بحبل الله جميعا أما حبل الله فكتاب الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بحبل الله بعهد الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بحبل الله قال العهد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن أبى وائل عن عبد الله واعتصموا بحبل الله قال حبل الله القرآن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال القرآن حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا اسباط بن محمد عن عبد الملك ابن أبى سليمان العرزمى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض * وقال آخرون بل ذلك هو اخلاص التوحيد لله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا يقول اعتصموا بالاخلاص لله وحده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الحبل الاسلام وقرأ ولا تفرقوا

القول فى تأويل قوله عز وجل (ولا تفرقوا) يعنى جل ثناؤه بقوله ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد اليكم فى كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى أمره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم اليكم فيها وحذركموها ونهاكم عنها ورضى لكم السمع والطاعة والالفة والجماعة فارضوا لانفسكم ما رضى الله لكم ان استطعتم ولا قوة الا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية ولا تفرقوا الا تعادوا عليه يقول على الاخلاص لله وكونوا عليه اخوانا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح أن الاوزاعى حدثه أن يزيد الرقاشى حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة قال فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا حدثنى عبد الكريم ابن أبى عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعى يحدث عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن ابن أبى خالد عن الشعبى عن ثابت بن قطنة المرى عن عبد الله انه قال يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون فى الفرقة حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن ثابت بن قطنة قال سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول يا أيها الناس ثم ذكر نحوه حدثنا اسمعيل بن حفص الاملى قال ثنا عبد الله بن نمير أبو هشام قال ثنا مجالد بن سعيد عن عامر عن ثابت بن قطنة المرى قال قال عبد الله عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذى أمر به ثم ذكر نحوه

القول فى تأويل قوله (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) يعنى

من أراد الدخول فى الاسلام بعهدهم وكدهم أو بتذكيرهم ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوات والحروب بقوله

ليعودوا لمثلها وعمل تبغونها عوجا أى اعوجاجا نصب على الحال أو بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء فى كل ما يرى كالدين والقول وأما

قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا الآية فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى
ألحق بعضهم بعضا وحتى أن لهم لحنينا يعني البكاء وسمير الذي زعم السدي ان قوله اذ كنتم أعداء
عنى به حربا هو سمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله

ان سميرا أرى عشيرته قد * حدثوا دونه وقد أبقوا
ان يكن الظن صادقي بني النجار لم يطعموا الذي علقوا

وقد ذكر علماء الانصار ان مبدأ العداوة التي هيجت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الاوس
والخزرج وأولها كان بسبب قتل مولى لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له الحرين سمير من
مزينة وكان حليفا لمالك بن العجلان ثم اتصلت تلك العداوة بينهم الى ان أطفأها الله بنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم فذلك معنى قول السدي حرب ابن سمير وأما قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا فانه
يعني فاصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالاسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الايمان
والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر اخوانا متصادقين لاضغائن بينكم ولا تحاسد كما حدثني
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا وذكر لنا ان رجلا قال
لابن مسعود كيف أصبحتم قال أصبحنا بنعمة الله اخوانا ۞ القول في تاويل قوله (وكنتم على شفا
حفرة من النار فانقذكم منها) يعني بقوله جل ثناؤه وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم يا معشر
المؤمنين من الاوس والخزرج على حرف حفرة من النار وانما ذلك مثل لكفرهم الذي كانوا عليه قبل
أن يهديهم الله للاسلام يقول تعالى ذكره وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه قبل أن
ينعم الله عليكم بالاسلام فتصيروا باتئلافكم عليه اخوانا ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا
على ذلك من كفركم فتكونوا من الخالدين فيها فانقذكم الله منها بالايمان الذي هداكم له وشفا الحفرة
طرفها وحرفها مثل شفا الركية والبئر ومنه قول الراجز

نحن حفرنا الحبجبي سجلة * نابتة فوق شفاها بقلة

يعني فوق حرفها يقال هذا شفا هذه الركية مقصور وهما شفوا ها وقال فانقذكم منها يعني فانقذكم
من الحفرة فرد الخبر الى الحفرة وقد ابتدأ الخبر عن الشفا لان الشفا من الحفرة فجاز ذلك اذ كان
الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية تخبرا عن الحفرة كما قال جرير بن عطية

رأت مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

فذكر مر السنين ثم رجع الى الخبر عن السنين وكما قال العجاج

طول الليالي أسرعت في نقضي * طوين طولي وطوين عرضي

وقد بينت العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته كان هذا الحي من العرب
أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا معكومين على رأس حجر بين
الاسدين فارس والروم لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن
مات ردي في النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الارض كانوا فيها أصغر
حظا وأدق فيها شأنا منهم حتى جاء الله عز وجل بالاسلام فورثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد
ووضع لكم به من الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا
نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين وان أهل الشكر في مزيد الله فتعالى ربنا وتبارك حدثني

وسلم فما رأيت قوما أقمع ولا أرغم أولا وأحسن ايثارا من هذا الحي عليه ما كيف يكفرون الله بتنعيمهم بطريق الانكار والتعجب والمعنى
من أين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم في كل واقعة وبين أظهركم
ورسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا أثر
فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا فيما يعن لكم الى الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم قلت
أما الكتاب فانه باق على وجه الدهر وأما النبي صلى الله عليه وسلم فان كان قد مضى الى رحمة الله في
الظاهر ولكن نوره سرمد باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته صلى الله عليه وسلم وورثته يقومون
مقامه بحسب الظاهر أيضا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن
تضلوا كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفي
هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون أبدا الى يوم القيامة ثم بين ان الكل
بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم
بالله يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه في
دفع شرور الكفار فقد هدي الى
صراط مستقيم والاعتصام استمساك
بالشيء في منع نفسه من الوقوع في
آفة أما المعتزلة فحيث لم يجعلوا
الاعتصام بخلق الله وهدايته بل
قالوا انه بفعل العبد تاولوا الآية بان
المراد بالهداية الزيادة في الالطاف
المرتبة على أداء الطاعات أو المراد
الهداية الى الجنة قال في الكشاف
فقد هدي أي فقد حصل له الهدى
لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد
أفلحت كان الهدى قد حصل له فهو
يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في
قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده * التاويل * لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا أحب
الاشياء اليكم وهو أنفسكم كان الغراش لا ينال من البر الشمع وهو شمعه حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل

شديد التعجب على المسلمين طر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم تحدثوا فيه فتاطال ذلك بينهم تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة

بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين أوس ابن قيظي أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه أن شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم انصتوا له صلى الله عليه وسلم وجعلوا يستمعون فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية يزيد بن أسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره

الحلف من قريش على قوم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما ذاك قال أنا رسول الله بعثني الى العباد أدعوهم الى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وأنزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس ابن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فاخذ أبو الحيس أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس ابن معاذ وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك قال فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينا هو عند العقبة اذا لقي رهطا من الخزرج أراد الله لهم خيرا قال ابن حميد قال ابن سلمة قال محمد بن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن اشياخ من قومه قال لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى قال فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه للنبي الذي يوعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعاهم اليه بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام قالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما ذكر لي ستة نفر قال فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن عكرمة انه لقي النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الانصار فآمنوا به وصدقوه فاراد أن يذهب معهم فقالوا يا رسول الله ان بين قومنا حربا وانا نخاف ان جئت على حالك هذه أن لا يتبعوك الذي تريد فوعدوه العام المقبل وقالوا يا رسول الله نذهب فلعل الله أن يصلح تلك الحرب قال فذهبوا ففعلوا فاصلح الله عز وجل تلك الحرب وكانوا يرون انها لا تصلح وهو يوم بعاث فلقوه من العام المقبل سبعين رجلا قد آمنوا فاخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيبا فذلك حين يقول واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما اذ كنتم أعداء ففي حرب فالف بين قلوبكم بالاسلام

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أيوب عن عكرمة بنحوه وزاد فيه فلما كان من أمر عائشة ما كان فتنا وراجيان فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة فخرجوا اليها فنزلت هذه الآية واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم

عليه وسلم طائعين فانزل الله عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره

إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوى الينا بيده وكففنا وأصلح الله ما بيننا فما كان من شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه

عباس قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ونحوه ذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله
حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم قال هم اليهود والنصارى في القول في تأويل قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) يعني بذلك جل ثناؤه أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما قوله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فان معناه فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولا بد لنا من جواب بالفاء فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه وانما جاز ترك ذكر فيقال لدلالة ما ذكر من الكلام عليه وأما معنى قوله جل ثناؤه أكفرتم بعد ايمانكم فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به فقال بعضهم عني به أهل قبلتنا من المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية لقد كفر أقوام بعد ايمانهم كما تسمعون ولقد كرلنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى اذا رفعوا الي ورأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن رب أصحابي أصحابي فليقالن انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وقوله وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل ففي رحمة الله هم فيها خالدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد بن سلمة والربيع بن صبيح عن أبي مجالد عن أبي امامة فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم قال هم الخوارج * وقال آخرون عني بذلك كل من كفر بالله بعد الايمان الذي آمن حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على انفسهم بما بين في كتابه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال صار وا يوم القيامة فريقين فقال لمن اسود وجهه أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال هو الايمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على الاسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين يقول أكفرتم بعد ايمانكم يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم وقال في الآخرين الذين استقاموا على ايمانهم ذلك فأخلصوا له الدين والعمل فبيض الله وجوههم وأدخلهم في رضوانه وجنته وقال آخرون بل الذين عنوا بقوله أكفرتم بعد ايمانكم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية قال هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الايمان بألسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم * وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب انه عنى بذلك جميع الكفار وان الايمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه هو الايمان الذي أقروا به يوم قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين أحدهما سود وجوهه والآخر بيض وجوهه فمعلوم اذ لم يكن هنالك الا هذان الفريقان ان جميع

الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف الستة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف ولا يسترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون هم منه قل يا أهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى الا منه تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد

أقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه أولئك كالانعام بل هم أضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه أولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل أن ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد أن يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واتبعوا ملة ابراهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ان أول بيت وضع للناس لا لله لانه غني عن العالمين وان أنموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا عليه وهدى يهتدي به جميع أجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له واتسع فيه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابراهيم وهو الخلة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد ورضا خليله كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم

المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قوله وكنتم على شفا حفرة من النار يقول كنتم على الكفر بالله فانقذكم منها من ذلك وهداكم الى الاسلام حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول كنتم على طرف النار من مات منكم ولج في النار فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا حسن بن يحيى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها قال عصمة

القول في تاويل قوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) يعني جل ثناؤه بقوله كذلك كما بين لكم ربكم في هذه الآيات أيها المؤمنون من الاوس والخزرج من علماء اليهود الذي يضمرونه لكم وغشهم لكم وأمره اياكم بما أمركم به فيها ونهيه لكم عما نهاكم عنه والحال التي كنتم عليها في جاهليتكم والتي صرتم اليها في اسلامكم معرفكم في كل ذلك مواقع نعمه قبلكم وصنائعه لديكم فكذلك يبين لكم سائر حجه لكم في تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لعلكم تهتدون يعني لتهتدوا الى سبيل الرشاد وتسلكوها فلا تضلوا عنها

القول في تاويل قوله (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) يعني بذلك جل ثناؤه ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة يقول جماعة يدعون الناس الى الخير يعني الى الاسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله وينهون عن المنكر يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالايدي والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة وقوله وأولئك هم المفلحون يعني المنجحون عند الله الباقون في جنانه ونعيمه وقد دللنا على معنى الافلاح في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا عيسى بن عمر القارئ عن أبي عون الثقفي انه سمع صبيحا قال سمعت عثمان يقرأ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير يقرأ فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواء ثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال هم خاصة أصحاب رسول الله وهم خاصة الرواة

القول في تاويل قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات من حجج الله فيما اختلفوا فيه وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه وخالفوا أمر الله ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله وأولئك لهم يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم يقول جل ثناؤه فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات قال هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام ان يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب قال الله عز وجل وأولئك لهم عذاب عظيم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز أن يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطأ والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول أن يقول ان كنه الالهية

لا أرى الموت ان الموت شيء * يعض الموت الغني والفقيرا

فاظهر في موضع الاضمار وقال بعض نحوي الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لان موضع الموت الثاني في البيت موضع كناية لانه كلمة واحدة وليس ذلك كذلك في الآية لان قوله ولله ما في السموات وما في الارض خبر ليس من قوله والى الله ترجع الامور في شيء وذلك ان كل واحد من القصتين مفارق معناها معنى الاخرى مكتفية كل واحدة منهما بنفسها غير محتاجة الى الاخرى كما قال الشاعر

* لا أرى الموت يحتاج الى تمام الخبر عنه ٧ * وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب لان كتاب الله عز وجل لا يؤخذ معانيه وما فيه من البيان الى الشواذ من الكلام والمعاني وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود وأما قوله والى الله ترجع الامور فانه يعني تعالى ذكره الى الله مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم والطالح والمحسن والمسيء فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه أحدا منهم ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) اختلف أهل التاويل في تاويل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس فقال بعضهم هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين خرجوا معه من مكة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال عمر بن الخطاب لو شاء الله لقال أنتم لسنا كلنا ولكن قال كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة نزلت في ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن السدي عمن حدثه قال عمر كنتم خير أمة أخرجت للناس قال تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر ابن الخطاب قال في حجته حين رأى من الناس وعدد سطه فقرأ هذه كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ثم قال يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الامة فليؤد شرط الله منها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس اذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم جل ثناؤه بها فكان تاويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أخرجوا للناس في زمانكم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول على هذا الشرط ان تامروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله

٧ هكذا هذه اللفظة بالاصل وليس لها معنى ولا هي موجودة فيما خرجه السيوطي في الدر عن قتادة

الاغلاظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهى عن أن يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى أمرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق الآراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته باستمساك المتدلي على مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه وصف غير حقيقي ومنتزع من عدة أمور ويجوز أن يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز أن يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مامون أن تزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس

وقيل انه القرآن كما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه

وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) القراءة حق تقاته بالإمالة على ولا تفرقوا بتشديد الراء البزي وابن فليح ه الوقوف مسلمون ه ولا تفرقوا ص لعطف المتفقتين لتوانا ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف منها ط تهتدون ه المنكر ط العدول المفلحون ه البينات ط عظيم ه لا لتعلق الظرف بلهم على الأصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم ص لان التقدير فيقال لهم أكفرتم تكفرون ه فذوقوا رحمة الله ط خالدون ه بالحق ط للعالمين ه ما في الأرض ط الأمور ه وتؤمنون بالله ط خير الهم ط الفاسقون ه قليل لا وقف عليه وعليه وقفة لان المعرف لا يتصف بالجملة إلا أذى ط والأدبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار أي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصرون والا ينصرون ه بالتفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار أمرهم في هذه الآيات بجوامع الطاعات ومعاقد الخيرات فأولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى طرفة عين وأن يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى أو هو القيام بالواجب كلها والاجتناب عن المحارم بأسرها وأن لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم لا بالجهر وعلى انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه وكما حق أن يتقى وهو أن يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ

الكفار داخلون في فريق من سود وجهه وان جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه فلا وجه لهذا القول قائل عني بقوله أكفرتم بعض ايمانكم بعض الكفار دون بعض وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم واذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن بجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد الا حالة واحدة كان معلوما انها المرادة بذلك فتأويل الآية اذا أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه قوم وتسود وجوه آخرين فأما الذين اسودت وجوههم فيقال أكفرتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه بان لا تشركوا به شيأ وتخلصوا له العبادة بعد ايمانكم يعني بعد تصديقكم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالاقرار به والتصديق وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه فلم يبدل دينه ولم ينقلب على عقبيه بعد الاقرار بالتوحيد والشهادة لربه بالالوهة وانه لا اله غيره ففي رحمة الله يقول فهم في رحمة الله يعني في جنته ونعيمها وما أعد الله لاهلها فيها هم فيها خالدون أي باقون أبدا بغير نهاية ولا غاية ۞ القول في تأويل قوله (تلك آيات نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين) يعني بذلك جل ثناؤه تلك آيات الله هذه آيات الله وقد بينا كيف وضعت العرب تلك وذلك مكان هذا وهذه في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله آيات الله يعني مواعظ الله وعبره وحججه نتلوها عليك نقرؤها عليك ونقصها بالحق يعني بالصدق واليقين وانما يعني بقوله تلك آيات الله هذه الآيات التي ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بني اسرائيل وأهل الكتاب وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده وبالمبدلين والناقضين عهده بعد الاقرار به ثم أخبر عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه يتلو ذلك عليه بالحق وأعلمه ان من عاقب من خلقه بما أخبر انه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده في أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبييض وجهه وتكريمه وتشريفه منزلته لديه بتخليده في دائم نعيمه فغير ظلم منه لفريق منهم بل لحق استوجبوه وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها فقال تعالى ذكره وما الله يريد ظلما للعالمين يعني بذلك وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء واذاقتهم العذاب العظيم وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمها اياهم في جنته طالبا وضع شيء مما فعل من ذلك غير موضعه الذي هو موضعه اعلاما بذلك عباده انه لن يصلح في حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والايمان به وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به وانذارا منه هؤلاء وتبشيرا منه هؤلاء ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ولله ما في السموات وما في الارض وإلى الله ترجع الامور) يعني بذلك جل ثناؤه انه يعاقب الذين كفروا بعد ايمانهم بما ذكر انه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه وتثبيت أهل الايمان به الذين تثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التي عاهدوا عليها بما وصف انه مبتليهم به من الخلود في جنانه من غير ظلم منه لاحد الفريقين فيما فعل لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظالم انما يظلم غيره ليزداد الى عزه عزة بظلمه اياه والى سلطانه سلطانا والى ملكه ملكا لنقصان في بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصا من أسبابه عن التمام فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب وما في الدنيا والآخرة فلا معنى لظلمه أحدا فيجوز أن يظلم شيأ لانه ليس من أسبابه شيء ناقص يحتاج الى تمام فيتم ذلك بظلم غيره تعالى الله علوا كبيرا وكذلك قال جل ثناؤه معقبا قوله وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله والى الله ترجع الامور ظاهرا وقد تقدم اسمه ظاهرا مع قوله ولله ما في السموات وما في الارض وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ذلك نظير قول العرب أما زيد فذهب زيد وكما قال الشاعر

الله فقد ذكر الله تعالى تلك النعمة توفية دليل على ان المراد بالنعمة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام اختصاصات من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل وأجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص أحد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لابد أن يكون لامر زائد على ما ذكرتم من اشراح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ومنه أن يقال أشفى على الشئ اذا أشرف عليه كانه بلغ شفاه أي حده وطرفه وأنقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في منها للحفرة أو للنار أو للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * قال بعضهم الشفة أصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بي ضلالة حين قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين أي ليس في صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة وان طالت كانه ليس بين الحياة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرفي الشئ وبين ذلك الشئ قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبسائر ألطافه حتى امنوا وقال أهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي أنقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق أفعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة أن تزدادوا هدى أو لتكونوا على رجاء

كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت للناس والقولان الاولان اللذان قلنا أشبه بمعنى خلير الذكر وبنائه قبل وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أهل طريقة وقال الامة الطريقة

القول في تاويل قوله (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) يعني بذلك تعالى ذكره ولو صدق أهل التوراة والانجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله لكان خيرا لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم منهم المؤمنون يعني من أهل الكتاب من اليهود والنصارى المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله وهم عبد الله بن سلام وأخوه وثعلبة بن سعية وأخوه وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما جاءهم به من عند الله وأكثرهم الفاسقون يعني الخارجون عن دينهم وذلك ان من دين اليهود اتباع ما في التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن دين النصارى اتباع ما في الانجيل والتصديق به وبما في التوراة وفي كل الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وانه نبي الله وكلتا الفرقتين أعني اليهود والنصارى مكذبة قد ذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون انهم يدينون به الذي قال جل ثناؤه وأكثرهم الفاسقون وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ذم الله أكثر الناس

القول في تاويل قوله (لن يضروكم الا أذى) يعني بذلك جل ثناؤه لن يضروكم يا أهل الايمان بالله ورسوله هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب شيأ بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ الا أذى يعني بذلك ولكنهم يؤذونكم بشركهم واسماعكم كفرهم وقولهم في عيسى وأمه وعزير ودعائهم اياكم الى الضلالة ولا يضروكم بذلك وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو بمخالف معنى ما قبله كما قيل ما اشتكى شيئا الا خيرا وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا ونحوا ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يضروكم الا أذى يقول لن يضروكم الا أذى تسمعونه منهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله لن يضروكم الا أذى قال أذى تسمعونه منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لن يضروكم الا أذى قال اشراكهم في عزير وعيسى والصليب حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ان يضروكم الا أذى الآية قال تسمعون منهم كذبا على الله يدعونكم الى الضلالة

القول في تاويل قوله (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) يعني بذلك جل ثناؤه وان يقاتلوكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاما فقوله يولوكم الادبار كناية عن انهزامهم لان المنهزم يحول ظهره الى جهة الطالب هربا الى ملجأ وموئل يئل اليه منه خوفا على نفسه والطالب في أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهازم ثم لا ينصرون يعني ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله وايمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوب كافتكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان نصرهم على الكفر به من أهل الكتاب وانما رفع قوله ثم لا ينصرون وقد جزم قوله يولوكم الادبار على جواب الجزاء اتساقا للكلام لان رؤس الآيات قبلها بالنون فالحق هذه بها كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون رفعا وقد قال في موضع آخر لا يقضى عليهم فيموتوا اذ لم يكن رأس آية

القول في تاويل قوله (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) يعني

ولقد اختبرناهم على علم على العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال يقول كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط ان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن بين ظهريه كقوله ولقد اختبرناهم على علم على العالمين وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ميسرة عن أبى حازم عن أبى هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال كنتم خير الناس للناس تسحبونهم فى السلاسل تدخلونهم فى الاسلام حدثنا عبيد بن اسباط قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس * وقال آخرون انما قيل كنتم خير أمة أخرجت للناس لانهم أكثر الامم استجابة للاسلام ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسين قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال لم تكن أمة أكثر استجابة فى الاسلام من هذه الامة فمن ثم قال كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال بعضهم عنى بذلك انهم كانوا خير أمة أخرجت للناس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال قد كان ما تسمع من الخير فى هذه الامة حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول نحن آخرها وأكرمها على الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن ابراهيم حدثنى قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره الى الكعبة نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها وأما قوله تأمرون بالمعروف فانه يعنى تأمرون بالايمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه وتنهون عن المنكر يعنى وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله وعن العمل بما نهى عنه كما حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول تأمرونهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا اله الا الله والاقرار بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر وأصل المعروف كل ما كان معروفا فعله جميل مستحسن غير مستقبح فى أهل الايمان بالله وانما سميت طاعة الله معروفا لانه مما يعرفه أهل الايمان ولا يستنكرون فعله وأصل المنكر ما أنكره الله ورآه قبيحا فعله ولذلك سميت معصية الله منكرا لان أهل الايمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها وقوله تؤمنون بالله يعنى تصدقون بالله فتخلصون له التوحيد والعبادة فان سأل سائل فقال وكيف قيل كنتم خير أمة وقد زعمت ان تاويل الآية ان هذه الامة خير الامم التى مضت وانما يقال كنتم خير أمة لقوم كانوا خيارا فتغيروا عما كانوا عليه قيل ان معنى ذلك بخلاف ما ذهبت اليه وانما معناه أنتم خير أمة كما قيل واذكروا اذ أنتم قليل وقد قال فى موضع آخر واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم فقد قال كان فى مثل هذا وسقاطها بمعنى واحد لان الكلام معروف معناه ولو قال أيضا فى ذلك قائل كنتم بمعنى التمام كان تاويله خلقتم خير أمة أو وجدتم خير أمة كان معنى صحيحا وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى ذلك

لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال وبيد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة الناجى منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما أنا عليه وأصحابى قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتى على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل أحد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهى عنه وأجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا فى الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا فى الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الاغراض الدنيوية أما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل أسيرا فى قبضة القضاء فلا يعادى أحدا البتة لانه يستبصر بسر الله فى القدر فاذا أمر أمر برفق ناصح لا بعنف معير وكان حبه لرب الله ونظره الى فى الدين ورقته فى طلب اليقين أشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان فى النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله

يأمرهم بما لا يجوز ولا يبيحها لهم مما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلاة العيد والثاني مايؤمر به الافراد كاذا أخر بعض الناس الصلاة عن الوقت فان قال نسيتها حشعلى المراقبة ولا يعترض على من أخرها والوقت باق وناتيها

وقال أراد أقبلت بحبلها ولا يقول الآخر

حتى حانيات الدهر حتى * كاني حانك أحنو الصيد

فاوجب اعمال فعل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك في مذاهب العربية ضعيف ومن كلام العرب بعيد وأما استشهد به لقوله من الابيات فغير دال على صحة دعواه لان في قول الشاعر رأتني بحبلها دلالة بينة في انها رأته بالحبل ممسكا في اخباره عنها انها رأته بحبلها اخبارته منه انها رأته ممسكا بالحبلين فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الامساك وكانت الباء صلة لقوله رأتني كما في قول القائل أنا بالله مكتف بنفسه ومعرفة السامع معناه ان تكون الباء محتاجة الى كلام يكون لها جانبا غير الذي ظهر وان للعني أنا بالله مستعين وقال بعض نحوي البصرة قوله الا بحبل من الله استثناء خارج من أول الكلام قال وليس ذلك باشد من قوله لا يسمعون فيها الغوا الا سلاما وقال آخرون من نحوي الكوفة هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان الا بموضع حبل من الله يقول ضربت عليهم الذلة في الامكنة الا في هذا المكان وهذا أيضا طلب الحق فاخطا المفصل وذلك انه زعم انه استثناء متصل ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون العوم اذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة وليس ذلك صفة اليهود لانهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم على ماذكرنا عن اهل التأويل قبل فلو كان قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء متصلا لوجب أن يكون العوم اذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم وخلاف ما هم به من الصفة فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ولكن القول عندنا ان الباء في قوله الا بحبل من الله أدخلت لان الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل من الله وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالاول ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس كما قيل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فالخطأ وان كان منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالاول بمعنى الا خطأ فان له قتله كذلك ولكن معناه ولكن قد يقتله خطا فكذلك قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وان كان الذي جلب الباء التي بعد الا الفعل الذي يقتضيها قبل الا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله بمعنى ان القوم اذا لقوا فالذلة نازلة عنهم بل الذلة نابتة بكل حال ولكن معناه ما بينا آنفا ۞ القول في تاويل قوله (وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) يعني تعالى ذكره وباؤا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه وقد بينا أصل ذلك بشواهده ومعنى المسكنة وانها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله يعني جل ثناؤه بقوله ذلك أي أبوءهم الذي باؤا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه ويقتلون الانبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله اليهم اعتداء على الله وجراءة عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل فتاويل الكلام ألزموا الذلة بأي مكان لقوا الا بذمة من الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحملين وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحجته ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء ۞ القول في

(٣٤) مايتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه أو انهدم سوره أو طرقه أبناء السبيل المحتاجون أو تركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن أمر ذو المكنة برعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يامره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء أحكام العدد وأخذ السادة بحقوق الارقاء وأرباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن بغير هيئات العبادات كالجهر في الصلاة السرية وبالعكس أو يزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من أهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تاويل أو تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر أمره لئلا يغتر به واذا رأى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فضها عن مواضع الريب وان كانت أجنبية خفف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الآدميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلاة من أئمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا عجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوق المختص بمعاملة النساء يختبر أمانته فان ظهرت منه خيانة منع من مخالطتهن وبالجملة

الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليغرز والجانبين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا

بقوله جل ثناؤه ضربت عليهم الذلة ألزموا الذلة والذلة الفعلة من الذل وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع أينما ثقفوا يعني حيثما لقوا يقول جل ثناؤه ألزم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أينما كانوا من الارض وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين الا بحبل من الله وحبل من الناس كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وضربت عليهم المسكنة قال أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع فانه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل ان يثقفوا في بلاد الاسلام كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا بحبل من الله قال بعهد وحبل من الناس قال بعهدهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد عن عثمان بن عتاب قال عكرمة يقول الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس فهو عهد من الله وعهد من الناس كما يقول الرجل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس لهم قال ابن جريج وقال عطاء العهد حبل الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال الا بعهود هم وهم يهود قال والحبل العهد قال وذلك قول أبي الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الانصار في العقبة أيها الرجل انا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين الناس يقول عهودا قال واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله الا بهذا الحبل الذي قال الله عز وجل وقرأ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا قال وهم فوق يهود في البلدان كلها مستذلون قال الله وقطعناهم في الارض أمما يهود حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول بعهد من الله وعهد من الناس حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس فقال بعض نحوي الكوفة الذي جلب الباء في قوله بحبل فعل مضمر قد ترك ذكره قال ومعنى الكلام ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا ان يعتصموا بحبل من الله فاضمر ذلك واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

رأتني بحبليها فصدت مخافة * وفي الحبل روعات الفؤاد فروق

هذا يتلو قول المعترلة والثاني لاهل السنة وقد مر في أوائل سورة البقرة ترغيب المؤمنين الكاملين في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلا جرم اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين أو للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من أولاده جند والامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال آخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتهما وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرفه في مذهب وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وأيضا قد أجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب ذلك رجل معين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم أن الامر بالمعروف على ثلاثة أضرب أحدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو وقال فرعان أحدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الحدود حيث تجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا

في الاسلام ومنحوا فيه قالت أحبار يهود أهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا تبعه الا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله الى قوله وأولئك من الصالحين حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس كل القوم هلك فقد كان لله فيهم بقية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أمة قائمة عبد الله بن سلام وثعلبة بن سلام أخوه وشعبة وميسر وأسيد وأسد ابنا كعب وقال آخرون معنى ذلك ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله سواء عند الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الحسن بن أبي يزيد الجعلي عن عبد الله بن مسعود انه كان يقول في قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التي هي قائمة وقد بينا ان أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال قد تمت القصة عند قوله ليسوا سواء عن اخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم وان قوله من أهل الكتاب أمة قائمة خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج ويعني جل ثناؤه بقوله أمة قائمة جماعة ثابتة على الحق وقد دللنا على معنى الامة فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما القائمة فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناها العادلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمة قائمة قال عادلة وقال آخرون بل معنى ذلك انها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس من أهل الكتاب أمة قائمة يقول أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه وقال آخرون بل معنى قائمة مطيعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التي هي قائمة لله والقانتة المطيعة وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما رويناه عنهم وان كان سائر الاقوال الاخر متقاربة المعنى لمعنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك وذلك ان معنى قوله قائمة مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشراع تدينه بالعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة ثم ضرب لهم مثلا فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه فتأويل الكلام من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ثابتة على العمل بما فيه وما سن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ القول في تأويل قوله (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله آناء

واستخراج التأويلات الفاسدة فعلى هذا تكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما أنه لما أمر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر أهل الحق أن يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا تكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتأكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين أو تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله أو تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان أكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد وأولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة أو أولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احداهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى أن من حكم هذا اليوم أن يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها

قترة وفي أمثال هذه الالوان للمفسرين قولان أحدهما واليه ميل أبي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسين بن الى الامر الى معاوية قال

تأويل قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يقول تعالى ذكره فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الأنبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمر ربهم وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع فيما مضى من كتابنا مما فيه الكفاية عن إعادته فأعلم ربنا جل ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب من إحلال الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما أدخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب إذ تعدوا حدود الله واستحلوا محارمه متذكيرا منه تعالى ذكره لهم وتنبيها على موضع البلاء الذي من قبله أتوا ليتبؤا ويذكروا عظة منه لامتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا منهاجهم فيسلك بهم مسالكهم ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحل بهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اجتنبوا المعصية والعدوان فإن بها أهلك من أهلك من قبلكم من الناس

القول في تأويل قوله (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله جل ثناؤه ليسوا سواء ليس فريقا أهل الكتاب أهل الإيمان منهم والكفر سواء يعني بذلك أنهم غير متساويين يقول ليسوا متعادلين ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر وإنما قيل ليسوا سواء لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده المؤمنة منهما والكافرة فقال ليسوا سواء أي ليس هؤلاء سواء المؤمنون منهم والكافرون ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى عليهم بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ومحالفة الذل والصغار وملازمة الفاقة والمسكنة وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة فقال من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآيات الثلاث إلى قوله والله عليم بالمتقين قوله أمة قائمة مرفوعة بقوله من أهل الكتاب وقد توهم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم أن ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله أمة قائمة ترجمة عن سواء تفسير عنه بمعنى لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاء بذكر إحدى الفرقتين وهي الأمة القائمة ومثلوه بقول أبي ذؤيب

عصيت إليها القلب إني لأمرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

ولم يقل أم غير رشد اكتفاء بقوله أرشد من ذكر أم غير رشد وبقول الآخر

* وذو الهم قد ماخاشع متضائل * وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل المريد أن يقول سواء أقمت أم قعدت سواء أقمت حتى يقول أم قعدت وإنما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفيا بواحد دون ما كان ناقصا عن ذلك وذلك نحو ما أبالي أو ما أدري فأجاز وافى ذلك ما أبالي أقمت وهم يريدون ما أبالي أقمت أم قعدت لاكتفاء ما أبالي بواحد وكذلك فيما لا أدري وأبوا الإجازة في سواء من أجل نقصانه وأنه غير مكتف بواحد فاغفلوا في توجيههم قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة على ما حكينا عنهم إلى ما وجهوه إليه مذاهبهم في العربية إذ أجاز وافيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء وأخطؤا تأويل الآية فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله وقد ذكر أن قوله من أهل الكتاب أمة قائمة الآيات الثلاث في جماعة من اليهود أسلموا فحسن إسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى وأولئك هم المفلحون أي الاختصاص بالفلاح مفعالهم وقد يتمسك بهذا في أن الفاسق ليس له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأنه ليس من أهل الفلاح وأجيب بأن هذا ورد على سبيل الغالب فإن الظاهر أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه إلا بعد إصلاح أحوال نفسه لأن العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامرأة أن يأمر عليها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل وغير تقي يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوي الناس وهو مريض * والقرآن ينعى عليه بقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون آتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي أنه سمع صوتا من قبر ألم أزك ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا وكذا أجيب بلى يا عدو الله في ولكن إنك إذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين نسوا في النظم وجهان أحدهما أنه تعالى ذكر في الآيات

قدم البياض على السواد أولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب لم لا يجوز أن يكون ذكر أهل الصواب وختمهم بها أيضا تنبيها على ان ارادة الرحمة أكثر من ارادة العذاب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع (٣٥) والمقطع وانه فن بديع في الفصاحة ومن

الخيرات وأولئك من الصالحين) يعني بقوله جل وعز يؤمنون بالله واليوم الآخر يصدقون بالله وبالبعث بعد الممات ويعلمون ان الله مجازيهم باعمالهم وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ويعبدون معه غيره ويكذبون بالبعث بعد الممات وينكرون المجازات على الاعمال والثواب والعقاب وقوله ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به وينهون عن المنكر يقول وينهون الناس عن الكفر بالله وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله يعني بذلك انهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به وينهونهم عن المعروف من الاعمال وهو تصديق محمد فيما آتاهم به من عند الله ويسارعون في الخيرات يقول ويبتدرون فعل الخيرات خشية ان يفوتهم ذلك قبل معالجتهم منايا هم ثم أخبر جل ثناؤه ان هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين لان من كان منهم فاسقا قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته وقتلهم الانبياء بغير حق وعصيانه ربه واعتدائه في حدوده ۞ القول في تأويل قوله (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وما يفعلوا من خير فان يكفروه جميعا ردا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعا وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بمعنى وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين والصواب من القراءة في ذلك عندنا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء في الحرفين كليهما يعني بذلك الخبر عن الامة القائمة التالية آيات الله وانما اخترنا ذلك لان ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم فالحاق هذه الآية اذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سالم قال ثنا حجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء قال بلغني عن ابن عباس انه كان يقرأها جميعا بالياء فتأويل الآية اذا على ما اخترنا من القراءة وما تفعل هذه الامة من خير وتعمل من عمل لله فيه رضى فلن يكفرهم الله ذلك يعني بذلك فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ولكنه يجزل لهم الثواب عليه ويسني لهم الكرامة والجزاء وقد دللنا على معنى الكفر فيما مضى قبل بشواهده وان أصله تغطية الشئ فكذلك ذلك في قوله فلن يكفر وهو فلن يغطى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك فيجزل لهم الثواب فيه ونحو ما قلنا في ذلك من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تفعلوا من خير فلن تكفروه يقول لن يضل عنكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وأما قوله والله عليم بالمتقين فانه يقول تعالى ذكره والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته واجتنابه معاصيه وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها تبشيرا منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا وحضا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الاخلاق التي ارتضاها لهم ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا وعيد من الله عز وجل للامة الاخرى الفاسقة من أهل الكتاب الذين أخبر عنهم بانهم فاسقون وانهم قد باؤا بغضب منه ولن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد اعلانهم قال أبي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم أهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثه وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما رأى أبو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشئ تقوله برأيك أم شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال ان بارزك منهم كثير فاعاذك الله منهم هذا مما أخرجه الامام أبو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب أهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى أكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على أن التكفير منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر أما قوله ففي رحمة الله فالمراد بهم الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك

الليل ويعنى بقوله آيات الله ما أنزل فى كتابه من العبر والمواعظ يقول يتلون ذلك آناء الليل يقول فى ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه وأما آناء الليل فساعات الليل واحدها أنى كما قال الشاعر

حلو ومر لعطف القدح مرته * من كل انى حداد الليل ينتعل

وقد قيل ان واحد الآناء انا مقصور كما واحد الامعاء معا واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ساعات الليل كما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يتلون آيات الله آناء الليل أى ساعات الليل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال آناء الليل ساعات الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير سمعنا العرب تقول آناء الليل ساعات الليل وقال آخرون آناء الليل جوف الليل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يتلون آيات الله آناء الليل أما آناء الليل فجوف الليل وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الاخيرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الحسن بن أبى يزيد البجلى عن عبد الله بن مسعود فى قوله يتلون آيات الله آناء الليل صلاة العتمة هم يصلون بها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن سليمان عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل فجاء ومنا المصلى ومنا المضطجع فبشرنا وقال انه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فانزل الله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون حدثنى يونس قال ثنا على بن معبد عن أبى يحيى الحرانى عن نصر بن طريف عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء يريد العتمة فقال لنا ما على الارض أحد من أهل الاديان ينتظر هذه الصلاة فى هذا الوقت غيركم قال فنزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور قال بلغنى انها نزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فيما بين المغرب والعشاء وهذه الاقوال التى ذكرناها على اختلافها متقاربة المعانى وذلك ان الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بانهم يتلون آيات الله فى ساعات الليل وهى آناؤه وقد يكون تاليها فى صلاة العشاء تاليها آناء الليل وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ومن تلاها جوف الليل فكل تال له ساعات الليل غير ان أولى الاقوال بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك تلاوة القرآن فى صلاة العشاء لانها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله وأما قوله وهم يسجدون فان بعض أهل العربية يزعم ان معنى السجود فى هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود لان الصلاة لا تكون فى السجود ولا فى الركوع فكان معنى الكلام عنده يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون وليس المعنى على ما ذهب اليه وانما معنى الكلام من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فى صلاتهم وهم مع ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف فى الصلاة ۞ القول فى تأويل قوله (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى

ورجل يا سود وجوه المؤمنين وعلم الجبر سوف يجلى وان شاء الله فى تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء فى الشيب يا بياض الغرون سودن وجهى * عند بيض الوجوه سود الغرون وثانيهما أن السواد والبياض يحملان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل فى الاطلاق الحقيقة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون واستناره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته وأحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة فى ذلك أن يعرف أهل الموقف كل صنف فيعظمونهم أو يصغرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور أو ويل وثبور وأيضا اذا عرف المكلف فى الدنيا انه يحصل له فى الآخرة احدى الحالتين ازدادت رغبته فى الطاعات وتركه المحرمات قلت والتحقيق فيه أن الهيآت والاخلاق الحميدة أنوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منهما لا يظهر آثارهما كما هى الا بعد المفارقة الى الآخرة انظر ونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج أهل السنة بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم أهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون كقوله تعالى فى آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضى عليه بأن عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وأيضا غظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وأيضا المذكور فى الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلى من أهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول فى الغساق والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد ان كل أحد أخذ وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه أيضا جعل موجب العذاب فى آخر الآية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم الخيرات

فلا يلزم منه مدح والثاني أيضا محال على قولكم لان كلا يراد لله وبتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح في مذهبكم أجاب أهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشئ منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والاكل عليه الثاني انه تعالى ان عذب من ليس بمستحق للظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم أحد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام أن الظلم وضع الشئ في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره يكون وضع الشئ في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض أجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لانه مفعوله وأيضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وأيضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا له ما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي أعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل أو الترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك أن الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى فيكون الجبر أيضا لازما من هذا الوجه والى الله أي الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور فلا دلالة في اشارة الى أنه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى أن معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير أمة في النظم وجهان أحدهما انه لما أمر المؤمنين بما أمرهم به عاتبهم على ما

ابي عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس الصر البرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كمثل ريح فيها صر أي برد شديد حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي في الصر البرد الشديد حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كمثل ريح فيها صر يقول ريح فيها برد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ريح فيها صر قال صر باردة أهلكت حرثهم قال والعرب تدعوها الصريت تأتي الريح باردة فتصيح صريتا قد احترق الزرع يقول قد صرت الليلة أصابه صريت تلك الصر التي أصابته حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك ريح فيها صر قال الريح فيها برد ۞ القول في تاويل قوله (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم من احباطه ثواب أعمالهم وابطاله أجورها ظلما منه لهم يعني وضعا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله بل وضع فعله ذلك في موضعه وفعل بهم ما هم أهله لان عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ولامره متبعون ولرسله مصدقون بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ولامره مخالفون ولرسله مكذبون بعد تقدم منه اليهم أنه لا يقبل عملا من عامل الا مع اخلاص التوحيد له والاقرار بنبوة أنبيائه وتصديق ما جاءهم به وتوكيده الحجج بذلك عليهم فلم يكن يضيرهم ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك بعد الاعتذار اليهم من احباط وافر عمله له ظالما بل الكافر هو الظالم نفسه لاكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم وأصلاها به سعير سقر ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا اصدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم لا تتخذوا بطانة من دونكم يقول لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لانفسكم من دونكم يقول من دون أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين وانما جعل البطانة مثلا لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه محل ما ولي جسده من ثيابه فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة ويغبهم اياهم الغوائل فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم فقال تعالى ذكره لا يألونكم خبالا يعني لا يستطيعونكم شرا من ألوت ألوا والواء يقال ما ألافلان كذا أي ما استطاع كما قال الشاعر

جهراء لا تألو اذا هي أظهرت * بصرا ولا من عيلة تغنيني

يعني لا تستطيع عند الظهر ابصارا وانما يعني جل ذكره بقوله لا يألونكم خبالا البطانة التي نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم فقال ان هذه البطانة لا تتركم طاقتها خبالا أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال وأصل الخبل والخبال الفساد ثم يستعمل في سعان كثير فيدل على ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصيب بخبل أو جراح وأما قوله ودوا ما عنتم فانه يعني ودوا ما عنتكم يقول يتمنون لكم العنت والشر في دينكم وما يسوءكم ولا يسركم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصافونهم المودة بالاسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الاسلام فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شئ من أمورهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال قال محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار

أي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرجة بمقام الجنة دليل على أن العبد وان كثرت طاعته لا يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته وفي اضافة الرجة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم (٣٦) والنص على خلود أهل الثواب دون أهل النار وان كانوا مخلدين أيضا دلائل واشارات الى أن

جانب العفو والمغفرة والرجة مغلب وكيف لا وقد أردفه بقوله تلك الاحكام التي وردت في حيز الوعيد والوعد وانقضى ذكرها آيات الله نتلوها عليك متلبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته أو متلبسة بالمعنى الحق لا تعنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن صالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عن هو أصدق القائلين قال الجبائي قوله فلما نكره في سياق النفي فوجب أن لا يريد شيأ مما يكون ظلما سواء فرض منه أو من العبد على نفسه أو على غيره واذا لم يرد فلم يفعل اذ لو كان فاعلا لشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى أن يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال وقد ما في السموات وما في الارض وأيضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل أو للحاجة أو الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود ورب ما يقال معنى الآية اما أن يكون انه لا يريد أن يظلمهم أو انه لا يريد أن يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البرىء من الذنب أشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم

وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعني ان تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيأ من عقوبة الله يوم القيامة ان أخرها الهم الى يوم القيامة ولا في الدنيا ان عجلها الهم فيها وانما خص أولاده وأمواله لان أولاد الرجل أقرب أنسابه اليه وهو على ماله أقرب منه على مال غيره وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره فاذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الامر فيه فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسابه وأموالهم أبعد من أن تغني عنهم من الله شيأ ثم أخبر جل ثناؤه انهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله وأولئك أصحاب النار وانما جعلهم أصحابها لانهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذي لا يفارقه وقرينه الذي لا يزايله ثم ذكر ذلك باخباره عنهم انهم فيها خالدون صحبتهم اياها صحبة لا انقطاع لها اذا كان من الاشياء ما يفارق صاحبه في بعض الاحوال ويزايله في بعض الاوقات وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي صاروها ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع نعوذ بالله منها ومما قرب منها من قول وعمل

القول في تاويل قوله (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته) يعني بذلك جل ثناؤه شبه ما ينفق الذين كفروا أي شبه ما يتصدق به الكافر من ماله فيعطيه من يعطيه على وجه القربة الى ربه وهو لوحدانية الله جاحد ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب في أن ذلك غير نافعه مع كفره وانه مضمحل عند حاجته اليه ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائد نفعه عليه كشبه ريح فيها برد شديد أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد حرث قوم يعني زرع قوم قد أملوا ادراكه ورجوا ريعه وعائدة نفعه ظلموا أنفسهم يعني أصحاب الزرع عصوا الله وتعدوا حدوده فاهلكته يعني فاهلكت الريح التي فيها الصر زرعهم ذلك بعد الذي كانوا عليه من الامل ورجاء عائدة نفعه عليهم يقول تعالى ذكره وكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته حين يلقاه يبطل ثوابها ويخيب رجاءه منها وخرج المثل للنفقة والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة فبين ذلك قوله كمثل ريح فيها صر فهو كما قد بينا في مثله من قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما أشبه ذلك فتأويل الكلام مثل ابطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر وانما جاز ترك ذكر ابطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه وهو قوله كمثل ريح فيها صر ولمعرفة السامع ذلك معناه واختلف أهل التأويل في معنى النفقة التي ذكرها في هذه الآية فقال بعضهم هي النفقة المعروفة في الناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال نفقة الكافر في الدنيا وقال آخرون بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه مما لا يصدقه بقلبه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته يقول مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع اذا زرعه القوم الظالمون فاصابه ريح فيها صر أصابته فاهلكته فكذلك أنفقوا فاهلكهم شركهم وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل وقد تقدم بياننا تاويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من اعادته في هذا الموضع وأما الصر فانه شدة البرد وذلك معروف من الشمال في اعصار الطل والانداء في صبحة معمة بعقب ليلة معمية كما حدثنا جميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن عتاب قال سمعت عكرمة يقول ريح فيها صر قال برد شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ريح فيها صر قال برد شديد وزمرير حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ريح فيها صر يقول برد حدثنا ابن وكيع قال ثنا

وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى أنتم بشير أمة وزيفها ابن الانباري بان الزائدة لا توضع في أول الكلام ولا تعمل كقول العرب بعبدالله كان قائم وعبدالله قائم كان ولا يقولون كان عبدالله قائم على ان كان زائدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار أي صرتم خير أمة وأصل الامة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا أطلقت الامة في نحو قول العلماء اجتمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم أمة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما أن يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما أن يتعلق بكنتم أي كنتم للناس خير أمة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خير امة من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا وأما انه من أي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر الامم ذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد وأقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وأنكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض

العداوة التي لا زوال لها الا بانتقال أحد المتعادين الى ملة الآخر منهما وذلك انتقال من هدى الى ضلالة كانت عند المنتقل اليها ضلالة قبل ذلك فكان في ابتدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لاهل الايمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداوة وقد قال بعضهم معنى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم قد بدت بغضاؤهم لاهل الايمان الى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر باطلاع بعضهم بعضا على ذلك وزعم قائلو هذه المقالة ان الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق دون من كان مصرحا بالكفر من اليهود وأهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد بدت البغضاء من أفواههم يقول قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين الى اخوانهم من الكفار من غشهم للاسلام وأهله وبغضهم اياهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قد بدت البغضاء في أفواههم يقول من أفواه المنافقين وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له وذلك ان الله تعالى ذكره انما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للاسلام وأهله والبغضاء اما بادية ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم واما باطهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآن والمناصبة لهم فاما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالفته ومباطنته فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم اياهم اما باعيانهم وأسمائهم واما بصفات قد عرفوهم بها واذ كان ذلك كذلك وكان ابداء المنافقين بالسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى اخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفتهم عليه لهم مع اظهارهم الايمان بالسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذي نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لانفسهم بطانة دونهم كهم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها وانهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بانهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لانهم لو كانوا المنافقين لكان الامر منهم على ما قد بينا ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لانفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بني اسرائيل والبغضاء مصدر وقد ذكر انها في قراءة عبدالله بن مسعود قد بدا البغضاء من أفواههم على وجه التذكير وانما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث لان المصادر تانيثها ليس بالتأنيث اللازم فيجوز تذكير ما خرج منها على لفظ المؤنث وتانيثه كما قال عز وجل وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكما قال فقد جاءكم بينة من ربكم وفي موضع آخر وأخذت الذين ظلموا الصيحة وجاءتكم بينة من ربكم وقال من أفواههم وانما بدا ما بدا من البغضاء بالسنتهم لان المعنى به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم فقال قد بدت البغضاء من أفواههم بالسنتهم ۞ القول في تاويل قوله (وما تخفي صدورهم أكبر) يعني تعالى ذكره بذلك والذي تخفي صدورهم يعني صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر يقول أكبر مما قد بدا لكم بالسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم ۞ القول في تاويل قوله (قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) يعني بذلك جل ثناؤه قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات يعني بالآيات

طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوى داعيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية وذلك اغا يكون بالتزام التكاليف الشرعية وما الله يريد ظلما للعالمين يعني انهم باستقامتهم واذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير أمة أي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة لانهم كانوا في الدنيا خير أمة وأقول لما انجز الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه اتبع ذلك مزيته هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة أهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوديا اليهوديين قالا لابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعونا اليه ونحن خير وأفضل منكم فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير أمة على الحال أي حدثتم ووجدتم خير أمة والا كثرون على انها ناقصة فجاء ابهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا تدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ خير أمة أو كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال أبو مسلم هذا تابع لقوله خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وبينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا نلتم من الرحمة بياض الوجه العداوة ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال أنتم فكان هذا التشريف حاصلا لكنا لكنه مخصوص بقوم معينين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

والخلاف في الجاهلية فانزل الله عز وجل فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وتؤمنون بالكتاب كله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا في المنافقين من أهل المدينة نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولوهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يواخوهم أي يتولوهم من دون المؤمنين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تتخذوا بطانة من دونكم هم المنافقون **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا يقول لا تستدخلوا المنافقين تتولوهم دون المؤمنين **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الازهر بن راشد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا قال فلم ندر ما ذلك حتى أتوا الحسن فسألوه فقال نعم أما قوله لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فانه يقول لا تنقشوا في خواتيمكم محمدا وأما قوله ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك فانه يعني به المشركين يقول لا تستشيروهم في شيء من أموركم قال قال الحسن وتصديق ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أما البطانة فهم المنافقون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال هؤلاء المنافقون وقرأ قوله قد بدت البغضاء من أفواههم الآية واختلفوا في تاويل قوله ودوا ما عنتم فقال بعضهم معناه ودوا ما ضللتم عن دينكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ودوا ما عنتم يقول ما ضللتم وقال آخرون بما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ودوا ما عنتم يقول في دينكم يعني انهم يودون أن تعنتوا في دينكم * فان قال لنا قائل وكيف قيل ودوا ما عنتم فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر والحالات لا تكون الا بصور الاسماء والافعال المستقبلة دون الماضية منها قيل ليس الامر في ذلك على ما ظننت من أن قوله ودوا ما عنتم حال من البطانة وانما هو خبر عنهم ثان منقطع عن الاول غير متصل به وانما تاويل الكلام يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا فاخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الاولى وان كانتا جميعا من صفة شخص واحد وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله ودوا ما عنتم من صلة البطانة وقد وصلت بقوله لا يألونكم خبالا فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلتها ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله ودوا ما عنتم خبر مبتدا عن البطانة عن الخبر الاول وعن حال من البطانة ولا قطع منها ۞ القول في تاويل قوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) يعني بذلك جل ثناؤه قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بافواههم يعني بالسنتهم والذي بدا لهم منهم بالسنتهم اقامتهم على كفرهم وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة فذلك من أوكد الاسباب في معاداتهم أهل الايمان لان ذلك عداوة عن الدين والعداوة على الدين

بالمعروف ولهذا تكلم ثم اتبع ذكر الايمان باقة ليعلم ان شرط تأثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان أهل الكتاب معتبر وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن أهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية أيضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة أو لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الاجر في الآخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام وشيء نزر من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل أهل الكتاب على سبيل الاستئناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي وأصحابه فاللام للمعهود السابق وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن اطاعة الله تعالى وعن دينه فيقارب الكفر أو رادفه أو المراد أنهم ليسوا بعدول في دينهم أيضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي أن لا يقتدى بهم البتة ثم أخبر عن حالهم وكان كما قال صلى الله عليه وسلم وهو آية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا أذى الاضرار أن لا يجاوز أذى بقول كطعن في الدين أو بتهديد أو تحريف نص أو القاء شبهة أو اظهار كلمة الكفر باشراكه عزيرا والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال آذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية والاذى نوع من الضرر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من أنواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن

ومما جرتهم المحاربة وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ليس بهم الا مخافة على دمائهم وأموالهم فصانعوهم بذلك واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ يقول مما يجدون في قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه لو يجدون بحالكانوا على المؤمنين فهم كما نعت الله عز وجل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال من الغيظ لكراهتهم الذي هم عليه ولم يقل لو يجدون بحالكانوا وما بعده حدثنا عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثنى يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال ثنا أبي قال كان أبو الجوزاء اذا تلا هذه الآية واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال هم الاباضية والانامل جمع أنملة ويقال انملة وربما جمعت أنملا قال الشاعر

أودى كما مايل حاقي رنق * وما حملت كفاي أنملي العشرا

وهي أطراف الاصابع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الانامل أطراف الاصابع حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا خلوا عضوا عليكم الانامل الاصابع حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي الاحوص عن عبد الله قوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال عضوا على أصابعهم ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم وأخبرتك انهم اذا لقوا أصحابك قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الذي بكم على المؤمنين لاجتماع كلمتهم وائتلاف جماعتهم وخرج هذا الكلام مخرج الامر وهو دعاء من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يدعو عليهم بان يهلكهم الله كما دعا بهم من الغيظ على المؤمنين قبل أن يروا فيهم ما يثمنون لهم من العنت في دينهم والضلالة بعد هداهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهلكوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور يعني بذلك ان الله ذو علم بالذي في صدور هؤلاء الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وما يعطونهم عليه من الغل والغم ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء وبما في صدور جميع خلقه فاحفظ على جميعهم ما هو عليه منطو من خير وشر حتى يجازي جميعهم على ما قدم من خير وشر واعتقد من ايمان وكفر وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غل وغمز ۞ القول في تأويل قوله (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) يعني بقوله تعالى ذكره ان تمسسكم حسنة تسؤهم ان تنالوا أيها المؤمنون سرورا بظهوركم على عدوكم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم وان تنلكم مساءة باخفاق سرية لكم أو باصابة عدو لكم منكم أو اختلاف يكون بين جماعتكم تسؤهم يفرحوا بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها فاذا رأوا من أهل الاسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك وساءهم واذا رأوا من أهل الاسلام فرقة واختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به فهم كما خرج منهم قرن أكذب الله أحدوثته وأوطأ محلته وأبطل حجته واظهر عورته فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي الى يوم القيامة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قال هم

وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يدل على نفي النصر مقيدا بعدم قتالهم بل يرفع ليكون نفي النصر وعدم مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كأنه قيل

لعبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذي نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعني ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم بقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب في هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثير الدرهم في أيدي الناس يعني الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله اليكم وكتابهم الذي أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التي انزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فانتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون ان الذي نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله يجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه أولى بعدوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم بغضاءكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقالها أنتم أولاء ولم يقل هذا أنتم ففرق بينهما أولا بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل في هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أنا ذا فيفرق بين التنبيه وداء المكنى اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثنى ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمرو قائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك في المكنى مع التقريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام رتبته وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب في هذه الآية بانتهم الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم باهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لاباد خضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لاباد خضراء وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية في المنافقين حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ۞ القول في تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعني بذلك تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوهم بالسنتهم تقية حذرا على أنفسهم منهم فقالوا لهم قد امنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا في خلا حيث لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أنامل وهي أطراف أصابعهم تغيظا بما بهم من الموجدة عليهم وأسا على ظهر يسندون اليه لما شفتهم العداوة

لعبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذي نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعني ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم بقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب في هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثير الدرهم في أيدي الناس يعني الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله اليكم وكتابهم الذي أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التي انزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فانتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون ان الذي نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله بجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه أولى بعدوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم بغضاءكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقالها أنتم أولاء ولم يقل هذا أنتم ففرق بينهما أولا بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل في هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أنا ذا فيفرق بين التنبيه وداء المكنى اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثنى ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمرو قائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك في المكنى مع التقريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام رتبته وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب في هذه الآية بانتهم الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم باهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لاباد خضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لاباد خضراء وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية في المنافقين حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ۞ القول في تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعني بذلك تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوهم بالسنتهم تقية حذرا على أنفسهم منهم فقالوا لهم قد امنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا في خلا حيث لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أنامل وهي أطراف أصابعهم تغيظا بما بهم من الموجدة عليهم وأسا على ظهر يسندون اليه لما شفتهم العداوة

الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روى عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير أمة تأمرونهم أن يشهدوا أن لا اله الا الله ويقروا بما أنزل الله ويقاتلوكم عليه ولا اله الا الله أعظم المعروف والتكذيب أنكر المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكر منصف فان أكثرهم يحبون ما ألفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي ترد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق مكرها الى أن يألفه مستدرجا وأما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة أكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عددناه والم يكن في الحقيقة اعانا ولهذا نفى عن أهل الكتاب في قوله ولو آمن أهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الآية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتأكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به أشد فكان تقديمه أهم وليعلم ان التكميل أفضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تأخير الايمان بالله تكريره مرة بالتضمن وأخرى بالمطابقة على أن الواو لا تفيد الترتيب وأيضا أراد أن يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ومناجزتهم ان أصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا تبين فيه الخيرية لكن الآية سيقت لبيان الخير بتوليس ذلك الا لان هذه الامة أقوى في باب الامر

اذ ان قوله واذ اغاجزها فى معنى الكلام على ماقد بينت وأوضحت وقد اختلف أهل التاويل فى اليوم الذى عنى الله عز وجل بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فقال بعضهم عنى بذلك يوم أحد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال مشى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد على رجليه يبوئ المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ذلك يوم أحد غدا نبى الله صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال غدا النبى صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فهو يوم أحد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين قال هذا يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مما نزل فى يوم أحد واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين * وقال آخرون عنى بذلك يوم الاحزاب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الاحزاب * وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال عنى بذلك يوم أحد لان الله عز وجل يقول فى الآيتين بعدها اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ولا خلاف بين أهل التأويل انه عنى بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر الله من أمرهما انما كان يوم أحد دون يوم الاحزاب فان قال لنا قائل وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما راح الى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة فى أهله بالمدينة بالناس كالذى حدثكم ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حباب وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة الى أحد دخل فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقال ما ينبغى لنبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان خروجه للقوم كان رواحا فلم يكن تبوئته المؤمنين مقاعدهم للقتال عند خروجه بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه وذلك ان المشركين توا لوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الاربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حباب وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن وغيرهم فان قال وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعد للقتال غدوا قبل خروجهم قد علمت ان التبوئة اتخاذ الموضع قيل كانت تبوئته اياهم ذلك قبل مناهضته عدوه عند مشورته على أصحابه بالرأى الذى رآه لهم بيوم أو يومين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحدا قال فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن

اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا انا سمعنا منادى ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

اذ ان قوله واذ اغاجزها فى معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت وقد اختلف أهل التاويل فى اليوم الذى عنى الله عز وجل بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فقال بعضهم عنى بذلك يوم أحد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال مشى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد على رجليه يبوئ المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ذلك يوم أحد غدا نبى الله صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال غدا النبى صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فهو يوم أحد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين قال هذا يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مما نزل فى يوم أحد واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين * وقال آخرون عنى بذلك يوم الاحزاب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الاحزاب * وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال عنى بذلك يوم أحد لان الله عز وجل يقول فى الآيتين بعدها اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ولا خلاف بين أهل التأويل انه عنى بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر الله من أمرهما انما كان يوم أحد دون يوم الاحزاب فان قال لنا قائل وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما راح الى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة فى أهله بالمدينة بالناس كالذى حدثكم ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حباب وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة الى أحد دخل فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقال ما ينبغى لنبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان خروجه للقوم كان رواحا فلم يكن تبوئته المؤمنين مقاعدهم للقتال عند خروجه بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه وذلك ان المشركين توا لوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الاربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حباب وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن وغيرهم فان قال وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعد للقتال غدوا قبل خروجهم قد علمت ان التبوئة اتخاذ الموضع قيل كانت تبوئته اياهم ذلك قبل مناهضته عدوه عند مشورته على أصحابه بالرأى الذى رآه لهم بيوم أو يومين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحدا قال فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن

الجراح أن يعدل ما فى الضمائر على الظواهر أكفرتم بعد ايمانكم أم ارتاب المنافقون أن الله انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا خيول الهوى وارتدوا على أعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون ألم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففى رحمة الله فى الدنيا بالجمعة والوفاق مع أهل الله هم فيها خالدون فى الآخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها على قلبك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض فى غير موضعهما كنتم خير أمة أخرجت من العدم الى الوجود مستعدة للقبول كالية الانسان من جملة الحيوانية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقب مطيعهم بشؤم عصيانهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زلاتهم لعنه وزلاتنا رحمة ومنها شكا منهم اليناوشكر منا الهم قبل وجودنا ولو آمن أهل الكتاب يعنى علماء السوء لن يضروكم أيها المحققون الا أذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم لا ينصرون لانكم أهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا

المنافقون اذا رأوا من أهل الاسلام جماعة وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك غيظا شديدا واساءهم واذا رأوا من أهل الاسلام فرقتوا اختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبهم فقال الله عز وجل وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال اذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك واذا رأوهم فرقة واختلافا ففرحوا وأما قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ يعنى بذلك جل ثناؤه وان تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة لانفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين وغير ذلك من سائر ما نهاكم وتتقوا ربكم فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله لا يضركم كيدهم شيأ أى كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم ويعنى بكيدهم غوائلهم التى يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق واختلف القراء فى قراءة قوله لا يضركم فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين لا يضركم مخففة بكسر الضاد من قول القائل ضارنى فلان فهو يضيرنى ضيرا وقد حكى سماعا من العرب ما ينفعنى ولا يضورنى فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقيل لا يضركم كيدهم شيأ ولكن لا أعلم أحدا قرأ به وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قراء أهل الكوفة لا يضركم كيدهم شيبا بضم الضاد وتشديد الراء من قول القائل ضرنى فلان فهو يضرنى ضرا وأما الرفع فى قوله لا يضركم ففى وجهين أحدهما على اتباع الراء فى حركتها اذ كان الاصل فيها الجزم ولم يمكن جزمها للتشديد بها أقرب حركات الحروف التى قبلها وذلك حركة الضاد وهى الضمة فالحقت بها حركة الراء لقربها منها كما قالوا مديا هذا والوجه الآخر من وجهى الرفع فى ذلك أن تكون مرفوعة على صحة وتكون لا بمعنى ليس وتكون الفاء التى هى جواب الجزاء متروكة لعلم السامع بموضعها واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيأ تركت الفاء من قوله لا يضركم كيدهم ووجهت لا الى معنى ليس كما قال الشاعر

فان كان لا يرضيك حتى تردنى * الى قطوفى لا أحالك راضيا

ولو كانت الراء محركة الى النصب والخفض كان جائزا كما قيل مديا هذا ومد وقوله ان الله بما يعملون محيط يقول جل ثناؤه ان الله بما يعمل هؤلاء الكفار فى عباده وبلاده من الفساد والصد عن سبيله والعداوة لاهل دينه وغير ذلك من معاصى الله محيط بجميعه حافظ له لا يعزب عنه شئ منه حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ويديقهم عقوبته عليه ۞ القول فى تأويل قوله (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم) يعنى جل ثناؤه بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين وان تصبروا وتتقوا لا يضركم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيأ ولكن الله ينصركم عليهم ان صبرتم على طاعتى واتباع أمر رسولى كما نصركم ببدر وأنتم أذلة وان أنتم خالفتم أيها المؤمنون أمرى ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضى ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمرى وأمر رسولى فانه نازل بكم ما نزل بكم باحد واذكر واذ كر واذ لك اليوم اذ غدا نبيكم يبوئ المؤمنين فترك ذكر الخبر عن أمر القوم ان لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه اذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم ان صبروا على أمره واتقوا محارمه وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حل بهم من البلاء باحد اذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا الرأى بينهم وأخرج الخطاب فى قوله واذ غدوت من أهلك على وجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين فقد بين

لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة فى ديارهم قلنا هذه الآيات مخصوصة باليهود وأسباب النزول تدل على ذلك فكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع وأهل خيبر أو لعل المراد نفى النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصرانى بهذه الحالة وفى الآية تشجيع المؤمنين وتثبيتهم لن آمن من أهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلهم وتحريفاتهم * التأويل اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون لا يتنفى وجودكم المجازى الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستغدتم الوجود الحقيقى وهو البقاء بالله واعتصموا أهل الاعتصام طائفتان أهل الصور وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يتوصل به الى الله من أعمال البر وأهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لمشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم أو ناصركم ولا تفرقوا فى الظاهر وهو مفرقة الجماعة وفى الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهى عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم فلو لا نفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتأليف القلوب كذلك مثل ما بين آياته للدروس والخزرج حتى صار وا اخوانا بينا لكم أيها الطلاب آياته وهى الجذبة الالهية وتجلى صفات الربوبية ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال اذا وأولئك هم المفلحون من وجد من يأمر بالمعروف فلا يأتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى

أشعركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم ان النصر والقوة تكون لهم أو أشعركم ان النصر والقوة ستكون لهم أو أساطين يستقيم لهم أمر البتة ومعنى ثم افادة التراخى فى الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أيضا كانوا أعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك

الغالبين بهم ترسو اجها ط لتناهي رعب الهم فيهم وابتداء الشر طي المؤمنين ثنيا ط محيط ۞ والتفسير هذا خبر آخر من مستقبلات
أحوال اليهود المعاصرة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل (٤٥) والسبي والنهب أينما وجدوا والاعتصمين

المشير بن عليك بالمقام في المدينة وغير ذلك من أمرك وأمورهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق في قوله والله سميع عليم أي سميع لما يقولون عليم بما يخفون ۞ القول في تاويل
قوله (اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني بذلك جل
ثناؤه والله سميع عليم حين همت طائفتان منكم ان تفشلا والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر
لنا بنو سلمة وبنو حارثة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا قال بنو حارثة كانوا نحو
أحد وبنو سلمة نحو سلع وذلك يوم الخندق قال أبو جعفر وقد دللنا على ان ذلك كان يوم أحد فيما
مضى بما فيه الكفاية من اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ
همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية وذلك يوم أحد والطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة حيان من
الانصار هموا بامر فعصمهم الله من ذلك قال قتادة وقد ذكر لنا انه لما أنزلت هذه الآية قالوا ما يسرنا انا لم
نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله انه ولينا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن
الربيع قوله اذهمت طائفتان منكم الآية وذلك يوم أحد فالطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة حيان من
الانصار فذكر مثل قول قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط
عن السدي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا
فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة تبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له
ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا وقال اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا وهم بنو سلمة وبنو حارثة
هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي فعصمهم الله وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة نزلت في بني سلمة من
الخزرج وبني حارثة من الاوس ورأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني محمد بن سعد قال ثني
أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا
فهم بنو حارثة وبنو سلمة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذهمت طائفتان منكم
ان تفشلا والطائفتان بنو سلمة من جشم بن الخزرج وبنو حارثة بن الحارث من الاوس وهما الجناحان
حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذهمت طائفتان منكم
ان تفشلا الآية قال هما طائفتان من الانصار هما ان يفشلا فعصمهم الله وهزم عدوهما حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن
عبد الله يقول اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا قال هم بنو سلمة وبنو حارثة وما أحب ان لو لم تكن هممنا
لقول الله عز وجل والله وليهما حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن
عمرو قال سمعت جابر بن عبد الله فذكر نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا قال هذا يوم أحد وأما قوله ان تفشلا فانه يعني هما ان يضعفا
ويجبنا عن لقاء عدوهما يقال منه فشل فلان عن لقاء عدوه يفشل فشلا كما حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفشل الجبن وكان همهما الذي هما
به من الفشل الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي
ابن سلول بمن معه جبنا منهم من غير شك منهم في الاسلام ولا نفاق فعصمهم الله مما هموا به من ذلك
ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له وتركوا عبد الله بن أبي ابن سلول
والمنافقين معه فابى الله عز وجل الا نبوتهم على الحق وأخبر انه وليهما وناصرهما على أعدائهما من

أو متلبسين أي الا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد أي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التحاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا وما لهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى أو وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها أو ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما أفردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال آخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من أنفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الآية قد مر تفسيره في البقرة الا أنه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين أعني في البقرة وفي أول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة كالذين والصابئين وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الآخرين نعيا عليهم وتقطيعا

لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة اشارة الى الحق الذي أذن الله أن يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية أي بغير ما حق أصلا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كالام مستانف للبيان قال

أنفسهم فاهلكته وما اطلعهم الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم (٤٤) أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون

بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط)

القراآت ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع ممالة قتيبة وأبو عمرو طريق ابن عبدوس ما يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص أبو عمرو مخيرا الباقون بتاء الخطاب تسؤهم وبابه من كل همزته مجزومة بتغيير همزة الاعشى وأوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم وماشم محركا الساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة * الوقوف

المكنة ط بغير حق ط يعتدون ۝ قيل لا وقف عليه لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا أحد الفريقين سواء ط يسجدون ۝ قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر أوصاف لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود انظر آل عمران ط الصالحين ۝ يكفروه ط المتقين ۝ شيأ ط النار ج خالدون ط ما هلكته ط يظلمون ج خبالا ط ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا أكبر ط تعقلون ۝ كله ج للعطف مع الحذف أي وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا ق قد قيل والوصل أولى لان المقصود المشيرين بيان تناقض ما بهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ۝ تسؤهم ج للابتداء بشرط آخر والوصل أجوز إذ الغرض تقرير تضاد

المفضل قال ثنا اسباط عن السدي لاصحابه أشيروا علي ما أصنع فقالوا يا رسول الله اخرج الى هذه الاكلب فقالت الانصار يا رسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا في ديارنا فكيف وأنت فينا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الازقة فاتاه النعمان بن مالك الانصاري فقال يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة فقال له لم قال بأني أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وأني لا أفر من الزحف قال صدقت فقتل يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها فلما رأوه وقد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن عن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت بقرا فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان قاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره يا رسول الله أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبي ابن سلول يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا قط الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته * تبوئة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعد للقتال ما ذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأي الذي ذكرنا على ما وصفه الذين حكينا قولهم يقال منه بوأت القوم منزلا وبوأته لهم فانا أبوئهم المنزل تبوئة وأبوئ لهم منزلا تبوئة وقد ذكر ان في قراءة عبد الله بن مسعود واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وذلك جائز كما يقال رددت ذلك ورددت له صداقها ونقدتها ونقدتها كما قال الشاعر

استغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

والكلام أستغفر الله لذنب وقد حكي عن العرب سمعا أبأت القوم منزلا فانا أبيئهم أباءة ويقال منه أبأت الابل اذا رددتها الى المبيت والمبات المراح الذي تبيت فيه والمقاعد جمع مقعد وهو المجلس فتأويل الكلام واذكر اذ غدوت يا محمد من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكرا وموضعا للقتال عدوهم وقوله والله سميع عليم يعني بذلك تعالى ذكره والله سميع لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم من قول من قال أخرج بنا اليهم حتى نلقاهم خارج المدينة وقول من قال لك لا تخرج اليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا على ما قد بينا قبل ومما تشير به عليهم أنت يا محمد عليم بأصلح تلك الآراء لك ولهم وبما تخفيه صدورا لمشيرين عليك بالخروج الى عدوك وصدور

تشكرون قال يقول وأنتم قليل أذلة وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمائة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحو قول قتادة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أقل عددا وأضعف قوة وأما قوله فاتقوا الله لعلكم تشكرون فان تأويله كالذي قد بينت وكما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقوني فانه شكر نعمي ۞ القول في تأويل قوله (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يعني تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وذلك يوم بدر ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم في أي يوم وعدوا ذلك فقال بعضهم ان الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر ان يمدهم بملائكته ان أتاهم العدو من فورهم فلم يأتوهم ولم يمدوا بذكر من قال ذلك حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال حدث المسلمون ان كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين قال فشق ذلك على المسلمين فقيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة فرجع ولم يمدهم بالخمسة حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر قال لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال ويأتوكم من فورهم هذا يعني كرزا وأصحابه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغ كرزا وأصحابه الهزيمة فلم يمدهم ولم تنزل الخمسة وأمدوا بعد ذلك بالف فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة الآية كلها قال هذا يوم بدر حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال حدث المسلمون ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين ببدر قال فشق ذلك على المسلمين فانزل الله عز وجل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الى قوله من الملائكة مسومين قال فبلغته هزيمة المشركين فلم يمد أصحابه ولم يمدوا بالخمسة وقال آخرون كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر فصبر المؤمنون واتقوا الله فأمدهم بملائكته على ما وعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتماري حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا الله قال بعد اذ ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتماري حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث عن ابن عباس ان ابن عباس قال ثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال وثني الحسن بن عمارة

تقرير فضيلة أهل الاسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير أمة كقوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل أي في الصلاة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل أي مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الآية دلت على أن المسلم القائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دال على ان المولى قام بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم * الصفة الثانية يتلون أي أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة وأصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هي اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها أصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معاوانى وانو مثل نحى وتلو * الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل أن يكون حالا من يتلون كأنهم يقرؤن القرآن في السجدة تخشعا الا أن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا اني نهيت أن اقرأ راكعا وساجدا اما ماه وأن يكون كلاما مستقلا أي يقومون تارة ويسجدون أخرى ويتبعون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يركع أحدهم ويسجد ويضع رأسه بقدميه وقدميه برأسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وأن يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلاة

تسمى سجدة وركعة وسجدتان يرادوهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا * الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة

الكفار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله وليهما أي المدافع عنهما ما هما به من فشلهما وذلك انه انما كان ذلك منهما عن ضعف وهن أصابهما من غير شك أصابهما في دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما والحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل على وليستعن بي أعنه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته وذكر ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ والله وليهم وانما جاز أن يقرأ ذلك كذلك لان الطائفتين وان كانتا في لفظ اثنين فانهما في معنى جماع بمنزلة الخصمين والحق بين ۞ القول في تأويل قوله (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) يعني بذلك جل ثناؤه وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وينصركم بكم ولقد نصركم الله ببدر على أعدائكم وأنتم يومئذ أذلة يعني قليلون في غير منعة من الناس حتى أظهركم الله على عدوكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم وأنتم اليوم أكثر عددا منكم حينئذ فان تصبروا لامر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم فاتقوا الله يقول تعالى ذكره فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه لعلكم تشكرون يقول لتشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم واظهار دينكم ولما هداكم له من الحق الذي ضل عنه مخالفوكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة يقول وأنتم أقل عددا وأضعف قوة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقون فانه شكر نعمتي واختلف في المعنى الذي من أجله سمي بدر بدرا فقال بعضهم سمي بذلك لانه كان ماء لرجل يسمى بدرا فسمي باسم صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن زكريا عن الشعبي قال كانت بدر لرجل يقال له بدر فسميت به حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي انه قال ولقد نصركم الله ببدر قال كانت بدر بئر الرجل يقال له بدر فسميت به وأنكر ذلك آخرون وقالوا ذلك اسم سميت به البقعة كما سمي سائر البلدان باسمائها ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث بن محمد قال ثنا ابن سعد قال ثنا محمد بن عمر الواقدي قال ثنا منصور عن ابي الاسود عن زكريا عن الشعبي قال انما سمي بدرا لانه كان ماء لرجل من جهينة يقال له بدر وقال الحرث قال ابن سعد قال الواقدي فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فانكراه وقالا فلاي شئ سميت الصفراء ولاي شئ سميت الحمراء ولاي شئ سمي رابغ هذا ليس بشئ انما هو اسم الموضع قال وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري فقال سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون هو ماؤنا ومنزلنا وما ملكه أحد قط يقال له بدر وما هو من بلاد جهينة انما هي بلاد غفار قال الواقدي فهذا المعروف عندنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول بدر ماء عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة وأما قوله أذلة فانه جمع ذليل كما الاعزة جمع عزيز والالبة جمع لبيب وانما سماهم الله عز وجل أذلة لقلة عددهم لانهم كانوا ثلثمائة نفس وبضعة عشر وعدوهم ما بين التسعمائة الى الالف على ما قد بينا فيما مضى فجعلهم لقلة عددهم أذلة نحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وبدر ماء بين مكة والمدينة التقى عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم والمشركون وكان أول قتال قاتله نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة وذكر لنا أنه قال لاصحابه يومئذ أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم كفى فكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون يومئذ ألف أو راهقوا ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن في قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم

الفراء وابن الانباري تقديره من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة ليست قائمة لانه أضمر ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء بأحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا قال أبو ذؤيب دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما أدري أرشد طلابها أم غي

فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل دين زكي فيغني هذا عن أن يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار أبي عبيد ان أمة مرفوعة بليس على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو بدل من الضمير على نحو وأسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء أمة قائمة وأمة مذمومة وفي تفسير أهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور أنهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام واضرابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء انها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني انهم كل من أوتي الكتاب من أهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشر صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فانزل الله هذه الآيات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله لا يبعد أن يقال أولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني أهل الكتاب فقيل ليس يستوي من أهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا تشكرون

بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقاموا صلاة العشاء في الساعة التي ينام فيها غيرهم مع أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد أيضا أن يقال المراد كل

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا كالربعيين لا نعبأ بالسير شيأ حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة وفتح الله لنا فتحا يسيرا فانقلبنا بنعمة من الله وفضل وقال آخرون بنحو هذا المعنى غير انهم قالوا لم تصبروا القوم ولم يتقوا ولم يعدوا بشيء في أحد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني عمرو بن دينار عن عكرمة سمعه يقول بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد ولو مدوا لم يهزموا يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عكرمة يقول لم يمدوا يوم أحد ولا يمدون أحدا وقال الا ملك واحدا أبو جعفر يشك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف الى خمسة آلاف من الملائكة مسومين كان هذا موعدا من الله يوم أحد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين ان اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فغر المسلمون يوم أحد ولو امدبرين فلم يمدهم الله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا الآية كلها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينتظرون المشركين يا رسول الله أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وانما أمدكم يوم بدر بألف قال فجاءت الزيادة من الله على ان تصبروا وتتقوا قال بشرط ان يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية كلها * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة آلاف خمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الآية على انهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على انهم لم يمدوا بهم وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا انه أمدهم وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت انهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف وغير جائز أن يقال في ذلك قول الا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به كذلك فنسلم لاحد الفريقين قوله غير ان في القرآن دلالة على انهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فما في يوم أحد فالدلالة على انهم لم يمدوا أبين منها في انهم أمدوا وذلك انهم لو أمدوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم فالصواب فيمن القول ان يقال كما قال تعالى ذكره وقد بينا معنى الامداد فيما مضى والمدد ومعنى الصبر والتقوى وأما قوله ويأتوكم من فورهم هذا فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا ذكر من قال ذلك حدثنا جميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة قال ويأتوكم من فورهم هذا قال من وجههم هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عبيد عن الحسن في قوله ويأتوكم من فورهم هذا من وجههم هذا حدثت عن عمار عن الحسن عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ويأتوكم من

معبودهم الحق القادر الغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثاب هذا شأنه ثم بين أحوال أهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الآية وقد سبق تفسير مثله في أول السورة ثم انه لما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيأ أمكن ان يخطر ببال أحد ان الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الآية قال أكثر المفسرين وأهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث وعلى هذا فمعنى الآية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف أن يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى صرة فيها صر كما تقول برد بارد على المبالغة أو تكون في تجريدية كما يقال رأيت فيك أسدا أي أنت أسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا أو حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في أول سورة البقرة ويجوز أن يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر

وكيف الثناء وحسن الذكر بين الناس لا ينتفعون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله في هذه الحياة الدنيا شبه ذلك بالريح التي حمله البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعني أبا سفيان وأصحابه من نفقة اليهود التي نفقوا

عن الحكم بن عيينة عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس قال لم تقاتل الملائكة فى يوم من الايام سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق حدثنى أبى اسحق بن يسار عن رجال من بنى مازن عن أبى داود المازنى وكان شهد بدرا قال انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت ان قد قتله غيرى حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى حسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزة قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح أنحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس فيها أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم قال أبو لهب هلم الى يا ابن أخى فعندى الخبر قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس قال لا شئ والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل ما بين السماء والارض ما يليق لها شئ ولا يقوم لها شئ قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت تلك الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى الحسين بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمر وأخا بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف أسرت العباس أبا اليسر قال يا رسول الله لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أمروا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة حدثت عن عمار عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن الربيع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فانهم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين حدثنى محمد بن بشار قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال آخرون ان الله عز وجل انما وعدهم يوم بدر ان صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه ان يمدهم فى حروبهم كلها فلم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فامدهم حين حاصروا قريظة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا سليمان بن يزيد أبو آدم المحاربى عن عبد الله بن أبى أوفى قال كنا محاصرى قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا

المظفر يتفاوت حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمنى أهل الكتاب ليسوا من القبيلين فى شئ بسبب تحريفهم واعتقاداتهم الفاسدة ﴿الخامسة والسادسة﴾ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق التمام وذلك لسعيهم فى تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغى ومنعهم عما لا ينبغى وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محيبا فى جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن ﴿السابعة﴾ يسارعون فى الخيرات أى المذكورات كلها وهى من صفات المدح لان المسارعة فى الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت ففى التأخير آفات وما روى انه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان محمولة على انها لا تفيد كلية الحكم لان القضية أهملت اهمالا كيف والامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التأخير لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فاوطلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعى أو لكونه غير معلوم العاقبة فيفضى الى مزيد تدبر وتأمل ومنها ما يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فتنتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ﴿الصفة الثامنة﴾ وأولئك من الصالحين وذلك ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا فى علم الله تعالى فاذا أخبر عنهم بانخراطهم فى سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط الامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تأكيدا للاخبار عنهم بقوله وأولئك من الصالحين فقال وما يفعلوا من خير فلن يكفروه وأى رسول لن يحرموا ثوابه ولن يمنعوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكرا لنعمة

ذلك ظنا منه بان الملائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها لما كان ذلك في البشر وذلك انه غير مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر من تسويم أنفسهم فسوموا أنفسهم بحق الذي سوم البشر طلبا منها بذلك طاعة ربها فاضيف تسويمها أنفسها اليها وان كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه وهي اذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسها تقربا منها الى ربها كان أبلغ في مدحها لاختيارها طاعة الله من أن تكون موصوفة بان ذلك مفعول بها فذكر الاخبار بما ذكرنا من اضافتهن أصناف التسويم الى الملائكة دون اضافة ذلك الى غيرهم على نحو ما قلنا فيه حدثني يعقوب قال أخبرنا ابن علية قال أخبرنا ابن عوف عن عمير بن اسحق قال ان أول ما كان الصوف ليومئذ يعني يوم بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسوموا فان الملائكة قد تسومت حدثنا ابن كريب قال ثنا مختار بن غسان قال ثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن الزبير بن المنذر عن جده أبي أسيد وكان بدريا فكان يقول لوان بصري معي ثم ذهبتم معي الى أحد لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول معلمين بجز وزة أذناب خيلهم ونواصيها فيها الصوف أو العهن وذلك التسويم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبي برة عن مجاهد في قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال بجز وزة أذنابها وأعرافها الصوف أو العهن فذلك التسويم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسومين ذكر لنا ان سيماهم يومئذ الصوف بنواصي خيلهم وأذنابها وانهم على خيل بلق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مسومين قال كان سيماها صوفا في نواصيها حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع كانوا يومئذ على خيل بلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وبعض أشياخنا عن الحسن نحو حديث معمر عن قتادة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي مسومين معلمين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فانهم أتوا محمدا النبي صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا هشام بن عروة عن عباد بن حمزة قال نزلت الملائكة في سيما الزبير عليهم عمائم صفر وكانت عمامة الزبير صفراء حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله مسومين قال بالصوف في نواصيها وأذنابها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة قال نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق عليهم عمائم صفر وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء حدثني أحمد بن يحيى الصوفي قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنا أبي قال ثنا هشام بن عروة عن عروة عن عبد الله بن الزبير أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر فاعتم بها فنزلت الملائكة يوم بدر على نبي الله صلى الله عليه وسلم معممين بعمائم صفر فهذه الاخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقول أبي أسيد خرجت الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم وقول من قال منهم مسومين معلمين ينبئ جميع ذلك

أحوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواطؤن رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف في الجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بسره وأموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحدة شقر وأصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النهي وقوله من دونكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا أو يكون صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والاول أولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير أبناء جنسهم وأهل ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذي هم بشأنه أعني ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يألونكم خبالا يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدي الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا وجهدا على التضمين أي لا أمنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبل وتخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفساد حالكم

ودوا ما عنتم أي عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في أمر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا أصابه شيء فهاضه قد أعنته والمراد أحبوا وتمنوا ان يضركم في دينكم ودنياكم أشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون في افساد أموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فهم

لمنافع الدنيا فلا يبقى له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما أن يكون لمنافع الآخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذ اقدموا الآخرة وأوا كفرهم مبطلا لآثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه سائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب ديار المسلمين ولا يبعد أيضا تفسير الآية بتخييبهم في الدنيا فانهم أنفقوا أموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغارة على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم وأظهر الله الاسلام واعز أهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع أعمالهم التي يريدون الانتفاع بها في الآخرة كقوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات أما فائدة قوله ظلموا أنفسهم وعدم الاقتصار على قوله أصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه أثر ولا عين ولا حرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا أصابته جائحة في الدنيا أبدله الله خيرا منه في الدنيا أو في الآخرة فان المسلم مثاب على كل ألم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا

فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من سفرهم هذا ويقال يعني غير ابن عباس بل هو من غضبهم هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد من فورهم هذا من وجههم هذا وقال آخرون معنى ذلك من غضبهم هذا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة في قوله ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة قال فورهم ذلك كان يوم أحد غضبوا ليوم بدر مما لقوا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول قال سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول من فورهم هذا يقول من غضبهم هذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ويأتوكم من فورهم هذا قال غضب لهم يعني الكفار فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة وذلك يوم أحد حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من فورهم هذا قال من غضبهم هذا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم وغضبهم وأصل الفور ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر يقال منه فارت القدر فهي تفور فورا وفورانا اذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل ومضيت الى فلان من فوري ذلك يراد به من وجهي الذي ابتدأت فيه فالذي قال في هذه الآية معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا قصد الى أن تأويله ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين وأما الذين قالوا معنى ذلك من غضبهم هذا فانما عنوا ان تأويل ذلك ويأتيكم كفار قريش وتباعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بما يمددكم ربكم بخمسة آلاف وكذلك من اختلاف تأويلهم في معنى قوله ويأتوكم من فورهم هذا اختلف أهل التأويل في امداد الله المؤمنين باحد بملائكته فقال بعضهم لم يمدهم لان المؤمنين لم يصبروا لاعدائهم ولم يتقوا الله عز وجل بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوته في الموضع الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ولكنهم أخلوا به طلبا للغنائم فقتل من قتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا وانما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أمدادهم بهم ان صبروا واتقوا الله وأما الذين قالوا كان ذلك يوم بدر بسبب كرز بن جابر فان بعضهم قالوا لم يأت كرز وأصحابه اخوانهم من المشركين مددا لهم ببدر ولم يمدد الله المؤمنين بملائكته لان الله عز وجل انما وعدهم أن يمدهم بملائكته ان أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم ولم يأتهم المدد وأما الذين قالوا ان الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر فانهم اعتلوا بقول الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين قالوا فالالف منهم قد أتاهم مددا وانما لوعد الذي كانت فيه الشروط فيما زاد على الالف فاما الالف فقد كانوا أمدوا به لان الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك وان يخلف الله وعده واختلف القراء في قراءة قوله مسومين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مسومين بفتح الواو بمعنى ان الله سومها وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة مسومين بكسر الواو بمعنى ان الملائكة سومت لنفسها وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم بان الملائكة هي التي سومت أنفسها من غير اضافة تسويمها الى الله عز وجل أو الى غيره من خلقه ولا معنى لقول من قال انما كان يختار الكسر في قوله مسومين لو كان في البشر فاما الملائكة فوصفهم غير

طائفة منهم وبقيت طائفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة ليقطع طرفا من الذين كفروا أي ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم وقال آخرون بل معنى ذلك وما النصر الا من عند الله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقال انما عنى بذلك من قتل ياحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال ذكر الله قتلى المشركين يعني ياحد وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال ليقطع طرفا من الذين كفروا ثم ذكر الشهداء فقال لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وأما قوله أو يكبتهم فانه يعني بذلك أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم وقد قيل ان معنى قوله أو يكبتهم أو يصرعهم لوجوههم ذكر بعضهم انه سمع العرب تقول كبته الله لوجهه بمعنى صرعه الله فتاويل الكلام ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقا من الكفار بالسيف أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر فينقلبوا خائبين يقول فيرجعوا عنكم خائبين لم يصيبوا منكم شيأ مما رجوا أن ينالوه منكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أو يردهم خائبين أو يرجع من بقي منهم خائبين لم ينالوا شيأ مما كانوا يأملون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو يكبتهم يقول يخزيهم فينقلبوا خائبين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تاويل قوله (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعني بذلك تعالى ذكره ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ فقوله أو يتوب عليهم منصوب عطفا على قوله أو يكبتهم وقد يحتمل أن يكون تاويله ليس لك من الامر شئ حتى يتوب عليهم فيكون نصب يتوب بمعنى أو التي هي في معنى حتى والقول الاول أولى بالصواب لانه لا شئ من أمر الخلق الى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك وتاويل قوله ليس لك من الامر شئ ليس اليك يا محمد من أمر خلقي الا أن تنفذ فيهم أمري وتنتهي فيهم الى طاعتي وانما أمرهم الي والقضاء فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري أو العذاب اما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم المبيرة واما في آجل الآخرة بما أعددت لاهل الكفر بي كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أي ليس لك من الحكم شئ في عبادي الا ما أمرتك به فيهم أتوب عليهم برحمتي فان شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فانهم ظالمون أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم اياي وذكر ان الله عز وجل انما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه لما أصابه باحد ما أصابه من المشركين قال كلا آيس لهم من الهدى أو من الانابة الى الحق كيف يصلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ذكر الرواية بذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا حميد قال ثنا أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وشج فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول كيف يصلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن حميد الطويل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني ابن طلحة اليربوعي قال ثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج في جبهته وكسرت رباعيته لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم فاوحى الله اليه ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثني يعقوب بن عتبة قال ثنا ابن عون عن الحسن أن النبي

وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض أو تحبونهم فتغشون اليهم أسراركم في أموركم ودينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم أو تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يستبصرون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وأمثالها مما لا تكاد تنحصر داخلة في الآية ثم ذكر سببا آخر مما يأبى أن يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله وأضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر أحد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد أي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة أخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا أحدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا يوصف المغتاظ أو النادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر عنهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المؤمنين وعاود بينهم وارتفاع شأنهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز أهله فان ذلك يتضمن ذلهم وشرهم

والحاصل انه أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى أتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سببا لغيظكم فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور أي بصواحبها وهي الخواطر القائمة

عن صحتها اخترنا من القراءة في ذلك وان التسويم كان من الملائكة بانفسها على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى وأما الذين قرؤا ذلك مسومين بالفتح فانهم أراهم تأولوا في ذلك ما حدثنا به محمد بن سعد قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال فقالوا كان سيما القتال عليهم لانهم كانوا يسومونها سيما فيضاف اليهم التسويم فمن أجل ذلك قرؤا مسومين بمعنى ان الله تعالى أضاف التسويم الى من سومهم تلك السيما والسيما العلامة يقال هي سيما حسنة وسيما حسنة كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيما لا تشق على البصر

يعني بذلك علامة من حسن فاذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره قيل سوم نفسه فهو يسومها تسويما ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) يعني تعالى ذكره وما جعل الله وعده اياكم ما وعدكم من امداده اياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم الا بشرى لكم يعني بشرى يبشركم بها ولتطمئن قلوبكم به يقول وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم فتسكن اليه ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عدد كم وما النصر الا من عند الله يعني وما ظفركم ان ظفرتم بعدوكم الا بعون الله لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة يقول فعلى الله فتوكلوا وبه فاستعينوا لا بالجموع وكثرة العدد فان نصركم ان كان انما يكون بالله وبعونه معكم ٧ من ملائكته خمسة آلاف فانه الى أن يكون ذلك بعون الله وبقوته اياكم على عدوكم وان كان معكم من البشر جموع كثيرة أحرى فاتقوا الله واصبروا على جهاد عدوكم فان الله ناصركم عليهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما جعله الله الا بشرى لكم يقول انما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا اليهم ولم يقاتلوا معهم يومئذ يعني يوم أحد قال مجاهد ولم يقاتلوا معهم ولا قبله ولا بعده الا يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به لما عرف من ضعفكم وما النصر الا من عندي بسلطاني وقدرتي وذلك أني أعرف الحكمة التي لا الى أحد من خلقي حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما النصر الا من عند الله لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل العزيز الحكيم وأما معنى قوله العزيز الحكيم فانه جل ثناؤه يعني العزيز في انتقامه من أهل الكفر به بأيدي أوليائه من أهل طاعته الحكيم في تدبيره لكم أيها المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر وغير ذلك من أموره يقول فابشروا أيها المؤمنون بتدبيري لكم على أعدائكم ونصرتي اياكم عليهم ان أنتم أطعتموني فيما أمرتكم به وصبرتم بجهاد عدوي وعدوكم ۞ القول في تأويل قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا من الذين كفروا يعني بالطرف الطائفة والنفر يقول تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر كيما يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله فجحدوا وحدانيته ربهم ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا قطع الله يوم بدر طرفا من الكفار وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم في الشر حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الآية كلها قال هذا يوم بدر قطع الله

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل فيها تحريفا فانها غير ظاهرة المعنى تامل اه مصححه

طائفة

استأنف التنزيل نمطا آخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطأ وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء وير يدون لكم الكفر وهو أقبح

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال وهداهم الله للاسلام حدثني أبو الطاهر ثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا محمد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد الله بن كعب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم انج المستضعفين من المسلمين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسنين آل يوسف فأنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أخبره وأبي سلمة بن عبد الرحمن انهما سمعا أبا هريرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسنى يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ثم بلغنا انه ترك ذلك لما نزل قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ۞ القول في تأويل قوله (ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) يعني بذلك تعالى ذكره ليس لك يا محمد من الامر شئ ولله جميع ما بين أقطار السموات والارض من مشرق الشمس الى مغربها دونك ودونهم يحكم فيهم بما شاء ويقضي فيهم ما أحب فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره وينهيه ثم يغفره ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله غفور رحيم أي يغفر الذنوب ويرحم العباد على ما فيهم ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة في اسلامكم بعد اذ هداكم له كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم ان الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال الى أجل فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول له الذي عليه المال أخرعني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل في اسلامهم عنه كما حدثنا محمد بن سنان قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال كانت ثقيف تداين في بني المغيرة في الجاهلية فاذا حل الاجل قالوا نزيدكم وتؤخرون فنزلت لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة أي لا تأكلوا في الاسلام اذ هداكم الله له ما كنتم تأكلون اذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم في دينكم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال الربا الجاهلية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال كان أبي يقول انما كان الربا في الجاهلية في التضعيف

ومسكنة الحرص الآن يعصموا بعصمة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ويقتفون الانبياء يميزون سنتهم وسيرهم ليسوا أي العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم أخبر عن نفقات أهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة أصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا أنفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى أهل المحبة عن مباطنة أهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا ومشتهياتها ما عنتم ما متمنوه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم أو فرحوا بما فاتهم من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من أفواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد أكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهل وطعن (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم

صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل فنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيب بعض رباعيته فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وفوق حاجبه فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة فجلسه ومسح عن وجهه فافاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فانزل الله تبارك وتعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله ليس لك من الامر شئ الآية قال قال الربيع بن أنس نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبت رباعيته فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم فقال كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله وهم يدعونه الى الشيطان ويدعوهم الى الهدى ويدعونه الى الضلالة ويدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فهم أن يدعو عليهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عنهم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية كلها فقال جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع باصحابه يوم بدر فقاتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا حتى قتل منهم بعدد الاسارى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله انها قد خالطت غضبا كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الاسلام فقال الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري وعن عثمان الجزري عن مقسم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته وشج وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال عليه الحول حتى مات كافرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس شج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه وكسرت رباعيته قال ابن جريج ذكر لنا انه لما جرح جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يصلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لانه دعا على قوم فانزل الله عز وجل ليس الامر اليك فيهم ذكر الرواية بذلك حدثني يحيى بن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع

قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على أسرارهم فاني أعلم ما أضمره الخلائق ولم يظاهر وعلى ألسنتهم أصلا ويجوز أن لا يكون آمرا بالقول لفظا بل مراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون أمرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا آخر من مضارتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة أي حسنة كانت من منافع الدنيا كالعمة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءة بسوء نقيض سره بسره وان تصبكم سيئة ضد من أضدادها عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا والأقول يشبه أن يكون المس أقل من الاصابة وانه أدخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا أن يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما توجد اذا أصاب العدو بلية تخطمى كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا أن يكون ثمة غاية الحقد واذا كان حال القوم مع المسلمين في القصتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ومنهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم أو ان تصبروا على أوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتمال الامكان لا يقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيأ من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه اشارة من الله تعالى الى ان يستعان عن على دفع مكائد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان تقيا كان قوله وفي كلام الحكماء اذا أردت أن تكتب من يحسدك فاردد فضلا في نفسك وقال

هذا اللفظ وكان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب وأكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة أحد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وأبي مسلم وروى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله أخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد أجبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من أهلك عن مجاهد والواحدي انه مشى على رجليه الى أحد وأصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القداح ان

راشد عن يعلى بن أبي مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد قعد قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فتناول الصحيفة وجعل عن يساره قال قلت من صاحبكم الذي يقرأ قالوا معاوية فاذا هو انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فاين النار فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والارض أين النار قال أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار فقالوا اللهم نزعت مثله من التوراة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ان عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران فسألوه وعنده أصحابه فقالوا أرأيت قوله وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فاجهم الناس فقال عمر أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا نزعت مثلها من التوراة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر عن طارق بن شهاب عن عمر بنحوه في الثلاثة لرهط الذين أتوا عمر فسألوه عن جنة عرضها كعرض السموات والارض بمثل حديث قيس بن مسلم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر ابن عوف قال أخبرنا الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر فقال يقولون جنة عرضها السموات والارض أين تكون النار فقال له عمر أرأيت النهار اذا جاء أين يكون الليل أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار فقال انه لمثلها في التوراة فقال له صاحبه لم أخبرته فقال له صاحبه دعه انه بكل موقن حدثني أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا جعفر بن برقان قال ثنا يزيد الاصم أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال تقولون جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال ابن عباس أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل وأما قوله أعدت للمتقين فانه يعني ان الجنة التي عرضها كعرض السموات والارض السبع أعدها الله للمتقين الذين اتقوا الله فاطاعوه فيما أمرهم ونهاهم فلم يتعدوا حدوده ولم يقصروا في واجب حقه عليهم فيضيعوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أي ذلك لمن أطاعني وأطاع رسولي ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) يعني جل ثناؤه بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء أعدت الجنة التي عرضها السموات والارض للمتقين وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله اما في صرفه على محتاج واما في تقوية مضعف على النهوض للجهاد في سبيل الله وأما قوله في السراء فانه يعني في حال السرور بكثرة المال ورخاء العيش والسراء مصدر من قولهم سرني هذا الامر مسرة وسرورا والضراء مصدر من قولهم قد ضر فلان فهو يضر اذا أصابه الضر وذلك اذا أصابه الضيق والجهد في عيشه حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين ينفقون في السراء والضراء يقول في العسر واليسر فاخبر جل ثناؤه ان الجنة التي وصف صفتها لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة وفي حال الضيق والشدة في سبيله وقوله والكاظمين الغيظ يعني والحابسين عن الغيظ عند امتلاء نفوسهم يقول منه كظم فلان غيظه اذا تجرعه فحفظ نفسه من أن تمضي ماهي قادرة على امضائه باستكانتها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها وأصل ذلك من كظم القربة يقال منه كظمت القربة اذا ملئت ماء وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا غما وحزنا ومنه قول

رأى صدرا خارجا فقال تأخروا وكان نزوله في جانب الوادي وجعل صلى الله عليه وسلم ظهره وعسكره الى أحد وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا

وفى السن يكون للرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول له تقضينى أو تزيدنى فان كان عنده شئ يقضيه قضى والا حوله الى السن التى فوق ذلك ان كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون فى السنة الثانية ثم حقة ثم جذعة ثم رباعيا ثم هكذا الى فوق وفى العين يأتيه فان لم يكن عنده أضعفه فى العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال فهذا قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وأما قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون فانه يعنى واتقوا الله أيها المؤمنون فى أمر الربا فلا تأكلوه وفى غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه وأطيعوه فيه لعلكم تفلحون يقول لتنجحوا فتنجوا من عقابه وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه والخلود فى جنانه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا الله لعلكم تفلحون أى فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه ۞ القول فى تأويل قوله (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين واتقوا أيها المؤمنون النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهيى اياكم عنه التى أعددتها لمن كفر بى فتدخلوا مدخلهم بعد ايمانكم بى بخلافكم أمرى وترككم طاعتى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا النار التى أعدت للكافرين التى جعلت دارا لمن كفر بى ۞ القول فى تأويل قوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وأطيعوا الله أيها المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الاشياء وفيما أمركم به الرسول يقول وأطيعوا الرسول أيضا كذلك لعلكم ترحمون يقول لترحموا فلا تعذبوا وقد قيل ان ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمره يوم أحد فأخلوا بمراكزهم التى أمروا بالثبات عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذى أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره يعنى فى يوم أحد ۞ القول فى تأويل قوله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) يعنى تعالى ذكره يقول وسارعوا وبادروا وسابقوا الى مغفرة من ربكم يعنى الى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها وجنة عرضها السموات والارض يعنى وسارعوا أيضا الى جنة عرضها السموات والارض ذكر أن معنى ذلك وجنة عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعضها الى بعض ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وجنة عرضها السموات والارض قال قال ابن عباس تقرن السموات السبع والارضون السبع كما تقرن الثياب بعضها الى بعض فذاك عرض الجنة وانما قيل وجنة عرضها السموات والارض فوصف عرضها بالسموات السبع والارضين السبع والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها بعرض السموات والارض تشبيها به فى السعة والعظم كما قيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة يعنى الا كبعث نفس واحدة وكما قال الشاعر

كأن عذيرهم بجنوب سلى * نعام قاق فى بلد قفار

أى عذير النعام وكما قال الآخر

حسبت بغام راحلتى عناقا * وما هى ويب غيرك بالعناق

يريد صوت عناق وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له هذه الجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال أرأيت هذا النهار اذا جاء أين الليل فذكر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مسلم بن خالد عن ابن خثيم عن سعيد بن أبى

أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) القراآت تبوئ المؤمنين بغير همز أبو عمرو غير شجاع وورش والاعشى وحمزة فى الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاى ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح أيضا مسومين بكسر الواو أبو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ورويس الباقون بالفتح ❁ الوقوف القتال ط عليم ❁ لان اذ بدل من اذ غدوت أو يتعلق بالوصفين أو بقوله تبوئ ان تفشلا لا لان الواو للحال وليهما ط المؤمنون ❁ أذلة ج لفاء تشكرون ❁ منزلين ط لتمام القول ببلى لاتحاده مع ما بعده مسومين ❁ قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى الفعل فى النصر خائبين لوضع الجزء ظالمون ❁ وما فى الارض ط من يشاء ط رحيم ❁ التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من أهلك ولقد نصركم الله ببدر يعنى انهم يوم أحد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم أطاعوا أمر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه آخر فى النظم وهو ان انخذالهم يوم أحد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ الاعداء بطانة قال أبو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا أى قد كان لكم فى مثل ذلك الآية لا تغتروا الرسول يبوئ المؤمنين واذا الجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان

والذين اذا فعلوا فاحشة قال الزنى القوم ورب الكعبة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى والذين اذا فعلوا فاحشة أما الفاحشة فالزنا وقوله أو ظلموا أنفسهم يعنى به فعلوا بانفسهم غير الذى كان ينبغى لهم أن يفعلوا بهم او الذى فعلوا من ذلك تركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لهابه عقوبته كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الظلم من الفاحشة والفاحشة من الظلم وقوله ذكروا الله يعنى بذلك ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم اياه فاستغفروا لذنوبهم يقول فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها ومن يغفر الذنوب الا الله يقول وهل يغفر الذنوب أى يعفو عن راكبها فيسترها عليه الا الله ولم يصروا على ما فعلوا يقول ولم يقيموا على ذنوبهم التى أتوها ومعصيتهم التى ركبوها وهم يعلمون يقول لم يقيموا على ذنوبهم عامدين المقام عليها وهم يعلمون ان الله قد تقدم بالنهى عنها وأوعد عليها العقوبة من ركبها وذكر ان هذه الآية أنزلت خصوصا بتخفيفها ويسرها أمنا مما كانت بنو اسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء فى ذنوبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح انهم قالوا يا نبى الله بنو اسرائيل أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه اجدع أذنك اجدع أنفك افعل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الى قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بخير من ذلك فقرأ هؤلاء الآيات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عمرو بن خليفة العبدى قال ثنا على بن زيد بن جدعان قال قال ابن مسعود كانت بنو اسرائيل اذا أذنبوا أصبح مكتوبا على بابه الذنب وكفارته فاعطينا خيرا من ذلك هذه الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى قال لما نزلت ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه بكى ابليس فزعا من هذه الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى قال بلغنى أن ابليس حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بكى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت عثمان ان مولى آل ابى عقيل الثقفى قال سمعت على بن ربيعة يحدث عن رجل من فزارة يقال له أسماء أو ابن أسماء عن على قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى فحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال شعبة وأحسبه قال مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله الذنب وقال شعبة وقرأ احدى هاتين الآيتين من يعمل سوأ يجز به والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وثنا الفضل ابن الصباح قال ثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن على بن ربيعة الوالبى عن أسماء بن الحكم الفزارى عن على بن أبى طالب قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء منه واذا حدثنى عنه غيره استحلفته فاذا حلف لى صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلى قال أحدهما ركعتين وقال الآخر ثم يصلى ويستغفر الله الا غفر له حدثنا الزبير بن بكار قال ثنى سعد بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أخيه عن جده عن على بن أبى طالب انه قال ما حدثنى أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سألته أن يقسم لى بالله لهو سمعه من رسول الله صلى

ومنه قوله تعالى فى مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك أى من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم أن يثبتوا فى تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل أن المقاتلين قد يقعدون فى الامكنة المعينة الى أن يلاقيهم العدو فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان فى القوم موافق ومنافق اذ همت طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان أن تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر انهما ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا باس بما فعل وعن معاوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلى فى الركاب يوم صفين فما ثبتنى الا قول عمرو بن الاطنابة شعرا

أقول لها اذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى

ومما يدل على أن ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما وما لو كانت عزيمة ثابت معها الولاية ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولى أمرهما فالهما يفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل تفعل من وكل أمره الى فلان اذا اعتمد فى كفايته عليه ولم يتوله نفسه وفيه اشارة الى أن الانسان يجب أن يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما أخرجاه فى الصحيحين ومع ذلك قال بعض

في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انفرد أبي عبد الله بن أبي شق عليه ذلك وقال أطاع الصبيان وعصاني ثم (٥٨) قال لاصحابه ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يظفر بعدوكم وقد وعد أصحابه ان أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءكم انهزموا فليستتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أولادنا وأنفسنا وكان جملة عسكر الاسلام ألفا وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا أن تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا ان أظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فافرغ الله الرعب من قلوب المشركين فكروا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ونجم وجبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر أن محمدا قتل فانشرف أبو سفيان وقال أفي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة فقال لا تجيبوه قال أفي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك فقال أبو سفيان مرتجزا أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني

الله عز وجل وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يعني يمتلئ من الحزن ومنه قيل لمجاري المياه الكظائم لامتلائها بالماء ومنه قيل أخذت بكظمه يعني بمجاري نفسه والغيظ مصدر من قول القائل غاظني فلان فهو يغيظني غيظا وذلك اذا أحفظه وأغضبه وأما قوله والعافين عن الناس فانه يعني والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم اليهم وهم على الانتقام منهم قادرون فتاركوها لهم وأما قوله والله يحب المحسنين فانه يعني فان الله يحب من عمل بهذه الامور التي وصف انه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والارض والعاملون بها هم المحسنون واحسانهم هو عملهم بها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين ينفقون في السراء والضراء الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين أي وذلك الاحسان وأنا أحب من عمل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قوم أنفقوا في العسر واليسر والجهد والرخاء فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة الا بالله فنعمة والله يا ابن آدم الجرعة تجرعها من صبر وأنت مغيظ وأنت مظلوم حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محرز أبو رجاء عن الحسن قال يقال يوم القيامة ليقم من كان له على الله أجر فما يقوم الا انسان عفا ثم قرأ هذه الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عم له عن أبي هريرة في قوله والكاظمين الغيظ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والكاظمين الغيظ الى والله يحب المحسنين فالكاظمين الغيظ كقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يقضون في الامر لو وقعوا به كان حراما فيغفرون ويعفون يلتمسون بذلك وجه الله والعافين عن الناس كقوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيأ واعفوا واصفحوا ۞ القول في تأويل قوله (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) يعني بقوله جل ثناؤه والذين اذا فعلوا فاحشة ان الجنة التي وصف صفتها أعدت للمتقين المنفقين في السراء والضراء والذين اذا فعلوا فاحشة وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الى آخر العاملين فقال ان هذين النعتين لنعت رجل واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم قال هذان ذنبان الفاحشة ذنب أو ظلموا أنفسهم ذنب أما الفاحشة فهي صفقة لمتروك ومعنى الكلام والذين اذا فعلوا فاحشة ومعنى الفاحشة الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحدود المقدار في كل شيء ومنه قيل للطويل المفرط الطول انه لفاحش الطول يراد به قبح الطول لخروجه عن المقدار المستحسن ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد كلام فاحش وقيل للمتكلم به أفحش في كلامه اذا نطق بفحشه وقيل ان الفاحشة في هذا الموضع معني بها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا حبان قال ثنا حماد عن ثابت عن جابر

ربع أهل الجنة قالوا نعم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فالذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وأيضا لعل أهل بدر أمدوا بالف ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بأن الكفار ان جاءهم مددفانا أمددكم بخمسة آلاف من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله ألفا من الملائكة بعدد الكفار أيضا ثم وعدهم أن يجعل الثلاثة الآلاف خمسة آلاف ان صبروا واتقوا وأجيب بان هذا تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن أن يكون الامر كذلك فالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم أحد هو الذي كان يأتيهم الاعداء أما يوم بدر فهم ذهبوا الى الاعداء وأجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان أتوكم من فورهم عددكم ربكم بخمسة آلاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي يجب أن يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم عاد الى قصة أحد ثم انزال خمسة آلاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا ولم يتقوا بل خالفوا أمر الرسول فلما فات الشرط فات المشروط وأما انزال ثلاثة آلاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد فلما أهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى

الاصرار غير المواقعة وانه المقام عليه على ما قلنا قبل واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وهم يعلمون فقال بعضهم معناه وهم يعلمون انهم قد أذنبوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما وهم يعلمون فيعلمون انهم قد اذنبوا ثم أقاموا فلم يستغفروا وقال آخرون معنى ذلك وهم يعلمون ان الذي أتوا معصية الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم يعلمون قال يعلمون بما حرمت عليهم من عبادة غيري قال أبو جعفر وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب ۞ القول في تأويل قوله (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) يعني تعالى ذكره بقوله أولئك الذين ذكر أنه أعدلهم الجنة التي عرضها السموات والارض من المتقين ووصفهم بما وصفهم به ثم قال هؤلاء الذين هذه صفتهم جزاؤهم يعني ثوابهم من أعمالهم التي وصفهم تعالى ذكره انهم عملوها مغفرة من ربهم يقول عفو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها جنات وهي البساتين تجري من تحتها الانهار يقول تجري خلال أشجارها الانهار وفي أسافلها جزاء لهم على صالح أعمالهم خالدين فيها يعني دائمي المقام في هذه الجنات التي وصفها ونعم أجر العاملين يعني ونعم جزاء العاملين لله الجنات التي وصفها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين أي ثواب المطيعين ۞ القول في تأويل قوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني بقوله تعالى ذكره قد خلت من قبلكم سنن مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الايمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط وغيرهم من سلاف الامم قبلكم سنن يعني مثلات سير سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا اليهم بامهال أهل التكذيب بهم واستدراجي اياهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لاداله أنبيائهم وأهل الايمان بهم عليهم ثم أحللت بهم عقوبتي وأنزلت بساحتهم نقمتي فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرا فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول فسيروا أيها الظانون ان اداتي من أدالت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه لغير استدراج مني لمن أشرك بي وكفر برسلي وخالف أمري في ديار الامم الذين كانوا قبلكم ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي وما الذي آل اليه عن خلافهم أمري وانكارهم وحدانيتي فتعلموا عند ذلك ان اداتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه باحداثما هي استدراج وامهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم ثم اما أن يؤل حالهم الى مثل ما آل اليه حال الامم الذين سلفوا قبلهم من تعجيل العقوبة عليهم أو يثيبوا الى طاعتي واتباع رسولي ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فقال ألم تسيروا في الارض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح والامم التي عذب الله عز وجل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد خلت من قبلكم سنن يقول في الكفار والمؤمنين والخير والشر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد خلت من قبلكم سنن من المؤمنين والكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم يعني بالمسلمين يوم أحد والبلاء الذي أصابهم

العلماء ان الله أبهم ذكرهما وستر عليهما ولا يجوز لنا أن نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ما بين مكة والمدينة على الواقدي انه اسم لماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم

رجل كان ذلك الماء له وأنتم أذلة انما جاء بجمع القلة دون الاذلاء الذي هو الكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد أيضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية لم يعن بالقلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أو لعل المراد انهم كانوا أذلة في زعم المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكي عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل أو لعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على أولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما أنعم به عليكم من نصرة أو لعل الله ينعم عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم أو حصل يوم أحد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول أكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر أقل وكان الاحتياج الى المدد أكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بألف من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة دون ثلاثة آلاف وخمسة آلاف وأجيب بانهم أمدوا بألف ثم زيد ألفان فصاروا ثلاثة آلاف ثم زيدت ألفان آخران فصار واخمسة آلاف فكأنه قيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى ثم قيل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بخمسة آلاف وهو كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أيسركم أن تكونوا

الله عليه وسلم الا أبا بكر فانه كان لا يكذب قال علي رضي الله عنه حدثني أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله من ذنبه ذلك الا غفر الله له وأما قوله ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فانه كما بينا تأويله وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن أبي اسحق والذين اذا فعلوا فاحشة أي ان أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها ومأثم الله عليهم فاستغفروا لها وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب الا هو وأما قوله ومن يغفر الذنوب الا الله فان اسم الله مرفوع ولا جحد قبله وانما رفع ما بعد الا بانباعه ما قبله اذا كان نكرة ومعه جحد كقول القائل ما في الدار أحد الا أخوك فاما اذا قيل قام القوم الا أبالك فان وجه الكلام في الاب النصب ومن يصلته في قوله ومن يغفر الذنوب الا الله معرفة فان ذلك انما جاء رفعا لان معنى الكلام وهل يغفر الذنوب أحد أو ما يغفر الذنوب أحد الا الله فرفع ما بعد الا من الله على تأويل الكلام لا على لفظه وأما قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويل الاصرار ومعنى هذه الكلمة فقال بعضهم معنى ذلك لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ولكنهم تابوا واستغفروا كما وصفهم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فايا كم والاصرار فانما هلك المصرون الماضون قدما لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون تمال قدما قدما ثم في معاصي الله لا ينهاهم مخافة الله حتى جاءهم أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أي لم يقيموا على معصيتي كفعل من أشرك بي فيما عملوا به من كفر بي وقال آخرون معنى ذلك لم يواقعوا الذنب اذا هموا به ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولم يصروا على ما فعلوا قال اتيان العبد ذنبا اصرار حتى يتوب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا قال لم يواقعوا وقال آخرون معنى الاصرار السكوت على الذنب وترك الاستغفار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اما يصروا فيسكتوا ولا يستغفروا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال الاصرار اقامة على الذنب عامدا أو ترك التوبة منه ولا معنى لقول من قال الاصرار على الذنب هو مواقعته لان الله عز وجل مدح بترك الاصرار على الذنب مواقع الذنب فقال والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولو كان المواقع الذنب مصرا بمواقعته اياه لم يكن للاستغفار وجه مفهوم لان الاستغفار من الذنب انما هو التوبة منه والندم ولا يعرف المستغفر من ذنب لم يواقعه صاحبه وجه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة حدثني بذلك الحسين بن يزيد السيبي قال ثنا عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نصيرة عن مولى لابي بكر عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان مواقع الذنب مصرا لم يكن لقوله ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة معنى لان مواقعة الذنب اذا كانت هي الاصرار فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره كما لا يزيل عن الزاني اسم زان وعن القاتل اسم قاتل توبته منه ولا معنى غيرها وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه فمعلوم بذلك ان

فاعل لهذه الافعال وسئل هذا يكون من أعظم المعجزات فكان يجب أن يتواتر وينتشر بين الكافر والمسلم والموافق والمخالف وأيضا انهم لو كانوا أجساما كثيفة وجب أن يراهم الكل وان كانوا أجساما لطيفة هوائية فكيف يتواطئ الجمهور على انكار ما يشاهدونه كل يوم وأجاب ان هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة ومن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا وأويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك أو بلا سبب وكذا على أن يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه لما أراد اشادة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم أجرى الامور على ما أجرى فله الحمد على ما أولى وله الحكم في الآخرة والاولى والحاصل أن اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول البأس فلا جرم أظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حرب أحد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم أظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في أحد كما جرى في بدر أشبه أن يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك أمد الملائكة حين أمد على عادة الامداد بالعساكر والافلاك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ

أطاعني وعرف أمري ۞ القول في تاويل قوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل باحد قال ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم باحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم من قول القائل وهن فلان في هذا الامر فهو يهن وهنا ولا تحزنوا ولا تاسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ فانكم أنتم الاعلون يعني الظاهرون عليهم ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقي نبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يعدكم وفيما ينبئكم من الخير مما يؤول اليه أمركم وأمرهم كما حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح حتى خلص الى كل امرئ منهم البأس فانزل الله عز وجل القرآن فاثنى فيه على المؤمنين باحسن ما أثنى به قوما من المسلمين كانوا قبلهم من الامم الماضية فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين الى قوله لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويحثهم على قتال عدوهم وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين قال يأمر محمدا يقول ولا تهنوا أن تمضوا في سبيل الله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولا تهنوا ولا تضعفوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا يقول ولا تضعفوا حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تهنوا قال ابن جريج ولا تضعفوا في أمر عدوكم ولا تحزنوا وأنتم الاعلون قال انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فقالوا ما فعل فلان ما فعل فلان فنعى بعضهم بعضا وتحدثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وحزن فبينما هم كذلك اذ علا خالد بن الوليد الجبل جعل المشركين فوقهم وهم أسفل في الشعب فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا قوة لنا الا بك وليس يعبدك بهذه البلدة غيرهؤلاء النفر قال وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تهنوا أي لا تضعفوا ولا تحزنوا ولا تاسوا على ما أصابكم وأنتم الاعلون أي لكم تكون العاقبة والظهور ان كنتم مؤمنين ان كنتم صدقتم يعني بما جاءكم به عني حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا فانزل الله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

۞ القول في تاويل قوله (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله كلاهما بفتح القاف بمعنى ان يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله بفتح القاف في

قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات وينقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم انكم ان لم يكفيكم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا قللتهم وضعفهم وكثرة عددهم

الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك أمده به وعن سعد بن أبي وقاص انه قال كنت أرمي السهم يومئذ فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا أيضا في عدد الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الآلاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الآلاف مشروط بالصبر والتقوى ويجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الآية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في موضع آخر فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناها على قصة أحد كان الجميع ثمانية آلاف ومنهم من أدخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد ألفان فصح أن يقال وعدوا بثلاثة آلاف ثم زيد ألفان آخران فوعدوا بخمسة آلاف واجتمع أهل التفسير وأرباب السير انه تعالى أنزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم وأما أبو بكر الاصم فقد أنكر امداد الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك أهل الارض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا حضر هو يوم بدر فأي الحاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره فأي فائدة في ارسال سائر الملائكة وأيضا فان أكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وأيضا قاتلوا فلما أن يكون بحيث يراهم الناس أولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة آلاف وأكثر ولم يقل أحد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في أعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم اطاعني وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم خرق الرؤس وتمزق البطون واسقاط الكفار من غير مشاهدة

والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم فقال تعزية لهم وتقريعا لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسير وافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك في عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فسير وافي الارض تروا مثلات قد مضت فيهم ولئن كان على مثل ما هم عليه مثل ذلك مني وان أمكنت لهم أي لئلا يظنوا أن نعمتي انقطعت عن عدوهم وعدوي للدولة التي أدالتها عليكم بها لابتليكم بذلك لاعلم ما عندكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خلت من قبلكم سنن فسير وافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول متعهم في الدنيا قليلا ثم صيرهم الى النار وأما السنن فانها جمع سنة والسنة هي المثال المتبع والامام المؤتم به يقال منه سن فلان فينا سنة حسنة وسن سنة سيئة اذا عمل عملا اتبع عليه من خير وشر ومنه قول لبيد بن ربيعة

من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها

وقول سليمان بن قتة

وأن الالى بالطف من آل هاشم * تاسوا فسنوا للكرام التأسيا

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد خلت من قبلكم سنة قال أمثال ۞ القول في تاويل قوله عز وجل (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اختلف أهل التاويل في المعنى الذي أشير اليه بهذا فقال بعضهم عنى بقوله هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قال هذا القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا بيان للناس وهو هذا القرآن جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خصوصا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة وقال آخرون انما أشير بقوله هذا الى قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم قال هذا الذي عرفتكم يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بذلك ۞ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال قوله هذا اشارة الى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين وتعريفهم حدوده وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم لان قوله هذا اشارة الى حاضر اما مرئي واما مسموع وهو في هذا الموضع الى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة فمعنى الكلام هذا الذي أوضحت لكم وعرفتكموه بيان للناس يعني بالبيان الشرح والتفسير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هذا بيان للناس أي هذا تفسير للناس ان قبلوه حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبي هذا بيان للناس قال من العمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الشعبي مثله وأما قوله وهدى وموعظة فانه يعني بالهدى الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين وبالموعظة التذكرة للصواب والرشاد كما حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبي وهدى قال من الضلالة وموعظة من الجهل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن بيان عن الشعبي مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق للمتقين أي لمن

تعالى لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه الفشل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة أي الا لتبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا أي طائفة وقطعة من الذين كفروا انما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أو يكبتهم والكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا تكون الا بعد التوقع ونقيضه الظفر وأما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد نصركم أو بقوله وما النصر ويحتمل أن يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتر لي لحما لتخدمني لتعجنني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان أحدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة أحد عن أنس بن مالك قال

حقوبته بمعصيتهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وتلك الايام نداولها بين الناس يوما لكم ويوما عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس نداولها بين الناس قال أدال المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه كان يوم أحد بيوم بدر قتل المؤمنون يوم أحد اتخذ الله منهم شهداء وغلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل له الدولة عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل فجاء أبو سفيان فقال يا محمد يا محمد ألا تخرج اعطرب سجال يوم لنا ويوم لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أجيبوه فقالوا الا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدكم وموعدنا بدر الصغرى قال عكرمة وفيهم أنزلت وتلك الايام نداولها بين الناس حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن عباس في قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتلك الايام نداولها بين الناس أي نصرفها للناس للبلاء والتمحيص حدثني ابراهيم بن عبد الله قال أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الخجبي قال ثنا حماد بن زيد عن ابن عون عن محمد في قول الله وتلك الايام نداولها بين الناس قال يعني الامراء ۞ القول في تأويل قوله (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) يعني بذلك تعالى ذكره وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ولم يكن في الكلام واو لكان قوله ليعلم متصلا بما قبله وكان تلك الايام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا لكن لما دخلت الواو فيه أذنت بان الكلام متصل بما قبلها وأن بعده خبرا معطوفا باللام التي في قوله وليعلم به متعلقة فان قال قائل وكيف قيل وليعلم الله الذين آمنوا معرفة وأنت لا تستجيز في الكلام قد سألت فعلت عبد الله وأنت تريد علمت شخصه الا أن تريد علمت صفته وما هو قيل ان ذلك انما جاز مع الذين لان في الذين تأويل من أي وكذلك جاز منها في الالف واللام كما قال تعالى ذكره وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين لان في الالف واللام من تأويل أي ومن مثل الذي في الذي ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على أي جاز كما يقال سألت لاعلم عبد الله من عمرو وبزيد بذلك لاعرف هذا من هذا فتأويل الكلام وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس فاستغنى بقوله وليعلم الله الذين آمنوا منكم من ذكر قوله من الذين نافقوا لدلالة الكلام عليه اذ كان في قوله الذين آمنوا تأويل أي على ما وصفنا فكأنه قيل وليعلم الله أيكم المؤمن كما قال جل ثناؤه ليعلم أي الحزبين أحصى غير أن الالف واللام والذي ومن اذا وضعت مع العلم مواضع أي نصبت بوقوع العلم عليه كما قيل وليعلمن الكاذبين فلما أي فانما ترفع وأما قوله ويتخذ منكم شهداء فانه يعني وليعلم الله الذين آمنوا وليتخذ منكم شهداء أي ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها والشهداء جمع شهيد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء أي ليكرم منكم بالشهادة من أراد اكرامه أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين ويكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة حدثني

(٩ - (ابن جرير) - رابع) كسر ثنية رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجرح وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج رأسه صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته

لن أي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا أي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلبت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور أو للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة آلاف مشروطا بثلاثة أشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها أو بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل أن يعلق قوله من فورهم هذا بما بعده أي يمددكم بكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا المخالفة الرسول وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم القتال ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها أرسلتها للرعي فالمعنى ان الملائكة أرسلت عقوبته تخيولهم على الكفار لقتلهم وأسرهم أو ان الله تعالى أرسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير

الحرفين لاجماع أهل التأويل على ان معناه القتل والجراح فذلك يدل على ان القراءة هي الفتح وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح لغتان بمعنى واحد والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا ذكر من قال ان القرح الجراح والقتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال جراح وقتل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ان يقتل منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح الجراحة وذاكم يوم أحد فشافى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة فاخبرهم الله عز وجل ان القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم وان الذي أصابكم عقوبة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ذلك يوم أحد فشافى المسلمين الجراح وفشا فيهم القتل فذلك قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله يقول ان كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثهم على القتال حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح هي الجراحات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان يمسسكم قرح أي جراح فقد مس القوم قرح مثله أي جراح مثلها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال نام المسلمون وبهم الكلوم يعني يوم أحد قال عكرمة وفيهم أنزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وأما تأويل قوله ان يمسسكم قرح فانه ان يصبكم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان يمسسكم ان يصبكم

القول في تأويل قوله (وتلك الايام نداولها بين الناس) يعني تعالى ذكره وتلك الايام نداولها بين الناس أيام بدر وأحد ويعني بقوله نداولها بين الناس نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعني بالناس المسلمين والمشركين وذلك ان الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين باحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم يقال منه أدال الله فلانا من فلان فهو يديله منه ادالة اذا طغر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال منه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن وتلك الايام نداولها بين الناس قال جعل الله الايام دولا أدال الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتلك الايام نداولها بين الناس وانه والله لولا الدول ما أوذي المؤمنون ولكن قد يدال للكافر من المؤمن ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فاظهر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد وقد يدال الكافر من المؤمن ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب وأما من ابتلي منهم من المسلمين يوم أحد فكانت

صلى الله عليه وسلم وتأكيد الطهارة وان سلمنا انه كان مشعرا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهى ارشاد الى اختيار الافضل وأيضا ان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهى وانما هو بطلب الاصلح فالذى يظن به انه خلاف مسؤله صلى الله عليه وسلم وقد وقع فهو بالحقيقة سؤله صلى الله عليه وسلم ولهذا سأل الله تعالى أن يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكاة ورحمة والله أعلم وقوله ليس لك من الامر شئ معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شئ فانى أعلم بمصالح عبادى أو المراد الامر الذى هو خلاف النهى أى ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما يكون أمرى وحكمى وقوله أو يتوب منصوب باضمار ان وأن يتوب فى حكم اسم معطوف باو على الامر أى ليس لك من أمرهم شئ أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم ويجوز أن يكون معطوفا على شئ والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل أو قول الا ما كان باذنه وأمره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وأن لا يخوض العبد فى أسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله أو يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شئ كالكلام الاجنبى الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطينى حقى والمعنى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند أهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على أن لا يفعلوا مثل ذلك فى المستقبل وأكدوا هذا الظاهر ببرهان عقلى وهو أن الندم كراهة تحصل فى القلب بما سلف فيه والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر فى فعلها الى ارادة أخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى

تدخلوا الجنة وتنالوا كرامة ربكم وشرف المنازل عنده ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم فى سبيل الله على ما أمره به وقد بينت معنى قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وليعلم الله وما أشبه ذلك بادلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ويعلم الصابرين يعنى الصابرين عند البأس على ما ينالهم فى ذات الله من جرح وألم مكروه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم اختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره حتى أعلم أصدق ذلك منكم الايمان بى والصبر على ما أصابكم بى ونصب ويعلم الصابرين على الصرف والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق وفى أوله ما لا يحسن اعادته مع حرف النسق فينصب الذى بعد حرف العطف على الصرف لانه مصروف عن معنى الاول ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهى فى أول الكلام وذلك كقولهم لا يسعنى شئ ويضيق عنك لان لا التى مع يسعنى لا يحسن اعادتها مع قوله ويضيق عنك فلذلك نصب والقراء فى هذا الحرف على النصب وقد روى عن الحسن أنه كان يقرأ ويعلم الصابرين فيكسر الميم من يعلم لانه كان ينوى جزمها على العطف به على قوله ولما يعلم الله ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) يعنى بقوله جل ثناؤه ولقد كنتم تمنون الموت ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تمنون الموت يعنى أسباب الموت وذلك القتال فقد رأيتموه فقد رأيتم ما كنتم تمنونه والهاء فى قوله رأيتموه عائدة على الموت ومعنى وأنتم تنظرون يعنى قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر أى بقرب منكم وكان بعض أهل العربية يزعم انه قيل وأنتم تنظرون على وجه التوكيد للكلام كما يقال رأيته عيانا ورأيته بعينى وسمعته باذنى وانما قيل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه لان قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا كانوا يتمنون قبل أحد يوما مثل يوم بدر فيبلوا الله من أنفسهم خيرا وينالوا من الاجر مثل ما نال أهل بدر فلما كان يوم أحد فر بعضهم وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك فعاتب الله من فر منهم فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم ذكر الاخبار بما ذكرنا من ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال غاب رجال عن بدر فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه فيصيبوا من الخير والاجر مثل ما أصاب أهل بدر فلما كان يوم أحد ولى من ولى منهم فعاتبهم الله أو فعاقبهم أو فيعتبهم على ذلك شك أبو عاصم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعاتبهم الله على ذلك ولم يشك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والاجر فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان فى ناحية المدينة يوم أحد فقال الله عز وجل كما تسمعون ولقد كنتم تمنون الموت حتى بلغ الشاكرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه قال كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم فلما لقوهم يوم أحد ولوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطاهم الله من الفضل فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد فأنزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية حدثنى

يفعل يمسح الدم عن وجهه و يقول الحديث فنزلت توفى وروايته عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية توفيه أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء فحسن اسلامهم وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وذلك انه لما رآ ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك مروى عن ابن عباس وقيل أراد أن يستغفر للمسلمين الذين عصوا أمره فنزلت وقال الثقفل كل هذه الامور وقعت يوم أحد فلا يمتنع حمل نزول الآية فى الكل القول الثانى واليه ذهب مقاتل انها نزلت فى واقعة أخرى وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث جماعة من خيار الصحابة زهاء سبعين الى بنى عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره وأخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على الكفار فى القنوت أربعين يوما يقول بعد ما يرفع رأسه من الركعة الثانية فى الصبح اللهم العن بنى لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياشا وأبا ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف حتى أنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ ولا يخفى أن ظاهر الآية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بأن فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والاهو قدح فى عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب أن المنع من الفعل لا يدل على أن الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما أطاعهم وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك مع انه ما أشرك قط ولعله عليه السلام شاهد من يدخلوا قتل حمزة وغيره ما أورثه حزنا شديدا وكان من الممكن أن يحمله ذلك على ما لا ينبغى من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته

لمثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج فى قوله وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء قال فان المسلمين كانوا يسألون ربهم ربنا أرنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلئك فيه خيرا ونلتمس فيه الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء فكرم الله أولياءه بالشهادة بأيدى عدوهم ثم تصير حواصل الامور وعواقبها لاهل طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء قال قال ابن عباس كانوا يسألون الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا و يرزقون فيه الشهادة و يرزقون الجنة والحياة والرزق فلقى المسلمون يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فقال ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات الآية وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعنى به الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله لا يحب الظالمين أى المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية ۞ القول فى تأويل قوله (وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) يعنى تعالى ذكره بقوله وليمحص الله الذين آمنوا وليختبر الله الذين صدقوا الله و رسوله فيبتليهم بادالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الايمان من المنافق كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فى قوله وليمحص الله الذين آمنوا قال ليبتلى حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله وليمحص الله الذين آمنوا قال ليمحص المؤمن حتى يصدق حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليمحص الله الذين آمنوا يقول يبتلى المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وليمحص الله الذين آمنوا قال يبتليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين فكان تمحيصا للمؤمنين ومحقا للكافرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليمحص الله الذين آمنوا أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين قال يمحق من محق فى الدنيا وكان بقية من يمحو فى الآخرة فى النار وأما قوله و يمحق الكافرين فانه يعنى به أنه ينقصهم و ينقبهم يقال منه محق فلان هذا الطعام اذا نقصه أو أفناه يمحقه محقا ومنه قيل لمحاق القمر محاق وذلك نقصانه وفناؤه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس و يمحق الكافرين قال ينقصهم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله و يمحق الكافرين قال يمحق الكافر حتى يكذبه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق و يمحق الكافرين أى يبطل من النافقين قولهم بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به منكم ۞ القول فى تأويل قوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين) يعنى بذلك جل ثناؤه أم حسبتم يا معشر أصحاب محمد وظننتم أن

قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ان مات نبيكم أو قتل ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه وزاد فيه قال الربيع وذكر لنا والله أعلم ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اليهم يعني الى المشركين أمر الرماة فقاموا باصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم شد الزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين قدم فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فطفقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون ان خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم فانى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فانثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يلتفت أحد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم في يده ويست يده وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جنب الدرع فجرح جرحا خفيفا فوقع يخور خوران الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة قال أليس قال لاقتلنك لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ولم يلبث الا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجراح وفشا في الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل ان يأتوكم فيقتلوكم قال أنس بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رآه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا به حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ان في أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابه الذين قتلوا فقال الله عز وجل للذين قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن ينقلب على عقبيه قال يرتد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن

الركون الى زخارف الدنيا وثلاثة آلاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا تدركها الحواس كقوله وأنزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا الله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا اليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي تنشئ الكفر بنصر الروح وصفاته أو يكبتهم أو يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمة من يشاء على ما يشاء والله المستعان على ما تصفون (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس

وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) القراء آت سار عوا بغير واو العطف أبو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح * الوقوف مضاعفة ص لعطف

وأما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف أو بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم أو عصيانهم ثم أكد ماذكر من قوله (٦٨) ليس لك من الامر شئ بقوله ولله ما في السموات وما في الارض أي هم أو الحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم عنه فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الاباة والغراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وأيدوا هذا النقل بدليل عقلي يشبه بما مر آنفا وهو ان الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة أطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد أو معصيته تنتهي الى الله وفعل الله لا يوجب على الله شيأ أما المعتزلة فقالوا في ذلك وروا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق أن العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان أريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان أريد غير ذلك منوع والله أعلم التأويل أخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك أن يغدو في طلب الحق والرجوع الى المبدأ من أهله أي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين أي صفات الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص العلاص قبله عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا يعني القلب وأوصافه والروح وأخلاقه ولهما

محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني ان رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن فابتلوا بذلك فلا والله ما كلهم صدق الله فانزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي كان ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدرا فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا اللهم انا نسألك ان ترينا يوما كيوم بدر نبلك فيه خيرا فرأوا أحدا فقال لهم ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي لقد كنتم تمنون الشهادة على الذي أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم يعني الذين حملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجهم الى عدوهم لما فاتهم من الحضور في اليوم الذي كان قبله ببدر ورغبة في الشهادة التي قد فاتتهم به يقول فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال قد حل بينكم وبينهم وأنتم تنظرون اليهم فصددتم عنهم ۞ القول في تأويل قوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين) يعني تعالى ذكره بذلك وما محمد الا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم الى خلقه داعيا الى الله والى طاعته الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله اليه يقول جل ثناؤه فمحمد صلى الله عليه وسلم انما هو فيما الله به صانع من قبضه اليه عند انقضاء مدة أجله كسائر مدد رسله الى خلقه الذين مضوا قبله وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم ثم قال لاصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم باحدان محمدا قتل ومقبحا اليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم أفائن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله أو قتله عدوكم انقلبتم على أعقابكم يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدا بالدعاء اليه ورجعتم عنه كفارا بالله بعد الايمان به وبعدما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد اليه وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه ومن ينقلب على عقبيه يعني بذلك ومن يرتد منكم عن دينه ويرجع كافرا بعد ايمانه فلن يضر الله شيأ يقول فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ولا يدخل بذلك نقص في ملكه بل نفسه يضر بردته وحظ نفسه ينقص بكفره وسيجزي الله الشاكرين يقول وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته اياه لدينه بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان هو مات وقتل واستقامته على منهاجه وتمسكه بدينه وملته بعده كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي في قوله وسيجزي الله الشاكرين الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه فكان علي رضي الله عنه يقول كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر قال ان أبا بكر أمين الشاكرين وتلا هذه الآية وسيجزي الله الشاكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسيجزي الله الشاكرين أي من أطاعه وعمل بأمره وذكر ان هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه باحد من أصحابه ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين ذاكر يوم أحد حين أصابهم القرح والقتل ثم تنازعوا بني الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك فقال أناس لو كان نبيا ما قتل وقال أناس من علية أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به فقال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من

ويؤكده قوله واتقوا النار التي أعدت للكافرين كان أبو حنيفة يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول العساق وهم مسلمون فيها لان أكثر أهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت أعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من أن تركبها البعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة أعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به أصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شئ من الاشياء فهو ليس أهلا للرحمة وغيرهم يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله أطيعوا الله كالشئ الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في أن ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن أبي طالب هو أداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن أبي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة أحد وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربا لانه ورد عقيب النهي عن الربا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد أن المكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين أن نفس السموات لا تكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من

حلفت له ان يدلج الليل لا يزل * امامك بيت من بيوتي سائر

يعني لا يزل يرفع ولكنه جزم لجيئه بعد الجزاء فصار كالجواب ومثله أفائن مت فهم الخالدون وكيف تتقون ان كفرتم ولو كان مكان فهم الخالدون يخلدون وقيل أفائن مت يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم وكذلك لو كان مكان انقلبتم تنقلبوا جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل وتركت اعادة الاستفهام ثانية مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام وان الاستفهام في أوله دال على موضعه ومكانه وقد كان بعض القراء يختار في قوله أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ترك اعادة الاستفهام مع أئنا اكتفاء بالاستفهام في قوله أئذا كنا ترابا ويستشهد على صحة وجه ذلك باجتماع القراء على تركهم اعادة الاستفهام مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في قوله أفائن مات اذا كان دالا على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه وكان يفعل مثل ذلك في جميع القرآن وسيأتي الصواب من القول في ذلك ان شاء الله اذا انتهينا اليه ۞ القول في تأويل قوله (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) يعني تعالى ذكره بذلك وما يموت محمدا ولا غيره من خلق الله الا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه فاذا بلغ ذلك من الاجل الذي كتبه الله له واذن له بالموت فحينئذ يموت فاما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا أي ان لمحمد أجلا هو بالغه اذا أذن الله له في ذلك كان وقد قيل ان معنى ذلك وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقد اختلف أهل العربية في معنى الناصب قوله كتابا مؤجلا فقال بعض نحوي البصرة هو توكيد وتصبه على كتب الله كتابا مؤجلا قال وكذلك كل شئ في القرآن من قوله حقا انما هو أحق ذلك حقا وكذلك وعد الله ورحمة من ربك وصنع الله الذي أتقن كل شئ وكتاب الله عليكم انما هو صنع الله وهكذا صنعا فهكذا تفسير كل شئ في القرآن من نحو هذا فانه كثير وقال بعض نحوي الكوفة في قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله معنى كتب الله آجال النفوس ثم قيل كتابا مؤجلا فاخرج قوله كتابا مؤجلا نصبا من المعنى الذي في الكلام اذ كان قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله قد أدى عن معنى كتب قال وكذلك سائر ما في القرآن من نظائر ذلك فهو على هذا النحو وقال آخرون منهم قول القائل زيد قائم حقا بمعنى أقول زيد قائم حقا لان كل كلام قول فاذا في القول عن القول ثم خرج ما بعد منه كما تقول أقول قولا حقا وكذلك ظنا ويقينا وكذلك وعد الله وما أشبهه والصواب من القول في ذلك عندي ان كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذي قبله لان في كل ما قبل المصادر التي هي مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام معاني ألفاظ المصادر وان خالفتها في اللفظ فنصبها من معاني ما قبلها دون ألفاظه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يرد منكم أيها المؤمنون بعمله جزاء منه بعض أعراض الدنيا دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الدنيا يعني انه يعطيه منها ما قسم له فيها من رزق أيام حياته ثم لا نصيب له في كرامة الله التي أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده في الآخرة ومن يرد ثواب الآخرة يقول ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة يعني ما عند الله من كرامته التي أعدها للعاملين له في الآخرة نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الآخرة والمعنى من كرامة الله التي خص بها أهل طاعته في الآخرة فخرج الكلام على الدنيا والآخرة والمعنى ما فيهما كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة نؤته ما نسم له منها من رزق ولا حظ له في الآخرة

المتقين تفلحون ه ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ص لان ما بعده صفة لجنة أيضا
أي جنة واسعة معدة للمتقين لا لان الذين (٧٠) صفتهم عن الناس ط للمحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره أولئك جزاؤهم فلا
وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم أولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والالحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على الذين بهم الا بتداء بالاستفهام وعلى الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا أحد يغفر الذنوب الا أنت خالدين فيها ط العاملين ه سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتبار المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط بين الناس ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين ه

* التفسير قال القفال يحتمل أن يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهتين أحدهما أن أموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن أن يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء أمر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في أمر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربا في حال كونه أضعافا لما علم انه منهي عنه مطلقا وانما هو نهي عنه مع توبيخ بما كانوا عليه في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد أخرى حتى استغرق بالشيء الطفيف مال المدين واتقوا الله لعلكم تفلحون فيما بينكم اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يقف عليه فلو أكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه أن الربا من الكبائر لا من الصغائر

ابن أبي نجيح عن أبيه وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن أبيه ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت ان محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله واستقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى دينكم الاول فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألقي في أفواه المسلمين يوم أحد ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فنزلت هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس ينهزمون ورجل قائم على الطريق يسألهم ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل كلما مر واعليه يسألهم فيقولون والله ما ندري ما فعل فقال والذي نفسي بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قتل لنعطينهم بايدينا انهم لعشائرنا واخواننا وقالوا ان محمدا ان كان حيا لم يهزم ولكنه قد قتل فترخصوا في الفرار حينئذ فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية كلها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشج فوق حاجبه وكسرت رباعيته قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فذلك قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم قال ما بينكم وبين أن تدعو الاسلام وتنقلبوا على أعقابكم الا ان يموت محمد أو يقتل فسوف يكون أحد هذين فسوف يموت أو يقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين أي لقول الناس قتل محمد وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم أي أفائن مات أو قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وما قد خلف نبيه من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم عني انه ميت ومفارقكم ومن ينقلب على عقبيه أي يرجع عن دينه فلن يضر الله شيئا أي لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فنزلت هذه الآية ومعنى الكلام وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيأ فجعل الاستفهام في حرف الجزاء ومعناه أن يكون في جوابه وكذلك كل استفهام دخل على جزاء فمعناه أن يكون في جوابه لان الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع لجيئه بعد الجزاء كما قال الشاعر

حلفت

في حال الغنى والفقر لا يحالون بان ينفقوا اما قدروا عليه عن بعض السلف انه وبما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير أنكر عليها فقالت احسبوا كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس أو حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم أو ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة أولانه كان أهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم الغيظ تجرعه اذا ملأها وشدها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا يعول ولا يفعل كأنه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من أقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال أيضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل أن يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم أحد لم يؤخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ليس الاحسان أن تحسن

عوف عن حدثنا عن ابن عباس في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتل معه ربيون كثير قال جموع حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الالوف وقال آخرون بما حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال فقهاء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الجموع الكثيرة قال يعقوب وكذلك قرأها اسمعيل قتل معه ربيون كثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير قال قتادة جموع كثير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل قتل معه ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة قتل بينهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حبان والمبارك عن الحسن في قوله وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قال جعفر علماء صبروا قال ابن المبارك اتقياء صبر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله قتل معه ربيون كثير يعني الجموع الكثيرة قتل بينهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قاتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه جماعات حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الربيون الجموع الكثيرة وقال آخرون الربيون الاتباع ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الربيون الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل قال كانت الهزيمة عند صياحه في ثنة صاح أيها الناس ان محمدا رسول الله قد قتل فارجعوا الى عشائركم يؤمنوكم ۞ القول في تأويل قوله (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) يعني بقوله تعالى ذكره فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله ولا نكلوا عن جهادهم وما ضعفوا يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم وما استكانوا يعني وما ذلوا ليخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم ولكن مضوا قدما على بصائرهم

طلقه وأبسطه ونظير خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانهما أطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من أجزاء لا تتجزأ ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد أن تكون الجنة المملوكة لكل أحد مقدارها هكذا وقال أبو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على أن المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة أدنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة تكون أدون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال الفقال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء وأجيب بعد تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروى أن رسول هرقل سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله أعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل أنس بن مالك عن الجنة أفي الارض أم في السماء فقال وأي أرض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت

ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وعده مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه وأما قوله وسنجزي الشاكرين يقول وسأثيب من شكرني ما أوليته من احساني اليه بطاعته اياي وانتهائه الى أمري وتجنبه محارمي في الآخرة مثل الذي وعدت أولياءي من الكرامة على شكرهم اياي قال ابن اسحق في ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسنجزي الشاكرين أي ذلك جزاء الشاكرين يعني بذلك اعطاء الله اياه ما وعده في الآخرة مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا ﴿ القول في تأويل قوله (وكأين من نبي) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وكأين بهمز الالف وتشديد الياء وقرأه آخرون بمد الالف وتخفيف الياء وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فصيب لا تتفاوت معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب ومعناه وكم من نبي ﴿ القول في تأويل قوله (قتل معه ربيون كثير) اختلفت القراء في قراءة قوله قتل معه ربيون كثير فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة قتل بضم القاف وقرأه جماعة أخر بفتح القاف وبالالف وهي قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة فأما من قرأ قاتل فانه اختار ذلك لانه قال لو قتلوا لم يكن لقوله فما وهنوا وجه معروف لانه يستحيل ان يوصفوا بانهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا وأما الذين قرؤا ذلك قتل فانهم قالوا انما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وانما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بضم القاف قتل معه ربيون كثير لان الله عز وجل انما عاتب بهذه الآيات والآيات التي قبلها من قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصيح ان محمدا قد قتل فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال وقال أفائن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من اتباع الانبياء قبلهم وقال لهم هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من اتباع الانبياء قبلكم يفعلونه اذا قتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم والقتال على دينه أعداء دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم يهنوا ولم يضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلهم من أهل العلم والبصائر من اتباع الانبياء اذا قتل نبيهم ولكنهم صبروا لاعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأولين وأما الربيون فانهم مرفوعون بقوله معه لا بقوله قتل وانما تأويل الكلام وكأين من نبي قتل ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وفي الكلام اضمار واو لانها واو تدل على معنى حال قتل النبي صلى الله عليه وسلم غير انه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها وذلك كقول القائل في الكلام قتل الامير معه جيش عظيم بمعنى قتل ومعه جيش عظيم وأما الربيون فان أهل العربية اختلفوا في معناه فقال بعض نحوي البصرة هم الذين يعبدون الرب واحدهم ربي وقال بعض نحوي الكوفة لو كانوا منسوبين الى عبادة الرب لكانوا ربيون بفتح الراء ولكنه العلماء والالوف والربيون عندنا الجماعة الكثيرة واحدهم ربي وهم جماعة واختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم مثل ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله الربيون الالوف حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وابن عيينة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا

يوم عند صلاة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم أجر العاملين فقال عمر يا رسول الله أخاص هذا لهذا أم للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أبنو اسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أذنك أجدع أنفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين انهم أكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف أي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم اذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول أنسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله أي وعيده أو عقابه وانه سائلهم أو نهيه أو جلاله الموجب للخشية والحياء منه أو ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الفضيل ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا الذنوب هم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا أثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا

بقول الله عز وجل هلا فعلتم اذ قيل لكم قتل نبيكم كما فعل هؤلاء الربيون الذين كانوا قبلكم من اتباع الانبياء اذ قتلت أنبياؤهم فصبرتم لعدوكم صبرهم ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتعاولوا الارتداد على أعقابكم كما يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا فينصركم الله عليهم كما نصر وافان الله يحب من صبر لامر. وعلى جهاد عدوه فيعطيه النصر والظفر على عدوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أي فقولوا كما قالوا واعلموا انما ذلك بذنوب منكم واسرافكم فاستغفروا كما استغفروا وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوا كما سألوه أن يثبت أقدامكم وانصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم والقراءة التي هي القراءة في قوله وما كان قولهم النصب لاجماع قراء الامصار على ذلك نقلا مستفيضا وراثة عن الحجة وانما اختير النصب في القول لان الا أن لا تكون الا معرفة فكانت أولى بان تكون في الاسم دون الاسماء التي قد تكون معرفة أحيانا ونكرة أحيانا ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي كان اذا كان بعده ان الخفيفة كقوله وما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فاما اذا كان الذي يلي كان اسما معرفة والذي بعده مثله فسواء الرفع والنصب في الذي ولي كان فان جعلت الذي ولي كان هو الاسم رفعته ونصبت الذي بعده وان جعلت الذي ولي كان هو الخبر نصبته ورفعت الذي بعده وذلك كقوله جل ثناؤه ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى ان جعلت العاقبة الاسم رفعتها وجعلت السوآى هو الخبر منصوبة وان جعلت العاقبة الخبر نصبت فقلت وكان عاقبة الذين أساؤا السوآى وجعلت السوآى هي الاسم فكانت مرفوعة وكما قال الشاعر

لقد علم الاقوام ما كان داؤها * بثهلان الا الخزي ممن يقودها

وروي أيضا ما كان داؤها بثهلان الا الخزي نصبا ورفعا على ما قد بينت ولو فعل مثل ذلك مع أن كان جائزا غير ان أفصح الكلام ما وصفت عند العرب ۞ القول في تأويل قوله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) يعني بذلك تعالى ذكره فاعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم وعلى جهاد عدوهم والاستعانة بالله في أمورهم واقتفائهم مناهج أمامهم على ما بأوا في الله ثواب الدنيا يعني جزاء في الدنيا وذلك النصر على عدوهم وعدو الله والظفر والفتح عليهم والتمكين لهم في البلاد وحسن ثواب الآخرة يعني وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة وذلك الجنة ونعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أي والله لا تاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أي والله لا تاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله فآتاهم الله ثواب الدنيا قال النصر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة قال رضوان الله ورحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآتاهم الله ثواب الدنيا حسن الظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة وما أعد فيها وقوله والله يحب المحسنين يقول تعالى ذكره فعل الله ذلك بهم باحسانهم فانه يحب المحسنين وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره انهم فعلوه حين قتل نبيهم ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا

الى من أحسن اليك ذلك مكافاة لما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك والله يحب المحسنين يجوز أن يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن
ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من أنواع الاحسان ايصال النفع الى الغير
وهو المعنى بالانفاق فى السراء والضراء فى وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما فى الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة أخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما فى الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب قال ابن عباس فى رواية عطاء ان منها لا التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال فى رواية الكلبى ان رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان فى أحوالهما فخرج الثقفى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة فى السفر وخلف الانصارى فى أهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهى ناشرة شعرها فوقعت فى نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلتمها فوضعت كفها على وجهها فاقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحى فادبر راجعا فقال سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح فى الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفى فاخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبى ذنبى قد خنت أخى فقال له يا فلان يقول قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجا وتوبة فأقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذلك

ومنهاج نبيهم صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله واتباعا لتنزيله ووحيه والله يحب الصابرين يقول والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لامره وطاعته وطاعة رسوله فى جهاد عدوه لا من فشل فغر عن عدوه ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول ما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا يقول ما عجزوا وما ضعفوا القتل نبيهم وما استكانوا يقول وما ارتدوا على نصرتهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فما وهنوا فما وهن الربيون لما أصابهم فى سبيل الله من قتل النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما ضعفوا فى سبيل الله لقتل النبى وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما ذلوا حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم ان يعلونا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وما استكانوا قال تخشعوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما استكانوا قال ما استكانوا لعدوهم والله يحب الصابرين ۞ القول فى تاويل قوله (وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) يعنى تعالى ذكره بقوله وما كان قولهم وما كان قول الربيين والهاء والميم من ذكر أسماء الربيين الا ان قالوا يعنى ما كان لهم قول سوى هذا القول اذ قتل نبيهم وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا يقول لم يعتصموا اذ قتل نبيهم الا بالصبر على ما أصابهم ومجاهدة عدوهم وبمسئلة ربهم المغفرة والنصر على عدوهم ومعنى الكلام وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأما الاسراف فانه الافراط فى الشئ يقال منه أسرف فلان فى هذا الامر اذا تجاوز مقداره فافرط ومعناه ههنا اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها وما أسرفنا فيه منها فتخطينا الى العظام وكان معنى الكلام اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله واسرافنا فى أمرنا قال خطايانا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واسرافنا فى أمرنا خطايانا وظلمنا أنفسنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله واسرافنا فى أمرنا يعنى الخطايا الكبار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قال الكبائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واسرافنا فى أمرنا قال خطايانا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واسرافنا فى أمرنا يقول خطايانا وأما قوله وثبت أقدامنا فانه يقول اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم ولا يثبت قدمه فى مكان واحد لحربهم وانصرنا على القوم الكافرين يقول وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك وانما هذا تاديب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم وتاديب لهم

ابن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى قال لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوا فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا وقالوا له ان لقيت محمدا فاخبرهم بما قد جمعنا لهم فاخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فانزل الله عز وجل في ذلك فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وما قذف في قلبه من الرعب فقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ۞ القول في تاويل قوله (ولقد صدقكم الله وعده) يعني بقوله تعالى ذكره ولقد صدقكم الله وعده أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باحد وعده الذي كان وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والوعد الذي كان وعدهم على لسانه باحد قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا وان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر بوعدان انتهوا الى أمره كالذي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين باحد أمر الرماة فقاموا باصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم ان طلحة ابن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي الى الجنة أو يعجلني بسيفه الى النار فقام اليه علي بن أبي طالب فقال والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار أو يعجلني بسيفك الى الجنة فضربه على رجله فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي أصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة الغنيمة قال عبد الله مهلا أما علمتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فابوا فانطلقوا فلما أتوهم صرف الله وجوههم فاصيب من المسلمين سبعون قتيلا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بنحوه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه فان أبا سفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحدا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن في الناس فاجمعوا وأمر على الخيل

من تحتها الانهار خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم أجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء أجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل أن يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا أيضا بالآية على ان أهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب أن لا يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل أحوال القرون الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن وأصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه وكانه أجراه على نهج واحد أو من سننت النصل أحددته أو من سن الابل اذا أحسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها تم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة هذا قول أكثر المفسرين قال بعضهم المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن لما ذكر من يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال أحد القسمين يكفي في معرفة حال القسم

الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ان تطيعوا الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه فتقبلوا رأيهم في ذلك وتتبعوهم فيما تزعمون انهم لكم فيه ناصحون يردوكم على أعقابكم يقول يحملوكم على الردة بعد الايمان والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الاسلام فتنقلبوا خاسرين يقول فترجعوا عن ايمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين يعني هالكين فخسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم وذهبت دنياكم وآخرتكم ينهى بذلك أهل الايمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم ويتبعوهم في أديانهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي عن دينكم فتذهب دنياكم وآخرتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا قال ابن جريج لا تتبعوا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشيء في دينكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين يقول ان تطيعوا أبا سفيان يردوكم كفارا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) يعني بذلك تعالى ذكره ان الله مسددكم أيها المؤمنون فنقذكم من طاعة الذين كفروا وانما قيل بل الله مولاكم لان في قوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم نهيا لهم عن طاعتهم فكأنه قال يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا فيردوكم على أعقابكم ثم ابتدأ الخبر فقال بل الله مولاكم فاطيعوه دون الذين كفروا فهو خير من نصر ولذلك رفع اسم الله ولو كان منصوبا على معنى بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا كان وجها صحيحا يعني بقوله بل الله مولاكم ووليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا وهو خير الناصرين لا من فررتم اليه من اليهود وأهل الكفر بالله فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا واياه فانتصروا دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ويرصدكم بالمكاره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بل الله مولاكم ان كان ما تقولون بالسنتكم صدقا في قلوبكم وهو خير الناصرين أي فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم ۞ القول في تأويل قوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) يعني بذلك جل ثناؤه سيلقي الله أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاربكم باحد الرعب وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله يعني بشركهم بالله وعبادتهم الاصنام وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة وهي اللسان التي أخبر عز وجل انه لم ينزله بكفرهم وشركهم وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم والفلج عليهم ما استقاموا على عهده وتمسكوا بطاعته ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم اليه فقال جل ثناؤه ومأواهم النار يعني ومرجعهم الذي يرجعون اليه يوم القيامة النار وبئس مثوى الظالمين يقول وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اني ملق في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي مالم أجعل لهم به حجة أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور علیكم ما عصيتم وتبعتم أمري للمعصية التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد

الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كل قدر ثوابه وعقابه كما يقتضي اتباع العبد في العقاب فبكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة أرجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل بما قصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صرورة الصرة شدتها وصر الفرس أذنيه ضم بما الى رأسه وأصر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل أصروا وحرف النهي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب وأردت نفي المجيء بالركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم يعلمون بقبحها بالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل أن يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن القبائح

تحزنوا على ما فاتكم منكم وجرح وأنتم الاعلون وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو أنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو أنتم الاعلون بالحجة والعاقبة الجيدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما أن يكون قيدا لقوله وأنتم الاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما أن يكون قيدا لقوله ولا تهنوا أي لا تهنوا ان صح ايمانكم بالله وحقيقة هذا الدين فلا تضعفوا لشقتكم بأن الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبيناهم كذلك اذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فأنزل الله تعالى هذه الآية وتاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وأنتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وأبيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا أن المفتوحة تؤنث اه جمع قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم أولى بأن لا تفتروا ولا تحبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقتل الغرحان في يوم أحد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار يقدر بعشرين رجلا وقتل صاحبوا نهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت

باذنه قال الحسن القتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عز وجل اذ تحسونهم قال القتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تحسونهم باذنه قال تقتلونهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم أي قتلا باذنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اذ تحسونهم يقول اذ تقتلونهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع اذ تحسونهم باذنه والحس القتل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذني أي بالقتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن اذ تحسونهم باذنه يعني القتل حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم وأما قوله باذنه فانه يعني بحكمي وقضائي لكم بذلك وتسليطي اياكم عليهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذني وتسليطي أيديكم عليهم وكفي أيديهم عنكم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) يعني بقوله جل ثناؤه حتى اذا فشلتم حتى اذا جبنتم وخصمتم وتنازعتم في الامر يقول واختلفتم في أمر الله يقول وعصيتم وخالفتم نبيكم فتركتم أمره وما عهد اليكم وانما يعني بذلك الرماة الذين كان أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب باحدى أزاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم وأما قوله من بعد ما أراكم ما تحبون فانه يعني بذلك من بعد الذي أراكم الله أيها المؤمنون بحمده من النصر والظفر بالمشركين وذلك هو الهزيمة التي كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من وراءهم وبنحو الذي قلنا تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل وقد مضى ذكر بعض من قال وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وذاكم يوم أحد عهد اليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بأمر فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فنصر عنهم عدوهم بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسا من الناس يعني يوم أحد فكانوا من ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا هاهنا فردوا وجه من قد أمنا وكونوا حراسا لنا من قبل ظهورنا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض لما رأوا النساء صعدات في الجبل ورأوا الغنائم انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوا الغنيمة قبل أن يسبقوا اليها وقالت طائفة أخرى بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا فذلك قوله منكم من يريد الدنيا الذين أرادوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة الذين قالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا فانوا محمدا صلى الله عليه وسلم فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع حتى اذا فشلتم يقول جبنتم عن عدوكم وتنازعتم في الامر يقول اختلفتم وعصيتم من بعد ما أراكم

الزبير بن العوام ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له مصعب بن عمير وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر وبعث حمزة بين يديه وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه فقال لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وان الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن عبد الله الزبيري أن محمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أحد ذكر أن كلهم قد حدث ببعضها وان حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث فكان فيما ذكر في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا تقاتلوا حتى نؤمر بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمعة من فناء المسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما تضارب وصفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهم سبط ما ئة رجل وتصاف قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلم بشياب بيض والرماة خمسون رجلا وقال انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض واقتتلوا حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة تحتي أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فانزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوازم ما دون احداهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فاتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد ان هزمنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله ولقد صدقكم الله وعده أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولقد صدقكم الله وعده وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا تأخذوا ما أصبتم من غنائمهم شيا حتى تغنموا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به ۞ القول في تأويل قوله (اذ تحسونهم باذنه) يعني تعالى ذكره بذلك ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعدكم من النصر على عدوكم باحدحين تحسونهم يعني حين تقتلونهم يقال منه حسه يحسه حسا اذا قتله كما حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال ثنا يعقوب بن عيسى قال ثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف في قوله اذ تحسونهم

الآخر أولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل أحوال أمثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف أحوالهم الى السير لان لمشاهدة آثار الاقدمين أثرا أقوى من أثر السماع كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار هذا بيان المشار اليه هذا اما أن يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما أن يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثارهلاكهم اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان أحدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية وأقول يشبه أن يكون البيان عاما لجميع المكلفين وبأي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مؤثر كما بين هذه المقدمات ومهد هذا ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كأنه قال اذا تحتم عن أحوال القرون الخالية علم ان صولة الباطل تضمحل وأن العاقبة والغلبة للارباب الحق والوهن الضعف أي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثكم ما أصابكم يوم أحد وهنا وجبنا ولا

باذنه

ولقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على أنه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتأويل الآية ان اطلاق

ومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المبارك عن الحسن منكم من يريد الدنيا هؤلاء الذين يختارون الغنائم ومنكم من يريد الآخرة الذين يبتغونهم يقتلونهم حدثني الحسين ابن عمرو بن محمد العبقري قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي عن عبد خير قال قال عبد الله ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي عن عبد خير قال قال ابن مسعود ما كنت أظن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدا يريد الدنيا حتى قال الله ما قال حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا في الغنائم ما كنت أحسب ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال كان ابن مسعود يقول ما شعرت ان أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق منكم من يريد الدنيا أي الذين أرادوا النهب ورغبة في الدنيا وتركوا ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أي الذين جاهدوا في الله لم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة في ما جاء عند الله من حسن ثوابه في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) يعني بذلك جل ثناؤه ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفي أنفسكم من هزيمتكم وظهوركم عليهم فردوجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولي ومخالفتكم طاعته وايثاركم الدنيا على الآخرة عقوبة لكم على ما فعلتم ليبتليكم ليختبركم فيميز المنافق منكم من المخلص الصادق في ايمانه منكم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد ثم صرفكم عنهم ليبتليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن في قوله ثم صرفكم عنهم قال صرف القوم عنهم فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وسج في وجهه وكان يسلت الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية فقالوا أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر فانزل الله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده الى قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم صرفكم عنهم ليبتليكم أي صرفكم عنهم ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ۞ القول في تأويل قوله (ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) يعني بقوله جل ثناؤه ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتاركون طاعته فيما تقدم اليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه عنكم فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه مما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم اياكم وصرف وجوهكم عنهم اذ لم يستأصل جمعكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن في قوله ولقد عفا عنكم قال قال الحسن وصفق يديه وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وسج في وجهه قال ثم يقول عز وجل قد عفوت عنكم اذ عصيتموني ان لا أكون استأصلتكم قال ثم يقول الحسن هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله غضاب لله يقاتلون أعداء الله ثم واعن شئ فصنعوه فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم فافسق الفاسقين اليوم يفعل كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب عليها ثيابه ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

مجاز مشهور يقال هذا علم فلان أو قدرته والمراد معلومه أو مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم أولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد أو المراد ليكرمنا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر ابن شميل لانهم أحياء حضروا دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين أي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وقيسان دولة

عاشتهيلهم بالنيل وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكون في المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام مرفوعا وصفته

مبتدأ أخبره نداولها وتلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد فان الضمير لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها أهل التجارب من أبناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدي أي تناقلته والدنيا دول أي تنتقل لما تقدم تفسيره من قوم الى آخرين لا ندوم مساوءها ومغارمها فيوم يحصل فيه السرور وله فيوم يغم لغيره ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثرين آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة وأخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا ينال الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكافرين وأخرى على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة أن تكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه والى هذا يشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب اوهم كل مذهب ويقرر الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها صالح جمة وعرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم

ما تحبون وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا أعرفن ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به فانصرف عليهم عدوهم من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا فشلتم قال ابن جريج قال ابن عباس الفشل الجبن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من الفتح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق حتى اذا فشلتم أي تجادلتم وتنازعتم في الامر أي اختلفتم في أمري وعصيتم أي تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم وما عهد اليكم يعني الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أي الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المبارك عن الحسن من بعد ما أراكم ما تحبون يعني من الفتح وقيل معنى قوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون انه من المقدم الذي معناه التأخير وان الواو دخلت في ذلك ومعناها السقوط كما قلنا فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه وهذا معقول لي حتى اذا وفي فلما ان دفني ومنه قول الله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج ثم قال واقترب الوعد الحق ومعناه اقترب وكما قال الشاعر

حتى اذا املأت بطونكم * ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر المجن لنا * ان اللئيم العاجز الخب

القول في تاويل قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) يعني جل ثناؤه بقوله منكم من يريد الدنيا الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من أحد لخيل المشركين ولحقوا يعسكر المسلمين طلب النهب اذ رأوا هزيمة المشركين ومنكم من يريد الآخرة يعني بذلك الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره ابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا والذين بقوا وقالوا لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا الآخرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال كونوا مسلحة للناس بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها وأن مرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم فلما لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين هزمهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المسلحة ان الله عز وجل هزم المشركين انطلق بعضهم وهم يتنادون الغنيمة الغنيمة لا تفتكم وثبت بعضهم مكانهم وقالوا لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان ابن مسعود يقول ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لما هزم الله المشركين يوم أحد قال الرماة أدركوا الناس ونبي الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم الى الغنائم فتكون لهم دونكم وقال بعضهم لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قال ابن جريج قال ابن مسعود ما كنا نرى ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ

على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية تأويل من قال اصعدوا في الوادي ومضوا فيه دون قول من قال صعدوا على الجبل وأما قوله ولا تلوون على أحد فانه يعني ولا تعطفون على أحد منكم ولا يلتفت بعضكم الى بعض هربا من عدوكم مصعدين في الوادي يعني بقوله والرسول يدعوكم في أخراكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه في أخراكم يعني انه يناديكم من خلفكم الى عباد الله الى عباد الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس والرسول يدعوكم في أخراكم الى عباد الله ارجعوا الى عباد الله ارجعوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والرسول يدعوكم في أخراكم رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أنبأهم الله بالغرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والرسول يدعوكم في أخراكم هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه ۞ القول في تأويل قوله (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) يعني بقوله جل ثناؤه فأثابكم غما بغم يعني جازاكم بغراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غما بغم يقول غما على غم وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثوابا اذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم فدل بذلك جل ثناؤه ان كل عوض كان لمعوض من شئ من العمل خيرا كان أو شرا أو العوض الذي بذله رجل لرجل أو يسلفه اليه فانه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة وتظير ذلك قول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * دراهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء العقوبة وذلك كقول القائل لآخر سلف اليه منه مكروه لاجازينك على ذلك ولاثيبنك ثوابك وأما قوله غما بغم فانه قيل غما بغم معناه غما على غم كما قيل ولاصلبنكم في جذوع النخل بمعنى ولاصلبنكم على جذوع النخل وانما جاز ذلك لان معنى قول القائل أثابك الله غما على غم جزاك الله غما بعد غم يقدمه فكان كذلك معنى فأثابكم غما بغم لان معناه فجزاكم الله غما بعقب غم يقدمه وهو نظير قول القائل نزلت ببني فلان ونزلت على بني فلان وضربته بالسيف وعلى السيف واختلف أهل التأويل في الغم الذي أثيب القوم على الغم وما كان غمهم الاول والثاني فقال بعضهم أما الغم الاول فكان ما تحدث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قتل وأما الغم الآخر فانه كان ما نالهم من القتل والجراح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأثابكم غما بغم كانوا تحدثوا يومئذ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أصيب وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي أصابتهم قال وذكر لنا انه قتل يومئذ سبعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون رجلا من الانصار وأربعة من المهاجرين وقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم يقول ما فاتكم من غنيمة القوم ولا ما أصابكم في أنفسكم من القتل والجراحات حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فأثابكم غما بغم قال فرة بعد فرة الاولى حين سمعوا الصوت أن محمدا قد قتل والثانية حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ثم انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه وقال آخرون بل غمهم الاول كان

سماء فلو بكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لاتهموا أيها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية وأنتم الاعلون من أهل الدنيا والآخرة لانكم من أهل الله ان يمسسكم في أثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح محن مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة ويتخذ منكم شهداء أرباب المشاهدات والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل ألم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وبوجه آخر البلاء لاهل الولاء تمحيص للقلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات أخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله

كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت

عن ابن جريج قوله ولقد عفا عنكم قال لم يستأصلكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكن عدت بفضلي عليكم وأما قوله والله ذو فضل على المؤمنين فانه يعني والله ذو طول على أهل الايمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير مما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم فان عاقبهم على بعض ذلك فذو احسان اليهم بجميل أياديه عندهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين يقول وكذلك من الله على المؤمنين ان عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ۞ القول في تاويل قوله (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون اذ لم يستأصلكم اهلا كا منه جميعكم بذنوبكم وهربكم اذ تصعدون ولا تلوون على أحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين وبه القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء على القراءة به واستنكارهم ما خالفه وروي عن الحسن البصري انه كان يقرؤه اذ تصعدون بفتح التاء والعين حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس بن عبيد عن الحسن فاما الذين قرؤا تصعدون بضم التاء وكسر العين فانهم وجهوا معنى ذلك الى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم أخذوا في الوادي هاربين وذكروا أن ذلك في قراءة أبي اذ تصعدون في الوادي حدثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو عبيد قال ثنا حجاج عن هرون قالوا الهرب في مستوى الارض وبطون الاودية والشعاب اصعاد لا صعود قالوا انما يكون الصعود على الجبال والسلاليم والدرج لان معنى الصعود الارتقاء والارتفاع على الشئ علوا قالوا فاما الاخذ في مستوى الارض والهبوط فانما هو اصعاد كما يقال أصعدنا من مكة اذا ابتدأت في السفر منها والخروج وأصعدنا من الكوفة الى خراسان بمعنى خرجنا منها سفرا اليها وابتدأنا منها الخروج اليها قالوا وانما جاء تاويل أكثر أهل التأويل بان القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تلوون على أحد ذكر لنا أن القوم أحد أصعدوا في الوادي ونبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أخراهم قال الى عباد الله وأما الحسن فاني أراه ذهب في قراءته اذ تصعدون بفتح التاء والعين الى أن القوم حين هزموا عن المشركين صعدوا الجبل وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال لما شد المشركون على المسلمين باحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فذكر الله صعودهم على الجبل ثم ذكر دعاء نبي الله صلى الله عليه وسلم اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد قال صعدوا في أحد فرارا * قال أبو جعفر وقد ذكرنا ان أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين بمعنى السبق والهرب في مستوى الارض أو في المهابط لاجماع الحجة على ان ذلك هو القراءة الصحيحة فني اجماعها

بني سلمة قال عرفت عينيه تبرق تحت المغفر فناديت يا علي صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي رسول الله أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض نحو الشعب معه علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام والحرث بن الصمة في رهط من المسلمين قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغي لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدن فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض فلم يستطع جلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال ان الحرب سجال يوم ببوم بدر أعل هبل أي ظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قم فاجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فلما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم الي يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن فقال أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأشار لقول ابن قمئة لهم اني قتلت محمدا ثم نادى أبو سفيان فقال انه قد كان في قتلاكم مثلي والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق فاما بكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أي كر بعد كرب قتل من قتل من اخوانكم وعلوه عدوكم عليكم وما وقع في أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد ان رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت بذلك الكرب عنكم والله خبير بما تعملون وكان الذي فرج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم ان الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم فهان الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم في اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فاثابكم غما بغم قال ابن جريج قال مجاهد أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم في أصحابهم الذين قتلوا فلما تولوا في الشعب يتصافون وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب فظن المؤمنون انهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضا فاصابهم حزن في ذلك أيضا أنساهم حزنهم في أصحابهم فذلك قوله فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم قال ابن جريج قوله على ما فاتكم يقول على ما فاتكم من غنائم القوم ولا ما أصابكم في أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن عبيد بن عمير قال جاء أبو سفيان ابن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ثم نادى أفي القوم ابن أبي كبشة فسكتوا فقال أبو سفيان قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أبو سفيان أعل هبل يوم ببوم بدر وحنظلة بحنظلة وأنتم وجدون في القوم مثلا لم تكن عن رأي سراتنا وخيارنا ولم نكرههن بين رأيناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم فناده فقل الله أعلى وأجل نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا ذا لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي

كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كأنه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من أقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكاره ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير أظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين وجه آخر وهو أن يكون مجزوما أيضا لكن الميم لما حركت الساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروي عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة وأراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن أن يتمنى الكفر أو يريد أو يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر

بباله جرعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من أراد شيئا أراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا يجب انه تعالى أراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صبرورتهم شهداء ولان يصيروا شهداء

قتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم والغم الثانى كان من سماعهم صوت القائل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الثانى حين سمعوا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فاثابكم غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول الله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقال آخرون بل الغم الاول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة والثانى اشراف أبى سفيان عليهم فى الشعب وذلك ان أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب وهرب المسلمون جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب أحد الذى كانوا ولوا اليه عند الهزيمة فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يهوى الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه فاراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله حين رأى ان فى أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فاقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ أعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم بيوم بدر وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب وكان جنبا فغسلته الملائكة وكان حنظلة ابن أبى سفيان قتل يوم بدر فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان فيكم محمد قالوا نعم قال اما انها قد كانت فيكم مثلة ما أمرت بها ولا نهيت عنها ولا سرتنى ولا ساءتنى فذكر الله اشراف أبى سفيان عليهم فقال فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الغم الاول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغم الثانى اشراف العدو عليهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون فشل أبى سفيان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أحد قالوا كان المسلمون فى ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء أثلاثا ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقد بلغته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع وحتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوه حتى قتل وكان الذى أصابه ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك أبصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى أن كعب بن مالك أبصر

أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين (قرأ أبو جعفر وحمزة بغير همزة يعنى بالتليين ونحوه رأوك ورأوه روى هبة الله ابن جعفر عن الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يردثواب وبابه مدغما أبو عمر ووشبان ابن عامر وسهل وحمزة وعلى وخلف نؤته مثل يؤده وكابن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همز وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى بغير نون فى الوقف وكاى الباقون وكاين فى الحالين قتل أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل * الوقوف الصابرين ه تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستئنافا الرسل ط أعقابكم ط لتناهى الاستفهام شيئا ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف منها ط الشاكرين ه قتل ط ليكون قتل النبى صلى الله عليه وسلم الزاما للعصبة على من اعتذر فى الانهزام بما سمع من نداء ابليس ألا ان محمدا قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله ان لا يقف كثير ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب ما استكانوا ط الصابرين ه الكافرين ه الآخرة ط المحسنين ه خاسرين ه مولاكم ج الناصرين ه * التفسير لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلى فى ذلك فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفى العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفى

المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة أحدهما مقام الآخر

كان السبب الذى من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما فامنت احداهما بنفسها حتى نعست وأهمت الاخرى لنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل كان سبب ذلك فيما ذكر لنا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذى كان من أمرهم وأمر المسلمين فواعدوا النبى صلى الله عليه وسلم بدرا من قابل فقال لهم نعم فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال انظر فاذا رأيتهم قد علوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم فان القوم ذاهبون وان رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا على أثقالهم فان القوم ينزلون المدينة فاتقوا الله واصبروا ووطنهم على القتال فلما أبصرهم الرسول قعدوا على الاثقال سراعا فجعل ينادى باعلى صوته فدهاهم فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبى الله صلى الله عليه وسلم فناموا وبقى أناس من المنافقين يظنون ان القوم يأتونهم فعند ذلك وعز يذكر حين أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان كفوا وركبوا الاثقال فانهم منطلقون فناموا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة تعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم وانما ينعس من يأمن يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس بن مالك عن أبى طلحة قال كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة حتى سقط من يدى مرارا قال أبو جعفر يعنى سوطه أو سيفه حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبى طلحة قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا تحت حجفته يعنى من النعاس حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس عن أبى طلحة قال كنت فيمن صب عليه النعاس يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك عن أبى طلحة أنه كان ومئذ ممن غشيه النعاس قال كان السيف يسقط من يدى ثم آخذه من النعاس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا والله أعلم عن أنس ان أبا طلحة حدثهم أنه كان ومئذ ممن غشيه النعاس قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه ويسقط والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية الآية كلها حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ثنا ضرار بن صرد قال ثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عبد العزيز عن الزهرى عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه قال سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال ألقى علينا يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وذاكر يوم أحد كانوا ومئذ فريقين فاما المؤمنون فغشاهم النعاس أمنة منه ورحمة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس نحوه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمنة نعاسا قال ألقى عليهم النعاس فكان ذلك أمنة لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين قال قال عبد الله النعاس فى القتال أمنة والنعاس فى الصلاة من الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى

وكان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا أنتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين أظهرهم أبدا أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الغاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التى قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه فى الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين أحدهما ان الحاجة الى الرسول هى التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فيلزم من قتله أو موته الادبار عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم ترجع أمته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم أنه متقدم فى النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا فى العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة بأى طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن أن يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزأيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهى تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى أو هو الترديد

وانتكاسك أى سواء فرض وقوع الموت أو القتل فلا تأثير له فى صنعك الدين ووجوب الادبار أو الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذى تأتى به من الافعال لا يضر السماء والارض بريد انه يعود ضرره عليه

الا اذا قتلهم الكفار فلا بد أن يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والمعصية
من قبل أن تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال الزجاج أي وأنتم

قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم
فرجعوا فقتلوا واالله لنأتينهم ثم لنقتلنهم قد خرجوا منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا فانما
أصابكم الذي أصابكم من أجل انكم عصيتموني فبيتماهم كذلك اذ أتاهم القوم قد أنسوا وقد
اختلطوا سيوفهم فكان ثم الهزيمة وثمهم حين آتوهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من القتل ولا
ما أصابكم من الجراحة فانا بكم غما بغم لكيلا تحزنوا الآية وهو يوم أحد * وأولى هذه الاقوال بتأويل
الآية قول من قال معنى قوله فانا بكم غما بغم أيها المؤمنون بحرمان الله اياكم غنيمة المشركين والظفر
بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون
بمعصيتكم ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل
وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم والذي يدل على ان ذلك أولى بتأويل الآية ممن خالفه قوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فالغائت لاشك انه هو ما كانوا رجوا الوصول اليه من غيرهم اما من
ظهور عليهم بغلبهم واما من غنيمة يحتازونها وان قوله ولا ما أصابكم هو ما أصابهم اما في أبدانهم واما في
اخوانهم فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الغم الثاني هو معنى غير هذين لان الله عز وجل أخبر عباده
المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أثابهم غما بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الثاني
عما فاتهم من غيرهم ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم وهو الغم الاول على ما قد بيناه قبل وأما قوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فان تأويله على ما قد بينت من انه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم
تدركوه مما كنتم ترجون ادراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور وحيازة غنائمهم ولا ما أصابكم في
أنفسكم من جرح من جرح وقتل من قتل من اخوانكم وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل
على السبيل التي اختلفوا فيه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم قال على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون ولا تحزنوا على
ما أصابكم من الهزيمة وأما قوله واالله خبير بما تعملون فانه يعني جل ثناؤه واالله بالذي تعملون أيها
المؤمنون من اصعادكم في الوادي هربا من عدوكم وانهزامكم منهم وتركهم نبيكم وهو يدعوكم في
أخراكم وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم وما أصابكم في أنفسكم ذو خبرة وعلم وهو محص ذلك كله
عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته أو يعفو عنه ۞ القول في تأويل
قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم
ربكم بعد غم تقدمه قبله أمنة وهي الامان على أهل الاخلاص منكم واليقين دون أهل النفاق والشك
ثم بين جل ثناؤه عن الامنة التي أنزلها عليهم ما هي فقال نعاسا بنصب النعاس على الابدال من الامنة ثم
اختلفت القراء في قراءة قوله يغشى فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين
بالتذكير بالياء يغشى وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث تغشى بالتاء وذهب الذين قرؤا ذلك
بالتذكير الى أن النعاس هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الامنة فذكره بتذكير النعاس
وذهب الذين قرؤا ذلك بالتأنيث الى أن الامنة هي التي تغشاهم فانثوه لتأنيث الامنة والصواب من
القول في ذلك عندي انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الامصار غير مختلفتين في معنى ولا
غير لان الامنة في هذا الموضع هي النعاس والنعاس هو الامنة وسواء ذلك وبأيتهما قرأ القارئ فهو
مصيب الحق في قراءته وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
كالمهل تغلي في البطون وألم يك نطفة من مني يمنى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط فان قال قائل وما

قال الذين قالوا منهم ان محمدا قد قتل قبل وكان الصارخ الشيطان فغشي الناس خبر قتله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلما هم على هربهم فقالوا يا رسول

الإذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث شئ الا بمشيئة الله وارادته فلو ورد الكلام على سبيل التمثيل كأنه فعل لا ينبغي لاحد أن يقدم عليه الا ان يأذن الله فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام الفاعل وقال أبو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحياة أحد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس أن تموت بالقتل الا بأن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين أحد ليقتله صلى الله عليه وسلم ولكنه جعل من بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن خلفه وصد اليتم لي يديه بلاغ ما أرسله به فلا تهنوا في غزوانتم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم أي ان تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الآية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغير الآجال ممتنع ولذا أكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه أي كتب الموت كتابا مؤجلا مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى وأما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما كتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من أن يكون مذموما أو ممدوحا

يعني بذلك ان هؤلاء المنافقين يقولون لو كان الخروج الى حرب من خرجنا لحربه من المشركين الينا ما خرجنا اليهم ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه يا حد وذكر ان ممن قال هذا القول معتب بن بشير أحد بني عمرو بن عوف ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير عن الزبير قال والله اني لاسمع قول معتب بن بشير أخي بني عمرو بن عوف والنعاس يغشاني ما أسمعه الا كالحلم حين قال لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي عن ابن اسحق قال ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير عن أبيه بمثله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قل ان الامر كله بنصب الكل على وجه النعت للامر والصفة وقرأه بعض قراء أهل البصرة قل ان الامر كله لله برفع الكل على توجيه الكل الى أنه اسم وقوله لله خبره كقول القائل ان الامر بعضه لعبد الله وقد يجوز أن يكون الكل في قراءة من قرأه بالنصب منصوبا على البدل والقراءة التي هي القراءة عندنا النصب في الكل لاجماع أكثر القراء عليه من غير أن تكون القراءة الاخرى خطأ في معنى أو عربية ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء لكانت سواء عندي القراءة بأي ذلك قرئ لاتفاق معاني ذلك بأي وجهيه قرئ

القول في تأويل قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين فتظهر المؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم وتكتمونه من شرككم في دينكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يقول لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم ويخرج من بيته ليمضي يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه وأما قوله وليبتلي الله ما في صدوركم فانه يعني به وليبتلي الله ما في صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم الى مضاجعكم و يعني بقوله وليبتلي الله ما في صدوركم ليختبر الله الذي في صدوركم من الشك فيميز كم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من المؤمنين وقد دللنا فيما مضى على أن معاني نظائر قوله ليبتلي الله وليعلم الله وما أشبه ذلك وان كان في ظاهر الكلام مضافا الى الله الوصف به فراد به أولياؤه وأهل طاعته وان معنى ذلك وليختبر أولياء الله وأهل طاعته الذي في صدوركم من الشك والمرض فيعرفوكم من أهل الاخلاص واليقين وليمحص ما في قلوبكم يقول وليميز ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من العداوة والولاية والله عليم بذات الصدور يقول والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر وايمان وكفر لا يخفى عليه شئ من أمورهم سرائرها وعلانيتها وهو لجميع ذلك حافظ حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله تلاومهم يعني تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم في بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذي أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم لاخرج الذين كتب عليهم القتل الى مواطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلي به ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور رأى لا يخفى عليه شئ مما في صدورهم مما استخفوا به منكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن بحر السقاء عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال سئل عن قوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قال كتب الله على المؤمنين ان يقاتلوا في سبيله وليس كل

والحق ان هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان يأتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فأي معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم أحد من يريد

أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا ما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه ومووتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم فتى أمثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس أن تموت بوجه العلم ان المنافقين أرجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في وقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض للمؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان أحدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحام المعارك أو الفرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من أسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولم يقدر في ذلك الوقت أجله صلى الله عليه وسلم يقدر ذلك وفيه تقريع لاصحابه صلى الله عليه وسلم انهم قد قصروا في الذب عنه صلى الله عليه وسلم وجواب عما قاله المنافقون لاصحابه لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت

قوله أمنة نعاسا قال ألقى الله عليهم النعاس فكان أمنة لهم وذكر ان أبا طلحة قال ألقي على النعاس يومئذ فكنت نعس حتى يسقط سيفي من يدي حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك عن أبي طلحة وهشام بن عروة عن عروة بن الزبير انهما قالا لقد رفعنا رؤسنا يوم أحد فجعلنا ننظر فما منهم من أحد الا وهو يميل بجنب حجفته قال وتلا هذه الآية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ۞ القول في تاويل قوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم يقول هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكا في أمر الله وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحسبة منهم ان الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به يقولون هل لنا من الامر من شئ كالذي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم الا هم أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة انما هم أهل شك وريبة في أمر الله يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم الى مضاجعهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وطائفة قد أهمتهم أنفسهم قال أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل وذلك انهم لا يرجون عاقبة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون وأما قوله ظن الجاهلية فانه يعني أهل الشرك كالذي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك وفي رفع قوله وطائفة وجهان أحدهما ان تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله قد أهمتهم والآخر بقوله يظنون بالله غير الحق ولو كانت منصوبة كان جائزا ولو كانت الواو في قوله وطائفة ظرفا للفعل بمعنى وأهمت طائفة أنفسهم كما قال والسماء بنيناها بايد ۞ القول في تاويل قوله (يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا) يعني بذلك الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم يقولون ليس لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله ولو كان لنا من الامر شئ ما خرجنا للقتال من ما قاتلنا فقتلونا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب ثم عاد الى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين فقال يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقول يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبدون لك ثم أطهر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد فقال مخبرا عن قيلهم الكفر واعلانهم النفاق يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في توليهم يوم أحد ولقد عفا الله عنهم فلا ندري ذلك العفو عن تلك العصابة أم عفو عن المسلمين كلهم وقد بينا تاويل قوله ان الله غفور حليم فيما مضى

القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاء به محمد من عند الله لا تكونوا كمن كفر بالله ورسوله فجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال لاخوانه من أهل الكفر اذا ضربوا في الارض فخرجوا من بلادهم سفرا في تجارة أو كانوا غزا يقول أو كان خروجهم من بلادهم غزاة فهلكوا فماتوا في سفرهم أو قتلوا في غزوهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار انهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا قاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم يعني أنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما ويجهلون ان ذلك الى الله جل ثناؤه وبيده وقد قيل ان الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية قال هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا قول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون في ذلك هم جميع المنافقين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا وأما قوله اذا ضربوا في الارض فانه اختلف في تاويله فقال بعضهم هو السفر في التجارة والسير في الارض لطلب المعيشة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اذا ضربوا في الارض وهي التجارة وقال آخرون بل هو السير في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذا ضربوا في الارض الضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله وأصل الضرب في الارض الابعاد فيها سيرا وأما قوله أو كانوا غزا فانه يعني أو كانوا غزاة في سبيل الله والغزى جمع غاز جمع على فعلى كما يجمع شاهد شهدا وقائلا قولا وقد ينشد بيت رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقولهم الاده فلاده ٧

وانما قيل لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا فاصحب ماضي الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه الا المستقبل فقيل وقالوا لاخوانهم ثم قيل اذا ضربوا وانما يقال في الكلام أكرمتك اذ زرتني ولا يقال أكرمتك اذا زرتني لان القول الذي في قوله وقالوا لاخوانهم وان كان في لفظ الماضي فانه بمعنى المستقبل وذلك ان

٧ في القاموس وقولهم الاده فلاده أي ان لم يكن هذا الامر الآن فلا يكون بعد الآن أي ان لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبدا اه واعكن لينظر ما وجه الشاهد فيما ساقه لرؤبة فانه ليس فيه جمع فاعل على فعلى اه مصححه

يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف أو الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة أصله من الربوة الجماعة حذف الهاء في النسبة ويقال تربوا أي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضر في زهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعده ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي أن يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لنقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فاصابهم من عدوهم قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال وربما تؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان تنزل القراءة الاولى على هذه الآية أيضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو أي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما أصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي

الدنيا ومن يريد الآخرة كما أخبر الله تعالى في هذه السورة بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها أي من ثوابها أعرض بالغريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الآية مدح الغريق الآخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الغريقين لكن ثواب الغريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فأبهم الجزاء وأضاف الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه وتقصر عنه العبارة وانما كان يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في جانب الثواب والعقاب القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس أمامه فان قصد بذلك السجود عبادة لله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكأين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه وأي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند السامع الا ان في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف أي فانه للعدد المبهم وتميزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من في تمييز كاين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا وكاين في الاصل عن الكاف لامن ذا وأي كما في مثل رجلا لانك تبين في كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من أي جنس هو ولم تبين العدد المبهم في الاصل وكان كاين معربا لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وربما

من يقاتل يقتل ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم وقوله تولوا انفعلوا من قولهم ولى فلان ظهره وقوله يوم التقى الجمعان يعني يوم التقى جمع المشركين والمسلمين باحد انما استزلهم الشيطان أي انما دعاهم الى الزلة الشيطان وقوله استزل استفعل من الزلة والزلة هي الخطيئة ببعض ما كسبوا يعني ببعض ما عملوا من الذنوب ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه ان الله غفور يعني به مغط على ذنوب من آمن به واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته اياهم عليها حليم يعني انه ذو اناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها كل من ولى الدبر عن المشركين باحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران وكان يعجبه اذا خطب أن يقرأها فلما انتهى الى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال لما كان يوم أحد هزمنا هم فغرت حتى صعدت الجبل فقد رأيتني أنزو وكأني أروى والناس يقولون قتل محمد فقلت لا أجد أحدا يقول قتل محمد الا قتلته حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وذلك يوم أحد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فانزل الله عز وجل ما تسمعون انه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية فذكر نحو قول قتادة وقال آخرون بل عنى بذلك خاص ممن ولى الدبر يومئذ قالوا وانما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وقال آخرون بل نزل ذلك في رجال باعيانهم معروفين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال نزلت في رافع بن المعلى وغيره من أنصار أبي حذيفة بن عتبة ورجل آخر قال ابن جريج وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اذلم يعاقبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فر عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلي الاعوص فاقاموا به ثلاثا ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الآية والذين استزلهم الشيطان عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الانصاريان ثم الزرقيان وأما قوله ولقد عفا الله عنهم فان معناه ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد عفا الله عنهم اذلم يعاقبهم حدثني

يونس

عن ابن اسحق ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أي ان الموت كائن لا بد منه فموت في سبيل الله أو قتل خير لو علموا فايقنوا مما يجمعون في الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد تخوفا من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة في الآخرة وانما قال الله عز وجل لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وابتدأ الكلام ولئن متم أو قتلتم بحذف جزاء لئن لان في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون معنى جواز الجزاء وذلك انه وعد خرج مخرج الخبر فتأويل الكلام ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ليغفرن الله لكم وليرحمنكم فدل على ذلك بقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة انه ان قيل كيف يكون لمغفرة من الله ورحمة جوابا لقوله ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم فان القول فيه أن يقال فيه كأنه قال ولئن متم أو قتلتم فذكر لهم رحمتين الله ومغفرة اذ كان ذلك في السبيل فقال لمغفرة من الله ورحمة يقول لذلك خير مما تجمعون يعني ذلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون ودخلت اللام في قوله لمغفرة من الله لدخولها في قوله ولئن كما قيل ولئن نصر وهم ليولن الادبار ۞ القول في تأويل قوله (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعني بذلك جل ثناؤه ولئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون فان الى الله مرجعكم ومحشركم فيجازيكم باعمالكم فاتركوا ما يقربكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة من الجهاد في سبيل الله والعمل بطاعته عن الركون الى الدنيا وما تجمعون فيها من حطامها الذي هو غير باق لكم بل هو زائل عنكم وعلى ترك طاعة الله والجهاد فان ذلك يبعدكم عن ربكم ويوجب لكم سخطه ويقربكم من النار ونحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن متم أو قتلتم أي ذلك كان لا الى الله تحشرون أي ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا ولا تغترن بها ولكن الجهاد مما رغبكم الله فيه منه آثر عندكم منها وأدخلت اللام في قوله لالى الله تحشرون لدخولها في قوله ولئن ولو كانت اللام مؤخرة الى قوله تحشرون لاحدثت النون الثقيلة فيه كما تقول في الكلام لئن أحسنت الي لاحسنن اليك بنون مثقلة فكان كذلك قوله ولئن متم أو قتلتم لتحشرن الى الله ولكن لما حيز بين اللام وبين تحشرون بالصفة أدخلت في الصفة وسلمت تحشرون فلم يدخلها النون الثقيلة كما تقول في الكلام لئن أحسنت الي لاليك أحسن بغير نون مثقلة ۞ القول في تأويل قوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) يعني جل ثناؤه بقوله فبما رحمة من الله فبرحمة من الله وما صلة وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها والعرب تجعل ما صلة في المعرفة والنكرة كما قال فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم وهذا في المعرفة وقال في النكرة عما قليل ليصبحن نادمين والمعنى عن قليل وربما جعلت اسما وهي في مذهب صلة فرفع ما بعدها أحيانا على وجه الصلة ويخفض على اتباع الصلة ما قبلها كما قال الشاعر

فكفى بنا فضلا على من غيرنا * حب النبي محمدا ايانا

اذا جعلت خبر صلة رفعت باضمار هو وان خفضت اتبعت من فاعربته فذلك حكمة على ما وصفنا مع النكرات فاما اذا كانت الصلة معرفة كان الفصيح من الكلام الاتباع كما قيل فبما نقضهم ميثاقهم والرفع جائز في العربية وبنحو ما قلنا في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يقول فبرحمة من الله لنت لهم وأما قوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فانه

باحصول كنفس الحصول أو المراد انه سيؤتيهم مثل أتى أمر الله أي سيأتي قال القاضي ولا يمتنع أن تكون الآية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما ماتوا أحياء وثواب الآخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل أن يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل وههنا نكتة وهي انه أدخل من التبعيضية في الآية المتقدمة في قوله ثوابه منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الآية لان أولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا أنفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم أثابهم عليها ثم مدحهم لي ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو أبو سفيان وأصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن علي عليه السلام هم المنافقون عبد الله بن أبي وأشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان

في طلب الامان من أبي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلقا الخلال لقوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كأنه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح أي ببعد يراد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والقياسي كان صاحبه تغيير من كون الى كون أي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم أخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان تقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعلى عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى أنفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستغفارها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصر وظهر أمارات استيلاء الاعداء دل ذلك على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الخ رجهم عن ذكاء وطهارة أقرب الى الاستجابة ثم انهم جمعوا الذنوب أولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في أمرنا لان الاسراف في كل شئ هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث أحوال سماوية عن أو أرضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الآية تأديب وارشاد من الله تعالى في

العرب تذهب بالذين مذهب الجزاء وتعاملها في ذلك معاملة من وما لتقارب معاني ذلك في كثير من الاشياء وان جمعهن أشياء مجهولات غير مؤقتات توقيت عمرو وزيد فلما كان ذلك كذلك وكان صحيحا في الكلام فصيحا أن يقال للرجل أكرم من أكرمك وأكرم كل رجل أكرمك فيكون الكلام خارجا بلفظ الماضي مع من وكل مجهول ومعناه الاستقبال اذ كان الموصوف بالفعل غير موقت وكان الذين في قوله لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض غير موقتين أجريت مجرى من وما في ترجمتها التي تذهب الجزاء واخراج صلاتها بافاظ الماضي من الافعال وهي بمعنى الاستقبال كما قال الشاعر في ما

فاني لا آتيكم بشكر ما مضى * من الامر واستجلاب ما كان في غد

فقال ما كان في غد وهو يريد ما يكون في غد ولو كان أراد الماضي لقال ما كان في أمس ولم يجز له أن يقول ما كان في غد ولو كان الذي موقتا لم يجز أن يقال ذلك خطأ ان يقال لكن من هذا الذي أكرمك اذا زرته لان الذي ههنا موقت فقد خرج من معنى الجزاء ولو لم يكن في الكلام هذا لكان جائزا فصيحا لان الذي يصير حينئذ مجهولا غير موقت ومن ذلك قول الله عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فرد يصدون على كفروا لان الذين غير موقتة بقوله كفروا وان كان في لفظ ماض فمعناه الاستقبال وكذلك قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا وقوله الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم معناه الا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم والا من يتوب ويؤمن ونظائر ذلك في القرآن والكلام كثير والعلة في كل ذلك واحدة وأما قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه يعني بذلك حزنا في قلوبهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في قلوبهم قال يحزنهم قوله لا ينفعهم شيأ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) يعني جل ثناؤه والله يحيي ويميت والله المجمل الموت لمن يشاء من حيث يشاء والمميت من يشاء كما شاء دون غيره من سائر خلقه وهذا من الله عز وجل ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم واخراج هيبتهم من صدورهم وان قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله واعلام منه لهم ان الاماتة والاحياء بيده وانه لن يموت أحد ولا يقتل الا بعد فناء أجله الذي كتبه له ونهي منه لهم اذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم في حرب المشركين ثم قال جل ثناؤه والله بما تعملون بصير يقول ان الله يرى ما تعملون من خير وشر فاتقوه أيها المؤمنون فانه محص ذلك كله حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه ونحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يحيي ويميت أي يجعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) فخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين يقول لهم لا تكونوا أيها المؤمنون في شك من ان الامور كلها بيد الله وان اليه الاحياء والاماتة كما شك المنافقون في ذلك ولكن جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا أعداء الله على يقين منكم فانه لا يقتل في حرب ولا يموت في سفر الا من بلغ أجله وحانت وفاته ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة وأخبرهم ان موتا في سبيل الله وقتلا في الله خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغد عيشها الذي من أجله يثاقلون عن الجهاد في سبيل الله ويتأخرون عن لقاء العدو كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة

وسيجزى الله بالايمان الحقيقى الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدى باداء حقوقه وهو الائتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس أن تموت عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا تنتهى الا باشراق طلوع الشمس ثم أثبت للعبد كسبا فى طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص أى من عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد فى الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم التصوف ابن الوقت وفيه أنشد

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما
باكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى
أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد
ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه فى الآخرة وسيجزى الله الشاكرين أى كالذاكرين يقين على قدر شكرهما وكأين من نبى قاتل أعدى العدو الذى بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما أصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا فى طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا أى النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى أسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما

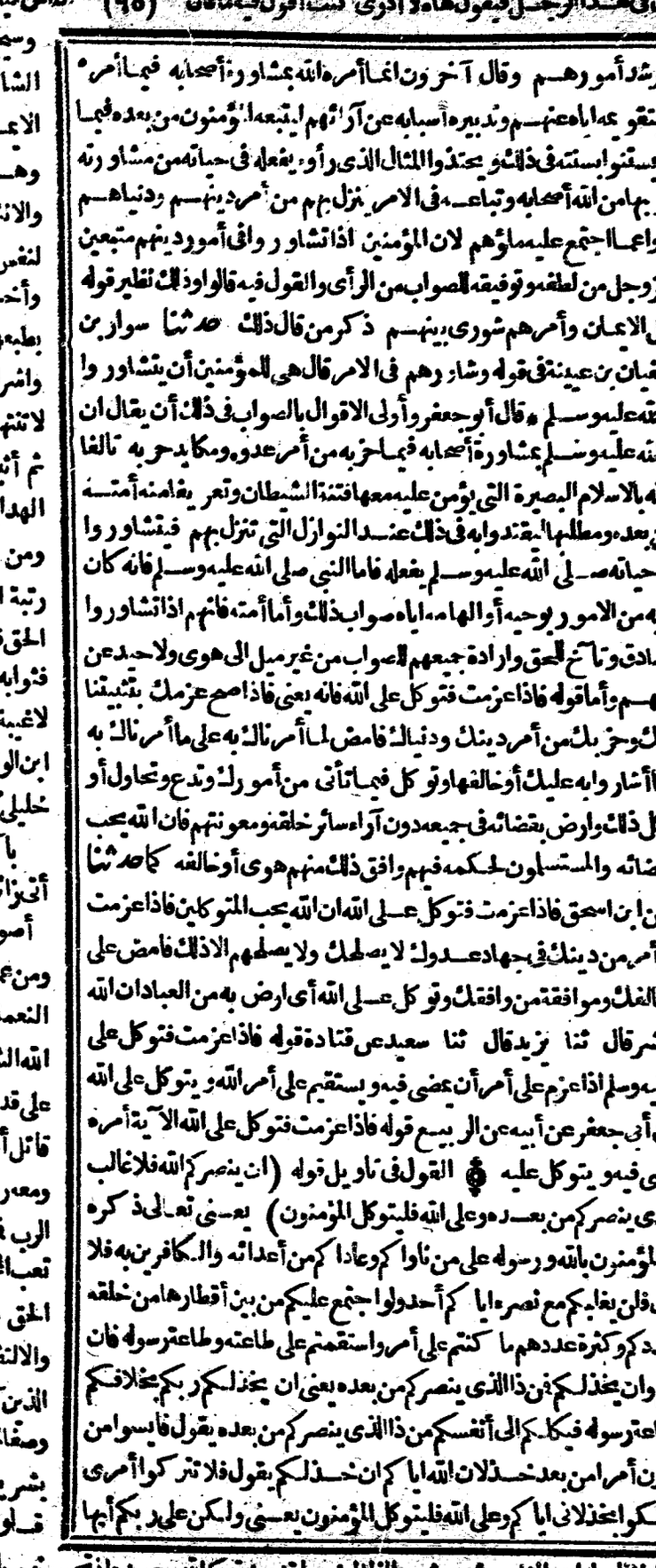

أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفى عنكم والله ذو فضل

نبيه حقا للغلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وانما هو رجل واحد بكمال غيره من المسلمين يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار بخصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شئ ولا يتركوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على أعقابكم أي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو أشق الاشياء لذي العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا يصدونه من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطلبكم وهذا خطأ من وجهين لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين ولو فرض أن لاحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلات ونصرة غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه * التأويل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات قوت المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة لتتخلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا أرباب الصدق وأصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل أن تلقوه المجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وأنتم تنظرون لا تفقدون ما

يعني بالفظ الجافي وبالغليظ القلب القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رأفة وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به بالمؤمنين رؤف رحيم فتأويل الكلام فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم تتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذنبي الجرم منهم جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك فيغارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحيم ورحمك بهم فبرحمة من الله لنت لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أي والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤفا وقد ذكر لنا ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قال ذكر لنا انه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه في كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم وأما قوله لانفضوا من حولك فانه يعني لتفرقوا عنك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لانفضوا من حولك قال لتصرفوا عنك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لانفضوا من حولك أي لتركوك ۞ القول في تأويل قوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) يعني تعالى ذكره بقوله فاعف عنهم فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندي ما نالك من أذاهم ومكروه في نفسك واستغفر لهم وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم واستحقوا عليه عقوبة منه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاعف عنهم أي فتجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوب من قارف من أهل الايمان منهم ثم اختلفت أهل التأويل في المعنى الذي من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه فقال بعضهم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وشاورهم في الامر مشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو تطييبا منه بذلك أنفسهم وتألفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين برأيهم وان كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته اياه وتقويمه أسبابه عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الامور وهو يأتيه وحي السماء لانه أطيب لانفس القوم وان القوم اذا شاور بعضهم بعضا وأراد بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وشاورهم في الامر قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الامور وهو يأتيه الوحي من السماء لانه أطيب لانفسهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشاورهم في الامر أي لتريهم انك تسمع منهم وتستعين برأيهم وان كنت عنهم غنيا تألفهم بذلك على دينهم * وقال آخرون بل أمره بذلك في ذلك وان كان له الرأي وأصوب الامور في التدبير لما علم في المشورة تعالى ذكره من الفضل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قوله وشاورهم في الامر قال ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة الا لما علم فيها من الفضل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن اياس بن دغفل عن الحسن

أبر واحكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بار واحكم وأشباحكم أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له

البر من مات حتف أنفه حيث كان ناقع وسلى وسمر موظف وافق حفصا الا ههنا لجواز قتلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب * الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين (٦٧) النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى تحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء أظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب أي اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر وينعكم نصره والوقف على تحبون ظاهر في الوجهين الآخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفا عنكم ط المؤمنين ه أصابكم ط تعملون ه طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شئ ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم ط الصدور ه الجمعان لا لان انما خبر ان كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم أو بمحذوف أي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه تجمعون ه تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص لا والوصل أولى ليعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر ج لغاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط المؤمنون ه * التفسير انه تعالى يذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولاشك ان هذا من معاظم أسباب

ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استنوابه حدثنا يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك انه كان يقرأ ما كان لنبي أن يغل قال أن يعطى بعضا ويترك بعضا اذا أصاب مغنما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ولكن يعدل ويأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل ويحكم فيه بما أنزل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وما كان لنبي أن يغل قال ما كان له اذا أصاب مغنما أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضا ولكن يقسم بينهم بالسوية وقال آخرون ممن قال ذلك بفتح الياء وضم الغين انما أنزل ذلك تعريفا للناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحي الله شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك ما ينبغي لنبي أن يكون غالا بمعنى انه ليس من أفعال الانبياء خيانة أممهم يقال منه غل الرجل فهو يغل اذا خان غلولا ويقال أيضا منه أغل الرجل فهو يغل اغلالا كما قال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان يعني غير الخائن ويقال منه أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان ينبغي له أن يخون فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما كان لنبي أن يغل قال أن يخون وقرأ ذلك آخرون وما كان لنبي أن يغل بضم الياء وفتح الغين وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معنى ما كان لنبي أن يغله أصحابه ثم أسقط الاصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله وما كان لنبي أن يخان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن انه كان يقرأ وما كان لنبي أن يغل قال عوف قال الحسن ان يخان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لنبي أن يغل يقول وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل قال أن يغله أصحابه حدثنا عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان لنبي أن يغل قال الربيع بن أنس يقول ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه قال ذكر لنا والله أعلم ان هذه الآية أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه * وقال آخرون منهم معنى ذلك وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق وكان متأول ذلك كذلك وجهوا قوله وما كان لنبي أن يغل الى انه مراد به يغلل يفعل ثم خففت العين من يفعل فصارت يغل كما قرأ من قرأ قوله فانهم لا يكذبونك بتأويل يكذبونك وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وما كان لنبي أن يغل بمعنى ما الغلول من صفات الانبياء ولا يكون نبيا من غل وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أوعد عقيب قوله وما كان لنبي أن يغل أهل الغلول فقال ومن يغلل يأت بما غل

الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم أحد أو هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل نه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد الا أنا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر

المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه وبه فارضوا من جميع من دونه ولقضائه فاستسلموا وجاهدوا فيه أعداءه يكفكم بعونه وتمدكم بنصره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس لن يضرك خذلان من خذلك وان يخذلك فلن ينصرك الناس فمن الذي ينصركم من بعده أن تتكلوا على الناس فتكلوا لا أمر لكم الناس وان قصر الناس لا مرى وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القول في تأويل قوله (وما كان لنبي أن يغل) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق وما كان لنبي أن يغل بمعنى أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم واحتج بعض قارئ هذه القراءة ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروافي ذلك روايات فنها ما حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مقسم قال ثني ابن عباس ان هذه الآية نزلت وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر قال فقال بعض الناس أخذها قال فأكثر وافي ذلك فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سألت سعيد بن جبير كيف تقرأ هذه الآية وما كان لنبي أن يغل أو يغل قال لا بل يغل فقد كان النبي والله يغل ويقتل حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا غياث بن بشير عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس وما كان لنبي أن يغل قال كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلعل النبي أخذها فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل قال سعيد بل والله ان النبي ليغل ويقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله وما كان لنبي أن يغل قالا يغل قال عكرمة أو غيره عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله هذه الآية وما كان لنبي أن يغل حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا قزعة بن سويد الباهلي عن حميد الاعرج عن سعيد بن جبير قال نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا معتمر عن أبيه عن سليمان الاعمش قال كان ابن مسعود يقرأ ما كان لنبي أن يغل فقال ابن عباس بلى ويقتل قال فذكر ابن عباس انه انما كانت في قطيفة قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلها يوم بدر فأنزل الله وما كان لنبي أن يغل وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين انما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجه ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها ان فعله الذي فعله خطأ وان الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ويعرفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم وانه ليس له أن يخص بشيء منها أحدا ممن شهد الوقعة أو ممن كان رد ألهم في غزوهم دون أحد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يقول ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول

الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) القراآن الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين وماواهم وبابه بغير همز أبو عمر وغير شجاع ويزيد الاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وأبو عمر وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلي وخلف الباقون بياء الغيبة كله ما بالرفع أبو عمر وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة الباقون بالخطاب منهم ومتنا بكسر

يحمل فرسا له حمحمة ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل صنما من ادم ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق الشيباني عن عبد الله بن ذكوان عن عروة ابن الزبير عن أبي حميد قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا فجاء بسواد كثير قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه فلما أتوه جعل يقول هذا لي وهذا لكم قال فقالوا من أين لك هذا قال أهدي الي فانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فخرج فخطب فقال أيها الناس ما بالي أبعث قوما الى الصدقة فيجيء أحدهم بالسواد الكثير فاذا بعثت من يقبضه قال هذا لي وهذا لكم فان كان صادقا فلا أهدي له وهو في بيت أبيه وفي بيت أمه ثم قال أيها الناس من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة على عنقه يحمله فاتقوا الله أن يأتي أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو حدثنا ابن كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء قال هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يجلس أحدكم في بيته فتأتيه هديته ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله فيقول أحدهم هذا الذي لكم وهذا هدية أهديت الي أفلا يجلس في بيت أبيه أو بيت أمه فتأتيه هديته والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم من ذلك شيأ الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه فلا أعرفن ما جاء رجل يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو ثم رفع يده فقال الا هل بلغت حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن أبي حميد حدثه بمثل هذا الحديث قال أفلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ثم رفع يده حتى اني لانظر الى بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت قال أبو حميد بصر عيني وسمع أذني حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو ابن الحرث أن موسى بن جنين حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الانصاري حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه انه تذاكر هو وعمر يوما الصدقة فقال ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة فمن غل منها بعيرا أو شاة فانه يحمله يوم القيامة قال عبد الله بن أنيس بلى حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا أبي قال ثنا يحيى بن سعيد الانصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال اياك يا سعد ان تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء قال لا أجيده ولا أجيء به فاعفاه حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد قال ثنا الربيع بن روح قال ثنا ابن عياش قال ثني عبيد الله بن عمر بن حفص عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استعمل سعد بن عبادة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيرا له رغاء فقال سعد فان فعلت يا رسول الله ان ذاك لكائن قال نعم قال سعد قد علمت يا رسول الله اني أسأل فأعطى فاعفني فاعفاه حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد ابن حباب قال ثنا عبد الرحمن بن الحرث قال ثني جدي عبيد بن أبي عبيد وكان أول مولود بالمدينة قال استعملت على صدقة دوس فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه فسلم فخرجت اليه فسلمت عليه فقال كيف أنت والبعير كيف أنت والبقر كيف أنت والغنم ثم قال سمعت نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ بعيرا بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ومن أخذ بقرة

على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في رفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته أقول هذا اذا استدل النافي بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه أما اذا استدل النافي بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال وماواهم أي والمكان الذي يأوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوى اذا أقام به ثم أكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال أصحاب الاشتقاق حسه أي قتله لانه أبطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا أصاب بطنه ورأسه اذا أصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم أحد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا أن هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما أقبل

المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط

الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى أنه مختص بيوم أحد لورود ه فى مساق تلك القصة قال السدى لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روى ان أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال أين ابن أبى كبشة يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذى يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب فى قلوبهم لا يقتضى القاء جميع أنواعه فيها وانما يقتضى وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله فى قلوب الذين كفروا يقتضى وقوع الرعب فى قلوب جميع الكفرة وهكذا هو فى الواقع لانه لا أحد يخالف دين الاسلام الا وفى قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما فى الحرب واما فى المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما أشركوا أى بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير فى محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرنى فذاك الآخر ينصرنى فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة كيف وأنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا آلهتهم لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالى سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كأنه استخرج بالقهر قال الجوهرى السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد بالسلطان يحمل

يوم القيامة الآية والتى بعدها فكان فى وعيده عقيب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على انه انما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله وما كان لنبى أن يغل الآية ولو كان انما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول وفى تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين انه انما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الانبياء وأخلاقهم لان ذلك جرم عظيم والانبياء لا تأتى مثله فان قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك فاولى منه وما كان لنبى أن يخونه أصحابه ان ذلك كذا كرت ولم يعقب الله قوله وما كان لنبى أن يغل الا بالوعيد على الغلول ولكنه انما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين لان معنى ذلك وما كان لنبى أن يغله أصحابه يخونوه فى الغنائم قيل له أفكان لهم أن يغلوا غير النبى صلى الله عليه وسلم فيخونوه حتى خصوا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم فان قالوا نعم خرجوا من قول أهل الاسلام لان الله لم يبح خيانة أحد فى قول أحد من أهل الاسلام قط فان قال قائل لم يكن ذلك لهم فى نبى ولا غيره قيل فما وجه خصوصهم اذا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما وما يلزم المؤتمن من أداء الامانة اليهما واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من ان الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ناهيا بذلك عباده عن الغلول وآمرا لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم كما قال ابن عباس فى الرواية التى ذكرناها من رواية عطية ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة الآيتين معا ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بذلك تعالى ذكره ومن يخن من غنائم المسلمين شيا وفيئهم وغير ذلك يات به يوم القيامة فى المحشر كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن ابن حبان عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام خطيبا فوعظ وذكر ثم قال ألا لا غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته بقرة لها خوار يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن عن أبى حبان عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذا زاد فيه على رقبته بعيرله رغاء لا الفين أحدكم على رقبته نفس لها صياح حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو حبان عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير عن أبى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال لا الفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعيرله رغاء يقول يا رسول الله أغثنى ثم ذكر نحو حديث أبى كريب عن عبد الرحمن حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن بشر عن يعقوب القمى قال ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعرفن أحدكم يات يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادى يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيا قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يات يوم القيامة يحمل جلالا له رغاء يقول يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك شيا قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يات يوم القيامة

درجات عند الله يقول بأعمالهم وقال آخرون معنى ذلك لهم درجات عند الله يعني لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هم درجات عند الله قال هي كقوله لهم درجات عند الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي هم درجات عند الله يقول لهم درجات عند الله وقيل قوله هم درجات كقول القائل هم طبقات كما قال ابن هرمة

ان حالا لمنون يكون قوم * نريب الدهر أم درج السيول

وأما قوله والله بصير بما يعملون فانه يعني والله ذو علم بما تعمل أهل طاعته ومعصيته لا يخفى عليه من أعمالهم شيء يحصى على الفريقين جميعا أعمالهم حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله بصير بما يعملون يقول ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ۞ القول في تأويل قوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) يعني بذلك لقد تطول الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا حين أرسل فيهم رسولا من أنفسهم نبيا من أهل لسانهم ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول يتلو عليهم آياته يقول يقرؤا عليهم آي كتابه وتنزيله ويزكيهم يعني يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم اياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه ويبين لهم تأويله ومعانيه والحكمة يعني بالحكمة السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه لهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني ان كانوا من قبل ان يمن الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته لفي ضلال مبين يقول في جهالة جهلاء وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقا ولا يبطلون باطلا وقد بينا أصل الضلالة فيما مضى وانه الاخذ على غير هدى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والمبين الذي يبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه انه على غير استقامة ولا هدى ونحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الامة جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة السنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ليس والله كما تقول أهل حروراء محنة عالية من أخطأها اهراق دمه ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى قوم لا يعلمون فعلمهم ذلك قوم لا أدب لهم فأدبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لقد من الله على المؤمنين الى قوله لفي ضلال مبين أي لقد من الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلوا عليكم آياته ويزكيكم فيما أخذتم وفيما علمتم ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه لتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته فتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين أي في عمى من الجاهلية لا تعرفون حسنة ولا تستغيثون من سيئة صم عن الحق عمى عن الهدى ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير) يعني تعالى ذكره بذلك أو حين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة وهي القتلى الذين قتلوا منهم والجرحى الذين جرحوا منهم باحد وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرا قد أصبتم مثليها يقول قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من

ثم اعلم أن معنى هذا الصرف أنه تعالى ذكر المسلمين من الكفار وحالات الربح دون الرأي كانت صباحتي وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفار ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه وأما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد أضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وأيضا أنه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تأويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان أولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان أحاط بهم العدو وعلموا أنهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلا فلهذا السبب جاز لهم أن ينحوا عن ذلك الموضع يتحرزون فيه عن العدو ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من أصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا أضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بأمره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه أمرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل أقاربهم وأحبائهم من أعظم أنواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال أبو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى أزال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء

فهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا أن وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال آخرون أنه للجماعة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه أحدها قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع أخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال أبو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة وقيل جوابه ما يدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما هزم المشركون ونساؤهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير أمير الرماة عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى أن قتلهم المشركون وقوله في الامر اما أن يكون بمعنى الشأن والقصة أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن أو بمعنى الامر الذي يضاد النهي أي تنازعتم فيما أمركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية كأنهم فشلوا في أنفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في أنا هل نذهب في طلب الغنيمة أم لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة ببعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما أراكم ما تحبون التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقه أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام وأذاقهم وبال أمرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت

بغير حقها جاء بها يوم القيامة لها خوار ومن أخذ شاة بغير حقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها ثغاء فاياك والبقر فانها أحمق رعاء وأشد أطلافا حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثني محمد بن عبد الرحمن بن الحرث عن جده عبيد بن أبي عبيد قال استعملت على صدقة دوس فلما قضيت العمل قدمت فجاءني أبو هريرة فسلم علي فقال أخبرني كيف أنت والابل ثم ذكر نحو حديثه عن زيد لا انه قال جاء به يوم القيامة على عنقه له رغاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غنم مغنما بعث مناديا الا لا يغلن رجل مخيطا فما دونه الا لا يغلن رجل بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء الا لا يغلن رجل فرسا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حمحمة ۞ القول في تأويل قوله (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ثم توفى كل نفس ثم تعطى كل نفس جزاء مما كسبت بكسبها وافيا غير منقوص مما استحقه واستوجبه من ذلك وهم لا يظلمون يقول لا يفعل بهم الا الذي ينبغي أن يفعل بهم من غير أن يعتدي عليهم فينقصوا مما استحقوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ثم يجزي بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه ۞ القول في تأويل قوله (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك في قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من لم يغل كمن باء بسخط من الله كمن غل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني سفيان بن عيينة عن مطرف بن طريف عن الضحاك قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من أدى الخمس كمن باء بسخط من الله فاستوجب سخطا من الله وقال آخرون في ذلك بما حدثني به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس وسخطوا كمن باء بسخط من الله لرضى الناس وسخطهم يقول أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من ربه كمن باء بسخط من الله فاستوجب غضبه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان أي فاعرفوا * وأولى التأويلين بتاويل الآية عندي قول الضحاك بن مزاحم لان ذلك عقيب وعد الله على الغلول ونهيه عباده عنه ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه والعاصي له في ذلك أي انهما لا يستويان ولا تستوي حالتاهما عنده لان لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار فمعنى قوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله اذا أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه متبعا في كل ذلك رضى الله ومجتنبا سخطه كمن باء بسخط من الله يعني كمن انصرف متحملا سخط الله وغضبه فاستحق بذلك سكنى جهنم يقول ليسا سواء وأما قوله وبئس المصير فانه يعني وبئس المصير الذي يصير اليه ويؤب اليه من باء بسخط من الله جهنم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني تعالى ذكره بذلك ان من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الاليم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون أي لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس هم

درجات

بسبب الهزيمة قد تقدموه صلى الله عليه وسلم وبقي هو صلى الله عليه وسلم في الجماعة المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجملتهم الأولى فانابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم وأقول لا يبعد أن يعطف على تصعدون لانه بمعنى أصعدتم بدليل أن يقال ناب اليه أي رجع والمرأة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان أو شرا الا أن العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الآية على أصل اللغة استقام بلا تأويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب أو يجعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الأصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل أن تكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل أن تكون بمعنى المصاحبة أما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما أذقتم الرسول غما بسبب عصيان أمره أذاقكم الله غم الانهزام وقيل المجازاة والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم أحد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز أن يكون الضمير في فانابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها وأما الاحتمال الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يكون هناك غمان الاول ما أصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة أو الاول غم فوت الغنائم والثاني ان أبا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما أو الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستئصال المسلمين أو الاول ما أصابهم في أنفسهم وأموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاول خوف عقاب المعصية

الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن وابن جريج قالا معصيتهم انه قال لهم لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين يعني بأحد وقتل منهم سبعون انسانا أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها كانوا يوم بدر أسروا سبعين وجلا وقتلوا سبعين قلتم انى هذا أي من أين هذا قل هو من عند انفسكم انكم عصيتم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقول انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثل ما أصابوا منكم يوم أحد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم أي ان ذلك قد أصابتكم مصيبة في اخوانكم فبذنوبكم قد أصبتم مثليها قتلا من عدوكم في اليوم الذي كان قبله ببدر قتلى وأسرى ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم انكم أحللتم ذلك بانفسكم ان الله على كل شئ قدير أي ان الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها الآية يعني بذلك انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد وقال بعضهم بل تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم باساءتكم المشركين يوم بدر وأخذكم منهم الفداء وتركتكم قتلاهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أمر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا ان تأخذوا منهم الفداء فتتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون قال فأخذوا الفدية منهم وقتلوا منهم سبعين قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كليتهما **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال في أساري بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم قالوا بل نأخذ الفداء فنتمتع به ويستشهد منا بعدتهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني اسمعيل عن ابن عون عن عبيدة السلماني عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم من الاساري وقد أمرك ان تخيرهم بين أمرين ان يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل نأخذ فداهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما يكره قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أساري أهل بدر ۞ القول في تأويل قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) يعني تعالى ذكره بذلك والذي أصابكم يوم التقى الجمعان وهو يوم أحد حين التقى جمع المسلمين والمشركين ويعني بالذي أصابهم ما نال من القتل من قتل منهم ومن الجراح من جرح منهم فباذن الله يقول فهو باذن الله كان يعني بقضائه وقدره فيكم وأجاب ما بالفاء لان ما حرف جزاء وقد بينت نظير ذلك فيما مضى وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا يعني وليعلم الله المؤمنين وليعلم الذين نافقوا أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان باحداث تمييز أهل الايمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم لا يخفى عليهم أمر الفريقين وقد بينا تأويل قوله وليعلم المؤمنين فيما مضى وما وجه ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال ابن اسحق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين أي

أنه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما اقترفوه أم علموا أنه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم

ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح أن يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلابد من
اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن أهل العفو وقالت الاشاعرة لاشك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جمع غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية دل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على انه قد يعفو عن أصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم أو عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما مستأنف باضمار واذكر واما ان يتعلق بما قبله أي عفى عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين فنبه افترفوه أو المعنى ليبتليكم اذ تصعدون أو ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال أبو معاذ النحوي كل شئ له أسفل وأعلى كالوادي والنهر والازقة فهو قال فيه اصعد افان أخذت من أسفله الى أعلاه وأما اذا رتقع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تقل اصعد على أحد لا تلتفتون اليه وأصله ان المعرج على الشئ يلوي اليه عنقه أو عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله انا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الحسين
الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل أنه كان يدعوهم الى محاربة العدو في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم

المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر وذلك انهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين قلتم انى هذا يعني قلتم لما أصابتكم مصيبتكم باحد انى هذا من أي وجه هذا ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون وفينا نبي الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحي من السماء وعدونا أهل كفر بالله وشرك قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك هو من عند أنفسكم بقول قل لهم أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وتركتكم طاعتي لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير يعني ذو قدرة ثم اختلف أهل التاويل في تاويل قوله قل هو من عند أنفسكم بعد اجماع جميعهم على ان تاويل سائر الآية على ما قلنا في ذلك من التأويل فقال بعضهم تاويل ذلك قل هو من عند أنفسكم بخلافكم على نبي الله صلى الله عليه وسلم اذ أشار عليكم بترك الخروج الى عدوكم والاصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين آطامكم فابيتم ذلك عليه وقلتم أخرج بنا اليهم حتى نصحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا أصيبوا يوم أحد قتل منهم سبعون يومئذ وأصابوا مثليها يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انا في جنة حصينة يعني بذلك المدينة فدعوا القوم ان يدخلوا علينا فقاتلهم فقال له ناس من أصحابه من الانصار يا نبي الله انا نكره ان نقتل في طرق المدينة وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية فبالاسلام أحق ان نمتنع فيه فابرز بنا الى القوم فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فتلاوم القوم فقالوا عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم بامر وعرضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم أمرنا الامر لك تبع فاتى حمزة فقال له يا نبي الله ان القوم قد تلاوموا وقالوا أمرنا الامر لك تبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يناجز وانه ستكون فيكم مصيبة قالوا يا نبي الله خاصة أو عامة قال ستر ونها ذكر لنا ان نبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان بقرا تنحر فتاولها قتلا في أصحابه ورأى ان سيفه ذا الفقار بن انقصم فكان قتل عمه حمزة قتل يومئذ وكان يقال له أسد الله ورأى ان كبشا أغبر فتاوله كبش الكتيبة عثمان بن أبي طلحة أصيب يومئذ وكان معه لواء المشركين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه غير انه قال قد أصبتم مثليها يقول مثلي ما أصيب منكم قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم يقول بما عصيتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا فقال الله عز وجل أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة قال قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسر سبعين وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين فذلك قوله قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا اذ نحن مسلمون نقاتل غضبا لله وهؤلاء مشركون قل هو من عند أنفسكم عقوبة لكم بمعصيتكم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم قالوا فانما أصابنا هذا لانا قبلنا الفداء يوم بدر من الاسارى وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فمن قتل منا كان شهيدا ومن بقي منا كان مطهرا رضينا بالله وبا حدثنا القاسم قال ثنا

الرملي قالا ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا عتبة بن ضمرة قال سمعت أبا عون الانصاري في قوله قاتلوا في سبيل الله قالوا بطلوا وأما قوله والله أعلم بما يكتمون فانه يعني به والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين لو نعلم قتالا لاتبعناكم بما يضمرون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيستر ونه من العدا رقوا لشناآن وانهم لو علموا قتالا لما تبعوهم ولاد افعوا عنهم وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك مطلع عليه ومحصيه عليهم حتى ليهتك أستارهم في عاجل الدنيا فيفضحهم به ويصليهم به الدرك الاسفل من النار في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني تعالى ذكره بذلك وليعلم الله الذين نافقوا الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا فوضع الذين نصب على الابدال من الذين نافقوا وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما في قوله يكتمون من ذكر الذين نافقوا يعني الآية وليعلم الله الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين باحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم وقعدوا يعني وقعد هؤلاء المنافقون لقاتلوا ما قالوا انما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع اخوانهم وعشائرهم في سبيل الله لو أطاعونا يعني لو أطاعنا من قتل باحد من اخواننا وعشائرنا ما قتلوا يعني ما قتلوا هنالك قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين فادرؤا يعني فادفعوا من قول القائل درأت عن فلان القتل بمعنى دفعت عنه ادرؤه درأ ومنه قول الشاعر

أقول وقد درأت لها وضيني * وهذا دينه أبدا ودبني

يقول تعالى ذكره قل لهم فادفعوا ان كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم لو أطاعنا اخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ما قتلوا هنالك بالسيف ولكانوا أحياء يقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه الموت فانكم قد قعدتم عن خروجهم وقد تخلفتم عن جهادهم وأنتم لامحالة ميتون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ما قتلوا الآية أي انه لابد من الموت فان استطعتم ان تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ذلك انهم انما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله حرصا على البقاء في الدنيا وفرارا من الموت ذكر من قال الذين قالوا لاخوانهم هذا القول هم الذين قال الله فيهم وليعلم الذين نافقوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا الآية ذكر لنا انها نزلت في عدو الله عبد الله بن أبي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال هم عبد الله بن أبي وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال هو عبد الله بن أبي الذي قعد وقال لاخوانه الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لو أطاعونا ما قتلوا الآية قال ابن جريج عن مجاهد قال قال جابر بن عبد الله هو عبد الله بن أبي ابن سلول حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا الآية قال نزلت في عدو الله عبد الله بن أبي ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني تعالى ذكره ولا تحسبن ولا تظنن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تحسبن ولا تظنن وقوله الذين قتلوا في سبيل الله يعني الذين قتلوا باحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواتا يقول ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيأ ولا يلتذون ولا يتنعمون فانهم أحياء عندي متنعمون في رزقي

سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وأراد هؤلاء بقوله يغشى طائفة منكم والأمنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور يرقى أوائل النوم وانتصاب أمنة على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا جملا أو مفعول له بمعنى نعستم أمنة أو على أنه حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع من كبار وبررة أو على أنه مفعول أنزل ونعاسا بدل منه قال أبو طلحة غشانا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أخذ الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الامن غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلاة الامن غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها

ان الاعداء كانوا حراصا منهم الكين في قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من أدل الدلائل على ان حفظ الله وكلاءته معهم ومن

والثانى غم التوبة فانهم لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا أمر بالمعاودة بعد القتل والقتلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الآخرة وقوله انهما أن يراد بغم مع غم (١٠٤) مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما يخرط فى سلكها ثم اللام فى قوله لكيلا تحزنوا يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد عفى عنكم لان فى عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما أن يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليمرنوا على مجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم أحد فى مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قال الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ وأما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه أسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغمون بالمصائب وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم أنه يخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض أن لا يبقى فى قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم ويتأسى عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما أصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما فى قول الزجاج أو المراد انكم قلتم لو بقينا فى هذا المكان وامتثلنا وظننا فى غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما عصيتم أمر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم فى غموم أخر كل واحد منها أعظم من ذلك الرملى

ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذنى كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد ان جاءكم نصرى وصدقتم وعدى ليميز بين المنافقين والمؤمنين وليعلم الذين نافقوا منكم أى ليظهروا ما فيهم ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) يعنى تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه حين سار نبى الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين باحد لقتالهم فقال لهم المسلمون تعالوا قاتلوا المشركين معنا وادفعوا بتكثيركم سوادنا فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون لسرنا معكم اليهم ولكنا معكم عليهم ولكن لا نرى انه يكون بينكم وبين القوم قتال فابدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه وابدوا بالسنتهم بقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى حين خرج الى أحد فى ألف رجل من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس فقال أطاعهم فخرج وعصانى والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة يقول يا قوم أذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا الا انصراف عنهم قال أبعدكم الله أغنى الله فسيغنى الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى عدوه من المشركين باحد وقوله لو نعلم قتالا لاتبعناكم يقول لو نعلم انكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكن لا نظن أن يكون قتال فظهر منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان وليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون أى يخفون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى يوم أحد فى ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبى ابن سلول فى ثلثمائة فتبعهم أبو جابر السلمى يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا قال فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبى ابن سلول وقول عبد الله أبى جابر بن عبد الله الانصارى حين دعاهم فقالوا ما نعلم قتالا ولئن أطعتمونا لترجعن معنا فقال الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد لو نعلم قتالا قال لو نعلم انا واجدون معكم قتالا لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم واختلفوا فى تاويل قوله أو ادفعوا فقال بعضهم معناه أو أكثروا فانكم اذا كثرتم دفعتم القوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى أو ادفعوا يقول أو كثروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو ادفعوا قال بكثرتكم العدو وان لم يكن قتال وقال آخرون معنى ذلك أو رابطوا وان لم تقاتلوا ذكر من قال ذلك حدثنا اسمعيل بن حفص الاملى وعلى بن سهل

فصبرهذا ما تعالهم من أن يحزنوا على فوات الغنيمة فى وقعة أخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بزاجر أخروى زجرهم بزاجر أخروى فقال والله

الدنيا فاقتل فيك فاقتل مرة أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا ليتنا نعلم ما فعل اخواننا الذين قتلوا يوم أحد فانزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون كنا نحدث ان أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة وان مساكنهم السدرة حدثت عن عمار وأنبأنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه الا انه قال تعارف في طير خضر وبيض وزاد فيه أيضا وذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء قال هم قتلى بدر وأحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة قال قالوا يا رب ألا رسول لنا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم فامر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآيتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال أرواح الشهداء عند الله كطير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت قال فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا ربنا أي شئ نسرح في الجنة في أيها شئنا ثم اطلع عليهم الثالثة فقال هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيلك مرة أخرى فسكت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عطاء بن السائب عن ابن عيينة عن عبد الله انهم قالوا في الثالثة حين قال لهم هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا تقرئ نبينا عنا السلام وتخبره ان قد رضينا ورضي عنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في ثواب الجنة و يهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون أي قد أحييتهم فهم عندي يرزقون في درج الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال الضحاك قال كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا و يرزقون فيه الشهادة يرزقون فيه الجنة والحياة في الرزق فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الى قوله ولا هم يحزنون زعم ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل من ذهب معلقة بالعرش فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة تبيت في القناديل فاذا سرحن نادى مناد ماذا تريدون ماذا تشتهون فيقولون ربنا نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألهم ربهم أيضا ماذا تشتهون وماذا تريدون فيقولون نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألون الثالثة فيقولون ما قالوا ولكنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا لما يرون من فضل الثواب حدثنا ابن حميد قال ثنا عباد قال ثنا ابراهيم بن معمر عن الحسن قال ما زال ابن آدم يتعمد حتى صار حيا ما يموت ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عمرو بن يونس قال ثنا اسحق بن أبي طلحة قال ثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة قال لا أدري أربعين أو سبعين قال وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك

يقويهم و ينصرهم وقيل الظن هو أنهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد أما عند أهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب أن يشرفه باخرى وأما عند من يعتبر المصالح في أفعاله وأحكامه فلا يبعد أن يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه اضطر الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة و وفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله أعلم يقولون هل لنا من الامر من شئ حكاية شبهة تمسك بها أهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها أحدها هل لنا من التدبير من شئ يعنون رأي عبد الله بن أبي وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين أمره أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي عنه لو أطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب أنه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر أي هل لنا من الامر الذي كان يعد نابه محمد صلى الله عليه وسلم وهو النصر والقدرة شئ ورابعها أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء

والغرض منه تعيير المسلمين على التشديد في الجهاد فامر الله تعالى أن يجيب عنها بقوله قل ان الامر والحوادث باسرها مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا أراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا

الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع أن فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فالعود الى الامنة بؤيده ان الامنة مقصودة بالذات والنعاس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فالعود الى النعاس وينصره كونه أقرب وكون المبدل فى حكم المنحى وموافقته لقوله فى قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيأ واحدا كان التذكير أولى وأما الفريق الثانى فهم المنافقون الذين كانوا فى شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضر والا الطلب الغنيمة كعبد الله بن أبى ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم النبى ولا المسلمين والهم الامر الشديد يقال أهمنى ذلك الامر أى أقلقنى وأحزنه فالمعنى أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم فى الهموم والاشجان منهم بسبب التشكك وعدم الثبات والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان أحب الاشياء عندهم هو النفس وكانت أسباب الخوف على النفس هنالك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن لهم هنالك الا هم أنفسهم يظنون بالله غير الحق وهو فى حكم المصدر أى غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة فى هذا الترتيب ان غير الحق أديان كثيرة وأرداها مقالات أهل الجاهلية فذكر أولا أنهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين أنهم اختاروا من الاديان أرذالها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة أو ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما أضيف للملابسة أى الظن المختص بالملة الجاهلية وهى زمان الفترة قبل الاسلام الدنيا

فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى وحبوتهم به من جزيل ثوابى وعطائى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق وثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن اسمعيل بن أمية عن أبى الزبير المكى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد وثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قالا ثنا محمد بن اسحق عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق بن الاجدع قال سألنا عبد الله ابن مسعود عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية قال أما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فاطلع الله اليهم اطلاعة فيقول يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا الا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ثلاث مرات ثم يطلع فيقول يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا الا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا أنا نختار ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نرد الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى حدثنا الحسن بن أبى يحيى المقدسى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ثم ذكر نحوه وزاد فيه انى قد قضيت أن لا ترجعوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد قال أرواح الشهداء عند الله فى أجواف طير خضر فى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها فيطلع اليهم ربهم فيقول ماذا تريدون فيقولون نرجع الى الدنيا فنقتل مرة أخرى حدثنا ابن كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق من نمر بباب الجنة فى قبة خضراء وقال عنده فى روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثنا أبو كريب وأنبأنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله الا انه قال فى قبة خضراء وقال يخرج عليهم فيها حدثنا ابن وكيع وأنبأنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق قال ثنى الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثنى بن الفضيل الانصارى عن محمود بن لبيد الانصارى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ٧ أيضا يعنى اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن الحرث بن الفضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وثنى بعض أصحابى عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا جابر قال قلت بلى يا رسول الله قال ان أباك حيث أصيب باحد أحياه الله ثم قال له ما تحب يا عبد الله بن عمرو ان أفعل بك قال يا رب أحب أن تردنى الى

من لحق بهم من اخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم وأذهب الله عنهم الخوف والحزن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قال هم اخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حتى بلغ وان الله لا يضيع أجر المؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى أما يستبشرون بالذى لم يلحقوا بهم من خلفهم فان الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه وأهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر باهل الغائب يقدومه فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يقول جل ثناؤه يستبشرون يفرحون بنعمة من الله يعنى بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه وفضل يقول وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يستبشرون بنعمة من الله وفضل الآية تلطفا بهم من وفاء الموعود وعظيم الثواب واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله لا يضيع أجر المؤمنين فقرأ ذلك بعضهم بفتح الالف من ان بمعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبان الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر الالف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بانها فى قراءة عبد الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين قالوا فذلك دليل على ان قوله وان الله مستأنف غير متصل بالاول ومعنى قوله لا يضيع أجر المؤمنين لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وان الله بفتح الالف لاجماع الحجة من القراء على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم وانما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فى طلب العدو أبى سفيان ومن كان معه ممن مشركى قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس ان به وأصحابه قوة على عدوهم كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى حسان بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فينا ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضا للعدو ليبلغهم انه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الاشهل كان شهد أحدا قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو قلت لاخى أو قال لى

ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك أى ذلك القول انما صدر عنهم فى هذه الحالة فكان لسائل أن يسأل ما الذى يخفونه فى أنفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقدمر تفسيره ويحتمل أن يراد لو كان لنا رأى مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن فى قوله قل ان الامر كله لله قال فى التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السنى والمعتزلى فذاك يقول العصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فامر النبى صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذا الاعتقاد بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح فمفاتيحه الابتلاء وهو أن يميز الموافق عن المنافق كما فى المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتيعاب المعاصى والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور وصاحبتها وهى الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شئ وانما ذلك لمحض الالهية أو للاستصلاح قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم أحد وذكر محمد بن اسحق ان ثلثمائة الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان أولهم سعد بن عثمان أخبر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعد مرجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرون وكن يحثين التراب فى وجوههم ويقلن هناك المغزل أغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القتال الذى تدل عليه الاخبار فى الجملة

النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أبو ملحان الانصاري أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى أتى حيا منهم فاحتبى امام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلوهم أجمعين عامر بن الطفيل قال قال اسحق حدثني أنس بن مالك ان الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقوا ربهم فأكرمهم فاصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب قالوا يا ليت بيننا وبين اخواننا من يبلغهم اما لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا فقال الله تبارك وتعالى انا رسولكم الى نبيكم واخوانكم فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى قوله ولا هم يحزنون فهذا الثناء الذي بلغه الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء وفي نصب قوله فرحين وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على الخروج من قوله عند ربهم والآخر من قوله يرزقون ولو كان رفعا بالرد على قوله بل أحياء فرحون كان جائزا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني بذلك تعالى ذكره ويفرحون بمن لم يلحق بهم من اخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم ان استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله الى مثل الذي صاروا اليه فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون انهم اذا صاروا كذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني بذلك لا خوف عليهم لانهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ولا هم يحزنون ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها المنغص الذي صاروا اليه والدعة والزلفة ونصب الا بمعنى يستبشرون لهم بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذي أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول اخواننا يقتلون كما قتلنا يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال هم قتلى بدر وأحد زعموا ان الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة جعلت أرواحهم في طير خضر ترعى في الجنة وتأوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا ليت اخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه فاذا شهدوا قتالا لا تجعلوا الى ما نحن فيه فقال الله تعالى اني منزل على نبيكم ومخبر اخوانكم بالذي أنتم فيه ففرحوا به واستبشروا وقالوا يخبر الله نبيكم واخوانكم بالذي أنتم فيه فاذا شهدوا قتالا أتوكم قال فذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الى قوله أجر المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي ويسرون بلحوق

الدين على الاديان ووقع لا بحالة يخفون في أنفسهم في ضمائرهم أو فيما بينهم ما لا يبدون لنا وذلك المخفى قولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هنا أي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولنا قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتل الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الآية أنيق ونظامه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وأهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل أن يكون خبره محذوفا أي وطائفة أخرى منهم طائفة أهمتهم ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان لجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون أو بيان وانما صح وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ وقد خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تاكيدا للامر وقد خبر ان كما وقلت ان الامر أجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف وأما نظمه فانه لما أخبر عن هذه الطائفة من بأنهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بأنهم يقولون هل لنا من الامر من شئ لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية

من لحق بهم من اخوانهم على ماقضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم وأذهب الله عنهم الخوف والحزن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قال هم اخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حتى بلغ وان الله لا يضيع أجر المؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي أما يستبشرون بالذي لم يلحقوا بهم من خلفهم فان الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه وأهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر باهل الغائب يقدومه في الدنيا ۞ القول في تاويل قوله (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يقول جل ثناؤه يستبشرون يفرحون بنعمة من الله يعني بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه وفضل يقول وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ماسلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يستبشرون بنعمة من الله وفضل الآية تلقاهم بنوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب واختلفت القراء في قراءة قوله وان الله لا يضيع أجر المؤمنين فقرأ ذلك بعضهم بفتح الالف من ان بمعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبان الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر الالف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بانها في قراءة عبد الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين قالوا فذلك دليل على ان قوله وان الله مستانف غير متصل بالاول ومعنى قوله لا يضيع أجر المؤمنين لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وان الله بفتح الالف لاجماع الحجة من القراء على ذلك ۞ القول في تاويل قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم وانما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد في طلب العدو أبي سفيان ومن كان معه ممن مشركي قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ حمراء الاسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس ان به وأصحابه قوة على عدوهم كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني حسان بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله ان أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضا العدو ليبلغهم انه خرج في طلبهم ليقتلوا به قوة وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الاشهل كان شهد أحدا قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لاخي أو قال لي

هيئتهم ويبين مقالهم كي لا يغتر به المؤمنون فقال يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك أي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل أن يسأل ما الذي يخفونه في أنفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقدر تفسيره ويحتمل أن يراد لو كان لنا رأي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول العصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فامر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذا الاعتقاد بان ماقضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو أن يميز الموافق عن المنافق كما في المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصار المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور بما فيها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شئ وانما ذلك لمحض الالهية أو الاستصلاح قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم أحد وذكر محمد بن اسحق ان ثلاثين رجلا من المهاجرين وثلاثة عشر رجلا من الانصار كانوا عشرين ومائتين انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان أولهم سعد بن عثمان أخبر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعد هزيمة القوم ومكنوا على نسائهم ولي جعل النساء يقلن أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل أغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال الفعال الذي تدل عليه الاخبار في الجملة

النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أبو ملحان الانصاري أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى أتى خيامهم فاستحيى امام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلوهم أجمعين عامر بن الطفيل قال قال اسحق حدثني أنس بن مالك أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقوا ربهم فأكرمهم فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب قالوا يا ليت بيننا وبين اخواننا من يبلغهم انا القينا ربنا فرضي عنا وأرضانا فقال الله تبارك وتعالى انا رسولكم الى نبيكم واخوانكم فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى قوله ولا هم يحزنون فهذا الثناء الذي بلغه رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء وفي نصب قوله فرحين وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على الخروج من قوله عند ربهم والآخر من قوله يرزقون ولو كان رفعا بالرد على قوله بل أحياء فرحون كان جائزا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني بذلك تعالى ذكره ويفرحون بمن لم يلحق بهم من اخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم ان استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله الى مثل الذي صاروا هم اليه فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون انهم اذا صاروا كذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني بذلك لا خوف عليهم لانهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ولا هم يحزنون ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها المنغض الذي صاروا اليه والدعة والزلفة ونصب الا بمعنى يستبشرون لهم بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة الفضل والنعيم الذي أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول اخواننا يقاتلون كما قتلنا يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال هم قتلى بدر وأحد زعموا ان الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة جعلت أرواحهم في طير خضر ترعى في الجنة وتأوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا ليت اخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه فاذا شهدوا قتالا تعجلوا الى ما نحن فيه فقال الله تعالى اني منزل على نبيكم ومخبر اخوانكم بالذي أنتم فيه ففرحوا به واستبشروا وقالوا يخبر الله نبيكم واخواننا بالذي أنتم فيه فاذا شهدوا قتالا أتوكم قال فذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الى قوله أجر المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي ويسرون بلحوق

تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الآية أنيق ونظمه عجيب اما أنه فقوله وطائفة مبتدأ وأهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل أن يكون خبره محذوفا أي ومنهم طائفة أهمتهم ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان لجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون أو بيان وانما صح وقوع القول الذي معقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سببه الهم كان صادرا عن الظن ويجوز أن يكون حالا من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ وقد خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للمرفوع خبر ان كما لو قلت ان الامر أجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف وأما نظمه فانه لما أخبر عن هذه الطائفة من بأنهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بأنهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا ممن كان ظانا بل شاكا في حقية

فيه وقيل انهم لما أذنبوا بسبب مفارقة المركز أوقعهم الشيطان بشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطف فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت أولان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول مازين لهم من الهزيمة ويحتمل أن تكون الباء بمعنى في أي السبب في توليهم انهم كانوا أطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون أعمالا أخر اما في هذه الغزوة أو قبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في انه أي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والآية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر أو من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الآية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي

ما أصابهم القرح يعني أبا بكر والزبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح اذا اتقى الله فخافه فأدى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرا عظيما وذلك الثواب الجزيل والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) يعني تعالى ذكره وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والذين في موضع خفض مردود على المؤمنين وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الاول هم قوم فيما ذكر لنا كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد الى حمراء الاسد والناس الثاني هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد يعني بقوله قد جمعوا لكم قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة اليكم لحربكم فاخشوهم يقول فاحذروهم واتقوا لقاءهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يقول فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقينا الى يقينهم وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله الى تصديقهم ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ولكن سارو حتى بلغوا رضوان الله منهم وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه اذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين حسبنا الله ونعم الوكيل يعني بقوله حسبنا الله كفانا الله يعني يكفينا الله ونعم الوكيل يقول ونعم المولى ان وليه موكله وانما وصف تعالى نفسه بذلك لان الوكيل في كلام العرب هو المسند اليه القيام بأمر من أسند اليه القيام بأمره فلما كان القوم الذين وصفهم الله به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم الى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك اليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك وتفويضهم أمرهم اليه بالوكالة فقال ونعم الوكيل الله تعالى لهم واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم فقال بعضهم قيل ذلك لهم في وجوههم الذي خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد الى حمراء الاسد في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك ومن قائله حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال مر به يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عليه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال والله يا محمد اما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله كان أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الاسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا أحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فنستأصلهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيكم من الحنق عليكم بشيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيول قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم فنستأصل أنفسهم قال فاني أنهاك عن ذلك فوالله لقد جاءني ما رأيت على ان قلت فيه أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي ۞ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

ان نفرا قليلا تولوا وابتعدوا فانهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب وأما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين بل بعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أيضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى باغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة وأما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب ابن المنذر وأبو حارثة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يوم عقد على الموت ثلاثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار أبو حارثة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم أحد وروى ابن عتيبة انه أصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان بقول بعض ما كسبوا أي بعض ذنوبهم التي كانت منهم قبل ذلك ولقد عفا الله عنهم بقوله ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم

أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما الناس من دابة تركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فقام بهم ثلاثا الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله تبارك وتعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أي الجراح وهم الذين سار وامع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء الاسد على ما بهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وذلك يوم أحد بعد القتل والجراح وبعد ما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ألا عصابة تشد لامر الله تطلب عدوها فانه انكى للعدو وأبعد للسمع فانطلق عصابة منهم على ما بهم الله تعالى من الجهد **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي انطلق أبو سفيان منصرفا من أحد حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا فاخبر الله رسوله فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد ثم رجعوا من حمراء الاسد فانزل الله جل ثناؤه فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب يعني يوم أحد بعد الذي كان منه ما كان فرجع الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فيتربصون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك الى نبي الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهم الذي أصابهم وان رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وذلك انما يرتحلون الآن فيأتون الحج ٧ فلا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان فخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فابى عليه الناس أن يتبعوه فقال اني ذاهب وان لم يتبعني أحد لاخصص الناس فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفا فانزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا أبو سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن أختي أما والله ان أبالك وجدك تعني أبا بكر والزبير امن قال الله تعالى فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرت ان أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم انهم عامدون الى المدينة فقال ان ركبوا الخيل وتركوا الابل فانهم عامدون الى المدينة وان جلسوا على الابل وركبوا الخيل فقد أرعبهم الله وليسوا بعامديها فركبوا الابل فرعبهم الله ثم ندب ناسا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثني** سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لي عائشة ان كان أبوك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد

٧ هكذا بالنسخ ولعل الصواب فيأتون الموسم يعني السوق التي يباع فيها اه مصححه

ما القدر وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما فكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والابعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين

ذلك الكلام حسرة ليكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه مقبول لان أقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت أو لم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في أن الحياة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا ألقوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المساوين في الجهاد غنيمة بقي أولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما أعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض أن جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يقسي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة * الوجه الثاني أن متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم أي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف أن يتلقى أوامره بالامتثال فالله أعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق امضائه وأحكامه ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وفي أمثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم

الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها وابتاعوا فذلك قوله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وهي غزوة بدر الصغرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه وهي بدر الصغرى قال ابن جريج لما عهد النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعوهم فيها أحد قال وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بتخيل محمد عليه السلام وقال في ذلك

نفرت قلوصي عن خيول محمد * وعجوة مشورة كالعنجد

* واتخذت ماء قديد موعدا *

قال أبو جعفر هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ وانما هو

قد نفرت من رفقتي محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد

يهدي على دين الهها الاتلد * قد جعلت ماء قديد موعدا

* وما صحان لها ضحى الغد *

حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كانت بدر معترا في الجاهلية فخرج ناس من المسلمين يريدونه ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فاما الجبان فرجع وأما الشجاع فاخذ الاهبة للقتال واهبة التجارة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فاتوهم فلم يلقوا أحدا فانزل الله عز وجل فيهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال هي كلمة ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد الى حمراء الاسد لان الله تعالى ذكره انما مدح الذين وصفهم بقيلهم حسبنا الله ونعم الوكيل لما قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ولم تكن هذه الصفة الا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد الى حمراء الاسد وأما قول الذين خرجوا معه الى غزوة بدر الصغرى فانه لم يكن فيهم جريح الا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبراء كلمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج لبدر الخرجة الثانية اليها لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أحد في شعبان سنة أربع من الهجرة وذلك ان وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى اليها في شعبان من سنة أربع ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب خرج فيها أصحابه ولكن قد قال قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى ۞ القول في تأويل قوله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) يعني جل ثناؤه بقوله فانقلبوا بنعمة من الله فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من توجههم الذي وجهوا فيه وهو سيرهم في أمر عدوهم

تقتلوا عمر تواوالذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ويجوز أن يكون المراد والله يحيي قلوب أوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب أعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا

يوم أحد كعبد الله بن أبي وأصحابه وفيه دليل على ان الاعمال ليس شيء منها مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم أي لاجل اخوانهم مثل و قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا

ترى باسد منهم كرام لا تبالة * عند اللقاء ولا حزق معازيل
فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول
فظلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
أني نذير لاهل السفح صاحبه * لكل ذي ارية منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش بنائله * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه وقر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم ابلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والناس الذين قال لهم ما قالوا النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ان أبا سفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال لما ندموا يعني أبا سفيان وأصحابه على الرجوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا ولقوا اعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا وأصحابه فاخبرهم انا قد جمعنا لهم فاخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فلقوا الاعرابي في الطريق فاخبرهم الخبر فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الاسد فانزل الله تعالى فيهم وفي الاعرابي الذي لقيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عيرا واردة المدينة ببضاعة لهم وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم جبال فقال ان لكم على رضاكم ان أنتم رددتم عني محمدا ومن معه ان أنتم وجدتموه في طابي وأخبرتموه اني قد جمعت له جموعا كثيرة فاستقبلت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد انا نخبرك ان أبا سفيان قد جمع لك جموعا كثيرة وانه مقبل الى المدينة وان شئت ان ترجع فافعل ولم يزدد ذلك ومن معه الا يقينا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تبارك وتعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم حتى كانوا بذي الحليفة فجعل الاعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم هذا أبو سفيان ما ثل عليكم بالناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال آخرون بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له في غزوة بدر الصغرى وذلك في مسير النبي صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبي سفيان وأصحابه للموعد الذي كان أوعده الالتقاء بها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال هذا أبو سفيان قال لمحمد موعدكم حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم عسى فانطلق رسول الله صلى

عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يتكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا أقارب المنافقين وان كانوا مسلمين أو اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان أو بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سائق وسيق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا أو حين ضربوا ليشاكل في المعنى قوله وقالوا لانه أراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ان أخبر عنهم بعد ذلك لابد أن يقولوا قالوا ويجوز أن يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل أتى أمر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة قد بلغ الغاية فكان هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن أن يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لعلم ان المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذا واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا ان لم نوجده في كلام العرب نظيرا لكن القرآن أولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وأما اللام في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا أي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله

ينذر به وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى ذلك يخوف الناس أولياءه كقول القائل هو يعطى الدراهم ويكسو الثياب يعنى هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب فحذف ذلك لاستغناء عنه وليس الذى شبه ذلك بمشبه لان الدراهم فى قول القائل هو يعطى الدراهم معلوم ان المعطى هى الدراهم وليس كذلك الاولياء فى قوله يخوف أولياءه مخوفين بل التخويف من الاولياء لغيرهم فلذلك افترقا ۞ القول فى تأويل قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) يقول فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين ولا يعظمن عليكم أمرهم ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم اياى ما أطعتمونى واتبعتم أمرى وأنى متكفل لكم بالنصر والظفر ولكن خافون واتقوا أن تعصونى وتخالفوا أمرى فتهلكوا ان كنتم مؤمنين يقول ولكن خافونى دون المشركين ودون جميع خلقى أن تخالفوا أمرى ان كنتم مصدقى رسولى وما جاءكم به من عندى ۞ القول فى تأويل قوله (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيأ) يقول جل ثناؤه ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون فى الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فانهم لن يضر والله بمسارعتهم فى الكفر شيأ كما أن مسارعتهم لو سارعوا الى الايمان لم تكن بنافعته وكذلك مسارعتهم الى الكفر غير ضاونه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يعنى أنهم المنافقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر أى المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه يريد الله أن لا يجعل لهم حظا لهؤلاء الذين يسارعون فى الكفر نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ثم أخبر انهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة لهم عذاب عظيم فى الآخرة وذلك عذاب النار وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة أن يحبط أعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) يعنى بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدم الى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم الى الكفر فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بايمانهم فارتدوا عن ايمانهم بعد دخولهم فيه وصوبوا الكفر بالله وبرسوله عوضا من الايمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن ايمانهم شيأ بل انما يضرون بذلك أنفسهم بايجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به وانما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان عباد الله الى هذه الآية عباده المؤمنين على الاخلاص اليقين والانقطاع اليه فى أمورهم والرغبة اليه نصر لوحده دون غيره من سائر خلقه ورغبهم فى جهاد أعدائه وأعداء دينه وسمح بها نفوسهم واعلمهم ان من وليه بنصره فلن يخذل ولو أجمع عليه جميع من خالفه وعاده وان من خذله فلن ينصره ناصر ينفعه نصره ولو كثرت أعوانه ونصراؤه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين اشتروا الكفر بالايمان أى المنافقين لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم أى موجع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) يعنى بذلك تعالى ذكره ولا تظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاءهم به من عند الله ان املاءنا لهم خير لانفسهم ويعنى بالاملاء الاطالة فى العمر والانساء فى الاجل ومنه قوله جل ثناؤه واهجرنى مليا أى حينا طويلا ومنه قيل عشت طويلا وعمليت حينا والملا نفسه الدهر والملوان

الموت على الآية الاولى وعكس فى الثانية ليقع الابتداء بالاهم على ما هو أفضل أوطان الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل فى سبيله فقدمه وهو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت (١١٥) لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه يجمعهم

يفارقون الدنيا ولا شك أن الغالب على أحوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر أطلق القتل اما لانه أعم أنواع القتل كلها وفى قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد فى ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف أعظم أنواع الوعد ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمى فى الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان الالهية تقتضى هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز فى العقول من انه هو الذى يبدئ ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه أضاف حشره الى غيرهم ليعلم انهم أحياء كانوا أو أمواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم أن القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم فى بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر فى الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثانى اشارة الى من يعبده طمعا فى ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم أهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما أحسن هذا التنسق وروى أن عيسى صلى الله عليه وسلم مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن يخلصكم من عذابه ثم مر بآخرين فرأى عليهم سيماء الخشوع فقال ماذا تطلبون فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ناتئ ورأى عليهم سيماء العبودية أكثر فقالوا

تكونوا مثلهم ومن تؤلى الدبرة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب القعود عن الجهاد ويمنع الطمع عن رغبتهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله

أو متم لمغفرة من الله شئ من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فالام الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الآية الاخرى والمعنى أن القتل والموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم أنه لازم فالذي يستعقب المغفرة والرحمة من الله وان ذلك خير مما تجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من تلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا أو ورد على حسب معتقدهم ان أموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من أمير أصبح أسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل مانعا من مرض أو خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الآخرة أصفى وأصفى وأبقى وأتقى ولا سيما منافعها العقلية وأي نسبة لانتفاع الحمار بلذة تبقيه فتؤديه الى ابتهاج الملائكة المقربين بقرب أنوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع آخر فقال ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون كأنه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت أو القتل يعتريكم أيا ما قلائل في الدنيا مع اللذات الحسية والخيالية فتتركونه لاجل تلك الغير كم ينذر

الى حمراء الاسد بنعمة من الله يعني بعافية من جرحهم لم يلقوا بهم أعدوا وفضل يعني أصابوا فيها من الارباح بتجارتهم التي اتجروا بها والاجر الذي اكتسبوه لم يمسسهم سوء يعني لم يلقهم بما مكروه من عدوهم ولا أذى واتبعوا رضوان الله يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك واتباعهم رسوله الى ما دعاهم اليه من اتباع أمر العدو وطاعتهم والله ذو فضل عظيم يعني والله ذو احسان وطول عليهم فصرف عدوهم الذي كانوا قد هموا بالكرة اليهم وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم بنعمه عظيم عندمن أنعم به عليه من خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال والفضل ما أصابوا من التجارة والاجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال وافقوا السوق فابتاعوا وذلك قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال الفضل ما أصابوا من التجارة والاجر قال ابن جريج ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل أصابوا عفوه وعزته لا ينازعهم فيه أحد قال وقوله لم يمسسهم سوء قال قبل ٧ واتبعوا رضوان الله قال طاعة النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله ذو فضل عظيم لما صرف عنهم من لقاء عدوهم حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ولم يؤذهم أحد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج الى غزوة بدر الصغرى ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر فاصابوا تجارة فذلك قول الله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله أما النعمة فهي العافية وأما الفضل فالتجارة والسوء القتل ۞ القول في تأويل قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعني بذلك تعالى ذكره انما الذي قال لكم أيها المؤمنون ان الناس قد جمعوا لكم فخوفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم اليكم من فعل الشيطان ألقاه على أفواههم من قال ذلك لكم يخوفكم باوليائه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش لترهبوهم وتجبنوا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يخوف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن بالكافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوف المؤمنين بالكفار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يقول الشيطان يخوف المؤمنين باوليائه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أي أولئك الرهط يعني النفر من عبد القيس الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا وما ألقى الشيطان على أفواههم يخوف أولياءه أي يرهبكم باوليائه حدثني يونس قال أخبرنا علي بن معبد عن غياث بن بشير مولى قريش عن سالم الافطس في قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوفكم باوليائه وقال آخرون معنى ذلك انما ذلكم الشيطان بعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافوهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر أمر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين فقال انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونهم فان قال قائل وكيف قيل يخوف أولياءه وهل يخوف الشيطان أولياءه قيل ان كان معناه يخوفكم باوليائه يخوف أولياءه قيل ذلك نظير قوله لينذر بأسا شديدا يعني لينذركم بأسه الشديد وذلك ان البأس لا ينذر وانما

وتبعاتها عليكم ولو أمرضتم من الذات الغالية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم الى أعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يعني الكفار يقول لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة حتى يميز الخبيث من الطيب يميز بينهم في الجهاد والهجرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حتى يميز الخبيث من الطيب قال حتى يميز الفاجر من المؤمن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر فأنزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يخرج المؤمن من الكافر والتأويل الاول أولى بتأويل الآية لان الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقتها فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم ۞ القول في تأويل قوله (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن الله اجتباه فجعله رسولا وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعلمه وأولى الاقوال في ذلك بتأويله وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد وجهاد عدوه وما أشبه ذلك من صنوف المحن حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك اليه ورسالته كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء قال يخلصهم لنفسه وانما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية ابتداؤها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده يعني بغير محن حتى يفرق بالابتلاء من مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ثم عقب ذلك بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فكان فيما اقتص به من صفة اظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر دلالة واضحة على ان الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم الا بالذي ذكر أنه يميز به نعتهم الا من استثنا من رسله الذي خصه بعلمه ۞ القول في تأويل قوله (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه بقوله وان تؤمنوا وان تصدقوا من اجتبيته من رسلي بعلمي وأطلعته على المنافقين منكم وتتقوا بكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه فلكم أجر عظيم يقول فلكم بذلك من ايمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآمنوا بالله ورسوله وان تؤمنوا وتتقوا أي ترجعوا وتتوبوا فلكم أجر عظيم ۞ القول في تأويل قوله (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق ولا يحسبن الذين يبخلون بالياء من يحسبن وقرأته جماعة أخرى ولا تحسبن بالتاء ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحوي الكوفة معنى ذلك لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم فاكتفى بذكر يبخلون من البخل كما تقول قدم فلان فسررت به وأنت تريد فسررت بقدومه وهو عماد وقال بعض نحوي أهل البصرة انما أراد بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم لا تحسبن البخل هو خيرا لهم فالقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل لانه

الجنة لا يدع الفقر فلا يزوج أحدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العيش مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب أن يكون أكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد أما الحكم بزيادتها فالنظر الى أصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكأنه قال فبرحمة وأما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه أصلا وجوز بعضهم أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا الله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد رحمته عوضا كالخوف من العقاب أو الطامع في الثواب أو الثناء أو يحمله على ذلك رقة طبع أو حمية أو عصبية الى غير ذلك من الاغراض وأيضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد موافاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه بربطه على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين أن الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق وأصله فظظ كحذر فظظت يا رجل بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك أي اسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة أحد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم

تعبده لانه الوثن ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد الخاصون والمتعبدون الحقون قال القاضي والآية تدليل على أن المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم أو قتلتم عطفا (١١٦) الشئ على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما أرشدهم في

الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روى ان امرأة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل عثمان أما والله لا تجدونه ألأم القوم فقال لها على ألا ان عثمان فضح الفمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروى انه قال حينئذ أعياني أزواج الاخوان أن يتعاونوا به ولما دخل عثمان مع صاحبه ما زاد على ان قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما أنا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب أحدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لاحلم أحب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله من جهل امام وخرقه فما بلغ على الله عليه وسلم امام العالمين وجب أن يكون أكثرهم حلما وأحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم اليه ورأوا فيه آثار الشفقة وأمارات النصيحة وعن بعض الصحابة انه قال لقد أحسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت قال

هذه البشرى يعني واعلم أن من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم أن الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم أن

الليل والنهار ومنه قول تميم بن مقبل ألا يا ديار الحي بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان
يعني بالملوان الليل والنهار وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم فقرأ ذلك جماعتهم ولا يحسبن بالياء وبفتح الالف من قوله انما على المعنى الذي وصفت من تأويله وقرأ آخرون ولا تحسبن بالتاء وانما أيضا بفتح الالف من انما بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم فان قال قائل فما الذي من أجله فتحت الالف من قوله انما في قراءة من قرأ بالتاء وقد علمت ان ذلك اذا قرئ بالتاء فقد أعملت تحسبن في الذين كفروا واذا أعملتها في ذلك لم يجز لها أن تقع على انما لان أنما انما يعمل فيما عامل يعمل في شيئين نصبا قيل أما الصواب في العربية ووجه الكلام المعروف من كلام العرب كسر ان اذا قرئت تحسبن بالتاء لان تحسبن اذا قرئت بالتاء فانها قد نصبت الذين كفروا فلا يجوز أن تعمل وقد نصبت اسما فان قال فان من قرأ ذلك بالتاء في تحسبن وفتح الالف من أنما انما أراد تكرير تحسبن على أنما كأنه قصد الى أن معنى الكلام ولا تحسبن يا محمد أنت الذين كفروا ان تحسبن أنما نملي لهم خير لانفسهم كما قال جل ثناؤه فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة بتأويل هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغتة وذلك وان كان وجها جائزا في العربية فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ ولا تحسبن الذين كفروا بالياء من يحسبن وبفتح الالف من أنما على معنى الحسبان الذين كفروا دون غيرهم ثم يعمل في انما نصبا لان تحسبن حينئذ لم يشغل بشئ عمله فيه وهي تطلب منصوبين وانما اخترنا ذلك لاجماع القراء على فتح الالف من انما الاولى فدل ذلك على ان القراءة الصحيحة في تحسبن بالياء لما وصفنا وأما الف انما الثانية فالكسر على الابتداء باجماع من القراء عليه وتأويل قوله انما نملي لهم ليزدادوا انما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا اثما يقول يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر ولهم عذاب مهين يقول ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة تذلهم وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الاثر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرأ آخرون من عند الله وما عند الله خير للابرار ۞ القول في تأويل قوله (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) يعني بقوله ما كان الله ليذر المؤمنين ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هذا حتى يميز الخبيث من الطيب يعني بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر للكفر من الطيب وهو المؤمن المخلص الصادق الايمان بالمحن والاختبار كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم اليهم واختلف أهل التأويل في الخبيث الذي عنى الله بهذه الآية فقال بعضهم فيه مثل قولنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ميز بينهم يوم أحد المنافق من المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ابن جريج يقول يبين الصادق بايمانه من الكاذب قال ابن جريج قال مجاهد يوم أحد ميز بعضهم عن بعض المنافق عن المؤمن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي المنافق وقال آخرون معنى ذلك حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر

وقيل من شرف الدابة شوزابر صتها على البيع أعلمك بها وأدربك بالمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوارا يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار وتركيبه يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه أعلم الناس وأعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي تركه ذلك نوع من الاهانة والغلظة وكانت سادات العرب اذا لم يشاور وافي الامر شق ذلك عليهم ومنها أن علوم الانسان متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال أحد مالم يخطر بباله ولاسيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه مابه اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في وقعة أحد فاخطؤا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه أثر من تلك الواقعة ومنها أن يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها أن تصير النفوس الطاهرة مطابعة على تحصيل أصلح الوجوه فيكون أعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ماتشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى ما أمر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وأمره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الآن أعظم حالا مما كانوا وان عفوه أعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة

سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقا في أعناقهم كهيئة الاطواق المعروفة كالذي حدثني الحسين بن قزعة قال ثنا سلمة بن علقمة قال ثنا داود عن أبي قزعة عن أبي مالك العبدي قال مامن عبد يأتيه ذو رحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا أخرج له الذي بخل به عليه شجاعا أقرع قال وقرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه الا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ثنا داود عن أبي قزعة جرير بن بيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله اياه فيبخل به عليه الا أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه ثم قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله حتى انتهى الى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة حدثني زياد بن عبيد الله المزني قال ثنا مروان بن معاوية وحدثني محمد بن عبد الله الكلابي قال ثنا عبد الله بن بكر السهمي وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد واللفظ ليعقوب جميعا عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل مال عنده فيمنعه اياه الا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذي منع حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال ثعبان ينقر رأس أحدهم يقول أنا مالك الذي بخلت به حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا وائل يحدث أنه سمع عبد الله قال في هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال شجاع يلتوي برأس أحدهم حدثني ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة قال ثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن ابي اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن شميلة الا أنهما قالا قال شجاع أسود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن أبي وائل عن ابن مسعود قال يجيء ماله يوم القيامة ثعبانا فينقر رأسه فيقول أنا مالك الذي بخلت به فينطوي على عنقه حدثت عن سفيان بن عيينة قال ثنا جامع بن شداد وعبد الملك بن أعين عن أبي وائل عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له شجاع أقرع يطوقه ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما سيطوقون ما بخلوا به فانه يجعل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يطوقه فيأخذ بعنقه فيتبعه حتى يقذفه في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي وائل قال هو الرجل الذي يرزقه الله مالا فيمنع قرابته الحق الذي جعل الله لهم في ماله فيجعل حية فيطوقها فيقول مالي ولك أنا مالك حدثنا المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن حكيم بن جوير عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق قال سألت ابن مسعود عن قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال يطوقون شجاعا أقرع ينهش رأسه وقال آخرون معنى ذلك سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فيجعل في أعناقهم طوقا من نار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

في كلها أم لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر هم مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق فهو اذن للعهود سابق وليس ذلك الا ما جرى من أمر الحرب في وقعة أحد وقد أشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على

فكان ذلك مما يطمع الغدر وفيك وفيهم وههنا دقيقة تحتاج أن اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا أمر بالغلظة في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين أشداء على الكفار ورحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شئ في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين أصفى الاصفياء وبين أشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية فان جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذلك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال عاف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله انما ما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه أوجب عليه أن يعفو عنهم في الحال كأنه تعالى خدعفا عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل أن تستغفر لهم سيجئ

وشاورهم من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل أي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها

فقد ذكر الحسبان ذكر ما آتاهم الله من فضله فأضمرهما اذ ذكرهما قال وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن لم ينفق من بعد الفتح لانه لما قال أولئك أعظم درجة ممن الذين أنفقوا من بعد كان فيه دليل على أنه قد عناهم وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ان من في قوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في معنى جمع ومعنى الكلام لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم فكيف من أنفق من بعد الفتح فالاول مكتف وقال في قوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم محذوف غير أنه لم يحذف الا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف لان هو عائد البخل وخيرا لهم عائد الاسماء فقد دل هذان العائدان على ان قبلهما اسمين واكتفى بقوله يبخلون من البخل قال وهذا اذا قرئ بالتاء فالبخل قبل الذين واذا قرئ بالياء فالبخل بعد الذين وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل كما قال الشاعر

اذا نهى السفيه جرى اليه * وخالف والسفيه الى خلاف

كأنه قال جرى الى السفه فاكتفى عن السفيه بالسفه كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ لا تحسبن الذين يبخلون بالتاء بتأويل ولا تحسبن أنت يا محمد بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم من ترك ذكر البخل اذ كان في قوله هو خيرا لهم دلالة على أنه مراد في الكلام اذ كان قد تقدمه قوله الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله وانما قلنا قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء لان المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله هو خيرا لهم خبرا عنه واذا قرئ ذلك بالتاء كان قوله الذين يبخلون اسما له قد أدى عن معنى البخل الذي هو اسم المحسبة المتروك وكان قوله هو خير لهم خبرا لها فكان بارا يجري المعروف من كلام العرب الفصيح فلذلك اخترنا القراءة بالتاء في ذلك على ما بيناه وان كانت القراءة بالياء غير خطأ ولكنه ليس بالافصح ولا الاشهر من كلام العرب وأما تأويل الآية التي هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الاموال فلا يخرجون منه حق الله الذي فرضه عليهم فيمنعون الزكوات هو خيرا لهم عند الله يوم القيامة بل هو شرا لهم عنده في الآخرة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرا لهم هم الذين آتاهم الله من فضله فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله ولم يؤدوا زكاتها وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يعني بذلك أهل الكتاب أمرهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله قال هم يهود الى قوله والكتاب المنير وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الاول وهو أنه معني بالبخل في هذا الموضع منع الزكاة لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال البخيل الذي منع حق الله منه انه يصير ثعبانا في عنقه ولقول الله عقيب هذه الآية لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله اياهم بالزكاة ان الله فقير

القول في تأويل قوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) يعني بقوله جل ثناؤه سيطوقون

فغضب أبو بكر فضرب وجهه فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فاكذبونا ما استطعتم ان كنتم صادقين فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لابى بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق وفى قول أبى بكر وما بلغه فى ذلك من الغضب لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس قال دخل أبو بكر فذكر نحوه غير أنه قال وانا عنه لاغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان غنيا ثم ذكر سائر الحديث نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قالها فنحاص اليهودى من بنى مرثد لقيه أبو بكر فكلمه فقال له يا فنحاص اتق الله وآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير فأنزل الله عز وجل هذا فقال أبو بكر فلولا هدنة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بنى مرثد لقتلته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال صك أبو بكر رجلا منهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غنى وهم يهود حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح قال الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غنى قال شبل بلغنى انه فنحاص اليهودى وهو الذى قال ان الله ثالث ثلاثة ويد الله مغلولة حدثنا ابن حميد قال ثنى يحيى بن واضح قال ثنا عطاء عن الحسن قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان ربكم يستقرض منكم فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن البصرى قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال عجبت اليهود فقالت ان الله فقير يستقرض فنزلت لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ذكر لنا أنها نزلت فى حيى بن أخطب لما أنزل الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغنى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود يستقرض الفقير من الغنى قال فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قال هؤلاء اليهود فتاو يل الآية اذا لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود ان الله فقير الينا ونحن أغنياء عنه سنكتب ما قالوا من الافك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق واختلفت القراء فى قراءة قوله سنكتب ما قالوا وقتلهم فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق سنكتب ما قالوا بالنون وقتلهم الانبياء بغير حق بنصب القتل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق بضمها ورفع القتل على مذهب ما لم

التأويل ولقد صدقكم الله أيها الطلاب وعده لا من طلبنى وجدنى اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وتنازعتم فى أمر الطلب وعصيتم الدليل المربى من بعد ما أراكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة قرئت هذه الآية عند الشبلى فصاح صيحة وقال ما كان من أحد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم أنوار المشاهدات وبالصحو بعد ما أسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما أرضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعنى بعد ابتلائكم عفا عن التفاتاتكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين فى الازل اذ تصعدون فى طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى أحد من الامرين الدنيا والآخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادى فأثابكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما أصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة فى طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفى جزاءكم ثم أخبر عن انزال حقائق أصناف ألطافه على عباده فى صور مختلفة فأنزل الامن فى صورة النعاس على الصحابة وأخرج جواهر الوقائع السنية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان أكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من أرباب النفوس ومدعى الاسلام لا هم لهم الا هم أنفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها من الجاهلية وهوان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من أمر النصرة والظفر من شئ ما قتلنا ههنا بالباطل على أيدى حزب الشيطان وليبتلى الله ما فى صدوركم أيها

قال طوقا من النار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال فى هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من نار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم فى قوله سيطوقون قال طوقا من نار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوق من نار وقال آخرون معنى ذلك سيحمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ألم تسمع أنه قال يبخلون ويأمرون الناس بالبخل يعنى أهل الكتاب يقول يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان وقال آخرون معنى ذلك سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به فى الدنيا من أموالهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به الى قوله والكتاب المنير حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيطوقون سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذى قلناه فى ذلك فى مبدأ قوله سيطوقون ما بخلوا به للاخبار التى ذكرنا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه السلام ۞ القول فى تأويل قوله (ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) يعنى بذلك جل ثناؤه أنه الحى الذى لا يموت والباقى بعد فناء جميع خلقه فان قال قائل فما معنى قوله له ميراث السموات والارض والميراث المعروف هو ما انتقل من ملك مالك الى وارثه بموته ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده قيل ان معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء واعلام خلقه انه كتب عليهم الفناء وذلك ان ملك المالك انما يصير ميراثا بعد وفاته فانما قال جل ثناؤه ولله ميراث السموات والارض اعلاما بذلك منه عباده ان أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم وانه لا أحد الا وهو فان سواه فانه الذى اذا هلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه غيره وانما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم فى الحين الذى لا يملكون شيأ وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيره من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازى كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالاحسان والمسىء على ما يرى تعالى ذكره ۞ القول فى تأويل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) ذكر ان هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الآثار بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال أبو بكر رضى الله عنه لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل قال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لاغنياء ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا

قبل منهما وأشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحتهما على بعض ثمار المدينة فينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ (١٢٠) عام خص منه ما نزل فيه وحى فيبقى حجة فى الباقى وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحى لعموم فاعتبروا يا أولى الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر فى الاسارى وكان من أمور الدين وقد عد المشاورة من جملة مخصص النبى صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر الوجوب وقد روى عن الشافعى انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر فى نفسها ولو أكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا هاهنا فاذا عزمت أى قطعت الرأى على شئ بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد فى جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأى الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا أرشدتك الى شئ وألزمتنيه اياك فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم أحد وان يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذى ينصركم من بعده أى من بعد خذلانه اياكم الفعل عليه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله وليخص المؤمنون اياه بالتوكل لما علم أن الامر كله لله ولا راد لفضله ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل أن يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة فضب منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو أن يراعى الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده

ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم (١٢٣) ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أوادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) القراآت يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وأبو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء

محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى يأتينا بقربان تأكله النار كان الرجل يتصدق فاذا تقبل منه أتزلت عليه نار من السماء فأكلته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بقربان تأكله النار كان الرجل اذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء فنزلت على القربان فأكلته وقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم وبالذى قلتم يعنى وبالذى ادعيتم انه اذا جاءه لزمكم تصديقه بقبول الاقرار بنبوته من أكل النار قربانه اذ قرب لله دلالة على صدقه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يقول له قل لهم قد جاءتكم الرسل الذى كانوا من قبلى بالذى زعمتم انه حجة لهم عليكم فقتلتموهم فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بان الذى جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فى ان الله عهد اليكم ان تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته وانما أعلم الله عباده بهذه الآية ان الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يقروا أن يكونوا فى كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقا فيما يجحدونه من نبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى عهد الله تعالى اليهم انه ورسوله الى خلقه مفروضة طاعته الا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التى أيدهم الله بها والادلة التى أبان صدقهم بها افتراء على الله واستحقاقا بحقوقه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ان الاذى الذى كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل يقول الله تعالى له لا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء الذين قالوا ان الله فقير وقالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وافتراؤهم على ربهم اغتروا بامهال الله اياهم ولا يعظمن عليك تكذيبهم اياك وادعاؤهم الاباطيل من عهود الله اليهم فانهم ان فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله فقد كذبت أسلافهم رسل الله قبلك ممن جاءهم بالحجج القاطعة العذر والادلة الباهرة العقل والآيات المعجزة الخلق وذلك هو البينات وأما الزبر فانه جمع زبور وهو الكتاب وكل كتاب فهو زبور ومنه قول امرئ القيس

لمن طلل أبصرته فشجانى * كخط زبور فى عسيب يمانى

ويعنى بالكتاب التوراة والانجيل وذلك ان اليهود كذبت عيسى وما جاء به وحرفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبدلت عهده اليهم فيه وأن النصارى جحدت ما فى الانجيل من نعته وغيرت ما أمرهم به فى أمره وأما قوله المنير فانه يعنى الذى ينير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه وانما هو من النور والاضاءة يقال قد أنار لك هذا الامر بمعنى أضاء لك وتبين فهو ينير انارة والشئ المنير وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الحرف فى مصاحف أهل الحجاز والعراق والزبر بغير باء وهو فى مصاحف أهل الشام والزبر بالباء مثل الذى فى سورة فاطر ۞ القول فى تأويل قوله (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعنى

الغيبة الحلوانى عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر على الابتداء الباقون بالفتح وخافونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل الباقون بالحذف * الوقوف وان يغل

المنافقون لان الصدور معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان وزرعنا ما في صدورهم من غل ووسوس في صدور الناس وليعلم ما في قلوبكم أيها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمئنان كتب في قلوبهم الايمان ألا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي لعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان الله تعالى في كل شئ من الخير والشر أسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد أو سلكوا في أرض نفوسهم سبيل الرشاد أو كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة لعل الله ذلك القول حسرة في قلوب المصدقين والله يحيي قلوب أهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون أنهم يحسنون وما في الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانقضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التمدن وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من

الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس

يسم فاعله اعتبارا بقراءة من قرأ نهامن قراءة عبد الله في قوله ونقول ذوقوا ليذكر أنها في قراءة عبد الله ويقال فاعتل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد اليه من تاويل القراءة التي تنسب الى عبد الله وخالف الحجة من قراء الاسلام وذلك ان الذي ينبغي لمن قرأ سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء على وجه ما لم يسم فاعله أن يقرأ أو يقال لان قوله ونقول عطف على قوله سنكتب فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بان يقرآ جميعا على مذهب ما لم يسم فاعله أو على مذهب ما يسمى فاعله فاما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله والآخر على وجه ما قد سمى فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب والصواب من القراءة في ذلك عندنا سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب لقوله ونقول ولو كانت القراءة في سيكتب بالياء وضمها القيل ويقال على ما قد بينا فان قال قائل كيف قيل وقتلهم الانبياء بغير حق وقد ذكرت الآثار التي رويت ان الذين عنوا بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الانبياء لانهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما قيل ذلك كذلك لان الذي عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الانبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته فاضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته الى جميعهم اذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضى من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى ۞ القول في تاويل قوله (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) يعني بذلك جل ثناؤه ونقول للقائلين بان الله فقير ونحن أغنياء القائلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق يعني بذلك عذاب نار محرقة ملتهبة والنار اسم جامع للملتهبة وانما الحريق صيغة لها يراد بها محرقة كما قيل عذاب أليم يعني مؤلم وجيع يعني موجع وأما قوله ذلك بما قدمت أيديكم أي قولنا لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا وبان الله عدل لا يجور فيعاقب عبدا له بغير استحقاق منه العقوبة ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت ويوفي كل عامل جزاء ما عمل فجازى الذين قال لهم يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم فاخبر عنهم انهم قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الانبياء بغير حق بما جازاهم به من عذاب الحريق بما اكتسبوا من الآثام واجترحوا من السيئات وكذبوا على الله بعد الاعذار اليهم بالانذار فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من اذاقتهم عذاب الحريق ظالما ولا واضعا عقوبته في غير أهلها وكذلك هو جل ثناؤه غير ظلام أحدا من خلقه ولكنه العادل بينهم والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه ۞ القول في تاويل قوله (الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) يعني بذلك جل ثناؤه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول وقوله الذين قالوا ان الله في موضع خفض ردا على قوله الذين قالوا ان الله فقير ويعني بقوله قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول أوصانا وتقدم الينا في كتبه وعلى ألسن أنبيائه ألا نؤمن لرسول يقول أن لا نصدق رسولا فيما يقول انه جاء به من عند الله من أمر ونهي وغير ذلك حتى يأتينا بقربان تاكله النار يقول حتى يجيئنا بقربان وهو ما تقرب به العبد الى ربه من صدقة وهو مصدر مثل الغدوان والخسران من قولك قربت قربانا وانما قال تاكله النار لان أكل النار ما قرب به أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له ودلالة على صدق المتقرب فيما ادعى انه محق فيما نازع أو قال كما حدثنا

ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكر رضوان الله عليه وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله الى فنحاص يستمده وكتب اليه بكتاب وقال لابي بكر لا تفتات على بشئ حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو موشح السيف فاعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربكم أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتات على بشئ حتى ترجع فكف ونزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وما بين الآيتين الى قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم نزلت هذه الآيات في بني قينقاع الى قوله فان ذلك لمن عزم الامور فقد كذبوا رسل من قبلك قال ابن جريج يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم قال أعلم الله المؤمنين انه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ثم قال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا أذى كثيرا فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ويسمعون اشراكهم فقال الله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور يقول من القوة مما عزم الله عليه وأمر به وقال آخرون بل نزلت في كعب بن الاشرف وذلك انه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشبب بنساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق اليه خمسة نفر من الانصار فيهم محمد بن مسلمة ورجل يقال له أبو عبس فاتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم ذعر منهم فانكر شأنهم وقالوا جئناك لحاجة قال فليدن الى بعضكم فليحدثني بحاجته فجاء رجل منهم فقال جئناك لنبيعك أدراعا عندنا لنستنفق بثمنها فقال والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدئ عنهم الناس فاتوه فنادوه فقالت امرأته ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشئ ما تحب قال انهم حدثوني بحديثهم وسألهم قال معمر فاخبرني أيوب عن عكرمة انه أشرف عليهم فكلمهم أترهنون أبناءكم وأرادوا أن يبيعهم تمرا قالوا انا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين فقال أترهنوني نساءكم قالوا أنت أجمل الناس ولا نامنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك سلاحنا فقد علمت ما جئتنا الى السلاح اليوم فقال ائتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم قالوا فانزل الينا نأخذ عليك ونأخذ علينا فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت ارسل الى أمثالهم من قومك يكونوا معك قال لو وجدني هؤلاء نائما ما أيقظوني قالت فكلمهم من فوق البيت فابى عليها فنزل اليهم يغوح ريحه قالوا ما هذا ريح يا فلان قال هذا عطر أم فلان امرأته فدنا اليه بعضهم يشم واعتنقه ثم اعتنقه ثم قال اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ثم رجعوا فاصبحت اليهود مذعورين فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم ثم دعاهم الى أن يكتب بينه وبينهم صلحا فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه ❁ القول في تاويل قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) يعني بذلك تعالى ذكره واذ كر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد اذ أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على

فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيره وغاء يقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي أن يخون أي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها أعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الآخرة كيف وانه أمين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات أفلا يكون أمينا في الارض هيبات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان الله أن يتخذ من ولد أي وما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين فغيه وجهان

أحدهما يخان أي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة تحذير لغيره على الاطلاق فوائد منها ان المجني عليه كلما كان أجل منصبا كانت الخيانة في حقه أفحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان غيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت

ط لابتداء الشرط يوم القيامة ج لانها جزاء الشرط مع العطف يظلمون ٥ نصف الجزء جهنم ط المصير ٥ صدقه ط بما تعملون ٥
والحكمة ج لمكان العطف بين ٥ (١٢٤) مثلها ج -لان استفهام الانكار دخل على فلم هذا ط أنفسكم ط قدير ٥ وليعلم
المؤمنين ٥ لانا قوا ج لاحتمال العطف والاستئناف والوصل أولى على تقدير وقد قيل لهم أو ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستئناف في قلوبهم ط يكتمون ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون أو خبر مبتدأ محذوف ماقتلوا ط صادقين ٥ أمواتا ط عند ربهم ص يرزقون ٥ لاان فرحين حالهم من فضله لا العطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنون ٥ م للآية واستئناف الفعل اذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة تحتمل اعتراضية المؤمنين ٥ ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره الذين أحسنوا أو نصبا على المدح والاول أوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق والوصل أولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل ٥ سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ٥ أولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بقصد ذكر التخويف مؤمنين ٥ * التفسير هذا حكم من أحكام الجهاد وأصل الغلول أخذ الشيء في خفية يقال أغل الجازر والسالخ اذا أبقى في الجلد شيأ من اللحم ليسرقه والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغل الماء الذي يجري في أصول الشجر لانه مستتر بالأشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال أيضا هدايا الولاة غلول ولتسمعن
وقال الجوهري عمل يغل غلولا أي خان وأغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال أبو عبيدة الغلول في المغنم

بذلك تعالى ذكره أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله الذين وصف صفتهم وأخبر عن جزاء تهم على ربهم ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ومرجع جميعهم اليه لانه قد حتم الموت على جميعهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب من كذبك يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم وافتراء من افترى علي فقد كذب قبلك رسل جاؤا من الآيات والحجج من أرسلوا اليه بمثل الذي جئت من أرسلت اليه فلك فيهم اسوة تتعزى بهم ومصير من كذبك وافترى على وغيرهم ومرجعهم الى فاوفى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة كما قال جل ثناؤه وانما توفون أجوركم يوم القيامة يعني أجور أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فمن زحزح عن النار يقول فمن نحي عن النار وأبعد منها فقد فاز يقول فقد نجا وظفر بحاجته يقال منه فاز فلان بطلبته يفوز فوزا ومفازا ومفازة اذا ظفر بها وانما معنى ذلك فمن نحي عن النار فابعد منها وأدخل الجنة فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور يقول وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها الا متاع الغرور يقول الا متعة تمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فانتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره يقول تعالى ذكره ولا تركنوا الى الدنيا فتسكنوا اليها فانما أنتم منها في غرور وتمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون وقد روي في تأويل ذلك ما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جرير عن الاعمش عن بكر بن الاخنس عن عبد الرحمن بن سابط في قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال كزاد الراعي تزوده الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن فكان ابن سابط ذهب في تأويله هذا الى أن معنى الآية وما الحياة الدنيا الا متاع قليل لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره وهذا التأويل وان كان وجها من وجوه التأويل فان الصحيح من القول فيه هو ما قلنا لان الغرور انما هو الخداع في كلام العرب واذ كان كذلك فلا وجه لصرفه الى معنى القلة لان الشيء قد يكون قليلا وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور وأما الذي هو في غرور فلا القليل يصلحه ولا الكثير مما هو منه في غرور والغرور مصدر من قول القائل غرني فلان فهو يغرني غرورا بضم الغين وأما اذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ القول في تأويل قوله (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) يعني بذلك تعالى ذكره لتبلون في أموالكم لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم يعني وجع لاك الاقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني من اليهود وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة وما أشبه ذلك من افترائهم على الله ومن الذين أشركوا يعني النصارى أذى كثيرا والاذى من اليهود ما ذكرنا ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وما أشبه ذلك من كفرهم بالله وان تصبروا وتتقوا يقول وان تصبروا على الامر الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته وتتقوا يقول وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا في ذلك بطاعته فان ذلك من عزم الامور يقول فان ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمر كم به وقيل ان ذلك كله نزل في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع كالذي حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة في قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم

يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع

الله يقرؤن واذ أخذ ربك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم قال من النبيين على قومهم حدثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذ أخذ الله ميثاق النبيين قال فقال أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم وأما قوله لتبيننه للناس فانه كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثني أبي قال ثنا محمد بن ذكوان قال ثنا أبو نعامة السعدي قال كان الحسن يفسر قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ليتكلمن بالحق وليصدقنه بالعمل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه بالتاء وهي قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب بمعنى قال الله لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرأ ذلك آخرون ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا على وجه الخبر الغائب لانهم في وقت اخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم كانوا غير موجودين فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب والقول في ذلك عندنا انهما قراءتان صحيحتا وجوههما مستفيضتان في قراءة الاسلام غير مختلفتي المعاني فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك غير أن الامر في ذلك وان كان كذلك فان أحب القراءتين الى ان أقرأ بهما ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا استدلالا بقوله فنبذوه انه اذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله فنبذوه حتى يكون متسقا كله على معنى واحد ومثال واحد ولو كان الاول بمعنى الخطاب لكان أن يقال فنبذتموه وراء ظهوركم أولى من أن يقال فنبذوه وراء ظهورهم وأما قوله فنبذوه وراء ظهورهم فانه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به وقد بينا المعنى الذي من أجله قيل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يحيى بن أيوب البجلي عن الشعبي في قوله فنبذوه وراء ظهورهم قال انهم قد كانوا يقرؤنه انما نبذوا العمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فنبذوه وراء ظهورهم قال نبذوا الميثاق حدثني محمد بن سنان قال ثنا عثمان بن عمر وقال ثنا مالك بن مغول قال نبئت عن الشعبي في هذه الآية فنبذوه وراء ظهورهم قال قذفوه بين أيديهم وتركوا العمل به وأما قوله واشتروا به ثمنا قليلا فان معناه ما قلنا من أنهم أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واشتروا به ثمنا قليلا أخذوا طمعا وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فبئس ما يشترون يقول فبئس الشراء يشترون في تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فبئس ما يشترون قال تبديل اليهود التوراة ۞ القول في تاويل قوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) اختلف أهل التأويل في تاويل قوله ذلك فقال بعضهم عني بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا العدو فاذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل ابن عسكر وابن عبد الرحيم البرقي قالا ثنا ابن أبي مريم قال ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير قال ثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله واذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل

فنزلت مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في أداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يترك ذلك فقيل ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس أو رهبة عنهم ومن غل يات بما غل يوم القيامة أكثر المفسرين أجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكاة يوم يحمى عليها في نار جهنم وبدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشئ في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق ناقة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن أحملها طيبة الريح خفيفة الحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك وقتئذ يكون أنتن من الجيفة وأثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال أمره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة وقال أبو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرر عليه يوم القيامة ويجازيه

لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير مختص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا

كانوا فى غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ أمرا ونائبة مما يحزن أى ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب أكفرت الرجل جعلته كافرا أو نسبته الى الكفر قال الفتيبى لو كان هذا هو المراد لقيل يغل كما يقال يفسق ويكفر والاولى أن يقال هو

من أغللته أى وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبى أن يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان أغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقد طعن بعضهم فى هذه القراءة وقال ان أكثر ما جاء من هذا القبيل فى التنزيل أسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان لنا أخذ أخاه ما كان لنفس أن تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى أبو عبيدة عن يونس انه قال ليس فى الكلام ما كان لك أن تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روى انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن فى يده غلها رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما أسباب النزول أكثرها يروى انه لما حرت قسمة الغنيمة فى بعض الغزوات لما نع فجاءه قوم وقالوا ألا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل أحد ذهبا لما حبست منكم درهما آخرون انى أغللتكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان أشراف الناس طمعوا أن يخصهم النبى صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشئ زائد فنزلت وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما

بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم وهو التوراة والانجيل وانك لرسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذى أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمنا قليلا يقول وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضا منه خسيسا قليلا من عرض الدنيا ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال فبئس ما يشترون واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بهم اليهود خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة انه حدثه عن ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه الى قوله عذاب أليم يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم كان أمرهم أن يتبعوا النبى الذى يؤمن بالله وكلماته وقال اتبعوه لعلكم تهتدون فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم وايای فارهبون عاهدهم على ذلك فقال حين بعث محمدا صدقوه واتقون الذى أخبيتم عندى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس الآية قال ان الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقام رجل الى سعيد بن جبير فسأله فقال واذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود ليبيننه للناس محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال وكان فيه ان الاسلام دين الله الذى افترضه على عباده وأن محمدا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وقال آخرون عنى بذلك كل من أوتى علما بأمر الدين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم الآية هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وايا كم وكتمان العلم فان كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين كان يقال مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقال طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واع هذا رجل علم علما فعلمه وبذله ودعا اليه ورجل سمع خيرا فحفظه ووعاه وانتفع به حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال جاء رجل الى قوم فى المسجد وفيهم عبد الله بن مسعود فقال ان أخاكم كعبا يقرئكم السلام ويبشركم ان هذه الآية ليست فيكم واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال له عبد الله وأنت فاقرأه السلام وأخبره انما نزلت وهو يهودى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة بنحوه عن عبد الله وكعب وقال آخرون معنى ذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى يحيى بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله

العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه منها فحصها وغمرها وقال ان أهون أهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلى من حرها فماغه ينادي يارب وهل يعذب أحد عذابي والاوجه أن يكون عائدا الى الكل لان درجات أهل الثواب متفاوتة وكذا دركات أهل العقاب حسب تفاوت أعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب أهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة ومنها كأنه تعالى قال لا أكتفي في وصفه بان أنزهه عن الخيانة ولكني أقول ان وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم جاهلين وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل أن يعينه باقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما أن يعود الى أصل البعثة واما أن يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول أن الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح علتهم في كل حال وأيضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى أن يشرحها النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأيضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة أنوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا ينتفع بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم يضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني ان هذا الرسول بعث

الذين يفرحون بما أتوا كفروا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصوم فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال آخرون بل معنى ذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال يهود قال فرحوا بإعجاب الناس تبديلهم الكتاب وحدهم اياهم عليه ولا تملك يهود ذلك وقال آخرون معنى ذلك انهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير انه قال في هذه الآية ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال اليهود يفرحون بما أتى الله ابراهيم عليه السلام حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جبير قال ثنا شعبة عن أبي المعلى العطار عن سعيد بن جبير قال هم اليهود فرحوا بما أعطى الله تعالى ابراهيم عليه السلام وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه ففرحوا بكتمانهم ذلك اياه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة ان علقمة بن أبي وقاص أخبره ان مروان قال لرافع اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس مالكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه مما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره ان مروان بن الحكم قال لبوابه يا رافع اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن جميعا فقال ابن عباس مالكم ولهذه الآية انما نزلت في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال ابن عباس سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه ان قد أخبروه بما قد سألهم عنه فاستحمدوا بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم لمحمد والله عالم منهم خلاف ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا ان أعداء الله اليهود يهود خيبر أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فزعموا انهم راضون بالذي جاء به وانهم متابعون وهم متمسكون بضلالتهم وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا فانزل الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ان أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انا على رأيكم وهيئتكم وافأنا لكم رده كذبهم الله فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآيتين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال جاء رجل الى عبد الله فقال ان كعبا يقرأ عليك السلام ويقول ان هذه الآية لم تنزل فيكم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال أخبروه انها نزلت وهو يهودي * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية

أبلغ مما لو خص الغائب بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل ما أجمل فقال أفمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبي والفضائل أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله ربح منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله باستئال أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم أحد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول أقرب لتكون الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأواه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال العقال لا يجوز في الحكمة أن يسوى بين المسيء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصي واباحتها واهمالا للطاعات وتغييرا عنها هم درجات قيل أي لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف أعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في أنفسهم درجات لان لهم درجات وقيل المراد ذو و درجات ثم الضمير الى أي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في أهل الثواب والدركات في أهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عند ية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه أقرب لانهم متفاوتون في

الله تعالى فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هؤلاء المنافقون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لو قد خرجت خرجنا معك فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا وكذبوا ويفرحون بذلك ويرون انها حيلة احتالوا بها وقال آخرون عني بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول لهم الناس علماء وليسوا باهل علم لم يحمدوهم على هدى ولا خير ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا حدثنا ابن كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن اسحق بنحو ذلك الا انه قال وليسوا باهل علم لم يحمدوهم على هدى وقال آخرون بل عني بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بان يقال لهم أهل صلاة وصيام ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا قد جمع الله كلمتنا ولم يخالف أحد منا أحدا انه نبي وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أهل الصلاة والصيام وكذبوا بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله قال الله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال قالت اليهود بعضهم لبعض فكتب بعضهم الى بعض ان محمدا ليس بنبي فاجمعوا كلمتكم وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم ففعلوا وفرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال سعيد بن جبير بكتمانهم محمدا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هو قولهم نحن على دين ابراهيم عليه السلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فهم أهل الكتاب أنزل عليهم الكتاب فكموا بغيا الحق وحرفوا الكلام عن مواضعه وفرحوا بذلك وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فرحوا بانهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله وهم يزعمون انهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تحسبن

على واو العطف لان له صدر الكلام ولما طرف قلتم ومعقول القول انى هذا وأصابتكم فى محل الجر باضافة مثل اليه والتقدير أقلتم حين أصابتكم
ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ من أين (١٣١) أصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على

الله وتخفيفا فان قال قائل وكيف قيل وعلى جنوبهم فعطف بعلى وهى صفة على القيام والقعود وهما اسمان قيل لان فى قوله وعلى جنوبهم فى معنى الاسم ومعناه ونياما أو مضطجعين على جنوبهم فحسن عطف ذلك على القيام والقعود لذلك من المعنى كما قيل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فعطف بقوله أو قاعدا أو قائما على قوله لجنبه لان معنى قوله لجنبه مضطجعا فعطف بالقاعد والقائم على معناه فكذلك ذلك فى قوله وعلى جنوبهم وأما قوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض فانه يعنى بذلك انهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك فيعلمون انه لا يصنع ذلك الا من ليس كمثله شئ ومن هو مالك كل شئ ورازقه وخالق كل شئ ومدبره من هو على كل شئ قدير وبيده الاغناء والافقار والاعزاز والاذلال والاحياء والاماتة والشقاء والسعادة ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) يعنى بذلك تعالى ذكره ويتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا فترك ذكر قائلين اذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه وقوله ما خلقت هذا باطلا يقول لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا ولم تخلقه الا لامر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة وانما قال ما خلقت هذا باطلا ولم يقل ما خلقت هذه ولا هؤلاء لانه أراد بهذا الخلق الذى فى السموات والارض يدل على ذلك قوله سبحانك فقنا عذاب النار ورغبتهم الى ربهم فى أن يقيهم عذاب الجحيم ولو كان المعنى بقوله ما خلقت هذا باطلا السموات والارض لما كان لقوله عقيب ذلك فقنا عذاب النار معنى مفهوم لان السموات والارض أدلة على بارئها لا على الثواب والعقاب وانما الدليل على الثواب والعقاب الامر والنهى وانما وصف جل ثناؤه أولى الالباب الذين ذكرهم فى هذه الآية انهم اذا رأوا المأمورين المنهيين قالوا يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانك يعنى تنزيها لك من أن تفعل شيئا عبثا ولكنك خلقتهم لعظيم من الامر لجنة أو نار ثم فزعوا الى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره فيكونوا من أهل جهنم ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار) اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قالوا ولا يخزى مؤمن مصيره الى الجنة وان عذب بالنار بعض العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حفص الجيرى ومحمد بن بشار قالا أخبرنا المؤمل أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس فى قوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من يخلد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن ابن المسيب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هى خاصتان لا يخرج منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا قبيصة بن مروان عن الاشعث الجلى قال قلت للحسن يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة تجئ هو قال نعم حق قال قلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال فقال لى انك والله لا تستطيع على شئ ان النار أهلا لا يخرجون منها كما قال الله قال قلت يا أبا سعيد فمن دخلوا ثم خرجوا قال كانوا أصابوا ذنوبا فى الدنيا فأخذهم الله بها فادخلهم بها ثم أخرجهم بما يعلم فى قلوبهم من الايمان والتصديق به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هو من يخلد فيها وقال آخرون معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من يخلد فيها وغير مخلد فيها فقد أخزى بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن يحيى بن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فقلت له ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال وما اخزاؤه

الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبى معهم والمراد بالمصيبة واقعة أحد وبمثليها وقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل أراد نسبة الضعف فى الهزيمة لا فى عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم أيضا فى الاولى يوم أحد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد أصبتم مثليها جواب ضمنى يعنى ان أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا أصبتم منهم مثلى ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند أنفسكم وفى تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول فى أمور فى الخروج عن المدينة وكان رأيه فى الاقامة ثم فى الغسل وفى التنازع وفى مفارقة المركز وفى الاشتغال بطلب الغنيمة الثانى ما روى عن على رضى الله عنه انه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الفداء من الاسارى وأمرك ان تخيرهم بين أن يقدموا الاسارى فيضربوا أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا فأخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى أن يستشهد منا بعددهم فيقتل يوم أحد سبعون رجلا بعدد أسارى بدر يعنى هو من عند أنفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان العبد مختار فى الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله

من أنفسهم أى من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم أخذ ما يجب أخذه عنه واذا كانوا واقفين على أحواله فى الصدق والامانة كان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه أيضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابراهيم صلى الله عليه وسلم كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب لا يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من أنفسهم أى من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس أميل ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة انهما قرآ من أنفسهم بفتح الفاء أى أشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل أن يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذرية ولد اسمعيل ومضر ذرية نزار بن معد بن عدنان وخندف ذرية مضر ومدركة ذرية خندف وقريش ذرية مدركة وذرية قريش محمد صلى الله عليه وسلم وأما سائر أوصافه من قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها فى البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين كما سلف فى قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها أعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون أعم نفعا وأتم وقعا ثم لما أجاب عن نسبة النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول حكى عنهم شبهة أخرى وهى قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا وأجاب عنها بقوله قل هو من عند أنفسكم والواو فى قوله أولما أصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة أحد الا ان حرف الاستفهام قدم

قول من قال عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز انه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه لان قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية فى سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على انهم المعنيون بذلك فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وانك لى رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم فى كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالاقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقى الذى أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم اياى فى ذلك ومخالفتهم أمرى ويحبون أن يحمدهم الناس بانهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظننهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعده لاعدائه فى الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قال بمنجاة من العذاب قال أبو جعفر ولهم عذاب أليم يقول ولهم عذاب فى الآخرة أيضا مؤلم مع الذى لهم فى الدنيا معجل ۞ القول فى تأويل قوله (ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء يقول تعالى ذكره مكذبا لهم لله ملك جميع ما حوته السموات والارض فكيف يكون أيها المغترون على الله من كان ملك ذلك له فقيرا ثم أخبر جل ثناؤه انه القادر على تعجيل العقوبة لقائلى ذلك ولكل مكذب به ومفتر عليه وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ولكنه يتفضل بحلمه على خلقه فقال والله على كل شئ قدير يعنى من اهلاككم قائلى ذلك وتعجيل عقوبته لهم وغير ذلك من الامور ۞ القول فى تأويل قوله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بانه المدبر المصرف الاشياء والمسخر ما أحب وان الاغناء والافقار اليه وبيده فقال جل ثناؤه تدبر وا أيها الناس واعتبروا فيما أنشأته فخلقته من السموات والارض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم وفيما عقبت بينهم من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون فى هذا لمعاشكم وتسكنون فى هذا راحة لاجسادكم معتبر ومذكر وآيات وعظات فمن كان منكم ذا لب وعقل يعلم ان من تسبنى الى انه فقير وهو غنى كاذب مفتر فان ذلك كله بيدى أقلبه وأصرفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم فكيف ينسب فقر الى من كان كل ما به عيش ما فى السموات والارض بيده واليه أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره اذا شاء رزقه واذا شاء حرمه فاعتبروا يا أولى الالباب ۞ القول فى تأويل قوله (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا من نعت أولى الالباب والذين فى موضع خفض ردا على قوله لاولى الالباب ومعنى الآية ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذاكرين الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يعنى بذلك قياما فى صلاتهم وقعودا فى تشهدهم وفى غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية قال هو ذكر الله فى الصلاة وفى غير الصلاة وقراءة القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يسرا من الله

والعلة ان صبروا تقوالم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كانوا بهم قالوا هم الكفر يومئذ أقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدخل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم (١٣٣) والمرادانهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سود المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال أكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله أقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة ألف أو يزيدون فهذه الزيادة لاشك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يظهر القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم أي لا يتجاوز الايمان حناجرهم وهي مخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله أعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري أحوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم أو على البدل من الذين نافقوا أو مرفوع على الذم أي هم الذين أو على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في أفواههم أو قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم أحد اخوة في النسب أو في سكنى الدار أو في الجنسية في النفاق واقعة تلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن أبي وأصحابه واعترض الاصم بانه قد خرج يوم أحد فكيف وصف بالقعود في قوله وقعدوا أي والحال انهم قد قعدوا عن القتال

قول خرج مخرج المسئلة ومعناه الخبر قالوا وانما تاويل الآية والكلام ربنا انا سمعنا منادا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار لتؤتينا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة قالوا وليس ذلك على أنهم قالوا ان توفيتنا مع الابرار فانجز لنا ماوعدتنا لانهم قد علموا ان الله لا يخلف الميعاد وان ماوعد على السنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه وقال آخرون بل ذلك قول من قاله على معنى المسئلة والدعاء لله بان يجعلهم ممن آتاهم ماوعدهم من الكرامة على السن رسله لانهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ماوعدوهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم فيكون ذلك منهم مسئلة لربهم أن لا يخلف وعده قالوا ولو كان القوم انما سألوا ربهم أن يؤتيهم ماوعد الابرار لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه قالوا وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين وقال آخرون بل قالوا هذا القول على وجه المسئلة والرغبة منهم الى الله أن يؤتيهم ماوعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر والظفر بهم واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم قالوا ومحال أن يكون القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد فيرغبوا الى الله جل ثناؤه في ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في تعجيل ذلك لهم فما في تعجيله من سرور الظفر وراحة الجسد الذي هو أولى الاقوال بالصواب في ذلك عندي ان هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه ودياره مغاضبا قالا هل الشرك بالله الى الله ورسوله وغيرهم من تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا الى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم فقالوا ربنا آتنا ماوعدتنا من نصرتك عليهم عاجلا فانك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على اناءتك وحلمك عنهم فعجل حربهم ولنا الظفر عليهم يدل على صحة ذلك آخر الآية الاخرى وهو قوله فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا الآيات بعدها وليس ذلك مما ذهب اليه الذين حكيت قولهم في شئ وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال افعل بنا يا رب كذا وكذا بمعنى افعل بنا لكذا الذي ولو جاز ذلك لجاز أن يقول القائل الآخر أقبل الى وكاهني بمعنى أقبل الى لتكاهني وذلك غير موجود في الكلام ولا معروف جوازه وكذلك أيضا غير معروف في الكلام آتنا ماوعدتنا بمعنى اجعلنا ممن آتيته ذلك وان كان كل من أعطى شيأ سنيا فقد صير نظير المن كان مثله في المعنى الذي أعطيه ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك وان كان قد يؤل معناه اليه فتأويل الكلام اذا ربنا أعطنا ماوعدتنا على السن رسلك انك تعطي كلا منك كلمة الحق بتاييدنا على من كفر بك وعاداك وعبد غيرك وعجل لنا ذلك فانا قد علمنا انك لا تخلف ميعادك ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التي سلفت منا ولكن كفرها عنا واغفرها لنا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك قال يستعجز موعود الله على رسله

القول في تاويل قوله (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) يعني تعالى ذكره فاجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوه به ربهم بانى لا أضيع عمل عامل منكم عمل خير اذا كان العامل أو أنثى وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة فانزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله تذكر الرجال في الهجرة ولا تذكر فنزلت أني لا أضيع عمل عامل منكم من

والجواب أن القعود عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو أطاعونا في أمرنا اياهم بالقعود ما قتلوا لانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل أراد وا تثبيط غيرهم وذلك لما في الغياب من محبة الحياة وكراهة الموت ومن يسمع يخل فاعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود

ان الله على كل شئ قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله أن يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافى انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس أى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن محمل بين المأذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرتم المصالح فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين أى ليتميز واعن أهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير انهم شرعوا فى الاعمال اللائقة بالنفاق فى ذلك الوقت وأحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو أبو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى لما انخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس تبعهم وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله ان كان فى قلبكم حب هذا الدين أو ادفعوا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم يكن بكم هم الآخرة وطلب مرضاة الله أى كونوا من رجال الدين أو من رجال الدنيا وقال السدى وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة أحد أسباب الهيبة والرعب ثم انه كأن سائلا سأل فاذا أجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعنا كم كانهم جحدوا أن يكون بين الفريقين قتال البتة أو المراد لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان رأى عبد الله كان فى الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم فى الجواب فاسد أما الاول فلان ظهور أمارات الحرب كاف فى وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن فى أمور الدنيا قائم مقام العلم ولا امارة أقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل أحد وأما الثانى فلانه تعالى لما وعدهم النصر

حين أخزاه بالنار وان دون ذلك خزيا وأولى القولين بالصواب عندى قول جابر ان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك ان الخزى انما هو هتك ستر المخزى وفضيحته ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه اياه وذلك هو الخزى وأما قوله وما للظالمين من أنصار يقول ومالمن خالف أمر الله فعصاه من ذى نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه وينقذه من عذابه ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا انناسمعنا منادايناديا للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) اختلف أهل التأويل فى تأويل المنادى الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية فقال بعضهم المنادى فى هذا الموضع القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب انناسمعنا منادايناديا للايمان قال هو الكتاب ليس كلهم لقى النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا منصور بن حكيم عن خارجة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله ربنا انناسمعنا منادايناديا للايمان قال ليس كل الناس سمع النبى صلى الله عليه وسلم ولكن المنادى القرآن وقال آخرون بل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انناسمعنا منادايناديا للايمان قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا انناسمعنا منادايناديا للايمان قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول محمد بن كعب وهو أن يكون المنادى القرآن لان كثيرا ممن وصفهم الله بهذه الصفة فى هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولا عاينه فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ولكنه القرآن وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرا عن الجن اذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم انهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد وبنحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا انناسمعنا منادايناديا للايمان الى قوله وتوفنا مع الابرار سمعوا دعوة من الله فاجابوها فاحسنوا الاجابة فيها وصبروا عليها ينبئكم الله عن مؤمن الانس كيف قال وعن مؤمن الجن كيف قال فاما مؤمن الانس فقال انا سمعنا منادايناديا للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية وقيل انا سمعنا منادايناديا الى الايمان كما قال تعالى ذكره الحمد لله الذى هدانا لهذا بمعنى هدانا الى هذا وكما قال الراجز

أوحى لها القرآن فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

بمعنى أوحى اليها ومنه قوله بان ربك أوحى لها وقيل يحتمل أن يكون معناه انناسمعنا منادايناديا للايمان ينادى ان آمنوا بربكم فتأويل الآية اذا ربنا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان يقول الى التصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك وطاعته فيما أمر نابه ونهانا عنه مما جاء به من عندك فآمنا ربنا يقول فصدقنا بذلك يا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا خطايانا ولا تفضحنا بها فى القيامة على رؤس الاشهاد بعقوبتك اياناعليها ولكن كفرها عنا وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك اياناوتوفنا مع الابرار يعنى بذلك واقبضنا اليك اذا قبضتنا اليك فى عداد الابرار واحشرنا محشرهم ومعهم والابرار جمع برهم الذين برا الله تبارك وتعالى بطاعتهم اياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضى عنهم ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) ان قال لنا قائل وما وجه مسئلة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ماوعدهم وقد علمت ان الله منجز وعده وغير جائز أن يكون منه اخلاف موعد قيل اختلف فى ذلك أهل البحث فقال بعضهم ذلك قول

القراءة قوله وقاتلوا وقتلوا افقرأه بعضهم وقتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين وقرأ ذلك آخرون وقاتلوا وقتلوا بتشديد قتلوا بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلهم المشركون بعضا بعد بعض وقتلا بعد قتل وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا بمعنى أن بعضهم قتل وقاتل من بقي منهم والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها احدى هاتين القراءتين وهي وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف أو وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا لانها القراءة المنقولة نقل وراثة وما عداهما فشاذ وبايهاتين القراءتين التي ذكرت أني لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارئ فمصيب في ذلك الصواب من القراءة لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراءة الاسلام مع اتفاق معنييهما

القول في تاويل قوله (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد) يعني بذلك جل ثناؤه ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد يعني تصرفهم في الارض وضربهم فيها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يقول ضربهم في البلاد فنهى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم في البلاد وامهال الله اياهم مع شركهم وجحودهم نعمه وعبادتهم غيره وخرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى به غيره من اتباعه وأصحابه كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله ولكن كان بامر الله صادعا والى الحق داعيا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والله ما غر وانبي الله ولا وكل اليهم شيأ من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك وأما قوله متاع قليل فانه يعني أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها متعة يتمتعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم فتختر مهم منايانهم ثم ماواهم جهنم بعد مماتهم والمأوى المصير الذي يأوون اليه يوم القيامة فيصيرون فيه ويعني بقوله وبئس المهاد وبئس الفراش والمضجع جهنم

القول في تاويل قوله (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار) يعني بذلك جل ثناؤه لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار يعني أن الذين اتقوا الله باطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه لهم جنات يعني بساتين تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا نزلا من عند الله يعني انزالا من الله اياهم فيها أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار كما يقال لك عندي الله جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا وكما يقال هو لك صدقة وهو لك هبة وقوله من عند الله يعني من قبل الله ومن كرامة الله اياهم وعطاياه لهم وقوله وما عند الله خير للابرار يقول وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فان الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وما عند الله خير من كرامته للابرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وما عند الله خير للابرار قال لمن يطيع الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود عن عبد الله قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها ثم قرأ عبد الله وما عند الله خير للابرار وقرأ هذه الآية ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن أبي جعفر عن فرج بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير له وما من كافر الا والموت خير له ومن لم يصدقني فان الله يقول وما عند الله خير للابرار ويقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم

من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحياة ان أجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روى انه لما أراد معاوية أن يجري العين الى قبور الشهداء أمر بان ينادى من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب المسحاة أصبع رجل منهم فانقطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون أحياء والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب أولى وبانه نهى عن حسبانهم أمواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم أحياء في الحال لا اعتقاد انهم أحياء في القيامة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن ابن عباس ان أرواحهم في أجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لابد أن يكون قبل يوم القيامة وذهب كثير من المحققين الى انهم أحياء في الحال لكن بحياة روحانية وان أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان أجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من أول عمره الى آخره والباقي مغاير المتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع أعضائه وأجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا سار يا أو جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا أو أماته الله فيعيده حيا وهذا يثبت

ونحو طبعه عن الجهاد فأجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغير من أسباب النجاة وفيه استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا دافعين لاسباب الموت فادفعوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا

ذكر أو أنثى الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول قالت أم سلمة يا رسول الله لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشئ فأنزل الله تبارك وتعالى والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشئ فأنزل الله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض وقيل فاستجاب بمعنى فأجابهم كما قال الشاعر

وداع دعانا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

بمعنى فلم يجب عند ذاك مجيب وأدخلت من في قوله من ذكر أو أنثى على الترجمة والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث وليست من هذه بالتي يجوز اسقاطها وحذفها من الكلام في الجحد لانها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام الا به وزعم بعض نحوي البصرة انها دخلت في هذا الموضع كما تدخل في قولهم قد كان من حديث قال ومن ههنا أحسن لان النهي قد دخل في قوله لا أضيع وأنكر ذلك بعض نحوي الكوفة وقال لا تدخل من وتخرج الا في موضع الجحد وقال قوله لا أضيع عمل عامل منكم لم يدركه الجحد لانك تقول لا أضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت فيدخل ولا لانه لم ينله الجحد ولكن من مغسرة وأما قوله بعضكم من بعض فانه يعني بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم من بعض في النصرة والمسئلة والدين وحكمهم جميعكم فيما أتاكم فاعمل على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى ۞ القول في تأويل قوله (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) يعني بقوله جل ثناؤه فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله الى اخوانهم من أهل الايمان بالله والتصديق برسوله وأخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة وأوذوا في سبيلي يعني وأوذوا في طاعتهم ربهم وعبادتهم اياه مخلصين له الدين وذلك هو سبيل الله التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها وقتلوا يعني وقتلوا في سبيل الله وقاتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحونها عنهم ولا تفضلن عنهم بعفوي ورحمتي ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا يعني جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وسبيله من عند الله يعني من قبل الله لهم والله عنده حسن الثواب يعني ان الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صرفه وذلك مالا يبلغه وصف واصف لانه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا اخطر على قلب بشر كما حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال ثني عمرو بن الحرث ان أبا عشانة المعافري حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ثلاثة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واختلفت

يارب فأبلغ من وراءنا فنزلت وقال جماعة من أهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان أولياء الشهداء الذراء كانوا اذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية تنفيسا عنهم

ولما مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان القتل أمر مكروه يجب على العاقل أن يحترز منه لو أمكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا والخطاب للرسول أو لكل أحد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول أو المراد لا يحسبن حاسب أو لا تحسبنهم أمواتا وضمير المفعول للذين قتلوا أي لا تحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكور كلاهما كما حذف المبتدأ في قوله بل أحياء أي هم أحياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انافي الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي أراك مهتما قلت يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا فقال يا عبدي سلني أعطك فقال أسألك ان تردني الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال

الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيأ وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان أكثر من ذلك كما سيكون في القيامة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وأفضى الامر الى الالجاء وهو السر في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وأما الشهداء فلا يبعد أن يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي أن يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبه ثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله أعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذو وكرامة كقوله فالذين عند ربك أو المراد بحيث لا يملك أحد سوى ربهم أو المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال

بما جاءهم به من عند الله بعد الذي كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده في الكتابين التوراة والانجيل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية وان من أهل الكتاب التوراة والانجيل ان يؤمن بالله فيقر بوحدانيته وما أنزل اليكم أيها المؤمنون يقول وما أنزل اليكم من كتبه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليهم يعني وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب وذلك التوراة والانجيل والزبور خاشعين لله يعني خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد في قوله خاشعين لله قال الخاشع المتذلل لله الخائف ونصب قوله خاشعين لله على الحال من قوله لمن يؤمن بالله خاشعين لله وهو حال مما في يؤمن من ذكر من لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يقول لا يحرفون ما أنزل اليهم في كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدلونه ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه لعرض من الدنيا خسيس يعطونه على ذلك التبديل وابتغاء الرياسة على الجهال ولكن ينقادون للحق فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل اليهم من كتبه وينتهون عما نهاهم عنه فيها ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم ۞ القول في تأويل قوله (أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) يعني بذلك جل ثناؤه أولئك لهم أجرهم هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم لهم أجرهم عند ربهم يعني لهم عوض أعمالهم التي عملوها وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم يعني مدخور ذلك لهم لديه حتى يصيروا اليه في القيامة فيوفيهم ذلك ان الله سريع الحساب يوسرعة حسابه تعالى ذكره أنه لا يخفى عليه شئ من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد ذلك فيقع في الاحصاء ابطال فلذلك قال ان الله سريع الحساب ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن انه سمعه يقول في قول الله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قال أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا أي اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا في سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا يقول صابروا المشركين ورابطوا في سبيل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اصبروا على الطاعة وصابروا أعداء الله ورابطوا في سبيل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدو ورابطوهم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا وعدي اياكم على طاعتكم لي ورابطوا أعداءكم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول في هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا يقول اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدتكم ورابطوا عدوي وعدوكم حتى يترك دينه لدينكم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على الجهاد وصابروا أعدوكم ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا على عدوكم حدثني المثنى قال ثنا مطرف بن عبد

عذاب القبر وثوابه وتزول الشبهات ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد أحوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة أحدهما مقتضية لضعف الآخر كما ان البدن يضعف وقت (١٣٦) النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا أعرضت النفس

عن الطعام والشراب وأقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا واطلعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وأكثر أرباب الشرع على انهم أحياء في الحال بحياة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد أجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله أهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الغلاة من أن النفس تنقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ أو تتألم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة أو بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي أقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع أن يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء وأعمال الجوارح والآلات وبعد الموت تجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس أحدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى أن تقوم القيامة

ليزدادوا اثما ۞ القول في تأويل قوله (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أصحمة النجاشي وفيه أنزلت ذكر من قال ذلك حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا فصلوا على أخ لكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشي أصحمة فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فانزل الله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخا كم النجاشي قد مات فصلوا عليه قالوا يصلي على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا فانه كان لا يصلي الى القبلة فانزل الله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وصدقوا به قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشي وصلى عليه حين بلغه موته قال لاصحابه صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم فقال أناس من أهل النفاق يصلي على رجل مات ليس من أهل دينه فانزل الله هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم قال نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم واسم النجاشي أصحمة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبد الرزاق وقال ابن عيينة اسم النجاشي بالعربية عطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي طعن في ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية وان من أهل الكتاب يؤمن بالله الى آخر الآية وقال آخرون بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعني هذه الآية في عبد الله بن سلام ومن معه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد في قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية كلها قال هؤلاء يهود وقال آخرون بل عنى بذلك مسلمة أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد وذلك ان الله جل ثناؤه عم بقوله وان من أهل الكتاب أهل الكتاب جميعا فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى وانما أخبر ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وكلا الفريقين أعني اليهود والنصارى من أهل الكتاب فان قال قائل فما أنت قائل في الخبر الذي رويت عن جابر وغيره انها نزلت في النجاشي وأصحابه قيل ذلك خبر في اسناده نظر ولو كان صحيحا لا شك فيه لم يكن لما قلنا في معنى الآية خلاف وذلك ان جابرا ومن قال بقوله انما قالوا نزلت في النجاشي وقد تنزل الآية في الشيء ثم يعم بها كل من كان في معناه فالآية وان كانت نزلت في النجاشي فان الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي حكما لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي في اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق

نعيم الابد وتجمعوا فى طلبتكم عنده كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول فى قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا التقيتم فى آخر تفسير سورة آل عمران القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) قال أبو جعفر يعنى بقوله تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة احذروا أيها الناس ربكم فى أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به ثم وصف تعالى ذكره نفسه بانه المتوحد بخلق جميع الانام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس الواحدة ومنبههم بذلك على ان جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وان بعضهم من بعض وان حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الاخ على أخيه لاجتماعهم فى النسب الى أب واحد وأم واحدة وان الذى يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وان بعد التلاقى فى النسب الى الاب الجامع بينهم مثل الذى يلزمهم من ذلك فى النسب الادنى وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا وليبذل القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله فقال الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى من آدم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى اما خلقكم من نفس واحدة فمن آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم ونظيرة قوله من نفس واحدة والمعنى به رجل قول الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى وهو يريد الرجل فانث اللفظ الخليفة وقال تعالى ذكره من نفس واحدة لتأنيث النفس والمعنى من رجل واحد ولو قيل من نفر واحد وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صوابا

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) يعنى بقوله جل ثناؤه وخلق منها زوجها وخلق من النفس الواحدة زوجها يعنى بالزوج الثانى لها وهو فيما قال أهل التأويل امرأته حواء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وخلق منها زوجها قال حواء من قصيرى آدم وهو نائم فاستيقظ فقال أنا بالنبطية امرأة حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلق منها زوجها يعنى حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه حدثنى موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال اسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت تسكن الى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولام مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما

أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال أبو بكر الاصم نزلت فى يوم أحد لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى أخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة أخيها فقالت قد بلغنى ما فعل به وذلك يسير فى جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة أخرى قد قتل زوجها وأبوها وأخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حى قالت ان كل مصيبة بعدك نزر وأما الثانية فروى ابن عباس ان أبا سفيان لما عزم أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى القابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذاك ان شاء فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب فى قلبه فبداله ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأى أتوكم فى دياركم وقراركم فقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن اليهم وحدى فخرج فى سبعين

و يستبشرون بالذين يأخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم يقولون بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم أى لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيامة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة أن يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبيه تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان أعلمهم أمن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سرور ان من قبل حالهم فى أنفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم وأعزتهم وذلك قوله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهى الثواب وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة أنفسهم وان الله أى و بان الله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة أحد تعرف أولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى أما الاولى فلما روى ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد أن يرهب الكفار و يريهم من نفسه ومن أصحابه قوتهم فندب أصحابه الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقال لا أريد الآن أن يخرج معى الا من حضر يومنا بالامس فخرج فى سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شىء قدير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا انا سمعنا منادى ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

الله المرى قال ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب فذكر له جوعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر أما بعد فانه مهما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله يقول فى كتابه يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال آخرون معنى ذلك ورابطوا أى رابطوا على الصلوات أى انتظروها واحدة بعد واحدة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ثنى داود بن صالح قال قال أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخى هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قال قلت لا قال انه يا ابن أخى لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن جده عن شرحبيل عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا اسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط حدثنا موسى بن سهل الرملى قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن مهاجر قال ثنى يحيى بن يزيد بن أبى أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يكفر به الذنوب قال قلنا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء فى أماكنها وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال فى ذلك يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم وذلك ان الله لم يخصص من معانى الصبر على الدين والطاعة شيأ فيجوز اخراجه من ظاهر التنزيل فلذلك قلنا انه عنى بقوله اصبروا الامر بالصبر على جميع معانى طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها وصابروا يعنى وصابروا أعداءكم عن المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان المعروف من كلام العرب فى المفاعلة أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد الا قليلا فى أحرف معدودة واذ كان ذلك كذلك فانما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يظفرهم الله بهم و يعلى كلمته و يخزى أعداءهم والا يكن عدوهم أصبر منهم وكذلك قوله ورابطوا معناه ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك فى سبيل الله وأرى ان أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم ثم استعمل ذلك فى كل مقيم فى ثغر يدفع بمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء و يحمى عنهم من بينه و بينهم ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها أو ذا رجلة لا مركب له وانما قلنا معنى ورابطوا ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم لان ذلك هو المعنى المعروف من معانى الرباط وانما توجه الكلام الى الاغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه دون الخفى حتى يأتى بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفى من معانيه بحجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو اجماع من أهل التأويل ۞ القول فى تأويل قوله لعلكم تفلحون يعنى بذلك تعالى ذكره واتقوا الله أيها المؤمنون واحذروه أن تخالفوا أمره وتتقدموا نهيه لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا واتقبقوا فى

بظاهر على مكنى فى الخفض الافى ضرورة شعر وذلك لضيق الشعر وأما الكلام فلا شئ يضطر المتكلم الى اختياره المكروه من المنطق والردى فى الاعراب منه وبما جاء فى الشعر من رد ظاهر على مكنى فى حال الخفض قول الشاعر

تعلق فى مثل السوارى سيوفنا * وما بينها والكعب غوط تعانق

فعطف بالكعب وهو ظاهر على الهاء والالف فى قوله بينها وهى مكنية * وقال آخرون تاويل ذلك واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان تقطعوها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله واتقوا الارحام لا تقطعوها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله وصلوا الارحام فانه اتقى لكم فى الدنيا وخير لكم فى الآخرة حدثنى على ابن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قول الله اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوه فى الارحام حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة فى قول الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم حدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذى تساءلون به والارحام قال يقول اتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا المثنى قال ثنا اسحق عن عبد الرحمن بن أبى حماد أخبرنا أبو جعفر الرازى عن جويبر عن الضحاك ان ابن عباس كان يقرأ والارحام يقول اتقوا الله لا تقطعوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اتقوا الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أن تقطعوها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها هلو قرأ الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل قال أبو جعفر وعلى هذا التاويل قرأ ذلك من قرأه نصبا بمعنى واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها عطفا على الارحام فى اعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره قال والقراءة التى لا نستجيز القارئ أن يقرأ غيرها فى ذلك النصب واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام بمعنى واتقوا الارحام أن تقطعوها لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الاسماء على مكنى فى حال الخفض الافى ضرورة شعر على ما قد وصفت قبل ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله كان عليكم رقيبا) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ان الله لم يزل عليكم رقيبا يعنى بقوله عليكم على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه يا أيها الناس اتقوا ربكم الخاطب

الآخرة لم يحسبهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب ونهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضل ربهم ورحمته عليهم ولم ينج أحدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف أحدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم المثبط هو الشيطان لعنه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف أولياءه أو الشيطان صفة اسم الاشارة وهذا الجملة خبر والمفعول الاول محذوف أى يخوفكم أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم أولياء المثبطين والاولياء هم أبو سفيان وأصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وأبو على وزيفه ابن الانبارى بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبى * التاويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فلا يمتنع ان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تجمله اذا قة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا

واكارهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهى ماء لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا

كشف عنه السنة توهب من نومتها آها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحى ودمى وز وجنى فسكن اليها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وخلق منها زوجها جعل من آدم حواء وأما قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فانه يعنى ونشر منهما يعنى من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء قد رآهم كما قال جل ثناؤه كالفراش المبثوث يقال منه بث الله الخلق وأبثهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وبث خلق

القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة تساءلون بالتشديد بمعنى تتساءلون ثم أدغم احدى التاءين فى السين فجعلهما سينا مشددة وقرأه بعض قراء الكوفة تساءلون بالتخفيف على مثال تفاعلون وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان أعنى التخفيف والتشديد فى قوله تساءلون به وباى ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه لان معنى ذلك باى وجهيه قرئ غير مختلف وأما تاويله واتقوا الله أيها الناس الذى اذا سأل بعضكم بعضا سأل به فقال السائل للمسؤل أسألك بالله وأنشدك بالله وأعزم عليك بالله وما أشبه ذلك يقول تعالى ذكره فكما تعظمون أيها الناس ربكم بالسنتكم حتى تروا ان من أعطاكم عهده فاخفركموه أتى عظيما فكذلك فعظموه بطاعتكم اياه فيما أمركم واجتنابكم ما نهاكم عنه واحذروا عقابه من مخالفتكم اياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به قال يقول اتقوا الله الذى تعاقدون وتعاهدون به حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وا تقوا الله الذى تساءلون به يقول اتقوا الله الذى به تعاقدون وتعاهدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تساءلون به قال تعاطفون به وأما قوله والارحام فان أهل التأويل اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معناه واتقوا الله الذى اذا سأل بعضكم بعضا سأل به وبالرحم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذى تعاطفون به والارحام يقول الرجل يسئل بالله وبالرحم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال هو كقول الرجل أسألك بالله أسألك بالرحم يعنى قوله اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم هو كقول الرجل أسألك بالرحم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن منصور ومغيرة عن ابراهيم فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أسألك بالله والرحم حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الحسن قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم قال محمد وعلى هذا التاويل قول بعض من قرأ قوله والارحام بالخفض عطفا بالارحام على الهاء التى فى قوله به كانه أراد واتقوا الله الذى تساءلون به وبالارحام فعطف بظاهر على مكنى مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لانها لا تنسق

وأما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق قلنا ويلزمه ان الزيادة فوقعت فى ثمرات الايمان ولكنها جعلت فى الايمان بظاهر مجازا وقدم تحقيق الكلام لنا فى هذا المعنى فى أوائل الكتاب وكانهم أضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وانقوا الخليل عليه السلام حين ألقى فى

فما التبدل الذى قال جل ثناؤه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولم يبدل الآخذ مكان الماخوذ بدلا وأما الذى قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجىء الحلال فانه مما أيضا ان لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذى روى عن ابن مسعود انه قال ان الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها فتفسده تغيير فساد قول ابن زيد لان من استعجل الحرام فاكله ثم آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدل شيأ مكان شئ وان كان أراد بذلك ان الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجىء الحلال فيكون أكلهم ذلك سببا لحرمان الطيب منه فذلك وجه معروف ومذهب معقول يحتمله التاويل غير أن الاشبه فى ذلك بتاويل الآية ما قلنا لان ذلك هو الاظهر من معانيه لان الله جل ثناؤه انما ذكر ذلك فى قصة أموال اليتامى وأحكامها فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية فاخرجها من أن يكون من غير جنسه ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ولا تخلطوا أموالهم يعنى أموال اليتامى باموالكم فتاكلوها مع أموالكم كما حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم يقول لا تاكلوا أموالكم وأموالهم تخلطوها فتاكلوها جميعا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن مبارك عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية فى أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولى اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم قال فخالطوهم واتقوا ۞ القول فى تاويل قوله (انه كان حوبا كبيرا) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره انه كان حوبا كبيرا ان أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير والهاء فى قوله انه دالة على اسم الفعل أعنى الاكل وأما الحوب فانه الاثم يقال منه حاب الرجل يحوب حوبا وحوبا وحوبة ويقال منه قد تحوب الرجل من كذا اذا تأثم منه ومنه قول أمية بن الاسكر الليثى

وان مهاجرين تكنفاعدا * نبيذ القد خطيا وحابا

ومنه قيل نزلنا بحوبة من الارض وبحيبة من الارض اذا نزلوا بموضع سوء منها والكبير العظيم فمعنى ذلك ان أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم اثم عند الله عظيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله حوبا كبيرا قال اثما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله انه كان حوبا كبيرا قال اثما عظيما حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كان حوبا أما حوبا فاثما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله حوبا قال اثما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حوبا كبيرا يقول ظلما كثيرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله انه كان حوبا كبيرا قال ذنبا كبيرا وهى لاهل الاسلام حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول حوبا كبيرا قال اثما والله عظيما ۞ القول فى تاويل قوله (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) قال أبو جعفر اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وان خفتم يا معشر أولياء اليتامى أن لا تقسطوا فى صداقهن فتعدلوا فيه وتبلغوا

بما تعملوا به يوم القيامة وتصيروا الى السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس

بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) القراآت ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه ومثله ليحزننى وليحزن الذين آمنوا وقرأ يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف فى مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم رفع يحسبن وثلاثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء فى تحسبنهم أبو عمرو وابن كثير وقرأ حمزة كلها بتاء الخطاب وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاولى على الغيبة والاخرى بالخطاب بميزا بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب عباس مخيرا الباقون بخفيف بفتح الباء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو لقد سمع وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام

لا تبلى أجسادكم منهم وتبقى غضة طرية وكلهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا أجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا أنفسهم بسيوف الرياضات ومطارف الاذكار وأسنة السنة الطاعنين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج بالبيت قوى يعلمون بما غفر لربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي جاء فيه ان أرواحهم في أجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن أن يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى وأما كون الطير خضراء فالالوان بدن الميت يميل الى الخضرة واما أن يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما الان حالهم بالنسبة الى ما سؤل اليه أهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير والتاويل وأرجو أن أكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله أعلم بمرادهما (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون

والغائب اذا اجتمعا في الخبر فان العرب تخرج الكلام على الخطاب فتقول اذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة فعلت هي وآخرون غيب معهم فعلا فعلتم كذا وصنعتم كذا ويعني بقوله رقيبا حفيظا محصيا عليكم أعمالكم متفقدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم اياها وقطعكموها وتضييعكم حرمتها كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان الله كان عليكم رقيبا حفيظا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد في قوله ان الله كان عليكم رقيبا على أعمالكم يعلمها ويعرفها ومنه قول أبي دؤاد الايادي * كمقاعد الرقباء للصريا * أيديهم نواهد في القول في تاويل قوله (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى يقول لهم وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم اذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يقول ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحلال بالحرام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال مكان الحلال الحرام قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التاويل في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب الذي نهوا عنه ومعناه فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه ويجعلون مكانه لليتيم الردىء والخسيس فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعط زيفا وتاخذ جيدا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ومعمر عن الزهري قال يعطى مهزولا ويأخذ سمينا وبه عن سفيان عن رجل عن الضحاك قال لا تعط فاسدا وتاخذ جيدا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة بشاة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم وقال آخرون معنى ذلك لا تستعجل الرزق الحرام فتاكله قبل أن يأتيك الذي قدر لك من الحلال ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قدر لك وبه عن سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح مثله وقال آخرون معنى ذلك كالذي حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار يأخذه الاكبر وقرأ وترغبون أن تنكحوهن قال اذا لم يكن لهم شيء والمستضعفين من الولدان لا تورثوهم قال فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذي أخذه خبيث * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل الآية قول من قال تاويل ذلك ولا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الاوصياء الحرام عليكم الخبيث لكم فتاخذوا رفائعها وخيارها وجيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم الردىء الخسيس بدلا منه وذلك أن تبدل الشيء بالشيء في كلام العرب أخذ شيء مكان آخر غيره يعطيه الماخوذ منه أو يجعله مكان الذي أخذ فاذ كان ذلك معنى التبديل والاستبدال فمعلوم ان الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك هو أخذ الكبير ولد الميت جميع مال ميته ووالده دون صغار هم الى ماله قول لا معنى له لانه اذا أخذ الاكبر من ولده جميع ماله دون الاصاغر منهم فلم يستبدل مما أخذ شيئا

لطالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه أحد وقيل ان قوما من الكفار أسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر به ونصر بعضهم هذا القول بان المسارعة وهي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة انما يليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم أحبط وبان الحزن انما يكون على فوات أمر مقصود وذلك هو ما قدر النبي من الانتفاع بايمانهم وانتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى أنه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهي نبي الله عن ذلك فالجواب أنه نهي عن الاسراف في الحزن بحيث يأتي عليه ونظيره لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أو المراد لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله أي دينه شيأ من الضرر يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتخصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم أنه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف ألبتة ثم أنزل في اليهود خاصة وهو الاشبه أو في الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كأنه قيل ان أكثرهم ينازعونك في الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو أن يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الآخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال كان الرجل يتزوج الاربع والخمس والستة والعشر فيقول الرجل ما يمنعني ان أتزوج كما تزوج فلان فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به فنهوا أن يتزوجوا فوق الاربع حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس قال قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فان الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى فنهى الله عن ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك ان القوم كانوا يتحوبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها ولا يتحوبون في النساء ألا يعدلوا فيهن فقيل لهم كما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تنكحوا منهن الا من واحدة الى الاربع ولا تزيدوا على ذلك وان خفتم أن لا تعدلوا أيضا في الزيادة عن الواحدة فلا تنكحوا الا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كان الناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه قال فذكروا اليتامى فنزلت وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في النساء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى أيمانكم كانوا يشددون في اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح أحدهم التسوة فلا يعدل بينهن فقال الله تبارك وتعالى كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى الاربع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حتى بلغ أدنى ألا تعولوا يقول كما خفتم الجور في اليتامى هكذا فكذلك فخافوا في جمع النساء وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك فاحل الله جل ثناؤه أربعا الذي صيرهن الى أربع قوله مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن تعدلوا فواحدة وان خفت أن لا تعدل في أربع فثلاث والا فثنتين والا فواحدة وان خفت أن لا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد ابن جبير قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فخافوا في النساء مثل الذي خفتم في اليتامى أن لا تقسطوا فيهن حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال جاء الاسلام والناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ فيتبعوه أو ينهوا عن شئ فيجتنبوه حتى سألوا عن اليتامى فانزل الله تبارك وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع حدثنا المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال بعث الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه وكانوا يسألونه عن اليتامى فانزل الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع قال فكما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى فخافوا أن لا تقسطوا وتعدلوا في النساء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله من صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كانوا في الجاهلية ينكحون عشرا

بصداقهن صدقات أمثالهن فلا تنكحوهن ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحللن لكم وطيبهن من واحدة الى أربع وان خفتم أن تجوروا اذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بادنى من سنة صداقها فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه ماله وجماله فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سبيلهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال يقول اتركوهن فقد أحللت لكم أربعا حدثنا الحسن بن الجنيد وأبو سعيد بن مسلمة قالا أنبأنا اسمعيل بن أمية عن ابن شهاب عن عروة قال سألت عائشة أم المؤمنين فقلت يا أم المؤمنين أرأيت قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بادنى من سنة صداق نسائها فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن الا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء ان لم يكملوا لهن الصداق حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني يونس عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثل حديث يونس عن ابن وهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة مثل حديث ابن حميد عن ابن المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت نزل يعني قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية في اليتيمة تكون عند الرجل وهي ذات مال فلعله ينكحها لمالها وهي لا تجبه ثم يضربها ويسيء صحبتها فوعظ في ذلك * قال أبو جعفر فعلى هذا التأويل جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا قوله فانكحوا وقال آخرون بل معنى ذلك النهي عن نكاح ما فوق الاربع حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل فاذا صار معدما مال على مال يتيمه الذي في حجره فانفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك وقيل لهم ان أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم اليها ما يلزمكم من مؤن نسائكم فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع وان خفتم أيضا من الاربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ويكون عنده الايتام فيذهب ماله فيميل على مال الايتام قال فنزلت هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى

سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة بجزء الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم والزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام (١٤٤) الباقون بغير اعادة الخافض فيهما وخرج عن مدغما شجاع وأبو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير رويس وأبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم * الوقوف في الاخرج للابتداء بان ولاحتمال اعمال اللام أو الغاء شيئا ط في الآخرة ج لعطف المختلفتين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ه شيئا ج لما ذكر في الآخرة ط أليم ه لانفسهم ط اثما ج لما ذكر أيضا لهين ه من الطيب ط ورسله ط عظيم ه خيرا لهم ط شرا لهم ط القيامة ط والارض ط خبيرا ه أغنياء م لئلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرأ بضم الياء فوقف مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله أو يقول الزبانية فلا يتعلق على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق ه للعبيد ج لاحتمال الصفة وأن يكون المراد هم الذين والوقف أولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا لا العبيد الموصوفة نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله الناوط صادقين ه المنير ه الموت ط يوم القيامة ط لابتداء شرط في أمر معظم فقد فاز ظ الغرور ه كثيرا ط الامور ه ولا تكتمونه زلان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يضف الى ظرفه اذ قليلا ط يشترون ه مع العذاب ج لما ذكر أليم ه والارض ط قدير ه * التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم وأباح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها فانكحوا

وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا

من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر فيكون ذلك أقرب لكم الى السلامة من الاثم والجور وفى الكلام اذ كان المعنى ما قلنا متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره وذلك ان معنى الكلام وان خفتم ألا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء اللاتى أوجبها الله عليكم فلا تتزوجوا منهن الا ما أمنتم معه الجور من اثنى وثلاث ورباع وان خفتم أيضا من ذلك فواحدة وان خفتم فى الواحدة فما ملكت أيمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء بدلالة ما ظهر من قوله تعالى فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان قال قائل فاين جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قيل قوله فانكحوا ما طاب لكم غيران المعنى الذى يدل على المراد بذلك ما قلنا ٧ قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الاقساط فى كلام العرب العدل والانصاف وأن القسط الجور والحيف بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما اليتامى فانها جمع ذكر ان الايتام وانا ثهم فى هذا الموضع وأما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانه يعنى فانكحوا ما حل لكم منهن دون ما حرم عليكم منهن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما حل لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما حل لكم فان قال قائل وكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فانكحوا من طاب لكم وانما يقال ما فى غير الناس قيل معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت اليه وانما معناه فانكحوا نكاحا طيبا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانكحوا النساء نكاحا طيبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فالمعنى بقوله ما طاب لكم الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن فلذلك قيل ما ولم يقل من كما يقال خذ من رفيقى ما أردت اذا عنيت خذ منهم ايراد تك ولو أردت خذ الذى تريد منهم لقلت خذ من رفيقى من أردت منهم وكذلك قوله أو ما ملكت أيمانكم بمعنى أو ما ملك أيمانكم وانما معنى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع كقيل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وأما قوله مثنى وثلاث ورباع فانهن تركن أجراهن لانهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فتركن اجراءه وكذلك احاد وثناء وموحد ومثنى ومثنث ومربع لا يجرى ذلك كله للعلة التى ذكرت من العدول عن وجوهه وعما يدل على ان ذلك كذلك وان الذكر والانثى فيه سواء قول فى هذه السورة وسورة فاطر مثنى وثلاث ورباع يراد به الجناح والجناح ذكر وانه لا يضاف الى ما يضاف اليه الثلاثة والثلاث وان الالف واللام لا تدخله فكان فى ذلك دليل على انه اسم للعدد معرفة ولو كان نكرة لدخله الالف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والاربعة ومما يبين فى ذلك قول تميم بن أبى بن مقبل

ترى النغرات الزرق تحت لعابه * أحاد ومثنى أضعفتها صواهله

فرد أحاد ومثنى على النغرات وهى معرفة وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها كما قال الشاعر

قتلنا به من بين مثنى وموحد * بأربعة منكم وآخر خامس

ومما يبين ان ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر

ولقد قتلتم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

(وقول الشاعر)

اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان جعل اللام على لام العاقبة تعدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علة تعالى بانهم مزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلة لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا فى الكلام تقديم وتاخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما انما نملى لهم خير لانفسهم وبعضه قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية وردبان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحدى أنكرها ثم انه تعالى أخبر أنه لا يجوز فى حكمته أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل أحد الجنسين عن الآخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما فى قصة أحد شعر

لله در النائبات فانها

ضد الملام وصيقل الاحرار

فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفى والخطاب فى أنتم للمصدقين جميعا من أهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان فى حكمة الله أن يترك المخلصين على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان مزت الشئ بعضه من بعض أميزه ميزا وميزته تمييزا وفى الحديث من ما زأذى عن الطريق فهو له صدقة وجحة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا أنه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان الميز يقع على الادون والاهون وهم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فميل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من

من النساء الايامى وكانوا يعظمون شأن اليتيم فتحقدوا من دينهم شأن اليتيم وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية فقال وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء كانوا في جاهليتهم لا يرزؤن من مال اليتيم شيأ وهم ينكحون عشرا من النساء وينكحون نساء آبائهم فتحقدوا من دينهم شأن النساء فوعظهم الله في اليتامى وفي النساء فقال في اليتامى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب الى انه كان حوبا كبيرا ووعظهم في شأن النساء فقال انكحوا ما طاب لكم من النساء الآية وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول ان تحرجتم في ولاية اليتامى وأكل أموالهم ايمانا وتصديقا فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النساء نكاحا طيبا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل معنى ذلك وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولايتهن فلا تنكحوهن وانكحوا أنتم ما حل لكم منهن ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال نزلت في اليتيمة تكون عند الرجل هو وليها ليس لها ولي غيره وليس أحد ينازعه فيها ولا ينكحها المال فيضر بها ويسيء صحبتها حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم أي ما حل لكم من يتاماكم من قراباتكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية قول من قال تأويلها وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء فلا تنكحوا منهن الا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة الى الاربع فان خفتم الجور في الواحدة أيضا فلا تنكحوها ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم فانه أحرى أن لا تجوروا عليهن وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل الآية بدلالة ان الله جل ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الاموال فقال تعالى ذكره وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ثم أعلمهم انهم ان اتقوا الله في ذلك فتحرجوا فيه فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج في أمر النساء مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى واعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيه كما عرفهم المخلص من الجور في أموال اليتامى فقال انكحوا ان أمنتم الجور في النساء على أنفسكم ما أبحت لكم منهن وحللته مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أيضا الجور على أنفسكم في أمر الواحدة بان لا تقدروا على انصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فانكم أحرى أن لا تجوروا عليهن لانهن أملاككم وأموالكم ولا يلزمكم لهن

أحد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه سادمسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول أول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يمض الا أحد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا ترى تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا أن أملائي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي لا يحسبنهم الاصحاب ان الاملاء خير لهم أو لا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال أملى عليه الزمان أي طال وأملى له أي طول له وأمهله قال أبو عبيدة ومنه الملا الارض الواسعة العريضة والملوان الليل والنهار ويقال أقمت عنده ملاءة من الدهر أي حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب أولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والآية دلت على أنها ليست بخير فيه دلالة على أنه سبحانه فاعل الخير والشر وأيضا انه نص على ان الغرض من هذا الاملاء أن يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وأيضا أخبر عنهم انه لا خير لهم فيه وأنهم لا يحصلون منه الا على ازدياد الغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا أنهم مجبورون على ذلك في صورة مختار بن أجابت المعتزلة بان المراد من هذا الاملاء ليس خيرا من

فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال السكلبي قالت قريش ترجم يا محمد ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من أهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال أبو العالية نزلت حين سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا أي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي أو أحد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهي صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكاة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكاة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة أحد وذلك هو شرح أحوال أهل الكتاب وبغضه ان كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فنعي سيطوقون ان الله تعالى يجعل

فمايدري الفقير متى غناه * ومايدري الغني متى يعيل

بمعنى يفتقر و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن ذلك أدنى ألا تعولوا قال العول الميل في النساء حدثنا ابن حميد قال ثني حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا يقول لا تميلوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة ألا تعولوا قال أن لا تميلوا ثم قال أما سمعت الى قول أبي طالب * بميزان قسط وزنه غير عائل حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن زيد عن الزبير عن عريث عن عكرمة في هذه الآية ألا تعولوا قال أن لا تميلوا قال وأنشد بيتا من شعر زعم ان أبا طالب قاله

بميزان قسط لا يخس شعيرة * ووازن صدق وزنه غير عائل

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية

بميزان صدق لا يغل شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله ألا تعولوا قال أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي قال كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه اني لست بميزان لا أعول حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد بن علي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك في قوله أدنى ألا تعولوا قال لا تميلوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى ألا تعولوا أدنى أن لا تميلوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ألا تعولوا قال تميلوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذلك أدنى ألا تعولوا يقول أن لا تميلوا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذلك أدنى ألا تعولوا يقول تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أدنى ألا تعولوا يعني أن لا تميلوا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ذلك أدنى ألا تعولوا يقول ذلك أدنى أن لا تميلوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا قال أن لا تجوروا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان قالا ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يونس عن ابن اسحق عن مجاهد ذلك أدنى ألا تعولوا قال تميلوا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ذلك أدنى ألا تعولوا ذلك أقل لنفقتك الواحدة أقل من ثنتين وثلاث وأربع وجاريتك أهون نفقة من حرة أن لا تعولوا أهون عليك في العيال ۞ القول في تاويل قوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره وأعطوا النساء مهورهن عليكم واجبة وفريضة لازمة يقال منه نحل فلان فلانا كذا فهو ينحله نحلة ونحلا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يقول فريضة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال

أهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن

في قلوبهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار والسر فيه أنهم لما لم ينطقوا بافواههم وألسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما أن يكون محمولا على ظاهره وهو أن يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه

منت لك أن تلاقيني المنايا * أحاد أحاد في شهر حلال

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته لم يسمع منها خماس ولا المخمس ولا السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع الا في بيت الكميت فانه يروى له في العشرة عشار وهو قوله فلم يستر ثبوك حتى رميته * فوق الرجال خصالا عشارا

يريد عشرا عشرا يقال انه لم يسمع غير ذلك وأما قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فان نصب واحدة بمعنى فان خفتم أن لا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما أوجبه الله لهن عليكم فانكحوا واحدة منهن ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزا بمعنى فواحدة كافية أو فواحدة مجزية كما قال جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وان قال لنا قائل قد علمت ان الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع فكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وذلك في العدد تسع قيل ان تاويل ذلك فانكحوا ما طاب لكم من النساء امامثنى ان أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم واما ثلاث ان لم تخافوا ذلك واما أربع ان أمنتم ذلك فيهن يدل على صحة ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة لان المعنى فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ثم قال وان خفتم ألا تعدلوا أيضا في الواحدة فما ملكت أيمانكم فان قال قائل فان أمر الله ونهيه على الايجاب والالزام حتى تقوم حجة بان ذلك على التاديب والارشاد والاعلام وقد قال تعالى ذكره فانكحوا ما طاب لكم من النساء وذلك أمر فهل من دليل على انه من الامر الذي هو على غير وجه الالزام والايجاب قيل نعم والدليل على ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فكان معلوما بذلك ان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان مخرجه مخرج الامر فانه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الامر بالنكاح فان المعنى به وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتحرجتم فيهن فكذلك فتحرجوا في النساء فلا تنكحوا الا ما امنتم الجور فيه منهن ما أحللته لكم من الواحدة الى الاربع وقد بينا في غير هذا الموضع بان العرب تخرج الكلام بلفظ الامر ومعناها فيه النهي أو التهدد والوعيد كما قال جل ثناؤه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وكما قال ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون فخرج ذلك مخرج الامر والمقصود به التهدد والوعيد والزجر والنهي فكذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء بمعنى النهي فلا تنكحوا الا ما طاب لكم من النساء وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم يقول فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أو ما ملكت ايمانكم السراري حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قوله فان خفتم ألا تعدلوا في الجامعة والحب ۞ القول في تاويل قوله (ذلك أدنى ألا تعولوا) يعني قوله تعالى ذكره وان خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم فهو أدنى يعني أقرب ألا تعولوا يقول أن لا تجوروا ولا تميلوا يقال منه عال الرجل فهو يعول عولا وعيالة اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص وأما من الحاجة فانما يقال عال الرجل يعيل عيلة وذلك اذا احتاج كما قال الشاعر

الله تعالى بعلمه لا يليق بكل أحد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول أيضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليها من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن وذلك منافق الثالثة ان هذا أيضا مختص ببعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله أن تعتقدوه وحده علام الغيوب ومن جملة الايمان بالرسل أن تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلانا منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع الانام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز الفريقان ويخلص أهل الوفاء من أهل الجفاء أو المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن أقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم فان

السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أمتي في صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين

شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمي ان أناسا كانوا يتأثمون ان يرجع أحدهم في شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول لما طابت به نفسا في غير كره وهوان فقد أحل الله لك ذلك ان تأكله هنيئا مريئا وقال آخرون بل عنى بهذا القول أولياء النساء فقيل لهم ان طابت أنفس النساء اللواتي اليكم عضلة نكاحهن بصداقهن نفسا فكلوه هنيئا مريئا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا سيار عن أبي صالح في قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال كان الرجل اذا زوج ابنته عمد الى صداقها فأخذه قال فنزلت هذه الآية في الاولياء فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك بالصواب التأويل الذي قلنا وان الآية تخاطب بها الازواج لان افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم وقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا في سياقه وان قال قائل فكيف قيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقد علمت ان معنى الكلام فان طابت لكم أنفسهن بشئ وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع وذلك انه تعالى ذكره قال وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قيل أما نقل فعل النفوس الى أصحاب النفوس فان ذلك مستفيض في كلام العرب من كلامها المعروف ضفت بهذا الامر ذراعا وذرعا وقررت بهذا الامر عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني كما قال الشاعر

اذا التقيا ذو وائعضلات قلنا * اليك اليك ضاق بها ذراعا

فنقل صفة الذراع الى رب الذراع ثم أخرج الذراع مفسرة ما وقع الفعل وكذلك وجه النفس في قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا اذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر وأما توحيد النفس من النفوس لانه انما أراد الهوى والهوى يكون جماعة كما قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

وكما قال الآخر * في خلقكم عظم وقد سجنا * وقال بعض نحوي الكوفة جائز في النفس في هذا الموضع الجمع والتوحيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وأنفسا وضفت به ذراعا وذرعا وأذرعا لانه منسوب اليك والى من تخبر عنه فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ولم يذهب الوهم الى انه ليس بمعنى جمع لان قبله جمعا قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا ان النفس وقع موقع الاسماء التي تأتي بلفظ الواحد ومرادها معناه اذا ذكر بلفظ الواحد وانه بمعنى الجمع عن الجمع وأما قوله هنيئا فانه ماخوذ من هنأت البعير بالقطران اذا جربته فعولج به كما قال الشاعر

متبدلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله فكلوه هنيئا مريئا فكلوه دواء شافيا يقال منه هنأني الطعام ومرأني أي صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنيني ومريني بالكسر وهي قليلة والذين يقولون هذا القول يقولون بهنأني ويمرأني والذين يقولون هنأني يقولون بهنيني ويمريني فاذا أفردوا قالوا قد أمرأني هذا الطعام مراءة ويقال هنأت اذا علتهم سمع من العرب يقول انما سميت هانيا لهنا بمعنى ليقول ويكفي ۞ القول في تأويل قوله (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) قال أبو جعفر واختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم فقال بعضهم هم النساء والصبيان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اليتامى والنساء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال

الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى عكرمة ومحمد ابن اسحق والسدي ومقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم أتزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا فهو اذن فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر ولطم في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر وأيضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا فلا يبعد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الاموال قالوا له لو كان الاله غنيا فأي حاجة الى أموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد أهل السنة فبان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد أن يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه أغنى الاغنياء وأما على قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تصغير البعض للبغض فبذلك يرتبط

أخبرني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بالنحلة المهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال فريضة مسماة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال النحلة في كلام العرب الواجب يقول لا ينكحها الا بشيء واجب لها صدقة يسميها لها واجبة وليس ينبغي لاحد أن ينكح امرأة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا بصداق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق وقال آخرون بل عنى بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أولياء النساء وذلك انهم كانوا يأخذون صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن سيار عن أبي صالح قال كان الرجل اذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وقال آخرون بل كان ذلك من أولياء النساء بان يعطي الرجل أخته لرجل على ان يعطيه الآخر أخته على ان لا كثير مهر بينهما فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي ان أناسا كانوا يعطي هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة * قال أبو جعفر وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك التأويل الذي قلناه وذلك ان الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ولا دلالة في الآية على ان الخطاب قد صرف عنهم الى غيرهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الذين قيل لهم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع هم الذين قيل لهم وآتوا النساء صدقاتهن وان معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة لانه قال في الاول فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فأنكحوا فيكون قوله وآتوا النساء صدقاتهن مصروفا الى انه معني به أولياء النساء دون أزواجهن وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق صدقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) يعني بذلك جل ثناؤه فان وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئا من صدقاتهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئا مريئا كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عمارة عن عكرمة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال المهر حدثنا محمد بن المثنى قال ثني حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة عن عمارة في قول الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصدقات حدثني المثنى قال ثني الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الازواج حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبيدة قال قال لي ابراهيم أكلت من الهنيء المريء قال ماذاك قال امرأتك أعطتك من صداقها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره فقال له علقمة ادن فكل من الهنيء المريء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول اذا كان غير اضرار ولا خديعة فهو هنيء مريء كما قال الله جل ثناؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصداق فكلوه هنيئا مريئا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله فان طبن لكم عن

الى الخدمة وتنقر رأسه ويقول أنا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع أقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان فيلزمه أن يطوقه يقول أنا كنزك واما أن يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة أطواقا أي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي أمثالهم يقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة ونظيره ما روي عن ابن عباس انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه أي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه ومنه وورث سليمان داود أي انفرد بذلك بعد داود مشاركا له فيه أو غالبا عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر أي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي أبلغ في الوعيد لان الغضب كأنه تناهى الى حد أقبل على الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما أمر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في
ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن أغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وأيضا لو كان نبيا لكان انما يطلب شيء

ابن وهب قال سمعت ابن زيد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية قال لا تعط السفيه من ولدك رأسا ولا حائطا ولا شيئا هو لك فيمسك من مالك وقال آخرون بل السفهاء في هذا الموضع النساء خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي ان رجلا عمد فدفع ماله الى امرأته فوضعته في غير الحق فقال الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن الثوري عن حميد عن قيس عن مجاهد في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هن النساء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم وهن سفهاء كن أزواجا أو أمهات أو بنات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا هشام عن الحسن قال المرأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال النساء من أسفه السفهاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي عوانة عن عاصم عن مورق قال مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها اشارة وهيئة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما * قال أبو جعفر والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا ان الله جل ثناؤه عم بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فلم يخصص سفيها دون سفيه فغير جائز لاحد أن يؤتي سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى والسفيه الذي لا يجوز له أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وسوء تدبيره ذلك وانما قلنا ما قلنا من ان المعني بقوله ولا تؤتوا السفهاء هو من وصفنا دون غيره لان الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فامر أولياء اليتامى بدفع أموالهم اليهم اذا بلغوا النكاح وآنس منهم الرشد وقد يدخل في اليتامى الذكور والاناث فلم يخصص بالامر بدفع مالهم من الاموال الذكور دون الاناث ولا الاناث دون الذكور واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم اليهم وأجير للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم فاذ كان ذلك كذلك فبين ان السفهاء الذين نهى الله المؤمنين ان يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل وان من عداذلك فغير سفيه ولا الحجر لا يستحقه من قد بلغ وآنس رشده وأما قول من قال عنى بالسفهاء النساء خاصة فانه جعل اللغة على غير وجهها وذلك ان العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فعلاء الا في جمع الذكور أو الذكور والاناث وأما اذا أرادوا جمع الاناث خاصة لا ذكران معهم جمعوه على فعائل وفعيلات مثل غريبة تجمع غرائب وغريبات فاما الغرباء فجمع غريب واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم فقال بعضهم عنى بذلك لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التي تملكونها فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ولكن ارزقوهم أنتم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقته واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك منهم أبو موسى الاشعري وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وحضرمي وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل

ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت أصل الظلم له أجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر أن ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين أقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم أن تصدر عنه كأنه قال ان خيل اليكم أن في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من أن الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من الشر القليل الذي في ضمنه خير كثير ونقول أراد نفي الشر القليل وأصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير ولهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازورا وحيي ابن أخطب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار

فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حوله

أمور الناس ويتنظم أحوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق

حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند أولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو نسخة ظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيامة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على أنهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء فقتلوا بعضهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من أسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول كاليم بمعنى المؤلم أو سميت باسم صاحبها أي ذات حرقة والمعنى ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل أن يقال عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتب ويحتمل أن يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب أو الوعيد بما قدمت أيديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان أكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان أو بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله أي وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على أن فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير أن لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز أن

ثنا هشيم عن يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعطوا الصغار والنساء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن قال المرأة والصبي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن شريك عن أبي حمزة عن الحسن قال النساء والصغار والنساء أسفه السفهاء حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء ابنك السفيه وامرأتك السفيهة وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حميد عن عبد الرحمن الرواسي عن السدي قال رده الى عبد الله قال النساء والصبيان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أما السفهاء فالولد والمرأة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعني بذلك ولد الرجل وامرأته وهي أسفه السفهاء حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء الولد والنساء أسفه السفهاء فيكونوا عليكم أربابا حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال أولادكم ونساؤكم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك قال النساء والصبيان حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جيد الاعرج عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا أحمد قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن أبي عنبسة عن الحكم ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما أمر الله بهذا المال ان يخزن فيحسن خزانته ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي مالك قال النساء والصبيان حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال امرأتك وبنيك وقال السفهاء الولدان والنساء أسفه السفهاء وقال آخرون بل السفهاء الصبيان خاصة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هم اليتامى حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن سالم عن سعيد قال السفهاء اليتامى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تخلوا الصغار وقال آخرون بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذي هو قوامك بعد الله تعالى حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تسلط السفيه من ولدك فكان ابن عباس يقول نزل ذلك في السفهاء وليسوا اليتامى من ذلك في شئ حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري انه قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن

المنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على الانبياء أن معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة أو الاستنارة أشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ثم أكد (١٠٥) التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر

قال قيام عيشك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن شرود عن ابن مجاهد انه قرأ التي جعل الله لكم قياما بالالف يقول قيام عيشك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال لا تعط السفيه من ولدك شيئا هو لك فيم من مالك وأما قوله وارزقوهم فيها واكسوهم فان أهل التاويل اختلفوا في تاويله فاما الذين قالوا انما عنى الله جل ثناؤه بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أولياء السفهاء لا أموال السفهاء فانهم قالوا معنى ذلك وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من اموالكم طعامهم ومالا بد لهم منه من مؤنهم وكسوتهم وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى وسنذكر من لم يذكر من قائليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أمروا أن يرزقوا سفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وارزقوهم قال يقول أنفقوا عليهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وارزقوهم فيها واكسوهم يقول أطعموهم من مالك واكسهم وأما الذين قالوا انما عنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم فانهم قالوا معنى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال السفهاء سفهاء كم من أموالهم طعامهم ومالا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم وقد مضى ذكر ذلك * قال أبو جعفر وأما الذي نراه صوابا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم من التأويل فقد ذكرناه ودللنا على صحته ما قلنا في ذلك بما أغنى عن اعادته فتاويل قوله وارزقوهم فيها واكسوهم على التأويل الذي قلنا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم في طعامهم وكسوتهم في أموالكم ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها وعلى سفهائكم منهم ممن لا تجب عليكم نفقته ومن غيرهم الذين تاون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم لان ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة لا خلاف بينهم في ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا في ذلك ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك عدهم عدة جميلة من البر والصلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفا في البر والصلة يعني النساء ومن السفهاء عنده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال عدة تعدوهم وقال آخرون بل معنى ذلك ادعوا لهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقولوا لهم قولا معروفا ان كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه فقل لهم قولا معروفا قل لهم عافانا الله وإياك وبارك الله فيك قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصحة ما قاله ابن جريج وهو ان معنى قوله وقولوا لهم قولا معروفا أي قولوا يا معشر ولاة السفهاء قولا معروفا للسفهاء ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وخلينا بينكم وبينها فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم وما أشبه ذلك من القول الذي فيه حث على طاعة الله ونهي عن معصيته ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وابتلوا اليتامى

الموت واستحضاره مما يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت كل ذات فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وكذا كل الجمادات لان لها ذواتا ولقوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا هل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روى عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات أهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة ميتنا وفي الآية دليل على أن المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد أن يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عندهم هذه الحياة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا تزال تستمر هذه الحالة الى أن تفنى الرطوبة الاصلية فتنطفئ الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحياة قالوا والارواح المجردة لا موت لها ونفوسهم

المسلمون فيوفونها أجورهم يوم القيامة في ذكر التوفية اشارة الى أن بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزح التنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يغبط به قال صلى

البيت فتنزل نار بيضاء لها دوى وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان وهو البر الذى يتقرب به الى الله وأصله مصدر كالكفران والرجحان ثم سمى به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله عليه السلام لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان أى بها يتقرب الى الله ويستشفع فى الحاجات ديه والعلماء فيما ادعاه اليهود قولان (١٥٤) قال السدى ان هذا الشرط جاء فى التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول

حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها يقول لا تعط امرأتك ولدك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك واطعمهم من مالك واكسهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا يقول لا تسلط السفيه من ولدك على مالك وأمره أن يرزقه منه ويكسوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط السفيه من مالك شيئا هو لك وقال آخرون بل عنى ذلك ولا تؤتوا السفهاء اموالهم ولكنه أضيف الى الولاة لانهم قوامها ومدبروها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وقد يدخل فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال المنهيين عن ان يؤتوهم ذلك وأموال السفهاء لان قوله أموالكم غير مخصوص منها بعض الاموال دون بعض ولا تمنع العرب ان تخاطب خطابا فيخرج الكلام بعضه خبرا عنهم و بعضه عن غيب وذلك نحو ان يقولوا أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى انك وأصحابك أو وقومك أكلتم أموالكم فكذلك قوله ولا تؤتوا السفهاء معناه لا تؤتوا أيها الناس سفهاء كم أموالكم التى بعضها لكم و بعضها لهم فتضيعوها واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهى عن ايتاء السفهاء الاموال كلها ولم يخصص منها شيئا دون شئ كان بينا بذلك ان معنى قوله التى جعل الله لكم قياما انما هو التى جعل الله لكم ولهم قياما ولكن السفهاء دخل ذكرهم فى ذكر المخاطبين بقوله لكم وأما قوله التى جعل الله لكم قياما وقيما وقواما فانى معنى واحد وانما القيام أصله القوام غير ان القاف التى قبل الواو لما كانت مكسورة جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما يقال صمت صياما وحلت حيالا وتقول منه فلان قوام أهل بيته وقيام أهل بيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم التى جعل الله لكم قيما بكسر القاف وفتح الياء بغير ألف وقرأه آخرون قياما بالف قال محمد والقراءة التى نختارها قياما بالالف لانها القراءة المعروفة فى قراءة أمصار الاسلام وان كانت الاخرى غير خطأ ولا فاسد وانما اخترنا ما اخترنا من ذلك لان القراآت اذا اختلفت فى الالفاظ واتفقت فى المعانى فانجحها اليناما كان أظهر وأشهر فى قراءة امصار الاسلام و بنحو الذى قلنا فى تاويل قوله قياما قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك أموالكم التى جعل الله لكم قياما التى هى قوامك بعد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أموالكم التى جعل الله لكم قياما فان المال هو قيام الناس قوام معايشهم يقول كنت أنت قيم أهلك فلا تعط امرأتك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما يقول الله سبحانه لا تعمد الى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنتظر الى ما فى أيديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم قال وقوله قياما بمعنى قوامكم فى معايشكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن قوله قياما

الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها فى كونها خارقة للعادة وآية لصحة النبوة سواء فأى فائدة فى تخصصها ولانه اما أن يكون فى التوراة أن مدعى النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا قوله الا أن يجيء بهذه الآية المعينة وحينئذ لا تكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز فى هذه واما أن يكون فيها أن مدعى النبوة يطالب بالمعجزة أية كانت وحينئذ يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات و بالذى قلتم أى بمثله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الاعان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجىء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجىء القربان ليتم الالزام وذلك أن القوم يحتمل أن يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث أضاف اليه البينات ثبت انهم أتوا بالموجب و بالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك فى أصل الشريعة والنبوة أو فى قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات و بالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك وأى رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات قال وهى الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هى الصحف جمع زبور بمعنى مزبور أى مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذى حكمة فيشبه أن يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمى زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح أو الواضح

وراءه يهود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى وذلك قبل أن يسلم عبد الله فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفى المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى أنفه برداته وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى نزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق بحالهم ايراد الطعن فى نبوته مع أن كتبهم ناطقة به وأيضا من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ أخذ الله باضمار اذكر والضمير فى لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور أى لتبيين حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدى وقال الحسن وقتادة يعود الى الكتاب كأنه أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه

كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه فى ماله وحوز ما فى يده عنه وان كان فاجرا فى دينه واذا كان ذلك اجماعا من الجميع فكذلك حكمه اذا بلغ وله مال فى يدى وصى أبيه أو فى يد حاكم قد ولى ماله لطفوليته واجب عليه تسليم ماله اليه اذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد لان المعنى الذى به يستحق أن يولى على ماله الذى هو فى يده هو المعنى الذى به يستحق أن يمنع يده من ماله الذى هو فى يد ولى فانه لا فرق بين ذلك وفى اجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما فى يده فى حال صحة عقله واصلاح ما فى يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له فى مثل ذلك الحال وان كان قبل ذلك كان فى يد غيره لا فرق بينهما ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول فى ذلك وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله فان كان ما وصفنا من اجماع الجميع اجماعا فبين ان الرشد الذى به يستحق اليتيم اذا بلغ فاؤنس منه دفع ماله اليه ما قلنا من صحة عقله واصلاح ماله ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا) يعنى بذلك تعالى ذكره ولاة أموال اليتامى يقول الله لهم فاذا بلغ أيتامكم الحلم فآنستم منهم عقلا واصلاحا لاموالهم فادفعوا اليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم وأما قوله فلا تأكلوها اسرافا يعنى بغير ما أباحه الله لكم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا يقول لا تسرف فيها حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تأكلوها اسرافا قال يسرف فى الاكل وأصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك فى الافراط وربما كان فى التقصير غير أنه اذا كان فى الافراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف يسرف اسرافا واذا كان كذلك فى التقصير فالكلام منه سرف يسرف سرفا يقال مررت بكم فسرفتكم يراد منه فسهوت عنكم وأخطأتكم كما قال الشاعر

اعطوا هنيدة تحذوها ثمانية * ما فى عطائهم من ولا سرف

يعنى بقوله ولا سرف لا خطأ فيه يراد به أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطؤها ۞ القول فى تأويل قوله (وبدارا أن يكبروا) يعنى جل ثناؤه بقوله وبدارا ومبادرة وهو مصدر من قول القائل بادرت هذا الامر مبادرة وبدارا وانما يعنى بذلك جل ثناؤه ولاة أموال اليتامى يقول لهم لا تأكلوا أموالهم اسرافا يعنى ما أباح الله لكم أكله ولا مبادرة منكم بلوغهم وايناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمهم تسليمها اليهم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله اسرافا وبدارا يعنى أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا وبدارا يقول لا تسرف فيها ولا تبادره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبدارا تبادرا أن يكبر وافيأخذوا أموالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اسرافا وبدارا قال هذه لولى اليتيم خاصة جعلوا له أن يأكل معه اذا لم يجد شيا يضع يده معه فيذهب بوجهه ويقول لا أدفع اليه ماله وجعلت تأكله تشتهى أكله لانك ان لم تدفعه اليه لك فيه نصيب واذا دفعته اليه فليس لك فيه نصيب وموضع ان فى قوله أن يكبروا نصب بالمبادرة لان معنى الكلام لا تأكلوها مبادرة كبرهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) يعنى بقوله جل ثناؤه ومن كان غنيا من ولاة أموال

قيل الواو للحال أى غير كاتمين ويحتمل أن يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهى عن الكتمان لكنه صرح به للتأكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشئ المطروح المترك وعن على ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب ألا وبى العالم ناطق والمستمع واع هذا

الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس مايحب أن يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق الله والثانى محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك أن لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى (١٥٦) والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن على بن أبى طالب لبن مسها قاتل

سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظلمة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون فى أموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولم يحبلى قبلها من الضم والمراد ماناالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والذى كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن فى الدين الحنيف وأهليه واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم واغواء المنافقين وتثبيطهم عنهم وان تصبروا على ماابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة أو تصبروا على أداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التى لايترخص العاقل فى تركها لكونه جديرا لعاقبة بين الصواب أو هو من عزائم الله ومما ألزمكم الاخذ به قال الواحدى كان هذا قبل نزول آية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة أحد فلا تكون منسوخة بآية السيف والمراد الصبر على مايؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مدارائهم فى كثير الاحوال والامر بالقتال لاينافى الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش فى شعره وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الآية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وأردف اسامة بن زيد كان

حتى اذا بلغوا النكاح) يعنى تعالى ذكره بقوله وابتلوا اليتامى واختبروا العقول يتاما كم فى أفهامهم وصلاحهم فى أديانهم واصلاحهم أموالهم كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله وابتلوا اليتامى قالا يقول اختبروا اليتامى **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما ابتلوا اليتامى فجربوا عقولهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وابتلوا اليتامى قال عقولهم **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وابتلوا اليتامى قال اختبروهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح قال اختبروهم فى رأيه وفى عقله كيف هو اذا عرف انه قد أنس منه رشد دفع اليه ماله قال وذلك بعد الاحتلام قال أبو جعفر وقد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى الابتلاء الاختبار بما فيه الكفاية عن اعادته وأما قوله اذا بلغوا النكاح فانه يعنى اذا بلغوا الحلم كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا احتلموا **حدثنى** على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح قال عند الحلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا بلغوا النكاح قال الحلم

القول فى تأويل قوله (فان آنستم منهم رشدا) يعنى بقوله فان آنستم منهم رشدا فان وجدتم منهم وعرفتم كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا قال عرفتم منهم يقال آنست من فلان خيرا وقرئ بمد الالف ايناسا وأنست به آنس انسا بقصر الفعل اذا ألفه وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله فان أحسستم منهم رشدا بمعنى أحسستم أى وجدتم واختلف أهل التأويل فى معنى الرشد الذى ذكره الله فى هذه الآية فقال بعضهم معنى الرشد فى هذا الموضع العقل والصلاح فى الدين ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فان آنستم منهم رشدا عقولا وصلاحا **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان آنستم منهم رشدا يقول صلاحا فى عقله ودينه وقال آخرون معنى ذلك صلاحا فى دينهم واصلاحا لاموالهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنى أبى عن مبارك عن الحسن قال الرشد فى الدين وصلاحا وحفظا للمال **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا فى حالهم والاصلاح فى أموالهم وقال آخرون بل ذلك العقل خاصة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال لاندفع الى اليتيم ماله وان أخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده العقل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد آنستم منهم رشدا قال العقل **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد عن الشعبى قال سمعته يقول ان الرجل ليأخذ بلحيته ومابلغ رشده وقال آخرون بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان آنستم منهم رشدا قال صلاحا وعلما بما يصلحه * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بمعنى الرشد فى هذا الموضع العقل واصلاح المال لاجماع الجميع على أنه اذا

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغرو تخلفوا عنه فلما قدم استغفروا له وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فأنزل الله هذه الآية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا أنصفنا من أنفسنا وجدنا أكثر مجاري أمورنا على هذه الحالة فنسأله العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك

يتحلله من وليه حدثنا جيد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير فلا بأس أن يأكل قرضا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب عن الشعبي ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال لا بأس أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه شيأ قضاه حدثنا جيد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فليأكل بالمعروف قال قرضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فليأكل بالمعروف قال سلفا من مال يتيمه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعن حماد عن سعيد بن جبير فليأكل بالمعروف قالا هو القرض قال الثوري وقاله الحكم أيضا ألا ترى انه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن مجاهد قال هو القرض ما أصاب منه من شيء قضاه اذا أيسر يعني ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فليأكل بالمعروف قال القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي وائل قال قرضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن سعيد بن جبير قال اذا احتاج الولي أو افتقر فلم يجد شيأ أكل من مال اليتيم وكتبه فان أيسر قضاه وان لم يوسر حتى تحضره الوفاة دعا اليتيم فاستحل منه ما أكل حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف من مال اليتيم بغير اسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه واختلف قائلو هذا القول في معنى أكل ذلك بالمعروف فقال بعضهم أن يأكل من طعامه باطراف الاصابع ولا يلبس منه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي قال أخبرني من سمع ابن عباس يقول ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال باطراف أصابعه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله الأشجعي عن سفيان عن السدي عن سمع ابن عباس يقول فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول فمن كان غنيا من ولي مال اليتيم فليستعفف عن الله ومن كان فقيرا من ولي مال اليتيم فليأكل معه باصابعه لا يسرف في الاكل ولا يلبس حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة في مال اليتيم يدك مع يديهم ولا تتخذ منه قلنسوة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء وعكرمة قالا تضع يدك مع يده وقال آخرون بل المعروف في ذلك أن يأكل ما يسد جوعه ويلبس ما واري العورة ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال ان المعروف ليس يلبس الكتان ولا الخال ولكن ما سد الجوع وواري العورة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال كان يقال ليس المعروف يلبس الكتان والخال

فعله من ولي ذلك ومن كان معذبه هذا القادر الغالب * التأويل هو خير لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والآخرة أولئك هم الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه أن من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن أغنياء فيه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة أنا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن أغنياء بقربان تأكله النار قالت يهود لصفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا تنقاد لرسول أي لخاطر رحماني أو الهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها بجعلها نسيكة لله عز وجل تأكله نار الله الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تأكله نار الله قل يا أيها الحق قد جاءكم رسل من قبلي أي واردات الحق باليقينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لهم من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الرياء أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على

علم علما فبذله وهذا سمع خبرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون
هو يدخل فى الوعيد كل من كتم شيأ من أمر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم
أو لتقيتهم من غير ضرورة أو لبخل بالعلم وغيره (١٥٨) أن ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود وأوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك

فقال لا تحسبن الذين يفرحون من
قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب
للرسول أو لكل أحد وأحد
المفعولين الذين يفرحون والثانى
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة
للعامل لطول الكلام وافادة
التأكيد ومن ضم الباء فى الثانى
مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين
ومن ضمهما مع ياء الغيبة فالضمير للذين
يفرحون والمفعول الاول محذوف
أى لا يحسبن أنفسهم الذين
يفرحون فائزين والثانى للتأكيد
ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء
يستعملان بمعنى فعل قال تعالى
انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ
فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة
منه أى بمكان الفوز وقال الفراء
أى ببعد منه لان الفوز التباعد
عن المكروه فى الصحيحين ان مروان
قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس
وقل له ان كان كل امرئ منا فرح
بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل
معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن
عباس مالكم ولهذا انما دعا النبى
صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن
شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره
فأروه ان قد استحمدوا اليه بما
أخبروه عنه وفرحوا بما أتوا من
كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس واذ
أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
الآيتين وقال الضحاك كتب يهود
المدينة التى بيهود العراق واليمن ومن
بلغهم كتاب من اليهود فى الارض
كلها أن محمدا ليس نبى الله فانبتوا
على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذى
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن أهل الصوم والصلاة نحن أولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما أتوا بما فعلوا ويحبون أن يحمدوا
بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية يعنى بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة وعن أبى سعيد الخدرى أن رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج

اليتامى على أموالهم فليستعفف بماله عن أكلها بغير الاسراف والبدار أن يكبروا وبما أباح الله له
أكلها به كما حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش وابن أبى ليلى عن
الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف قال لغناه من ماله حتى يستغنى عن
مال اليتيم وبه قال حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف بغناه
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من مال نفسه ومن كان فقيرا منهم
اليها محتاجا فليأكل بالمعروف * قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل فى المعروف الذى أذن الله جل
ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به اذا كانوا أهل فقر وحاجة اليها فقال بعضهم ذلك هو القرض يستقرضه
من ماله ثم يقضيه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان واسرائيل
عن أبى اسحق عن حارثة بن مضرب قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أنزلت مال الله تعالى منى
بمنزلة مال اليتيم ان أستغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن زهير عن العلاء بن المسيب عن جماد عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس فى قوله فمن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال
ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلمانى انه قال فى هذه الآية ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال الذى ينفق مال اليتيم يكون عليه قرضا
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال
سألت عبيدة عن قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال انما هو قرض
ألا ترى انه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم قال فظننت انه قالها برأيه حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف وهو عليه قرض حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن سلمة عن علقمة عن ابن سيرين
عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال المعروف القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم
اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة مثل حديث هشام حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى
معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى القرض
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول ان كان غنيا فلا يحل له من مال اليتيم أن
يأكل منه شيأ وان كان فقيرا فليستقرض منه فاذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه فذلك أكله
بالمعروف حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أبى يذكر عن حماد عن سعيد بن
جبير قال يأكل قرضا بالمعروف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن
سعيد بن جبير قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعنى قوله ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال
ثنا حماد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان أخذ من
ماله قدر قوته قرضا فان أيسر بعد قضاه وان حضره الموت ولم يوسر يتحلله من اليتيم وان كان صغيرا

يتحلله

فامنا فغفر لنا وقيل والوصل أولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على آمنا اى اذا آمنا فاغفر الابرار ه ج للآية والعطف يوم القيامة ط للميعاد ه أنثى ج لاتحاد الكلام والافبعضكم مبتدأ من بعض ج والانهار ز لان ثوابا مفعول له أو مصدر من عند الله ط الثواب ه البلاد ه ط لان التقدير لهم متاع أو ذلك متاع جهنم ط المهاد ه (١٦١) من عند الله ط للابرار ه لله لا لان ما بعده حال آخر قليلا ط عند ربهم ط الحساب ه تفلحون ه *التفسير انه لما طال الكلام فى تقرير القصص والاحكام عاد الى ماهو الغرض الاصلى من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء

يلى ذلك وان أتى على المال ولا قضاء عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا اسمعيل بن صبيح عن أبى اويس عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعا عن القاسم بن محمد قال سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عما يصلح لولى اليتيم قال ان كان غنيا فليستعفف وان كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر بن الخطاب كان يقول يحل لولى الامر ما يحل لولى اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الفضل بن عطية عن عطاء بن أبى رباح فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا احتاج فليأكل بالمعروف فان أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومعروف ذلك أن يتقى الله فى يتيمه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم أنه كان لا يرى قضاء على ولى اليتيم اذا أكل وهو محتاج حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم فليأكل بالمعروف فى الوصى قال لا قضاء عليه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال فى هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا عمل فيه ولى اليتيم أكل بالمعروف حدثنا بشر بن محمد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اذا احتاج أكل بالمعروف من المال طعمة من الله له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن البصرى قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ان فى حجرى يتيما أفاضربه قال فيما كنت ضاربا منه ولدك قال أفاصيب من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن الزبير بن موسى عن الحسن البصرى مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن عطاء أنه قال يضع يده مع أيديهم فيأكل معهم كقدر خدمته وقدر عمله حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت والى اليتيم اذا كان محتاجا يأكل بالمعروف لقيامه بماله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان استغنى كف وان كان فقيرا أكل بالمعروف قال أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم وحفظه اياها يأكل مما يأكلون منه وان استغنى كف عنه ولم يأكل منه شيأ * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال بالمعروف الذى عناه الله تبارك وتعالى فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة اليه على وجه الاستقراض منه فاما غير ذلك الوجه فغير جائز له أكلها وذلك ان الجميع مجمعون على ان والى اليتيم لا يملك من مال يتيمه الا القيام بمصلحته فلما كان اجماعا منهم أنه غير مالكه وكان غير جائز لاحد أن يستهلك مال أحد غيره يتيما كان رب المال أو مدركا رشيدا وكان عليه ان تعدى فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه باجماع من الجميع وكان والى اليتيم سبيله سبيل غيره فى انه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه اذا أكل منه سبيله سبيل غيره وان

والتوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة اخبرينى بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجيب أتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى ألصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن وجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يا رسول الله ما تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض واعلم انه ذكر فى

 ان فى خلق السموات والارض الى اب عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لابد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق فى معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئى امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعنى

بجهاد النفس وتتقوا الله تجاسوا فان ذلك من عزم الامور أى من أمور أولى الغرم فاصبروا كما صبر أولو العزم من الرسل والله أعلم (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا (١٦٠) سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا انا سمعنا منادا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) القراآت الابرار بالامالة أبو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائى والنجارى عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا جزموا على وخلف وقرأ ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة ورويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاختلاس عباس يلى

ولكن المعروف ما سد الجوع وورى العورة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن مغيرة عن ابراهيم نحوه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو معبد قال سئل مكحول عن والى اليتيم ما أكله بالمعروف اذا كان فقيرا قال يده مع يده قيل له فالكسوة قال يلبس من ثيابه فاما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله فليأكل بالمعروف قال ما سد الجوع وورى العورة اما انه ليس لبوس الكتان والحلل وقال آخرون بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رسل ماشيته بقيامه على ذلك فاما الذهب والفضة فليس له أخذ شئ منهما الا على وجه القرض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال جاء رجل الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أموال أيتام وهو يستأذنه أن يصيب منها فقال ابن عباس ألست تبغى ضالتها قال بلى قال ألست تهنأ جرباها قال بلى قال ألست تلط حياضها قال بلى قال ألست تغرط عليها يوم ورودها قال بلى قال فاصب من رسلها يعنى من لبنها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال جاء اعرابى الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أيتاما وان لهم ابلا ولى ابل وأنا أمنح فى ابلى وأفقر فاذا يحل من ألبانها قال ان كنت تبغى ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسقى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبى العالية فى هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من فضل الرسل والثمرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية فى والى مال اليتيم قال يأكل من رسل الماشية ومن الثمرة لقيامه عليه ولا يأكل من المال وقال ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود عن رفيع عن أبى العالية قال رخص لولى اليتيم أن يصيب من الرسل ويأكل من الثمرة وأما الذهب والفضة فلا بد أن تردثم قرأ فاذا دفعتم اليهم أموالهم ألا ترى أنه قال لا بد من أن يدفع حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال انما كانت أموالهم ادخال النخل والماشية فرخص لهم اذا كان أحدهم محتاجا أن يصيب من الرسل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبى فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا كان فقيرا أكل من الثمر وشرب من اللبن وأصاب من الرسل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ذكر لنا ان عم ثابت بن رفاعة وثابت يومئذ يتيم فى حجره من الانصار أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله قال أن تأكل بالمعروف من غير أن تقى مالك بماله ولا تتخذ من ماله وقرا وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل فيقوم وليه على صلاحه وسقيه فيصيب من ثمرته أو تكون له الماشية فيقوم وليه على صلاحها أو يلى علاجها ومؤنتها فيصيب من جزازها وعوارضها ورسلها فاما رقاب المال وأصول المال فليس له أن يستهلكه حدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى ركوب الدابة وخدمة الخادم فان أخذ من ماله قرضا فى غنى فعليه أن يؤديه وليس له أن يأكل من ماله شيأ وقال آخرون منهم له أن يأكل من جميع المال اذا كان

* الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة أو مستأنفا نصبا أو رفعا على المدح بتقدير أعنى الذين أو هم الذين والوصل أشهر والارض ج لتعلق المحذوف أى يقولون ربنا ما خلقت ج للابتداء بسبحانك تعظيما والا فالقول متحد وفاء التعقيب متعقب النار ه أخزيته ط أنصار

بكل محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته سيما السموات مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس أحوال هذه المصنوعات الى صانعها علم أن ذاته تعالى (١٦٣) منزه عن مشابهة شئ من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك أي أنزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة وجهة الجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض أن يخلصه من قيدا عناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أي أبلغت في اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من أدرك مرعى الضان فقد أدرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا انا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه ألقى في روعي والله أعلم باسرار كلامه

عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على أنه بمعنى المخلوق أو الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كأنه لعظم شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر أي خلقتها باطلا أو على الحال وقيل بنزع الخافض أي بالباطل أو للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على أن كل ما يفعله الله تعالى

معمر عن قتادة قال كانوا لا يورثون النساء فنزلت وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت في أم كحلة وابنة كحلة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الانصار كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكى عدوا تكسب عليها ولا تكتسب فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قال كان النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وان كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الى قوله نصيبا مفروضا قال أبو جعفر ونصب قوله نصيبا مفروضا وهو نعت للنكرة لخروجه مخرج المصدر كقول القائل لك علي حقا واجبا ولو كان مكان قوله نصيبا مفروضا اسم صحيح لم يجز نصبه لا يقال لك عندي حق درهما فقوله نصيبا مفروضا كقوله نصيبا فريضة وفرضا كما يقال عندي درهم هبة مقبوضة ❁ القول في تأويل قوله (واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية هل هو محكم أم منسوخ فقال بعضهم هو محكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال محكمة وليست منسوخة يعني قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبي قالا هي محكمة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال واجب ما طابت به أنفس أهل الميراث **وحدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبي قالا هي محكمة ليست بمنسوخة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن عن سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا فقال سعيد هذه الآية يتهاون بها الناس قال وهما وليان أحدهما يرث والآخر لا يرث والذي يرث هو الذي أمر أن يرزقهم ويعطيهم قال والذي لا يرث هو الذي أمر أن يقول لهم قولا معروفا وهي محكمة وليست بمنسوخة **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم بنحو ذلك وقال هي محكمة وليست بمنسوخة **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطرف عن الحسن قال هي ثابتة ولكن الناس بخلوا وشحوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور والحسن قالا هي محكمة وليست بمنسوخة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي قائمة يعمل بها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

المتقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها أقهر وأجهر والعجائب فيها أكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله أيسر وانما قال في تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لآيات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي أول الامر يكون عقلا وفي (١٦٢) كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قدمر هنالك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية

وهي أن يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال آخر أي معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في أغلب أحوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلاة أي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلاة المريض العاجز ولو افق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبير بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلاة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت أولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء أكثر فذلك وضع الغافلين وقال أبو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه أن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لابد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن حصول صورة الشيء في النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه تا

فارقه في ان له الاستعراض منه عند الحاجة اليه كما له الاستعراض عليه عند حاجته الى ما يستقرض عليه اذ كان قيما بما فيه مصلحته ولا معنى لقول من قال انما عنى بالمعروف في هذا الموضع أكل والي اليتيم من مال اليتيم لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه لان لوالي اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بامواله اذا كان اليتيم محتاجا الى ذلك باجرة معلومة كما يستأجره غيره من الاجراء وكما يشتري له من نصيبه غنيا كان الوالي أو فقيرا واذا كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف على ان أكل مال اليتيم انما أذن لمن أذن له من ولاته في حال الفقر والحاجة وكانت الحال التي للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الايتام مع حاجة الايتام الى الاجراء غير مخصوص بهم حال غنى ولا حال فقر كان معلوما ان المعنى الذي أبيح لهم من أموال أيتامهم في كل أحوالهم غير المعنى الذي أبيح لهم ذلك فيه في حال دون حال ومن أبى ما قلنا ممن زعم ان لولي اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته اليه على غير وجه القرض استدلالا بهذه الآية قيل له أفيجمع على ان الذي قلت تأويل قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فان قال لا قيل له فما برهانك على ان ذلك تأويله وقد علمت انه غير مال مال يتيمه فان قال لان الله أذن له باكله قيل له أذن له باكله مطلقا أم بشرط فان قال بشرط وهو أن يأكله بالمعروف قيل له وما ذلك المعروف وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين ان ذلك هو أكله قرضا وسلفا ويقال لهم أيضا مع ذلك أرأيت المولى عليهم في أموالهم من المجانين والمعاتيه أولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم اليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها كما قلتم ذلك في أموال اليتامى فالحقوهم به فان قالوا ذلك لهم خرجوا من قول جميع الحجة وان قالوا ليس ذلك لهم قيل لهم فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى وحكمهم وحكمهم واحد في أنهم ولاة أموال غيرهم فلن يقولوا في أحدهم شيئا الا ألزموا في الآخر مثله ويسئلون كذلك عن المحجور عليه هل لمن يلي ماله أن يأكل ماله عند حاجته اليه نحو سؤالنا هم عن أموال المجانين والمعاتيه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) قال أبو جعفر يعني بذلك جل ثناؤه واذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى الى اليتامى أموالهم فاشهدوا عليهم يقول فاشهدوا على الايتام باستيفائهم ذلك منكم ودفعكموه اليهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم يقول اذا دفع الى اليتيم ماله فليدفعه اليه بالشهود كما أمره الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله (وكفى بالله حسيبا) يقول تعالى ذكره وكفى بالله كافيا من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه اليه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكفى بالله حسيبا يقول شهيدا يقال منه قد أحسبني الذي عندي يراد به كفاني وسمع من العرب لاحسبنكم من الاسودين يعني به من الماء والتمر والمحسب من الرجال المرتفع الحسب والمحسب المكفي ۞ القول في تأويل قوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) يعني بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللاناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة موقتة وذكر ان هذه الآية نزلت من أجل ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الذكور دون الاناث كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبر

معمر

ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء بالمد لمعان متقاربة عن الزجاج أخزى الله العدو أي أبعده وقيل أهانه وقيل فضحه وقيل أهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو وقوع في بلاء قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن (١٦٥) لايخزى لقوله يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه وأجيب بانه لايلزم من أن لايكون من آمن وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم مخزى أن لايكون غيره وهو مؤمن مخزى وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزى وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود وأيضا انه مخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لايخزى نفي الخزي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل أن يقال الاخزاء مشترك بين التفضيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لايدخل النار لانه مؤمن لقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لايخزى لقوله يوم لايخزى الله النبي والمدخل في النار مخزى بهذه الآية والمقدمات باسرها يبدلها المنع أما الاولى فباجماع أن لايسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا وأما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في أن العذاب الروحاني أشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو

حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال القسمة الوصية كان الرجل اذا أوصى قالوا فلان يقسم ماله فقال ارزقوهم منه يقول أوصوا لهم بقول الذي يوصي وقولوا لهم قولا معروفا فان لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة وانما عنى بها الوصية لاولي قربى الموصي وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف وانما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ان شيئا من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر أو منسوخ لحكم آخر الا والحكمان اللذان قضى لاحدهما بانه ناسخ والآخر بانه منسوخ نافٍ كل أحدهما صاحبه غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه أو يقوم وان كان جائزا صرفه الى غير النسخ بان أحدهما ناسخ والآخر منسوخ حجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع وكان قوله تعالى ذكره واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه محتملا أن يكون مرادا به واذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية أو لو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه مرادا فاوصوا الاولى قرابتكم الذين يرثونكم منه وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا كما قال في موضع آخر كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ولا يكون منسوخا بآية الميراث لم يكن لاحد صرفه الى انه منسوخ بآية الميراث اذ كان لادلالة على انه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة وهو محتمل من التأويل ما بينا واذا كان ذلك كذلك فتأويل قوله واذا حضر القسمة قسمة الموصي له بالوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاقسموا لهم منه بالوصية يعني فاوصوا لاولي القربى من أصولكم وقولوا لهم يعني الآخرين وهم اليتامى والمساكين قولا معروفا يعني يدعى لهم بخير كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قبل وأما الذين قالوا ان الآية منسوخة بآية المواريث والذين قالوا هي محكمة والمأمور بها ورثة الميت فانهم وجهوا قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاعطوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا بعض من قال ذلك وسنذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم ان يصلوا أرحامهم ويتاماهم بالوصية ان كان أوصى وان لم تكن وصية وصل اليهم من مواريثهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية يعني عند قسمة الميراث حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة قال ان أباه اعطاه من ميراث مصعب حين قسم ماله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين قال كانوا يرضخون لهم عند القسمة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن عن حطان ان أبا موسى أمر ان يعطوا اذا حضر قسمة الميراث أولوا القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي ومحمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان بن عبد الله الرقاشي قال قسم أبو موسى بهذه الآية واذ

التخجيل وهو أمر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين أي الداخلين في النار من أنصار في نفي الشفاعة للفساق لانهم نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب أن الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وأيضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤل معنى الآية الى أن الامر يومئذ لله وعلى هذا فائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وأيضا

فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له من العبث وان يخلق شيأ بغير حكمة فوجه حكمه النظام فى قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة فى خلق الارض والسموات أن يجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى (١٦٤) ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان أحد طرفى الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لابد أن ينتهى الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن أن يعلل أفعال الله بمصالح العباد بل له أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء والباطل فى اللغة الذاهب الزائل الذى لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشى والاضمحلال والمراد ان خلقه اخلق محكم متقن كقوله و بنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهم فى غاية شدة التركيب و بصدد البقاء الا انك غنى عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى أقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه فى الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وأودع فى كل واحد منهما قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلى قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن أن تعصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها فى ذلك فلا تبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون فى ذلك وقالوا ان الفلكيات أسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف فى هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافى استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون أفعال الله تعالى مستتبعة لصالح العباد لا ينافى جريان الامور كلها بقضائه حضر

وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم فى الهرب من ذلك فيكون أقرب الى الاستجابة كأنهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون أقرب الى الادب وأحرى بالاجابة وكل

فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ما طابت به الانفس حقا واجبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هى محكمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وهذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هى ثابتة وقال آخرون منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد انه قال فى هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث فلما أنزل الله المواريث لاهلها جعلت الوصية لذوى القرابة الذين يحرمون ولا يرثون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن قتادة قال سألت سعيد بن المسيب عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هى منسوخة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى مالك قال نسختها آية الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنا عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى الآية الى قوله قولا معروفا وذلك قبل أن تنزل الفرائض فانزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض فاعطى كل ذى حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال نسختها المواريث * وقال آخرون هى محكمة وليست بمنسوخة غير ان معنى ذلك واذا حضر القسمة يعنى بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصى له به قالوا وأمر بان يجعل وصيته فى ماله لمن سماه الله تعالى فى هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن سعيد الاموى قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يدع فى الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ما أصاب انما هذه الوصية يريد الميت أن يوصى لقرابته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة ان القاسم بن محمد أخبره ان عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر قسم نحوه حدثنا عمر بن موسى الصغار قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال أمر أن يوصى بثلثه فى قرابته حدثنا ابن المبارك قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال انما ذلك عند الوصية فى ثلثه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هى الوصية من الناس قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا

عليه وسلم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى وبناوآتنا ماوعدتنا على رسلك أى على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق فتكون على صلة للوعد كقولك وعدالله الجنة على الطاعة ويحتمل أن يتعلق بمحذوف أى ماوعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة (١٦٧) رسلك والمتعلق كماذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ماوعدمع علمهم بانه لايخلف الميعاد كما صرحوا به فى آخر الادعية لان معظم الغرض فى الدعاء اظهار سيماء العبودية أوالمراد وفقنا للاعمال التى بها نصير أهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون أهلا لاخزائك أو طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء أوالمراد احفظ علينا أسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولاتخزنا يوم القيامة لان التفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الآيات انهم نظروا فى المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا فى عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا أن صانعه حكيم والحكيم لاتخلو أفعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ماخلقت هذا باطلا ثم تاملوا فى غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الجنة أوالنار فتضرعوا الى معبودهم فى توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر أهم من جلب المنفعة جعلوا أول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحانى عند العقلاء أشد من العذاب الجسمانى فلاجرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا فى هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين فى ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أتنا أنجاه الله مما يخاف واعطاه ما أراد لان الله تعالى حكى عنهم فى هذه الآيات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم أى أجابهم انى أى بانى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر

والينامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال اذا كان الوارث عند القسمة فكان لاناء والشئ الذى لايستطاع أن يقسم فليرضخ لهم وان كان الميراث لليتامى فليقل لهم قولا معروفا وقال آخرون منهم ذلك واجب فى أموال الصغار والكبار لاولى القربى واليتامى والمساكين فان كان الورثة كبارا قولوا عند القسمة اعطاءهم ذلك وان كانوا صغارا تولى اعطاء ذلك منهم ولى مالهم ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال حدث عن محمد عن عبيدة أنه ولى وصية فامر بشاة فذبحت وصنع طعاما لاهل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى قال وقال الحسن لم تنسخ كانوا يحضرون فيعطون الشئ والثوب الخلق قال يونس ان محمد بن سيرين ولى وصية أوقال أيتاما فامر بشاة فذبحت فصنع طعاما كما صنع عبيدة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد أن عبيدة قسم ميراث أيتام فامر بشاة فاشتريت من مالهم وبطعام فصنع وقال لولا هذه الآية لاحببت أن يكون من مالى ثم قرأ هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه الآية فكان من ذهب من القائلين القول الذى ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومن قال يرضخ عنه قسمة الميراث لاولى القربى واليتامى والمساكين تاول قوله فارزقوهم منه فاعطوهم منه وكان الذين ذهبوا الى ماقال عبيدة وابن سيرين تأولوا قوله فارزقوهم منه فاطعموهم منه واختلفوا فى تاويل قوله وقولوا لهم قولا معروفا فقال بعضهم هو أمر من الله تعالى ذكره ولاة اليتامى أن يقولوا لاولى قرابتهم واليتامى والمساكين اذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الاموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيهان يعتذروا اليهم على نحو ماقد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار كما حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وقولوا لهم قولا معروفا قال هو الذى لا يرث أمر أن يقول لهم قولا معروفا قال يقول ان هذا المال لقوم غيب أولايتامى صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه شيأ قال فهذا القول المعروف وقال آخرون بل المامور بالقول المعروف الذى أمر رجل ثناؤه أن يقال له الرجل الذى يوصى فى ماله والقول المعروف هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير وقد ذكرنا قائلى ذلك أيضا بما أغنى عن اعادته فيما مضى ۞ القول فى تاويل قوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم وليخش ليخف الذين يحضرون موصيا يوصى فى ماله أن يامره بتفريق ماله وصية فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده كما لو كان هو الموصى يسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الى آخر الآية فهذا فى الرجل يحضره الموت فيسمعه أن يوصى بوصية تضر بورثته فامر الله سبحانه الذى يسمعه أن يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته اذا خشى عليهم الضيعة حدثنا على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا

أدلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصر الله وعورض بالآيات الدالة على الغفور بنا انا سمعنا منادیا ینادی تقول سمعت رجلا یتکلم بکذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اکتفاء بما وصفته به أو جعلته حالا عنه والمنادی عند الاکثرین هو رسول الله صلى الله علیه وسلم (١٦٦) لقوله ادع الى سبیل ربك أدعو الى الله وداعیا الى الله وقیل القرآن کما نسب الیه الهدایة فی قوله ان هذا القرآن یهدی کأنه یدعو الى نفسه وینادی بما فیه من الدلائل کما قیل فی جهنم تدعو من أدبر وتولى والفصحاء یصفون الدهر بانه ینادی ویعظ الدلائل تصاریفه قال یا واضع المیت فی قبره یخاطبك الدهر فلم تسمع ویقال ینادی الى کذا ولکذا ودعاه الیه وله وهداه الطریق والیه فیقام کل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال أبو عبیدة هذا على التقدیم والتاخیر أی سمعنا منادیا للایمان ینادی کما یقال جاءنا مناد للامیر فنادی بکذا وقیل معناه لاجل الایمان ولهذا الغرض. فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة أو مخففة معناه أی آمنوا أو بان آمنوا والفائدة فی الجمع بین المنادی وینادی للایمان هو فائدة الاطلاق ثم التقیید والاجمال ثم التفصیل من رفع شان المطلق والمجمل وکونه حینئذ أوقع فی النفس وأعز فاغفر لنا ذنوبنا وکفر عنا سیئاتنا أصل الغفر والتکفیر کلاهما الستر والتغطیة وأما الذنوب والسیئات فقیل هما واحد والتکرار للتاکید والالحاح ان الله یحب الملحین فی الدعاء وقیل الاول الکبائر والثانی الصغائر وقیل الاول أرید بها ما تقدم منهم والثانی المستانف وقیل الاول ما أتى به الانسان مع العلم بکونه معصیة وذنبا والثانی ما أتى به مع الجهل بکونه ذنبا وتوفنا مع الابرار أی معدودین منهم ومن أتباعهم أو مشارکین لهم فی الثواب أو على مثل أعمالهم ودرجاتهم کقول الرجل أنا مع الشافعی فی هذه المسئلة أی مساوله فی ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالآیة على ان العفو غیر مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذکر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقیب فی فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى أجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ویعلم منه ثبوت شفاعة النبی صلى الله

حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ويحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان عن أبي موسى في هذه الآية واذا حضر القسمة الآية قال قضى بها أبو موسى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر في الميراث اذا قسم قال كانوا يعطون منه الثياب والشيء الذي يستحيا من قسمته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عاصم عن أبي العالية والحسن قالا يرضخون ويقولون قولا معروفا في هذه الآية واذا حضر القسمة ثم اختلف الذين قالوا هذه الآية محكمة وان القسمة لاولى القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث ان كان بعض أهل الميراث صغيرا فقسم عليه الميراث ولي ماله فقال بعضهم ليس لولي ماله أن يقسم من ماله ووصيته شيئا لانه لا يملك من المال شيئا ولكنه يقول لهم قولا معروفا فاقالوا الذي أمره الله بان يقول لهم قولا معروفا هو ولي مال اليتيم اذا قسم مال اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم الا أن يكون ولي ماله أحد الورثة فيعطيهم من نصيبه ويعطيهم من يجوز أمره في ماله من انصبائهم قالوا فاما من مال الصغير فالذي يولى عليه ماله لا يجوز لولي ماله ان يعطيهم منه شيئا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي سعيد قال سالت سعيد بن جبير عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال ان كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم وان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانوا صغارا قال وليهم انى لست أملك هذا المال وليس لي وانما هو للصغار فذلك قوله وقولوا لهم قولا معروفا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال هما وليان ولي يرث وولي لا يرث فاما الذي يرث فيعطى وأما الذي لا يرث فقولوا له قولا معروفا حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا ابن داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث ان كان الميراث لمن قد أدرك فله أن يكسو منه وان يطعم الفقراء والمساكين وان كان الميراث ليتامى صغار فيقول الولي انه ليتامى صغار ويقول لهم قولا معروفا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي سعيد عن سعيد بن جبير قال ان كانوا كبارا رضخوا وان كانوا صغارا اعتذروا اليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سليمان الشيباني عن عكرمة واذا حضر القسمة أولوا القربى قال كان ابن عباس يقول اذا ولي شيئا من ذلك يرضخ لاقرباء الميت وان لم يفعل اعتذر اليهم وقال لهم قولا معروفا حدثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا هذه تكون على ثلاثة أوجه أما رجل فيوصي لهم وصية فيحضرون ويأخذون وصيتهم وأما الثاني فانهم يحضرون فيقسمون اذا كانوا رجالا فينبغي لهم أن يعطوهم وأما الثالث فتكون الورثة صغارا فيقوم وليهم اذا قسم بينهم فيقول للذين حضروا حقكم حق وقرابتكم قرابة ولو كان لي في الميراث نصيب لاعطيتكم ولكنهم صغار فان يكبروا فستعرفون حقكم فهذا القول المعروف حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رجل عن سعيد انه قال اذا حضر القسمة أولوا القربى

دليل على أن حكمة الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل رأسا عن الحسن أخبر الله تعالى انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار (١٦٩) كانوا في التنعم أراد أن يسليهم ويصبرهم فقال

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة فأتينا مقسما فسألناه يعني عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية فقال ما قال سعيد بن جبير فقلنا كذا وكذا فقال ولكنه الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وأمسك عليك مالك فليس أحد أحق بمالك من ولدك ولو كان الذي يوصي ذا قرابة لهم لاحبوا أن يوصي لهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت قال قال مقسم هم الذين يقولون اتق الله وأمسك عليك مالك فلو كان ذا قرابة لهم لاحبوا أن يوصي لهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي وقرأ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لاهلها كما ان لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة لاحب أن يوصى لهم وان كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذي يحق عليه فان ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يحث عليه فليتق الله هو فليأمره بالوصية وان كان هو الوارث أو نحوا من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أمر من الله ولاة اليتامى من أن يلوهم بالاحسان اليهم في أنفسهم وأموالهم ولا يأكلوا أموالهم اسرافا وبدارا أن يكبروا وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصغار بعدهم لهم بالاحسان اليهم لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغارا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعني بذلك الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة ويخاف بعده أن لا يحسن اليهم من يليهم يقول فان ولي مثل ذرية ضعافا يتامى فليحسن اليهم ولا يأكل أموالهم اسرافا وبدارا خشية أن يكبروا فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا يكفيهم الله أمر ذريتهم بعدهم * ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن عطية بن دريج بن عطية قال ثني عمي محمد بن دريج عن أبيه عن الشيباني قال كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة بن عبد الملك فينا ابن محيريز وابن الديلمي وهانئ بن كلثوم قال فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان قال فضقت ذرعا بما سمعت قال فقلت لابن الديلمي يا أبا بشر بودي أنه لا يولد لي ولد أبدا قال فضرب بيده على منكبي وقال يا ابن أخي لا تفعل فانه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل الا وهي خارجة ان شاء وان أبى قال ألا أدلك على أمر ان أنت أدركته نجاك الله منه وان تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك قال قلت بلى قال فتلا عند ذلك هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * قال أبو جعفر وأولى التأويلات بالآية قول من قال تأويل ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم العيلة لو كانوا افترقوا أموالهم في حياتهم أو قسموها وصية منهم بها الاولى قرابتهم وأهل اليتم والمسكنة فابقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب فليأمروا من حضروه وهو يوصي لذوي قرابته وفي اليتامى والمساكين وفي غير ذلك بما له بالعدل وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وهو أن يعرفوه ما أباح الله له من الوصية وما اختاره المؤمنون من أهل الايمان بالله وبكتابه وسنته وانما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن معنى قوله وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فاوصوا لهم بما قد دللنا عليه من الادلة فاذا كان ذلك تأويل قوله

لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه أي لا يغرنك أيها السامع أو الرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غر والله نبي الله حتى قبضه الله أوله والمراد هو فلعل السبب في عدم اغتراره هو تواتر أمثال هذه الآيات عليه قبل ان مشركي مكة كانوا يتجرون و يتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمزارع والمتاجر ذلك التقلب أو الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب أو هو قليل في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين أمدي الازل والابد مع فانه سبب للوقوع في نار جهنم أبد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم تكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي. والنزل ما يعد للضيف و يعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شئ آخر يكون أصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل أن يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شئ من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء أو نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني أهل الكتاب

أو أنثى من فى منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من أفراد المخاطبين وفى من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما أنثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض أى يجمع ذكوركم وانا ثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أى من أصله أو المراد بعضكم كائنه من البعض الآخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان منى أى على خلقى وسيرتى قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها اشتراكة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل وروى ان أم سلمة قالت يا رسول الله انى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا أوطانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده باختيارهم وأخرجوا من ديارهم ألجأهم الكفار الى الخروج وأوذوا فى سبيلى يريد طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قر أبالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل أى قطعوا ومن قر أقتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا تفيد الترتيب والترتيب الطبيعى قاتلوا حتى قتلوا وأما من قولهم قتلنا وربّ الكعبة ذا ظهرت أمارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد أى قتلوا وقد قاتلوا لا كفرن جواب القسم لتقدرته بهم سيئاتهم وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولاد خلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذى طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة أى ثوابا يختص به وبقدرته وبفضله لا يشيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندى ما تريد أى أنا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد أى اثابة أو تثويبا من عنده لان قوله لا كفرن ولاد خلنهم فى معنى لاثيبنهم وقال الكسائى هو منصوب على القطع أى على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة أو بيعا أو صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات القاضى جميع الحاجات وفى تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق فى دينه والصبر على صعوبة تكاليفه

عليهم يعنى الذى يحضره الموت فيقال له تصدق من مالك وأعتق واعط منه فى سبيل الله فنهوا أن يامروه بذلك يعنى أنه من حضر منكم مريضا عند الموت فلا يامره أن ينفق ماله فى العتق أو الصدقة أو فى سبيل الله ولكن يامره أن يبين ماله وما عليه من دين و يوصى فى ماله لذوى قرابته الذين لا يرثون و يوصى لهم بالخمس أو الربع يقول أليس يكره أحدكم اذا مات وله ولد ضعاف يعنى صغارا أن يتركهم بغير مال فيكونوا عيالا على الناس فلا ينبغى أن تامروا بما لا ترضون به لانفسكم ولا أولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يقول من حضر ميتا فليأمره بالعدل والاحسان ولينهه عن الحيف والجور فى وصيته وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وليخش الذين تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال اذا حضرت وصية ميت فره بما كنت آمرا نفسك بما تتقرب به الى الله وخف فى ذلك ما كنت خائفا على ضعفتك لو تركتهم بعدك يقول فاتق الله وقل قولا سديدا ان هو زاغ **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا الرجل يحضره الموت فيحضره القوم عند الوصية فلا ينبغى أن يقولوا له أوص بمالك كله وقدم لنفسك فان الله سيرزق عيالك ولا يتركوه يوصى بماله كله يقول للذين حضروا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغارا ضعافا لا شئ لهم الضيعة بعده فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم فيقول له القول السديد **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة الى سعيد بن جبير فسألناه عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية قال قال الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله صلهم أعطهم برهم ولو كانوا هم الذين يامرهم بالوصية لاحبوا أن يبقوا الاولادهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير فى قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يحضر هم اليتامى فيقولون اتق الله وصلهم وأعطهم فلو كانوا هم لاحبوا أن يبقوا الاولادهم **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية يقول اذا حضر أحدكم من حضره الموت عند وصيته فلا يقل أعتق من مالك وتصدق فيغرق ماله و يدع أهله عيلا ولكن مروه فليكتب ماله من دين وما عليه و يجعل من ماله لذوى قرابته خمس ماله و يدع سائره لورثته **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الآية قال هذا يفرق المال حين يقسم فيقول الذين يحضرون أقلل زد فلانا فيقول الله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال فى ولده بالعدل اذا أكثر ابق على ولدك وقال آخرون بل عنى بذلك وليخش الذين يحضرون الموصى وهو يوصى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطمعوا لهم أن ينهوه عن الوصية لاقربائه وأن يامروه بامساك ماله والتحفظ به لولده وهم لو كانوا من أقرباء الموصى لسرهم أن يوصى لهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال

شديدا جرها وانما قلنا ان ذلك كذلك لان الله جل ثناؤه قال واذا الجحيم سعرت فوصفها بانها مسعورة ثم أخبر جل ثناؤه ان أكلة أموال اليتامى يصلونها وهى كذلك فالسعير اذا فى هذا الموضع صفة للجحيم على ماوصفنا ۞ القول فى تاويل قوله (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) يعنى جل ثناؤه بقوله يوصيكم الله يعهد الله اليكم فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين يقول يعهد اليكم ربكم اذا مات الميت منكم وخلف أولادا ذكورا واناثا فأولاده الذكور والاناث ميراثه أجمع بينهم للذكر منهم مثل حظ الانثيين اذا لم يكن وارث غيرهم سواء فيه صغارولده وكباره واناثهم فى ان جميع ذلك بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ورفع قوله مثل بالصفة وهى اللام التى فى قوله للذكر ولم ينصب بقوله يوصيكم الله لان الوصية فى هذا الموضع عهد واعلام بمعنى القول والقول لا يقع على الاسماء المخبر عنها فكانه قيل يقول الله تعالى ذكره لكم فى أولادكم للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقد ذكر ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم تبيينا من الله الواجب من الحكم فى ميراث من مات وخلف ورثته على ما بين لان أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لاحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقى العدو ولا يقاتل فى الحروب من صغار ولده ولا للنساء منهم وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية فاخبر الله جل ثناؤه ان ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا فى هذه الآية وفى آخر هذه السورة فقال فى صغار ولد الميت وكبارهم واناثهم لهم ميراث أبيهم اذا لم يكن له وارث غيرهم للذكر مثل حظ الانثيين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الصغار من الغلمان لا يورث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وترك خمس أخوات فجاءت الورثة ياخذون ماله فشكت أم كحة ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تبارك وتعالى هذه الآية فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ثم قال فى أم كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وذلك انه لما نزلت الفرائض التى فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه أو نقول له فيغيره فقال بعضهم يا رسول الله أنعطى الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ونعطى الصبى الميراث وليس يغنى شيأ وكانوا يتعاون ذلك فى الجاهلية لا يعطون الميراث الا من قاتل ويعطونه الاكبر فالاكبر وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل ان المال كان للولد قبل نزوله وللوالدين الوصية فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو عطاء عن ابن عباس فى قوله يوصيكم الله فى أولادكم قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس مع الولد وللزوج الشطر والربع وللزوجة الربع والثمن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ

وبالاسناد ثم انه لا بد للانسان فى تكلف أصناف الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على أضدادذلك فامر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على أمر فقد ربط قلبه عليه وألزم نفسه اياه ثم لا بد فى جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا أمر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على (١٧١) وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه

فظهر ان هذه الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم فى هذه السورة من الاصول وهى تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكاة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تغشوا بسبب ما أصابكم يوم أحد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغى أن يكونوا أصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى فى هذه السورة أمرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله فى الجهاد فيها أمرهم بالمصابرة مع الاعداء أما المرابطة ففيها قولان أحدهما أن يربط هؤلاء خيولهم فى الثغور ويربط أولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلاة بعد الصلاة لما روى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه قال لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة وفى حديث أبى هريرة ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال فذلك الرباط ثلاث مرات والله أعلم * التاويل ان فى خلق سموات القلوب وأطوارها وخلق أرض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروحانية وأنوارها لآيات لاولى الالباب الذين عبروا بقدمى الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسمانى ووصلوا الى لب الوجود الروحانى فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا

كلهم فقال وان من أهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا عن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبريل الى رسول الله (١٧٠) صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاصحاب

اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان أو على اسمه عند الفصل كما في الآية والمراد بما أنزل اليكم القرآن وما أنزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من أحبارهم ورؤسائهم أولئك أجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شان هذا الوعد حسبما أشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي مالكل أحد من جزاء الحسنات والسيئات أو المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك أن أحوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على أداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها ومحاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع أهل المنزل أو المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الرديئة من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع أعداء الدين بالحجة وبالسيف وبالسنان

واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين الآية قالوا واجب أن يكون قوله تعالى ذكره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم تأديبا منه عباده في أمر الوصية بما أذنهم فيه اذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية وكان أظهر معانيه ما قلنا فالحاق حكمه بحكم ما قبله أولى من اشتباه معانيها من صرف حكمه الى غيره بما هو له غير مشبه ومعنى ما قلنا في تاويل قوله وليقولوا قولا سديدا قال من ذكرنا قوله في مبتدأ تاويل هذه الآية وبه كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال يقول قولا سديدا يذكر هذا المسكين وينفعه ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدى ولا يضربه لانه صغير لا يدفع عن نفسه فانظر له كما تنظر الى ولدك لو كانوا صغارا اذا السديد من الكلام هو العدل الصواب ﴿القول في تاويل قوله (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يقول بغير حق انما يأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلما في الدنيا نار جهنم وسيصلون بأكلهم سعيرا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا قال اذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلما بعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال هذه لاهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم ويأكلون أموالهم وأما قوله وسيصلون سعيرا فانه مأخوذ من الصلا والصلا الاصطلاء بالنار وذلك السجن بها كما قال الفرزدق

وقائل كاب الحي عن نار أهله * ليربض فيها والصلا متكنف

وكما قال العجاج * والصاليان للصلا صلي * ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الامور من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك كما قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله * وانى لحرها اليوم صالى

فجعل ما باشر من شدة الحرب واجراء القتال بمنزلة مباشرة أذى النار وحرها واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وسيصلون سعيرا بفتح الياء على التاويل الذي قلنا وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين وسيصلون بضم الياء بمعنى يحرقون من قولهم شاة مصلية يعني مشوية قال أبو جعفر والفتح بذلك أولى من الضم لاجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله لا يصلاها الا الاشقى ولدلالة قوله الا من هو صال الجحيم على ان الفتح بها أولى من الضم وأما السعير فانه شدة حر جهنم ومنه قيل أسعرت الحرب اذا اشتدت وانما هو مسعور ثم صرف الى سعير قيل كف خضيب ولحية دهين وانما هو مخضوب به صرفت الى فعيل فتاويل الكلام اذا وسيصلون نارا سعيرة أي موقودة مشتعلة شديدا

تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيأ مريأ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) القراآت تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلى وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد أى بادغام تاء التفاعل فى السين والارحام بالجر حمزة الباقون

ذكر ولا أنثى وورثه أبواه دون غيرهما من ولد وارث فلامه الثلث يقول فلامه من تركته وما خلف بعده ثلث جميع ذلك فان قال قائل فمن الذى له الثلثان الاخوان قيل له الاب فان قال قائل بماذا قلت بانه أقرب أهل الميت اليه وذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان اذ كان قد بين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده ان كل ميت فاقرب عصبته به أولى بميراثه بعد اعطاء ذوى السهام المفروضة سهامهم من ميراثه وهذه العلة هى العلة التى من أجلها سمى اللام ما سمى لها اذ لم يكن الميت خلف وارثا غير أبويه لان الام ليست بعصبة فى حال الميت فبين الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها اذ كان قد عرفهم فى جملة بيانه لهم من له بقايا تركه الاموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم وكان بيانه ذلك معينا لهم على تدبير حكمه مع كل من قسم له حقا من ميراث ميت وسمى له منه سهما ﴿القول فى تأويل قوله جل ذكره (فان كان له اخوة فلامه السدس) ان قال قائل وما المعنى الذى من أجله ذكر حكم الابوين مع الاخوة وترك ذكر حكمهما مع الاخ الواحد قلت اختلاف حكمهما مع الاخوة الجماعة والاخ الواحد فكان فى ابانة الله جل ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من ولدهما الميت مع اخوته غنى وكفاية عن ان حكمهما فيما لو ورثا منه غير متغير عما كان لهما ولا أخ للميت ولا وارث غيرهما اذ كان معلوما عندهم ان كل مستحق حقا بقضاء الله ذلك له لا ينتقل حقه الذى قضى به له ربه جل ثناؤه عما قضى به له الى غيره الا بنقل الله ذلك عنه الى من نقله اليه من خلقه فكان فى فرضه تعالى ذكره للام ما فرض اذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده لواضح الدلالة الواضحة للخلق ان ذلك المفروض هو ثلث مال ولدها الميت حق لها واجب حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها فلما غير تعالى ذكره ما فرض لها من ذلك مع الاخوة الجماعة وترك تغييره مع الاخ الواحد علم بذلك ان فرضها غير متغير عما فرض لها الا فى الحال التى غيره فيها من لزم العباد طاعته دون غيرها من الاحوال ثم اختلف أهل التأويل فى عدد الاخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله فان كان له اخوة فقال جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من علماء أهل الاسلام فى كل زمان عنى الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة فلامه السدس اثنين كان الاخوة أو أكثر منهما انثيين كانا أو كن اناثا أو ذكرين كانا أو كانوا ذكورا وان كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى واعتل كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته الامة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضا قطع العذر مجيئه ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه كان يقول بل عنى الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة جماعة أقلها ثلاثة وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجب الام عن ثلثها مع الاب باقل من ثلاثة اخوة فكان يقول فى أبوين وأخوين للام الثلث وما بقى فللاب كما قال أهل العلم فى أبوين وأخ واحد ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنى ابن أبى ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس انه دخل على عثمان رضى الله عنه فقال لم صار الاخوان يردان الام الى السدس وانما قال الله فان كان له أخوة والاخوان فى لسان قومك وكلام قومك ليسا باخوة فقال عثمان رضى الله عنه هل أستطيع نقض أمر كان قبلى وتوارثه الناس ومضى فى الامصار قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى ان المعنى بقوله فان كان له اخوة اثنان من اخوة الميت فصاعدا على ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه

بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة فى الوقف على أيهما وقف واذا انفرد هنيئا همزها كل القرآن يزيد قبل ابن عامر ونافع الباقون قبلا ضعفا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والجعلى وخلف لغتان وقتية على أمسله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها * الوقوف وتسامح * لان الجملتين وان اتفقتا لا انه

بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا باعدنا عن عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم أخبر عن شرط

العبودية في استجلاب فضل الربوبية وبنا انا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا أي كما أسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسمعي مناقبل أن تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا أضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر أو أنثى على قدر قيمتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة وأخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية وأوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والتطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند الجنة وغيرها وان من أهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ويؤمن بما أنزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما أنزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى لشئ خضع له لا يشترون لما أوتوا ذكر

من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاآت ترابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ماسواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر

الانثيين قال كان ابن عباس يقول كان المال وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس مثله وروى عن جابر بن عبد الله ماحدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض فتوضأ ونضح علي من وضوئه فافقت فقلت يارسول الله انما يرثني كلالة فكيف بالميراث فنزلت آية الفرائض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني محمد بن المنكدر عن جابر قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة ماشيان فوجداني لا أعقل فدعا بوضوء فتوضأ ثم رش علي فافقت فقلت يارسول الله كيف أصنع في مالي فنزلت يوصيكم الله في أولادكم الآية

❁ القول في تاويل قوله (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) يعني بقوله فان كن فان كان المتروكات نساء فوق اثنتين ويعني بقوله نساء بنات الميت فوق اثنتين يقول أكثر في العدد من اثنتين فلهن ثلثا ماترك يقول فلبنات الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته اذا لم يكن الميت خلف ولدا ذكرا معهن واختلف أهل العربية في المعنى بقوله فان كن نساء فقال بعض نحوي البصرة بنحو الذي قلنا فان كان المتروكات نساء وهو أيضا قول بعض نحوي الكوفة وقال آخرون منهم بل عنى ذلك فان كان الاولاد نساء وقال انما ذكر الله الاولاد فقال يوصيكم الله في أولادكم ثم قسم الوصية فقال فان كن نساء وان كان الاولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الاولاد قال أبو جعفر والقول الاول الذي حكيناه عن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي لان قوله وان كن لو كان معنيا به الاولاد لقيل وان كانوا لان الاولاد تجمع الذكور والاناث واذا كان كذلك فانما يقال كانوا لا كن

❁ القول في تاويل قوله (وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعني بقوله وان كانت المتروكة واحدة فلها النصف يقول فلتلك الواحدة نصف ماترك الميت من ميراثه اذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكرا ولا أنثى فان قال قائل فهذا فرض الواحدة من النساء وما فوق الاثنتين فان فريضة الاثنتين قبل فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشك وأما قوله ولابويه فانه يعني ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس من تركته وما خلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد لا يزاد واحد منهما على السدس ان كان له ولد ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فان قال قائل فاذ كان كذلك التأويل فقد يجب أن لا يزاد الوالدة مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت وذلك ان قلته قول خلاف لما عليه الامة مجمعون من تصييرهم باقي تركة الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها الوالده أجمع قيل ليس الامر في ذلك كالذي ظننت وانما لكل واحد من أبوي الميت السدس من تركته مع ولده ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فريضة من الله له مسماة فان زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة اذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فانما يزيدها ثانيا القرب عصبة الميت اليه اذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض فلاولى عصبة الميت وأقربهم اليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاب أقرب عصبة ابنه وأولاها به اذا لم يكن لابنه الميت ابن ❁ القول في تاويل قوله (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) يعني جل ثناؤه بقوله فان لم يكن له فان لم يكن للميت ولد

بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من أصل واحد وأرومة واحدة أعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة وأظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر أمر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا وأجمع

عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة لا ولد له ولا والد قال أبو جعفر وأولى ذلك بالصواب أن يقال في ذلك ان الله تعالى ذكره فرض للام مع الاخوة السدس لما هو أعلم به من مصلحة خلقه وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لاولادهم وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك وليس ذلك مما كلفنا علمه وانما أمرنا بالعمل بما علمنا وأما الذي روى عن طاوس عن ابن عباس فقول لما عليه الامة مخالف وذلك انه لا خلاف بين الجميع أن لا ميراث لاخ مع ميت مع والده فكفى اجماعهم على خلافه شاهدا على فساده ۞ القول في تاويل قوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصى بها أو دين ان الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والاناث ولابويه من ترك ميته من بعد وفاته انما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها بعد قضاء دينه كله فلم يجعل تعالى ذكره لاحد من ورثة الميت ولا لاحد ممن أوصى له بشئ الا من بعد قضاء دينه من جميع تركته وان أحاط بجميع ذلك ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصي لهم به مالم يجاوز ذلك ثلثه فان جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في اجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده الى ورثته ان أحبوا أجاز والزيادة على ثلث ذلك وان شاؤا ردوه فاما ما كان من ذلك الى الثلث فهو ماض عليهم وعلى كل ما ظلنا من ذلك الامة مجمعة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر وهو ما حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال انكم تقرؤن هذه الآية من بعد وصية يوصى بها أو دين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبي اسحق عن الحرث عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن ابن مجاهد عن أبيه من بعد وصية يوصى بها أو دين قال يبدأ بالدين قبل الوصية واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق يوصى بها أو دين وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة يوصى بها على معنى مالم يسم فاعله قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك من بعد وصية يوصى بها أو دين على مذهب ما قد سمى فاعله لان الآية كلها خبر عمن قد سمى فاعله ألا ترى أنه يقول ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فكذلك الذي هو أولى بقوله يوصى بها أو دين أن يكون خبرا عمن قد سمى فاعله لان تاويل الكلام ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد من بعد وصية يوصى بها أو دين يقضى عنه ۞ القول في تاويل قوله (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يعني جل ثناؤه بقوله آباؤكم وأبناؤكم هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم من قسمة ميراث ميتكم فيهم على ما سمى لكم وبينه في هذه الآية آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتكم ان تعطوهموها فانكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم واختلف أهل التأويل في تاويل قوله لا تدرون فقال بعضهم يعني بذلك أيهم أقرب لكم نفعا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله آباؤكم وأبناؤكم

ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من السوق والا كان الانسب أن يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل

المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا هو آدم عليه السلام والتانيث في الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وقال أبو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاى فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره أبو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبائعيين بالآية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشئ عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شئ في صورة واحدة من المادة لحكمة أن يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف أي أنشاها وخلق منها أو معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي خلقكم من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الغائبة للحصر أقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار

اعترضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ه بالطيب ص الى أموالكم ط كبيرا ه ورباع ج اعمالكم ط أن لا تعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان المشروط خارج عن أصل الموجب مريئا ه معروفا ه النكاح ج أموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف (١٧٤) ط للعود الى حل الموجب بعد وقوع العارض عليهم ط حسيبا ه والاقربون الاول

وسلم دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لنقل الامة وراثة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة وانكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك فان قال قائل وكيف قيل في الاخوين اخوة وقد علمت أن الاخوين في منطق العرب مثالا لا يشبه مثال الاخوة في منطقها قيل ان ذلك وان كان كذلك فان من شأنها التاليف بين الكلامين بتقارب معنييهما وان اختلفا في بعض وجوههما فلما كان ذلك كذلك وكان مستفيضا في منطقها منتشرا مستعملا في كلامها ضربت من عبد الله وعمرو رؤسهما وأوجعت منهما ظهورهما وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال أوجعت منهما ظهرهما وان كان مقولا أوجعت ظهرهما كما قال الفرزدق

بما في فؤادينا من الشوق والهوى * فيبرأ من هاض الفؤاد المشغف

غير ان ذلك وان كان مقولا فافصح منه بما في أفئدتنا كما قال جل ثناؤه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فلما كان ما وصفت من اخراج كلما كان في الانسان واحدا اذا ضم الى الواحد منه آخر من انسان آخر فصارا اثنين من اثنين بلفظ الجمع أفصح في منطقها وأشهر في كلامها وكان الاخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الانسان من أعضائه واحدا الا ثانيا له فاخرج أثنيهما بلفظ أثنى العضوين اللذين وصفت فقيل اخوة في معنى الاخوين كما قيل ظهور في معنى الظهرين وأفواه في معنى فمين وقلوب في معنى قلبين وقد قال بعض النحويين انما قيل اخوة لان أقل الجمع اثنان وذلك ان ذلك ضم شيء الى شيء صارا جميعا بعد اذ كانا فردين فجمعا بالعلم أن الاثنين جمع وهذا وان كان كذلك في المعنى فليس بعلة تنبي عن جواز اخراج ما قد جرى الكلام مستعملا مستفيضا على ألسن العرب لاثنيه بمثال وصورة غير مثال ثلاثة فصاعدا منه وصورتها الان من قال أخواك قاما فلا شك انه قد علم أن كل واحد من الاخوين فرد ضم أحدهما الى الآخر فصارا جميعا بعد ان كانا شتى عنوان الامر وان كان كذلك فلا تستجيز العرب في كلامها أن يقال أخواك قاموا فيخرج قولهم قاموا وهو لفظ للخبر عن الجميع خبرا عن الاخوين وهما بلفظ الاثنين لان لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم مغروفا عندهم بمثال وصورة اذا غيره بغيره ما قد عرفوه فيهم أنكروه فكذلك الاخوان وان كانا مجموعين ضم أحدهما الى صاحبه فلهما مثال في المنطق وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعدا وصورتهم فغير جائز أن يغير أحدهما الى الآخر الا بمعنى مفهوم واذ كان ذلك كذلك فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل فان قال قائل ولم نقصت الام عن ثلثها بصير اخوة الميت معها اثنين فصاعدا قيل اختلفت العلماء في ذلك فقال بعضهم نقصت الام عن ذلك وردته الام لان على الاب مؤنتهم دون أمهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس أنزلوا الام ولا يرثون ولا يحجبها الا الاخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون انهم انما حجبوا أمهم من الثلث لان أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم وقال آخرون بل نقصت الام السدس وقصرت بها على سدس واحد معونة لاخوة الميت بالسدس الذي حجبوا أمهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال السدس الذي حجبته الاخوة الام لهم انما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم وقد روي عن ابن عباس خلاف هذا القول وذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن عيينة عن

ص أوكثر ط بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه * التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطيف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ أموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلاة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن أن فيه سورتين صدرهما يا أيها الناس احداهما في النصف الاول وهي الرابعة من سورة والاخرى في النصف الثاني وهي أيضا في الرابعة من سورة ثم التي في النصف الاول مصدرة بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة أما القيد الاول وهو أنه خلقنا فلا شك أنه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال أمر مولاه في كل ما يامره وينهاه وأيضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على أن مقابلة نعمته بالخدمة متحال لان توفيق تلك الخدمة نعمة أخرى منه وأما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق عمرو أشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير أشكالهم وتباين أمزجتهم واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة أو لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد أخر منها انه يامر عقيبه

والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف أى والارحام كذلك أى انها يتقى وينشاد بها فان قيل لم قال أولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا أما تكرار الامر فلتأكيد كقولك للرجل عجل عجل وأما تخصيص الرب بالاول واتيه بالثانى فلان الغرض فى الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفى الثانى الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه ربك وأحسن اليك فاتق محارمه واتقه والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء فى الآية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما فى الآية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهى عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال فى سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفى الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافى الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فاذا هذا بنى أصحاب أبى حنيفة على هذا الاصل مسئلتين احداهما ان الرجل اذا مات وترك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقى المالك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذى الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع أعمالكم فيجازيكم

و تقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية لانه لم يرد من معنى ذلك اخراج أحد الشيئين الدين والوصية من ماله فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية ﴿ القول فى تاويل قوله ﴾ (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) يعنى بذلك جل ثناؤه وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الاسلام وان كان رجل يورث كلالة يعنى وان كان رجل يورث من يتكالل النسب فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم تكالله النسب تكالا وكلالة بمعنى يعطف عليه النسب وقرأ بعضهم وان كان رجل يورث كلالة بمعنى وان كان رجل يورث من يتكاله بمعنى من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت واختلف أهل التأويل فى الكلالة فقال بعضهم هى ماخلا الوالد والولد ذكر من قال ذلك حدثنا الوليد بن شجاع السكونى قال ثنى على بن مسهر عن عاصم عن الشعبى قال قال أبو بكر رضى الله عنه انى قد رأيت فى الكلالة رأيا فان كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وان يكن خطأ فنى والشيطان والله منه برىء ان الكلالة ماخلا الولد والوالد فلما استخلف عمر رضى الله عنه قال انى لاستحيى من الله تبارك وتعالى ان أخالف أبا بكر فى رأى رآه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عاصم الاحول قال ثنا الشعبى ان أبا بكر رضى الله عنه قال فى الكلالة أقول فيها برأى فان كان صوابا فمن الله هو ما دون الولد والوالد قال فلما كان عمر رضى الله عنه قال انى لاستحيى من الله ان أخالف أبا بكر حدثنا أبو بشر بن عبد الاعلى قال أخبرنا سفيان عن عاصم الاحول عن الشعبى ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قالا الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن عمران بن حدير عن السميط قال كان عمر رجلا أيسر فخرج يوما وهو يقول بيده هكذا يديرها الا أنه قال أتى على حين ولست أدرى ما الكلالة ألا وان الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن عامر عن أبى بكر قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية عن ابن عباس قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سليم بن عبد عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سليم بن عبد السلولى عن ابن عباس قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قال الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد اتفقوا انه من مات ولم يدع ولدا ولا والدا انه كلالة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق بن يوسف عن شريك عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد أجمعوا أن الكلالة الذى ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال أدركتهم وهم يقولون اذا لم يدع الرجل ولدا ولا والدا ورث كلالة حدثنا

والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى أعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال وانساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين فى صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فالعطف على اسم الله أى واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار أكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وهو اختيار أبى على الفارسى وعلى بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء أى والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور وفيه وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة أخرى وهى انها تقتضى جواز الحلف بالارحام وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهى عنه هو الحلف بالآباء وههنا حلف أولا بالله ثم قرن به الرحم فان أحدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم أيضا منهى عنه لكن لا نسلم انه نهى عنه مطلقا وانما المنهى عنه ما حلف على سبيل التعظيم وأما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء فى الحديث أفلح وأبيه ان صدق سلمنا انه منهى عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يتعاونه فى الجاهلية من قولهم فى الاستعطاف والتساءل وهو سؤال البعض البعض أسألك بالله وبالرحم وأنشدك الله والرحم وتقديم

لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض وقال آخرون معنى ذلك لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أيهم أقرب لكم نفعا فى الدنيا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال بعضهم فى نفع الآخرة وقال بعضهم فى نفع الدنيا وقال آخرون فى ذلك بما قلنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أيهم خير لكم فى الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم فرضى لهم المواريث لم يأت بآخرين يشركونهم فى أموالكم ۞ القول فى تاويل قوله (فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما) يعنى بقوله جل ثناؤه فريضة من الله وان كان له اخوة فلامه السدس فريضة يقول سها ما معلومة مؤقتة بينها الله لهم ونصب قوله فريضة على المصدر من قوله يوصيكم الله فى أولادكم لذكر مثل حظ الانثيين فريضة فاخرج فريضة من معنى الكلام اذ كان معناه ما وصفت وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس فريضة فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس كما تقول هو لك هبة وهو لك صدقة عليك وأما قوله ان الله كان عليما حكيما فانه يعنى جل ثناؤه ان الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس فانتهوا الى ما يامركم به يصلح لكم أموركم حكيما يقول لم يزل ذا حكمة فى تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض وفيما يقضى بينكم من الاحكام لا يدخل حكمه خلل ولا زلل لانه قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة فى البدء والعاقبة ۞ القول فى تاويل قوله (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) يعنى بذلك جل ثناؤه ولكم أيها الناس نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث ان لم يكن لهن ولد يوم يحدث لهن الموت لا ذكر ولا أنثى فان كان لهن ولد أى فان كان لازواجكم يوم يحدث لهن الموت ولد ذكر أو أنثى فلكم الربع مما تركن من مال وميراث ميراثا لكم عنهن من بعد وصية توصين بها أو دين يقول ذلك لكم ميراثا عنهن مما يبقى من تركاتهن وأموالهن من بعد قضاء ديونهن التى يمتن وهى عليهن ومن بعد انفاذ وصاياهن الجائزة ان كن أوصين بها ۞ القول فى تاويل قوله (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) يعنى جل ثناؤه بقوله ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ولا زواجكم أيها الناس ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث ان حدث باحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى فان كان لكم ولد يقول فان حدث باحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى واحدا كان الولد أو جماعة فلهن الثمن مما تركتم يقول فلازواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التى تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التى حدث بكم حدث الوفاة وهى عليكم ومن بعد انفاذ وصاياكم الجائزة التى توصون بها وانما قيل من بعد وصية توصون بها أو دين فقدم ذكر الوصية على ذكر الدين لان معنى الكلام ان الذى فرضت لمن فرضت له منكم فى هذه الآيات انما هو له من بعد اخراج أى هذين كان فى مال الميت منكن من وصية أو دين فلذلك كان سواء تقدم ذكر الوصية قبل ذكر الدين

ابن سويد عن العلاء بن زياد قال جاء شيخ الى عمر رضى الله عنه فقال انى شيخ وليس لى ولد وارث الا كلالة اعراب مترا خين أفاوصى بثلث مالى قال لا فقد أنبأ عن هذه الاخبار عن صحة ما قلنا من معنى الكلالة وانها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده ۞ القول فى تأويل قوله (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) يعنى بقوله جل ثناؤه وله أخ أو أخت والرجل الذى يورث كلالة أخ أو أخت يعنى أخا أو أختا من أمه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن سعد انه كان يقرأ وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة يقول قرأ على سعد وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة بن كعب قال قرأت على سعد فذكر نحوه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد بن أبى وقاص قرأ وان كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام ان كان واحدا فله السدس وان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام فهم شركاء فى الثلث سواء الذكر والانثى وقوله فلكل واحد منهما السدس اذا انفرد الاخ وحده أو الاخت وحدها ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لامه فان اجتمع أخ وأخت أو أختان لا ثالث معهما لامهما أو أختان كذلك أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لامهما السدس وان كانوا أكثر من ذلك يعنى فان كان الاخوة والاخوات لام الميت الموروث كلالة أكثر من اثنتين فهم شركاء فى الثلث يقول فالثلث الذى فرضت لاثنتهم اذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثا لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة شركة بينهم اذا كانوا أكثر من اثنين الى ما بلغ عددهم على عدد رؤسهم لا يفضل ذكرهم على أنثى فى ذلك ولكنه بينهم بالسوية ۞ فان قال قائل وكيف قيل وله أخ أو أخت ولم يقل لهما أخ أو أخت وقد ذكر مثل ذلك رجل أو امرأة فقيل وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قيل ان من شأن العرب اذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر فعطفت باحدهما على الآخر بأو ثم أتت بالخبر أضافت الخبر اليهما أحيانا وأحيانا الى أحدهما واذا أضافت الى أحدهما كان سواء عندها اضافة ذلك الى أى الاسمين المذين ذكرتهما اضافته فتقول من كان عنده غلام أو جارية فليحسن اليه يعنى فليحسن الى الغلام وفليحسن اليها يعنى فليحسن الى الجارية وفليحسن اليهما وأما قوله فلكل واحد منهما السدس وقد تقدم ذكر الاخ والاخت بعطف أحدهما على الآخر والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما فى قوله وله أخ أو أخت فان ذلك انما جاز لان معنى الكلام ولكل واحد من المذكورين السدس ۞ القول فى تأويل قوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) يعنى جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصى بها أى هذا الذى فرضت لاخى الميت الموروث كلالة وأخته أو اخوته وأخواته من ميراثه وتركته انما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذى كان عليه يوم

الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردىء قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد ان الباء فى بدل تدخل على المأخوذ وفى تبدل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقه فيأخذ منه بعض ماء مكان سمينة من مال الصبى فيكون الباء فى موضعه وقيل معنى الآية ان يأكل مال اليتيم سلقا مع التزام بدله فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم منضمة الى أموالكم فى الانفاق تسوية بين المالين فى الحل انه أى الاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثل والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة فى زيادة قوله الى أموالكم وأكل أموال اليتامى محرم على الاطلاق فى زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين عنها بأموالهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا فى مال اليتيم كانوا بالذم أحرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم وان خفتم ألا تقسطوا أقسط الرجل عدل وقسط جار وقال الزجاج أصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا أقسط فمعناه ظلم صاحبه فى قسطه من قولهم قاسطته فقسطته أى غلبته على قسطه واذا قالوا أقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل أنصف اذا أتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط والمفسرين فيه وجوه الاول ما روى عن عروة انه قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فقالت

بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة من له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى أموالهم وأصل اليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة والدة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه فى عرف الشرع اختص بالذى لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم (١٧٨) والمراد انه اذا احتلم لا يجرى عليه أحكام الصغار لانه فى تحصيل مصالحه يستغنى بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوده بأمره فان قيل اذا كان اسم اليتيم فى الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون يتيما لا يجوز دفع أمواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى أموالهم فنى الجواب طريقان أحدهما ان المراد باليتامى الكبار البالغون سموا بذلك على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقى السحرة ساجدين أى الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة فى نفسها ولا تستأمر الا وهى بالغة وعلى هذا يكون فى الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يحملوا ان أونس منهم الرشد وان لا يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما رواه مقاتل والكلبى انها نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا ابن

بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة الكلالة الذى لا والد له ولا ولد لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابنة فهؤلاء الاخوة من الام **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم قال فى الكلالة ما دون الولد والوالد **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والزهرى وأبى اسحق قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن محمد عن معمر عن الزهرى وقتادة وأبى اسحق مثله * وقال آخرون الكلالة ما دون الولد وهذا قول عن ابن عباس وهو الخبر الذى ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه انه ورث الاخوة من الام السدس مع الابوين وقال آخرون الكلالة ما خلا الوالد ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة قال سألت الحكم عن الكلالة قال فهو ما دون الاب واختلف أهل العربية فى الناصب الكلالة * فقال بعض البصريين ان شئت نصبت كلالة خبر كان وجعلت يورث من صفة لرجل وان شئت جعلت كان تستغنى عن الخبر نحو وقع وجعلت نصب كلالة على الحال أى يورث كلالة كما يقال يضرب قائما وقال بعضهم قوله كلالة خبر كان لا يكون الموروث كلالة وانما الموروث الكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله يورث وخبر كان يورث والكلالة وان كانت منصوبة بالخروج من يورث فليست منصوبة على الحال ولكن على المصدر من معنى الكلام لان معنى الكلام وان كان رجل يورث متكالة النسب كلالة ثم ترك ذكر متكالة اكتفاء بدلالة قوله يورث عليه واختلف أهل العلم فى المسمى كلالة فقال بعضهم الكلالة الموروث وهو الميت نفسه سمى بذلك اذا ورثه غير والده وولده ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى الكلالة قال الذى لا يدع والدا ولا ولدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر رضى الله عنه فسمعته يقول ما ثلاث وما قلت وما قلت قال الكلالة من لا ولد له **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سليمان بن عبد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد وقال آخرون الكلالة هى الورثة الذين يرثون الميت اذا كانوا اخوة أو أخوات أو غيرهم اذا لم يكونوا ولدا ولا والدا على ما قد ذكرنا من اختلافهم فى ذلك وقال آخرون بل الكلالة الميت والحى جميعا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة الميت الذى لا ولد له ولا والد والحى كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله هؤلاء وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده وذلك لصحة الخبر الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله انما يرثنى كلالة فكيف بالميراث وبما **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمرو بن سعيد قال كنا مع جميد بن عبد الرحمن فى سوق الرقيق قال فقام من عندنا ثم رجع فقال هذا آخر ثلاثة من بنى سعد حدثنى هذا الحديث قالوا مرض سعد بمكة مرضا شديدا قال فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله لى مال كثير وليس لى وارث الا كلالة فاوصى بمالى كله فقال لا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا اسحق

ل الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الثانى ان المراد بهم الصغار أى الذين هم يتامى فى الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم أموالهم وآتوهم من أموالهم ما يحتاجون اليه

والثانى وهو الواحد ونبه بذلك على ما بينهما فكأنه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر الوجوب وعورض بقوله تعالى لمن تشاء العنت منكم وأن تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بخوف العنت فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وأيضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه أراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل أو امرأة تريد ما ذلك الشئ الذى عندك أو ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله أو ما ملكت أيمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها أنهم من يمشى على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم أى ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجىء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا أمر اباحة فيؤل المعنى الى قوله أبحت لكم نكاح من هى مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الآية تصير مجملة لان أسباب الحل والاباحة غير مذكورة فى هذه الآية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وانه أولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة فى غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة أصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشئ ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثانى ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقى بعد ما أخرجته آية التحريم فلا اجمال وأما قوله مثنى وثلاث ورباع ولم يوجد فى كلام الفصحاء الا هذه وأحاد وموحد وجوزوا الى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت ولم يستريثوا حتى رميت * فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق الكل على ان فائدتها تقسيم أمر ذى أجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه فى غير العدد مكرر على الاطراد فى كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزأ جزأ وجاء فى القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس فى باب العدد أيضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم

الظلم) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تلك حدود الله فقال بعضهم يعنى به تلك شروط الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى تلك حدود الله يقول شروط الله وقال آخرون بل معنى ذلك تلك طاعة الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله تلك حدود الله يعنى طاعة الله يعنى المواريث التى نهى الله وقال آخرون معنى ذلك تلك سنة الله وأمره وقال آخرون بل معنى ذلك تلك فرائض الله * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما نحن مبينوه وهو ان حد كل شئ ما فصل بينه وبين غيره ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الارضين حدود لفصولها بين ما حد بها وبين غيره فكذلك قوله تلك حدود الله معناه هذه القسمة التى قسمها لكم ربكم والفرائض التى فرضها لاحيائكم من موتاكم فى هذه الآية على ما فرض وبين فى هاتين الآيتين حدود الله يعنى فصول ما بين طاعة الله ومعصيته فى قسمكم مواريث موتاكم كما قال ابن عباس وانما ترك طاعة الله والمعنى بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها والدليل على صحة ما قلنا فى ذلك قوله ومن يطع الله ورسوله الآية التى بعدها ومن يعص الله ورسوله فتأويل الآية اذا هذه القسمة التى قسم بينكم أيها الناس عليها رب كم مواريث موتاكم فصول نصل بها لكم بين طاعته ومعصيته وحدود لكم تنتهون اليها فلا تتعدوها فاسلم منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم وفيما نهاكم عنه منها ثم أخبر جل ثناؤه عما أعد لكل فريق منهم فقال لفريق أهل طاعته فى ذلك ومن يطع الله ورسوله فى العمل بما أمره به وانتهائه الى ما حده له فى قسمة المواريث وغيرها ويجتنب ما نهاه عنه فى ذلك وغيره يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فقوله يدخله جنات يعنى بساتين تجرى من تحت غروسها وأشجارها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يظعنون ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم يقول وادخال الله اياهم الجنان التى وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعنى الفلج العظيم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله الآية قال فى شان المواريث التى ذكر قبل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تلك حدود الله التى حد الله خلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة فانتهوا اليها ولا تعدوها الى غيرها ﴿ القول فى تاويل قوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن يعص الله ورسوله فى العمل بما أمراه به من قسمة المواريث على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله مخالفا أمرهما الى ما نهياه عنه ويتعد حدوده يقول ويتجاوز فصول طاعته التى جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته الى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثته وغير ذلك من حدوده يدخله نارا خالدا فيها يقول باقيا فيها أبدا لا يموت ولا يخرج منها أبدا وله عذاب مهين يعنى وله عذاب مذل من عذب به مخزى له وبنحو ما قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الآية فى شان المواريث التى ذكر قبل قال ابن جريج ومن يعص الله ورسوله قال من أصاب من الذنوب ما يعذب الله

يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة أقرانها فإذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وإن خفتم أن تقسطوا في اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت (١٨٠) عائشة ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله تعالى يستفتونك في النساء الآية فقوله فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله وإن خفتم أن لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة أخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن إن يظلمهن حقوقهن ويغرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة وهي أكل أموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الأولياء لحوق الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج وأكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقالوا عددا لمنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنا أيضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روى عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده اليتيمة الحسناء الدميمة فيتزوجها لمالها ويظلمها فنزلت الآية

حدث به حدث الموت من تركته وبعد انفاذ وصاياه الجائزة التي يوصي بها في حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من بعد وصية يوصي بها أو دين والدين أحق ما بدئ به من جميع المال فيؤدى عن أمانة الميت ثم الوصية ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم وأما قوله غير مضار فانه يعني تعالى ذكره من بعد وصية يوصي بها غير مضار ورثته في ميراثهم عنه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير مضار قال في ميراث أهله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله غير مضار قال في ميراث أبيه حدثنا بشر بن معاذ قال ثني يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله غير مضار وصية من الله والله عليم حليم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الحيف في الوصية من الكبائر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى قالا ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار والحيف في الوصية من الكبائر حدثني موسى بن سهل الرملي قال ثنا اسحق بن ابراهيم أبو النضر قال ثنا عمرو بن المغيرة قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو عمرو التيمي عن أبي الغصن قال دخلت مع مسروق على مريض فاذا هو يوصي قال فقال له مسروق اعدل لا تضل ونصبت غير مضار على الخروج من قوله يوصي بها وأما قوله وصية فان نصبه من قوله يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وسائر ما أوصى به في الاثنين ثم قال وصية من الله مصدرا من قوله يوصيكم وقد قال بعض أهل العربية ذلك منصوب من قوله فلكل واحد منهما السدس وصية من الله وقال هو مثل قولك لك درهمان نفقة الى أهلك والذي قلناه بالصواب أولى لان الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة المواريث في هاتين الآيتين بقوله يوصيكم الله ثم ختم ذلك بقوله وصية من الله أخبر أن جميع ذلك وصية منه بعباده فنصب قوله وصية على المصدر من قوله يوصيكم أولى من نصبه على التفسير من قوله فلكل واحد منهما السدس لما ذكرنا ويعني بقوله تعالى ذكره وصية من الله عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم والله عليم يقول والله ذو علم بمصالح خلقه ومضارهم ومن يستحق أن يعطى من أقربائه ممن مات منكم وانسابه من ميراثه ومن يحرم ذلك منهم ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسما وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم حليم يقول ذو حلم على خلقه وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضا في اعطائهم الميراث لاهل الجلد والقوة من ولد الميت وأهل الغناء والباس منهم دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإناثهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم

الاثم فاذا أنفق مال نفسه على النسوة أخذ في انفاق أموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم أن تظلموا اليتامى بأكل أموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم أن تنكحوا أكثر من أربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع أيضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع

سبيلا هؤلاء اللاتى قد نكحن وأحصن اذا زنت المرأة فانها كانت تحبس فى البيت ويأخذ زوجها مهرها فهو له فذلك قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف حتى جاءت الحدود فنسخت الجلد ورجمت وكان مهرها ميراثا فكان السبيل هو الجلد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول فى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد نسخ الحد هذه الآية حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد أو يجعل الله لهن سبيلا قال جلد مائة الفاعل والفاعلة حدثنا الرفاعى قال ثنا يحيى عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الجلد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى نكس رأسه ونكس أصحابه رؤسهم فلما سرى عنه رفع رأسه فقال قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر أما الثيب فتجلد ثم ترجم وأما البكر فتجلد ثم تنفى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب تجلد مائة وترجم بالحجارة والبكر جلد مائة ونفى سنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله أخى بنى رقاش عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فلقى ذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ثم نفى سنة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال يقول لا تنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ولم يخرجهن من الاسلام ثم نسخ هذا وجعل السبيل التى ذكر أن يجعل لهن سبيلا قال فجعل السبيل اذا زنت وهى محصنة رجمت وجعل السبيل للبكر جلد مائة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال الجلد والرجم حدثنا المثنى قال ثنا محمد بن أبى جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب تجلد وترجم والبكر تجلد وتنفى حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن اسمعيل بن مسلم البصرى عن الحسن عن عبادة بن الصامت قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذا حجر وجهه وكان يعرف ذلك اذا نزل عليه الوحى فاخذه كهيئة الغشى لما يجد من ثقل ذلك فلما أفاق قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكران يجلدان وينفيان سنة والثيبان يجلدان ويرجمان * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قول من قال السبيل التى جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة وللبكر بن جلد مائة ونفى سنة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ولم يجلد واجماع الحجة التى لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب وصحة الخبر عنه انه قضى فى البكر بن بجلد مائة ونفى سنة فكان فى الذى صح عنه من ذلك من تركه

ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب أن يحصل للعبد نصفها للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باى عدد أريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق فى جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافى ثبوت الحكم فى الباقى بل نقول ذكرها يدل على نفى الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تصريحا فى ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وأيضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيه على حصول الاذن فى جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن فى جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها وأما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد أمرنا باتباعه فى قوله فاتبعوه وأقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتى فليس منى والمعتمد عند الجمهور فى جوابهم أمران أحدهما الخبر كنحو ما روى ان نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم امسك أربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب أو الرضاع وأقول ان القرآن لم يدل على عدم الحصر غاية انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وأيضا قوله امسك أربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا فى نظائر هذا الحديث وثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب

الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان أصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا العدل والوصف الاصلى فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان أصله كان ثلاثة ثلاثة حرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث أو مثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما فى الكشاف واذا جرى على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعرف ولو قوعه حالا (معنى الآية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أو بعافان خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة ثم قرأ بالنصب أراد فاختاروا أو انكحوا أو الزموا واحدة ومن قرأ بالرفع أراد فكفت واحدة ونوا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال أو ما ملكت أيمانكم فى السوى فسوى فى السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن أقل تبعة وأخف مؤنة من المهائر لا على المرء أكثر منهن أو أقل عدل بينهن فى القسم أم لم يعدل عزل عنهن أم لم يعزل ولما كانت التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعى فى بيان ان نوافل العبادات أفضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل أفضل من التسرى فوجب أن يكون أفضل من النكاح لان الزائد على أحد المتساويين يكون زائدا على المتساوى الآخر ولمانع أن يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل أن يكون التسوية بينهما وقد يكون للمقاربة أى ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه فى دفع الحاجة للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان أكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع

عليه * فان قال قائل أو يخلد فى النار من عصى الله ورسوله فى قسمة المواريث قيل نعم اذا جمع الى معصيتهما فى ذلك شكا فى ان الله فرض عليه ما فرض على عباده فى هاتين الآيتين أو علم ذلك فجاد الله ورسوله فى أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى تمام الآيتين أو ورث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدو ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال استنكارا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه واناث ولده ممن خالف الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم على ما قسمه فى كتابه وخالف حكمه فى ذلك وحكم رسوله استنكارا منه حكمهما كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفى أشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود فى النار لانه باستنكاره حكم الله فى تلك يصير بالله كافرا ومن ملة الاسلام خارجا ۞ القول فى تاويل قوله (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) يعنى بقوله جل ثناؤه واللاتى يأتين الفاحشة والنساء اللاتى يأتين بالزنا أى يزنين من نسائكم وهن محصنات ذوات أزواج أو غير ذوات أزواج فاستشهدوا عليهن أربعة منكم يقول فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم يعنى من المسلمين فان شهدوا عليهن فامسكوهن فى البيوت يقول فاحبسوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت يقول حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا يعنى أو يجعل الله لهن مما أتين به من الفاحشة مخرجا وطريقا الى النجاة مما أتين به من الفاحشة ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى عن محمد بن يزيد قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت أمر بحبسهن فى البيوت حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم قال الزنا كان أمر بحبسهن حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا والسبيل الحد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الى أو يجعل الله لهن سبيلا فكانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما فهذا سبيلهما الذى جعل الله لهما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فقد جعل الله لهن وهو الجلد والرجم حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واللاتى يأتين الفاحشة حتى بلغ أو يجعل الله لهن سبيلا فان هذا من قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعا ويحبس المرأة ثم جعل الله لهن سبيلا فكان سبيل من أحصن جلد مائة ثم رجم بالحجارة وسبيل من لم يحصن جلد مائة ونفى سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح وعبد الله بن كثير الفاحشة الزنا والسبيل الحد والرجم والجلد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم الى أو يجعل الله لهن

سبيلا

الاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه وأيضا انه قال بعد ذلك فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه

مشتركين فكذلك ما يعرف في كلامها واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من قال عنى بقوله والذان يأتيانها منكم الرجلان وصحة قول من قال عنى به الرجل والمرأة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم انهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله واللاتي يأتين الفاحشة لان هاتين اثنتان وأولئك جماعة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلا لانه أغلظ في العقوبة من الاذى الذي هو تعنيف وتوبيخ أو سب وتعيير كما كان السبيل التي جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للابكار من جلد المائة ونفي السنة ۞ القول في تأويل قوله (فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) اختلف أهل التأويل في الاذى الذي كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة من قبل ان يجعل لهما سبيلا منه فقال بعضهم ذلك الاذى أذى بالقول واللسان كالتعيير والتوبيخ على ما أتى من الفاحشة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآذوهما قال كانوا يؤذيان بالقول جميعا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الجارية والفتى اذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يتركا ذلك وقال آخرون كان ذلك الاذى أذى باللسان غير انه كان سبا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فآذوهما سبا وقال آخرون بل كان ذلك الاذى باللسان واليد ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله والذان يأتيانها منكم فآذوهما فكان الرجل اذا زنى أوذي بالتعيير فضرب بالنعال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين باذى الزانيين المذكورين اذا أتيا ذلك وهما من أهل الاسلام والاذى قد يقع بكل مكروه نال الانسان من قول يسيء باللسان أو فعل وليس في الآية بيان ان ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئها قطع العذر وأهل التأويل في ذلك مختلفون وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد وجائز أن يكون كان أذى بهما وليس في العلم بان ذلك كان من أي نفع في دين ولا دنيا ولا في الجهل به مضرة اذ كان الله جل ثناؤه قد نسخ ذلك من حكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفي اللاتي قبلهما فاما الذي أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب في سورة النور بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وأما الذي أوجب في اللاتي قبلهما فالرجم الذي قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما وأجمع أهل التأويل جميعا على ان الله تعالى ذكره قد جعل لاهل الفاحشة من الزناة والزواني سبيلا بالحدود التي حكم بها فيهم وقال جماعة من أهل التأويل ان الله سبحانه نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قوله والذان يأتيانها منكم فآذوهما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذان يأتيانها منكم فآذوهما قال كل ذلك نسخته الآية التي في النور بالحد المفروض حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية قال هذا نسخته الآية في سورة النور بالحد المفروض حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن

قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن أي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للنا كحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيالك الناقة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك أي تعظمه وقال ابن الاعرابي الناقة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وأمر بدفع الحق الى أهله وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل أن يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد أمروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل أن يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد أي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى أن الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ذلك أو لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز أن يراد الوجهان جميعا أما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد أي شريعة وديانة فيكون مفعولا له أو حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي أي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ايتاء ما بالمطالبة لا يسمى نحلة أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان العلك بذله شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل

ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعبأ به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود ناسخ في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي أن يقال مثنى أو ثلاث (١٨٤) أو رباع بالواو لانا نقول يلزم حينئذ أن لا يجوز النكاح الا على أحد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالثنية ولغيره ثنان بالثلاث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع العصمة الذي دلت عليه الواو وذلك أدنى أن لا تعولوا أي اختيار الواحدة أو التسري أقرب من ان لا تميلوا أو لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه أن لا تفتقروا ورجل عائل أي فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه أن لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا والمعنى تعولوا يقال أعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس أن لا تعيلوا وأيضا انه لا يناسب أول الآية وان خفتم أن لا تقسطوا وأيضا هب انه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى أشار الى الشيء بذكر لازمه أي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى أن لا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يعونهم اذا أنفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه مشتركين

جلد من زنى من الزناة في عصره دليل واضح على وهي الخبر الذي روى عن الحسن عن حطان عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الثيب المحصن الجلد والرجم وقد ذكر ان هذه الآية في قراءة عبد الله واللاتي يأتين بالفاحشة من نسائكم والعرب تقول أتيت أمرا عظيما وبامر عظيم وتكلمت بكلام قبيح وكلاما قبيحا ۞ القول في تأويل قوله (واللذان يأتيانها منكم) يعني جل ثناؤه بقوله واللذان يأتيانها منكم والرجل والمرأة اللذان يأتيانها يقول يأتيان الفاحشة والهاء والالف في قوله يأتيانها عائدة على الفاحشة التي في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والمعنى واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما ثم اختلف أهل التأويل في المعني بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فقال بعضهم هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها وقالوا قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم معني به الثيبات المحصنات بالازواج وقوله واللذان يأتيانها منكم يعني به البكران غير المحصنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذكر الجواري والنساء اللذين لم ينكحوا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم البكران فآذوهما وقال آخرون بل عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان الزانيان ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجلان الفاعلان لا يكنى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللذان يأتيانها منكم الزانيان وقال آخرون بل عني بذلك الرجل والمرأة الا انه لم يقصد به بكر دون ثيب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن عطاء واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجل والمرأة حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء وعبد الله بن كثير قوله واللذان يأتيانها منكم قال هذه للرجل والمرأة جميعا ۞ قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في تأويل قوله واللذان يأتيانها منكم قول من قال عني به البكران غير المحصنين اذا زنيا وكان أحدهما رجلا والآخر امرأة لانه لو كان مقصودا بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصودا بقوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم قصد البيان عن حكم الزواني لقيل والذين يأتونها منكم فاذوهم أو قيل والذي يأتيانها منكم كما قيل في التي قبلها واللاتي يأتين الفاحشة فاخرج ذكرهن على الجمع ولم يقل واللتان يأتيان الفاحشة وكذلك تفعل العرب اذا أرادت البيان على الوعيد على فعيل أو الوعد عليه أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد وذلك ان الواحد يدل على جنسه ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول الذين يفعلون كذا فلهم كذا والذي يفعل كذا فله كذا ولا تقول اللذان يفعلان كذا فلهما كذا الا أن يكون فعلا لا يكون الا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون الا من زان وزانية فاذا كان ذلك كذلك قيل بذكر الاثنين يراد بذلك الفاعل والمفعول به فاما ان يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه

المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان جل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار أولى وبتقدير التسليم

هذا تكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب أجله يجب عليه أن يوصي بماله الى أمين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي التحريم وأجمعت الامة على أن لا يحرم عليه ان يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ماشاء من ماله وأجمعوا على انه يحرم الولي أن يدفع الى السفهاء أموالهم وأيضا قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا هذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء وأقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة في أموالكم لا تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية أو اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انهم النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يعقلها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة أطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف (١٨٧) العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يبقي بحفظ المال ولا يدله باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قياما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فعله فان لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان أحتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان أدنتني فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه ورب مار أو رجلا في تشييع جنازة فقالوا له اذهب الى مكانك وقال بعض الحكماء من أضاع ماله فقد ضار الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مرزلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح وطيب بها كل صلح وقال أبو العتاهية أجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت * اليه ومال الناس حيث تميل وليس الغنى الا غنى زين الغنى * عشية يقري أو غداة ينيل وقد اختلف أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما أخرج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغنى مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال

قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شئ عصي به فهو جهالة عمدا كان أو غيره حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عمل بمعصية الله فذلك منه بجهل حتى يرجع عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما دام يعصي الله فهو جاهل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل ابن غزوان عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال الجهال كل امرئ عمل شيئا من معاصي الله فهو جاهل أبدا حتى ينزع عنها وقرأ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وقرأ والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين قال من عصا الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال آخرون معنى قوله للذين يعملون السوء بجهالة يعملون ذلك على عمد منهم له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مجاهد يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد قال ثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد وقال آخرون معنى ذلك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا

منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد المشترك بين الزوجين ثم أمر الزوج بأن يؤتي الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتدأ به ثم لما أمرهم بايتاء الصدقات أباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن لا أنهن أنفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق أو للمذكور في قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون أن يقول سمحن أو وهبن وفي قوله عن شئ منه دون أن يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعث لهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها أو أكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لانه لا يجوز هبة كل الصداق (١٨٦) اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شئ هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما تحمل عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل أصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب وبالجملة فهو عبارة عن التحلل أو المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء أو على انهما قاما مقام مصدريهما أي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة أعطت ثم أرادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما أمر بايتاء اليتامى أموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا أوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فوردان الانسب ان لو قيل أموالهم وأجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل أنفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شئ ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة أموال السفهاء الى أوليائهم ويحتمل أن يضاف المال اليهم لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة أدنى سبب وقيل خطاب للآباء انهاهم الله تعالى اذا كان أولادهم سفهاء أن يدفعوا أموالهم أو بعضها اليهم فعلى

عكرمة والحسن البصري قالا في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية نسخ ذلك بآية الجلد فقال الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فانزل الله بعد هذا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الآية جاءت الحدود فنسختها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عتبة بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول نسخ الحد هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فامسكوهن في البيوت الآية قال نسختها الحدود قوله واللذان يأتيانها منكم نسختها الحدود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها اذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل الذكر جلد مائة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت قال نسختها الحدود وأما قوله فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فانه يعني به جل ثناؤه فان تابا من الفاحشة التي أتيا فراجعا طاعة الله بينهما وأصلحا يقول وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما والعمل بما يرضى الله فاعرضوا عنهما يقول فاصفحوا عنهما وكفوا عنهما الاذى الذي كنت أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ولا تؤذوهما بعد توبتهما وأما قوله ان الله كان توابا رحيما فانه يعني ان الله لم يزل راجعا لعبيده الى ما يحبون اذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيما بهم يعني ذا رحمة ورأفة ۞ القول في تأويل قوله (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) يعني بقوله جل ثناؤه انما التوبة على الله الذين يعملون السوء بجهالة ما التوبة على الله لاحد من خلقه الا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ثم يتوبون من قريب يقول ما الله براجع لاحد من خلقه الى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه الا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منها الى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود الى مثله من قبل نزول الموت بهم وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره فقال ثم يتوبون من قريب وبنحو ما قلنا فيه في تأويل ذلك قال أهل التأويل غير انهم اختلفوا في معنى قوله بجهالة فقال بعضهم في ذلك بنحو ما قلنا فيه وذهب الى ان عمله السوء هو الجهالة التي عناها ذكر من

ومافيهما من المنافع والمضار وقد يدفع اليه شيأ ليبيع او يشترى فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولى بعد ذلك يتم العقد لو أراد وولد الزارع يختبر فى أمر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة فى أمر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفأر وما أشبهها ولا يكفى المرة الواحدة فى الاختبار بل لابد من مرتين وأكثر على ما يليق بالحالى ويفيد غلبة الظن انه رشد فوعا من الرشد يختص بحاله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى أكمل ما يمكن وبهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لابد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خديعته ثم ان أبا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعى لابد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يحلو من اتلاف المال فى الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون فى قوله وما أمر فرعون برشيد مع انه كان يرى مصالح الدنيا ويتفرع على القولين (١٨٩) ان الشافعى يرى الحجر على الفاسق وأبو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند أصحاب أبى حنيفة وعند الشافعى لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند أبى حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير أحوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومصدران فى موضع الحال أى مسرفين ومبادرين كبرهم أو مفعول لهما أى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير وقصد القصد والامساك والكبر فى السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا أى أسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة أى عظم نهاهم عن الافراط فى الانفاق كما يشتهون قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفى السين زيادة مبالغة كأنه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف فى ان الوصى هل له أن ينتفع بمال اليتيم قال الشافعى له أن يأخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر أجرة عمله لان النهى فى الآية عن الاسراف مشعر بان له أن يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال أفاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروى ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم أما بعد فانى قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا وانى قد أنزلت نفسى وإياكم من مال الله منزلة والى مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وأيضا قياسا على الساعى فى أخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له فى تلك الصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وأبى العالية انه أن يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا أيسر قضاه وان مات ولم

أبى طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب والقريب فيما بينه وبين أن ينظر الى ملك الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير قال قال أبو مخلد لا يزال الرجل فى توبة حتى يعاين الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال القريب ما لم ينزل به آية من آيات الله تعالى وينزل به الموت حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت فاذا ناب حين ينظر الى ملك الموت فليس له ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل الموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن الضحاك ثم يتوبون من قريب قال كل شئ قبل الموت فهو قريب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة ثم يتوبون من قريب قال الدنيا كلها قريب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم يتوبون من قريب قبل الموت حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن أبى قلابة قال ذكر لنا أن ابليس لما لعن وانتظر قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال تبارك وتعالى وعزتى لا أمنعه التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة قال كنا عند أنس بن مالك ونحن أبو قلابة فحدث أبو قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فقال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم فقال الله تبارك وتعالى وعزتى لا أمنعه التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبى قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم الدين قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح قال وعزتى لا أحجب عنه التوبة مادام فيه الروح حدثنى ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما رأى آدم أجوف قال وعزتك لا أخرج من جوفه مادام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى وعزتى لا أحول بينه وبين التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى أيوب بشر بن كعب أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف

الباقون خير الامور أوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر

ومن كلفته النفس فوق كفافها ❊ فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان مالم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث أمر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن أراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن أرادها لعينها فيالها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم فيها وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل أن يقولوا اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك كذا أنت أهلي وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم بما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر أي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظوه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون أموالهم فشرط في ذلك شرطين أحدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قرية أو يبلغ خمس عشرة سنة تامة أبي قرية عند الشافعي وثماني عشرة عند أبي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية ولها أمارتان أخريان الحيض أو الحبل وللطفل الكفار أمارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة وأما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا أذن له في البيع والشراء وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب بما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشراء بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشراء منه

الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الدنيا كلها جهالة ❊ قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويلها انما التوبة على الله للذين يعملون السوء وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للاثم أو جاهلين بما أعد الله لاهلها وذلك انه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد الشيء الجاهل به الا أن يكون معنيا به انه جاهل بقدر منفعته ومضرته فيقال هو به جاهل على معنى جهله بمعنى نفعه وضره فأما اذا كان عالما بقدر مبلغ نفعه وضره قاصدا اليه فغير جائز من غير قصده اليه أن يقال هو به جاهل لان الجاهل بالشيء هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه أو يعلمه فيشبهه فاعله اذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الامر وهو به جاهل فيخطئ موضع الاصابة منه فيقال انه لجاهل به وان كان به عالما لاتيانه الامر الذي لا يأتي مثله الا أهل الجهل به وكذلك معنى قوله يعملون السوء بجهالة قيل فيهم يعملون السوء بجهالة وان أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله عامدين اتيانه مع معرفتهم بانه عليهم حرام لان فعلهم ذلك كان من الافعال التي لا يأتي مثله الا من جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة فقيل لمن أتاه وهو به عالم أتاه بجهالة بمعنى انه فعل فعل الجهال به لا انه كان به جاهلا وقد زعم بعض أهل العربية ان معناه انهم جهلوا كنه ما فيه من العقاب فلم يعلموه كعلم العالم وان علموه ذنبا فلذلك قيل يعملون السوء بجهالة ولو كان الامر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه وذلك انه جل ثناؤه قال انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب دون غيرهم فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوأ على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب توبة وذلك خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان كل تائب عسى الله أن يتوب عليه وقوله باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها وخلاف قول الله عز وجل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ❊ القول في تأويل قوله (ثم يتوبون من قريب) اختلف أهل التأويل في معنى القريب في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم يتوبون من قريب والقريب قبل الموت ما دام في صحته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال في الحياة والصحة وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل معاينته ملك الموت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن

ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص تقديره أعني نصيبا مقطوعا مقدرا لابد لهم أن يعورفوه أو على المصدر للمؤكد كأنه قيل فرض فرضا
احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال وأولاد البنات لان الكل من الاقربين
غاية ما في الباب ان مقدار انصبائهم غير مذكور وههنا الا أنا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الدلائل وأجيب
بانه تعالى قال نصيبا مفروضا والاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وأيضا الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم
بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وأيضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما
وان كانت بعيدة والا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد اذن أقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين
يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى (١٩١) لما ذكر في الآية للنساء سهوة بالرجال في ان لهن

السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا تبين الموت فيه لم يقبل الله له توبة
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أحمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن
عباس وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فليس
لهذا عند الله توبة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت ابراهيم
ابن ميمون يحدث عن رجل من بني الحرث قال ثنا رجل منا عن عبد الله بن عمر انه قال من تاب قبل
موته بعام تيب عليه حتى ذكر شهرا حتى ذكر ساعة حتى ذكروا فقال رجل كيف يكون هذا
والله تعالى يقول وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت
الآن فقال عبد الله أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم قال كان يقال التوبة مبسوطة ما أخذ بكظمه
واختلف أهل التأويل فيمن عنى بقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم
الموت قال اني تبت الآن فقال بعضهم عنى به أهل النفاق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال
ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
يتوبون من قريب قال نزلت الاولى في المؤمنين ونزلت الوسطى في المنافقين يعني وليست التوبة للذين
يعملون السيئات والاخرى في الكفار يعني ولا الذين يموتون وهم كفار وقال آخرون بل عنى بذلك أهل
الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن
سفيان قال بلغنا في هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال
اني تبت الآن قال هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار وقال آخرون بل هذه الآية
كانت نزلت في أهل الايمان غير انها نسخت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد
الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فانزل
الله تبارك وتعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله تعالى
المغفرة على من مات وهو كافر وارجأ أهل التوحيد الى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة * قال أبو جعفر
وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب ما ذكره الثوري انه بلغه انه في الاسلام وذلك ان المنافقين كفار فلو
كان معنيا به أهل النفاق لم يكن لقوله ولا الذين يموتون وهم كفار معنى مفهوم لانهم ان كانوا هم والذين
قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار فلا وجه لتفريق أحد منهم في المعنى الذي من أجله بطل أن

حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب
من يرث وفيهم من لا يرث وربما
حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم
قال واذا حضر القسمة أولو القربى
الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم
من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن
سعيد بن المسيب والضحاك انها
منسوخة بآية المواريث وعن أبي
موسى الاشعري وابراهيم النخعي
والشعبي والزهري ومجاهد والحسن
وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها
مما تهاون به الناس قال الحسن
أدركنا الناس وهم يقسمون على
القرابات واليتامى والمساكين من
الورق والذهب فاذا آل الامر الى
قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك
قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون
لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى
الاستحباب وهو مذهب فقهاء
الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ
يستحب اذا كانت الورثة كبارا أما
اذا كانوا صغارا فليس الا القول
المعروف كان يقول الولي اني لا أملك
هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء
الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق
وان يكبروا فسيعرفون حقكم

والضمير في منه اما أن يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى
والمساكين أمر الله الموصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل أولوا القربى الوارثون واليتامى
والمساكين الذين لا يرثون وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة
الشرطية وهي ما في حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم وأما المخشي فغير
منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء أمروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم
ضعافا أو أمروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على أولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد أي الصواب القصد وهو أن
لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول الجميل ويدعوهم يا بني ويا ولدي وهذا القول الذي تقدم ذكره من الآيات

يقدر على القضاء فلا شئ عليه وأكثر العلماء على ان هذا الاعتراض انما يأتي في أصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وأما التناول من ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال أبو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب أصحابنا انه لا يأخذه لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا أو فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وأجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وأجيب بان محل النزاع هو ان أكل الوصي مال اليتيم ظلم أولا قال وأن تقوموا لليتامى بالقسط وهو أيضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على أن الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط أن يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال أبو حنيفة وأصحابه يصدق (١٩٠) بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر الوجوب ولانه أمين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتغيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا كالشريب بمعنى الشارب وفيه تهديد للولي واليتيم أن يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء في بالله زائدة نظرا الى أصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت وصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا ابنائه شيأ وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك لي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيأ فدعاهما رسول الله فقالا يا رسول الله ولده لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما ألا تصرفا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت توصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعد هو ان العظام من المال وف شديد والتدريج في الامور دأب الحكيم وهكذا تنزل الاحكام والتكاليف شيأ بعد شئ الى أن كملت الشريعة الحقة ثم الدين الحنيفي مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل

عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال تاويله ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه وقبل أن يغلبوا على أنفسهم وعقولهم وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغم الغرغرة فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ولا يعقلوا التوبة لان التوبة لا تكون توبة الا من ندم على ما سلف منه وعزم فيه على ترك المعاودة وهو يعقل الندم ويختار ترك المعاودة فاما اذا كان بكرب الموت مشغولا وبغم الحشرجة مغمورا فلا حالة له الا عين الندم على ذنوبه مغلوبا وذلك قال من قال ان التوبة مقبولة مالم يغرغر العبد بنفسه فان كان المرء في تلك الحال يعقل عقلا صحيحا ويفهم فهم العاقل الاديب فاحدث انابة من ذنوبه ورجعة من شروده عن ربه الى طاعته كان ان شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين اليه من اجرامهم من قريب بقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ۞ القول في تاويل قوله (فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما) يعني بذلك جل ثناؤه فاولئك فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب يتوب الله عليهم دون من لم يتب حتى غلب على عقله وغمرته حشرجة ميتته فقال وهو لا يفقه ما يقول اني تبت الآن خذا لما هو به ونفاقا في دينه ومعنى قوله يتوب الله عليهم يرزقهم انابة الى طاعته ويتقبل منهم أو بتهم اليه وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم وأما قوله وكان الله عليما حكيما فانه يعني ولم يزل الله جل ثناؤه عليما بالناس من عباده المنيبين اليه بالطاعة بعد ادبارهم عنه المقبلين اليه بعد التولي عنه بغير ذلك من أمور خلقه حكيم في توبته على من تاب منهم من معصيته وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ولا يدخل أفعاله خلل ولا يخالطه خطا ولا زلل ۞ القول في تاويل قوله (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) يعني بذلك جل ثناؤه وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الاصرار على معاصي الله حتى اذا حضر أحدهم الموت يقول اذا حشرج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا اليه لقبض روحه قال وقد غلب على نفسه وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغمرته اني تبت الآن يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن يعلى بن نعمان قال أخبرني من سمع ابن عمر يقول التوبة مبسوطة مالم يسق ثم قرأ ابن عمر وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ثم قال وهل الحضور الا السوق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات

الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر أو على السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه أظهر وهذا من كمال عناية الله تعالى بالضعفاء فنرجو أن يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل ذكر الناسين بدو خلقهم بالاشباح والارواح خلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله روحي فهو أبو الارواح وخلق من الروح زوجه وهي النفس خلقها من أدنى شعاع من أشعة أنوار روح محمد صلى الله عليه وسلم وبث منهما رجالا كثيرا أرواحا كاملين ونساء أرواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به أي اتقوه أن تسألوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمي بصلة غيري وآتوا اليتامى أموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه (١٩٣) الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما

ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم عن ذلك يعني ان الله نهاكم عن ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الانصار تفعل ذلك كان الرجل اذا مات حميمه ورث حميمه امرأته فيكون أولى بها من ولي نفسها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال كان الرجل اذا مات أبوه وحميمه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها قال ابن جريج فاخبرني عطاء بن أبي رباح ان أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم فنزلت لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال ابن جريج وقال مجاهد كان الرجل اذا توفي أبوه أحق بامرأته ينكحها ان شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه قال ابن جريج وقال عكرمة نزلت في كبشة بنت معن بن عاصم من الاوس توفي عنها أبو قيس بن الاسلت فخبث عليها ابنه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فانكح فنزلت هذه الآية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان اذا توفي الرجل كان ابنه الاكبر هو أحق بامرأته ينكحها اذا شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فان الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها وان سبقته فذهبت الى أهلها فهم أحق بنفسها **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كانوا بالمدينة اذا مات حميم الرجل وترك امرأة ألقى الرجل عليها ثوبه فورث نكاحها وكان أحق بها وكان ذلك عندهم نكاحا فان

فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك أدنى أن لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال أموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كنحو أكلت رزق الله فاري شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه والا أذيبي طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم أذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى أي قلوب

الساترين بادني توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد أشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم أموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في مماليك سيده كالعبد المأذون ولهذا قال هنا أموالهم ولا تأكلوها اسرافا أي فان آنستم يا أولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في أصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ولا تجعلوا الشيخوخية ما كلة لكم غيرة وغبطة عليهم أن يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف فليتنفع باعانته وليعزله بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم أموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فاشهدوا عليهم الله ورسوله وأرواح المشايخ وأوصوهم برعاية حقوقها

الواردة فى باب الأيتام تهيهم الله تعالى حال أنفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون ذلك أجدر وما يبعثهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة الى حبا بنائى انهن من الضعاف أخافوأن يرين البؤس بعدى ويان يشربن رنيقا بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ فقدم مالك ولا يزالون يامرونه بالوصية الى الاجانب الى أن يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على أولاد المريض خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا وعلى هذا تكون الآية تنهيا للحاضرين عن الترغيب فى الوصية والقول السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف فى الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضى الله عنهم يحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن تتصل الآية بما قبلها فيكون أمر الورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا انهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم

تكون توبة واحد مقبولة وفى تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بان سمى أحد الصنفين كافرا ووصف الصنف الآخر بانهم أهل سيئات ولم يسمهم كفارا ما دل على افتراق معانيهم وفى صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا وفساد ما خالفه ۞ القول فى تاويل قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار فوضع الذين خفض لانه معطوف على قوله للذين يعملون السيئات وقوله أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما يقول هؤلاء الذين يموتون وهم كفار اعتدنا لهم عذابا أليما لانهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبى النضر عن أبى صالح عن ابن عباس ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أبعد من التوبة واختلف أهل العربية فى معنى اعتدنا لهم فقال بعض البصريين معنى اعتدنا أفعلنا من العتاد قال ومعناها أعددنا وقال بعض الكوفيين أعددنا واعتدنا معناهما واحد فمعنى قوله اعتدنا لهم أعددنا لهم عذابا أليما يقول مؤلما موجعا ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعنى تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يقول لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرها فان قال قائل كيف كانوا يرثونهن وما وجه تحريم وراثتهن فقد علمت أن النساء موروثات كما الرجال مورثون قيل ان ذلك ليس من معنى وراثتهن اذا هن متن فتركن مالا وانما ذلك انهن فى الجاهلية كانت احداهن اذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها وان شاء نكحها وان شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهن عن النكاح وبنحو القول الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق يعنى الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية فى ذلك وحدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنى محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبى امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفى أبو قيس بن الاسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم فى الجاهلية فانزل الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا ابن حميد قال

الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الرجل الذى يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يجب أن يوصى له وعلى هذا يكون نهيا عن النهى عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم أكد الوعيد فى باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أى ظالمين أو على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون فى بطونهم أى ملء بطونهم نارا أى ما يجر الى النار وكأنه نار فى الحقيقة وقال السدى يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من النار يخرج من أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء فى النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد والسعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها وألهبتها فهى سعير أى مسعورة والتنكير للتعظيم أى نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا الملقيها قالت المعتزلة لا يجوز أن يدخل تحت هذا الوعيد آكل اليسير من ماله بل لا بد أن يكون مقدار خمسة دراهم لانه القدر الذى وقع عليه الوعيد فى آية الكنز فى منع الزكاة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا أن نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهى انه أوعد مانع الزكاة بالكى وآكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد أشد والسبب فيه ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فيكان منع اليتيم أشنع وأيضا

الباقون بالضم ووصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل يدخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وأبو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق والذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتان وأرنا الذين واشباه ذلك وأما قوله فذانك فابن كثير وأبو عمرو ويعقوب عباس مخيرا الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر * الوقوف الانثيين ج ما ترك ج فلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد ان كان له ولد ج فلامه الثلث ج أودين ط وأبناؤكم ج لتقديرهم أبناؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدا وخبره لا تدرون نفعا ج من الله ط حكيما * لم يكن لهن ولد ج دين ط منهما السدس ج دين ط لان غير حال عامله يوصي مضار ج لاحتمال نصب وصية به كما يجيء من الله ط حليم * ط لان تلك مبتدأ حدود الله ط خالدين فيها ط لان ما بعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم * خالدا فيها ص لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين * أربعة منكم ج لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا * فآذوهما ج عنهما ط رحيما * عليهم ط حكيما * السيئات ط لان حتى اذا تصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت وتصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار ط أليما * كرها ط للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة ج للعارض بين المتفقين بالمعروف ج كثيرا * شيا ط مبينا * غليظا * سلف ط ومقتا ط سبيلا * التفسير انه تعالى لما بين حكم مال اليتيم وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الا ببيان جملة أحكام الميراث أو نقول أجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويأمركم في أولادكم في شان ميراثهم واعلم ان أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد أما النسب فكانوا يورثون الكبار به ولا يورثون الصغار والاناث كما مر وأما العهد فالحلف أو التبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهن نصيبهم وكان التوريث بالعهد مقررا في أول الاسلام مع زيادة سببين آخرين أحدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان أجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من أقاربه والثاني المؤاخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر في الاسلام ان أسباب التوريث ثلاثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء أن المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها وورا هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلاثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وارثه وعن أبي حنيفة وأحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده أشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع

فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثا عنهن وانه انما حظر أن يكرهن موروثات بعني حظر وراثة نكاحهن اذا كان ميتهم الذي ورثوه قد كان مالكا عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والارضين وسائر ماله منافع فان الله جل ثناؤه لعباده ان الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجه معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز اجارتها فان المالك بضع زوجته اذا هو مات لم يكن ما كان له ملكا من زوجته بالنكاح لورثته بعده كما لهم من الاشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو اجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه وأما قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن فان أهل التاويل اختلفوا في تاويله فقال بعضهم تاويله ولا تعضلوهن أي ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهم عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما يمتن فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي فتأخذوا من أموالهن اذا متن ما كان موتاكم الذين ورثتموهم ساقوا اليهن من صداقاتهن وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم منهم ابن عباس والحسن البصري وعكرمة وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهن ضرارا ولا حاجة لكم اليهن فتضاروا بهن لتفتدين منكم بما آتيتموهن من صداقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تعضلوهن يقول لا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضر بها لتفتدي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تعضلوهن يقول لا يحل لك أن تحبس امرأتك ضرارا حتى تفتدي منك قال أخبرنا معمر قال وأخبرني سماك بن الفضل عن ابن السلماني قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في أمر الجاهلية والاخرى في أمر الاسلام حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر قال أخبرنا سماك بن الفضل عن عبد الرحمن بن السلماني في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في الجاهلية والاخرى في الاسلام قال عبد الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء في الجاهلية ولا تعضلوهن في الاسلام حدثني المثنى قال ثنا الجاني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ولا تعضلوهن قال لا تحبسوهن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال

مع الله والخلق ثم أخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وأنوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة أي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم أولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقريرهوان الدنيا عند الله وعزة أهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين أو المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر أو موت فليتقوا الله أي يوصونهم بالتقوى وأن يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نارا لحسرة والغرامة يوم لا تنفع الندامة (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف (١٩٤) ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو

فقد

يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) القراآن واحدة بالرفع أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي

شاء أمسكها حتى تفتدي منه وكان هذا في الشرك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الوراثة في أهل يثرب بالمدينة ها هنا فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه كما ورث أمه لا يستطيع أن يمنع فان أحب أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها وان كره فارقها وان كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر فان شاء أصابها وان شاء فارقها فذلك قول الله تبارك وتعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان اذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها فلم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثني ابن وكيع قال ثني أبي قال ثنا سفيان عن علي بن بذيمة عن مقسم قال كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها فجاء رجل فالقى عليها ثوبه كان أحق الناس بها قال فنزلت هذه الآية لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فتأويل الآية على هذا التأويل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها فترك ذكر الآباء والاقارب والنكاح ووجه الكلام الى النهي عن وراثة النساء اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام اذ كان مفهوما معناه عندهم وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لكم أيها الناس أن ترثوا النساء كرها قالوا وانما قيل ذلك كذلك لانهم كانوا يعضلون أيامانهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الرجل اذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت قبيحة حبسها حتى تموت فيرثها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال نزلت في ناس من الانصار كانوا اذا مات الرجل منهم فاملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت فيرثها فنزلت فيهم * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية القول الذي ذكرناه عمن قال معناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أقار بكم لان الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث فذلك لا هله نحو وراثتهم اياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء

وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء أو خبر بعد خبر للتأكيد أو لخبر أقل الجمع وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يارسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس أو قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك ونزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقي فلك وأما الحالة الثالثة وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الآية لانه لما علم ان الذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا أكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وأيضا قال صلى الله عليه وسلم وما أبقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سئلت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن أيضا لقوله تعالى يابني آدم يابني اسرائيل وقيل قيس ولد الولد على الولد لما أنه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يستحق شيأ مع أولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب وأسا أولا ياخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانهما ياخذان الثلثين واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها أنه لا يتوارث أهل ملتين والمرتد ماله في بيت المال سواء اكتسب في الاسلام أو في الردة وعند أبي حنيفة ما اكتسب في الاسلام يرثه أقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة رضي الله عنها لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث للمال وورائة العلم أو الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في أولادكم ولان

مبينة حتى يفتدين منه كان بيانا بذلك خطأ التأويل الذي تاوله ابن زيد وتاويل من قال عني بالنهي عن العضل في هذه الآية أولياء الايامى وصحة ما قلنا فيه ولا تعضلوهن في موضع نصب عطفا على قوله أن ترثوا النساء كرها ومعناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن وكذلك هي في مذ كرفي حرف ابن مسعود ولو قيل هو في موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ ۞ القول في تاويل قوله (الا أن ياتين بفاحشة مبينة) يعني بذلك جل ثناؤه لا يحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضرارا منكم لهن وأنتم لصحبتهن كارهون وهن لكم طائعات لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداقاتهن الا أن ياتين بفاحشة مبينة فيحل لكم حينئذ الضرار بهن ليفتدين منكم ثم اختلف أهل التاويل في معنى الفاحشة التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع فقال بعضهم معناها الزنا وقال اذا زنت امرأة الرجل حل له عضلها والضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن في البكر تفجر تضرب مائة وتنفى سنة وترد الى زوجها ما أخذت منه وتاول هذه الآية ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن ياتين بفاحشة مبينة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عطاء الخراساني في الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ ما ساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك الحدود حدثنا أحمد بن ضبيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال اذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تختلع منه حدثنا ابن حميد قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرني معمر عن أيوب عن أبي قلابة في الرجل يطلع من امرأته على فاحشة فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي الا أن ياتين بفاحشة مبينة وهو الزنا فاذا فعلن ذلك فقد وا مهورهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الكريم انه سمع الحسن البصري الا أن ياتين بفاحشة قال الزنا قال وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان فان فعلت حل لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدي وقال آخرون الفاحشة المبينة في هذا الموضع النشوز ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن ياتين بفاحشة مبينة وهو البغض

المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الاعلى وفاطمة والعباس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء في الدين وأما أبو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله أنه يرث الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها أشد الحاجة وأيضا يحتمل أن يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشئ الذي تركناه صدقة فذلك الشئ لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشئ فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم أجابوا بان فاطمة رضي الله عنها رضيت بقول أبي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه أبو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد أما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في أبويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا

مع أبوى الميت أما حال الانفراد فثلاث ذكور واناث معا أو اناث فقط أو ذكور فقط أما الحالة الاولى فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين أى الذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه أحكام ثلاثة أحدها خلف ذكرا واحدا وأنثى واحدة فله سهمان ولها واحد وثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقى بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب أنثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أولا لانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل أحد أدخل فى الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل لهم كفى الذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة وأما الحكمة فى انه تعالى جعل نصيب النساء من المال أقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء فى الحديث ولان احتياجهن الى المال أقل لان أزواجهن ينفقون عليهن أو لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجده (١٩٦) مفسدة للمرء أى مفسدة فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان حواء أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت حفنة أخرى وخبأتها ثم أخذت حفنة أخرى ورفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل وأما الحالة الثانية فهن أكثر من اثنتين أو اثنتان أو واحدة وحكم القسم الاول مبين فى قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم القسم الثالث فى قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير فى كانت اما أن يعود الى النساء وجاز لعدم الالباس بدليل واحدة واما أن يعود الى غائب حكمى أى ان كانت البنت أو المولودة وقراءة النصب أوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع أيضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف فى عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير فى كن وكانت مبهمة وتكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة وأما القسم الثانى وهو حكم البنتين فغير مذكور فى الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف كما فى الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف أيضا مشروط بالوحدة أقول ولعله نظر الى أن الاثنتين أقرب الى الواحد من الاعداد الغير المحصورة التى فوق الاثنتين سوى الثلاثة فحملوا على الاقرب أولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فيلزم أن يكون البنتين الثلثان وأيضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد آخر أنثى هو الثلث أولى لان الذكر أقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دال على أنثيين فذكر بعد ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يتجاوز الثلثين وقيل ان البنتين أمس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول فى آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان أولى وهذا قياس جلى وبما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين

ثنا اسباط عن السدى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اما تعضلوهن فيقول تضاروهن ليفتدين منكم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تعضلوهن قال العضل أن يكره الرجل امرأته فيضربها حتى تفتدى منه قال الله تبارك وتعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وقال آخرون المعنى بالنهى عن عضل النساء فى هذه الآية أولياؤهن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن كالعضل فى سورة البقرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل المنهى عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه اياها وقالوا ذلك كان من فعل الجاهلية فنهوا عنه فى الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان العضل فى قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج الا باذنه فيأتى بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فاذا خطبها خاطب فان اعطته وأرضته أذن لها والا عضلها قال فهذا قول الله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الآية * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الادلة وأولى هذه الاقوال التى ذكرناها بالصحة فى تاويل قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قول من قال نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة من التضييق عليها والاضرار بها وهو لصحبتها كاره وافراقها محب لتفتدى منه ببعض ما آتاها من الصداق وانما قلنا ذلك أولى بالصحة لانه لا سبيل الى عضل امرأة الا لاحد رجلين اما لزوجها بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره مضارة منه لها بذلك ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك أو لوليها الذى اليه انكاحها واذا كان لا سبيل الى عضلها لاحد غيرهما وكان الولى معلوما انه ليس ممن آتاها شيأ فيقال ان عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها كان معلوما أن الذى عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها هو زوجها الذى له السبيل الى عضلها اضرار التفتدى منه واذا صح ذلك وكان معلوما ان الله تعالى ذكره لم يجعل لاحد السبيل على زوجته بعد فراقه اياها وبينونتها منه فيكون له الى عضلها سبيل لتفتدى منه من عضله اياها أتت بفاحشة أم لم تأت بها وكان الله جل ثناؤه قد أباح للازواج عضلهن اذا أتين بفاحشة مبينة

عن خلاف الاكثر ان أقل الجمع اثنان أو ثلاثة فعلمه ان أقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلاثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف ترد ها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا أستطيع رد شئ كان قبلي ومضى في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان أظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين أو الثلاثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان أو لا يكون لهم شئ من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصى بها أو دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن أو كان لكنه قضى وفضل بعده شئ فان أوصى الميت وصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بالدين (١٩٩) قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى اداءه فكان في تقديمها ترغيب لهم في اداءها ولهذا جاء بكلمة أو دلالة على التسوية بينهما في الوجوب ولان كل مال ليس يحصل فيه الامران فجيء بأو الفاصلة ليدل على انه ان كان أحدهما فالميراث بعده وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شئ دخل النقصان في انصباء أصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من أفعال القلوب وأقول من الجائز أن لا تكون من افعال القلوب بل تكون بمعنى المعرفة وكان أيهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة تحولنا نزعن من كل شيعة أيهم أشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني ان من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصية فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فر فر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة وأقرب وأحضر من عرض الدنيا ذها بالى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف

يا مانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا ولا يعصينكم في معروف واذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاخبر صلى الله عليه وسلم أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا ولا تعصيه في معروف وأن الذي يجب لها من الرزق والكسوة عليه انما هو واجب عليه اذا أدت هي اليه ما يجب عليها من الحق بتركها ايطاء فراشه غيره وتركها معصيته في معروف ومعلوم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احدا انما هو أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم واذا كان هذا ورينا في ذلك صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين أن لزوج المرأة اذا أوطأت امرأته نفسها غيره أمكنت من جماعها سواه أن له من منعها الكسوة والرزق بالمعروف مثل الذي له من منعها ذلك اذا هي عصته في المعروف واذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه اياها ماله منعها حقا لها واجبا عليه واذا كان ذلك كذلك فبين انها اذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فاخذ منها زوجها ما أعطته انه لم ياخذ ذلك عن عضل منهي عنه بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح واذ كان ذلك كذلك كان بينا انه داخل في استثناء الله تبارك وتعالى الذي استثناه من العاضلين بقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن ياتين بفاحشة مبينة واذا صح ذلك فبين فساد قول من قال قوله الا أن ياتين بفاحشة مبينة منسوخ بالحدود لان الحد حق الله تعالى على من أتى بالفاحشة التي هي زنا وأما العضل لتفتدي المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها كما عضله اياها وتضييقه عليها اذا هي نشزت عليه لتفتدي منه حق له وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر فمعنى الآية ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداقكم الا أن ياتين بفاحشة من زنا أو بذاء عليكم وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهرة فحل لكم حينئذ عضلهن والتضييق عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق ان هن افتدين منكم به واختلفت القراء في قراءة قوله مبينة فقرأ بعضهم مبينة بفتح الياء بمعنى انها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت وقرأه بعضهم مبينة بكسر الياء بمعنى انها ظاهرة بينة للناس انها فاحشة وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة أمصار الاسلام فبأيتهما قرأ القارئ فصيب في قراءته الصواب لان الفاحشة اذا أظهرها صاحبها فهي ظاهرة بينة واذا أظهرت فباظهار صاحبها اياها ظهرت فلا

البدل انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي أو بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث أحوال الاولى أن يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فههنا ثلاثة أوجه أحدها أن يحصل معهما ولد ذكر واحد أو أكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها أن يحصل معهما بنتان أو أكثر فالحكم كما ذكر وثالثها أن يكون معهما بنت واحدة ففيها للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد أكثر ونصيب الوالدين أقل فالجواب والله أعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا أما الاولاد فهم في زمان الصبي فاحتياجهم الى المال أكثر وأيضا كأنهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم (١٩٨) جزاء ولا شكورا وأيضا ولد الولد ولد وترفيه حال الولد أهم عند الوالدين من ترفيه حالهما الحالة الثانية ان لا يكون معهما أحد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه أي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه أو الى الزوجة نصيبها والام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج أو الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب ليكون الذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شيء منه مستحقا بقي الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وأيضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية بامانة في قسمة الباقي وعن ابن سيرين أنه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس أكثر مما للام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة أن يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة أو الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على أن ثلاثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما في الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقها فصح أن يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك الاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله

والنشوز فاذا فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن علي بن جذيمة عن مقسم في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين في قراءة ابن مسعود قال اذا عضلت وآذتك فقد حل لك ما أخذت منك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف بن طريف عن خالد عن الضحاك بن مزاحم الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال الفاحشة ها هنا النشوز فاذا نشزت حل له أن يأخذ خلعها منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن ان شئتم امسكوهن وان شئتم أرسلتموهن حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال عدل ربنا تبارك وتعالى في القضاء فرجع الى النساء فقال الا أن يأتين بفاحشة مبينة والفاحشة العصيان والنشوز فاذا كان ذلك من قبلها فان الله أمره أن يضربها وأمره بالهجر فان لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية * قال أبو جعفر وأولى ما قيل في تأويل قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة انه يعني به كل فاحشة بذية باللسان على زوجها وأذى له وزنا بفرجها وذلك ان الله جل ثناؤه عم بقوله الا أن يأتين بفاحشة الفواحش التي هي زنا أو نشوز فله عضلها على ما بين الله في كتابه والتضييق عليها حتى تفتدي منه باي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي حدثني يونس بن سليمان البصري قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الترمذي قال ثنا صدقة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان النساء عندكم عوار أخذتموهن

الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة والربا وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق ورثتم قناة الملك لا عن كلالة * عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول أبي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كلالة ضعيفة ويحتمل أن يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس بخلاف قرابة الولاد فانها تذهب على الاستقامة كما قال نسب تتابع كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب وأيضا فانه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب انه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك أن الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم أن لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وأيضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة (٢٠١) ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب

المال الكثير وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه والصواب من القول في ذلك عندنا ولا تأخذوا منه شيئا يقول فلا تضاروا بهن اذا أردتم كالامهن لتفتدين منكم بما آتيتموهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج طلاق امرأة مكان أخرى فلا يحل له من مال المطلقة شئ وان كثر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) يعني بقوله تعالى ذكره أتأخذونه أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن بهتانا يقول ظلما بغير حق وإثما مبينا يعني قد أبان أمر أخذه انه باخذه اياه لمن أخذه منه ظلم ۞ القول في تأويل قوله (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) يعني جل ثناؤه بقوله وكيف تأخذونه وعلى أي وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن اذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجا وقد أفضى بعضكم الى بعض فتباشرتم وتلامستم وهذا كلام وان كان مخرجه مخرج الاستفهام فانه في معنى النكير والتغليظ كما يقول الرجل لآخر كيف تفعل كذا وكذا وأنا غير راض به على معنى التهدد والوعيد وأما الافضاء الى الشئ فانه الوصول اليه بالمباشرة له كما قال الشاعر

بلى أفضى الى ليلى * بداسيرها من باطن بعد ظاهر ؟

يعني بذلك ان الفساد والبلى وصل الى الحر والذي عنى به الافضاء في هذا الموضع الجماع في الفرج فتاويل الكلام اذ كان ذلك معناه وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض بالجماع ونحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الحميد بن سنان العتاد قال ثنا اسحق عن سفيان عن عاصم عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال الافضاء المباشرة ولكن الله كريم يكني عما يشاء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عاصم عن بكر عن ابن عباس قال الافضاء الجماع ولكن الله يكني حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس قال الافضاء هو الجماع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقد أفضى بعضكم الى بعض قال مجامعة النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

يقتضي أن يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن أن يحمل عليه بيت الفرزدق أي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا أشفيت منه على الموت فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة وأراد به انه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث أو المورث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي أي من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف أي أحمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالان

الاول وهو قول عطاء والضحاك أن يكون ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو المورث منه وينتصب كلالة على الحال أو على انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز أن يكون مفعولا له أي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير أن يكون مبنيا للمفعول من أورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على الوجه المذكور قيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال وله أخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التغيير الى أيهما أريد جاز اسناده اليهما أيضا تقول من كان له أخ أو أخت فليصله أو فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز أيضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية أولى أما لان الرجال في الاحكام أصل والنساء تبع لهم واما بتأويل أحد المذكورين ثم ان المفسرين أجمعوا على أن المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه ما نسب الى أبي وسعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما أي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على

ان انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذاك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كنه تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والنسب عنه فلا يدري أن الابن سيحتاج الى أن ينفق الاب عليه أو الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد أي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا مخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك أي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم أن الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما أن يكون هو النسب أو الزوجية (٢٠٠) فهذه ثلاثة أقسام الاول قرابة التوالد الفروع والاصول وهو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم الى قوله توصون بها أو دين ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما أحسن هذا النسق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثمانية مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم وقال أبو حنيفة المال لا يجوز لانها لا تستزوجته ولو كانت زوجته لحل له وطؤها لقوله الا على أزواجهم وأجيب بانه لو لم تكن زوجته لكان قوله ما ترك أزواجكم مجازا ولو كانت زوجته مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين في أصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطء بالشبهة وأيضا حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى أصل الحرمة أما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أحب الي من

تكون ظاهرة بينة الا وهي مبينة ولا مبينة الا وهي مبينة فلذلك رأيت القراءة بايهما قرأ القارئ صوابا ۞ القول في تأويل قوله (وعاشروهن بالمعروف) يعني جل ثناؤه بقوله وعاشروهن بالمعروف وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن بالمعروف يعني بما أمرتكم به المصاحبة وذلك امساكهن باداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم اليهن أو تسريح منكم لهن باحسان كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وعاشروهن بالمعروف يقول وخالطوهن كذا قال محمد بن الحسين وانما هو خالقوهن من العشرة وهي المصاحبة ۞ القول في تأويل قوله (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) يعني بذلك تعالى ذكره لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ولا نشوز كان منهن ولكن عاشروهن بالمعروف وان كرهتموهن فلعلكم ان تكرهوهن فتمسكوهن فيجعل الله لكم في امساككم اياهن على كره منكم لهن خيرا كثيرا من ولد يرزقكم منهن أو عطفكم عليهن بعد كراهتكم اياهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا يقول فعسى الله أن يجعل في الكراهة خيرا كثيرا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي في قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا الولد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويجعل الله فيه خيرا كثيرا والخير الكثير ان يعطف فيرزق الرجل ولدها ويجعل الله في ولدها خيرا كثيرا والهاء في قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا على قول مجاهد الذي ذكرناه كناية عن مصدر تكرهوا وكان معنى الكلام عنده فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولو كان تأويل الكلام فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيرا كثيرا كان جائزا صحيحا ۞ القول في تأويل قوله (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) يعني جل ثناؤه بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وان أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها وآتيتم احداهن يقول وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر قنطارا والقنطار

لان من حدود ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدى فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فان المراد تعدى أى حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدى فى هذه الحدود وأجيب بأنه لم من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فما مانع لنا من أن نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصى يصح استثناؤها من هذا اللفظ أى ومن يعص الله فى كذا وفى كذا وذلك لا يحقق الا فى حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلى كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية وبما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصى فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده أيضا ذلك لزم التكرار وجب حمله على الكفر وان سلم أن المراد هو التعدى فى حدود المواريث فلعل المراد من التعدى هو اعتقاد كونه لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله أعلم بمراده قوله عم طورا والتى يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه أن التغليظ عليهن فى باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به فى الآيات المتقدمة وفيه أن مدار الشرع (٢٠٣) على العدل والانصاف والاحتراز فى كل

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن أبى هاشم المكى عن مجاهد فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال قوله نكحت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن كعب القرظى وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو قولهم قد ملكت النكاح حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق النكاح حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح قوله نكحت وقال آخرون بل عنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر وعكرمة وأخذن منكم ميثاقا غليظا قالا أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل ذلك قول من قال الميثاق الذى عنى به فى هذه الآية هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح من عهد على امساكها بمعروف أو تسريحها باحسان فاقر به الرجل لان الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال فى نسائهم وقد بينا معنى الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واختلف فى حكم هذه الآية أحكم أم منسوخ فقال بعضهم محكم وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها الا ان تكون هى المريدة الطلاق وقال آخرون هى محكمة وغير جائز له أخذ شئ مما آتاها منها بحال كانت هى المريدة الطلاق أو هو وممن حكى هذا القول عنه بكر بن عبد الله المزنى حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عقبة بن أبى المهنا قال سالت بكرا عن المختلعة أيأخذ منها شيئا قال لا وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال آخرون هى منسوخة نسخها قوله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال ثم رخص بعد

باب من طرف فى التفريط والافراط بلا ينبغى أن يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتى جمع التى وفيه لغات اللاتى بالهمزة واللواتى واللوائى فكانهما جمعا الجمع وقد يحذف الياآت من الاربعة وقد يسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لسكونها مكسورة لقراءة ورش واللائى يئسن من المحيض وقد يقال اللابى بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاآت كاللاغات قال ابن الانبارى العرب تقول فى الجمع من غير الحيوان التى ومن الحيوان اللاتى كقوله أموالكم التى جعل الله لكم قياما وقال فى هذه الآية واللاتى لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشئ الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يأتى هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة فى القبح مصدر كالعافية وأجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالهما وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنى واللواط والسحق وما أشبهها وهذه أخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم أو من الحرائر أو من نسائكم المؤمنات والثنيات أقوال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم أى من رجالكم قال الزهرى مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا تقبل شهادة النساء فى الحدود وان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه أدخل فرجه فى فرجها كالمرود فى المكحلة أو كالرشاء فى البئر ولابد مع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضى كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن فى البيوت خلدوهن محبوسات فى بيوتكم حتى يتوفاهن الموت أى ملائكة الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن أو يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح أو بالحد واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية أو الرجلان اللوطيان قد وهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله أما علمتما فى النكاح مندوحة عن هذه

الاحتمال الاول وهو أن الرجل مورث منسوما على الاحتمال الثاني وهو أن الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من أخيه أو أختهما والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين أن نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يستند الاجماع الى هذا ببيانه انه قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ثم أثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا أثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم أن المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان أو من الاب وهم أولاد العلات فالكلالة ان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا أنها في الآية خاصة كما بينا غير مضار حال أي يوصى بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور أي يوصى اذ علم أن ثمة موصيا والضمير فيه وهو (٢٠٢) ذو الحال يعود الى الرجل على تقدير انه المورث أو الى الميت الدال عليه سياق الكلام أي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة بأن يوصى بأزيد من الثلث أو بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر بأن الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه أو يبيع شيأ بثمن بخس أو يشتري شيأ بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان أن ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس أوصى على قانون العدالة وقد روى عن عكرمة عن ابن عباس أن الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فاذا أوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد أو على انه مفعول مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالاولاد أن لا يدعهم عالة بامراره في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته أو عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم أكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من أحكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف أن يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما أن الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في أمر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونار لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ أن يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك أن التعدي في جميع حدود الله محال

مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض يعني المجامعة ❁ القول في تأويل قوله (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) أي ما وثقت به لهن على أنفسكم من عهد واقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان وكان في عقد المسلمين النكاح قديما فيما بلغنا ان يقال لمن نكح اتق الله عليك لتمسكن بالمعروف أو لتسرحن باحسان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقد كان في عهد المسلمين عند انكاحهم الله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان واختلف أهل التأويل في الميثاق الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا فقال بعضهم هو امساك بمعروف أو تسريح باحسان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما وأخذن منكم ميثاقا غليظا فهو ان ينكح المرأة فيقول وليها انكحتها اياها بامانة الله على ان تمسكها بالمعروف أو تسرحها باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ الذي أخذ الله للنساء امساك بمعروف أو تسريح باحسان وكانت في عقدة المسلمين عند نكاحهن لتمسكن بمعروف ولتسرحن باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا بكر الهذلي عن الحسن ومحمد بن سيرين في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال آخرون هو كلمة النكاح التي استحل بها الفرج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح التي استحل بها فروجهن حدثني

المثنى

لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونه معصية ولهذا أجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم أو الساهي لا يستحق العقاب لانه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا أما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلان يكون واجبا على العامد أولى لانه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على ان المراد من هذا القرب قبل حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وانما كان ذلك لزمان قريب لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب اما لابتداء الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا فتى أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك أو المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ أولى بالقبول لقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان أهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا أحياء بعد ان كانوا أمواتا ويشاهدون أيضا أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا أو بتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا تنفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وأيضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد وقبل التوبة في بعض الاوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا

سلف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف فانزل الله في أبي قيس بن الاسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة كانت تحت الاسلت أبيه وفي الاسود بن خلف وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار وكانت عند أبيه خلف وفي ناجية بنت الاسود بن المطلب بن أسد وكانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية وفي منصور بن زبان وكان خلف على مليكة ابنة خارجة وكانت عند أبيه بيار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بن أبي رباح الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها أتحل لابنه قال هي مرسلة قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء قال قلت لعطاء ما قوله الا ما قد سلف قال كان الابناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية يقول كل امرأة تزوجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام واختلف في معنى قوله الا ما قد سلف فقال بعضهم معناه لكن ما قد سلف فدعوه وقالوا هو من الاستثناء المنقطع وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا نكاح آبائكم بمعنى ولا تنكحوا كنكاحهم كانكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الاسلام انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعني ان نكاح آبائكم الذين كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا الا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الاسلام فانه معفو لكم عنه وقالوا قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كقول القائل للرجل لا تفعل ما فعلت ولا تأكل ما أكلت بمعنى ولا تأكل كما أكلت ولا تفعل ما فعلت وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقدة بينهم الا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم فان نكاحهن لكم حلال لانهن لم يكن لهم حلائل وانما كان ما كان من آبائكم منهن من ذلك فاحشة ومقتا وساء سبيلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف الآية قال الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فزاد ههنا المقت * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله أن يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم الا ما قد سلف

فان تابا وأصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ واللوم أو خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما أن يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام * واعلم أن العلماء اختلفوا في الآيتين فعن الحسن أن الثانية مقدمة في النزول أمروا بايذاء الزانيين أولا ثم أمروا بامساك النساء في البيوت الى أن يتبين أحوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن أبي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا أن يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم أي من رجالكم كما في قوله أربعة منكم وأما الزنى من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الحادي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شئ من الآيات ولا تكرار الشئ الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول أبي مسلم بانه قول لم يقل به أحد وبان الصحابة اختلفوا في أحكام اللواطة ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا (٢٠٤) الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة وأجاب أبو مسلم بانه قول مجاهد وهو من أكابر المفسرين على انه بين في الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وأيضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكيفية ذلك وليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحدود جمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد لذلك وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر آخرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن أصحاب أبي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز أن لا تكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة سلف

فقال لا تاخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال فنسخت هذه تلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال انها محكمة غير منسوخة وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ولا ريبة أتت بها وذلك ان الناسخ من الاحكام ما نفى بخلافه من الاحكام على ما قد بينا في سائر كتبنا وليس في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج نفي حكم قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به لان الذي حرم الله على الرجل بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا أخذ ما أتاها منها اذا كان هو المريد طلاقها وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فهو اذا كانت هي المريدة طلاقه وهو له كاره ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع وليس في حكم احدى الآيتين نفي حكم الاخرى واذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لاحداهما بانها ناسخة وللاخرى بانها منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني من انه ليس لزوج المختلعة أخذ ما أعطته على فراقه اياها اذا كانت هي الطالبة الفرقة وهو الكاره فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه أمر ثابت بن قيس بن شماس باخذ ما كان ساق الى زوجته وفارقها ان طلبت فراقه وكان النشوز من قبلها * القول في تاويل قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) قد ذكر ان هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به ان هم اتقوا الله في اسلامهم وأطاعوه فيه ذكر الاخبار التي رويت في ذلك حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا مراد قال ثنا ابن عيينة وعمر وعن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم الا امرأة الاب والجمع بين الاختين قال فانزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وان تجمعوا بين الاختين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا ان الرجل كان يخلف على حليلة أبيه ويجمعون بين الاختين فمن ثم قال الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد

سلف

وبوصي بامساكهن بعد أن يحدد ن صيانتهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا له وصار أيضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم أخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله اجبت وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال أكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه يستحق عقاب الجهلة وقيل المراد أن يكون جاهلا بكونها معصية

المال أي لايحل له أن يحبسها ضرارا للتعدي الا اذا زنت فحينئذ يحل لزوجها أن يسألها الخلع وكان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون حينئذ في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فهذه قد يقبل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومال كثير لليمن في عصبتها قال صلى الله عليه وسلم الشؤم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم في مفارقتهن فربما جعل الله تعالى في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج بي لعشر وتتجدد زوجا آخر (٢٠٧) أوفق منه النوع الرابع من التكاليف

أباؤكم من النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل ابن رجاء عن عمر مولى ابن عباس عن ابن عباس قال يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ثنا أبو أحمد الزهري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمر مولى ابن عباس عن ابن عباس مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي ذئب عن الزهري بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حرم عليكم سبع نسبا وسبع صهرا حرمت عليكم أمهاتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم قال حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا ثم قرأ وأمهات نسائكم وربائبكم وأخواتكم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم مولى الانصار قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ومن الصهر أمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وإياه قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فكل هؤلاء اللواتي سماهن الله تعالى وبين تحريمهن في هذه الآية محرمات غير جائز نكاحهن لمن حرم الله ذلك عليه من الرجال باجماع جميع الامة لا اختلاف بينهم في ذلك الا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن فان في نكاحهن اختلافا بين بعض المتقدمين من الصحابة اذا كانت الابنة قبل ان يدخل بها من زوجها هل هن من المبهمات أم هن من المشروط فيهن الدخول بينا هن فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم من المبهمات وحرام على من تزوج امرأة أمها دخل بامرأته التي نكحها أو لم يدخل بها وقالوا شرط الدخول في الربيبة دون الام فاما أم المرأة فمطلقة بالتحريم قالوا ولو جاز أن يكون شرط الدخول في قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن موضع موصولا به قوله وأمهات نسائكم جاز أن يكون الاستثناء في قوله والمحصنات من

وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما أذن في مضارتهن اذا أتين بفاحشة بين تحريم الضرار في غير حالة الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال في المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس أفقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل أن يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والغرض لا الرخصة وهو موضع الحال أي وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء أدى المال اليها أم لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل أخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا أنه يفيد الملك لو خالع كما أن البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك أتاخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو أن يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وفي الحديث اللا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال أي باهتين وآثمين أو على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض أي ببهتان وقيل بضمير أي تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا أو انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا أخذه منها صار القول الاول بهتانا أي باطلا أو كان من عادتهم انهم اذا أرادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان أخذ هذا المال طعن في ذاتها من حيث انه مشعر بانها قد أتت بفاحشة وقبض على مالها بهتان من وجهين وظلم من وجه آخر وقيل المراد عقاب البهتان واثم كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستفهما فقال وكيف تأخذونه وقد

يسئل عما يفعل وأقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره حق وقد عين لعبيده حالين دنيا وعقبى وقد أخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم لم يعكس الامر ثم ان اليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة والمعنى انه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت أو المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم أي أعددنا لهم وعيدا نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد لتبيين ان الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون فساق لكنهما مشتركان في العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد وأجيب بان أولئك اشارة الى أقرب المذكورين ويعضده ان الكفار أشنع قولا من الفساق أو الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها من ههنا شرع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الاول قوله لا يحل لكم أن ترثوا وفيه قولان أحدهما الوراثة تعود الى المال أي لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوهن أموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما انها ترجع الى أعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء تزوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدي منه بمالها وتخلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزويج لمن شاءت وأرادت لتبذل امرأة الميت ما أخذت من الميراث كما كان يفعله أهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة أولا زواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا أن يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها أو الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان كقوله انهن أضللن كثيرا من الناس لما صرن أسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا قيل من أخذ

منكم فضي في الجاهلية فانه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فيكون قوله من النساء من صلة قوله ولا تنكحوا ويكون قوله ما نكح آباؤكم بمعنى المصدر ويكون قوله الا ما قد سلف بمعنى الاستثناء المنقطع لانه يحسن في موضعه لكن ما قد سلف فضي انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا لقول من ذكرت قوله من أهل التاويل وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم في ذلك انما قالوا أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء وأنت تذكر انهم انما نهوا أن ينكحوا نكاحهم قيل له وان قلنا ان ذلك هو التاويل الموافق لظاهر التنزيل اذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ابتدئ مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه عنه لقيل ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لان ذلك هو المعروف في كلام العرب اذ كان من لبني آدم وما لغيرهم ولا تقل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه يدخل فيما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم فحرم عليهم في الاسلام بهذه الآية نكاح حلائل الآباء وكل نكاح سواه نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الاسلام مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم ومعنى قوله الا ما قد سلف الا ما قد مضى انه كان فاحشة يقول ان نكاحكم الذي سلف منكم كنكاح آبائكم المحرم عليكم ابتداء مثله في الاسلام بعد تحريمي ذلك عليكم فاحشة يقول معصية ومقتا وساء سبيلا أي بئس طريقا ومنهجا ما كنتم تفعلون في جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها ۞ القول في تاويل قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) يعني بذلك تعالى ذكره حرم عليكم نكاح أمهاتكم فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن الثوري عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمر مولى ابن عباس عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم حتى بلغ وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم

العقد معا أو لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن التباين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لاستحالة وأجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطء ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مرفية ومهرية فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من تفيد العموم إذ الم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا فانا نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية نفي ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت أو غيرها الا ما أخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا أبناءكم الا كفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في انا من الماء فتحريمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطء حدث به ووطء رجت به فكيف يشتبهان أما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكانه قيل أنتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى أي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم معذورون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه وان كان في الجاهلية وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله انه أي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم انه تعالى ان هذا الفعل كان أبدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلاث في

أكان ابن عباس يقر أو أمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن قال لا تبرؤ قال حجاج قلت لابن جريج ما تبرؤ قال كانه قال لا واو أما الربائب فانه جمع ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل قيل لها ربيبة لتربيته اياها وانما هي مربوبة صرفت الى ربيبة كما يقال هي قبيلة من مقبولة وقد يقال لزوج المرأة هو ربيب ابن امرأته يعني به هو ربها كما يقال هو جابر وجبير وشاهد وشهيد واختلف أهل التأويل في معنى قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والدخول النكاح وقال آخرون الدخول في هذا الموضع هو التجريد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء قوله اللاتي دخلتم بهن ما الدخول بهن قال أن تهدى اليه فيكشف ويغشى ويجلس بين رجليها قلت أرأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها قال هو سواء وحبسه قد حرم ذلك عليه ابنتها قلت تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بامها الا ما يحرم على أمتي ان صنعته بامها قال نعم سواء قال عطاء اذا كشف الرجل أمته وجلس بين رجليها أنهاه عن أمها وابنتها * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس من أن معنى الدخول الجماع والنكاح لان ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين اما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس وهو الوصول اليها بالخلوة بها أو يكون بمعنى الجماع وفي اجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها أو قبل النظر الى فرجها بالشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه وأما قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فانه يقول فان لم تكونوا أيها الناس دخلتم بامهات ربائبكم اللاتي في حجوركم فجامعتموهن حتى طلقتموهن فلا جناح عليكم يقول فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك وأما قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فانه يعني وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم وهي جمع حليلة وهي امرأته وقيل سميت امرأة الرجل حليلته لانها تحل معه في فراش واحد ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح دخل بها أو لم يدخل بها فان قال قائل فما أنت قائل في حلائل الابناء من الرضاع فان

أفضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدى واختاره الزجاج وابن قتيبة والمذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذ الافضاء
الساحة يقال أفضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء أن يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول
الكلبي واختاره الفراء وهو اقعد مذهب أبي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب
وهو انما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قريبا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وأيضا الافضاء لابد أن يكون مفسرا بفعل
ينتهي منه البهالان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من أفعال أحدهما الى الآخر فان قيل على هذا يجب أن
يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الافضاء وأنتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل
بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وأيضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة أو الجماع فوجب
الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة (٢٠٨) ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم أكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا

غليظا قال السدى وعكرمة والفراء
هو قولكم زوجتك هذه المرأة على
ما أخذ الله النساء على الرجال من
امساك بمعروف أو تسريح باحسان
ومعلوم انه اذا أفضى الى أن بذل له المهر
فقد سرحها بالاساءة وقال ابن
عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة
النكاح المعقود على الصداق
واليها أشار في الحديث واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال آخرون
أخذن منكم بسبب افضاء بعضكم
الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ
لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما
قرابة فكيف بما يجري بين
الزوجين من الاتحاد والامتزاج
النوع الخامس من التكاليف
المتعلقة بامور النساء قوله ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن
عباس وجمهور المفسرين كان
أهل الجاهلية يتزوجون بازواج
آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة
خلافية قال أبو حنيفة يحرم على
الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه وقال
الشافعي لا يحرم حجة أبي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق اكان

النساء لا ما ملكت أيمانكم من جميع المحرمات بقوله حرمت عليكم الآية قالوا وفي اجماع الجميع على
ان الاستثناء في ذلك انما هو مما وليه من قوله والمحصنات أبين الدلالة على ان الشرط في قوله من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن مما وليه من قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
دون أمهات نسائنا وروي عن بعض المتقدمين انه كان يقول حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتي
لم ندخل بهن وان حكمهن في ذلك حكم الربائب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا
ابن أبي عدي وعبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن علي رضي الله عنه في رجل
تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج أمها قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد بن
مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن جلاس عن علي رضي الله عنه
قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن سعيد بن
المسيب عن زيد بن ثابت انه كان يقول اذا ماتت عند وأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا
طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن قتادة عن
سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت قال اذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا باس أن يتزوج
أمها حدثنا القاسم قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد ان مجاهدا قال له
وأمهات نسائكم وربائبكم التي في حجوركم من نسائكم أريد بهما الدخول جميعا قال أبو جعفر
والقول الاول أولى بالصواب أعني قول من قال الام من المبهمات لان الله لم يشرط معهن الدخول
بينانهن كما شرط ذلك مع أمهات الربائب مع ان ذلك أيضا اجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما
جاءت به متفقة عليه وقد روي ذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير ان في اسناده نظر اوهو ما
حدثنا به المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا المثنى بن الصباح
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له
أن يتزوج أمها دخل بالابنة أم لم يدخل واذا تزوج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة
قال أبو جعفر وهذا خبر وان كان في اسناده ما فيه فان في اجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن
الاستشهاد على صحته بغيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال
لعطاء الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها أيحل له أمها قال لا هي مرسلة قلت لعطاء

لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح أي الوطء لان أهلية العقد حاصلة أبدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية
ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها منكوحة أي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو
العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولا شك ان الوطء من حيث انه وطء
ليس سنته وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف من أولاد الزنى انهم ليسوا من أولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطء سمي بالنكاح
لكن العقد أيضا سمي به فلم كان حمل الآية على ما ذكره أولى من حملها على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد
لا الوطء قالوا الوطء حقيقة في الوطء مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطء الا في العقد وانما أطلق النكاح على العقد اطلاقا
لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة أولى أو مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فتكون الآية نهيا عن الوطء وعن

(الجزء الخامس)
من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الخامس من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

القول في الشرع وفي العادة الفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب شبيه الام والمقت اشارة الى القبح الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى أعلم التأويل الوراثة الدينية أيضا بسبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب هو العصبة معهم بالتسليم لتصرفاتهم ولا يتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلبه ولا يتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث أهل الدين لحلى قد تعلقاتهم السببية والنسبية المذكورة والاثوثة في الجذو الاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثهم العلوم الدينية والدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا والتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن (٢١٠) أربعة منكم أي من خواص العناصر الاربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الحسة والقلة والماء ومن خواصها الين والانوثة والشرة والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب والملك يأتيانها أي النفس والقلب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة أي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب فاعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية بحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب أي عقيب المعصية قال عليه السلام اتبع السيئة بالحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل أن يقال من قريب أي قبل أن يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله أعلم (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما

الله تعالى انما حرم حلائل أبنائنا من أصلابنا قيل ان حلائل الابناء من الرضاع وحلائل الابناء من الاصلاب سواء في التحريم وانما قال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم لان معنا وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم قال تحدث والله أعلم انها نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك فنزلت وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ونزلت وما جعل أدعياءكم أبناءكم ونزلت ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأما قوله وأن تجمعوا بين الاختين فان معناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الاختين عندكم بنكاح فانه في موضع رفع كأنه قيل والجمع بين الاختين الا ما قد سلف لكن ما قد مضى منكم فان الله كان غفورا للذنوب عباده اذا تابوا اليه منها رحيما بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم يخبر بذلك جل ثناؤه انه غفور لمن كان جمع بين الاختين بنكاح في جاهليته وقبل تحريمه ذلك اذا اتقى الله تبارك وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه فاطاعه باجتنابه رحيم به وبغيره من أهل طاعته من خلقه

(تم الجزء الرابع من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الخامس أوله ﴿ القول في تأويل قوله والمحصنات من النساء)

عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن صالح أبي الخليل ان أبا علقمة الهاشمي حدث ان أبا سعيد الخدري حدثني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث يوم حنين سرية فاصابوا حيا من أحياء العرب يوم أوطاس فهزموهم وأصابوا لهم سبايا فكان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثمون من غشيانهن من أجل أزواجهن فانزل الله تبارك وتعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم منهن فحلال لكم ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث ابن سوار عن أبي البختري عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال لما سبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أوطاس قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن قال فنزلت هذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عثمان البتي عن أبي سعيد الخدري قال أصبنا نساء من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم فاستحللنا فروجهن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد قال نزلت في يوم أوطاس أصاب المسلمون سبايا لهن أزواج في الشرك فقال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم يقول الا ما أفاء الله عليكم قال فاستحللنا بها فروجهن * وقال آخرون ممن قال المحصنات ذوات الازواج في هذا الموضع بل هن كل ذات زوج من النساء حرام على غير أزواجهن الا أن تكون مملوكة اشتراها مشتر من مولاها فتحل لمشتريها ويبطل بيع سيدها اياها النكاح بينها وبين زوجها ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال كل ذات زوج عليك حرام الا أن تشتريها أو ما ملكت يمينك حدثني المثنى قال ثنا أحمد بن جعفر عن شعبة عن مغيرة عن ابراهيم انه سئل عن الامة تباع ولها زوج قال كان عبد الله يقول بيعها طلاقها ويتلو هذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال كل ذات زوج عليك حرام الا ما اشتريت بمالك وكان يقول بيع الامة طلاقها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قوله والمحصنات من النساء قال هن ذوات الازواج حرم الله نكاحهن الا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها قال معمر قال الحسن مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال اذا كان لها زوج فبيعها طلاقها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة ان أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك قالوا بيعها طلاقها حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة ان أبي بن كعب وجابرا وابن عباس قالوا بيعها طلاقها حدثنا أبو كريب قال ثنا عمر بن عبيد عن مغيرة عن ابراهيم قال قال عبد الله بيع الامة طلاقها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور ومغيرة والاعمش عن ابراهيم عن عبد الله قال بيع الامة طلاقها حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سعيد عن حماد عن ابراهيم عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن ابراهيم عن عبد الله مثله حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال طلاق الامة بيعها طلاقها وعتقها طلاقها وهبتها طلاقها وبراءتها طلاقها وطلاق زوجها طلاقها حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد عن عيسى بن أبي اسحق عن أشعث عن الحسن عن أبي بن كعب انه قال بيع الامة طلاقها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى عن عوف عن الحسن قال بيع

الباقون مبنيا للفاعل أحصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع * الوقوف دخلتم بهن الاولى لا بتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم ز لذلك فان جملة الشرط معترضة أصلابكم لا للعطف سلف طرحيماه لا للعطف الجزء الخامس أيمانكم ج لان كتاب الله يحتمل أن يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل مصدر محذوف أي كتب الله كتابا والاحسن أن يكون مفعولا له أي حرمت لكتاب الله من قرأ وأحل بالفتح لم يحسن الوقف له على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ وأحل بالضم عطفا على حرمت جازله الوقف لطول الكلام مسافحين ط لابتداء حكم المتعة فريضة ط الفريضة ه حكيما ه فتياتكم المؤمنات ط بايمانكم ط من بعض ج لعطف المختلفين أحدان ج لذلك من العذاب ط العنت منكم ط خير لكم ط رحيم ه ويتوب عليكم ط حكيم ه عظيما ه يخفف عنكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى أي يخفف لضعفكم ضعيفا ه أنفسكم ط رحيما ه نارا ط يسيرا ه * التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبعة من جهة النسب الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة أخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وأمهات

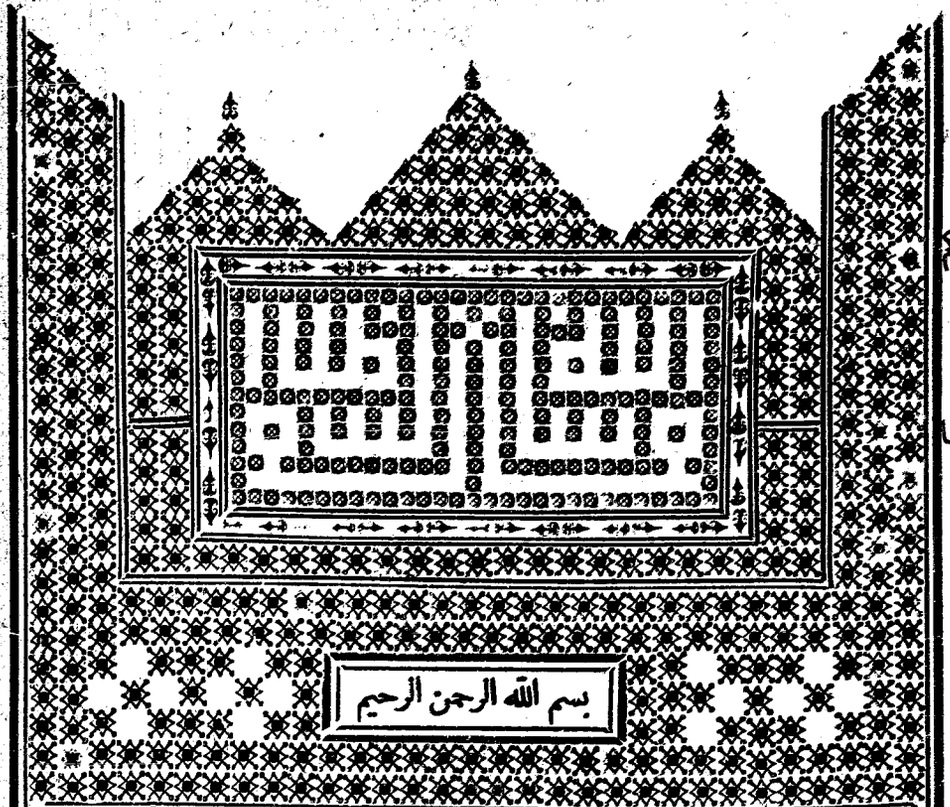

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تاويل قوله (والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه حرمت عليكم المحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم واختلف أهل التأويل فى المحصنات التى عنا هن الله فى هذه الآية فقال بعضهم هن ذوات الازواج غير المسبيات منهن وملك اليمين السبايا اللواتى فرق بينهن و بين أزواجهن السبا فقالن ان صرن له بملك اليمين من غير طلاق كان من زوجها الحربى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن ابى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل ذات زوج اتيانها زنا الا ما سبيت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم يقول كل امرأة لها زوج فهى عليك حرام الا أمة ملكتها ولها زوج بارض الحرب فهى لك حلال اذا استبرأتها وحدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن خالد عن أبى قلابة فى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال ما سبيتم من النساء اذا سبيت المرأة لها زوج فى قومها فلا باس أن يطأها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال كل امرأة محصنة لها زوج فهى محرمة الا ما ملكت يمينك من السبى وهى محصنة لها زوج فلا تحرم عليك به قال كان أبى يقول ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عتبة بن سعيد الحمصى قال ثنا سعيد عن مكحول فى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال السبايا اعتقن قائلوا هذه المقالة بالاخبار التى رويت أن هذه الآية نزلت فيمن سبى من أوطاس ذكر الرواية بذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى الخليل عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشا الى أوطاس فلقوا عدوا فاصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فكان المسلمون يتأثمون من غشيانهن فانزل الله تبارك وتعالى هذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم أى هن حلال لكم اذا ما انقضت عددهن حدثنا محمد بن بشار قال ثنا

(والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) القراآت والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء على الباقون بالفتح وأحل مبنيا للمفعول يزيد وحمزة وعلى ويخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد

عن ابراهيم عن عبد الله قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال ذوات الازواج من المسلمين والمشركين وقال على ذوات الازواج من المشركين حدثني المثنى قال ثنا الجاني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد عن ابن عباس في قوله والمحصنات من النساء قال كل ذات زوج عليكم حرام حدثني المثنى قال ثنى الجاني قال ثنا شريك عن عبد الكريم عن مكحول نحوه حدثني المثنى قال ثنا الجاني قال ثنا شريك عن الصلت بن بهرام عن ابراهيم نحوه حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم الى وأحل لكم ما وراء ذلكم يعني ذوات الازواج من النساء ما يحل نكاحهن يقول كل امرأة لا تنكح الا ببينة ومهر فهي من المحصنات التي حرم الله الا ما ملكت أيمانكم يعني التي أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع وقال آخرون بل هن نساء أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن أيوب عن أبي العوجاء عن أبي مجلز في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال نساء أهل الكتاب * وقال آخرون بل هن الحرائر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنى حماد بن مسعدة قال ثنا سليمان بن عرعرة في قوله والمحصنات من النساء قال الحرائر * وقال آخرون المحصنات هن العفائف وذوات الازواج وحرام كل من الصنفين الا بنكاح أو ملك يمين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب وسئل عن قول الله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم الآية قال نرى انه حرم في هذه الآية المحصنات من النساء ذوات الازواج أن ينكحن مع أزواجهن والمحصنات العفائف ولا يحللن الا بنكاح أو ملك يمين والاحصان احصانان احصان تزويج واحصان عفائف في الحرائر والمملوكات كل ذلك حرم الله الا بنكاح أو ملك يمين * وقال آخرون نزلت هذه الآية في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم أزواجهن مهاجرين فنهى المسلمون عن نكاحهن ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى حبيب بن أبي ثابت عن أبي سعيد الخدري قال كان النساء يأتينا ثم يهاجر أزواجهن فنتحناهن يعني بقوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم وقد ذكر ابن عباس وجماعة غيره انه كان ملتبسا عليهم تأويل ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال قال رجل لسعيد بن جبير ما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم فلم يقل فيها شيأ قال فقال كان لا يعلمها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى عن مجاهد قال لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت اليه أكباد الابل قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم الى قوله فما استمتعتم به منهن الى آخر الآية * قال أبو جعفر فأما المحصنات فانهن جمع محصنة وهي التي قد منع فرجها بزوج يقال منه أحصن الرجل امرأته فهو يحصنها احصانا وحصنت هي فهي تحصن حصانة اذا عفت وهي حاصن من النساء عفيفة كما قال العجاج

وحاصن من حاصنات مأس * من الاذى ومن فراق الوقس

ويقال أيضا اذا هي عفت فحفظت فرجها من الفجور قد أحصن فرجها فهي محصنة كما قال جل ثناؤه ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها بمعنى حفظته من الريبة ومنعته من الفجور وانما قيل لحصون المدائن والقرى حصون لمنعها من أرادها وأهلها وحفظها ما وراءها عن بغاها من أعدائها ولذلك قيل للدرع درع حصينة فاذا كان أصل الاحصان ما ذكرنا من المنع والحفظ تبين ان معنى قوله والمحصنات من النساء والممنوعات من النساء حرام عليكم الا ما ملكت أيمانكم واذا كان ذلك معناه

لقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش ولانها لو كانت بنته لاخذت الميراث ولثبت له ولاية الاجبار

اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء

والامهات جمع الام والهاء زائدة ووزن أم فعل أو أصلية ووزنه فع وقد يجيء جمعه على أمات وقد يقال الامهات للانسان والامات لغيره وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أمك بدرجة أو درجات بانات رجعت اليها أو بذكور فهي أمك ولا شك ان لفظ الام حقيقة في التي ولدتك أما في الجدة فيحتمل أن يكون حقيقة أيضا وحينئذ يكون اللفظ متواطئا فيها ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما وتكون الآية نصا في تحريمها أو تكون مشتركا بينهما وحينئذ ان جوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالآية نص في تحريمها أيضا والا فظريقان أحدهما ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني انه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين لكل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقة في الوالدة مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامه ودخل بها يلزمه الحد وقال أبو حنيفة لا يلزم حجة الشافعي ان وجود هذا النكاح وعدمه بمثابة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون وطؤها زنا محضا الصنف الثاني من المحرمات البنات ويراد بهن كل أنثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات بانات أو بذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنات الابن وبنت البنت حقيقة أو مجاز كما مر في الامهات قال أبو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنا تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا له شرعا

النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وأزواج الأبناء والآباء وهذه فى الآية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من

النساء وذهب الكرخى الى ان هذه الآية مجملة لانه أضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور فى الآية فليست اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التى يمكن ايقاعها فى ذوات الامهات والبنات أولى من بعض وهذا معنى الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان المراد منه تحريم نكاحهن لاسيما وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى خصال ثلاث فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت انشاء التحريم كقول القائل بعت أو طلقت لا اخبار عن التحريم فى الزمان الماضى ولا يشتبه ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور والخطاب لاولئك الحاضرين بالذات ولمن عداهم من الامة بالتبعية والاصل فى كل حكم هو الاستمرار والتابيد مالم ينسخه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم على كل أحد امه خاصة وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان آدم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن فى شئ من الاديان بلى ان زادشت نبى المجوس بزعمهم قال بحله الا ان أكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا أما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا فى زمان آدم عليه السلام وذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى يزوج بهن أبناء آدم ويرد عليه ان هذا النسل حينئذ لا يكون

الامة طلاقها او بيعه طلاقها حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا خالد عن أبى قلابة قال قال عبد الله مشتريها أحق ببضعها يعنى الامة تباع ولها زوج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن قال طلاق الامة بيعها حدثنا حميد قال ثنا سفيان ابن حبيب قال ثنا يونس عن الحسن ان أبيا قال بيعها طلاقها حدثنا أحمد قال ثنا سفيان عن خالد عن أبى قلابة عن ابن مسعود قال اذا بيعت الامة ولها زوج فسيدها أحق ببضعها حدثنا حميد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنى سعيد عن قتادة عن أبى معشر عن ابراهيم قال بيعها طلاقها قال فقيل لابراهيم فبيعه قال ذاك ما لا نقول فيه شيأ * وقال آخرون بل معنى المحصنات فى هذا الموضع العفائف قالوا وتاويل الآية والعفائف من النساء حرام أيضا عليكم الا ما ملكت أيمانكم منهن بنكاح وصداق وسنة وشهود من واحد الى أربع ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن أبى العالية قال يقول انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ثم حرم ما حرم من النسب والصهر ثم قال والمحصنات الا ما ملكت أيمانكم قال فرجع الى أول السورة الى أربع فقال هن حرام أيضا الا بصداق وسنة وشهود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال أحل الله لك أربعا فى أول السورة وحرم نكاح كل محصنة بعد الاربع الا ما ملكت يمينك قال معمر وأخبرنى ابن طاوس عن أبيه الا ما ملكت يمينك قال فزوجك مما ملكت يمينك يقول حرم الله لزنا لا يحل لك ان تطأ امرأة الا ما ملكت يمينك حدثنى على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال سألت عبيدا عن قول الله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم قال أربع حدثنى على بن سعيد قال ثنا عبد الرحيم عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال الاربع فما بعدهن حرام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عنها فقال حرم الله ذوات القرابة ثم قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم يقول حرم ما فوق الاربع منهن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى والمحصنات من النساء قال الخامسة حرام كحرمة الامهات والاخوات ذكر من قال عنى بالمحصنات فى هذا الموضع العفائف من المسلمين وأهل الكتاب حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا غياث بن بشير عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله والمحصنات قال العفيفة العاقلة من مسلمة وأهل الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن بعض أصحابه عن مجاهد والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال العفائف وقال آخرون المحصنات فى هذا الموضع ذوات الازواج غير ان الذى حرم الله منهن فى هذه الآية الزنا بهن واباحتهن بقوله الا ما ملكت أيمانكم بالنكاح والملك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى والمحصنات قال نهى عن الزنا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والمحصنات من النساء قال نهى عن الزنا أن تنكح المرأة زوجين حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم قال كل ذات زوج عليكم حرام الا الاربع اللاتى تنكحن بالسنة والمهر حدثنا أحمد بن عثمان قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا أبى قال سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزبيرى عن سعيد بن المسيب انه سئل عن المحصنات من النساء قال هن ذوات الازواج حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حماد

تنزل فى معنى فتعم بما نزلت به فيه وغيره فيلزم حكمها جميع ما عممنا قد بينا من القول فى العموم والخصوص فى كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام ۞ القول فى تاويل قول الله (كتاب الله عليكم) يعنى تعالى ذكره كتابا من الله عليكم فاخرج الكتاب مصدرا من غير لفظه وانما جاز ذلك لان قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله كتاب الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم من ذلك وتحليل ما حلل من ذلك عليكم كتابا وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كتاب الله عليكم قال ما حرم عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عنها فقال كتاب الله عليكم قال هو الذى كتب عليكم الاربع أن لا تزيدوا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأشار ابن عون باصابعه الاربع حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله كتاب الله عليكم قال أربع حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كتاب الله عليكم لاربع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كتاب الله عليكم الاربع قال هذا أمر الله عليكم الاربع قال هذا أمر الله عليكم قال يريد ما حرم عليهم من هؤلاء وما أحل لهم وقرأ وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم الى آخر الآية قال كتاب الله عليكم الذى كتبه وأمره الذى أمر به كتاب الله عليكم أمر الله وقد كان بعض أهل العربية يزعم ان قوله كتاب الله عليكم منصوب على وجه الاغراء بمعنى عليكم كتاب الله الزموا كتاب الله والذى قال من ذلك غير مستفيض فى كلام العرب وذلك ان لا تنصب بالحرف الذى يغرى به لا تكاد تقول أخاك عليك وأباك دونك وان كان جائزا والذى هو أولى بكتاب الله أن يكون محمولا على المعروف من لسان من تنزل بلسانه هذا مع ما ذكرنا من تاويل أهل التأويل ذلك بمعنى ما قلنا وخلاف ما وجهه اليه من زعم انه نصب على وجه الاغراء ۞ القول فى تاويل قوله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا باموالكم) اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأحل لكم ما دون الخمس أن تبتغوا باموالكم على وجه النكاح ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وأحل لكم ما وراء ذلكم ما دون الاربع أن تبتغوا باموالكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة السلمانى وأحل لكم ما وراء ذلكم يعنى ما دون الاربع وقال آخرون بل معنى ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم من سمى لكم تحريمه من أقاربكم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عنها فقال وأحل لكم ما وراء ذلكم قال ما وراء ذات القرابة ان تبتغوا باموالكم الآية وقال آخرون بل معنى ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم عددها أحل لكم من المحصنات من النساء الحرائر ومن الاماء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم قال ما ملكت أيمانكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما نحن مبينوه وهو ان الله جل ثناؤه بين لعباده المحرمات بالنسب والصهر ثم المحرمات من المحصنات من النساء ثم أخبرهم جل ثناؤه انه قد أحل لهم ما عدا هؤلاء المحرمات المبينات فى هاتين الآيتين أن يبتغيه باموالنا نكاحا وملك يمين لا سفاحا فان قال قائل عرفنا المحللات اللواتى هن وراء المحرمات بالانساب والاصهار فما المحللات من المحصنات والمحرمات منهن قيل هو ما دون الخمس من واحدة الى أربع على ما ذكرنا عن عبيدة والسدى من الحرائر فاما ما عدا ذوات الازواج بغير عدد محصور بملك اليمين وانما قلنا ان ذلك كذلك لان قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم عام فى كل محلل لنا من

بالولادة وهما الامهات والبنات والثانية بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقى منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم انه صلى الله عليه وسلم أكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف فاعلمه من الرضاع كل أنثى أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو أرضعت من ولدك من الآباء والامهات أو ولدت المرضعة أو الفحل الذى منه اللبن بواسطة أو بغير واسطة وبنتك من الرضاع كل أنثى أرضعت بلبنك أو أرضعت بلبن من ولدت من الابناء أو البنات وأختك من الرضاع كل أنثى أرضعتها أمك أو أرضعت بلبن أبيك أو ولدتها المرضعة أو الفحل الذى در لبنه على المرضعة وعمتك كل أنثى من الرضاع من جهة الاب وكل أنثى أرضعت بلبن واحد من أجدادك أو كانت أخت الفحل الذى أرضعت بلبنه ومن جهة الام كل أنثى هى أخت ذكر أرضعت أمك بلبنه بواسطة أو بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل أنثى هى أخت أمك من الرضاع أو أخت من أرضعتك من النسب أو الرضاع ومن جهة الاب كل أنثى هى أخت أنثى أرضعت أباك من الرضاع أو النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل أنثى ولدها ابن مرضعتك أو بنتها أو ولدها ابن الفحل الذى منه اللبن

أو بنته من الرضاع أو النسب أو أرضعتها أختك أو أرضعت بلبن أخيك وكذلك حكم بنات أولاد من أرضعته أختك أو أرضعت بلبن أخيك من

عليها ولو جب عليه نفقتها وحضانتها
كونها يثبت له بناء على الحقيقة وهي
كونها مخلوقة من مائه أو بناء على
حكم الشرع والاول باطل على
مذهبه طردا وعكسا أما الطرد فهو
انه اذا اشترى جارية بكرا واقتضها
وحبسها في داره الى أن تلد فهذا
الولد معلوم انه مخلوق من مائه قطعا
مع انه لا يثبت نسبه الا عند
الاستلحاق وأما العكس فهو ان
المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل
هناك ولد فانه يثبت النسب مع
القطع بانه غير مخلوق من مائه
والثاني أيضا باطل باجماع المسلمين
على انه لا نسب لولد الزاني من الزانية
ولو انتسب اليه وجب على القاضي
منعه الصنف الثالث الاخوات
ويشمل الاخوات من الاب والام
ومن الاب فقط ومن الام فقط الصنف
الرابع والخامس العمات والخالات
قال الواحدي كل ذكر رجع
نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون
العمة من جهة الام وهي أخت أبي
أمك وكل أنثى رجع نسبها اليك
بالولادة فاختها خالتك وقد تكون
الخالة من جهة الاب وهي أخت أم
أبيك ولا تحرم أولاد العمات
وأولاد الخالات الصنف السادس
والسابع بنات الاخ وبنات الاخت
والقول فيهما كالقول في بنت
الصلب الثامن والتاسع قوله
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
وأخواتكم من الرضاعة سمي
المرضعات أمهات تفخيما لشأنهن
كما سمي أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم أمهات لحرمتهن وليس قوله
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم كقول
القائل وأمهاتكم اللاتي كسونكم
أو أطعمنكم وإلا كان تكرارا
لقوله حرمت عليكم أمهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي تستحق به سببه الامومة ويعلم من تسمية المرضعة أما

وكان الاحصان قد يكون بالجزية كما قال جل ثناؤه والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
ويكون بالاسلام كما قال تعالى ذكره فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب ويكون بالعفة كما قال جل ثناؤه والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة
شهداء ويكون بالزوج ولم يكن تبارك وتعالى خص محصنة دون محصنة في قوله والمحصنات من النساء
فواجب أن يكون كل محصنة بأي معاني الاحصان كان احصانها حراما علينا سفاحا أو نكاحا الا
ما ملكته أيماننا منهن بشراء كما أباحه لنا كتاب الله جل ثناؤه أو نكاح على ما أطلقه لنا تنزيل الله
فالذي أباحه الله تبارك وتعالى لنا نكاحا من الحرائر الاربع سوى اللواتي حرمن علينا بالنسب
والصهر ومن الاماء ما سبينا من العدو سوى اللواتي وافق معناهن معنى ما حرم علينا من الحرائر
بالنسب والصهر فانهن والحرائر فيما يحل ويحرم بذلك المعنى متفقات المعاني وسوى اللواتي سبيناهن
من أهل الكتابيين ولهن أزواج فان السبا يحللهن لمن سباهن بعد الاستبراء وبعد اخراج حق الله
تبارك وتعالى الذي جعله لاهل الخمس منهن فاما السفاح فان الله تبارك وتعالى حرمه من جميعهن فلم
يحله من حرة ولا أمة ولا مسلمة ولا كافرة مشركة وأما في الامة التي لها زوج فانها لا تحل لمالكها الا
بعد طلاق زوجها اياها أو وفاته وانقضاء عدتها منه فاما بيع سيدها اياها فغير موجب بينها وبين
زوجها فراقا ولا تحليلا للمشتري بها لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خير بريرة اذا عتقتها
عائشة بين المقام مع زوجها الذي كان سادتها زوجوها منه في حال رقها وبين فراقه ولم يجعل صلى الله
عليه وسلم عتق عائشة اياها لها طلاقا ولو كان عتقها وزوال ملك عائشة اياها لها طلاقا لم يكن لتخيير
النبي صلى الله عليه وسلم اياها بين المقام مع زوجها والفراق معنى ولوجب بالعتق الفراق وبزوال
ملك عائشة عنها الطلاق فلما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين الذي ذكرنا وبين المقام مع زوجها
والفراق كان معلوما انه لم يخير بين ذلك الا والنكاح عقده ثابت كما كان قبل زوال ملك عائشة عنها
فكان تظيرا لعتق الذي هو زوال ملك مالك المملوك ذات الزوج عنها البيع الذي هو زوال ملك
مالكها عنها اذا كان أحدهما زال والابيع والآخر بعتق في ان الفرقة لا تجب بينها وبين زوجها
بهما ولا بواحد منهما طلاق وان اختلفا في معان أخر من ان لها في العتق الخيار في المقام مع زوجها
والفراق لعلة مفارقة معنى البيع وليس ذلك لها في البيع فان قال قائل وكيف يكون معنيا
بالاستثناء من قوله والمحصنات من النساء ما وراء الاربع من الخمس الى ما فوقهن بالنكاح والمنكوحات
به غير مملوكات قيل له ان الله تعالى لم يخصص بقوله الا ما ملكت أيمانكم المملوكات الرقاب دون
المملوك عليها بعقد النكاح أمرها بل عم بقوله الا ما ملكت أيمانكم كلا المعنيين أعني ملك الرقبة
وملك الاستمتاع بالنكاح لان جميع ذلك ملكته أيماننا اما هذه فملك استمتاع واما هذه فملك استخدام
واستمتاع وتصريف فيما أبيح لمالكها منها ومن ادعى ان الله تبارك وتعالى عنى بقوله والمحصنات
من النساء محصنة وغير محصنة سوى من ذكرنا أولا بالاستثناء بقوله الا ما ملكت أيمانكم ببعض
أملاك أيماننا دون بعض غير الذي دللنا على انه غير معنى به سئل البرهان على دعواه من أصل أو نظير
فلن يقول في ذلك قولا الا ألزم في الآخر مثله فان اعتل معتل منهم بحديث أبي سعيد الخدري ان هذه
الآية نزلت في سبايا أوطاس قيل له ان سبايا أوطاس لم يوطأن بالملك والسبا دون الاسلام وذلك انهن
كن مشركات من عبدة الاوثان وقد قامت الحجة بان نساء عبدة الاوثان لا يحللن بالملك دون الاسلام
وانهن اذا أسلمن بالاستبراء لفرق الاسلام بينهن وبين الازواج سبايا كن أو مهاجرات غيرانهن اذا كن
سبايا حللن اذا هن أسلمن بالاستبراء فلا حجة لمحتج في ان المحصنات اللاتي عناهن بقوله والمحصنات من
النساء ذوات الازواج من السبايا دون غيرهن بخبر أبي سعيد الخدري ان ذلك نزل في سبايا أوطاس لانه
وان كان فيهن نزل فلم تنزل في اباحة وطئهن بالسبا خاصة دون غيره من المعاني التي ذكرنا ان الآية

فى تربيته أولم يكن أما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما تقول ببنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وأما عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضى ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول وذهب جمع من الصحابة ان أم المرأة انما تحرم بالدخول بالبنت كما ان الربيبة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول على وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر جملتين وهو قوله وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فوجب أن يكون ذلك الشرط معتبرا فى الجملتين معا وأما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وأمهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليه اذ الظاهر تعلق الشرط بالثانية واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى تعليقه باخرى وأيضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك فى مفهومية معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض أمكن اعتبار الاتصال فى النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن أمهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا أن هذا التفسير فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى أما اللفظ فلان قوله وأمهات نسائكم

عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما استمتعتم به منهن قال نكاح المتعة حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى عن عيسى قال ثنا نصير بن أبى الاشعث قال ثنى حبيب بن أبى ثابت عن أبيه قال أعطانى ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة أبى قال أبو بكر قال يحيى فرأيت المصحف عند نصير فيه فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن أبى نضيرة قال سألت ابن عباس عن متعة النساء قال أما تقرأ سورة النساء قال قلت بلى قال فما تقرأ فيها فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى قلت لو قرأتها هكذا ما سألتك قال فانها كذا حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الاعلى قال ثنى داود عن أبى نضيرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فذكر نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى سلمة عن أبى نضيرة قال قرأت هذه الآية على ابن عباس فما استمتعتم به منهن قال ابن عباس الى أجل مسمى قال قلت ما أقرؤها كذلك قال والله لانزلها الله كذلك ثلاث مرات حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عمير ان ابن عباس قرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة وثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا شعبة عن أبى اسحق عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال فى قراءة أبى بن كعب فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سألته عن هذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم الى هذا الموضع فما استمتعتم به منهن أمنسوخة هى قال لا قال الحكم وقال على رضى الله عنه لولا ان عمر رضى الله عنه نهى عن المتعة ما زنى الا شقى حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا عيسى عن ابن عمر القارى الاسدى عن عمرو بن مرة انه سمع سعيد بن جبير يقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموه فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال ثنى الربيع بن سبرة الجهنى عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال استمتعوا من هذه النساء والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج وقد دللنا على ان المتعة على غير النكاح الصحيح حرام فى غير هذا الموضع من كتبنا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما ما روى عن أبى بن كعب وابن عباس من قراءتهما فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين وغير جائز لاحد ان يلحق فى كتاب الله تعالى شيأ لم يات به الخبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه ۞ القول فى تاويل قوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لا جناح عليكم أيها الازواج ان أدركتكم عسرة بعد ان فرضتم لنسائكم أجورهن فريضة فيما تراضيتم به من حط وبراءة بعد الفرض الذى سلف منكم لهن ما كنتم فرضتم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى ان رجالا كانوا يفرضون المهر ثم عسى ان يدرك أحدهم العسرة فقال لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة وقال آخرون معنى ذلك ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتى استمتعتم من الى أجل مسمى اذا انقضى الاجل الذى أجلتموه بينكم وبينهن فى الفراق ان يزيدوكم فى الاجل وتزيدوا من الاجر والفريضة قبل ان يستبرئن أرحامهن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان شاء أرضاها من بعد الفريضة الاولى يعنى الاجرة التى أعطاها على تمتعه بها قبل

وكذا ربائبكم يكون حينئذ مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة لان قوله وحلائل

النساء ان تبتغيها باموالنا فليس توجيه معنى ذلك الى بعض منهن باولى من بعض الا ان تقوم بان ذلك كذلك حجة يجب التسليم لها ولاحجة بان ذلك كذلك واختلفت القراء فى قراءة قوله وأحل لكم ماوراء ذلكم فقرأ ذلك بعضهم وأحل لكم بفتح الالف من أحل بمعنى كتب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم وقرأه آخرون وأحل لكم ماوراء ذلكم اعتبارا بقوله حرمت عليكم أمهاتكم وأحل لكم ماوراء ذلكم * قال أبو جعفر والذى نقول فى ذلك انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قراءة الاسلام غير مختلفتى المعنى فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الحق وأما معنى قوله ماوراء ذلكم فانه يعنى ماعدا هؤلاء اللواتى حرمتهن عليكم ان تبتغوا باموالكم يقول ان تطلبوا وتلتمسوا باموالكم اما شراءها واما نكاحا بصداق معلوم كما قال جل ثناؤه ويكفرون بما وراءه يعنى بما عداه وبما سواه وأما موضع ان من قوله ان تبتغوا باموالكم فرفع ترجمة عن ما التى فى قوله وأحل لكم ماوراء ذلكم فى قراءة من قرأ وأحل بضم الالف ونصب على ذلك فى قراءة من قرأ ذلكم وأحل بفتح الالف وقد يحتمل النصب فى ذلك فى القراءتين على معنى وأحل لكم ماوراء ذلكم لان تبتغوا فلما حذفت اللام الخافضة اتصلت بالفعل قبلها فنصبت وقد يحتمل أن تكون فى موضع خفض فهذا المعنى اذا كانت اللام فى هذا الموضع معلوما ان بالكلام اليها الحاجة * القول فى تأويل قوله (محصنين غير مسافحين) يعنى بقوله جل ثناؤه محصنين أعفاء بابتغائكم ماوراء ما حرم عليكم من النساء باموالكم غير مسافحين يقول غير مرتابين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله محصنين قال متناكحين غير مسافحين قال زانين بكل زانية حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال محصنين متناكحين غير مسافحين السفاح الزنا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى محصنين غير مسافحين يقول محصنين غير زناة * القول فى تأويل قوله (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فما استمتعتم به منهن فقال بعضهم معناه فما نكحتم منهن فجامعتموهن يعنى من النساء فآتوهن أجورهن فريضة يعنى صدقاتهن فريضة معلومة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة يقول اذا تزوج الرجل منكم المرأة ثم نكحها مرة واحدة فقد وجب صداقها كله والاستمتاع هو النكاح وهو قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فما استمتعتم به منهن قال هو النكاح حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما استمتعتم به منهن النكاح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فما استمتعتم به منهن قال النكاح أراد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة الآية قال هذا النكاح وما فى القرآن الا نكاح اذا أخذتها واستمتعت بها فاعطها أجرها الصداق فان وضعت لك منه شيئا فهو لك سائغ فرض الله عليها العدة وفرض لها الميراث قال والاستمتاع هو النكاح ههنا اذا دخل بها وقال آخرون بل معنى ذلك فما تمتعتم به منهن باجر تمتع اللذة لا بنكاح مطلق على وجه النكاح الذى يكون بولى وشهود ومهر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فهذه المتعة الرجل ينكح المرأة بشرط الى أجل مسمى ويشهد شاهدين وينكح باذن وليها واذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل وهى منه برية وعليها ان تستبرئ ما فى رحمها وليس بينهما ميراث ليس يرث واحد منهما صاحبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو

من الرضاع أو النسب وكذلك بنات من يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه والرضاع أو كان أحدها المرضع ويجب أن تكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى الذين شربا منه وكذا لبن الرجل وأن تكون حية وعند أبى حنيفة ومالك وأحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان تكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين وثانيها اللبن ويتعلق به التحريم لو لم يتغير بحموضة أو انعقاد أو اغلاء أو اختلط منه جبن أو زبد أو مخيض أو أقط أو ثرد فيه طعام أو عجن به دقيق وخبز أو خلط بمائع حلال أو حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبى الحى فلا أثر للحقنة ولا بعد الحولين الهلاليين ولا للوصول الى معدة الصبى الميت ولا بدمع ذلك من خمس رضعات لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان ولما روت عائشة تحرم رضعات يحرمن وعند أبى حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وأمهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام الحادى عشر وربائبكم اللاتى فى حجوركم والربائب جمع ربيبة وهى بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربيها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها فى حجره عبارة عن تربيته وهو بناء الكلام على الغالب ومثله هو فى حضانة فلان وأصله من الحضن الذى هو الابط وقال أبو عبيد فى حجوركم أى فى بيوتكم وعن على عليه السلام انه جعل كونها فى تربيته وكونها فى حجره شرطا فى التحريم وهو استدلال حسن وأما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام أخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه سواء كانت

فى تزيينه أولم يكن أما اشتراط الدخول بامهاتهن فقوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وأما عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضى ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول وذهب جمع من الصحابة ان أم المرأة انما تحرم بالدخول بالبنت كما ان الربيبة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول على وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر جملتين وهو قوله وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فوجب أن يكون ذلك الشرط معتبرا فى الجملتين معا وأما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وأمهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليه اذ الظاهر تعلق الشرط بالثانية واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى تعليقه بالاخرى وأيضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك فى مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض أمكن اعتبار الاتصال فى النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن أمهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا أن هذا التفسير فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى أما اللفظ فلان قوله وأمهات نسائكم وربائبكم يكون حينئذ مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة لان قوله وحلائل

عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما استمتعتم به منهن قال نكاح المتعة حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى قال ثنا نصير بن أبى الاشعث قال ثنى حبيب بن أبى ثابت عن أبيه قال أعطانى ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة أبى قال أبو بكر قال يحيى فرأيت المصحف عند نصير فيه فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن أبى نصيرة قال سألت ابن عباس عن متعة النساء قال أما تقرأ سورة النساء قال قلت بلى قال فما تقرأ فيها فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى قلت لو قرأتها هكذا ما سألتك قال فانها كذا حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الاعلى قال ثنى داود عن أبى نصيرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فذكر نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى سلمة عن أبى نصيرة قال قرأت هذه الآية على ابن عباس فما استمتعتم به منهن قال ابن عباس الى أجل مسمى قال قلت ما أقرؤها كذلك قال والله لانزلها الله كذلك ثلاث مرات حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عمير ان ابن عباس قرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة وثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا شعبة عن أبى اسحق عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال فى قراءة أبى بن كعب فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سألته عن هذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم الى هذا الموضع فما استمتعتم به منهن أمنسوخة هى قال لا قال الحكم وقال على رضى الله عنه لولا ان عمر رضى الله عنه نهى عن المتعة ما زنى الا شقى حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا عيسى عن ابن عمر القارى الاسدى عن عمرو بن مرة انه سمع سعيد بن جبير يقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموه فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال ثنى الربيع بن سبرة الجهنى عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال استمتعوا من هذه النساء والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج وقد دللنا على ان المتعة على غير النكاح الصحيح حرام فى غير هذا الموضع من كتبنا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما ما روى عن أبى بن كعب وابن عباس من قراءتهما فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين وغير جائز لاحد ان يلحق فى كتاب الله تعالى شيأ يأتى به الخبر القاطع العذر عن لا يجوز خلافه ۞ القول فى تاويل قوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لا جناح عليكم أيها الازواج ان أدركتكم عسرة بعد ان فرضتم لنسائكم أجورهن فريضة فيما تراضيتم به من حط وبراءة بعد الفرض الذى سلف منكم لهن ما كنتم فرضتم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى ان رجالا كانوا يفرضون المهر ثم عسى ان يدرك أحدهم العسرة فقال لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة وقال آخرون معنى ذلك ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتى استمتعتم بهن الى أجل مسمى اذا انقضى الاجل الذى أجلتموه بينكم وبينهن فى الفراق ان يزيدوكم فى الاجل وتزيدوا من الاجر والفريضة قبل ان يستبرئن أرحامهن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان شاء أرضاها من بعد الفريضة الاولى يعنى الاجرة التى أعطاها على تمتعه بها قبل

من الرضاع أو النسب وكذلك بنات من أرضعته أمك أو أرضع لبن أبيك وبنات أولادهما من الرضاع أو النسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه والرضاع أو كان أحدها المرضع ويجب أن تكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى للذين شر بامنه وكذا لبن الرجل وأن تكون حية وعند أبي حنيفة ومالك وأحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان تكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين وثانيها اللبن ويتعلق به التحريم لو لم يتغير بحموضة أو انعقاد أو اغلاء أو انخذ منجبن أو زبد أو مخيض أو أقط أو ثرد فيه طعام أو عجن به دقيق وخبز أو خلط بمائع حلال أو حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي الحي فلا أثر لمعقنته ولا بعد الحولين الهلاليين ولا للوصول الى معدة الصبي الميت ولا بد مع ذلك من خمس رضعات لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان ولما روت عائشة خمس رضعات يحرمن وعند أبي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وأمهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام الحادي عشر وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربيها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب ومثله هو في حضانة فلان وأصله من الحضن الذي هو الابط وقال أبو عبيد في حجوركم أي في بيوتكم وعن علي عليه السلام انه جعل كونها في بيته وكونها في حجره شرطا في التحريم وهو استدلال حسن وأما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام أخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه سواء كانت

النساء ان تبتغيها باموالنا فليس توجيه معنى ذلك الى بعض منهن باولى من بعض الا ان تقوم بان ذلك كذلك حجة يجب التسليم لها ولا حجة بان ذلك كذلك واختلفت القراء في قراءة قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم فقرأ ذلك بعضهم وأحل لكم بفتح الالف من أحل بمعنى كتب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم وقرأه آخرون وأحل لكم ما وراء ذلكم اعتبارا بقوله حرمت عليكم أمهاتكم وأحل لكم ما وراء ذلكم * قال أبو جعفر والذي نقول في ذلك انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الاسلام غير مختلفتي المعنى فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب الحق وأما معنى قوله ما وراء ذلكم فانه يعني ما عدا هؤلاء اللواتي حرمتهن عليكم ان تبتغوا باموالكم يقول ان تطلبوا وتلتمسوا باموالكم اما شراء بها واما نكاحا بصداق معلوم كما قال جل ثناؤه ويكفرون بما وراءه يعني بما عداه وبما سواه وأما موضع ان من قوله ان تبتغوا باموالكم فرفع ترجمتعن ما التي في قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم في قراءة من قرأ وأحل بضم الالف ونصب على ذلك في قراءة من قرأ ذلكم وأحل بفتح الالف وقد يحتمل النصب في ذلك في القراءتين على معنى وأحل لكم ما وراء ذلكم لان تبتغوا فلما حذفت اللام الحافضة اتصلت بالفعل قبلها فنصبت وقد يحتمل أن تكون في موضع خفض فهذا المعنى اذا كانت اللام في هذا الموضع معلوما ان بالكلام اليها الحاجة ۞ القول في تاويل قوله (محصنين غير مسافحين) يعني بقوله جل ثناؤه محصنين أعفاء بابتغائكم ما وراء ما حرم عليكم من النساء باموالكم غير مسافحين يقول غير مرتابين كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله محصنين قال متناكحين غير مسافحين قال زانين بكل زانية حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال محصنين متناكحين غير مسافحين السفاح الزنا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي محصنين غير مسافحين يقول محصنين غير زناة ۞ القول في تاويل قوله (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) اختلف أهل التأويل في تاويل قوله فما استمتعتم به منهن فقال بعضهم معناه فما نكحتم منهن فجامعتموهن يعني من النساء فآتوهن أجورهن فريضة يعني صدقاتهن فريضة معلومة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة يقول اذا تزوج الرجل منكم المرأة ثم نكحها مرة واحدة فقد وجب صداقها كله والاستمتاع هو النكاح وهو قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله فما استمتعتم به منهن قال هو النكاح حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما استمتعتم به منهن النكاح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فما استمتعتم به منهن قال النكاح أراد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة الآية قال هذا النكاح وما في القرآن الا نكاح اذا أخذتها واستمتعت بها فاعطها أجرها الصداق فان وضعت لك منه شيئا فهو لك سائغ فرض الله عليها العدة وفرض لها الميراث قال والاستمتاع هو النكاح ههنا اذا دخل بها وقال آخرون بل معنى ذلك فما تمتعتم به منهن باجر تمتع اللذة لا بنكاح مطلق على وجه النكاح الذي يكون بولي وشهود ومهر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فهذه المتعة الرجل ينكح المرأة بشرط الى أجل مسمى ويشهد شاهدين وينكح باذن وليها واذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل وهي منه بريئة وعليها ان تستبرئ ما في رحمها وليس بينهما ميراث ليس يرث واحد منهما صاحبه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو

عاصم

حليلته على أبيه لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان ظاهر

الامة اذا خشي ان يسبي بها قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب قول من قال معنى الطول في هذا الموضع السعة والغنى من المال لاجماع الجميع على ان الله تبارك وتعالى لم يحرم شيئا من الاشياء سوى نكاح الاماء لواجد الطول الى الحرة فاحل ما حرم من ذلك عند غلبة المحرم ذلك عليه لقضاء لذة فاذ كان ذلك اجماعا من الجميع فيما عدا نكاح الاماء لواجد الطول فمثله في التحريم نكاح الاماء لواجد الطول لا يحل له من أجل غلبته هوى سره فيها لان ذلك مع وجوده الطول الى الحرة منه قضاء لذة وشهوة وليس بموضع ضرورة تدفع ترخصه كالميتة للمضطر الذي يخاف هلاك نفسه فيترخص في أكلها ليحيي بها نفسه وما أشبه ذلك من المحرمات الواتي رخص الله لعباده في حال الضرورة والخوف على أنفسهم الهلاك منها محرم عليهم منها في غيرها من الاحوال ولم يرخص الله تبارك وتعالى لعبد في حرام لقضاء لذة وفي اجماع الجميع على ان رجلا لو غلبه هوى امرأة حرة أو أمة انها لا تحل له الا بنكاح أو شراء على ما أذن الله به ما يوضح فساد قول من قال معنى الطول في هذا الموضع الهوى وأجاز لواجد الطول لحرة نكاح الاماء فتأويل الآية اذ كان الامر على ما وصفنا ومن لم يجد منكم سعة من مال لنكاح الحرائر فلينكح مما ملكت أيمانكم وأصل الطول الافضال يقال منه طال عليه يطول طولا في الافضال وطال يطول طولا في الطول الذي هو خلاف القصر ۞ القول في تاويل قوله (ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعني بذلك ومن لم يستطع منكم أيها الناس طولا يعني من الاحرار ان ينكح المحصنات وهن الحرائر المؤمنات اللواتي قد صدقن بتوحيد الله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق وبنحو ما قلنا في المحصنات قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان ينكح المحصنات يقول ان ينكح الحرائر فلينكح من اماء المؤمنين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم قال المحصنات الحرائر فلينكح الامة المؤمنة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما فتياتكم فاماؤكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات قال اما من لم يجد ما ينكح به حرة فينكح هذه الامة فيتعفف بها ويكفيه أهلها مؤنتها ولم يحل الله ذلك لاحد الا لمن لا يجد ما ينكح به حرة وينفق عليها ولم يحل له حتى يخشى العنت حدثنا المثنى قال ثنا ابن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن هشام الدستوائي عن عامر الاحول عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تنكح الامة على الحرة ولا تنكح الحرة على الامة ومن وجد طولا لحرة فلا ينكح أمة واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الكوفيين والمكيين ان ينكح المحصنات بكسر الصاد مع سائر ما في القرآن من نظائر ذلك سوى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم فانهم فتحوا الصاد منها ووجهوا تاويله الى انهن محصنات بازواجهن وان أزواجهن هم أحصنوهن وأما سائر ما في القرآن فانهم تاولوا في كسرهم الصاد منه الى ان النساء هن أحصن أنفسهن بالعفة وقرأت عامة قراء المدينة والعراق ذلك كله بالفتح بمعنى ان بعضهن أحصنهن أزواجهن وبعضهن أحصنهن حرمتهن أو اسلامهن وقرأ بعض المتقدمين كل ذلك بالكسر بمعنى انهن هن عففن وأحصن أنفسهن وذكر هذه القراءة أعني بكسر الجميع عن علقمة على الاختلاف في الرواية عنه قال أبو جعفر والصواب عندنا من القول في ذلك

قوله وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم وظاهر قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فههنا قد تخصص عموم القرآن بخبر الواحد واتفقوا على أن حرمة التزوج بحليلة الابن يحصل بنفس العقد ولا تتوقف الحرمة على الدخول وما روي عن ابن عباس انه قال أبهموا ما أبهم الله أراد به التأبيد ألا ترى انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب ثم من البهيمات أي من اللواتي تثبت حرمتهن على سبيل التأبيد واتفقوا أيضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد أما جارية الابن فقد قال أبو حنيفة يجوز للاب أن يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل أي المحللة أو من الحلول بمعنى أن السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما يصدق على زوجته انها حليلته فتناولها الحرمة بالآية الصنف الثالث عشر وأن تجمعوا بين الاختين أي حرمت عليكم الجمع بينهما والتأنيث للتغليب أو للاكتساب أو بتأويل الخصلة ويمكن أن يقال الواو نائب عن الفعل المطلق من غير اعتبار تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح أو بالملك أو بهما أما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب يبطل الثاني لان الدفع أسهل من الرفع وأما الجمع بينهما بملك اليمين أو بان ينكح احداهما ويشتري الاخرى فقد اختلفت الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما لاطلاق الآية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز وطؤهما معا لقوله تعالى الا على أزواجهم أو

أبنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت وأما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التعليل لا التحريم ظاهرا

ومما يدل على ان الجملة الاولى مرسلة ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالبنت أو لم يدخل واذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح أم المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وأمره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأته قبل الدخول وأراد أن يتزوج أمها فله ذلك وان ماتت عنده لم يتزوج أمها أقام الموت مقام الدخول في التحريم كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها أو ضرب عليها الحجاب معنى أدخلت وهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة عند أبي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك أبو بكر الرازي بالآية في اثبات ان الزنى موجب حرمة المصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطء من نكاح كان أو من سفاح ووديان تقديم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطء بالحلال الصنف الثاني عشر وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فيخرج المتبنى وكان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل أدعياءكم أبناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وحكم الابن من الرضاع حكم الابن من النسب في تحريم الامة

انقضاء الاجل بينهما فقال أتمتع منك أيضا بكذا وكذا فاراد قبل ان تستبرئ رحمها ثم تنقضي المدة وهو قوله فيما تراضيتم به من بعد الفريضة وقال آخرون معنى ذلك ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم بعد ان تؤتوهن أجورهن على استمتاعكم بهن من مقام وفراق ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة والتراضي ان يوفيها صداقها ثم يخيرها وقال آخرون بل معنى ذلك ولا جناح عليكم فيما وضعت عنكم نساؤكم من صداقهن من بعد الفريضة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة قال ان وضعت لك منه شيا فهو لك سائغ * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا حرج عليكم أيها الناس فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم من بعد اعطائهن أجورهن على النكاح الذي جرى بينكم وبينهن من حط ما وجب لهن عليكم أو ابراء أو باخير ووضع وذلك نظير قوله جل ثناؤه وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فالذي قاله السدي فقول لا معنى له لفساد القول باحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين وأما قوله ان الله كان عليما حكيما فانه يعني ان الله كان ذا علم بما يصلحكم أيها الناس في مناكحكم وغيرها من أموركم وأمور سائر خلقه بما يدبرلكم ولهم من التدبير وفيما يأمركم وينهاكم لا يدخل حكمته خلل ولا زلل ۞ القول في تأويل قوله (ومن لم يستطع منكم طولا) اختلف أهل التأويل في معنى الطول الذي ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم هو الفضل والمال والسعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن لم يستطع منكم طولا قال الغناء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومن لم يستطع منكم طولا يقول من لم يكن له سعة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن لم يستطع منكم طولا يقول من لم يستطع منكم سعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قوله ومن لم يستطع منكم طولا قال الطول الغنى حدثني ابن المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله ومن لم يستطع منكم طولا قال الطول السعة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ومن لم يستطع منكم طولا أما قوله طولا فسعة من المال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن لم يستطع منكم طولا الآية قال طولا لا يجد من ينكح به حرة وقال آخرون معنى الطول في هذا الموضع الهوى ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عبد الجبار بن عمرو عن ربيعة انه قال في قول الله ومن لم يستطع منكم طولا قال سعة الطول الهوى قال ينكح الامة اذا كان هواه فيها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان ربيعة يلين فيه بعض التليين كان يقول اذا خشي على نفسه اذا أحبها أي الامة وان كان يقدر على نكاح غيرها فاني أرى ان ينكحها حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ابي الزبير عن جابر انه سئل عن الحر يتزوج الامة فقال ان كان ذا مول فلا قيل ان وقع حب الامة في نفسه قال ان خشي العنت فليتزوجها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبيدة عن الشعبي قال لا يتزوج الحر الامة الا ان لا يجد وكان ابراهيم يقول لا باس به حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء لا نكره ان ينكح ذو اليسار اليوم

أعلم بسرائركم وسرائرهن ۞ القول فى تاويل قوله (فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف) يعنى بقوله جل ثناؤه فانكحوهن فتزوجوهن وبقوله باذن أهلهن باذن أربابهن وأمرهم اياكم بنكاحهن ورضاهم ويعنى بقوله وآتوهن أجورهن واعطوهن مهورهن كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وآتوهن أجورهن قال الصداق ويعنى بقوله بالمعروف على ما تراضيتم به مما أحل الله لكم وأباحه لكم أن تجعلوه مهورالهن ۞ القول فى تاويل قوله (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) يعنى بقوله محصنات عفيفات غير مسافحات غير مزانيات ولا متخذات أخدان يقول ولا متخذات أصدقاء على السفاح وقد ذكر ان ذلك قيل كذلك لان الزوانى كن فى الجاهلية فى العرب المعلنات بالزنا والمتخذات الاخدان اللواتى قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور بهما سرا دون الاعلان بذلك ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان يعنى تنكحوهن عفائف غير زوانى فى سر ولا علانية ولا متخذات أخدان يعنى اخلاء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله غير مسافحات والمسافحات المعلنات بالزنا ولا متخذات أخدان ذات الخليل الواحد قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستعلنون ما خفى يقولون اما ما ظهر منه فهو لوم وأما ما خفى فلا باس بذلك فانزل الله تبارك وتعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر قال سمعت داود يحدث عن عامر قال الزنا زنا ان تزنى بالخدن ولا تزنى بغيره وتكون المرأة شؤما ثم قرأ محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أما المحصنات العفائف فلتنكح الامة باذن أهلها محصنة والمحصنات العفائف غير مسافحة والمسافحة المعالنة بالزنا ولا متخذة صديقا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا متخذات أخدان قال الخليلة يتخذها الرجل والمرأة تتخذ الخليل حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان المسافحة البغى التى تؤاجر نفسها من عرض لها وذات الخدن ذات الخليل الواحد فنهاهم الله عن نكاحهما جميعا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان أما المحصنات فهن الحرائر يقول تزوج حرة وأما المسافحات فهى المعالنة بغير مهر وأما متخذات أخدان فذات الخليل الواحد المستسرة به نهى الله عن ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبى قال الزنا وجهان قبيحان أحدهما أخبث من الآخر فاما الذى هو أخبثهما فالمسافحة التى تتجر بمن أتاها وأما الآخر فذات الخدن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان قال المسافح الذى يلقى المرأة فيفجر بها ثم يذهب وتذهب والاخدان التى يقيم معها على معصية الله وتقيم معه فذلك الاخدان ۞ القول فى تاويل قوله (فاذا أحصن) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم فاذا أحصن بفتح الالف بمعنى اذا أسلمن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالاسلام وقرأه آخرون فاذا أحصن بمعنى فاذا تزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالازواج قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى أمصار الاسلام فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصواب فان ظن ظان ان ما قلنا فى ذلك غير جائز اذ كانت مختلفتى المعنى وانما تجوز القراءة بالوجهين فيما اتفقت

أحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ومنبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة أو رضاع لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت أختها وبنات أولاد أختها وكذلك بين المرأة وبنت أختها وبنات أولاد أختها سواء كانت العمومة والخؤلة من النسب أو الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وأم زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا توجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد منهما وانما توجد على تقدير ذكورة أم الزوج أو بنته فقط لمكان المصاهرة حينئذ بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد يضبط تحريم الجمع بعبارتين أخريين احداهما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع يقتضى المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما او صلة قرابة أو رضاع لو كانت تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك * الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان فى القرآن بمعان أحدها الحرية والذين يرمون المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات أحصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا أحصن قيل فى تفسيره اذا أسلمن ورابعها كونها ذات زوج والمحصنات من النساء أى ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة فى أصل المعنى اللغوى وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة

مانعة صاحبها من الآفات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهى وكذا الاسلام والزوج

ما ملكت أيمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو سلم ان الآية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك وأما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي وارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا أنه اذا وطئ احداهما حرم وطء الثانية عليه ولا تزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاول ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة أو تزويج قال أبو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كأنه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطئها وأما وجوب العدة ولزوم النفقة فنقول متى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثناء غير التالي لا ينتج واذا أسلم الكافر وتحته أختان فقد قال الشافعي اختار أيتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا أو على الترتيب لان الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشرائع في أحكام الدنيا اذ لا يتصور تكليف بالفروع مادام كافرا نعم يعاقب بترك الفروع في الآخرة كما يعاقب على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي ما روي أن فيروز الديلمي أسلم على ثمان نسوة فقال صلى الله عليه وسلم اختر منهن أربعا وفارق سائرهن أطلق ولم يتفحص عن الترتيب وقال أبو حنيفة ان تزوج بهما معا تركهما أو على الترتيب فارق الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وأن تجمعوا عام فيتناول المؤمن والكافر فخالف أصله حيث جعل النهي دالا على الفساد والكافر مخاطبا بالفروع ومما يدل على أن الخطاب بالفروع لا يظهر أثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود أو على سبيل القهر والغصب فبعد الاسلام تقرر ذلك النكاح أما قوله

انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار مع اتفاق ذلك في المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب الا في الحرف الاول من سورة النساء وهو قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم فاني لا أستجيز الكسر في صاده لاتفاق قراءة الامصار على فتحها ولو كانت القراءة بكسرها مستفيضة استفاضتها بفتحها كان صوابا القراءة بها كذلك لما ذكرنا من تصرف الاحصان في المعاني التي بيناها فيكون معنى ذلك لو كسر والعفائف من النساء حرام عليكم الا ما ملكت أيمانكم بمعنى انهن أحصن أنفسهن بالعفة وأما الفتيات فانهن جمع فتاة وهن الشواب من النساء ثم يقال لكل مملوكة ذات سن أو شابة فتاة والعبد فتى ثم اختلف أهل العلم في نكاح الفتيات غير المؤمنات وهل عنى الله بقوله من فتياتكم المؤمنات تحريم ما عدا المؤمنات منهن أم ذلك من الله تأديب للمؤمنين فقال بعضهم ذلك من الله تعالى ذكره دلالة على تحريم نكاح اماء المشركين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من فتياتكم المؤمنات قال لا ينبغي أن يتزوج مملوكة نصرانية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من فتياتكم المؤمنات قال لا ينبغي للحر المسلم أن ينكح المملوكة من أهل الكتاب حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت أبا عمرو سعيد بن عبد العزيز ومالك بن أنس ومالك بن عبد الله بن أبي مريم يقولون لا يحل لحر مسلم ولا لعبد مسلم الامة النصرانية لان الله يقول من فتياتكم المؤمنات يعني بالنكاح وقال آخرون ذلك من الله على الارشاد والندب لا على التحريم ومن قال ذلك جماعة من أهل العراق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مغيرة قال قال أبو ميسرة اما أهل الكتاب بمنزلة الحرائر ومنهم أبو حنيفة وأصحابه واعتلوا لقولهم بقول الله أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن قالوا فقد أحل الله محصنات أهل الكتاب عاما فليس لاحد ان يخص منهن أمة ولا حرة قالوا ومعنى قوله فتياتكم المؤمنات غير المشركات من عبدة الاوثان * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال هو دلالة على تحريم نكاح اماء أهل الكتاب فانهن لا يحللن الا بملك اليمين وذلك ان الله جل ثناؤه أحل نكاح الاماء بشروط فلم تجتمع الشروط التي سماهن فيهن فغير جائز لمسلم نكاحهن فان قال قائل فان الآية التي في المائدة تدل على اباحتهن بالنكاح قيل ان التي في المائدة قد أبان ان حكمها في خاص من محصناتهم وانها معنى بها حرائرهم دون امائهم قوله من فتياتكم المؤمنات وليست احدى الآيتين دافعة حكمها حكم الاخرى بل احداهما مبينة حكم الاخرى وانما يكون احداهما دافعة حكم الاخرى لو لم يكن جائزا اجتماع حكميهما على صحة فاما وهما جائزا اجتماع حكميهما على الصحة فغير جائز أن يحكم لاحداهما بانها دافعة حكم الاخرى الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو قياس ولا خبر بذلك ولا قياس والآية تحتمل ما قلنا والمحصنات من حرائر الذين أوتوا الكتاب من قبلكم دون امائهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض) وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم والتأويل ذلك ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات فلينكح بعضكم من بعض بمعنى فلينكح هذا فتاة هذا البعض مرفوع بتأويل الكلام ومعناه اذ كان قوله فمما ملكت ايمانكم تأويل فلينكح مما ملكت ايمانكم ثم رد بعضكم على ذلك المعنى فرفع ثم قال جل ثناؤه والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض أي والله أعلم بايمان من آمن منكم بالله ورسوله وما جاء به من عند الله فصدق بذلك كله منكم يقول فلينكح من لم يستطع منكم طولا بحرة من فتياتكم المؤمنات لينكح هذا المقتر الذي لا يجد طولا لحرة من هذا الموسر فتاته المؤمنة التي قد أبدت الايمان فاظهرته وكلوا سرائرهن الى الله فان علم ذلك الى الله دونكم والله

اعلم

بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها أن من في نكاحه حرة لم يجز له أن ينكح أمة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة

الله بن معقل سأل عبد الله بن مسعود فقال أمتي زنت فقال اجلدها خمسين جلدة قال انها لم تحصن فقال ابن مسعود احصانها اسلامها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حماد عن ابراهيم أن معقل بن مقرن سأل ابن مسعود عن أمة زنت وليس لها زوج فقال اسلامها احصانها حدثني ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن ابراهيم أن معقلا قال قلت لابن مسعود أمتي زنت قال اجلدها قلت فانها لم تحصن قال احصانها اسلامها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يقول احصانها اسلامها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبي أنه تلا هذه الآية فاذا أحصن قال يقول اذا أسلمن حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن أشعث عن الشعبي قال قال عبد الله الامة احصانها اسلامها حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال مغيرة أخبرنا عن ابراهيم أنه كان يقول فاذا أحصن يقول اذا أسلمن حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن أشعث عن الشعبي قال الاحصان الاسلام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يزيد بن سنان عن الزهري قال جلد عمر رضي الله عنه ولائد أبكارا من ولائد الامارة في الزنا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فاذا أحصن يقول اذا أسلمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن سالم والقاسم قالا احصانها اسلامها وعنانها في قوله فاذا أحصن وقال آخرون معنى قوله فاذا أحصن فاذا تزوجن ذكروا من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فاذا أحصن يعني اذا تزوجن حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأ فاذا أحصن يقول اذا تزوجن حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة أن ابن عباس كان يقرأ فاذا أحصن يقول تزوجن حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال احصان الامة أن ينكحها الحر واحصان العبد أن ينكح الحرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد بن جبير يقول لا تضرب الامة اذا زنت حتى تزوج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله فاذا أحصن قال أحصنتهن البعولة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا أحصن قال أحصنتهن البعولة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عياض بن عبد الله عن أبي الزناد عن الشعبي أخبره ان ابن عباس أخبره أنه أصاب جارية له قد كانت زنت وقال حصنتها * قال أبو جعفر وهذا التأويل على قراءة من قرأ فاذا أحصن بضم الالف وعلى تأويل من قرأ فاذا أحصن بفتحها وقد بينا الصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا ۞ القول في تأويل قوله (فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعني جل ثناؤه بقوله فان أتين بفاحشة فان أتت فتياتكم وهن اماؤكم بعدما أحصن باسلام أو أحصن بنكاح بفاحشة وهي الزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يقول فعليهن نصف ما على الحرائر من الحد اذا هن زنين قبل الاحصان بالازواج والعذاب الذي ذكره الله تبارك وتعالى في هذا الموضع هو الحد وذلك النصف الذي جعله الله عذابا لمن أتى بالفاحشة من الاماء اذا هن أحصن خمسون جلدة ونفي ستة أشهر وذلك نصف عام لان الواجب على الحرة اذا هي أتت بفاحشة قبل الاحصان بالزوج جلد مائة ونفي حول فالنصف من ذلك خمسون جلدة ونفي نصف سنة وذلك الذي جعله الله عذابا للاماء المحصنات اذا هن أتين بفاحشة كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

لا يجوز له نكاح الامة بدليل ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع ومنها الملاعنة لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وقوله أن تبتغوا مفعول له أي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة أن يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا أموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز أن يكون تبتغوا بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ومعنى محصنين متعففين عن الزنا وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة أي صبها قال أبو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى أموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أعطى امرأة في نكاح كف دقيق أو سويق فقد استحل وقال أبو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها الان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل

من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الآية تدل على أن

قوله الا ما ملكت أيمانكم أن اللاتى سبين ولهن أزواج فى دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبى الزوجان معا خلافا لابى حنيفة قياسا على شراء الامة وتهايها وارثها فان كلا منهما لا يوجب الفرقة وأجيب بان الحاصل عند السبى احداث الملك فيهما وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول أقوى فظهر الفرق وقيل المعنى أن ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين أزواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذى جعل الله ملككم وهو الاربع أو الا ما أثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة من حضور الولى والشهود وغير ذلك والقول هو الاول لما روى عن أبى سعيد الخدرى قال أصبنا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم فاستحللناهن ثم أكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل أن يكون منصوبا بامر فعل ويكون عليكم مفسرا له أى الزموا كتاب الله وأحل لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح أو بدلالة جلية أو خفية أو ببيان النبى صلى الله عليه وسلم كما قلنا فى تحريم الجمع بين الاختين وغيرهما وقد فصل بعد هذه العناية فى الآية تخصيصات أخر منها أن المطلقة ثلاثا لا تحل ودليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومنها الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة

عليه المعانى فقد أغفل وذلك ان معنى ذلك وان اختلفا فغير دافع أحدهما صاحبه لان الله قد أوجب على الامة ذات الاسلام وغير ذات الاسلام على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الحد فقال صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليحدها كتاب الله ولا يثرب عليها ثم ان عادت فليضربها كتاب الله ولا يثرب عليها ثم ان عادت فليضربها كتاب الله ولا يثرب عليها ثم ان زنت الرابعة فليضربها كتاب الله وليبعها ولو بحبل من شعر وقال صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم فلم يخص بذلك ذات زوج منهن ولا غير ذات زوج فالحدود واجبة على موالى الاماء اقامتها عليهن اذا لم يقرن بكتاب الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قال قائل فما أنت قائل فيما حدثكم به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا مالك بن أنس عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة وزيد بن خالد ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الامة تزنى ولم تحصن قال اجلدوها فان زنت فاجلدوها فان زنت فاجلدوها فان زنت فقال فى الثالثة أو الرابعة فبيعوها ولو بضفير والضفير الشعر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله عن أبى هريرة وزيد بن خالد وسئل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه فقد بين ان الحد الذى وجب اقامته بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاماء هو ما كان قبل احصانهن فاما ما وجب من ذلك عليهن بالكتاب فبعد احصانهن قيل له قد بينا ان أحد معانى الاحصان الاسلام وان الآخر منه التزويج وان الاحصان كلمة تشتمل على معان شتى وليس فى رواية من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الامة تزنى قبل أن تحصن بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عنها هى التى تزنى قبل التزويج فيكون ذلك حجة لمن قال فى ان الاحصان الذى سن صلى الله عليه وسلم حد الاماء فى الزنا هو الاسلام دون التزويج ولانه هو التزويج دون الاسلام واذا كان الابيان فى ذلك فالصواب من القول ان كل مملوكة زنت فواجب على مولاها اقامة الحد عليها متزوجة كانت أو غير متزوجة بظاهر كتاب الله والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من أخرجه من وجوب الحد عليه منهن بما يجب التسليم له واذ كان ذلك كذلك تبين به صحة ما اخترنا من القراءة فى قوله فاذا أحصن فان ظن ظان ان فى قول الله تعالى ذكره ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات دلالة على ان قوله فاذا أحصن معناه تزوجن اذ كان ذكر ذلك بعد وصفهن بالايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وحسب ان ذلك لا يحتمل معنى غير معنى التزويج مع ما تقدم ذلك من وصفهن بالايمان فقد ظن خطأ وذلك انه غير مستحيل فى الكلام أن يكون معنى ذلك ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات فاذا هن آمن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فيكون الخبر مبتدأ عما يجب عليهن من الحد اذا أتين بفاحشة بعد ايمانهن بعد البيان عما لا يجوز لنا نكحهن من المؤمنين من نكاحهن وعمن يجوز نكاحه منهن فان كان ذلك غير مستحيل فى الكلام فغير جائز لاحد صرف معناه الى أنه التزويج دون الاسلام من أجل ما تقدم من وصف الله اياهن بالايمان غير ان الذى نختار لمن قرأ محصنات غير مسلمات بفتح الصاد فى هذا الموضع أن يقرأ فاذا أحصن فان اتين بفاحشة بضم الالف ولمن قرأ محصنات بكسر الصاد فيه ان يقرأ فاذا أحصن بفتح الالف لتأتلف قراءة القارئ على معنى واحد وسياق واحد لاقرب قوله محصنات من قوله فاذا أحصن ولو خالف من ذلك لم يكن لحنا غير ان وجه القراءة ما وصفت وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك نظير اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معنى قوله فاذا أحصن فاذا أسلمن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن سعيد بن أبى عشر عن ابراهيم ان ابن مسعود قال اسلامها احصانها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى جرير بن حازم ان سليمان بن مهران حدثه عن ابراهيم بن يزيد عن همام بن الحرث ان نعمان بن عبد

انه

عن مجاهد وان تصبر واخير لكم قال عن نكاح الاماء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تصبروا خير لكم يقول وان تصبروا ولا تنكحوا الامة فيكون ولدك مملوكين فهو خير لك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان تصبروا خير لكم يقول وان تصبروا عن نكاح الاماء خير لكم وهو حل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تصبروا خير لكم يقول وان تصبروا عن نكاحهن يعني نكاح الاماء خير لكم حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية في قوله وان تصبروا خير لكم قال أن تصبروا عن نكاح الاماء خير لكم حدثني المثنى قال ثنا حبان قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا ابن طاوس عن أبيه وان تصبروا خير لكم قال أن تصبروا عن نكاح الامة خير لكم حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان تصبروا خير لكم قال وأن تصبروا عن الامة خير لكم وان في قوله وان تصبروا وفي موضع رفع بخبر يعني والصبر عن نكاح الاماء خير لكم ﴿القول في تأويل قوله﴾ (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) يعني جل ثناؤه بقوله يريد الله ليبين لكم حلاله وحرامه ويهديكم سنن الذين من قبلكم يعني سنن من قبلكم يعني سبل من قبلكم من أهل الايمان بالله وأنبيائه ومناهجهم فيما حرم عليكم من نكاح الامهات والبنات والاخوات وسائر ما حرم عليكم في الآيتين اللتين بين فيهما ما حرم من النساء ويتوب عليكم يقول يريد الله أن يرجع بكم الى طاعته في ذلك مما كنتم عليه من معصيته في فعلكم ذلك قبل الاسلام وقبل أن يوحي ما أوحى الى نبيه من ذلك عليكم ليتجاوز لكم بتوبتكم عما سلف منكم من قبيح ذلك قبل انابتكم وتوبتكم والله عليم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده في أديانهم ودنياهم وغير ذلك من أمورهم ياتون ويذرون بما أحل أو حرم عليهم حافظ ذلك كله عليهم حكيم بتدبيره فيهم في تصريفهم فيما صرفهم فيه واختلف أهل العربية في معنى قوله يريد الله ليبين لكم فقال بعضهم معنى ذلك يريد الله هذا من أجل أن يبين لكم وقال ذلك كما قال وأمرت لاعدل بينكم بكسر اللام لان معناه أمرت بهذا من اجل ذلك وقال آخرون معنى ذلك يريد الله أن يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقالوا ما من شأن العرب التعقيب بين كي ولام كي وان تضع كل واحدة منهن موضع كل واحدة من أختها مع أردت وأمرت فيقولون أمرتك أن تذهب ولتذهب وأردت أن تذهب ولتذهب كما قال الله جل ثناؤه وأمرنا لنسلم لرب العالمين وقال في موضع آخر وأمرت أن أكون أول من أسلم وكما قال يريدون ليطفؤا نور الله ثم قال في موضع آخر يريدون أن يطفؤا واعتلوا في توجيههم ان مع أمرت وأردت الى معنى كي وتوجيه كي مع ذلك على معنى أن لطلب أردت وأمرت الاستقبال وأيهما لا يصلح معها الماضي لا يقال أمرتك أن قمت ولا أردت ان قمت قالوا فلما كانت ان قد تكون مع الماضي في غير أردت وأمرت ذكروا لها معنى الاستقبال بما لا يكون مع ماض من الافعال بحال من كي واللام التي في معنى كي قالوا وكذلك جمعت العرب بينهن أحيانا في الحرف الواحد فقال قائلهم في الجمع

أردت لكيما ان تطير بقربتي * فتتركها شيأ بيداء بلقع

فجمع بينهن لاتفاق معانيهن واختلاف ألفاظهن كما قال الآخر

قد كسب المال الهدادا الجافي * بغير لاعصف ولا أطرافي

فجمع بين غير ولا توكيدا للنفي قالوا انما يجوز أن يجعل ان مكان كي وكي مكان ان في الاماكن التي لا تصحب لام ذلك ماض من الافعال أو غير المستقبل فاما ما صحبه ماض من الافعال وغير المستقبل فلا يجوز ذلك لا يجوز عندهم أن يقال ظننت لتقوم ولا أظن لتقوم بمعنى أظن أن يقوم ولان التي

يقال قال قلت هل لها عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية أخرى عنه أن الناس لما ذكروا الاستبعاد في المتعة قال قاتلهم الله اني ما أفتيت بإباحتها على الاطلاق لكني قلت انها تحل للمضطر كما يحل الميتة والدم ولحم الخنزير وروي انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة وأما عمران بن الحصين فانه قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ماشاء يريد أن عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة أن الوطء لا يحل الا في الزوجة أو المملوكة لقوله تعالى الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة عليها بالاشهر والتوالي باطلة باسرها بالاتفاق وروي عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم فلو سكتوا لعلمهم بحرمتها فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن أمور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة وذلك محال منهم وما روي عن عمر انه قال لا أوتى برجل نكح بامرأة الى أجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع أن الرجم لا يجوز

فالاستغناء بالمال جائز وليس فيه أن الاستغناء بغيره جائز أم لا وأيضا فقد خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا دليل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على أن تأجرني ثماني حجج والاصل في شرع من قبلنا البقاء الى أن يظهر الناسخ وأيضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي أراد التزوج بها شيأ قال صلى الله عليه وسلم هل معك شئ من القرآن قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز عتق الامة صداقا لها لاسيما وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه من خواصه ممنوع فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من الجماع أو عقد عليهن أو خلوة صحيحة عند أبي حنيفة فآتوهن أجورهن أي عليه فاسقط الراجع للعلم به ويجوز أن يراد بها النساء ومن للتبعيض أو البيان للابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه في به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة أجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة أو أقيمت مقام ايتاء لان الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة ولا يخفى أنه ان استمتع بالدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال أكثر علماء الامة ان الآية في النكاح المؤبد وقيل المراد بها حكم المتعة وهي أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى أجل معلوم ليجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها وانعقدوا على انها كانت مباحة في أول الاسلام ثم الواحد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن عباس عن

قوله فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب خمسون جلدة ولا نفي ولا رجم فان قال قائل وكيف فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهل يكون الجلد على أحد قيل ان معنى ذلك فلازم أبدانهن أن تجلد نصف ما يلزم أبدان المحصنات كما يقال على صلاة يوم بمعنى لازم على ان أصلي صلاة يوم وعلى الحج والصيام مثل ذلك وكذلك عليه الحد بمعنى لازم له امكان نفسه من الحد ليقام عليه

القول في تأويل قوله (ذلك لمن خشي العنت منكم) يعني بذلك تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذي أبحت أيها الناس من نكاح فتياتكم المؤمنات لمن لا يستطيع منكم طولا لنكاح المحصنات المؤمنات أبحته لمن خشي العنت منكم دون غيره ممن لا يخشى العنت واختلف أهل التأويل في هذا الموضع فقال بعضهم هو الزنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قوله لمن خشي العنت منكم قال الزنا **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن العوام عمن حدثه عن ابن عباس انه قال ما أرى ناكح الامة عن الزنا الا قريبا **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال العنت الزنا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبيد بن يحيى قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال العنت الزنا **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال ما أرى يخف ناكح الامة عن الزنا الا قريبا ذلك لمن خشي العنت منكم **حدثنا** أبو سلمة قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير نحوه **حدثني** المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية في قوله ذلك لمن خشي العنت منكم قال الزنا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعاد قال ثنا فضيل عن عطية العوفي مثله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله لمن خشي العنت منكم قال الزنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن الشعبي وجويبر عن الضحاك قالا العنت الزنا **حدثنا** أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية ذلك لمن خشي العنت منكم قال العنت الزنا وقال آخرون معنى ذلك العقوبة التي تعنته وهي الحد والصواب من القول في قوله ذلك لمن خشي العنت منكم ذلك لمن خاف منكم ضررا في دينه وبدنه وذلك ان العنت هو ما ضر الرجل يقال منه قد عنت فلان فهو يعنت عنتا اذا أتى ما يضره في دين أو دنيا ومنه قول الله تبارك وتعالى ودوا ما عنتم ويقال قد أعنتني فلان فهو يعنتني اذا أتى بي مضرة وقد قيل العنت الهلاك فالذين وجهوا تأويل ذلك الى الزنا قالوا الزنا ضرر في الدين وهو من العنت والذين وجهوه الى الاثم قالوا الاثم كلها ضرر في الدين وهي من العنت والذين وجهوه الى العقوبة التي تعنته في بدنه من الحد فانهم قالوا الحد مضرة على بدن المحدود في دنياه وهو من العنت وقد عم الله بقوله لمن خشي العنت منكم جميع معاني العنت ويجمع جميع ذلك الزنا لانه يوجب العقوبة على صاحبه في الدنيا بما يعنت بدنه ويكتسب به اثما ومضرة في دينه ودنياه وقد اتفق أهل التأويل الذين هم أهله على ان ذلك معناه فهو وان كان في عينه لذة وقضاء شهوة فانه بادائه الى العنت منسوب اليه موصوف به ان كان للعنت سببا

القول في تأويل قوله (وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم) يعني جل ثناؤه بذلك وان تصبروا أيها الناس عن نكاح الاماء خير لكم والله غفور لكم نكاح الاماء أن تنكحوهن على ما أحللت لكم وأذنت لكم به وما سلف منكم في ذلك ان أصلحتم أموركم أنفسكم فيما بينكم وبين الله رحيم بكم اذ أذنت لكم في نكاحهن عند الافتقار وعدم الطول للحرة ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وان تصبروا خير لكم قال عن نكاح الامة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا

يسر ذلك عليكم اذ كنتم غير مستطيعي الطول لعرائر لانكم خلقتم ضعفاء عجزة عن ترك جماع النساء قليلي الصبر عنه فاذن لكم في نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العنت على أنفسكم ولم تجدوا طولا لحرة لئلا ترتفع المشقة صبركم على ترك جماع النساء وبنحو الذي قلنا في ذلك أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يريد الله أن يخفف عنكم في نكاح الاماء وفي كل شئ فيه يسر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه وخلق الانسان ضعيفا قال في أمر الجماع حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه وخلق الانسان ضعيفا قال في أمر النساء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه وخلق الانسان ضعيفا قال في أمور النساء ليس يكون الانسان في شئ أضعف منه في النساء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يريد الله أن يخفف عنكم قال رخص لكم في نكاح هؤلاء الاماء حين اضطروا اليهن وخلق الانسان ضعيفا قال لو لم يرخص له فيهن لم يكن الا الامر الاول اذا لم يجد حرة ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل يقول لا يأكل بعضكم أموال بعض بما حرم عليه من الربا والقمار وغير ذلك من الامور التي نهاكم الله عنها الا أن تكون تجارة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم نهى عن أكلهم أموالهم بينهم بالباطل وبالربا والقمار والبخس والظلم الا أن تكون تجارة لا بخ في الدرهم ألفان استطاع حدثني محمد بن المثنى قال ثنا أحمد بن المفضل أبو النعمان قال ثنا خالد الطحان قال أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال الرجل يشتري السلعة فيردها ويرد معها دراهما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول ان رضيته أخذته والا رددته ورد دنانيرا معه دراهما قال هو الذي قال الله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقال آخرون بل نزلت هذه الآية بالنهي عن أن يأكل بعضهم طعام بعض الا بشراء فاما قرى فانه كان محظورا بهذه الآية حتى نسخ ذلك بقوله في سورة النور ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الآية ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا في قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم الآية فكان الرجل يتحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية فنسخ ذلك بالآية التي في سورة النور فقال ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم الى قوله جميعا أو أشتاتا فكان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله الى الطعام فيقول اني لا تخنع والتخنع التحرج ويقول المساكين أحق مني به فاحل من ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأحل طعام أهل الكتاب قال أبو جعفر وأولى هذين القولين بالصواب في ذلك قول السدي وذلك ان الله تعالى ذكره حرم أكل أموالنا بيننا بالباطل ولا خلاف بين المسلمين ان أكل ذلك حرام علينا فان الله لم يحلل قط أكل الاموال بالباطل واذا كان ذلك كذلك فلا معنى لقول من قال كان ذلك نهيا عن أكل الرجل طعام أخيه قرى على وجه ما أذن له ثم نسخ ذلك لنقل علماء الامة جميعا وجهالها ان قرى الضيف واطعام الطعام كان من جيد أفعال أهل الشرك والاسلام التي حمد الله أهلها عليها وندبهم اليها وان الله لم يحرم ذلك في

كان نابتا في عهد الرسول وما كان نابتا في عهده لم يمكن نسخه بقول عمر كما أشاروا اليه عمران بن الحصين وأجيب بان المراد من قول عمر وأنا أنهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا الآية على بيان حكم النكاح قالوا المراد أنه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في ان تحط عنه شيأ أو تبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شئ وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها أو يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال أبو حنيفة الحق الزيادة بالصداق جائز لان التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها أو مات عنها أما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكته بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة أنها لو التصقت بالاصل فاما أن ترفع العقد الاول وتحدث عقدا ثانيا وهو باطل بالاجماع واما أن تحصل عقد امع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا الآية على حكم المتعة قالوا المراد أنه ليس للرجل سبيل على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيدي في الايام وأزيد في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما

لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا فضلا في المال وسعة ومنه الطول في

المصلحة ألا ترى انه قال صلى الله عليه وسلم

غير جائز الا لسياستور وى

الواحدى فى البسيط عن مالك عن

الزهرى عن عبد الله والحسن ابنى

محمد بن على عن أبيهما عن على ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

عن متعة النساء وعن أكل لحوم

الحمر الانسية قال وروى الربيع بن

هبرة الجهنى عن أبيه قال غدوت

على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند

ظهره الى الكعبة يقول يا أيها

الناس انى أمرتكم بالاستمتاع من

هذه النساء الا وان الله قد حرمه عليكم

الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن

شئ فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما

آتيتموهن شيأ القائلون باباحة

المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول

الاستمتاع بالمرأة على سبيل التأبيد

وعلى سبيل التوقيت بل الآية

مقصورة على نكاح المتعة لما روى

ان أبى بن كعب كان يقرأ فما

استمتعتم به منهن الى أجل مسمى

فآتوهن أجورهن وبه قرأ ابن

عباس أيضا والصحابة ما أنكروا

عليها فكان اجماعا وأيضا أمر

بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع أى

اللذة وهذا فى المتعة وأما فى

النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد

وأيضا قال فى أول السورة فانكحوا

فناسب أن تحمل هذه الآية على

نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار فى

سورة واحدة والحمل على حكم جديد

أولى ومما يدل على ثبوت المتعة

ما جاء فى الروايات ان النبى صلى الله

عليه وسلم نهى عن المتعة وعن لحوم

الحمر الاهلية يوم خيبر وأكثر

الروايات انه صلى الله عليه وسلم

أباح المتعة فى حجة الوداع وفى يوم

الفتح وذلك ان أصحابه شكوا اليه مشقة طول العزوبة فقال استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل

يسير

يدخل مع الظن تكون مع الماضى من الفعل يقال أظن ان قد قام زيد ومع المستقبل ومع الاسماء قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال ان اللام فى قوله يريد الله ليبين لكم بمعنى يريد الله أن يبين لكم لما ذكرت من علة من قال ان ذلك كذلك ❁ القول فى تاويل قوله عز وجل (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) يعنى بذلك تعالى ذكره والله يريد أن يراجع بكم طاعته والانابة اليه ليعفو لكم عما سلف من آثامكم ويتجاوز لكم عما كان منكم فى جاهليتكم من استحلال ما هو حرام عليكم من نكاح حلائل آبائكم وأبنائكم وغير ذلك مما كنتم تستحلونه وتأتونه مما كان غير جائز لكم اتيانه من معاصى الله ويريد الذين يتبعون الشهوات يقول ويريد الذين يطلبون لذات الدنيا وشهواتها أنفسهم فيها أن تميلوا عن أمر الله تبارك وتعالى فتجوزوا عنه باتيانكم ما حرم عليكم وركوبكم معاصيه ميلا عظيما جورا وعدولا عنه شديدا واختلف أهل التاويل فى الذين وصفهم الله بانهم يتبعون الشهوات فقال بعضهم هم الزناة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويريد الذين يتبعون الشهوات قال الزنا أن تميلوا ميلا عظيما قال يريدون أن تزنوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما أن تكونوا مثلهم تزنون كما يزنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويريد الذين يتبعون الشهوات قال الزنا أن تميلوا ميلا عظيما قال ترى أهل الاسلام فلا يزنوا قال هى كهيئة ردوا لوندهن فيدهنون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويريد الذين يتبعون الشهوات قال الزنا أن تميلوا أن تزنوا وقال آخرون بل هم اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ويريد الذين يتبعون الشهوات قال هم اليهود والنصارى أن تميلوا ميلا عظيما وقال آخرون بل هم اليهود خاصة وكانت ارادتهم من المسلمين اتباع شهواتهم فى نكاح الاخوات من الاب وذلك أنهم يحلون نكاحهن فقال الله تبارك وتعالى للمؤمنين ويريد الذين يحللون نكاح الاخوات من الاب أن تميلوا عن الحق فتستحلوهن كما استحلوا وقال آخرون معنى ذلك كل متبع شهوة فى دينه لغير الذى أبيح له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله ويريد الذين يتبعون الشهوات الآية قال يريد أهل الباطل وأهل الشهوات فى دينهم أن تميلوا فى دينكم ميلا عظيما تتبعون أمر دينهم وتتركون أمر الله وأمر دينكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم من أهل الباطل وطلاب الزنا ونكاح الاخوات من الآباء وغير ذلك مما حرمه الله أن تميلوا ميلا عظيما عن الحق وعما أذن الله لكم فيه فتجوروا عن طاعته الى معصيته وتكونوا أمثالهم فى اتباع شهوات أنفسكم فيما حرم الله وترك طاعته ميلا عظيما وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله عز وجل عم بقوله ويريد الذين يتبعون الشهوات فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة وعمهم بوصفهم بذلك من غير وصفهم باتباع بعض الشهوات المذمومة فاذ كان ذلك كذلك فاولى المعانى بالآية ما دل على ظاهرها دون باطنها الذى لا شاهد عليه من أصل أو قياس واذا كان ذلك كذلك كان داخلا فى الذين يتبعون الشهوات اليهود والنصارى والزناة وكل متبع باطلا لان كل متبع مما نهاه الله عنه فمتبع شهوة نفسه فاذا كان ذلك بتاويل الآية أولى وجبت صحة ما اخترنا من القول فى تاويل ذلك ❁ القول فى تاويل قوله (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) يعنى جل ثناؤه بقوله يريد الله أن يخفف عنكم يريد الله أن ييسر عليكم بانه لكم فى نكاح الفتيات المؤمنات اذ لم تستطيعوا طولا لحرة وخلق الانسان ضعيفا يقول

ابن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن جابر قال ثني أبو الضحى عن شريح انه قال البيعان بالخيار مالم يتفرقا قال قال أبو الضحى كان شريح يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وحدثني الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق بن منصور عن عبد السلام عن رجل عن أبي حوشب عن ميمون قال اشتريت من ابن سيرين سابريا فسلم على سومه فقلت أحسن فقال اما أن تأخذوا واما أن تدع فاخذت منه فلما وزنت الثمن وضع الدراهم فقال اختر اما الدراهم واما المتاع فاخترت المتاع فاخذته

حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن الشعبي انه كان يقول في البيعين انهما بالخيار مالم يتفرقا فاذا تصادرا فقد وجب البيع حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان بن دينار عن طيلسة قال كنت في السوق وعلي رضي الله عنه في السوق فجاءته جارية الى بيع فاكهة بدرهم فقالت اعطني هذا فلم يعطها اياه فقلت لا أريده اعطني درهمي فابى فاخذه منه على فاعطاها اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي انه أفتى في رجل اشترى من رجل برذونا ووجب له ثم ان المبتاع رده قبل أن يتفرقا فقضى انه قد وجب عليه فشهد عنده أبو الضحى أن شريحا قضى في مثله أن رده على صاحبه فرجع الشعبي الى قضاء شريح حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين عن شريح انه كان يقول في البيعين اذا ادعى المشتري انه قد أوجب له البيع وقال البائع لم أوجب له قال شاهدان عدلان انكما افترقتما عن تراض بعد بيع أو تخايرا والافيمين البائع انكما افترقتما عن بيع ولا تخاير حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال كان شريح يقول شاهدان ذوا عدل انكما افترقتما عن تراض بعد بيع وتخاير والافيمينه بالله ما تفرقتما عن تراض بعد بيع أو تخاير حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن شريح انه كان يقول شاهدان ذوا عدل انهما تفرقا عن تراض بعد بيع أو تخاير وعلة من قال هذه المقالة ما حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل بيعين فلا بيع بينهما حتى يتفرقا الا أن يكون خيارا حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية قال ثني يحيى بن أيوب قال كان أبو زرعة اذا بايع رجلا يقول له خيرني ثم يقول قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفترق اثنان الا عن رضا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن أبي قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل البقيع فسمعوا صوته ثم قال يا أهل البقيع فالتفتوا ينظرون حتى عرفوا انه صوته ثم قال يا أهل البقيع لا يتفرق بيعان الا عن رضى حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو داود الطيالسي قال ثنا سليمان بن معاذ قال ثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع رجلا ثم قال له اختر فقال قد اخترت فقال هكذا البيع قالوا فالتجارة عن تراض هو ما كان على ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من تخيير كل واحد من المشتري والبائع في امضاء البيع فيما يتبايعان بينهما أو نقضه بعد ما عقد البيع بينهما وقبل الافتراق أو ما تفرقا عنه بابدانهما عن تراض منهما بعد موجبة البيع فيه عن مجلسهما فما كان بخلاف ذلك فليس من التجارة التي كانت بينهما عن تراض منهما وقال آخرون بل التراضي في التجارة يوجب عقد البيع فيما تبايعه المتبايعان بينهما عن رضى من كل واحد منهما ما ملك عليه صاحبه وملك صاحبه عليه افترقا عن مجلسهما ذلك أو لم يفترقا تخايرا في المجلس أو لم يتخايرا فيه بعد عقده وعلة من قال هذه المقالة أن البيع انما هو بالقول كما ان النكاح بالقول ولا خلاف بين أهل العلم في الاجبار في النكاح لاحد المتناكحين على صاحبه افترقا أو لم يفترقا عن مجلسهما الذي جرى ذلك فيه قالوا فكذلك حكم البيع وتأولوا قول النبي صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار مالم يتفرقا على انه مالم يتفرقا بالقول وممن قال هذه المقالة مالك بن أنس وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب

الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر أيضا بالمؤمنات وأجيب بالفرق وهو اجماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان في الآية دلالة على الحذر عن نكاح الاماء وان الاقدام عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لتباعة الولد الام في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة لحوائجه ولاجله فربما تعودت بسبب ذلك فجورا وقعت ولما للمولى عليها من حق الاستخدام فلا تخلص لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على هبة مهرها من زوجها ولا على ابرائه والله أعلم بأحوالكم قال الزجاج أي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله أعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم أولاد آدم فلا يتداخلكم أنفة من التزوج بالاماء عند الضرورة أو كلكم مشتركون في الايمان وهو أعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت اليه وفيه نهي عما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتأنيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن أهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يعطل على السيد أكثر منافعها فوجب أن لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة وأما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر

والمحصنات ههنا الحرائر والمعنى
ومن لم يقدر على نكاح الحرة
فلينكح من الاماء التي ملكتها
ايمانكم قال ابن عباس بريدجارية
أخيك فان الانسان لا يجوز له أن
يتزوج بجارية نفسه والفتيات
المماليك كانت تقول العرب للامة فتاة
وللعبد فتى عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا يقولن أحدكم عبدي ولكن
ليقل فتاي وفتاتي وقال الشافعي
ان الله تعالى شرط في نكاح الاماء
ثلاث شرائط اثنتان في الناكح
الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة
عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول
الرجل لا أستطيع ان أحج اذا كان
لا يجد ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له
التزوج بالامة لان العادة في الاماء
تخفيف مهورهن ونفقتهن
لاشتغالهن بخدمة ساداتهن
والثانية خشية العنت كما يجيء في
آخر الآية والثالثة في المنكوحة
وهو أن تكون الامة مسلمة ومع ذلك
تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من
فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول
مستفاد من قوله من فتياتكم أي
من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم
وهم المخالفون في الدين والقيد
الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات
أما فائدة القيد الاول فهي أن الولد
تابع للام في الحرية والرق وحينئذ
يعلق الولد رقيقا على ملك الكافر
الا أن هذا القيد ألغاه أكثر الائمة
لان الولد اذا رق للكافر بيع عليه
في الحال وأما فائدة القيد الثاني
فالحذر من اجتماع النقصانين من
الكفر والرق وهذا قول مجاهد
وسعيد والحسن ومذهب مالك
والشافعي أما أبو حنيفة فانه يقول
الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك أنه يحمل النكاح في الآية على الوطء ويقول المراد ان لم يملك فراش

عصر من العصور بل ندب الله عباده وحثهم عليه وإذا كان ذلك كذلك فهو من معنى الاكل بالباطل
خارج ومن أن يكون ناسخا أو منسوخا بمعزل لان النسخ انما يكون لمنسوخ ولم يثبت النهي عنه
فيجوز أن يكون منسوخا بالاباحة واذا كان ذلك كذلك صح القول الذي قلناه من أن الباطل الذي
نهى الله عن أكل الاموال به هو ما وصفنا مما حرمه على عباده في تنزيله أو على لسان رسوله صلى الله
عليه وسلم وشذ ما خالفه واختلفت القراء في قراءة قوله الا أن تكون تجارة عن تراض منكم فقرأها
بعضهم الا أن تكون تجارة رفعا بمعنى الا أن توجد تجارة أو تقع تجارة عن تراض منكم فيحل لكم
أكلها حينئذ بذلك المعنى ومذهب من قرأ ذلك على هذا الوجه الا أن تكون تامة ها هنا لاحاجتها الى
خبر على ما وصفت وبهذه القراءة قرأ أكثر أهل الحجاز وأهل البصرة وقرأ ذلك آخرون وهم عامة
قراء الكوفيين الا أن تكون تجارة نصبا بمعنى الا أن تكون الاموال التي تأكلونها بينكم تجارة عن
تراض منكم فيحل لكم هنالك أكلها فتكون الاموال مضمرة في قوله الا أن تكون والتجارة منصوبة
على الخبر وكلتا القراءتين عندنا صواب جائزة القراءة بهما لاستفاضتهما في قراءة الامصار مع تقارب
معانيهما غير أن الامر وان كان كذلك فان قراءة ذلك بالنصب أعجب الي من قراءته بالرفع لقوة النصب
من وجهين أحدهما أن في تكون ذكرا من الاموال والآخر انه لو لم يجعل فيها ذكر منها ثم أفردت
بالتجارة وهي نكرة كان فصيحا في كلام العرب النصب اذ كانت مبنية على اسم وخبر فاذا ما يظهر معها
الا نكرة واحدة نصبوا ورفعوا كما قال الشاعر * اذا كان طعنا بينهم وعناقا * ففي هذه الآية ابانة
من الله تعالى ذكره عن تكذيب قول الجهلة من المتصوفة المنكرين طلب الاقوات بالتجارات
والصناعات والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة
عن تراض منكم اكتسابا أحل ذلك لها كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم
والتجارة رزق من رزق الله وحلال من حلال الله لمن طلبها بصدقها وبرها وقد كنا نحدث أن التاجر
الامين الصدوق مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة وأما قوله عن تراض فان معناه كما حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى عن
تراض منكم في تجارة بيع أوعطاء يعطيه أحدا أحدا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن تراض منكم في تجارة أو بيع أوعطاء يعطيه أحدا أحدا حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبي عن القاسم بن سليمان الجعفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيع عن تراض والخيار بعد الصفقة ولا يحل لمسلم أن يغش مسلما حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء المماسحة بيع هي قال لا حتى يخبره
التخيير بعد ما يجب البيع ان شاء أخذ وان شاء ترك واختلف أهل العلم في معنى التراضي في التجارة
فقال بعضهم هو أن يخير كل واحد من المتبايعين بعد عقدهما البيع بينهما فيما تبايعا فيه من امضاء
البيع أو نقضه أو يتفرقا عن مجلسهما الذي أوجب فيه البيع بابدانهما عن تراض منهما بالعقد الذي
تعاقداه بينهما قبل التفاسخ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن
قتادة عن محمد بن سيرين عن شريح قال اختصم رجلان باع أحدهما من الآخر برنسا فقال اني
بعتك هذا برنسا فاسترضيته فلم يرضني فقال ارضه كما أرضاك قال اني قد أعطيته دراهم ولم يرض قال
ارضه كما أرضاك قال قد أرضيته فلم يرض فقال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا حدثنا ابن بشار قال ثنا
مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي عن شريح قال البيعان بالخيار ما لم
يتفرقا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن شريح مثله حدثنا

نارا قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال معناه ومن يفعل ما حرم الله عليه من قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الى قوله ومن يفعل ذلك من نكاح المحرمات وعضل المحرم عضلها من النساء وأكل المال بالباطل وقتل المحرم قتله من المؤمنين لان كل ذلك مما وعد الله عليه أهل المعصية فان قال قائل فما منعك أن تجعل قوله ذلك معنيا به جميع ما أوعد الله عليه العقوبة من أول السورة قيل منع ذلك أن كل فصل من ذلك قد قرن بالوعيد الى قوله أعتدنا لهم عذابا أليما ولا ذكر للعقوبة ممن بعد ذلك على ما حرم الله في الآي التي بعده الى قوله فسوف نصليه نارا فكان قوله ومن يفعل ذلك معنيا به ما قلنا مما لم يقرب بالوعيد مع اجماع الجميع على أن الله تعالى قد توعد على كل ذلك أولى من أن يكون معنيا به ما سلف فيه الوعيد بالنهي مقرونا قبل ذلك وأما قوله عدوانا فانه يعني به تجاوز الما أباح الله له الى ما حرم عليه وظلما يعني فعلا منه ذلك بغير ما أذن الله به وركوبا منه ما قد نهاه الله عنه وقوله فسوف نصليه نارا يصلى بها فيحترق فيها وكان ذلك على الله يسيرا يعني وكان اصلاءه فاعل ذلك النار واحراقه بها على الله سهلا يسيرا لانه لا يقدر على الامتناع على ربه مما أراد به من سوء وانما يصعب الوفاء بالوعيد لمن توعده على من كان اذا حاول الوفاء به قدر المتوعد من الامتناع منه فاما من كان في قبضة موعده فيسير عليه امضاء حكمه فيه والوفاء له بوعيده غير عسير عليه أمره اراده به

القول في تاويل قوله (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) اختلف أهل التأويل في معنى الكبائر التي وعد الله جل ثناؤه عباده باجتنابها تكفير سائر سيآتهم عنهم فقال بعضهم فقال الله تبارك وتعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم هي ما تقدم الله الى عباده بالنهي عنه من أول سورة النساء الى رأس الثلاثين منها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال الكبائر من أول سورة النساء الى ثلاثين منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حماد عن ابراهيم عن عبد الله بمثله حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ابراهيم عن ابن مسعود مثله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم قال ثني علقمة عن عبد الله قال الكبائر من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثنا الرفاعي قال ثنا أبو معاوية وأبو خالد عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال الكبائر من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال سئل عبد الله عن الكبائر قال ما بين فاتحة سورة النساء الى رأس الثلاثين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم عن ابن مسعود قال الكبائر ما بين فاتحة سورة النساء الى ثلاثين آية منها ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله انه قال الكبائر من أول سورة النساء الى الثلاثين منها ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن ابراهيم قال كانوا يرون أن الكبائر فيما بين أول هذه السورة سورة النساء الى هذا الموضع ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال الكبائر من أول سورة النساء الى ثلاثين آية منها ثم ثلاثا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما حدثني المثنى قال ثنا ابن وكيع قال ثنا مسعر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال قال عبد الله الكبائر ما بين أول سورة النساء الى رأس الثلاثين * وقال آخرون الكبائر سبع ذكر من قال ذلك حدثني تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال أخبرنا محمد بن اسحق عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال انى لفي هذا المسجد مسجد

لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكأنه تعالى بين ان كونها أمة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حق الحرة اذا صلحت للخلوة من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض أصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا آجرها للخدمة كان هو المستحق للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله وآتوهن أجورهن وأما الجمهور فعلى ان مهرها لمولاها لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وهذا ينفي كون المملوكة مالكة لشئ أصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد أباحها للزوج بعقد النكاح فوجب أن يستحق بدلها اما ظاهر الآية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهور فالجواب انها تأتي أيضا عن ذلك أضيف الاجور اليهن وليس في قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن ولكنه صلى الله عليه وسلم قال العبد وما يملكه لمولاه أو المراد وآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس أي عفائف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالآية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال أكثر المفسرين المسافحة هي التي تؤاجر نفسها أي رجل أرادها ومتخذات الخدن هي التي لها صديق معين وكان أهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن

يكون لها زانيا فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم أفردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما وعلى الاخدان جمع خدن

واستدل الشافعي بالآية على ان المرأة البالغة العاقلة والامة ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق صفة زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة تبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعندنا زال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت في سائر الصور وضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الآية يدل على الاكتفاء بحصول اذن أهلها وعندنا لا يجوز للمرأة ان تزوج أمتها وأجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضى المولى لابد منه فاما أنه كاف فليس في الآية دليل عليه وأيضا ان أهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا أو ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصه قوله صلى الله عليه وسلم الغاهرهي التي تنكح نفسها اذ يلزمه ان لا يكون لها عبارة في نكاح مولاتها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلت الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم فلقائل أن يقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انه أمتوان سلمنا ذلك فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الآية يبقى بعد زوال صفة الرق فكونهما مثل قول القائل لا أتكلم مع هذا الشاب ممنوع فمن المعلوم عرفا ان المراد به ذات الشاب من حيث هو ولكنه كقول الحالف لا أكلم شابا فيتناول كلامه زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن أجورهن أي مهورهن وفيه دلالة على وجوب مهرها سمي لها المهر أو لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على أنه مبني على الاجتهاد

في ذلك عندنا قول من قال ان التجارة التي هي عن تراض بين المتبايعين ما تفرق المتبايعان عن المجلس الذي تواجبا فيه بينهما عقدة البيع بابدانهما عن تراض منهما بالعقد الذي جرى بينهما وعن تخيير كل واحد منهما صاحبه لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار مالم يتفرقا أو يكون بيع خيار وربما قال أو يقول أحدهما للآخر اختر فاذا كان ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا فليس يخلو قول أحد المتبايعين لصاحبه اختر من أن يكون قبل عقد البيع أو معه أو بعده فان يكن قبله فذلك الخلف من الكلام الذي لا معنى له لانه لم يكن قبل عقد البيع أحد المتبايعين على صاحبه مالم يكن له مالكا فيكون لتخييره صاحبه فيما يملك عليه وجه مفهوم ولا فيهما من يجهل انه بالخيار في تمليك صاحبه ما هو غير مالك بعوض يعتاضه منه فيقال له أنت بالخيار فيما تريد أن تحدثه من بيع أو شراء أو يكون ان شاء هذا المعنى تخيير كل واحد منهما صاحبه مع عقد البيع ومعنى التخيير في تلك الحال تطيير معنى التخيير قبلها لانها حالة لم يزل فيها عن أحدهما ما كان مالكه قبل ذلك الى صاحبه فيكون للتخيير وجه مفهوم أو يكون ذلك بعد عقد البيع اذا فسد هذان المعنيان واذا كان ذلك كذلك صح أن المعنى الآخر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أعني قوله مالم يتفرقا انما هو التفرق بعد عقد البيع كما قال التخيير بعده واذا صح ذلك فسد قول من زعم أن معنى ذلك انما هو التفرق بالقول الذي به يكون البيع واذا فسد ذلك صح ما قلنا من أن التخيير والافتراق انما هما معنيان بهما يكون تمام البيع بعد عقده وصح تاويل من قال معنى قوله الا أن تكون تجارة عن تراض منكم الا أن يكون أكلكم الاموال التي يأكلها بعضكم لبعض عن ملك منكم عن ملكتموها عليه بتجارة تبايعتموها بينكم وافترقتم عنها عن تراض منكم بعد عقد البيع بينكم بابدانكم أو بخير بعضكم بعضا ۞ القول في تاويل قوله (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تقتلوا أنفسكم ولا يقتل بعضكم بعضا وأنتم أهل ملة واحدة ودعوة واحدة ودين واحد فجعل جل ثناؤه أهل الاسلام كلهم بعضهم من بعض وجعل القاتل منهم قتيلا في قتله اياه منهم بمنزلة قتله نفسه اذ كان القاتل والمقتول أهل يد واحدة على من خالف مثلهما وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تقتلوا أنفسكم يقول أهل ملتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح ولا تقتلوا أنفسكم قال قتل بعضكم بعضا وأما قوله جل ثناؤه ان الله كان بكم رحيما فانه يعني ان الله تبارك وتعالى لم يزل رحيما بخلقه ومن رحمته بكم كف بعضكم عن قتل بعض أيها المؤمنون بتحريم دماء بعضكم على بعض تحننا وحظر أكل مال بعضكم على بعض بالباطل الا عن تجارة تملك بها عليها برضاه وطيب نفسه لولا ذلك هلكتم وأهلك بعضكم بعضا قتلا وسلبا وغصبا ۞ القول في تاويل قوله (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) اختلف أهل التأويل في تاويل قوله ومن يفعل ذلك عدوانا فقال بعضهم معنى ذلك ومن يقتل نفسه بمعنى ومن يقتل أخاه المؤمن عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا أفي كل ذلك أو في قوله ولا تقتلوا أنفسكم قال بل في قوله ولا تقتلوا أنفسكم * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن يفعل ما حرمته عليه من أول هذه السورة الى قوله ومن يفعل ذلك من نكاح من حرمت نكاحه وتعدى حدوده وأكل أموال الايتام ظلما وقتل النفس المحرم قتلها ظلما بغير حق * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن يأكل مال أخيه المسلم ظلما بغير طيب نفس منه وقتل أخاه المؤمن ظلما فسوف نصليه نارا

وقال طيسلة لما رأى ابن عمر فرقى قال أتخاف النار ان تدخلها قلت نعم قال وتحب ان تدخل الجنة قلت نعم قال أحى والداك قلت عندى أمى قال فوالله لئن أنت ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات حدثنا سليم بن ثابت الخراز الواسطى قال أخبرنا سلم بن سلام قال أخبرنا أيوب بن عتبة عن طيسلة بن على الهندى قال أتيت ابن عمر وهو فى ظل أراك يوم عرفة وهو يصب الماء على رأسه ووجهه قال قلت أخبرنى عن الكبائر قال هى تسع قلت ماهن قال الاشراك بالله وقذف المحصنة قال قلت قبل القتل قال نعم وغموس وقتل النفس المؤمنة والفرار من الزحف والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا حدثنا سليمان بن ثابت الخراز قال أخبرنا سلم بن سلام قال أخبرنا أيوب بن عتبة عن يحيى بن عبيد بن عمير عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله الا انه قال بدأ بالقتل قبل القذف وقال آخرون هى أربع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن مسلم عن عنبسة عن مطرف عن وبرة عن ابن مسعود قال الكبائر الاشراك بالله والقنوط من رحمة الله والاياس من روح الله والامن من مكر الله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مطرف عن وبرة بن عبد الرحمن عن أبى الطفيل قال قال عبد الله بن مسعود أكبر الكبائر الاشراك بالله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن وبرة بن عبد الرحمن قال قال عبد الله ان الكبائر الشرك بالله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله والاياس من روح الله حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت مطرفا عن وبرة عن أبى الطفيل قال قال عبد الله الكبائر أربع الاشراك بالله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله والامن من مكر الله حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله قال أخبرنا شيبان عن الاعمش عن وبرة عن أبى الطفيل قال سمعت ابن مسعود يقول أكبر الكبائر الاشراك بالله حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى اسحق عن وبرة عن أبى الطفيل عن عبد الله بنحوه حدثنى ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن أبى الطفيل عن عبد الله قال الكبائر أربع الاشراك بالله والامن من مكر الله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وبه قال ثنا شعبة عن القاسم عن أبى بزة عن أبى الطفيل عن عبد الله بمثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل عن عبد الله بن مسعود نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى الطفيل عن ابن مسعود قال الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله والامن لمكر الله والاياس من روح الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن فرات القزاز عن أبى الطفيل عن عبد الله قال الكبائر القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله والامن لمكر الله والشرك بالله وقال آخرون كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن ابن سيرين عن ابن عباس قال ذكرت عنده الكبائر فقال كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال أنبئت ان ابن عباس كان يقول كل ما نهى الله عنه كبيرة وقد ذكرت الطرفة قال هى النظرة حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر عن أبيه عن طاوس قال قال رجل لعبد الله بن عباس أخبرنى بالكبائر السبع قال فقال ابن عباس هى أكثر من سبع وتسع فما أدرى كم قالها من مرة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن طاوس قال ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا هى سبع قال هى أكثر من سبع وتسع قال سليمان فلا أدرى قالها من مرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبى عدى عن عوف قال قام أبو العالية الرياحى على حلقة أناس فيها فقال ان ناسا يقولون

التوبة لكانا وليس كذلك وأجيب بان المراد التوبة فى باب نكاح الامهات

الامراض الشديدة كاوجاع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنساء والاول أليق ببيان القرآن وعليه أكثر العلماء وان تصبروا أى صبركم عن نكاح الاماء بعد شروطه المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تأكيد لما ذكره من ان الاولى تركه النكاح الا أنه أباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم أقيمت اللام مقام ان فى قولك أريد أن يقوم وقيل زيدت اللام وقدران وذلك لتأكيد ارادة التبيين كما زيدت فى لا أبا لك لتأكيد اضافة الاب وقيل فى الآية اضمار والاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفى عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل فى شأن النساء فقد كان الحكم كذلك فى جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة فى نفسها الا أنها متفقة فى باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من أهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضى معناه كما أراد منا نفس الطاعة فلا جرم بينها وأزاح الشبه عنها كذلك يريد أن يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط وفى الآية اشعار بانه تعالى هو الذى يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اذا أراد التوبة منا وجب أن تحصل

الكوفة وعلى رضى الله عنه يخطب الناس على المنبر فقال يا أيها الناس ان الكبائر سبع فاصاخ الناس فاعادها ثلاث مرات ثم قال ألا تسألوني عنها قالوا يا أمير المؤمنين ما هي قال الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم وأكل الربا والفرار يوم الزحف والتعرب بعد الهجرة فقلت لابي يا أبة ما التعرب بعد الهجرة فقال يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى اذا وقع سهمه في الفيء ووجب عليه الجهاد خلع ذلك من عنقه فرجع اعرابيا كما كان **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص سلام بن سليم عن ابن اسحق عن عبيدة بن عمير قال الكبائر سبع ليس منهن كبيرة الا وفيها آية من كتاب الله الاشراك بالله منهن ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء والذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا والذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات والفرار من الزحف يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار والتعرب بعد الهجرة ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وقتل النفس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور وعن ابن اسحق عن عبيد بن عمير النسي قال الكبائر سبع الاشراك بالله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق وقتل النفس ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية وأكل الربا الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الآية وأكل أموال اليتامى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية وقذف المحصنة ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية والفرار من الزحف ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة الآية والمرتد اعرابيا بعد هجرته ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الآية **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن الكبائر فقال الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم بغير حقه وأكل الربا والبهتان قال ويقولون اعرابيته بعد هجرة قال ابن عون فقلت لمحمد فالسحر قال ان البهتان يجمع شرا كثيرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور وهشام عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال الكبائر الاشراك وقتل النفس الحرام وأكل الربا وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والمرتد اعرابيا بعد هجرته **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين عن عبيدة بنحوه وعلة من قال هذه المقالة **ما حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال أخبرني الليث قال ثني خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر قال أخبرني صهيب مولى الصواري انه سمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري يقولان خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي لا يدري على ماذا حلف ثم رفع رأسه في وجهه البشر فكان أحب الينا من حمر النعم فقال ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له أبواب الجنة ثم قيل ادخل بسلام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال الكبائر سبع قتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم ورمي المحصنة وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف وقال آخرون هي تسع فذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا زياد بن مخراق عن طيسلة بن مخراق قال كنت مع الحدان فاصبت ذنوبا لا أراها الا من الكبائر فلقيت ابن عمر فقلت اني أصبت ذنوبا لا أراها الا من الكبائر قال وما هي قلت كذا وكذا قال ليس من الكبائر قال نسي لم يسمه طيسلة قال هي تسع وساعدهن عليك الاشراك بالله وقتل النفس بغير حلها والفرار من الزحف وقذف المحصنة وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلما والحاد في المسجد الحرام والذي يستسخر وبكاء الوالدين من العقوق قال زياد

الاتراب جمع ترب والخدن الذي يخادنك وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد أو بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكأنه تعالى ذكر حال اعمالهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحرائر المتزوجات أو الحرائر الابكار وعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت أو لم تكن وقد علق ذلك في الآية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب أنا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف أو الثاني والمراد بيان تخفيف عذابهن وذلك أن حد الزنى يغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا تزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا القدر أولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الآية تدل على أن عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب بما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا الآية أصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان كان من الامور ما لا يجب ذلك فيه كالصلاة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معناه الوقوع في أمر شاق والمفسرون ههنا قولان أحدهما أن الشبق

وقال

نارا قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال معناه ومن يفعل ما حرم الله عليه من قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الى قوله ومن يفعل ذلك من نكاح المحرمات وعضل المحرم حلائلها من النساء وأكل المال بالباطل وقتل المحرم قتله من المؤمنين لان كل ذلك مما وعد الله عليه أهل المعصية فان قال قائل فما منعك أن تجعل قوله ذلك معنيا به جميع ما أوعد الله عليه العقوبة من أول السورة قيل منع ذلك أن كل فصل من ذلك قد قرن بالوعيد الى قوله أعتدنا لهم عذابا أليما ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرم الله في الآي التي بعده الى قوله فسوف نصليه نارا فكان قوله ومن يفعل ذلك معنيا به ما قلنا مما لم يقترن بالوعيد مع اجماع الجميع على أن الله تعالى قد توعد على كل ذلك أولى من أن يكون معنيا به ما سلف فيه الوعيد بالنهي مقرونا قبل ذلك وأما قوله عدوانا فانه يعني به تجاوز ما أباح الله له الى ما حرم عليه وظلما يعني فعلا منه ذلك بغير ما أذن الله به وركوبا منه ما قد نهاه الله عنه وقوله فسوف نصليه نارا يصلى بها فيحترق فيها وكان ذلك على الله يسيرا يعني وكان اصلاء فاعل ذلك النار واحراقه بها على الله سهلا يسيرا لانه لا يقدر على الامتناع على ربه مما أراد به من سوء وانما يصعب الوفاء بالوعيد لمن توعده على من كان اذا حاول الوفاء به قدر المتوعد من الامتناع منه فاما من كان في قبضة موعده فيسير عليه امضاء حكمه فيه والوفاء له بوعيده غير عسير عليه أمر اراده به

القول في تأويل قوله (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) اختلف أهل التأويل في معنى الكبائر التي وعد الله جل ثناؤه عباده باجتنابها تكفير سائر سيآتهم عنهم فقال بعضهم الكبائر التي قال الله تبارك وتعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم هي ما تقدم الله الى عباده بالنهي عنه من أول سورة النساء الى رأس الثلاثين منها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال الكبائر من أول سورة النساء الى ثلاثين منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حماد عن ابراهيم عن عبد الله بمثله حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ابراهيم عن ابن مسعود مثله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم قال ثني علقمة عن عبد الله قال الكبائر من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثنا الرفاعي قال ثنا أبو معاوية وأبو خالد عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال الكبائر من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال سئل عبد الله عن الكبائر قال ما بين فاتحة سورة النساء الى رأس الثلاثين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم عن ابن مسعود قال الكبائر ما بين فاتحة سورة النساء الى ثلاثين آية منها ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله انه قال الكبائر من أول سورة النساء الى الثلاثين منها ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن ابراهيم قال كانوا يرون أن الكبائر فيما بين أول هذه السورة سورة النساء الى هذا الموضع ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال الكبائر من أول سورة النساء الى ثلاثين آية منها ثم قال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما حدثني المثنى قال ثنا ابن وكيع قال ثنا مسعر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال قال عبد الله الكبائر ما بين أول سورة النساء الى رأس الثلاثين وقال آخرون الكبائر سبع ذكر من قال ذلك حدثني تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال أخبرنا محمد بن اسحق عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال اني لفي هذا المسجد مسجد

وغالب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل أو المراد بغير معطل وضرار واجوجاج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكأنه تعالى بين ان كونها أمة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حق الحرة اذا صلحت للتخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض أصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا آجرها للخدمة كان هو المستحق للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله وآتوهن أجورهن وأما الجمهور فعلى ان مهرها لمولاها لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي كون المملوكة مالكة لشيء أصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد أباحها للزوج بعقد النكاح فوجب أن يستحق بدلها اما ظاهر الآية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهور فالجواب انها ثمن أبضاعهن فلذلك أضيف الاجور اليهن وليس في قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن ولكنه صلى الله عليه وسلم قال العبد وما يملكه لمولاه أو المراد وآتوا موالي هن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس أي عفائف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالآية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال أكثر المفسرين المسافحة هي التي تواجر نفسها أي رجل أرادها اتخذة الخدن هي التي لها صديق معين وكان أهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلاجرم أفردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما مع دخولهما في جمع الاخدان جمع خدن

واستدل الشافعي بالآية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق صفة زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة تبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها هي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت في سائر الصور وضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الآية يدل على الاكتفاء بحصول اذن أهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج أمتها وأجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضى المولى لا بد منه فاما أنه كاف فليس في الآية دليل عليه وأيضا ان أهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا أو ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصه قوله صلى الله عليه وسلم العاهر هي التي تنكح نفسها اذ يلزمه ان لا يكون لها عبارة في نكاح ما وكلها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلت الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم فلقائل أن يقول لا نسلم ان صفة الرق اللازمة عرضية من حيث انه أمة وان سلمنا ذلك فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الآية يبقى بعد زوال صفة الرق فكونها مثل قول القائل لا أتكلم مع هذا الشاب ممنوع فمن المفاهيم عرفا ان المراد به ذات الشاب من حيث هو وليكنه كقول الحالف لا أكلم شابا فيتناول كلا من زيد وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن أجورهن أي مهورهن وفيه دلالة على وجوب مهرها سمي لها المهر أو لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على أنه مبني على الاجتهاد

في ذلك عندنا قول من قال ان التجارة التي هي عن تراض بين المتبايعين ما تفرق المتبايعان عن المجلس الذي تواجبا فيه بينهما عقدة البيع بابدانهما عن تراض منهما بالعقد الذي جرى بينهما وعن تخيير كل واحد منهما صاحبه لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يكون بيع خيار ورب ما قال أو يقول أحدهما للآخر اختر فاذ كان ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا فليس يخلو قول أحد المتبايعين لصاحبه اختر من أن يكون قبل عقد البيع أو معه أو بعده فان يكن قبله فذلك الخلف من الكلام الذي لا معنى له لانه لم يكن قبل عقد البيع أحد المتبايعين على صاحبه مال لم يكن له مالكا فيكون لتخييره صاحبه فيما يملك عليه وجه مفهوم ولا فيهما من يجهل انه بالخيار في تمليك صاحبه ما هو له غير مالك بعوض يعتاضه منه فيقال له أنت بالخيار فيما تريد أن تحدثه من بيع أو شراء أو يكون ان بطل هذا المعنى تخيير كل واحد منهما صاحبه مع عقد البيع ومعنى التخيير في تلك الحال نظير معنى التخيير قبلها لانهما حالة لم يزل فيها عين أحدهما ما كان مالكه قبل ذلك الى صاحبه فيكون التخيير وجه مفهوم أو يكون ذلك بعد عقد البيع اذا فسد هذان المعنيان واذا كان ذلك كذلك صح أن المعنى الآخر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أعني قوله ما لم يتفرقا انما هو التفرق بعد عقد البيع كما قال التخيير بعده واذا صح ذلك فسد قول من زعم أن معنى ذلك انما هو التفرق بالقول الذي به يكون البيع واذا فسد ذلك صح ما قلنا من أن التخيير والافتراق انما هما معنيان بهما يكون تمام البيع بعد عقده وصح تاويل من قال معنى قوله الا أن تكون تجارة عن تراض منكم الا أن يكون أكلكم الاموال التي يأكلها بعضكم لبعض عن ملك منكم عن ملكتموها عليه بتجارة تبايعتموها بينكم وافترقتم عنها عن تراض منكم بعد عقد البيع بينكم بابدانكم أو بخير بعضكم بعضا ۞ القول في تاويل قوله (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تقتلوا أنفسكم ولا يقتل بعضكم بعضا وأنتم أهل ملة واحدة ودعوة واحدة ودين واحد فجعل جل ثناؤه أهل الاسلام كلهم بعضهم من بعض وجعل القاتل منهم قتيلا في قتله اياه منهم بمنزلة قتله نفسه اذ كان القاتل والمقتول أهل يد واحدة على من خالف مثلهما وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تقتلوا أنفسكم يقول أهل ملتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح ولا تقتلوا أنفسكم قال قتل بعضكم بعضا وأما قوله جل ثناؤه ان الله كان بكم رحيما فانه يعني ان الله تبارك وتعالى لم يزل رحيما بخلقه ومن رحمته بكم كف بعضكم من قتل بعض أيها المؤمنون بتحريم دماء بعضكم على بعض تحننا وحظر أكل مال بعضكم على بعض بالباطل الا عن تجارة تملك بها عليها برضاه وطيب نفسه لولا ذلك هلكتم وأهلك بعضكم بعضا قتلا وسلبا وغصبا ۞ القول في تاويل قوله (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) اختلف أهل التاويل في تاويل قوله ومن يفعل ذلك عدوانا فقال بعضهم معنى ذلك ومن يقتل نفسه بمعنى ومن يقتل أخاه المؤمن عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا أفي كل ذلك أو في قوله ولا تقتلوا أنفسكم قال بل في قوله ولا تقتلوا أنفسكم * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن يفعل ما حرمته عليه من أول هذه السورة الى قوله ومن يفعل ذلك من نكاح من حرمت نكاحه وتعدى حدوده وأكل أموال الايتام ظلما وقتل النفس المحرم قتلها ظلما بغير حق * وقال آخرون بل معنى ذلك ومن يأكل مال أخيه المسلم ظلما بغير طيب نفس منه وقتل أخاه المؤمن ظلما فسوف نصليه نارا

وقال طيسلة لما رأى ابن عمر فرقي قال أتخاف النار ان تدخلها قلت نعم قال وتحب ان تدخل الجنة قلت نعم قال أحي والدك قلت عندي أمي قال فوالله لئن أنت ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات حدثنا سليم بن ثابت الحراز الواسطي قال أخبرنا اسلم بن سلام قال أخبرنا أيوب بن عتبة عن طيسلة بن علي الهندي قال أتيت ابن عمر وهو في ظل أراك يوم عرفة وهو يصب الماء على رأسه ووجهه قال قلت أخبرني عن الكبائر قال هي تسع قلت ماهن قال الاشراك بالله وقذف المحصنة قال قلت قبل القتل قال نعم وغموس وقتل النفس المؤمنة والفرار من الزحف والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا حدثنا سليمان بن ثابت الحراز قال أخبرنا اسلم بن سلام قال أخبرنا أيوب بن عتبة عن يحيى بن عبيد بن عمير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله الا انه قال بدأ بالقتل قبل القذف وقال آخرون هي أربع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن مسلم عن عنبسة عن مطرف عن وبرة عن ابن مسعود قال الكبائر الاشراك بالله والقنوط من رحمة الله والاياس من روح الله والامن من مكر الله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مطرف عن وبرة بن عبد الرحمن عن أبي الطفيل قال قال عبد الله بن مسعود أكبر الكبائر الاشراك بالله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن وبرة بن عبد الرحمن قال قال عبد الله ان الكبائر الشرك بالله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله والاياس من روح الله حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت مطرفا عن وبرة عن أبي الطفيل قال قال عبد الله الكبائر أربع الاشراك بالله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله والامن من مكر الله حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبد الله قال أخبرنا شيبان عن الاعمش عن وبرة عن أبي الطفيل قال سمعت ابن مسعود يقول أكبر الكبائر الاشراك بالله حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن وبرة عن أبي الطفيل عن عبد الله بنحوه حدثني ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن أبي الطفيل عن عبد الله قال الكبائر أربع الاشراك بالله والامن من مكر الله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وبه قال ثنا شعبة عن القاسم عن أبي بزة عن أبي الطفيل عن عبد الله بمثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن عبد الله بن مسعود نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن ابن مسعود قال الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله والامن لمكر الله والاياس من روح الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن عبد الله قال الكبائر القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله والامن لمكر الله والشرك بالله وقال آخرون كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن ابن سيرين عن ابن عباس قال ذكرت عنده الكبائر فقال كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال أنبئت ان ابن عباس كان يقول كل ما نهى الله عنه كبيرة وقد ذكرت الطرفة قال هي النظرة حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر عن أبيه عن طاوس قال قال رجل لعبد الله بن عباس أخبرني بالكبائر السبع قال فقال ابن عباس هي أكثر من سبع وتسع فما أدري كم قالها من مرة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن طاوس قال ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا هي سبع قال هي أكثر من سبع وتسع قال سليمان فلا أدري قالها من مرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي عن عوف قال قام أبو العالية الرياحي على حلقة أنا فيها فقال ان ناسا يقولون

الامراض الشديدة كالوجاع الوركين والظهر والوسواس وكانحتناق الرحم للنساء والاول أليق ببيان القرآن وعليه أكثر العلماء وان تصبروا أي صبركم عن نكاح الاماء بعد شروطه المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تأكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا أنه أباحه لاحتياج المكافين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم أقيمت اللام مقام ان في قولك أريد أن يقوم وقيل زيدت اللام وقدران وذلك لتأكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا أبالك لتأكيد اضافة الاب وقيل في الآية اضمار والاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شأن النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها الا أنها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سن من كان قبلكم من أهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما أراد منا نفس الطاعة فلا جرم بينها وأزاح الشبه عنها كذلك يريد أن يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط وفي الآية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اذا أراد التوبة منا وجب أن تحصل التوبة لكنا وليس كذلك وأجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات

كالأتراب جمع ترب والخدن الذي يخادنك أي يكون معك في كلام ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا أحصن بالتزوج

وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد أو بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكله تعالى ذكر حال اماتهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحرائر المتزوجات أو الحرائر الابكار وعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت أو لم تكن وقد علق ذلك في الآية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب أنا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف أو الثاني والمراد بيان تخفيف عذابهن وذلك أن حد الزنى يغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا القدر أولى واعلم ان الخوارج تمسكوا على انكار الرجم واحتجوا بان الآية تدل على أن عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب بما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا الآية أصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان كان من الامور ما لا يجب ذلك فيه كالصلاة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن

الكوفة وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر فقال يا أيها الناس ان الكبائر سبع فاصاخ الناس فاعادها ثلاث مرات ثم قال ألا تسألوني عنها قالوا يا أمير المؤمنين ما هي قال الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم وأكل الربا والفرار يوم الزحف والتعرب بعد الهجرة فقلت لابي يا أبة ما التعرب بعد الهجرة فقال يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى اذا وقع سهمه في الفيء ووجب عليه الجهاد خلع ذلك من عنقه فرجع اعرابيا كما كان **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص سلام بن سليم عن ابن اسحق عن عبيدة بن عمير قال الكبائر سبع ليس منهن كبيرة الا وفيها آية من كتاب الله الاشراك بالله منهن ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء والذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا والذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات والفرار من الزحف يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار والتعرب بعد الهجرة ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وقتل النفس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابن اسحق عن عبيد بن عمير النسي قال الكبائر سبع الاشراك بالله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق وقتل النفس ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية وأكل الربا الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الآية وأكل أموال اليتامى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية وقذف المحصنات الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية والفرار من الزحف ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة الآية والمرتد اعرابيا بعد هجرته ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الآية **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن الكبائر فقال الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم بغير حقه وأكل الربا والبهتان قال ويقولون اعرابية بعد هجرة قال ابن عون فقلت لمحمد فالسحر قال ان البهتان يجمع شرا كثيرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور وهشام عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال الكبائر الاشراك وقتل النفس الحرام وأكل الربا وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والمرتد اعرابيا بعد هجرته **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين عن عبيدة بنحوه وعلة من قال هذه المقالة **ما حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال أخبرني الليث قال ثني خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر قال أخبرني صهيب مولى الصواري انه سمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري يقولان خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي لا يدري على ماذا حلف ثم رفع رأسه في وجهه البشر فكان أحب الينا من حمر النعم فقال ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له أبواب الجنة ثم قيل ادخل بسلام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال الكبائر سبع قتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم ورمي المحصنة وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف وقال آخرون هي تسع ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا زياد من مخراق عن طيسلة بن مخراق قال كنت مع الحدان فاصبت ذنوبا لا أراها الا من الكبائر فلقيت ابن عمر فقلت اني أصبت ذنوبا لا أراها الا من الكبائر قال وما هي قلت كذا وكذا قال ليس من الكبائر قال نسي لم يسمه طيسلة قال هي تسع وساعد عمن عليك الاشراك بالله وقتل النسمة بغير حلها والفرار من الزحف وقذف المحصنة وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلما والحاد في المسجد الحرام والذي يستسخر وبكاء الوالدين من العقوق قال زياد

مضى الصفت منكم وقد عرفت فيما مر ان معناه الوقوع في أمر شاق ولم يفسره ههنا فقولان أحدهما أن الشبق وقال

وهو فيها كاذب حدثني المثنى قال ثنا ابن أبي السري محمد ابن المتوكل العسقلاني قال ثنا محبر بن سعد عن خالد بن سعدان عن أبي وهم عن أبي أيوب الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان واجتنب الكبائر فله الجنة قيل وما الكبائر قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف حدثني عباس بن أبي طالب قال ثنا سعد ابن عبد الحميد عن جعفر عن ابن أبي جعفر عن ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن عبيد الله بن سلمان الاغر عن أبيه أبي عبد الله سلمان الاغر قال قال أبو أيوب خالد بن أيوب الانصاري عقبي بدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يعبد الله لا يشرك به شيئا ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر الا دخل الجنة فسأله ما الكبائر قال الاشراك بالله والفرار من الزحف وقتل النفس حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عباد بن عباد عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا الكبائر وهو متكئ فقالوا الشرك بالله وأكل مال اليتيم وفرار من الزحف وقذف المحصنة وعقوق الوالدين وقول الزور والغلول والسحر وأكل الربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تجعلون الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية حدثنا عبيد الله بن محمد الغرياني قال ثنا سفيان عن أبي معاوية عن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ما الكبائر قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك وان تقتل ولدك من أجل ان يأكل معك أو تزني بحليلة جارك وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون حدثني هذا الحديث عبد الله بن محمد الزهري فقال ثنا سفيان قال ثنا أبو معاوية النخعي كان على السجن سمعه من أبي عمرو عن عبد الله بن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أي العمل شر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وان تقتل ولدك خشية أن يأكل معك أو تزني بحليلة جارك وقرأ والذين لا يدعون مع الله الها آخر * قال أبو جعفر وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما قاله غيره وان كان كل قائل فيها قولا من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد وبالغ في نفسه ولقوله في الصحة مذهب بالكبائر اذ الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس المحرم قتلها وقول الزور وقد يدخل في قول الزور شهادة الزور وقذف المحصنة واليمين الغموس والسحر ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها قتل الرجل ولده من أجل ان يطعم معه والفرار من الزحف والزنا بحليلة الجار واذا كان ذلك كذلك صح كل خبر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى الكبائر وكان بعضه مصدقا بعضا وذلك الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هي سبع يكون معنى قوله حينئذ هي سبع على التفصيل ويكون معنى قوله في الخبر الذي روي عنه انه قال هي الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور على الاجمال اذ كان قوله وقول الزور يحتمل معاني شتى وان يجمع جميع ذلك قول الزور وأما خبر ابن مسعود الذي ثنى به الغرياني على ما ذكرت فانه عندي غلط من عبيد الله ابن محمد لان الاخبار المتظاهرة من الاوجه الصحيحة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو الرواية التي رواها الزهري عن ابن عيينة ولم يقل أحد منهم في حديثه عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فنقلهم ما نقلوا من ذلك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة من نقل الغرياني فمن اجتنب الكبائر التي وعد الله مجتنبها تكفير ما عداها من سيئاته وادخله مدخلا كريما وأدى فرائضه التي فرضها الله عليه وجد الله لما وعده من وعد منجزا وعلى الوفاء به دليلا وأما قوله نكفر عنكم سيئاتكم فانه يعني به نكفر عنكم أيها المؤمنون باجتنابكم كبائر ما نهاكم عنه بكم صغائر سيئاتكم يعني صغائر ذنوبكم كما حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل

بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه وقد مر تفسيره في البقرة في قوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في آخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة بنحو الهبة والارث وأخذ الصدقات والمهور وأروش الجنايات حلالا لان أكثر أسباب الرزق يتعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي أكل مال الغير بالباطل وأكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال أبو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول المالك فذلك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه أولى ان يكون باطلا وأي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال أبو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الآية قد حصل وقال الشافعي لا شك ان هذا التراضي يقتضي الحل الا انا ثبت بعد ذلك المتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا أنفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين

ما يعرضه غم أو خوف أو مرض شديد يريد قتل نفسه أسهل عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب بن عبد الله ان رسول الله صلى الله

والبنات وسائر المحرمات المذكورة في هذه الآية وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد أن يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم بإحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فاضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا اشتد احتياجه الى التعاون والتمدن والاغذية والادوية والمساكن والملابس والذخائر والمعاملات الى غير ذلك من الضرورات وأما ضعف عزائمه ودواعيه فاظهر ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات ولا سيما عن النساء عن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء لقد أتى على ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وأنا أعشو بالاخرى وان أخوف ما أخاف على النساء عن ابن عباس ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم يريد الله أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لا تحرمنا موعودك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال

الكبائر سبع وقد خفت أن تكون الكبائر سبعين أو يزدن على ذلك **حدثنا** علي قال ثنا الوليد قال سمعت أبا عمرو يخبر عن الزهري عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن سعيد ابن جبير ان رجلا قال لابن عباس كم الكبائر أسبع هي قال الى سبعمائة أقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن طاوس قال جاء رجل الى ابن عباس قال أرأيت الكبائر السبع التي ذكرهن الله ما هن قال هن الى السبعين أدنى منها الى سبع **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال قيل لابن عباس الكبائر سبع قال هي الى السبعين أقرب **حدثنا** أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا عبد الله بن سعد ان عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبائر قال كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة * وقال آخرون هي ثلاث ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن مسعود قال الكبائر ثلاث اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وقال آخرون كل موجبة وكل ما أوعد الله أهله عليه النار فكبيرة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا هشام ابن حسان عن محمد بن واسع قال قال سعيد بن جبير كل موجبة في القرآن كبيرة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن محمد بن مهرم الشعاب عن محمد بن واسع الازدي عن سعيد بن جبير قال كل ذنب نسبه الله الى النار فهو من الكبائر **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن سالم انه سمع الحسن يقول كل موجبة في القرآن كبيرة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه قال الموجبات **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قال الكبائر كل موجبة أوجب الله لاهلها النار وكل عمل يقام به الحد فهو من الكبائر * قال أبو جعفر والذي نقول به في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما **حدثنا** به أحمد بن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثني عبيد الله بن أبي بكر قال سمعت أنس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر وسئل عن الكبائر فقال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور قال شعبة وأكبر ظني انه قال شهادة الزور **حدثنا** يحيى بن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا شعبة قال أخبرنا عبيد الله بن أبي بكر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر قال الشرك وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن كثير قال ثنا شعبة عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس قال ذكروا الكبائر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس شعبة الشاك واليمين الغموس **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا شيبان عن فراس عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الكبائر قال الشرك بالله قال ثم مه قال وعقوق الوالدين قال ثم مه قال واليمين الغموس قلت للشعبي ما اليمين الغموس قال الذي يقتطع مال امرئ مسلم بيمينه

يعني ويدخلكم ادخالا كريما قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وندخلكم مدخلا كريما بضم الميم لما وصفنا من ان ما كان من الفعل بناؤه على أربعة في فعل والمصدر منه مفعل وان أدخل وخرج فعل منه على أربعة فالمدخل مصدره أولى من مفعل مع ان ذلك أفصح في كلام العرب في مصادر ما جاء على افعل كما يقال أقام يمكان فطاب له المقام اذا أريد به الاقامة وقام في موضعه فهو في مقام واسع كما قال جل ثناؤه ان المتقين في مقام أمين من قام يقوم ولو أريد به الاقامة لقرئ ان المتقين في مقام أمين كما قرئ وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق بمعنى الادخال والاخراج ولم يبلغنا عن أحد انه قرأ مدخل ولا مخرج صدق بفتح الميم وأما المدخل الكريم فهو الطيب الحسن المكرم بنقي الآفات والعاهات عنه وبارتفاع الهموم والاحزان ودخول الكدر في عيش من دخله فلذلك سماه الله كريما كما حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وندخلكم مدخلا كريما قال الكريم هو الحسن في الجنة ﴿ القول في تاويل قوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تتشهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وذكر ان ذلك نزل في نساء تمنين منازل الرجال وان يكون لهن مالهم فنهى الله عباده عن الاماني الباطلة وأمرهم أن يسألوه من فضله اذ كانت الاماني تورث أهلها الحسد والبغي بغير الحق ذكر الاخبار بما ذكرنا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يارسول الله لا نعلى الميراث ولا نغزو في سبيل الله فنقتل فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يارسول الله تغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ونزلت ان المسلمين والمسلمات حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض يقول لا يتمنى الرجل يقول ليت ان لي مال فلان وأهله فنهى الله سبحانه عن ذلك ولكن ليسأل الله من فضله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال قول النساء ليتنا رجالا فنغزو ونبلغ ما تبلغ الرجال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قول النساء يتمنين ليتنا رجالا فنغزو ثم ذكر مثل حديث محمد ابن عمرو حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة أي رسول الله أتغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال كان النساء يقلن ليتنا رجال فنجاهد كما تجاهد الرجال ونغزو في سبيل الله فقال الله ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال تمنى مال فلان ومال فلان ولا يدري لعله هلاكه في ذلك المال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة ومجاهد انهما قالا نزلت في أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة وبه قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء قال هو الانسان يقول وددت ان لي مال فلان قال واسألوا الله من فضله وقول النساء ليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما تبلغ الرجال وقال آخرون بل معنى ذلك لا يتمن بعضكم ما خص الله بعضا من منازل الفضل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فان الرجال قالوا نريد أن يكون

عائد الى كل ما نهى الله تعالى عنه من أول السورة وتنكير النار للتعظيم أو للنوع وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو أهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه ﴿ التأويل حرمت عليكم أمهاتكم الآية كلها اشارات الى نهي التعلق ومنع التصرف في الامهات السفليات والمتولدات من أوصاف الانسان وصفات الحيوان ان الله كان غفورا بانواع غفرانه ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس في المحسوسات عند الضرورات بالامر لا بالطبع رحيما بالمؤمنين فيما اضطرهم اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هي الدنيا التي تصرف فيها العلويات الا ما ملكت أيمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا محصنين حرائر من الدنيا وما فيها غير مسافحين في الطلب سياه وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضروريات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ بالطاعة والشكر والذكر ثم ان الله تعالى أحب نزاهة قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما أحب نزاهة فراشه فقال ومن لم يستطع أي من لم يقدر أن يسخر عجوز الدنيا الصالحة بامرها ويجعلها منكوحة له ويحصنها بتصرف شرائع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما فليتصرف في القدر الذي ملكت يمين قلبه من الدنيا ولم تملك قلبه لانها مأمورة بخدمته وهي مؤمنة له بالخدمة كما قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك محصنات بالصدق والاخلاص غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات أخدان من

قال ثنا اسباط عن السدى نكفر عنكم سيئاتكم الصغار حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن الحسن ان ناسا لقوا عبد الله بن عمرو بمصر فقالوا انرى أشياء من كتاب الله أمرا ان يعمل بها الا يعمل بها فاردنا ان نلقى أمير المؤمنين فى ذلك فقدم وقدموا معه فلقيه عمر فقال متى قدمت قال منذ كذا وكذا قال أباذر[٧] قدمت فلا أدرى كيف ردعليه فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا لقونى بمصر فقالوا انا نرى أشياء من كتاب الله تبارك وتعالى أمرا ان نعمل بها الا يعمل بها فاحبوا ان يلقوك فى ذلك فقال اجمعهم لى قال فجمعهم له قال ابن عون أظنه قال فى نهر فاخذ أدناهم رجلا فقال أنشدك بالله وبحق الاسلام عليك أقرأت القرآن كله قال نعم قال فهل أحصيته فى نفسك قال اللهم لا قال ولو قال نعم لخصمه قال فهل أحصيته فى بصرك هل أحصيته فى لفظك هل أحصيته فى أثرك قال ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم قال فشكت عمر أمه أتكلفونه ان يقيم الناس على كتاب الله قد علم ربنا انه سيكون لنا سيئات قال وتلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما هل علم أهل المدينة أو قال هل علم أحد فيما قدمتم قالوا لا قال لو علموا لوعظت بكم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا زياد بن مخراق عن معاوية بن قرة قال أتينا أنس بن مالك فكان فيما ثنا قال لم أر مثل الذى بلغنا عن ربنا لم يخرج له من كل أهل ومال ثم سكت هنيهة ثم قال والله لقد كلفنا ربنا أهون من ذلك لقد تجاوز عما دون الكبائر فاقبلنا ولها ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية انما وعد الله المغفرة لمن اجتنب الكبائر وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا الكبائر وسددوا وأبشروا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود قال فى خمس آيات من سورة النساء لهن أحب الى من الدنيا جميعا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقوله والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو النضر عن صالح المرى عن قتادة عن ابن عباس قال ثمانى آيات نزلت فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما والثالثة يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثم ذكر مثل قول ابن مسعود سواء وزاد فيه ثم أقبل يفسرها فى آخر الآية وكان الله للذين عملوا الذنوب غفورا رحيما وأما قوله وندخلكم مدخلا كريما فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين وندخلكم مدخلا كريما بفتح الميم وكذلك الذى فى الحج لندخلنهم مدخلا يرضونه بمعنى ولندخلنهم مدخلا يدخلون دخولا كريما وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة أن يكون المعنى فى المدخل المكان والموضع لان العرب ربما فتحت الميم من ذلك بهذا المعنى كما قال الراجز

بصبح الحمد حيث تمسى * وقد أنشد فى بعضهم سماعا من العرب

الحمد لله ممسانا ومصبحنا * وبالخير صبحنا ربى ومسانا

وأنشدنى آخر غيره

الحمد لله ممسانا ومصبحنا * لا به من أصبح وأمسى وكذلك تفعل العرب فيما كان من الفعل بناؤه على أربعة تضم ميمه فى مثل هذا بتقول دحرجته فهو مدحرج ثم تحمل ما جاء على فعل يفعل على ذلك لان يفعل من يدخل وان كان على أربعة فان أصله ان يكون على تفعيل يدخل ويخرج فهو نظير يدحرج وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين مدخلا بضم الميم

[٧] قوله أباذر هكذا بالاصل ولا معنى له فليراجع فلعل فيه تحريفا أو جب ذلك اهـ مصححه

عليه وسلم قال كان رجل جرح فقتل نفسه فقال الله بدرنى عبدى بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن أبى هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراح فقيل له يا رسول الله الذى قلت له آنفا انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين أن يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ولكن به جراحا شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر أشهد انى عبد الله ورسوله وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت فى ليلة باردة فى غزوات ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان أهلك فتيممت ثم صليت باصحابى الصبح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وأنت جنب فاخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت انى سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا أنفسكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيأ وقيل معنى الآية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته نهاكم عما يضركم عاجلا وآجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل أنفسكم كما أمر بنى اسرائيل بذلك توبة لهم ونجعل خطاياهم ومن يفعل ذلك يعنى

من أمر الدنيا حدثنا محمد بن مسلم قال ثنى أبو جعفر قال ثنا موسى عن ليث قال فضله فى العبادة ليس من أمر الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا هشام عن ليث عن مجاهد قوله واسألوا الله من فضله قال ليس بعرض الدنيا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا اسباط عن السدى واسألوا الله من فضله يرزقكم الاعمال وهو خير لكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا اسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسمه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب أن يسأل وان من أفضل العبادة انتظار الفرج ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله كان بكل شئ عليما) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الله كان بما يصلح عباده فيما قسم لهم من خير و رفع بعضهم فوق بعض فى الدين والدنيا وبغير ذلك من قضائه وأحكامه فيهم عليما يقول ذا علم ولا تتمنوا غير الذى قضى لكم ولكن عليكم بطاعته والتسليم لامره والرضا بقضائه وبمسئلته من فضله ۞ القول فى تاويل قوله (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) يعنى بذلك جل ثناؤه بقوله ولكل جعلنا موالى ولكلكم أيها الناس جعلنا موالى يقول ورثة من بنى عمه واخوته وسائر عصبته غيرهم والعرب تسمى ابن العم المولى ومنه قول الشاعر

ومولى رميناحوله وهو مدغل * باعواضنا والمذبات سروع

يعنى بذلك وابن العم رميناحوله ومنه قول الاعشى بن عباس

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لا تظهرون لنا ما كان مدفونا

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو اسامة قال ثنا ادريس قال ثنا طلحة بن مطرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولكل جعلنا موالى قال ورثة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان قال الموالى العصبة يعنى الورثة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ولكل جعلنا موالى قال لموالى العصبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن مجاهد قوله ولكل جعلنا موالى قال هم الاولياء حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكل جعلنا موالى يقول عصبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولكل جعلنا موالى قال الموالى أولياء الاب الاخ أو ابن الاخ أو غيرهما من العصبة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولكل جعلنا موالى أما موالى فهم أهل الميراث حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولكل جعلنا موالى قال الموالى العصبة هم كانوا فى الجاهلية الموالى فلما دخلت العجم على العرب لم يتخذوا لهم اسما فقال الله تبارك وتعالى فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فسمى الموالى قال والمولى اليوم مولیان مولى يرث ومولى يورث فمولى ذوو الارحام ومولى يورث ولا يرث فمولى العتاقة وقال ألا ترون قول زكرياء وانى خفت الموالى من ورائى فالموالى هاهنا الورثة يعنى بقوله مما ترك الوالدان والاقربون مما تركه والداه وأقرباؤه من الميراث فتأويل الكلام ولكلكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثون به مما ترك والداه وأقرباؤه من ميراثهم ۞ القول فى تاويل قوله (والذين عاقدت أيمانكم) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم والذين عقدت أيمانكم بمعنى والذين عقدت أيمانكم الحلف بينكم وبينهم وهى قراءة عامة قراء الكوفيين وقرأ ذلك آخرون والذين عاقدت أيمانكم بمعنى والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم الحلف بينكم وبينهم قال أبو جعفر والذى نقول به فى ذلك انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قراءة أمصار المسلمين بمعنى واحد وفى دلالة قوله أيمانكم على انها ايمان العاقدين والمعقود عليهم الحلف مستغنى عن الدلالة على ذلك بقراءة قوله

يصبر عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه أنه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلى كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يغان على قلبه وكان يقول حينئذ كلمينى يا حميراء وكان الشبلى يقول لا معك قرار ولا منك فرار المستغاث بك منك اليك ضعف الانسان سبب كماله وسعادته فساعة يتصف بصفات البهيمة وساعة يتسم بسمات الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء فى الحديث الربانى أنا مالك حى لا أموت أبدا فاطعنى عبدى لعلك تكون ملكا حيا لا تموت أبدا الا أن تكون تجارة أى تجارة تنجيكم من عذاب أليم ولا تقتلوا أنفسكم بصرف أموالكم فى شهواتها فان ذلك سمها القاتل انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الآفات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن أمر الله وظلما على نفسه (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله

لنا من الاجر الضعف على أجر النساء كما لهن في السهام سهمان فنريد أن يكون لنا في الاجر أجران وقالت النساء نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الرجال فانا لا نستطيع ان نقاتل ولو كتب علينا القتال اقاتلنا فانزل الله تعالى ذلك وقال لهم اسألوا الله من فضله رزقكم الاعمال وهو خير لكم حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال نبئت عن الامانى ودلتم على ما هو خير منه واسألوا الله من فضله حدثني المثنى قال ثنا عاصم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال كان محمد اذا سمع الرجل يتمنى في الدنيا قال قد نهاكم الله عن هذا ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وأدلكم على خير منه واسألوا الله من فضله قال أبو جعفر فتأويل الكلام على هذا التأويل ولا تتمنوا أيها الرجال والنساء الذي فضل الله به بعضكم على بعض من منازل الفضل ودرجات الخير وليرض أحدكم بما قسم الله له من نصيب ولكن اسألوا الله من فضله ۞ القول في تأويل قوله (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك للرجال نصيب مما اكتسبوا من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وللنساء نصيب من ذلك مثل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئا ولا الصبي وانما يجعلون الميراث ان يحترف وينفع ويدفع فلما الحق للمرأة نصيبها وللصبي نصيبه وجعل للذكر مثل حظ الانثيين قال النساء لو جعل انصباؤنا في الميراث كانصباء الرجال وقالت الرجال انا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فانزل الله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن نقول المرأة تجزى بحسناتها عشر أمثالها كما يجزى الرجل قال الله تعالى واسألوا الله من فضله حدثني المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثني أبو ليلى قال سمعت أبا جرير يقول لما نزل للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء كذلك جعل لهم نصيبان من الذنوب كما لهم نصيبان من الميراث فانزل الله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني الذنوب واسألوا الله يا معشر النساء من فضله وقال آخرون بل معنى ذلك للرجال نصيب مما اكتسبوا من ميراث موتاهم وللنساء نصيب منهم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني ما تركت الوالدان والاقربون يقول للذكر مثل حظ الانثيين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي اسحق عن عكرمة أو غيره في قوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قال في الميراث كانوا لا يورثون النساء * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية قول من قال معناه للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه مما اكتسبوا فعملوه من خير أو شر وللنساء نصيب مما اكتسبن من ذلك كالرجال وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل الآية من قول من قال تأويله للرجال نصيب من الميراث وللنساء نصيب منه لان الله جل ثناؤه أخبر ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيبا مما اكتسب وليس الميراث مما اكتسبه الوارث وانما هو مال أورثه الله عن ميته بغير اكتساب وانما الكسب العمل والمكتسب المحترف فغير جائز أن يكون معنى الآية وقد قال الله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن للرجال نصيب مما ورثوا وللنساء نصيب مما ورثن لان ذلك لو كان كذلك لقيل للرجال نصيب مما لم يكتسبوا وللنساء نصيب مما لم يكتسبن ۞ القول في تأويل قوله (واسألوا الله من فضله) يعني بذلك جل ثناؤه واسألوا الله من عونه وتوفيقه للعمل بما يرضيه عنكم من طاعته ففضله في هذا الموضع توفيقه ومعونته كما حدثنا محمد بن مسلم الرازي قال ثنا أبو جعفر النفيلي قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن سعيد واسألوا الله من فضله قال العبادة ليست

النفس والهوى فلما أحصن بالاخلاص في العطاء والمنع والاخذ والدفع فان أتين بفاحشة هي غلبات شهواتها على العقل فليذل نصف ما ملكت عينه من الدنيا في الله جناية وغرامة فهي حدها كما أن حد عجوز الدنيا اذا أحصنها ذو والطول من الرجال فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالبذل في الله كما كان حال سليمان عليه السلام اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلاة وأتت بفاحشة حب الخيل وطفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهي وان تصبروا عن التصرف في الدنيا بالكلية خير لكم كما قال صلى الله عليه وسلم لطالب الدنيا لتبرفتركها خير وأبر يريد الله أن يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المؤنة قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي وأخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنزيدهم آياتنا والمعونة هي الجذبة التي توازي عمل الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين أو أدنى ولامته التقرب لا زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحببته والفرق بين النبي والولي ان النبي مستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وتسليكه وخلق الانسان ضعيفا ولهذا أعين بالخدمة حتى يتصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان لسعيهم الى الابد وضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله والافهو أقوى في جنب الهائمة من سائر المخلوقات وأيضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر

يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين عاقدت أيمانكم كان الرجل يتبع الرجل فيعاقده ان مت فلك مثل ما يرث بعض ولدي وهذا منسوخ حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم فان الرجل في الجاهلية قد كان يلحق به الرجل فيكون تابعه فاذا مات الرجل صار لاهله وأقارب به الميراث وبقي تابعا ليس له شئ فانزل الله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم فكان يعطى من ميراثه فانزل الله بعد ذلك وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار فكان بعضهم يرث بعضا بتلك المؤاخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض بقوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ذكر من قال ذلك حدثنا ابو كريب قال ثنا أبو اسامة قال ثنا ادريس بن يزيد قال ثنا طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة تورث الانصار دون ذوي رحمهم للاخوة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية ولكل جعلنا موالي نسخت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين عاقدت أيمانكم الذين عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتوهم نصيبهم اذا لم يترحم يحول بينهم قال هؤلاء لا يكون اليوم انما كان في نفر آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع ذلك ولا يكون هذا لاحد الا للنبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بين المهاجرين والانصار واليوم لا يؤاخي بين أحد * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في أهل العقد بالحلف ولكنهم أمروا أن يأتي بعضهم بعضا انصباءهم من النصرة والنصيحة وما أشبه ذلك دون الميراث ذكر من قال ذلك حدثنا ابو كريب قال ثنا أبو اسامة قال ثنا ادريس الاودي قال ثنا طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة ويوصي لهم وقد طرأ الميراث حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد والذين عقدت أيمانكم قال كان حلف في الجاهلية فامروا في الاسلام أن يعطوهم نصيبهم من العقل والنصرة والمشورة ولا ميراث حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من العون والنصر والحلف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد في قول الله والذين عاقدت أيمانكم قال كان هذا حلفا في الجاهلية فلما كان الاسلام أمروا أن يأتوهم نصيبهم من النصر والولاء والمشورة ولا ميراث حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج قال أبن جريج والذين عاقدت أيمانكم أخبرني عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول هو الحلف عقدت أيمانكم قال وآتوهم نصيبهم قال النصر حدثني زكريا قال ثنا حجاج قال ابن جريج أخبرني عطاء قال هو الحلف قال فآتوهم نصيبهم قال العقل والنصر حدثني محمد بن محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله والذين عاقدت أيمانكم قال لهم نصيبهم من النصر والرفادة والعقل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد والذين عاقدت أيمانكم قال هم الحلفاء حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا عباد بن العوام عن خصيف عن عكرمة مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم اما عقدت أيمانكم فالحلف كان الرجل في الجاهلية ينزل في القوم فيحالفونه على انه منهم يواسونه بانفسهم واذا كان لهم حق أو قتال كان منهم واذا كان له حق أو نصرة خذلوه

كبيرا ٥ من أهلها ج لان ان الشرط مع اتحاد الكلام بينهما ط خبيرا ٥ وابن السبيل ط للعطف أيمانكم ط فخورا ٥ لابتداء على ان الذين بدل من فضله ط مهينا ٥ ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والعطف باليوم الآخر ط وان جعل الذين مبتدأ لان خبره محذوف أي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا ٥ ورزقهم الله ط عليما ٥ ذرة ط لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى أي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعفه عظيما ٥ * التفسير هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شئ عصى الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام أو جاحدا فريضة أو منكر القدر وضعف بان الذنوب لو كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر وبقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وبانه صلى الله عليه وسلم نص على ذنوب باعيانها انها كبائر وبقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر العصيان بحجة المانع روى عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصى فيه ولجلالته ولا شك ان نعمه تعالى غير متناهية وانه أجل الموجودات فيكون عصيانه كبيرا وهو رد

بانه أرحم الراحمين وأغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب

كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

عقدت عاقدت وذلك ان الذين قرؤا ذلك عاقدت قالوا لا يكون عقد الحلف الا من فريقين ولا بد لنا من دلالة في الكلام على أن ذلك كذلك وأغفلوا موضع دلالة قوله أيمانكم على أن معنى ذلك أيمانكم وأيمان المعقود عليهم وان العقد انما هو صفة للايمان دون العاقدين الحلف حتى زعم بعضهم أن ذلك اذا قرئ عقدت أيمانكم فالكلام محتاج الى ضمير صفة هي الكلام حتى يكون الكلام معناه والذين عقدت لهم أيمانكم فذهبا منه على الوجه الذي قلنا في ذلك من أن الايمان معنى مراد بالفريقين وأما عاقدت أيمانكم فانه في تأويل غاقدت ايمان هؤلاء الحلف فهما متقاربان في المعنى وان كانت قراءة من قرأ ذلك عقدت أيمانكم بغير ألف أصح معنى من قراءة من قرأ عاقدت للذي ذكرنا من الدلالة على المعنية في صفة الايمان بالعقد على انها ايمان الفريقين من الدلالة على ذلك بغيره وأما معنى قوله عقدت أيمانكم فانه وصلت وشدت ووكدت أيمانكم يعني مواثيقكم التي واثق بعضهم بعضا فآتوهم نصيبهم ثم اختلف أهل التأويل في معنى النصيب الذي أمر الله أهل الحلف أن يؤتي بعضهم بعضا في الاسلام فقال بعضهم هو نصيبه من الميراث لانهم في الجاهلية كانوا يتوارثون فأوجب الله في الاسلام من بعضهم لبعض بذلك الحلف وبمثله في الاسلام من المواريث مثل الذي كان لهم في الجاهلية ثم نسخ ذلك بما فرض من الفرائض لذوي الارحام والقرابات ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري في قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا قال كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ الله ذلك في الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قول الله والذين عاقدت أيمانكم قال كان الرجل يعاقد الرجل فيرثه وعاقد أبو بكر رضي الله عنه مولى فورثه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم فكان الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر فأنزل الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن توصوا لاوليائهم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت وذلك هو المعروف حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول دمي دون دمك وهدمي هدمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك فجعل له السدس من جميع المال ثم يقتسم أهل الميراث ميراثهم فنسخ ذلك بعد في سورة الانفال فقال الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والذين عاقدت أيمانكم قال كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك فلما جاء الاسلام بقي منهم ناس فأمروا أن يأتوهم نصيبهم من الميراث وهو السدس ثم نسخ ذلك بالميراث فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا همام بن يحيى قال سمعت قتادة يقول في قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وذلك أن الرجل كان يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول هدمي هدمك ودمي دمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك فجعل له السدس من جميع المال ثم يقتسم أهل الميراث ميراثهم فنسخ ذلك بعد في الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم فصارت المواريث لذوي الارحام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال هذا حلف كان في الجاهلية الرجل يقول للرجل ترثني وأرثك وتنصرني وأنصرك وتعقل عني وأعقل عنك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ

ط عليما ٥ والاقربون ط بناء على ان ما بعده مبتدأ نصيبهم ط يقول

حلف الطيبين وأنا غلام مع عمومتي فما أحب أن لي حمر النعم وانى أنكثه زاد يعقوب في حديثه عن ابن عيينة قال وقال الزهري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصب الاسلام حلفا الا زاده شدة قال ولا حلف في الاسلام قال وقد ألف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار **حدثنا** تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال ثنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قام خطيبا في الناس فقال يا أيها الناس ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا حلف في الاسلام **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا سليمان بن بلال قال ثنا عبد الرحمن بن الحرث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فاذ كان ماذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا اذ كانت الآية اذا اختلف في حكمها منسوخ هي أم غير منسوخ غير جائز القضاء عليه بانه منسوخ مع اختلاف المختلفين فيه ولوجوب حكمها ونفي النسخ عنها وجه صحيح الا بحجة يجب التسليم لها ما قد بينا في غير موضع من كتبنا الدلالة على صحة القول بذلك فالواجب أن يكون الصحيح من القول في تاويل قوله والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم هو ماذكرنا من التأويل وهو أن قوله عقدت أيمانكم من الحلف وقوله فآتوهم نصيبهم من النصرة والمعونة والنصيحة والرأي على ما أمر به من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاخبار التي ذكرناها عنه دون قول من قال معنى قوله فآتوهم نصيبهم من الميراث وأن ذلك كان حكما ثم نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله دون ماسوى القول الذي قلناه في تاويل ذلك وان صح ما قلنا في ذلك وجب أن تكون الآية محكمة لا منسوخة ۞ القول في تاويل قوله (ان الله كان على كل شئ شهيدا) يعني بذلك جل ثناؤه فآتوا الذين عقدت أيمانكم نصيبهم من النصرة والنصيحة والرأي فان الله شاهد على ما تفعلون من ذلك وعلى غيره من أفعالكم مراع لكل ذلك حافظ حتى يجازي جميعكم على جميع ذلك جزاءه أما المحسن منكم المتبع أمري وطاعتي فبالحسنى وأما المسئ منكم المخالف أمري ونهيي فبالسوأى ومعنى قوله شهيدا ذو شهادة على ذلك ۞ القول في تاويل قوله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) يعني بذلك جل ثناؤه الرجال قوامون على النساء الرجال أهل قيام على نسائهم في تاديبهن والاخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولانفسهم بما فضل الله بعضهم على بعض يعني بما فضل الله به الرجال على أزواجهم من سوقهم اليهن مهورهن وانفاقهم عليهن أموالهم وكفايتهم اياهن مؤنهن وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى اياهم عليهن ولذلك صاروا قواما عليهن نافذي الامر عليهن فيما جعل الله اليهم من أمورهن وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله الرجال قوامون على النساء يعني أمراء عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته وطاعته أن تكون محسنة الى أهله حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعيه **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض يقول الرجل قائم على المرأة يامرها بطاعة الله فان أبت فله أن يضربها ضربا غير مبرح وله عليها الفضل بنفقته وسعيه **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي الرجال قوامون على النساء قال يأخذون على أيديهن ويؤدبونهن **حدثني** المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول بما فضل الله بعضهم على بعض قال بتفضيل الله الرجال على النساء وذكر أن هذه الآية نزلت في رجل لطم امرأته فخوصم الى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقضى لها بالقصاص

صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من أن يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر أنه عد منها استحلال آمين البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة القنوط من رحمة الله والامن من مكره وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة وأما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص أو كتاب أو سنة وقيل كل جريرة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر أو الاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج أبو القاسم الكعبي بالآية على القطع بوعيد أهل الكبائر لانها تدل على أنه اذا لم يجتنب الكبائر فلا تكفر عنه والجواب عنه ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي

ائتمن أمانته وأداء الامانة واجب أمنه أولم يامنه سلمنا ان الآية ترجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته فغايته أنه يكون عاما في

وان سلم ان الذنوب كلها كبائر من حيث انها ذنوب ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت واذ قد عرفت ان الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها أو باعتبار فاعلها ذهب الى كل واحد طائفة فمن الاولين من قال وروى عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى وأكل مال اليتيم وغيرها وزيف بانه لا ذنب الا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود ان الكبائر هي ما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور أيضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبير ورد بانه ان أراد بالعمد أنه ليس بساه قاصد له فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد أبطلناه وان أراد بالعمد أن يفعل المعصية مع العلم بانها معصية فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق وأما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فوجهه ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا أنه غير ممكن بحسب السمع والا لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح أحدهما ويلزم حينئذ الاحباط والتكفير والحق في هذه المسئلة وعليه الاكثرون بعد ما مر من اثبات قسمة الذنب الى الكبير والصغير انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر

فلما جاءه الاسلام سألوا عنه وأبى الله الا أن يشدده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزده الاسلام الحلفاء الا شدة * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية فامروا في الاسلام أن يوصوا لهم عند الموت وصية ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال ثني سعيد بن المسيب ان الله قال ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم قال سعيد بن المسيب فانما نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالا غير أبنائهم ويورثونهم فانزل الله فيهم فجعل لهم نصيبا في الوصية ورد الميراث الى الموالي في ذوي الرحم والعصبة وأبى الله للمدعين ميراثا ممن ادعاهم وتبناهم ولكن الله جعل لهم نصيبا في الوصية * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في تأويل قوله والذين عقدت أيمانكم قول من قال والذين عقدت أيمانكم على الحالفة وهم الحلفاء وذلك انه معلوم عند جميع أهل العلم بايام العرب وأخبارها ان عقد الحلف بينها كان يكون بالايمان والعهود والمواثيق على نحو ما قد ذكرنا من الرواية في ذلك فاذ كان الله جل ثناؤه انما وصف الذين عقدت أيمانهم ما عقدوه بها بينهم دون من لم يعقد عقدا بينهم أيمانهم وكانت مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين من آخى بينه وبينهم من المهاجرين والانصار بينهم بايمانهم وكذلك التبني كان معلوما أن الصواب من القول في ذلك قول من قال هو الحلف دون غيره لما وصفنا من العلة وأما قوله فآتوهم نصيبهم فان أولى التأويلين به ما عليه الجميع مجمعون في حكمه الثابت وذلك ايتاء أهل الحلف الذي كان في الجاهلية دون الاسلام بعضهم بعضا انصباءهم من النصرة والنصيحة والرأي دون الميراث وذلك لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الاسلام الا شدة حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا وكيع عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل بن يونس عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزده الاسلام الا شدة وما يسرني أن لي حمر النعم وانى نقضت الحلف الذي كان في دار الندوة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبيه عن شعبة بن العوام الضبي أن قيس بن عاصم سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف فقال لا حلف في الاسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن أبيه عن شعبة بن العوام عن قيس بن عاصم انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف قال فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الاسلام حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن داود بن أبي عبد الله عن ابن جدعان عمن حدثه عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا حسين المعلم وحدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا حسين المعلم وحدثنا حاتم بن بكر الضبي قال ثنا عبد الاعلى بن حسين المعلم قال ثنا أبي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة فوا بحلف فانه لا يزيده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام حدثنا أبو كريب وعبيدة بن عبد الله الصفار قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا زكريا بن أبي زائدة قال ثني سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة حدثنا حميد بن مسعدة ومحمد بن عبد الاعلى قالا ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهدت

---

٧ هكذا بالاصل ولعله لم تكن بينهم بايمانهم اه مصححه

ثنا سعيد عن قتادة حافظات لما استودعهن الله من حقه وحافظات لغيب أزواجهن
حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى حافظات للغيب بما حفظ الله
يقول تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع كما أمرها الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله حافظات للغيب قال حافظات للزوج حدثنى زكريا
ابن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج سألت عطاء عن حافظات للغيب قال حافظات
للازواج حدثنى المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان
يقول حافظات للغيب حافظات لازواجهن لما غاب من شأنهن حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا
أبو معشر قال ثنا سعيد عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى نفسها
ومالها قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية الرجال قوامون على النساء الآية قال أبو جعفر
وهذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على صحة ما قلنا فى تأويل ذلك وان معناه صالحات
فى أديانهن مطيعات لازواجهن حافظات لهم فى أنفسهن وأموالهم وأما قوله بما حفظ الله فان القراء
اختلفت فى قراءته فقرأته عامة القراء فى جميع أمصار الاسلام بما حفظ الله برفع اسم الله على معنى
بحفظ الله اياهن اذ صيرهن كذلك كما حدثنى زكريا ابن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال
قال ابن جريج سألت عطاء عن قوله بما حفظ الله قال يقول حفظهن الله حدثنى المثنى قال ثنا
حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله بما حفظ الله قال بحفظ الله
اياها انه جعلها كذلك وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى بما حفظ الله يعنى حفظهن الله
فى طاعته وأداء حقه بما أمرهن من حفظ غيب أزواجهن كقول الرجل للرجل ما حفظت الله فى كذا
وكذا بمعنى راقبته ولاحظته قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين من
القراءة مجيأ يقطع عذر من بلغه وثبت عليه حجته دون ما انفرد به أبو جعفر فشذ عنهم وتلك القراءة برفع
اسم الله تبارك وتعالى بما حفظ الله مع صحة ذلك فى العربية وكلام العرب وقبح نصبه فى العربية
لخروجه عن المعروف من منطق العرب وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر من أجل أن
الفاعل اذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب معروف وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من
الكلام عليه من ذكره ومعناه فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله فاحسنوا اليهن
وأصلحوا وكذلك فيما ذكر فى قراءة ابن مسعود حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد
الرحمن بن أبى حماد قال ثنا عيسى الاعمى عن طلحة بن مصرف قال فى قراءة عبد الله فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتى تخافون نشوزهن حدثنا محمد بن
الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما
حفظ الله فاحسنوا اليهن حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن
صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله فاصلحوا
اليهن حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن
ابن عباس قوله فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله يعنى اذا كن هكذا فاصلحوا اليهن

﴿ القول فى تأويل قوله (واللاتى تخافون نشوزهن) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله واللاتى
تخافون نشوزهن فقال بعضهم معناه واللاتى تعلمون نشوزهن ووجه صرف الخوف فى هذا الموضع
الى العلم فى قول هؤلاء نظير صرف الظن الى العلم لتقارب معنييهما اذ كان الظن شكا وكان الخوف
مقرونا برجاء وكانا جميعا من فعلى المرء بقلبه كما قال الشاعر

ولا تدفنني فى الفلاة فانني * أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

ولا يذكرنا فنزلت الآية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم ان للعامل منكم أجر الصائم القائم واذا ضرب بها الطلق

والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفائدة فى الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض وفى الكلمات القدسية من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليخرج من أرضى وسمائى وليطلب ربا سوائى قال المحققون لا يجوز للانسان أن يقول اللهم اعطنى دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغى أن يقول اللهم اعطنى ما يكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى ومعاشى وعن الحسن لا يتمن أحد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال أما سبب النزول فعن مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدى لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء فى الآخرة كما فضلنا فى الميراث وقالت النساء نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال وفى رواية قلن نحن أحوج لان ضعفاءهم أقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل أتت وافدة النساء الى الرسول وقالت رب الرجال والنساء واحد وأنت الرسول الينا والهمم وأبونا آدم وأمنا حواء فما السبب فى أن الله يذكر الرجال

التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شئ بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب أيضا كبيرة ويدخلكم مدخلا كفتح الميم أراد مكان الدخول ومن ضمها أراد الادخال ووصفه بالكرم اشعار بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال أهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أو هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما أمرهم بتهذيب أعمال الجوارح وهو أن لا يقدموا على أكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن أو نقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضا بالقضاء وتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليتني كذا وقال أهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو أراد من الكافر أن يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق أو عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا بالخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا

ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن ان رجلا لطم امرأته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فاراد أن يقصها منه فانزل الله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه وقال أردت أمرا وأراد الله غيره حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ذكر لنا ان رجلا لطم امرأته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الرجال قوامون على النساء قال صك رجل امرأته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فاراد ان يقيدها منه فانزل الله الرجال قوامون على النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن جرير بن حازم عن الحسن ان رجلا من الانصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص فنزلت ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ونزلت الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لطم رجل امرأته فاراد النبي صلى الله عليه وسلم القصاص فبينما هم كذلك نزلت الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما الرجال قوامون على النساء فان رجلا من الانصار كان بينه وبين امرأته كلام فلطمها فانطلق أهلها فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم الرجال قوامون على النساء الآية وكان الزهري يقول ليس بين الرجل وامرأته قصاص فيما دون النفس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر سمعت الزهري يقول لو ان رجلا شج امرأته أو جرحها لم يكن عليه في ذلك قود وكان عليه العقل الا ان يعدو عليها فيقتلها فيقتل بها وأما قوله وبما أنفقوا من أموالهم فانه يعني وبما ساقوا اليهن من صداق وأنفقوا عليهن من نفقة كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال فضله عليها بنفقته وسعيه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك مثله حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول وبما أنفقوا من أموالهم بما ساقوا من المهر فتاويل الكلام اذا الرجال قوامون على نسائهم بتفضيل الله اياهم عليهن وبانفاقهم عليهن من أموالهم وما التي في قوله بما فضل الله والتي في قوله وبما أنفقوا في معنى المصدر ۞ القول في تاويل قوله (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) يعني بقوله جل ثناؤه فالصالحات المستقيمات الدين العاملات بالخير كما حدثني المثنى قال ثنا حبان ابن موسى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال سمعت سفيان يقول فالصالحات يعملن بالخير وقوله قانتات يعني مطيعات لله ولازواجهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قانتات قال مطيعات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قانتات قال مطيعات حدثني علي عن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قانتات مطيعات حدثنا الحسن بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قانتات أي مطيعات لله ولازواجهن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال مطيعات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي القانتات المطيعات حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول في قوله قانتات قال مطيعات لازواجهن وقد بينا معنى القنوت فيما مضى وانه الطاعة ودللنا على صحة ذلك من الشواهد بما أغنى عن اعادته وأما قوله حافظات للغيب فانه يعني حافظات لانفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن في فروجهن وأموالهم والواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال

تقبل فليهجرها فى المضجع يقول ترقد عنها ويولها ظهره ويطؤها ولا يكلمها هكذا فى كتابى ويطؤها ولا يكلمها حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله واهجروهن فى المضاجع قال يضاجعها ويهجر كلامها ويولها ظهره حدثنى المثنى قال ثنا حبان ابن موسى قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واهجروهن فى المضاجع قال لا يجامعها وقال آخرون بل معنى ذلك واهجروهن واهجروا كلامهن فى تركهن مضاجعتكم حتى يرجعن الى مضاجعتكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن أبى الضحى عن ابن عباس فى قوله واهجروهن فى المضاجع انما الترك فى الكلام ولكن الهجران فى أمر المضجع حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير واهجروهن فى المضاجع يقول حتى يأتين مضاجعكم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير واهجروهن فى المضاجع فى الجماع حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس واهجروهن فى المضاجع قال يعظها فان هى قبلت والا هجرها فى المضجع ولا يكلمها من غير ان يذر نكاحها وذلك عليها شديد حدثنى المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا شريك عن خصيف عن عكرمة واهجروهن فى المضاجع الكلام والحديث ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن زريق الطهوى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن منصور عن مجاهد فى قوله واهجروهن فى المضاجع قال لا تضاجعوهن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال الهجران ألا يضاجعها وبه قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر وابراهيم قالا الهجران فى المضجع أن لا يضاجعها على فراش حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم والشعبى انهما قالا فى قوله واهجروهن فى المضاجع قالا يهجر مضاجعتها حتى ترجع الى ما يحب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم والشعبى انهما كانا يقولان واهجروهن فى المضاجع قال يهجرها فى المضجع حدثنا المثنى قال ثنا حبان قال ثنا ابن المبارك قال ثنا شريك عن خصيف عن مقسم واهجروهن فى المضاجع قال هجرها فى مضجعها أن لا يقرب فراشها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى قال اهجروهن فى المضاجع قال يعظها بلسانه فان اعتبت فلا سبيل له عليها وان أبت هجر مضجعها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله فعظوهن واهجروهن قالا اذا خاف نشوزها وعظها فان قبلت والا هجر مضجعها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واهجروهن فى المضاجع قال تبدأ يا ابن آدم فتعظها فان أبت عليك فاهجرها يعنى به فراشها وقال آخرون معنى قوله واهجروهن فى المضاجع قولوا لهن من القول هجرا فى تركهن مضاجعتكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله واهجروهن فى المضاجع قال يهجرها بلسانه ويغلظ لها بالقول ولا يدع جماعها وبه قال أخبرنا الثورى عن خصيف عن عكرمة قال انما الهجران بالمنطق ان يغلظ لها وليس بالجماع حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن أبى الضحى فى قوله واهجروهن فى المضاجع قال يهجر بالقول ولا يهجر مضاجعتها حتى ترجع الى ما يريد حدثنى المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن رجل عن الحسن قال لا يهجرها الا فى البيت فى المضجع ليس له ان يهجر فى كلام ولا شئ الا فى الفراش حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى يعلى

الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا بين ميراث الزوج والزوجة بعد ميراث الولد والوالدين كما فى قوله يوصيكم الله قاله أبو مسلم وقيل المراد

اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنه المولى للناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ومنها العصبة وهو المراد فى الآية اذ هو الا ليق بها كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالى العصبة ومن ترك كلا فانا وليه أما قوله والذين عقدت أيمانكم فاما أن يكون مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع قوله فآتوهم خبره واما أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضرب به مما توسط الغاء بين الفعل ومفعوله مفسره ايذانا بتلازمهما واما أن يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع اليمين اليد أو الحلف ومن الناس من قال الآية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمى هدمك أى ما يهدر وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وارثك وتطلب بى واطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وبقوله يوصيكم الله وأيضا ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا أجنبيا ابنا له وهم الادعياء وكان النبى صلى الله عليه وسلم يؤاخى بين كل رجلين منهم فكانوا يرثون بالتبنى والمؤاخاة فنسخ ومن المفسرين من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت أيمانكم فله وارث هو أولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث فيكون الضمير فى فآتوهم للموالى قاله أبو على الجبائى أو المراد بالذين عاقدت

لم يذر أحدهما لهما من الاجرفان أرضعت كلا لها بكل مصة أحراحياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الآخرة فينبغي أن يرضوا بما قسم لهم وكذا للنساء أو لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي أن يضيعه بسبب الحسد المذموم وتخصيصه لا تضيع مالك بتمني مالغيرك أو للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة أزواجهن والقيام بصالح البيت واسئلوا الله من فضله فعنده من ذخائر الانعام مالا ينفده مطالب الانام ومن للتبعيض أي شيا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شئ عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك أقرب الى الادب وأوفق للطالب قوله سبحانه وتعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان مورثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل وأما على الثاني فلما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي ولكل شئ مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي أي ورثة واما أن يكون جعلنا مو الى صفة لكل بل لمحذوف والعائد محذوف وكذا المبتدأ والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمته في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمي الطالب تقبل

معناه فانني أعلم وكما قال الآخر أتاني كلام عن نصيب يقوله * وما خفت يا سلام انك عاتبي بمعنى وما ظننت وقال جماعة من أهل التأويل معنى الخوف في هذا الموضع الخوف الذي هو خلاف الرجاء قالوا ومعنى ذلك اذا رأيتم منهن ما تخافون أن ينشزن عليكم من نظر الى ما لا ينبغي لهن أن ينظرن اليه ويدخلن ويخرجن واستبريتم بأمرهن فعظوهن واهجروهن وممن قال ذلك محمد بن كعب وأما قوله تعالى نشوزهن فانه يعني استعلاءهن على أزواجهن وارتفاعهن عن فرشهم بالمعصية منهن وانخلاف عليهم فيما لزمهن طاعتهم فيه بغضا منهم واعراضا عنهم وأصل النشوز الارتفاع ومنه قيل للمكان المرتفع من الارض نشز ونشار فعظوهن يقول ذكروهن الله وخوفوهن وعيده في ركوبهما حرم الله عليها من معصيته زوجها فيما أوجب عليها طاعته فيه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال النشوز البغض ومعصية الزوج حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واللاتي تخافون نشوزهن قال بغضهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللاتي تخافون نشوزهن قال التي تخاف معصيتها قال النشوز معصيته وخلافه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللاتي تخافون نشوزهن قيل المرأة تنشز وتستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا روح قال ثنا ابن جريج قال قال عطاء النشوز أن تحب فراقه والرجل كذلك ذكر الرواية عمن قال ما قلنا في قوله فعظوهن حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فعظوهن يعني عظوهن بكتاب الله قال أمره الله اذا نشزت أن يعظها ويذكرها الله ويعظم حقه عليها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن قال اذا نشزت المرأة عن فراش زوجها يقول لها اتقي الله وارجعي الى فراشك فان أطاعته فلا سبيل عليها حدثني المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن قال اذا نشزت المرأة على زوجها فليعظها بلسانه يقول يأمرها بتقوى الله وطاعته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب القرظي قال اذا رأى الرجل تقصيرها في حقه في مدخلها ومخرجها قال يقول لها بلسانه قد رأيت منك كذا وكذا فانتهي فان اعتبت فلا سبيل له عليها وان أبت هجر مضجعها حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فعظوهن قال اذا نشزت المرأة عن فراش زوجها فانه يقول لها اتقي الله وارجعي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عطاء فعظوهن قال بالكلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فعظوهن قال بالالسنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير فعظوهن قال عظوهن باللسان ۞ القول في تأويل قوله (واهجروهن في المضاجع) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فعظوهن في نشوزهن عليكم أيها الازواج فان أبين مراجعة الحق في ذلك والواجب عليهن لكم فاهجروهن بترك جماعهن في مضاجعكم اياهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فعظوهن واهجروهن في المضاجع يعني عظوهن فان أطعنكم والا فاهجروهن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واهجروهن في المضاجع يعني بالهجران أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الهجر هجر الجماع حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما تخافون نشوزهن فان على زوجها أن يعظها فان لم

المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحسن قال اذا نشزت المرأة على زوجها فليعظها بلسانه فان قبلت ذلك والا ضربها ضربا غير مبرح فان وجعت فذاك والا فقد حل له ان يأخذ منها ويطيها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله بن أبي الضحى عن ابن عباس في قوله واهجروهن في المضاجع واضربوهن قال يفعل بها ذلك و يضربها حتى تطيعه في المضاجع فاذا أصبحته فليس له عليها سبيل اذا ضاجعته حدثني المثنى قال ثنا حبان قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا يحيى بن بشر أنه سمع عكرمة يقول في قوله واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوهن اذا عصينكم في المعروف ضربا غير مبرح * قال أبو جعفر فكل هؤلاء الذين ذكرنا قولهم لم يوجبوا الهجر معنى غير الضرب ولم يوجبوا الهجر اذا كان هيئة من الهيئات التي تكون بها المضاجعة مع دلالة الخبر الذي رواه عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر بضربهن اذا عصين أزواجهن في المعروف من غير أمر منه أزواجهن بهجرهن لما وصفنا من العلة فان ظن ظان ان الذي قلنا في تأويل الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عكرمة ليس كما قلنا وصح ان ترك النبي صلى الله عليه وسلم أمر الرجل بهجر زوجته اذا عصته في المعروف وأمره بضربها قبل الهجر لو كان دليلا على صحة ما قلنا من أن معنى الهجر هو ما بيناه لوجب أن يكون لا معنى لامر الله زوجها ان يعظها اذا هي نشزت اذ كان لا ذكر للعظة في خبر عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان الامر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك ان قوله صلى الله عليه وسلم اذا عصينكم في المعروف دلالة بينة أنه لم يبح للرجل ضرب زوجته الا بعد عظتها من نشوزها وذلك أنه لا تكون له عاصية الا وقد تقدم منه لها أمر او عظة بالمعروف على ما أمر الله تعالى ذكره به * القول في تأويل قوله (واضربوهن) يعني بذلك جل ثناؤه فعظوهن أيها الرجال في نشوزهن فان أبين الاياب الى ما يلزمهن لكم فشدوهن وثاقا في منازلهن واضربوهن ليؤبن الى الواجب عليهن من طاعة الله في اللازم لهن من حقوقكم وقال أهل التأويل صفة الضرب التي أباح الله لزوج الناشزات بضربها الضرب غير المبرح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير واضربوهن قال ضربا غير مبرح حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال أخبرنا أبو حمزة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال الضرب غير مبرح حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فاضربوهن قال ضربا غير مبرح حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واهجروهن في المضاجع واضربوهن قال تهجرها في المضجع فان أقبلت والا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربا غير مبرح ولا تكسر لها عظما فان أقبلت والا فقد حل لك منها الفدية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله واضربوهن قال ضربا غير مبرح وبه قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء واضربوهن قال ضربا غير مبرح حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة واهجروهن في المضاجع واضربوهن قال يهجرها في المضجع فان أبت عليك فاضربها ضربا غير مبرح أي غير شائن حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء قال قلت لابن عباس الضرب غير المبرح قال السواك ونحوه يضربها به حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء قال قلت لابن عباس الضرب غير المبرح قال بالسواك ونحوه حدثنا المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته ضربا غير مبرح قال

في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه والحالة تحمل الدية في القتل الخطأ والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج والهم الانتساب وكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما أنفقوا أي أخرجوا في نكاحهن من أموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد ابن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت آية القصاص فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني وانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل وأما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين فوصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله أو للزوج حافظات للغيب قائمات بحقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومواجب حفظ غيبة الزوج ان تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره

وان تحفظ أسراره عن الافشاء وماله عن الضياع وميزانها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن

عن سفيان في قوله واهجروهن في المضاجع قال في مجامعتها ولكن يقول الله تعالى وافعلي كلا ما فيه غلظة فاذا فعلت ذلك فلا يكلفها ان تحبه فان قلبها ليس في يديها ولا معنى للهجر في كلام العرب الا على أحد ثلاثة أوجه أحدها هجر الرجل كلام المرأة وحديثه وذلك رفضه وتركه يقال منه هجر فلان أهله يهجرها هجرا وهجرانا والآخر الاكثار من الكلام بترديد كهيئة كلام الهازئ يقال منه هجر فلان في كلامه يهجر هجرا اذا هزئ ومد د الكلمة وما زالت تلك هجيراه وهجيراه ومنه قول ذي الرمة ربي فأخطأ والاقدار غالبة * فالضغن والويل هجيراه والحرب

والثالث هجر البعير اذا ربطه صاحبه بالهجار وهو حبل يربط في حقويها ورسغها ومنه قول امرئ القيس وأتهالكا يخاف الغبيط * فكادت تجد لذاك الهجارا

فاما القول الذي فيه الغلظة والاذى فانما هو الاهجار ويقال منه اهجر فلان في منطقه اذا قال الهجر وهو الفحش من الكلام يهجر اهجارا وهجرا فاذ كان لا وجه للهجر في الكلام الا أحد المعاني الثلاثة وكانت المرأة انما تخوف نشوزها انما أمر زوجها بوعظها والتنيب الى طاعته فيما يجب عليها له من موافاته عند دعائه اياها الى فراشه فغير جائز ان تكون عظة لذلك ثم تصير المرأة الى أمر الله وطاعة زوجها في ذلك ثم يكون الزوج مأمورا بهجرها في الامر الذي كانت عظته اياها عليه واذا كان ذلك كذلك بطل قول من قال معنى قوله واهجروهن في المضاجع واهجروا جماعهن أو يكون اذ بطل هذا المعنى فمعنى واهجروا كلامهن بسبب هجرهن مضاجعكم وذلك أيضا لا وجه له مفهوم لان الله تعالى ذكره قد أخبر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم انه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث على ان ذلك لو كان حلالا لم يكن لهجرها في الكلام معنى مفهوم لانها اذا كانت عنه منصرفة وعليه ناشزا في سرورها أن لا يكلمها ولا يراها ولا تراه فكيف يؤمر الرجل في حال بغض امرأته اياه وانصرافها عنه بترك ما في تركه سرورها من ترك جماعها ومجاذبتها وتكليمها وهو يؤمر بضربها الترتدع عما هي عليه من ترك طاعته اذا دعاها الى فراشه وغير ذلك مما يلزمها طاعته فيه أو يكون اذ فسد هذان الوجهان يكون معنا مواهجروا في قولكم لهم بمعنى ردد واعاهن كلامكم اذا كلمتموهن بالتغليظ لهن فان كان ذلك معناه فلا وجه لاعمال الهجر في كناية أسماء النساء الناشزات أعني في الهاء والنون من قوله واهجروهن لانه اذا أريد به ذلك المعنى كان الفعل غير واقع انما يقال هجر فلان في كلامه ولا يقال هجر فلان فلانا فاذا كان في كل هذه المعاني ما ذكرنا من الخلل اللاحق فاولى الاقوال بالصواب في ذلك ان يكون قوله واهجروهن موجها معناه الى معنى الربط بالهجار على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير اذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا هجره فهو يهجر هجرا واذا كان ذلك معناه كان تاويل الكلام واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن في نشوزهن عليكم فان اتعظن فلا سبيل لكم عليهن وان أبين الاوبة من نشوزهن فاستوثقوا منهن رباطا في مضاجعهن يعني في منازلهن وبيوتهن التي يضطجعن فيها ويضاجعن فيها أزواجهن كما حدثني عباس بن أبي طالب قال ثنا يحيى بن أبي بكير عن شبل قال سمعت أبا قزعة يحدث عن عمرو بن دينار عن حكيم بن معاوية عن أبيه انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حق زوجة أحدنا عليه قال يطعمها ويكسوها ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر الا في البيت حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا يزيد عن شعبة بن الحجاج عن أبي قزعة عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا بهز بن حكيم عن جده قال قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر قال حرثك فأت حرثك أنى شئت غير ان لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وأطعم اذا طعمت واكس اذا اكتسيت كيف وقد أفضى بعضكم الى بعض الايما حل عليها وبنحو الذي قلنا في تاويل ذلك قال عدة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني

الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بايتاء نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشئ القليل كقوله واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى أنه لا ارث للمولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد أنه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا أعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا العتيق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على أن المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلام لفقره وقال أبو حنيفة لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الاقطع ان هذه الموالاة لا تصح عند أبي حنيفة أيضا الا بين العرب دون العجم لرخاوة عقدهم في أمورهم ان الله كان على كل شئ شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فشهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الآية ما يشتمل على بعض أسباب التفضيل فقال الرجال قوامون يقال هذا قيم المرأة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا أي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء قيل وفيه دليل على أن الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب الفروسية والرمي وان منهم لانبياء والعلماء والحكماء وفيهم

قال كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتركت النشوز وان كانت لبغضه وافقه ذلك دليلا على كال نشوزها

حق الله عليها الذى ألزمها الله الزوج فتركه امساكها بالمعروف أو تسريحها باحسان والشقاق مصدر من قول القائل شاق فلانا اذا أتى كل واحد منهما الى صاحبه مايشق عليه من الامور فهو يشاقه مشاقة وشقاقا وذلك قد يكون عداوة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان خفتم شقاق بينهما قال ان ضربها فابت أن ترجع وشاقته يقول عادته وانما أضيف الشقاق الى البين لان البين قد يكون اسما كما قال جل ثناؤه لقد تقطع بينكم فى قراءة من قرأ ذلك وأما قوله فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها فان أهل التاويل اختلفوا فى المخاطبين بهذه الآية من المامور ببعثه الحكمين فقال بعضهم المامور بذلك السلطان الذى يرفع ذلك اليه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن سعيد بن جبير أنه قال فى المختلفة بعظها فان انتهت والا هجرها فان انتهت والا ضربها فان انتهت والا رفع أمرها الى السلطان فيبعث حكما من أهله وحكما من أهلها فيقول الحكم الذى من أهلها يفعل بها كذا ويقول الحكم الذى من أهله تفعل به كذا فايهما كان الظالم رده السلطان وأخذ فوق يديه وان كانت ناشزا أمره أن يخلع حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها قال بل ذلك الى السلطان وقال آخرون بل المامور بذلك الرجل والمرأة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان ضربها فان رجعت فانه ليس له عليها سبيل فان أبت أن ترجع وشاقته فليبعث حكما من أهله وتبعث حكما من أهلها ثم اختلف أهل التاويل فيما يبعثه الحكمان وما الذى يجوز للحكمين من الحكم بينهما وكيف وجه بعثهما بينهما فقال بعضهم يبعثهما الزوجان بتوكيل منهما اياهما بالنظر بينهما وليس لهما أن يعملا شيأ فى أمرهما الا ما وكلاهما به أو وكيل كل واحد منهما اياه اليه فيعملان بما وكلاهما به من وكلهما من الرجل والمرأة فيما يجوز توكيلهما فيه أو توكيل من وكل منهما فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد عن عبيدة قال جاء رجل وامرأته بينهما شقاق الى على رضى الله عنه مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال على رضى الله عنه ابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان رأيتما أن تجمعا أن تجمعا وان رأيتما أن تفرقا ان تفرقا فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى فقال الرجل أما الفرقة فلا فقال على رضى الله عنه كذبت والله لا تنقلب حتى تقر بمثل الذى أقرت به حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا هشام بن حسان وعبد الله بن عون عن محمد أن عليا رضى الله عنه أتاه رجل وامرأته ومع كل واحد منهما فئام من الناس فامرهما على رضى الله عنه أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ينظر افلما دنا منه الحكمان قال لهما على رضى الله عنه أتدريان ما عليكما لكما ان رأيتما أن تفرقا فرقتما وان رأيتما أن تجمعا جمعتما قال هشام فى حديثه فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلى فقال الرجل أما الفرقة فلا فقال على كذبت والله حتى ترضى بمثل ما رضيت به وقال ابن عون فى حديثه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بمثل ما رضيت به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور وهشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال شهدت عليا رضى الله عنه فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال اذا هجرها فى المضجع وضربها فابت أن ترجع وشاقته فليبعث حكما من أهله وتبعث حكما من أهلها تقول المرأة لحكمها قد وليتك أمرى فان أمرتنى ان أرجع رجعت وان فرقت تفرقنا وتخبره بامرها ان كانت تريد نفقة أو كرهت شيأ من الاشياء وتامره أن يرفع ذلك عنها وترجع أو تخبره أنها لا تريد الطلاق ويبعث الرجل حكما من أهله يوليه أمره ويخبره بقوله

فيباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على أزواجهن أى اجترأن فرخص فى ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا أزواجهم ليسوا خياركم ان لم يضربوا واذا ضربها وجب أن لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون غير قاعلى بدنها لا يوالى به فى موضع واحد ويتقى الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين وقيل دون عشرين لانه حد كامل فى شرب العبد ومنهم من لا يرى الضرب بالسياط ولا بالعصا وبالجملة فالتخفيف مرعى فى هذا الباب ولهذا قال على بن أبى طالب يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان أبت هجر مضجعها فان أبت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال آخرون هذا الترتيب مرعى عند خوف النشوز فاما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا لا بالجهة كبيرا لا بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على أزواجكم وأرقائكم روى ان أبا مسعود الانصارى رفع سوطه ليضرب غلاما له فنبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر منك عليه فرمى بالسوط

الآية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف أي بالذي حفظه الله لهن أي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن في قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك أي هذا في مقابلة ذاك أو مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانهن لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا بتوفيق الله أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة وأوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما أيضا موصولة أي بالامر الذي يحفظ حق الله وأمانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم أو مصدرية أي بسبب حفظهن حدود الله وأوامره فان المرأة لولا انها تحاول رعاية تكليف الله وتجتهد في حفظ أوامره والا لما أطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشئ ارتفع ومنه نشز الارض المرتفعة فعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما أنت عليه واعلمي ان طاعتي عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع أي في المراقد أي لا تدخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع أي بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تباشروهن وفي ضمن الهجرات الامتناع من كلامها ولكن ينبغي أن لا يزيد في هجره الكلام على ثلاث فاذا هجرها في المضجع

السوالك ونحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تهجروا النساء الا في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح يقول غير مؤثر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عطاء واضربوهن قال ضربا غير مبرح حدثنا المثنى قال ثنا حبان قال أخبرنا ابن المبارك قال ثنا يحيى بن بشر عن عكرمة مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي واضربوهن قال ان أقبلت في الهجران والاضرب هاضربا غير مبرح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال تهجر مضجعها ما رأيت أن تنزع فان لم تنزع ضربها ضربا غير مبرح حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن واضربوهن قال ضربا غير مبرح حدثني المثنى قال ثنا حبان قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا عبد الوارث بن سعيد عن رجل عن الحسن قال ضربا غير مبرح غير مؤثر ۞ القول في تأويل قوله (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) يعني بذلك جل ثناؤه فان أطعنكم أيها الناس نساؤكم اللاتي تخافون نشوزهن عند وعظكم اياهن فلا تهجروهن في المضاجع فان لم يطعنكم فاهجروهن في المضاجع واضربوهن فان راجعن طاعتكم عند ذلك وفئن الى الواجب عليهن فلا تطلبوا طريقا الى أذاهن ومكروههن ولا تلتمسوا سبيلا الى مالا يحل لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل وذلك أن يقول أحدكم لاحداهن وهي له مطيعة انك لست تحبيني وأنت لي مبغضة فيضربها على ذلك أو يؤذيها فقال الله تعالى للرجال فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي فان أطعنكم على بغضهن لكم فلا تجنوا عليهن ولا تكلفوهن محبتكم فان ذلك ليس بايديهن فتضربوهن وتؤذوهن عليه ومعنى قوله لا تبغوا لا تلتمسوا ولا تطلبوا من قول القائل بغيت الضالة اذا التمستها ومنه قول الشاعر في صفة الموت

بغالك وما تبغيه حتى وجدته * كانك قد واعدته أمس موعدا

يعني طلبك وما تطلبه ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا قال اذا أطاعتك فلا تبغ عليها العلل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن أبي الضحى عن ابن عباس قال اذا أطاعته فليس له عليها سبيل اذا ضاجعته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قوله فلا تبغوا عليهن سبيلا قال العلل وقال أخبرنا عبد الرزاق قال قال الثوري في قوله فان أطعنكم قال ان أتت الفراش وهي تبغضه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعلى عن سفيان قال اذا فعلت ذلك لا يكلفها ان تحبه لان قلبها ليس في يديها حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ان أطاعته فضاجعته فان الله يقول فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا يقول فان أطاعتك فلا تبغ عليها العلل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الله كان عليا كبيرا) يقول ان الله ذو علو على كل شئ فلا تبغوا أيها الناس على أزواجكم اذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلا لعلو أيديكم على أيديهن فان الله أعلى منكم ومن كل شئ وأعلى منكم عليهن وأكبر منكم ومن كل شئ وأنتم في يده وقبضته فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلا وهن لكم مطيعات فينتصر لهن منكم ربكم الذي هو أعلى منكم ومن كل شئ وأكبر منكم ومن كل شئ ۞ القول في تأويل قوله (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) يعني بقوله جل ثناؤه وان خفتم شقاق بينهما وان علمتم أيها الناس شقاق بينهما وذلك مشاقة كل واحد منهما صاحبه وهو اتيانه ما يشق عليه من الامور فاما من المرأة فالنشوز وتركها أداء

غير ما فان أبى كان يقول ليس ببعد الحكمين من الفرقة شئ ان رأيا الظلم من ناحية الزوج قالا أنت يا فلان ظالم انزع فان أبى رفعا ذلك الى السلطان وان رأها ظالمة قالا لها أنت ظالمة انزجى فان أبت رفعا ذلك الى السلطان ليس الى الحكمين من الفراق شئ وقال آخرون بل انما يبعث الحكمين السلطان على ان حكمهما ماض على الزوجين فى الجمع والتفريق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها فهذا الرجل والمرأة اذا تناشدا الذى بينهما فامر الله سبحانه أن يبعثوا رجلا صالحا من أهل الرجل ومثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسئ فان كان الرجل هو المسئ بحبوا عنه امر أته وقصروه على النفقة وان كانت المرأة هى المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا فامرهما جائز فان رأيا أن يجمع فرضى أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذى رضى يرث الذى كره ولا يرث الكاره الراضى وذلك قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما حدثنا ابن بشار قال ثنا روح قال ثنا عوف عن محمد بن سيرين أن الحكم من أهلها والحكم من أهله يفرقان ويجمعان اذا رأيا ذلك فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سألت سعيد بن جبير عن الحكمين فقال لم أره اذ ذاك فقلت انما أعنى حكم الشقاق قال يقبلان على الذى جاء الاذى من عنده فان فعل والا أقبلا على الآخر فان فعل والا حكما فما حكما من شئ فهو جائز حدثنا عبد الحميد ابن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن عامر فى قوله فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها قال ماقضى الحكمان من شئ فهو جائز حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن داود عن ابراهيم قال ما حكما من شئ فهو جائز ان فرقا بينهما بثلاث تطليقات أو تطليقتين فهو جائز وان فرقا بتطليقة فهو جائز وان حكما عليهما بمال فهو جائز فان أصلحا فهو جائز وان وضعا من شئ فهو جائز حدثنا المثنى قال ثنا حبان قال أخبرنا ابن المبارك قال ثنا أبو جعفر عن المغيرة عن ابراهيم فى قوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها قال ما صنع الحكمان من شئ فهو جائز عليهما ان طلقا ثلاثا فهو جائز عليهما وان طلقا واحدة أو طلقها على جعل فهو جائز وما صنعا من شئ فهو جائز حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال ان شاء الحكمان فرقا وان شاء أن يجمعا جمعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم عن حصين عن الشعبى أن امرأة نشزت على زوجها فاختصموا الى شريح فقال شريح ابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها فنظر الحكمان فى أمرهما فرأيا أن يفرقا بينهما فذكره ذلك الرجل فقال شريح فقيم كانا اليوم وأجاز قولهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عباس قال بعثت أنا ومعاوية حكمين قال معمر بلغنى أن عثمان رضى الله عنهما بعثهما وقال لهما ان رأيتما أن تجمعا جمعتما وان رأيتما أن تفرقا فرقتما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا ابن جريج قال ثنى ابن أبى مليكة أن عقيل بن أبى طالب تزوج فاطمة ابنة عتبة فكان بينهما كلام فجاءت عثمان فذكرت ذلك له فارسل ابن عباس ومعاوية فقال ابن عباس لافرقن بينهما فقال معاوية ما كنت لافرق بين شيخين من بنى عبد مناف فاتياهما وقد اصطلحا حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها يكونان عدلين عليهما وشاهدين وذلك اذا تدارأ الرجل والمرأة وتنازعا الى السلطان جعل عليهما حكمين حكما من أهل الرجل وحكما من أهل المرأة يكونان أمينين عليهما جميعا وينظران من أيهما يكون الفساد فان كان الامر من قبل المرأة أجبرت على طاعة زوجها وأمرت أن تتقى الله وتحسن

وعبد الزوجين والحكمين فى سلوك ما يخالف طريق الحق ووعد على الجد فى حسم مادة الجهود متوالخشونة ثم أرشد الى مجامع الاخلاق

أنهما ما به قال أبو حنيفة وأحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب فى قوله فان خفتم وفى فابعثوا الصالحى الامة لانه يجرى مجرى دفع الضرر فلكل أحد أن يقوم به وثانيهما وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روى ان عليا عليه السلام بعث حكمين من زوجين فقال أتدريان ما عليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا ان تجمعا ان رأيتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول وكل الرجل الذى هو من أهله بالطلاق وبقبول العوض فى الخلع وللمرأة الآخر ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شئ أدب القاضى الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثانى لا يشترط رضى الزوجين فى بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه أربعة أوجه الاول ان يرد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير الثانى ان يرد الزوجان اصلاحا أبدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا الثالث ان يرد الحكمان اصلاحا يؤلف الله بين الزوجين الرابع ان يرد الزوجان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى تتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا فى الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شئ من الاغراض الا بتوفيق الله تعالى وتيسيره ان الله كان عليما خبيرا فيوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين بمقتضى علمه وارادته وفيه

لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعلهن لا يقدرن على ذلك أو انه مع علو شأنه وكبريائه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم أجدر بان لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض اذا صلح حالها في الظاهر أو انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا المحاكمة فقال وان خفتم قال ابن عباس أي علمتم وذلك لاصرارها على النشوز حيث لم يؤثر فيها الوعظ والهجران والضرب واعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى الحكمين وأجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه أو منها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى أو نقول المراد ازالة الشقاق في الاستقبال ومعنى شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به أو على جعل البين مشاقا مثل نهاره صائم والضمير للزوجين يدل عليهما مساق الكلام أو ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من أهله رجلا مقتدرا صالحا للحكومة الاصلاح بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب أن يكون الحكمان من أهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن أحوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين فيبرزان لهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيعرفان ما عندهما وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف أحدهما غيره

حاجته ان كان يريدها أولا يريد أن يطلقها أعطاها ما سألت وزاده في النفقة والا قال له خذ لي منها مالها علي وطلقها فيوليه أمره فان شاء طلق وان شاء أمسك ثم يجتمع الحكمان فيخبر كل واحد منهما ما يريد لصاحبه ويجهد كل واحد منهما ما يريد لصاحبه فان اتفق الحكمان على شئ فهو جائز ان طلقا وان أمسكا فهو قول الله فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فان بعثت المرأة حكما وأبى الرجل ان يبعث فانه لا يقر بها حتى يبعث حكما وقال آخرون ان الذي يبعث الحكمين هو السلطان غير أنه انما يبعثهما ليعرفا الظالم من المظلوم منهما ليحملهما على الواجب لكل واحد منهما قبل صاحبه لا التفريق بينهما ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة أنهما قالا انما يبعث الحكمان ليصلحا ويشهدا على الظالم بظلمه وأما الفرقة فليست في أيديهما ولم يملكا ذلك يعني وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها الآية انما يبعث الحكمان ليصلحا فان أعياهما أن يصلحا شهدا على الظالم بظلمه وليس بايديهما فرقة ولا يملكان ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن قيس بن سعد قال سألت عن الحكمين قال ابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها فما حكما من شئ فهو جائز يقول الله تبارك وتعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما قال يخلو حكم الرجل بالزوج وحكم المرأة بالمرأة فيقول كل واحد منهما لصاحبه أصدقني ما في نفسك فاذا صدق كل واحد منهما صاحبه اجتمع الحكمان وأخذ كل واحد منهما على صاحبه ميثاقا ليصدقن الذي قال لك صاحبك ولا صدقنك الذي قال لي صاحبي فذاك حين أرادا الاصلاح يوفق الله بينهما فاذا فعلا ذلك اطلع كل واحد منهما على ما أفضى به صاحبه اليه فيعرفان عند ذلك من الظالم والناشز منهما فيأتيا عليه فيحكما عليه فان كان المرأة قالا أنت الظالمة العاصية لا ينفق عليك حتى ترجعي الى الحق وتطيعي الله فيه وان كان الرجل هو الظالم قالا أنت الظالم المضار لا تدخل لها بيتا حتى تنفق عليها وترجع الى الحق والعدل فان كانت هي الظالمة العاصية أخذ منها ما لها وهو له حلال طيب وان كان هو الظالم المسيء اليها المضار لها طلقها ولم يحل له من مالها شئ فان أمسكها أمسكها بما أمر الله وأنفق عليها وأحسن اليها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يبعث الحكمين حكما من أهله وحكما من أهلها فيقول الحكم من أهلها يا فلان ما تنقم من زوجتك فيقول أنقم منها كذا وكذا فيقول أفرأيت ان نزعت مما تكره الى ما تحب هل أنت متقي الله فيها ومعاشرها بالذي يحق عليك في نفقتها وكسوتها فاذا قال نعم قال الحكم من أهله يا فلانة ما تنقمين من زوجك فلان فتقول مثل ذلك فان قالت نعم جمع بينهما قال وقال علي رضي الله عنه الحكمان بهما يجمع الله وبهما يفرق **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن الحكمان يحكمان في الاجتماع ولا يحكمان في الفرقة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وهي المرأة التي تنشز على زوجها فلزوجها أن يخلعها حين يأمر الحكمان بذلك وهو بعد ما تقول لزوجها والله لا أبر الله لك قسما ولا آذن في بيتك بغير أمرك ويقول السلطان لا نجيز لك خلعا حتى تقول المرأة لزوجها والله لا أغتسل لك من جنابة ولا أقيم لك صلاة فعند ذلك يقول السلطان اخلع المرأة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن قال يعظها فان أبت وغلبت فاهجرها في مضجعها فان غلبت هذا أيضا فاضربها فان غلبت هذا أيضا بعث حكما من أهله وحكما من أهلها فان غلبت هذا أيضا وأرادت

بحالهم فى كل وقت وكانوا فى الجاهلية يسيئون الى المملوك فيكلفون الاماء البغاء وهو الكسب بفروجهن ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها جهولا يتكبر عن اكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه وعن الالتفات الى حالهم والتفقد لهم والتحنى بهم ويأنف من أقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا ضعفاء وأصله من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذى يعد مناقبه وعن ابن عباس هو الذى يفخر على عباد الله تعالى بما أعطاه من أنواع نعمه ولعل هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل فى اللغة منع الاحسان وفى الشرع منع الواجب وفيه أربع لغات البخل مثل الفقر والبخل بضم الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى الاصناف المذكورين انما يكون فى الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان لحب المال ويحتمل ان يشتمل البخل بالعلم أيضا أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم مقتا للسخاء وهذه نهاية البخل وفى أمثالهم أبخل من الصنين بنائل غيره وقد ذمهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى حتى أوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان فى الفواسنة نبى الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب أن يرى على عبده أثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى أثر نعمته فاحببت ان أسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله

ان يريدا اصلاحا ان يرد الحكمان اصلاحا بين الرجل والمرأة أعنى بين الزوجين المخوف شقاق بينهما يقول يوفق الله بين الحكمين فيتفقا على الاصلاح بينهما وذلك اذا صدق كل واحد منهما فيما أفضى اليه من بعث للنظر فى أمره بين الزوجين ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد فى قوله ان يريدا اصلاحا قال انه ليس بالرجل والمرأة ولكنه الحكمان حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما قال هما الحكمان ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وذلك الحكمان وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما يعنى بذلك الحكمين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ان يريدا اصلاحا قال ان يريدا الحكمان اصلاحا أصلحا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى هاشم عن مجاهد ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما يوفق الله بين الحكمين حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قوله ان يريدا اصلاحا قال هما الحكمان اذا نصحا المرأة والرجل جميعا ۞ القول فى تأويل قوله (ان الله كان عليما خبيرا) يعنى جل ثناؤه ان الله كان عليما بما أراد الحكمان من اصلاح بين الزوجين وغيره خبيرا بذلك وبغيره من أمور غيرهما لا يخفى عليه شئ منه حافظ عليهم حتى يجازى كلا منهم جزاءه بالاحسان احسانا وبالاساءة غفرانا أو عقابا ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين) يعنى بذلك جل ثناؤه وذلوا لله بالطاعة واخضعوا له بها وافردوه بالربوبية واخلصوا له الخضوع والذلة بالانتهاء الى أمره والانزجار عن نهيه ولا تجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا تعظمونه تعظيمكم اياه وبالوالدين احسانا يقول وأمركم بالوالدين احسانا يعنى برابهما ولذلك نصب الاحسان لانه أمر منه جل ثناؤه بلزوم الاحسان الى الوالدين على وجه الاغراء وقد قال بعضهم معناه واستوصوا بالوالدين احسانا وهو قريب المعنى مما قلناه وأما قوله وبذى القربى فانه يعنى وأمر أيضا بذى القربى وهم ذو وقرابة أحدنا من قبل أبيه أو أمه ممن قربت منه قرابته برحمه من أحد الطرفين احسانا بصلة رحمه وأما قوله واليتامى فانهم جمع يتيم وهو الطفل الذى قدمات والداه وهلك والمساكين وهو جمع مسكين وهو الذى قد ركبه مذلة الفاقة والحاجة فمسكن لذلك يقول تعالى ذكره استوصوا بهؤلاء احسانا اليهم وتعطفوا عليهم والزموا وصيتى فى الاحسان اليهم ۞ القول فى تأويل قوله (والجار ذى القربى) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك والجار ذى القرابة والرحم منك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والجار ذى القربى يعنى الذى بينك وبينه قرابة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والجار ذى القربى يعنى ذا الرحم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والجار ذى القربى قال جارك وهو ذا قرابتك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة ومجاهد فى قوله والجار ذى القربى قالا القرابة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله والجار ذى القربى قال جارك الذى بينك وبينه قرابة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والجار ذى القربى جارك ذو القرابة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والجار

صحبتهما وينفق عليهما بقدر ما أتاه الله امساك بمعروف أو تسريح باحسان وان كانت الاساءة من قبل الرجل أمر بالاحسان اليهما فان لم يفعل قيل له اعطهما حقهما وخل سبيلهما وانما يلي ذلك منهما السلطان * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في قوله فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان الله خاطب المسلمين بذلك وأمرهم ببعثة الحكمين عند خوف الشقاق بين الزوجين للنظر في أمرهما ولم يخصص بالامر بذلك بعضهم دون بعض وقد أجمع الجميع على أن بعثة الحكمين في ذلك ليست لغير الزوجين وغير السلطان الذي هو سائس أمر المسلمين أو من أقامه في ذلك مقام نفسه واختلفوا في الزوجين والسلطان ومن المأمور بالبعثة في ذلك الزوجان أو السلطان ولا دلالة في الآية تدل على أن الامر بذلك مخصوص به أحد الزوجين ولا أثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والامة فيه مختلفة واذ كان الامر على ما وصفنا فاولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يكون مخصوصا من الآية من أجمع الجميع على أنه مخصوص منها أم لا واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون الزوجان والسلطان ممن قد شمله حكم الآية والامر بقوله فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها اذ كان مختلفا بينهما هل هما معنيان بالامر بذلك أم لا وكان ظاهر الآية قد عمهما فالواجب من القول اذ كان صحيحا ما وصفنا أن يقال ان الزوجان كل واحد منهما حكما من قبله لينظرا في أمرهما وكان لكل واحد منهما ما يبعث ممن بعثه من قبله في ذلك طاقة على صاحبه ولصاحبه عليه فتوكيله بذلك من وكل جائز له وعليه وان وكله ببعض ولم يوكله بالجميع كان ما فعله الحكم مما وكله به صاحبه ماضيا جائزا على ما وكله به ان وكله أحدهما بماله دون ما عليه أو لم يوكل كل واحد من الزوجين بماله وعليه أو بما له أو بما عليه فليس للحكمين كليهما الا ما اجتمعا عليه دون ما انفرد به أحدهما وان يوكلا واحدا منهما بشئ وانما بعثاهما للنظر ليعرفا الظالم منهما ليشهدا عليهما عند السلطان ان احتاجا الى شهادتهما لم يكن لهما أن يحدثا بينهما شيأ غير ذلك من طلاق أو أخذ مال أو غير ذلك ولم يلزم الزوجين ولا واحدا منهما شئ من ذلك فان قال قائل وما معنى الحكمين اذ كان الامر على ما وصفت قيل اختلف في ذلك فقال بعضهم معنى الحكم النظر العدل كما قال الضحاك بن مزاحم في الخبر الذي ذكرناه الذي حدثنا يحيى بن أبي طالب عن يزيد عن جويبر عنه لانهما قاضيان تقضيان بينهما على السبيل التي بينا من قوله * وقال آخرون معنى ذلك انهما القاضيان يقضيان بينهما ما فوض اليهما الزوجان أي الامرين كان فليس لهما ولا لواحد منهما الحكم بينهما بالفرقة ولا باخذ مال الا برضا المحكوم عليه بذلك والا ما لزم من حق لاحد الزوجين على الآخر في حكم الله وذلك ما لزم الرجل لزوجته من النفقة والامساك بمعروف ان كان هو الظالم لها فاما غير ذلك فليس ذلك لهما ولا لاحد من الناس غيرهما لا السلطان ولا غيره وذلك أن الزوج ان كان هو الظالم للمرأة فالى امام السبيل الى أخذه بما يجب لها عليه من حق وان كانت المرأة هي الظالمة لزوجها الناشزة عليه فقد أباح الله له أخذ الفدية منها وجعل اليه طلاقها على ما قد بيناه في سورة البقرة واذا كان الامر كذلك لم يكن لاحد الفرقة بين رجل وامرأة بغير رضى الزوج ولا أخذ مال من المرأة بغير رضاها باعطائه الا بحجة يجب التسليم لها من أصل أو قياس وان بعث الحكمين للسلطان ولا يجوز لهما أن يحكما بين الزوجين بفرقة الا بتوكيل الزوج اياهما بذلك ولا لهما أن يحكما باخذ مال من المرأة الا برضى المرأة يدل على ذلك ما قد بيناه قبل من فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك والقائلين بقوله ولكن لهما أن يصلحا بين الزوجين و يتعرفا الظالم منهما من المظلوم ليشهدا عليه ان احتاج المظلوم منهما الى شهادتهما وانما قلنا ليس لهما التفريق للعلة التي ذكرناها آنفا وانما يبعث السلطان الحكمين اذا بعثهما اذا ارتفع اليه الزوجان فشكا كل واحد منهما صاحبه وأشكل عليه المحق منهما من المبطل لانه اذا لم يشكل المحق من المبطل فلا وجه لبعثة الحكمين في أمر قد عرف الحكم فيه ۞ القول في تأويل قوله (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) يعني بذلك جل ثناؤه

تقدره وأحسنوا بهما احسانا يقال أحسن بفلان والى فلان و بذي القربى واليتامى والمساكين وقد مر تفاسيرها في البقرة قال أبو بكر الرازي ان اضطر الى قتل أبيه بان يخاف أن يقتله ان ترك قتله جاز له أن يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه الاولين الجوار أربعون دارا وعن الزهري انه أراد أربعين من كل جانب وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان الناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الآخر ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما يغتسل ومن قرأ الجنب فمعناه المجنوب بمثل خلق بمعنى مخلوق أو المراد ذي الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب وهو الذي حصل بجنبك اما رفيقك في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم أو حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس أو في مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة اتفقت بينك وبينه فعليك ان تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها تكون معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده أو الضيف وما ملكت أيمانكم عن علي بن أبي طالب انه كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملكت أيمانكم وذكر اليمين تأكيد كما يقال مشيت برجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق

يعنى بقوله عن جنابة عن بعد وقربة ومنه قيل اجتنب فلان فلانا اذا أبعد منه وتجنبه نهيره اذا منعه اياه ومنه قيل للجنب جنب لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل فعنى ذلك والجار المجانب للقرابة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والصاحب بالجنب) اختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك فقال بعضهم هو رفيق الرجل فى سفره ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس والصاحب بالجنب الرفيق حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبى بكر قال سمعت سعيد بن جبير يقول والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والصاحب بالجنب صاحبك فى السفر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والصاحب بالجنب وهو الرفيق فى السفر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر منزله منزلك وطعامه طعامك ومسيره مسيرك حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة ومجاهد والصاحب بالجنب قالا الرفيق فى السفر حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن جابر عن عامر عن على وعبد الله قالا الصاحب بالجنب الرفيق الصالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى سليم عن مجاهد قال الصاحب بالجنب رفيقك فى السفر الذى يأتيك ويديم مع يدك حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج قال أخبرنا سليم انه سمع مجاهدا يقول والصاحب بالجنب فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى والصاحب بالجنب الصاحب فى السفر حدثنى المثنى قال ثنا أبو كريب قال ثنا سفيان عن أبى بكر عن سعيد بن جبير والصاحب بالجنب الرفيق الصالح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى بكر عن سعيد بن جبير مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله والصاحب بالجنب قال الرفيق فى السفر حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله * وقال آخرون بل هو امرأة الرجل التى تكون معه الى جنبه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن عامر والقاسم عن على وعبد الله والصاحب بالجنب قالا هى المرأة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن بعض أصحابه عن جابر عن على وعبد الله مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والصاحب بالجنب يعنى الذى معك فى منزلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن هلال بن عبد الرحمن بن أبى ليلى انه قال فى هذه الآية والصاحب بالجنب قال هى المرأة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن ابراهيم والصاحب بالجنب قال المرأة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال الثورى قال أبو الهيثم عن ابراهيم هى المرأة حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن ابراهيم مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن محمد بن سوقة عن أبى الهيثم عن ابراهيم مثله حدثنى عمرو بن بيذق قال ثنا مروان بن معاوية عن محمد بن سوقة عن أبى الهيثم عن ابراهيم مثله وقال آخرون هو الذى يلزمك ويصحبك رجاء نفعك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الصاحب بالجنب الملازم قال أيضا فيقسك الذى يرافقك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والصاحب بالجنب الذى يلصق بك وهو الى جنبك ويكون معك الى جنبك رجاء خيرك ونفعك والصواب من القول فى تاويل ذلك عندى ان معنى

تعالى ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الآية في اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يخالطونهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وأيضا انهم كتموا صفة محمد ولم يبينوها للناس ثم اما ذم الذين لا ينفقون أموالهم عطف عليهم الذين ينفقون أموالهم ولكن رياء ونفارا وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله ومثل هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الآخر والا أنفق لله أو للآخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا آمرا بالبخل والفحشاء فساء قرينا في الآخرة يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم أي تبعة ووبال عليهم أو ما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح أفعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب وردع عن دواعي النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا مشعر بان الاتيان بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة وأجيب بان الصعوبة في الايمان الاستدلالي التفصيلي لا الاجمالي وقال جهور المعتزلة لو كانوا غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا وأجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة يعني

ذي القربى اذا كان له جار له رحم فله حقان اثنان حق القرابة وحق الجار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والجار ذي القربى قال الجار ذو القربى ذو قرابتك * وقال آخرون بل هو جار ذي قرابتك ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الرحمن قال ثنا جرير عن ليث عن ميمون بن مهران في قوله والجار ذي القربى قال الرجل يتوسل اليك بجوار ذي قرابتك * قال أبو جعفر وهذا القول قول مخالف المعروف من كلام العرب وذلك أن الموصوف بانه ذو القرابة في قوله والجار ذي القربى الجار دون غيره فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقيل وجار ذي القربى ولم يقل والجار ذي القربى فكان يكون حينئذ اذا أضيف الجار الى ذي القرابة الوصية بين جار ذي القرابة دون الجار ذي القربى وأما الجار بالالف واللام فغير جائز أن يكون ذي القربى الا من صفة الجار واذا كان ذلك كذلك كانت الوصية من الله في قوله والجار ذي القربى بين الجار ذي القربى دون جار ذي القرابة وكان بيننا خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك وقال آخرون معنى ذلك والجار ذي القربى منكم بالاسلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا سفيان عن ابي اسحق عن نوف الشامي والجار ذي القربى المسلم وهذا أيضا مما لا معنى له وذلك أن تاويل كتاب الله تبارك وتعالى غير جائز صرفه الا الى الاغلب من كلام العرب الذين نزل بلسانهم القرآن المعروف فيهم دون الانكر الذي لا تتعارفه الا أن يقوم بخلاف ذلك حجة يجب التسليم لها واذا كان ذلك كذلك وكان معلوما أن المتعارف من كلام العرب اذا قيل فلان ذو قرابة انما يعني به انه قريب الرحم منه دون القرب بالدين كان صرفه الى القرابة بالرحم أولى من صرفه الى القرب بالدين ۞ القول في تاويل قوله (والجار الجنب) اختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك والجار البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس والجار ذي القربى والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والجار الجنب يعني الجار من قوم جنب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والجار الجنب الذي ليس بينهما قرابة وهو جار فله حق الجوار حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي والجار الجنب الجار الغريب يكون في القوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وابن أبي نجيح عن مجاهد والجار الجنب جارك من قوم آخرين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والجار الجنب جارك لا قرابة بينك وبينه البعيد في النسب وهو جار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة ومجاهد في قوله والجار الجنب قال المجانب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه رحم ولا قرابة حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك والجار الجنب قال من قوم آخرين وقال آخرون هو الجار المشرك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا شيبان عن أبي اسحق عن نوف الشامي والجار الجنب قال اليهودي والنصراني وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى الجنب في هذا الموضع الغريب البعيد مسلما كان أو مشركا يهوديا كان أو نصرانيا لما بينا قبل من أن الجار ذي القربى هو الجار ذو القرابة والرحم والواجب أن يكون الجار ذو الجنابة الجار البعيد ليكون ذلك وصية بجميع أصناف الجيران قريبهم وبعيدهم وبعد فان الجنب في كلام العرب البعيد كما قال أعشى بني قيس

أبيت خزيانا أثرا عن جنابة * فكان حريب في عطائي جاهدا

جلاله بجميع هؤلاء عباده احسانا اليهم وأمر خلقه بالمحافظة على وصيته فيهم فحق على عباده حفظ وصية الله فيهم ثم حفظ وصية رسوله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) يعنى بقوله جل ثناؤه ان الله لا يحب من كان مختالا ان الله لا يحب من كان ذا خيلاء والمختال المفتعل من قولك خال الرجل فهو يخول خولا وخالا ومنه قول الشاعر

فان كنت سيدنا فسدنا * وان كنت للخال فاذهب فخل

ومنه قول العجاج * والخال ثوب من ثياب الجمال وأما الفخور فهو المفتخر على عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه وبسطه من فضله ولا يحمده على ما آتاه من طوله ولكنه به مختال مستكبر وعلى غيره به مستطيل مفتخر كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان الله لا يحب من كان مختالا قال مستكبرا فخورا قال بعدما أعطى وهو لا يشكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد أبى رجاء الهروى قال لا تجده سيئ الملكة الا وجدته مختالا فخورا وتلا وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ولا عاقا الا وجدته جبارا شقيا وتلا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ۞ القول فى تاويل قوله (الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الله لا يحب المختال الفخور الذى يبخل ويامر الناس بالبخل فالذين يحتمل أن يكون فى موضع رفع ردا على ما فى قوله فخورا من ذكر ويحتمل ان تكون نصبا على النعت لمن والبخل فى كلام العرب منع الرجل سائله ما لديه وعنده من فضل عنه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل قال البخل ان يبخل الانسان بما فى يديه والشح ان يشح على ما فى أيدى الناس قال يحب أن يكون له ما فى أيدى الناس بالحل والحرام لا يقنع واختلفت القراء فى قراءة قوله ويامرون الناس بالبخل فقرأته عامة قراء أهل الكوفة بالبخل بفتح الباء والخاء وقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين بضم الباء بالبخل وهما لغتان فصيحتان بمعنى واحد وقراءتان معروفتان غير مختلفتى المعنى فبايتهما قرأ القارئ فهو مصيب فى قراءته وقد قيل ان الله جل ثناؤه عنى بقوله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الذين كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وصفته من اليهود ولم يبينوه للناس وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله قال هم اليهود بخلوا بما عندهم من العلم وكتموا ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الى قوله وكان الله بهم عليما ما بين ذلك فى يهود حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وهم أعداء الله أهل الكتاب بخلوا بحق الله عليهم وكتموا الاسلام ومحمدا صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أما الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل فهم اليهود ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اسم محمد صلى الله عليه وسلم وأما يبخلون ويامرون الناس بالبخل يبخلون باسم محمد صلى الله عليه وسلم ويامر بعضهم بعضا بكتمانه حدثنا محمد بن مسلم الرازى قال ثنى أبو جعفر الرازى قال ثنا يحيى بن عارم عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل قال هذا العلم ليس للدنيا منه شئ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل قال هؤلاء يهود وقرأ يكتمون ما آتاهم الله

الذى قدر لهم الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم أى تجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات التى يصلحن للكمال قانتات مطيعات لله لهن قلوب حافظات لواردات الغيب بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب وأسراره واللاتى تخافون نشوزهن اذا دارت عليهن كؤس الواردات كما قيل شعر

فاسكر القوم دور كأس
وكان سكرى من المدير

فعظوهن باللسان وخوفوهن بالهجران لتأدب السكران واضربوهن بسوط الانفصال وفراق الاخوان كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بينى وبينك هذا فانون أرباب الكمال اذا رأوا من أهل الارادة أمارات الملال أو عربدة من غلبات الاحوال وان خفتم شقاقا بين الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين ومن السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا بينهما بما رأيا فيه صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ من الدنيا والعقبى لتتخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين وغيرهما احسانا بلا شرك ورياء ونفس وخيلاء والله ولى التوفيق (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا

الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضل رحمته ومصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن الوعد بالمضاعفة أحب عندنا العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة ألف حسنة لان هذا يكون مقداره معلوما أما على هذه العبارة فلا يعلم كميته الا الله تعالى وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها أما قوله ويؤتى من لدنه أجرا عظيما فان لدن بمعنى عند الا أن لدن أكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال وان كان المال ببلد آخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا المضاعفة على القدر المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن أن يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى الذات الروحانية والله أعلم * التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلاث احداها اتباع الهوى وينشأ منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس بترك الطاعات وثانيتها حب الدنيا وينشعب منه القتل والظلم وأكل الحرام وثالثتها رؤية غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم أخبر أن الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال المجتهدين في الله نصيب مما جد وافي طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب على قدر همتهم في الطلب واسألوا الله من فضله فيه معنيان سلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما أو سلوه منه ولا تسألوا منه غيره ولكل جعلنا موالي لكل طالب صادق وجعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك والداه وأقرباؤه طلبه لعدم الاستعداد والمشيئة والذين

الصاحب بالجنب الصاحب الى الجنب كما يقال فلان يجنب فلان والى جنبه وهو من قولهم جنب فلان فلانا فهو يجنبه جنبا اذا كان بجنبه ومن ذلك جنب الخيل اذا قاد بعضها الى جنب بعض وقد يدخل في هذا الرفيق في السفر والمرأة والمنقطع الى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه لان كلهم بجنب الذي هو معه وقريب منه وقد أوصى الله تعالى بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب وقد حدثنا سهل بن موسى الرازي قال ثنا ابن أبي فديك عن فلان بن عبد الله عن الثقة عنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في غيضة طرفا فقطع فصيلين أحدهما معوج والآخر معتدل فخرج بهما فاعطى صاحبه المعتدل وأخذ لنفسه المعوج فقال الرجل يا رسول الله بابي أنت وأمي أنت أحق بالمعتدل مني فقال كلا يا فلان ان كل صاحب يصحب صاحبا مسؤل عن صحابته ولو ساعة من نهار حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة قال ثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان خير الاصحاب عند الله تبارك وتعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وان كان الصاحب بالجنب معناه ما ذكرناه من أن يكون داخلا فيه كل من جنب رجلا يصحبه في سفر أو نكاح أو انقطاع اليه واتصال به ولم يكن الله جل ثناؤه خص بعضهم مما احتمله ظاهر التنزيل فالصواب ان يقال جميعهم معنيون بذلك وبكلهم قد أوصى الله بالاحسان اليه ۞ القول في تأويل قوله (وابن السبيل) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم ابن السبيل هو المسافر الذي يجتاز مارا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وابن أبي نجيح عن مجاهد وابن السبيل هو الذي يمر عليك وهو مسافر حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن أبي نجيح وقتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وابن السبيل قال هو المار عليك وان كان في الاصل غنيا وقال آخرون هو الضيف ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وابن السبيل قال الضيف له حق في السفر والحضر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل وهو الضيف حدثني المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وابن السبيل قال الضيف حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله والصواب من القول في ذلك ان ابن السبيل هو صاحب الطريق والسبيل هي الطريق وانه صاحبه الضارب فيه فله الحق على من مر به محتاجا منقطعا به اذا كان سفره في غير معصية الله ان يعينه ان احتاج الى معونة ويضيفه ان احتاج الى ضيافة وان يحمله ان احتاج الى حملان ۞ القول في تأويل قوله (وما ملكت أيمانكم) يعني بذلك جل ثناؤه والذين ملكتموهم من أرقائكم فاضاف الملك الى اليمين كما يقال تكلم فوك ومشت رجلك وبطشت يدك بمعنى تكلمت ومشيت وبطشت غير ان ما وصفت به كل عضو من ذلك فانما أضيف اليه ما وصفت به لانه بذلك يكون في المتعارف في الناس دون سائر جوارح الجسد فكان معلوما بوصف ذلك العضو بما وصف به من ذلك المعنى المراد من الكلام فكذلك قوله وما ملكت أيمانكم لان مما لبك أحدنا تحت يده انما تطعم ما تناوله ايماننا وتكسى ما تكسيه ويصرفه فيما أحب صرفه فيه بها فاضيف ملكهم الى الايمان لذلك وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما ملكت أيمانكم مما خولك الله كل هذا أوصى الله به وانما يعني مجاهد بقوله كل هذا أوصى الله به الوالدين وذا القربى واليتامى والمساكين والجار ذا القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل فاوصى ربنا جل

جلاله

وعلي وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية تسلم من اللمس وكذلك
لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسرة الى الضمة نحو متشابه انظروا وبرحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض وأشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة وعلي وخلف وهشام وأبو عمرو * الوقوف شهيدا ط الارض ط حديثا ه تغتسلوا ط وأيديكم ط غفورا ه السبيل ه ط باعدائكم ط نصيرا ه في الدين ط وأقوم للاتصال لكن قليلا ه السبت لا ط مفعولا ه لمن يشاء ج عظيما ه يزكون أنفسهم ط فتيلا ه الكذب ط مبينا ه ط سبيلا ه ربع الجزء لعنهم الله ط نصيرا ه ط لان أم بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا ه لا للعطف من فضله ج لتناهي الاستفهام مع تعقب الفاء عظيما ه صدعنه ط سعيرا ه نارا ط العذاب ط حكيما ه أبدا ط مطهرة ز لاستئناف الفعل على انه من تمام المقصود ظليلا ه * التفسير انه سبحانه لما أوعد الظالمين بقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها أراد أن يبين أن ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون الالزام أتم والتبكيت أعظم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله أنت الذي علمتنيه فقال أحب ان أسمعه من غيري قال ابن مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الآية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى بكرامة قبول الشهادة على

بالبعث والمعاد وانما كان كفرها تكذيبها بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ففي فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم في الآية قبلها وأخبر ان لهم عذابا مهينا بالواو الفاصلة بينهم ما ينبئ عن انهما صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني وان كان جمعهم أهل كفر بالله ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس لقيل ان شاء الله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولكن فصل بينهم بالواو ولما وصفنا فان ظن ظان ان دخول الواو غير مستنكر في عطف صفة على صفة لموصوف واحد في كلام العربيين ذلك وان كان كذلك فان الافصح في كلام العرب اذا أريد ذلك ترك ادخال الواو واذا أريد بالثاني وصف آخر غير الاول أدخل الواو وتوجيه كلام الله الى الافصح الاشهر من كلام نزل بلسانه كتابه أولى بنا من توجيهه الى الانكر من كلامهم ۞ القول في تاويل قوله (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يكن الشيطان له خليلا وصاحبا يعمل بطاعته ويتبع أمره ويترك أمر الله في انفاقه ماله رئاء الناس في غير طاعته وجحوده وحدانية الله والبعث بعد الممات فساء قرينا يقول فساء الشيطان قرينا وانما نصب القرين لان في ساذكر من الشيطان كما قال جل ثناؤه بئس للظالمين بدلا وكذلك تفعل العرب في ساء ونظائرها ومنه قول عدي بن زيد

عن المرء لا تسال وابصر قرينه * فان القرين بالمقارن مقتد

يريد بالقرين الصاحب الصديق ۞ القول في تاويل قوله (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) يعني بذلك جل ثناؤه أي شئ على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لو آمنوا بالله واليوم الآخر لو صدقوا بان الله واحد لا شريك له واخلصوا له التوحيد وأيقنوا بالبعث بعد الممات وصدقوا بان الله مجازيهم باعمالهم يوم القيامة وأنفقوا مما رزقهم الله وأدوا زكاة أموالهم التي رزقهم الله وأعطاهموها طيبة بها أنفسهم ولم ينفقوها رئاء الناس التماس الذكر والفخر عند أهل الكفر بالله والمحمدة بالباطل عند الناس وكان الله بهؤلاء الذين وصف صفتهم أنهم ينفقون أموالهم رئاء الناس نفاقا وهم بالله واليوم الآخر مكذبون عليما يقول ذا علم بهم وباعمالهم وما يقصدون ويريدون بانفاقهم وما ينفقون من أموالهم وأنهم يريدون بذلك الرياء والسمعة والمحمدة في الناس وهو حافظ عليهم أعمالهم لا يخفى عليه شئ منها حتى يجازيهم بها اجزاءهم عند معادهم اليه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) يعني بذلك جل ثناؤه وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله فان الله لا يبخس أحدا من خلقه أنفق في سبيله مما رزقه من ثواب نفقته في الدنيا ولا من أجرها يوم القيامة مثقال ذرة أي مما وزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن ولكنه يجازيه به ويثيبه عليه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنه تلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة لان تفضل حسناتي ما يزن ذرة أحب الى من الدنيا وما فيها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان بعض أهل العلم يقول لان تفضل حسناتي على سيآتي ما يزن ذرة أحب الى من أن تكون لي الدنيا جميعا وأما الذرة فانه ذكر عن ابن عباس أنه قال فيها كما حدثني اسحق بن وهب الواسطي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس في قوله مثقال ذرة قال رأس نملة حمراء قال لي اسحق بن وهب قال يزيد بن هرون زعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن ونحو الذي قلنا في ذلك صحت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا فاذا كان يوم

صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون
أن تضلوا السبيل والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا
وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا
لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا يا أيها الذين
أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل أن نطمس وجوها
فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا
أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا
ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افترى اثما عظيما ألم تر الى
الذين يزكون أنفسهم بل الله
يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا
انظر كيف يفترون على الله الكذب
وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا
أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن
الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب
من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
أم يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا
عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من
صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان
الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا) القراء كلهم يسوون بادغام تاء التفعل في السين أبو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة

من فضله قال يبخلون بما آتاهم الله من الرزق ويكتمون ما آتاهم الله من الكتب اذا سئلوا عن
الشئ مما أنزل الله كتموه وقرأ أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا من بخلهم حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان كردم بن زيد حليف كعب بن الاشرف وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري
ابن عمرو وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالا من الانصار وكانوا يخالطونهم
وينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون ما يكون فانزل الله فيهم الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من النبوة التى فيها تصديق ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا الى قوله وكان الله بهم عليما فتأويل الآية على
التأويل الاول والله لا يحب ذوى الخيلاء والفخر الذين يبخلون بتبيين ما أمرهم الله بتبيينه للناس من
اسم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته التى أنزلها فى كتبه على أنبيائه وهم به عالمون ويأمرون الناس
الذين يعلمون ذلك مثل علمهم بكتمان من أمرهم الله بتبيينه له ويكتمون ما آتاهم الله من علم ذلك
ومعرفته من حرم الله عليه كتمانه اياه وأما على تأويل ابن عباس وابن زيد ان الله لا يحب من كان
مختالا فخورا الذين يبخلون على الناس بفضل ما رزقهم الله من أموالهم ثم سائر تأويلهما وتأويل
غيرهما سواء وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك ما قاله الذين قالوا ان الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف
صفتهم فى هذه الآية بالبخل بتعريف من جهل أمر محمد صلى الله عليه وسلم انه حق وان محمدا الله نبى
مبعوث وغير ذلك من الحق الذى كان الله تعالى ذكره قد بينه فيما أوحى الى أنبيائه من كتبه فبخل
بتبيينه للناس هؤلاء وأمر وامن كانت حاله حالهم فى معرفتهم به ان يكتموه من جهل ذلك ولا يبينوه
للناس وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية لان الله جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل
ولم يبلغنا عن أمة من الامم انها كانت تأمر الناس بالبخل ديانة ولا تخلقا بل ترى ذلك قبيحا ويذم فاعله
ولا يمتدح وان هى تخلقت بالبخل واستعملته فى أنفسها فالسخاء والجود تعده من مكارم الافعال
وتحث عليه ولذلك قلنا ان بخلهم الذى وصفهم الله به انما كان بالعلم الذى كان الله آتاهموه فبخلوا
بتبيينه للناس وكتموه دون البخل بالاموال الا أن يكون معنى ذلك الذين يبخلون بأموالهم التى
ينفقونها فى حقوق الله فى سبيله ويأمرون الناس من أهل الاسلام بترك النفقة فى ذلك فيكون بخلهم
بأموالهم وأمرهم الناس بالبخل فهذا المعنى على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس فيكون لذلك
وجه مفهوم فى وصفهم بالبخل وأمرهم به ۞ القول فى تأويل قوله (وأعتدنا للكافرين عذابا
مهينا) يعنى بذلك جل ثناؤه وأعتدنا وجعلنا للجاحدين نعمة الله التى أنعم بها عليهم من المعرفة بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم المكذبين به بعد علمهم به الكاتمين نعته وصفته من أمرهم الله ببيانه له من
الناس عذابا مهينا يعنى العقاب المذل من عذب بخلوده فيه عناده الله فى آخرته اذا قدم على ربه وآخذه
بما سلف منه من جحوده فرض الله الذى فرضه عليه ۞ القول فى تأويل قوله (والذين ينفقون
أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعنى بذلك جل ثناؤه وأعتدنا للكافرين
بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس والذين فى
موضع خفض عطفا على الكافرين وقوله رئاء الناس يعنى ينفقه مراآة الناس فى غير طاعة الله أو
غير سبيله ولكن فى سبيل الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدقون بوحدانية
الله ولا بالمعاد اليه يوم القيامة الذى فيه جزاء الاعمال انه كائن وقد قال مجاهد ان هذا من صفة اليهود
وهو صفة أهل النفاق الذين كانوا أهل شرك فاظهروا الاسلام تقية من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأهل الايمان به وهم على كفرهم مقيمون أشبه منهم بصفة اليهود لان اليهود كانت توحد الله وتصدق

نزوله فى البقرة وفى لفظ الصلاة ههنا قولان أحدهما أن المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعى وليس فيه الا حذف المضاف أى لا تقربوا موضع الصلاة وثانيهما وعليه الاكثرون أن المراد نفس الصلاة أى لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الآية على القول الاول لا تقربوا المسجد فى حالتين احداهما حالة السكر وذلك أن جمعا من أكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم يأتون المسجد للصلاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فنهوا عن ذلك لان الظاهر أن الانسان اذا أتى المسجد فانما يأتيه للصلاة ولا شك أن الصلاة فيها أقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور أى الاجتياز فى المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه أو كان الماء فيه ووقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثانى النهى عن الصلاة فى حالتين الاولى حالة السكر أيضا الا اذا علموا ما يقولون ومعنى قربان الصلاة فعلها والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به فى هذا القول السفر أى لا تقربوا الصلاة فى حالة الجنابة الا ومعكم حالة أخرى تعذرون فيها وهى حال السفر ويجوز أن يكون الا عابرى سبيل صفة لقوله جنبا أى لا تقربوها جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجىء من تفصيل فيها وهو أن المسافر اذا أجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه بعد أن الجنب المقيم أيضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض أو برد يجوز له التيمم والصلاة على الجنابة اللهم الا أن يقال ان عذر السفر أعم وأغلب فلهذا خصص بالذكر أولا وسكارى جمع سكران ونزوله وأنتم سكارى فى محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا

الجنة على ما قاله عبد الله ولكلا التاويلين وجه مفهوم أعنى التاويل الذى قاله ابن مسعود والذى قاله قتادة وانما اخترنا التاويل الاول لموافقته الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ظاهر التنزيل على صحته اذ كان فى سياق الآية التى قبلها التى حث الله فيها على النفقة فى طاعته وذم النفقة فى طاعة الشيطان ثم وصل ذلك بما وعد النافقين فى طاعته بقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما واختلفت القراء فى قراءة قوله وان تك حسنة فقرأت ذلك عامة قراء العراق وان تك حسنة بنصب الحسنة بمعنى وان تك زنة الذرة حسنة يضاعفها وقرأ ذلك جماعة قراء المدينة وان تك حسنة برفع الحسنة بمعنى وان توجد حسنة على ما ذكرت عن عبد الله بن مسعود من تاويل ذلك وأما قوله يضاعفها فانه جاء بالالف ولم يقل يضعفها لانه أريد به فى قول بعض أهل العربية يضاعفها أضعافا كثيرة ولو أريد به فى قوله يضعف ذلك ضعفين لقيل يضعفها بالتشديد ثم اختلف أهل التأويل فى الذين وعدهم الله بهذه الآية ما وعدهم فيها فقال بعضهم هم جميع أهل الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم واعتلوا فى ذلك بما حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا يزيد بن هرون عن مبارك بن فضالة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى قال لقيت أبا هريرة فقلت له انه بلغنى انك تقول ان الحسنة لتضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك فوالله لقد سمعته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة وقال آخرون بل ذلك المهاجرون خاصة دون أهل البوادى والاعراب واعتلوا فى ذلك بما حدثنى محمد بن هرون أبو شط قال ثنا يحيى بن أبى بكير قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن عبد الله بن عمر قال نزلت هذه الآية فى الاعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال فقال الرجل فالمهاجرين قال ما هو أعظم من ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما واذا قال الله لشىء عظيم فهو عظيم * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بهذه الآية المهاجرين دون الاعراب وذلك انه غير جائز أن يكون فى اخبار الله أو اخبار رسوله صلى الله عليه وسلم شىء يدفع بعضه بعضا فاذا كان صحيحا وعد الله من جاء من عباده المؤمنين بالحسنة من الجزاء عشر أمثالها ومن جاء بالحسنة منهم أن يضاعفها له وكان الخبران اللذان ذكرناهما عنه صلى الله عليه وسلم صحيحين كان غير جائز الا أن يكون أحدهما مجملا والآخر مفسرا اذا كانت اخباره صلى الله عليه وسلم يصدق بعضها بعضا واذ كان ذلك كذلك صح ان خبر أبى هريرة معناه ان الحسنة لتضاعف للمهاجرين من أهل الايمان ألفى ألف حسنة وللاعراب منهم عشر أمثالها على ما روى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وان قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها يعنى من جاء بالحسنة من اعراب المؤمنين فله عشر أمثالها ومن جاء بالحسنة من مهاجريهم يضاعف له ويؤته الله من لدنه أجرا فانه يعنى يعطى من عنده أجرا عظيما يعنى عوضا من حسنته عظيما وذلك العوض العظيم الجنة كما حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا صدقة بن أبى سهل قال ثنا أبو عمرو عن زاذان عن ابن مسعود ويؤت من لدنه أجرا عظيما أى الجنة يعطها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عباد بن أبى صالح عن سعيد بن جبير قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما قال الاجر العظيم الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما قال أجرا عظيما الجنة ۞ القول فى تاويل قوله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الله لا يظلم عباده مثقال ذرة فكيف بهم اذا جئنا من كل أمة بشهيد يعنى بمن يشهد عليها باعمالها وتصديقها رسلها وتكذيبها وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يقول وجئنا بك يا محمد على هؤلاء أى على أمتك شهيدا يقول شاهدا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد

القيامة لم تكن له حسنة **حدثنا** موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا هشام بن سعد قال أخبرنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار والذي نفسي بيده ما أحدكم باشد منا شدة في الحق يراه ضيعا له من المؤمنين في اخوانهم اذا رأوا انهم قد خلصوا من النار يقولون أي ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا ويجاهدون معنا قد أخذتهم النار فيقول الله لهم اذهبوا فمن عرفتم صورته فاخرجوه ويحرم صورتهم على النار فيجدون الرجل قد أخذته النار الى انصاف ساقيه والى ركبتيه والى حقويه فيخرجون منها بشرا كثيرا ثم يعودون فيتكامون فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قيراط خير فاخرجوه فيخرجون منها بشرا كثيرا ثم يعودون فيتكامون فلا يزال يقول لهم ذلك حتى يقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة فاخرجوه فكان أبو سعيد اذا حدث بهذا الحديث قال ان لم تصدقوا فاقرؤا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقولون ربنا لم نذر فيها خيرا **وحدثني** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال آخرون في ذلك بما **حدثني** به المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا صدقة بن أبي سهل قال ثنا أبو عمرو عن زاذان قال أتيت ابن مسعود فقال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح والله الصبي أن يذوب له الحق على والده أو ولده أو زوجته فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقال له ائت هؤلاء حقوقهم أي اعطهم حقوقهم فيقول أي رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكته أي ملائكتي انظروا في أعماله الصالحة واعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة وهو أعلم بذلك منها يا رب انا أعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضلي رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما أي الجنة يعطيها وان فنيت حسناته وبقيت سيآته قالت الملائكة وهو أعلم بذلك الهنا فنيت حسناته وبقي سيآته وبقي طالبون كثير فيقول الله ضعوا عليه من أوزارهم واكتبوا له صكا بالنار قال صدقة أوصكا الى جهنم شك صدقة أيتهما قال **وحدثت** عن محمد بن عبد الله عن هرون بن عنترة عن عبد الله بن السائب قال سمعت زاذان يقول قال عبد الله بن مسعود يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هكذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة أن يذوب لها حق على أبيها أو على ابنها أو على أخيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيغفر الله تبارك وتعالى من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيأ فينصب للناس فيقول ائتوا الى الناس حقوقهم فيقول رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم فيقول خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته ان كان ولي الله فضل له مثقال ذرة ضاعفها له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان كان عبدا شقيا قال الملك رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم صكوا له صكا الى النار قال أبو جعفر فتاويل الآية على تاويل عبد الله هذا ان الله لا يظلم عبدا وجب له مثقال ذرة قبل عبد له آخر في معاده ويوم لقائه فما فوقه فيتركه عليه فلا ياخذه المظلوم من ظالمه ولكنه ياخذه منه ويا خذ من كل ظالم لكل مظلوم تبعته قبله وان تك حسنة يضاعفها يقول وان توجد له حسنة يضاعفها يعني يضاعف له ثوابها وأجرها ويؤت من لدنه أجرا عظيما يقول ويعطيه من عنده أجرا عظيما والاجر العظيم

الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وبعثنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد وقد عصوا والظاهر أن الواو للعطف وحينئذ تقتضي تكون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما أن يخص الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله أو يقال انه عام وأفرد ذكر قسم منه اظهارا لشرف الرسول وتفظيعا لشأن الجحود به أو يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الآية دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى أو يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء أو يصير البهائم ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما أن يتصل بما قبله والواو للعطف أي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا أمر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا أو للحال والمراد أن المشركين لما رأوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام دون أهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ورجاء أن يغفر الله لهم فحينئذ يختم على أفواههم ويتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون هنالك يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما أن يكون كلاما مستأنفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه أو توهموه ثم اتبع وصف اليوم

كيفية الصلاة التي هي من أعظم الطاعات وأعظم المعينات فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وقد مر سبب

الاصل فى وقت ما وبوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته فى غير ذلك الوقت وبغير

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال أتى رجل ابن عباس فقال سمعت الله يقول والله ربنا ما كنا مشركين وقال فى آية أخرى ولا يكتمون الله حديثا فقال ابن عباس أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا الله لا يدخل الجنة الا أهل الاسلام قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم فلا يكتمون الله حديثا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال أشياء تختلف على فى القرآن فقال ما هو أشك فى القرآن قال ليس بالشك ولكنه الاختلاف قال فهات ما اختلف عليك قال اسمع الله يقول ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ولا يكتمون الله حديثا وقد كتموا فقال ابن عباس أما قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحد المشركون فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا القاسم قال ثنا الزبير عن الضحاك أن نافع بن الازرق أتى ابن عباس فقال ابن عباس قول الله تبارك وتعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال له ابن عباس انى أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت ألقى على ابن عباس متشابه القرآن فاذا رجعت اليهم فاخبرهم ان الله جامع الناس يوم القيامة فى بقيع واحد فيقول المشركون ان الله لا يقبل من أحد شيأ الا ممن وحده فيقولون تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم أنهم كانوا مشركين فعند ذلك تمنوا لو أن الارض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يعنى أن تسوى الارض بالجبال عليهم فتأويل الآية على هذا القول الذى حكيناه عن ابن عباس يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا كانهم تمنوا أنهم سووا مع الارض وانهم لم يكونوا كتموا الله حديثا وقال آخرون معنى ذلك يومئذ لا يكتمون حديثا ويودون لو تسوى بهم الارض وليس بمنكتم عن الله شئ من حديثهم لعلمه جل ذكره بجميع حديثهم وأمرهم فانهم ان كتموه بالسنتهم فجحدوه لا يخفى عليه شئ منه ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وهو جمع سكران حتى تعلموا ما تقولون فى صلاتكم وتقرؤن فيها مما أمركم الله به أو ندبكم الى قيله فيها مما نهاكم عنه وزجركم ثم اختلف أهل التأويل فى السكر الذى عناه الله بقوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقال بعضهم عنى بذلك السكر من الشراب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن عن على انه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا فقدموا عليا يصلى بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد وأنا عابد ما عبدتم لكم دينكم ولى دين

عن ذلك وأكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد أو

الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين فى حال الحدث فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى أن المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم أن يتيمموا وكذلك الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل أن يقال قوله فلم تجدوا ماء ليس قيدا فى حكم المرضى لانهم فى الرخصة وان وجدوا ماء ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف سبع أو عدو أو عدم آلة استقاء أو انحصار فى مكان لا ماء فيه أو غير ذلك من الاسباب التى لا تكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذور كبطء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول لرواية لا ان يتألم ولا يخاف روى أن بعض الصحابة أصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسأل بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك وداود يجوز له التيمم بجميع أنواع المرض وفى معنى المرض البرد المؤدى الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص فى تفسير قوله ولا تقتلوا أنفسكم والسفر يعم الطويل والقصير أعنى مسافة القصر وما دونها لاطلاق قوله أو على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يغيب فيه عن أعين الناس فكنى به

والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجتناب وخالف الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر عبارة عن سد الطريق ومنه سكر السيل سد طريقه والسكر فى الشراب هو أن ينقطع عما عليه من المضار فى حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجارى الروح من الابخرة الغليظة فيسد تلك المجارى بها ولا ينفذ الروح السامع والباصر الى ظاهر البدن والجواب أن لفظ السكر حقيقة فى السكر من الخمر والاصل فى الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وأيضا أجمع المفسرون على انها نزلت فى شرب الخمر وسبب النزول يمنع أن لا يكون مرادا من الآية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ فى الآية بانه انما نهى عن قربان الصلاة حال السكر ممدودا الى غاية أن يصير بحيث يعلم ما يقول والحكم الممدود الى غاية يقتضى انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضى جواز الصلاة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلاة مع هذا السكر توهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر فى آية سورة المائدة على الاطلاق فتكون ناسخة لبعض مدلولات هذه الآية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهى عن الشرب المخل بالفهم عند القرب من الصلاة وتخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه فلا يكون منسوخا يكذبه أن الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق فكانوا لا يشربون فى أوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت آية المائدة فقالوا انتهينا يا رب والتحقيق فيه أن النهى عن مباح

ذكر

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال ان النبيين يأتون يوم القيامة منهم من أسلم معه من قومه الواحد والاثنان والعشرة وأقل وأكثر من ذلك حتى يؤتى بقوم لوط صلى الله عليه وسلم لم يؤمن معه الا ابنتاه فيقال لهم هل بلغتم ما أرسلتم به فيقولون نعم فيقال من يشهد فيقولون أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال لهم أتشهدون ان الرسل أودعوا عندكم شهادة فبم تشهدون فيقولون ربنا نشهد أنهم قد بلغوا كما شهدوا فى الدنيا بالتبليغ فيقال من يشهد على ذلك فيقولون محمد صلى الله عليه وسلم فيدعى محمد عليه السلام فيشهد ان أمته قد صدقوا وان الرسل قد بلغوا فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد قال رسولها فيشهد عليها ان قد أبلغهم ما أرسله الله اليهم وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتى عليها فاضت عيناه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن يزيد النحوى عن عكرمة فى قوله وشاهد ومشهود قال الشاهد محمد والمشهود يوم الجمعة فذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى قال ثنا سفيان عن المسعودى عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه عن عبد الله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال ثنا سفيان بن عيينة عن المسعودى عن القاسم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ على قال أقرأ وعليك أنزل قال انى أحب ان أسمعه من غيرى فقال فقرأ ابن مسعود النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال قال استعبر النبى صلى الله عليه وسلم وكف ابن مسعود قال ابن مسعود فحدثنى جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال شهيد عليكم ما دمت فيكم فاذا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ۞ القول فى تأويل قوله (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) يعنى بذلك جل ثناؤه يوم نجيء من كل أمة بشهيد ونجيء بك على أمتك يا محمد شهيدا يود الذين كفروا يقول يتمنى الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله لو تسوى بهم الارض واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز ومكة والمدينة لو تسوى بهم الارض بتشديد السين والواو وفتح التاء بمعنى لو تسوى بهم الارض ثم أدغمت التاء الثانية فى السين يراد به أنهم يودون لو صاروا ترابا فكانوا سواء هم والارض وقرأ آخرون ذلك لو تسوى بهم الارض بفتح التاء وتخفيف السين وهى قراءة عامة قراء أهل الكوفة فالمعنى الاول غير أنهم تركوا تشديد السين واعتلوا بان العرب لا تكاد تجمع بين تشديدين فى حرف واحد وقرأ ذلك آخرون لو تسوى بهم الارض بمعنى لو سواهم الله والارض فصاروا ترابا مثلها بتصييره اياهم كما يفعل ذلك بمن ذكرأنه يفعله به من البهائم وكل هذه القراآت متقاربات المعنى وبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب لان من تمنى منهم أن يكون يومئذ ترابا انما يتمنى أن يكون كذلك بتكوين الله اياه كذلك وكذلك من تمنى أن يكون الله جعله كذلك فقد تمنى أن يكون ترابا على ان الامر وان كان كذلك فاعجب القراءة الى فى ذلك لو تسوى بهم الارض بفتح التاء وتخفيف السين كراهية الجمع بين تشديدين فى حرف واحد ولتوفيق فى المعنى بين ذلك وبين قوله ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فاخبر الله عنهم جل ثناؤه أنهم يتمنون أن يكونوا ترابا ولم يخبر عنهم أنهم قالوا يا ليتنى كنت ترابا فكذلك قوله لو تسوى بهم الارض فسووا هم وهى أعجب الى لموافق ذلك المعنى الذى أخبر عنهم بقوله يا ليتنى كنت ترابا وأما قوله ولا يكتمون الله حديثا فان أهل التأويل تأولوه بمعنى ولا تكتم الله جوارحهم حديثا وان جحدت ذلك أفواههم

بوجوهكم وأيديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسه من الدهن الا معنى التبعيض ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو الذي يحتمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه صلى الله عليه وسلم خصص التراب بهذا المعنى فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا أما مسح الوجه واليد فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك لان المسح مكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وأبو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الاباط لان اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين كان أولى بالترخيص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال أحبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول فجعل يطعن ببده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن الحضير وهو أحد النقباء ما هو

فلا تجدوا الماء فتيمموا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال المسافر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشام عن قتادة عن أبي مجلز عن ابن عباس بمثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله عن علي رضي الله عنه قال نزلت في السفر ولا جنبا الا عابري سبيل وعابر السبيل المسافر اذا لم يجد ماء تيمم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا هرون عن ابن مجاهد عن أبيه ولا جنبا الا عابري سبيل قال المسافر اذا لم يجد الماء فانه يتيمم فيصلي **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال هو الرجل يكون في السفر فتصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا جنبا الا عابري سبيل قال مسافرين لا يجدون ماء فيتيممون صعيدا طيبا حتى يجدوا الماء فيغتسلوا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال مسافرين لا يجدون ماء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر عن بكير بن الاخنس عن الحسن بن مسلم في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال الا أن يكونوا مسافرين فلا يجدون الماء فيتيمموا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن الحكم ولا جنبا الا عابري سبيل قال المسافر تصيبه الجنابة فلا يجد ماء فيتيمم **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير وعن منصور عن الحكم في قوله الا عابري سبيل قالا المسافر الجنب لا يجد الماء فيتيمم فيصلي **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير ولا جنبا الا عابري سبيل الا أن يكون مسافرا **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن الحكم نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال كنا نسمع انه في السفر **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال هو المسافر الذي لا يجد الماء فلا بد له من أن يتيمم ويصلي فهو يتيمم ويصلي قال كان أبي يقول هذا وقال آخرون معنى ذلك لا تقربوا المصلى للصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوه جنبا حتى تغتسلوا الا عابري سبيل يعني الا مجتازين فيه للخروج منه فقال أهل هذه المقالة أقيمت الصلاة مقام المصلى والمسجد اذ كانت صلاة المسلمين في مساجدهم يومئذ لا يتخافون عن التجميع فيها فكان في النهي عن أن يقربوا الصلاة كفاية عن ذكر المساجد والمصلى الذي يصلون فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال هو الممر في المسجد **حدثنا** أحمد بن حازم قال ثنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن زيد بن أسلم عن ابن بشار عن ابن عباس ولا جنبا الا عابري سبيل قال لا تقرب المسجد الا أن يكون طريقك فيه فتمر مارا ولا تجلس **حدثنا** ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة عن سعيد في الجنب يمر في المسجد مجتازا وهو قائم لا يجلس وليس بمتوضئ وتلا هذه الآية ولا جنبا الا عابري سبيل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن خمشل عن الضحاك عن ابن عباس قال لا بأس للحائض والجنب أن يمرا في المسجد ما لم يجلسا فيه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو الزبير قال كان أحدنا يمر في المسجد وهو جنب مجتازا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال الجنب يمر في المسجد ولا يقعد فيه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قالا جميعا ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل

باول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من أول السورة الى ههنا أحكاما

نادرا ما اللمس أو الملامسة ففيه قولان أحدهما أن المراد به التقاء البشرتين بجماع أو بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب أبي حنيفة والشيعة لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا عن ابن عباس ان الله حي كريم يعف ويكني فعبر عن المباشرة بالملامسة وأيضا لتشمل الآية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي قال بعض أهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله أو لامستم والصحيح أنه ينتقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب وقال أبو حنيفة لا يجب بدليل قوله ولم نجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال وأجيب بانه بنى الكلام على المجاز للمبالغة كانه طلب شيأ ثم لم يجدوا أجمعوا على أنه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه أو لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عند الائمة انه يستعمله أو يصبه ثم يتيمم ليكون عاملا بظاهر الآية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان أو غيره ومن هنا قال أبو حنيفة اذا كان صخر الا تراب عليه وضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب لتحقق مفهوم التصاعد فيه وليلتصق بيده فيمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة وامسحوا فلا

فانزل الله تبارك وتعالى هذه الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنى عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي رزين في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قال نزل هذا وهم يشربون الخمر فقال وكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي رزين قال كانوا يشربون بعدما أنزلت التي في البقرة وبعد التي في النساء فلما أنزلت التي في المائدة تركوها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال نهوا أن يصلوا وهم سكارى ثم نسخها تحريم الخمر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قال كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ بتحريم الخمر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي وائل وأبي رزين وابراهيم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قالوا كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر وقال آخرون معنى ذلك لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى من النوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قال سكر النوم حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة عن الضحاك يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قال لمن يقربها سكرا انما عنى بها سكر النوم

* قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية تأويل من قال ذلك نهي من الله المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر للاخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك كذلك نهي من الله وان هذه الآية نزلت فيمن ذكرت انها نزلت فيه فان قال لنا قائل وكيف يكون ذلك معناه والسكران في حال زوال عقله نظير المجنون في حال زوال عقله وأنت ممن تحيل تكليف المجانين لفقدهم الفهم بما يؤمرون وينهى قيل له ان السكران لو كان في معنى المجنون لكان غير جائز أمره ونهيه ولكن السكران هو الذي يفهم ما يأتي ويذر غير ان الشراب قد أثقل لسانه وأحرج جسمه واخذه حتى عجز عن اقامة قراءته في صلاته وحدودها الواجبة عليه فيها من غير زوال عقله فهو بما أمر به ونهي عنه عارف فهم وعن أداء بعضه عاجز تحذر جسمه من الشراب وأما من صار الى حد لا يعقل ما يأتي يذر فذلك منتقل من السكر الى الخبل ومعد في المجانين وليس ذلك الذي خوطب بقوله لا تقربوا الصلاة لان ذلك مجنون وانما خوطب به السكران والسكران ما وصفنا صفته ❁ القول في تأويل قوله (ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوها جنبا الا عابري سبيل يعني الا أن تكونوا مجتازي طريق أي مسافرين حتى تغتسلوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن أبي مجلز عن ابن عباس في قوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال المسافر وقال ابن المثنى في السفر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنى عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا جنبا الا عابري سبيل يقول لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب اذا وجدتم الماء فان لم تجدوا الماء فقد أحللت لكم أن تمسحوا بالارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عباد بن عبد الله أو عن زر عن علي رضي الله عنه ولا جنبا الا عابري سبيل قال الا أن تكونوا مسافرين

قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان كنتم مرضى والمرضى أن يصيب الرجل الجرح والقرح والجدري فيخاف على نفسه من برد الماء وأذاه يتيمم بالصعيد كما يتيمم المسافر الذي لا يجد الماء **حدثنا** ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن عاصم يعني الاحول عن الشعبي انه سئل عن الجدور تصيبه الجنابة قال ذهب فرسان هذه الآية وقال آخرون في ذلك ما **حدثني** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كنتم مرضى أو على سفر فلم تجدوا ماء فتيمموا قال المريض الذي لا يجد أحدا يأتيه بالماء ولا يقدر عليه وليس له خادم ولا عون فاذا لم يستطع أن يتناول الماء وليس عنده من يأتيه به ولا يحبو اليه تيمم وصلى اذا حلت الصلاة قال هذا كله اذا كان لا يستطيع أن يتناول الماء وليس عنده من يأتيه به لا يترك الصلاة وهو أعذر من المسافر فتأويل الآية اذا وان كنتم جرحى أو بكم قروح أو كسر أو علة لا تقدرون معها على الاغتسال من الجنابة وأنتم مقيمون غير مسافرين فتيمموا صعيدا طيبا وأما قوله أو على سفر فانه يعني أو كنتم مسافرين وأنتم أصحاء جنب فتيمموا صعيدا وكذلك تأويل قوله أو جاء أحد منكم من الغائط يقول أو جاء أحد منكم من الغائط قد قضى حاجته وهو مسافر صحيح فليتيمم صعيدا أيضا والغائط ما اتسع من الاودية وتصوب وجعل كناية عن قضاء حاجة الانسان لان العرب كانت تختار قضاء حاجتها في الغيطان فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك فقيل لكل من قضى حاجته التي كانت تقضى في الغيطان حيث قضاها من الارض متغوط وجاء فلان من الغائط يعني به قضى حاجته التي كانت تقضى في الغائط من الارض وذكر عن مجاهد أنه قال في الغائط الوادي **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو جاء أحد منكم من الغائط قال الغائط الوادي ۞ القول في تأويل قوله (أو لامستم النساء) يعني بذلك جل ثناؤه أو باشرتم النساء بايديكم ثم اختلف أهل التأويل في اللمس الذي عناه الله بقوله أو لامستم النساء فقال بعضهم عنى بذلك الجماع ذكر من قال ذلك **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي ليس بالجماع وقال ناس من العرب اللمس الجماع قال فاتيت ابن عباس فقلت ان ناسا من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس فقالت الموالي ليس الجماع وقالت العرب الجماع قال من أي الفريقين كنت قال كنت من الموالي قال غلب فريق الموالي ان المس واللمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي قيس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس انه قال أو لامستم النساء قال هو الجماع **حدثنا** ابن بشار قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا أبي عن قتادة عن سعيد بن جبير قال اختلفت أنا وعطاء وعبيد بن عمير في قوله أو لامستم النساء فقال عبيد بن عمير هو الجماع وقلت أنا وعطاء هو اللمس قال فدخلنا على ابن عباس فسألناه فقال غلب فريق الموالي وأصابت العرب هو الجماع ولكن الله يعفو ويكني **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعبيد بن عمير اختلفوا في الملامسة فقال سعيد بن جبير وعطاء الملامسة ما دون الجماع وقال عبيد هو النكاح فخرج عليهم ابن عباس فسألوه فقال أخطأ المولیان وأصاب العربي الملامسة النكاح ولكن الله يكني ويعف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد عن قتادة قال اجتمع سعيد بن جبير وعطاء وعبيد بن عمير فذكر نحوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن عمية قال ثنا سعيد بن بشر عن قتادة قال قال سعيد بن جبير وعطاء في التماس الغمز باليد وقال عبيد بن عمير الجماع فخرج عليهم ابن عباس فقال أخطأ المولیان

بأنه وقيل فائدة الباء وهي للالصاق أن يعلم أن هذه الكفاية صدرت من الله تعالى بغير واسطة وقوله من الذين هادوا ما بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله أعلم الى آخر الآية معترضات بين البيان والمبين وما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرنا من القوم الذين كذبوا واما كلام مستأنف على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلام عن مواضعه قال الواحدي الكلام جمع حروفه أقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف استبدال لفظ مكان لفظ كوضعهم آدم طوالا مكان اسمر ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واختير عن للدلالة على الازالة والازالة وأما في المائدة فقيل من بعد مواضعه نظرا الى أن الكلام كانت له مواضع هو قبن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة كما يفعله في زماننا أهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول أصح لاستبعاد تحريف المشهور والمتواتر لكن دعوى التواتر بشروطه في التوراة ممنوعة وقيل كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن أمر فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أمرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وفي الباطن عصينا أو كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد والمرود والكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين اما احتمال المدح فلقول العرب أسمع فلان فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا ونصحا وأما احتمال الذم

كثيرة عدل الى ذكر طرف من آثار

الى الذين أى ألم ينته علمك أو ألم تنظر الى من أوتوا حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود وانما أدخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب فى قوله قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختار ونها لان من اشترى شيأ فقد آثره واختاره قاله الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم لاغراضهم الفاسدة من أخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة وهى البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات لهم على صحته ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا أقبح ممن جمع بين هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت فى حيين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبى ورهطه فيثبطانهم عن الاسلام وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون أحبارهم بعض أموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا بها لهم الشبهة والضلالة والله أعلم منكم باعدائكم لانه عالم بكنه ما فى صدورهم من الحنق والغيظ فاذا أطلعكم على أحوالهم فلا تستنصحوهم فى أموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العبد وكفى بالله نصيرا فتقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون أشد تاثيرا فى القلب وأكثر مبالغة وزيدت الباء فى الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فكان الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير وكفى اكتفاؤك بالله

قال اذا لم يجد طريقا الا المسجد يمر فيه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم فى هذه الآية ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا قال لا باس أن يمر الجنب فى المسجد اذا لم يكن له طريق غيره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال الجنب يمر فى المسجد ولا يجلس فيه ثم قرأ ولا جنبا الا عابرى سبيل **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن عبد الكريم عن أبى عبيدة مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن الحسن بن عبيد الله عن أبى الضحى مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن اسمعيل عن الحسن قال لا باس للحائض والجنب أن يمر فى المسجد ولا يقعد فيه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن سعيد عن الزهرى قال رخص للجنب أن يمر فى المسجد **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى يزيد بن أبى حبيب عن قول الله ولا جنبا الا عابرى سبيل ان رجالا من الانصار كانت أبوابهم فى المسجد تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فانزل الله تبارك وتعالى ولا جنبا الا عابرى سبيل **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن حماد عن ابراهيم ولا جنبا الا عابرى سبيل قال لا يجتاز فى المسجد الا أن لا يجد طريقا غيره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن ابن مجاهد عن أبيه لا يمر الجنب فى المسجد يتخذه طريقا * قال أبو جعفر وأولى القولين بالتأويل لذلك تاويل من تاوله ولا جنبا الا عابرى سبيل الا مجتازى طريق فيه ودلك أنه قد تبين حكم المسافر اذا عدم الماء وهو جنب فى قوله وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فكان معلوما بذلك ان قوله ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا لو كان معنيا به المسافر لم يكن لاعادة ذكره فى قوله وان كنتم مرضى أو على سفر معنى مفهوم وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك واذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوها أيضا جنبا حتى تغتسلوا الا عابرى سبيل والعابر السبيل المجتاز مرا لوقطعا يقال منه عبرت هذا الطريق فانا أعبره عبرا وعبورا ومنه قيل عبر فلان النهر اذا قطعه وجازه ومنه قيل للناقة القوية على الاسفار هى عبر اسفار لقوتها على الاسفار ۞ القول فى تاويل قوله (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) يعنى بقوله جل ثناؤه وان كنتم مرضى من جرح أو جدرى وأنتم جنب كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو المنيب الفضل بن سليم عن الضحاك عن ابن مسعود قوله وان كنتم مرضى أو على سفر قال المرض الذى قد أرخص له فى التيمم هو الكسير والجريح فاذا أصابت الجنابة الكسير اغتسل ولا يحل جراحته الا جراحة لا يخشى عليها **حدثنا** تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن شريك عن اسمعيل السدى عن أبى مالك قال فى هذه الآية وان كنتم مرضى أو على سفر قال هى للمريض الذى به الجراحة التى يخاف منها أن يغتسل فلا يغتسل فرخص له فى التيمم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان كنتم مرضى والمرض هو الجراح والجراحة التى يتخوف عليها من الماء ان أصابه ضر صاحبه فذلك يتيمم صعيدا طيبا **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن عروة عن سعيد بن جبير فى قوله وان كنتم مرضى قال اذا كان به جروح أو قروح يتيمم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم وان كنتم مرضى قال من القروح تكون فى الذراعين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن جويبر عن الضحاك قال صاحب الجراحة التى يتخوف عليه منها يتيمم ثم قرأ وان كنتم مرضى أو على سفر **حدثنى** المثنى

قال

عبدة الضبي قال أخبرنا سالم بن أخضر قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن قوله أو لامستم النساء قال فاشار بيده هكذا وحكاه سليم واراناه أبو عبد الله فضم أصابعه **حدثني** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن سلمة بن علقمة عن محمد قال سألت عبيدة عن قوله أو لامستم النساء قال بيده فظننت ما عني فلم أسأله **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ذكروا عند محمد مس الفرج وأظنهم ذكروا ما قال ابن عمر في ذلك فقال محمد قلت لعبيدة قوله أو لامستم النساء فقال بيده قال ابن عون بيده كأنه يتناول شيئا يقبض عليه **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا خالد عن محمد قال قال عبيدة اللمس باليد قال ثنا ابن علية عن هشام عن محمد قال سألت عبيدة عن هذه الآية أو لامستم النساء فقال بيده وضم أصابعه حتى عرفت الذي أراد **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عمر عن نافع ان ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة ويرى فيها الوضوء ويقول هي من الملماس **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن عامر قال الملامسة مادون الجماع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مخلد بن محرز عن ابراهيم قال اللمس من شهوة ينقض الوضوء **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا شعبة عن الحكم وحماد انهما قالا اللمس مادون الجماع **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن عطاء قال الملامسة مادون الجماع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن الشعبي عن أصحاب عبد الله عن عبد الله قال مادون الجماع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن بيان عن عامر عن عبد الله قال الملامسة مادون الجماع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنى أبي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد عن أبي معشر عن ابراهيم قال قال عبد الله الملامسة مادون الجماع ثم قرأ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن أو لامستم النساء فقال بيده هكذا فعرفت ما يعني **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه وحسن بن صالح عن منصور عن هلال بن يساف عن أبي عبيدة قال القبلة من اللمس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن زهير عن خصيف عن أبي عبيدة القبلة واللمس

* قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني الله بقوله أو لامستم النساء الجماع دون غيره من معاني اللمس لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ **حدثني** بذلك اسمعيل بن موسى السدي قال أخبرنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولم يتوضأ **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قلت من هي الا أنت فضحكت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا حفص بن غياث عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ **حدثنا** أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا سهل بن عباد قال ثنا منذل عن ليث عن عطاء عن عائشة وعن أبي روق عن ابراهيم التيمي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينال مني القبلة بعد الوضوء ثم لا يعيد الوضوء **حدثنا** سعيد بن يحيى الاموي قال ثنى أبي قال ثنى يزيد بن سنان عن عبد الرحمن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يحدث وضوأ ففي صحة الخبر فيما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدلالة الواضحة على ان اللمس في هذا الموضع لمس الجماع لا جميع معاني اللمس كما قال الشاعر

الطمس القلب والتغيير والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم

الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقا أو أراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود والعناد بقوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب الآية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومغارة طامسة الاعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الآية حقيقة أو مجاز قولان والمعنى على الاول محو تخطيط صورها وأشكالها من عين وحاجب وأنف وفم والغاء في فنردها على أدبارها اما للتسبيب أي فنجعل الوجوه بسبب هذا الطمس على هيئة أقفائهم امطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فاذا أزيلت ومحيت لم يبق فرق بينها وبين القفاء واما للتعقيب على أن العقوبة شيئان احداهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما يكون هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال في حق أهل النار وأما من أوتي كتابه وراء ظهره على أن وجوههم مردودة الى أقفائهم فيدرك الكتابة وتقرأ من هناك وأما المعنى على القول الثاني فعن الحسن نطمسها بالهدى ونردها بالخذلان على أدبارها أي على ضلالاتها وشبهاتها وذلك أن المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذاك يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم الى حيث جاؤا منه وهي أذرعات الشام يريد اجلاء بني قريظة والنضير والطمس على هذا اما تقبيح الوجوه واما ازالة آثارهم عن ديار اليهود وقيل

وأصاب العربي ولكنه يعف ويكني حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قال قال ابن عباس اللمس الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية وعبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اللمس والمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكني بما شاء حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق الازرق عن سفيان عن عاصم الاحول عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال الملامسة الجماع ولكن الله كريم يكني عما شاء حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن سفيان عن عاصم عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن ابي عدي عن داود عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير قال اختلفت العرب والموالي في الملامسة على باب ابن عباس قالت العرب الجماع وقالت الموالي باليد قال فخرج ابن عباس فقال غلب فريق الموالي الملامسة الجماع حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رجل عن سعيد بن جبير قال كنا على باب ابن عباس فذكر نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن سعيد بن جبير قال قعد قوم على باب ابن عباس فذكر مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله أو لامستم النساء الملامسة هو النكاح حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن الاعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال اجتمعت الموالي والعرب في المسجد وابن عباس في الصفة فاجتمعت الموالي على ان اللمس دون الجماع واجتمعت العرب على انه الجماع فقال ابن عباس من أي الفريقين أنت قلت من الموالي قال غلبت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اللمس الجماع وبه عن سفيان عن عاصم عن بكر عن ابن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن الاعمش عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قال هو الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا مالك عن زهير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو لامستم النساء قال الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أشعث عن الشعبي عن علي رضي الله عنه قال الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن يونس عن الحسن قال الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا مالك عن خصيف قال سألت مجاهدا فقال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحسن قالا غشيان النساء * وقال آخرون عنى الله بذلك كل لمس بيد كان أو بغيرها من أعضاء جسد الانسان وأوجبوا الوضوء على من مس بشئ من جسده شيئا من جسدها مفضيا اليه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مخارق عن طارق بن شهاب عن عبد الله انه قال شيئا هذا معناه الملامسة مادون الجماع حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن هلال عن أبي عبيدة عن عبد الله أو عن أبي عبيدة منصور الذي شك قال القبلة من المس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مخارق عن طارق عن عبد الله قال اللمس مادون الجماع حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن شعبة عن المغيرة عن ابراهيم قال قال ابن مسعود اللمس مادون الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي عبيدة عن عبد الله قال القبلة من اللمس حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية وحدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال القبلة من اللمس وفيها الوضوء حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود مثله حدثنا أحمد بن

فبان يكون معناه اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لان من كان أصم فانه لا يسمع فلا يسمع أو بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه أي غير مسمع جوابا يوافقك أو بان يراد اسمع غير مسمع كلاما ترتضيه وعلى هذا يجوز أن يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره أي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه ومنها قولهم له صلى الله عليه وسلم راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة وانما جاؤا بقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لان المواجهة بالعصيان أهون خطبا في العرف من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون الثاني ليا بالسنتهم مفعول لاجله أو مصدر لمحذوف أو ليقولون لانه في معنى اللي أيضا وعينه واو بدليل لويت فقلبت وأدغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها أو يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا أو لعلهم كانوا يفتلون أشداقهم وألسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخريا وطعنا على عادة المستهزئين فبين الله تعالى انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين ونبه بذلك على ما كانوا يقولونه فيما بينهم انا نشتمه ولا يعرفه ولو كان نبيا لعرف باظهار ذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته لان الاخبار عن الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا اذ وضع لهم الآيات وثبت لهم البينات كرات بعد مرات واسمع دون أن يقال معه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأقوم أعدل وأشد من قولهم مع قوم أي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم أي بسببه

ما نزل بك أمر تكرهه منه الا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرا **حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن داخلون الى المدينة فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرى واقد أقبل أبى فلكزنى لكزة ثم قال حبست الناس ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ونزلت يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما أنتم الا بركة **حدثنى** الحسن بن شبيب قال ثنا ابن عيينة قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن أبى مليكة قال دخل ابن عباس على عائشة فقال كنت أعظم المسلمين بركة على المسلمين سقطت قلادتك بالابواء فانزل الله فيك آية التيمم واختلفت القراء فى قراءة قوله أو لامستم النساء فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين أو لامستم بمعنى أو لمستم نساءكم ولمسنكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أو لمستم النساء يعنى أو لمستم أنتم أيها الرجال نساءكم وهما قراءتان متقاربتا المعنى لانه لا يكون الرجل لامسا امرأته الا وهى لامسته فاللمس فى ذلك يدل على معنى اللماس واللماس على معنى اللمس من كل واحد منهما صاحبه فبأى القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيب لاتفاق معنييهما ۞ القول فى تاويل قوله (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) يعنى بقوله جل ثناؤه فلم تجدوا ماء أو لمستم النساء فطلبتم الماء لتتطهروا به فلم تجدوه بثمن ولا غير ثمن فتيمموا يقول فتعمدوا وهو تفعلوا من قول القائل تيممت كذا اذا قصدته وتعمدته فانا أتيممه وقد يقال منه يممه فلان فهو يممه وأممته أنا وأممته خفيفة وتيممت وتامت ولم يسمع فيها يممت خفيفة ومنه قول أعشى بنى ثعلبة

تيممت قيسا وكم دونه * من الارض من مهمه ذى شزر

يعنى بذلك تيممت تعمدت وقصدت وقد ذكر انها فى قراءة عبد الله فاموا صعيدا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الله بن محمد قال ثنا عبدان قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله فتيمموا صعيدا طيبا قال تحروا وتعمدوا صعيدا طيبا وأما الصعيد فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم هو الارض الملساء التى لا نبات فيها ولا غراس ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة صعيدا طيبا قال التى ليس فيها شجر ولا نبات وقال آخرون بل هو الارض المستوية ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الصعيد المستوى وقال آخرون بل الصعيد التراب ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشر قال ثنا عمرو بن قيس الملائى قال الصعيد التراب وقال آخرون الصعيد وجه الارض وقال آخرون بل هو الارض ذات التراب والغبار وأولى ذلك بالصواب قول من قال هو وجه الارض الخالية من النبات والغروس والبناء المستوية ومنه قول ذى الرمة

كأنه بالضحى ترمى الصعيد به * ونابه فى عظام الرأس خرطوم

يعنى يضرب به وجه الارض وأما قوله طيبا فانه يعنى به طاهرا من الاقذار والنجاسات واختلف أهل التأويل فى معنى قوله طيبا فقال بعضهم حلالا ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله صعيدا طيبا قال قال بعضهم حلالا وقال بعضهم بما **حدثنى** عبد الله قال ثنا عبدان قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة قال قلت لعطاء فتيمموا صعيدا طيبا قال الطيب ما حولك قلت مكان جرد غير بطح أيجزئ عنى قال نعم ومعنى الكلام فان لم تجدوا ماء أيها الناس وكنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فارد تم أن تصلوا فتيمموا يقول فتعمدوا وجه الارض

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ينك لمسا

يعني بذلك ينك لماسا وذكر ان هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم جنابة وهم جراح حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد ابن جابر عن حماد عن ابراهيم في المريض لا يستطيع الغسل من الجنابة أو الحائض قال يجزيهم التيمم وقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحة فغشت فيهم ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط الآية كلها وقال آخرون نزلت في قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أعوزهم الماء فلم يجدوه في سفر لهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن القاسم عن عائشة انها قالت كنت في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الجيش ضل عقدي فاخبرت بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فامر بالتماسه فالتمس فلم يوجد فاناخ النبي صلى الله عليه وسلم وأناخ الناس فباتوا ليلتهم تلك فقال الناس حبست عائشة النبي صلى الله عليه وسلم قالت فجاء الى أبو بكر ورأس النبي صلى الله عليه وسلم في حجري وهو نائم فجعل يهمزني ويقرصني ويقول من أجل عقدك حبست النبي صلى الله عليه وسلم قالت فلا أتحرك مخافة أن يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوجعني فلا أدري كيف أصنع فلما رآني لا أحير اليه انطلق فلما استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وأراد الصلاة فلم يجدماء قالت فانزل الله تعالى آية التيمم قالت فقال ابن حضير ما هذا باول بركتكم يا آل أبي بكر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن ابن أبي مليكة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فقدت عائشة قلادة لها فامر الناس بالنزول فنزلوا وليس معهم ماء فاتى أبو بكر على عائشة فقال لها شققت على الناس وقال أيوب بيده يصف انه قرصها قال ونزلت آية التيمم ووجدت القلادة في مناخ البعير فقال الناس ما رأينا قط امرأة أعظم بركة منها حدثني محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنى عمران بن محمد الحداد قال ثنى الربيع بن بدر قال ثنى أبي عن أبيه عن رجل منا من بلعرج يقال له الاسلع قال كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأرحل له فقال لي ذات ليلة يا أسلع قم فارحل لي قلت يا رسول الله أصابتني جنابة فسكت ساعة ثم دعاني وأتاه جبريل عليه السلام بآية الصعيد ووصف لنا ضربتين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن خالد قال ثنا الربيع بن بدر قال ثنى أبي عن أبيه عن رجل منا يقال له الاسلع قال كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله الا أنه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ أو قال ساعة الشك من عمرو قال وأتاه جبريل عليه السلام بآية الصعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسلع فتيمم قال فتيممت ثم رحلت له فسرنا حتى مررنا بماء فقال يا أسلع مس أو مس بهذا جلدك قال وأراني التيمم كما أراه أبوه ضربة للوجه وضربة لليدين والمرفقين حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن غيلان قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم قال ثنى عبد الله بن عبيد عن ابن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان أبو عمرو حاجب عائشة ان ابن عباس دخل عليها في مرضها فقال ابشري كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الابواء فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقطها حتى أصبح في المنزل فاصبح الناس ليس معهم ماء فانزل الله تيمموا صعيدا طيبا فكان ذلك من سببك وما أنزل الله لهذه الامة من الرخصة حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها وأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا بغير وضوء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله آية التيمم فقال أسيد بن حضير لعائشة جزاك الله خيرا فوالله

صغارهم وادبارهم والضمير في قوله أو تلعنهم وجوه قوم أو يرجع الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل فاين وقوع الوعيد فالجواب انه مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد آمن ناس من علمائهم كعبد الله ابن سلام وأصحابه حكى انه لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وأيضا انه ما جعل الوعيد هو الطمس بعينه بل اياه أو اللعن فان كان الطمس تبديل أحوالهم ورؤسائهم أو اجلائهم الى الشام فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من أبناء جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل ان قوله آمنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم فلزم أن يكون قوله من قبل أن نطمس وجوها واقعا في الآخرة فالتقدير آمنوا من قبل أن يجيء الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان أمر الله مفعولا لانه لا راد لحكمه ولا يتعذر عليه شيء يريد أن يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا يشك في حصوله هذا الامر مفعول وان لم يفعل بعد فاذا حكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد بالامر الشأن والفعل الذي تعلق ارادته به لا الامر الذي هو أحد أقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالآية على أن كلامه تعالى مفعول أي مخلوق ثم بين أن مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر الآية ما

مسحتان يضرب الرجل بيده الارض يمسح بهما وجهه ثم يمسح بهما مرة أخرى فيمسح يديه الى المرفقين **حدثني** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر في التيمم قال ضربة للوجه وضربة للكفين الى المرفقين **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كان يقول في المسح في التيمم الى المرفقين **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا ابن عون قال سألت الحسن عن التيمم فضرب بيديه على الارض فمسح بهما وجهه وضرب بيديه فمسح بهما ذراعيه ظاهرهما وباطنهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر أنه قال في هذه الآية فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين وقال في هذه الآية فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه قال أمر أن يمسح في التيمم ما أمر أن يغسل في الوضوء وأبطل ما أمر أن يمسح في الوضوء الرأس والرجلان **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية **وحدثنا** ابن المثنى قال ثنى محمد بن أبي عدي جميعا عن داود عن الشعبي في التيمم قال ضربة للوجه واليدين الى المرفقين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال أمر بالتيمم فيما أمر بالغسل **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب قال سألت سالم بن عبد الله عن التيمم فضرب بيديه على الارض ضربة فمسح بهما وجهه ثم ضرب بيديه على الارض ضربة أخرى فمسح بهما يديه الى المرفقين **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال وأخبرنا حبيب بن الشهيد عن الحسن أنه سئل عن التيمم فقال ضربة يمسح بها وجهه ثم ضربة أخرى يمسح بها يديه الى المرفقين وعلة من قال هذه المقالة ان التيمم بدل من الوضوء على المتيمم أن يبلغ بالتراب من وجهه ويديه ما كان عليه أن يبلغه بالماء منهما في الوضوء واعتلوا من الاثر ما **حدثني** به موسى بن سهل الرملي قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا خارجة بن مصعب عن عبد الله بن عطاء عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن أبي جهيمة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلمت عليه فلم يرد علي فلما فرغ قام الى حائط فضرب بيديه عليه فمسح بهما وجهه ثم ضرب بيديه الى الحائط فمسح بهما يديه الى المرفقين ثم رد على السلام وقال آخرون الحد الذي أمر الله أن يبلغ بالتراب اليه في التيمم الآباط ذكر من قال ذلك **حدثني** أحمد بن عبد الرحيم البرقي قال ثنى عمرو بن أبي سلمة التنيسي عن الاوزاعي عن الزهري قال التيمم الى الآباط وعلة من قال ذلك ان الله أمر بمسح اليد في التيمم كما أمر بمسح الوجه وقد أجمعوا أن عليه أن يمسح جميع الوجه فكذلك عليه جميع اليد ومن طرف الكف الى الابط واعتلوا من الخبر بما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا صفوي بن يحيى عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي اليقظان قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلك عقد لعائشة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الصبح فتغيظ أبو بكر على عائشة فنزلت عليه الرخصة المسح بالصعيد فدخل أبو بكر فقال لها انك لمباركة نزل فيك رخصة فضربنا بايدينا ضربة لوجهنا وضربة بايدينا الى المناكب والآباط * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان الحد الذي لا يجزئ المتيمم أن يقصر عنه في مسحه بالتراب من يديه الكفان الى الزندين لاجماع الجميع على ان التقصير عن ذلك غير جائز ثم هو فيما جاوز ذلك مخير ان شاء بلغ بمسحه المرفقين وان شاء الآباط والعلة التي من أجلها جعلنا مخيرا فيما جاوز الكفين ان الله لم يحد في مسح ذلك بالتراب في التيمم حدا لا يجوز التقصير عنه فما مسح المتيمم من يديه أجزأه الا ما أجمع عليه أو قامت الحجة بانه لا يجزئه التقصير عنه وقد أجمع الجميع على أن التقصير عن الكفين غير مجزئ فخرج بذلك بالسنة وما عدا ذلك فصحة الف فيه واذ كان مختلفا فيه وكان الماسح بكفيه داخلا في عموم الآية كان خارجا ما لزمه من فرض ذلك واختلف أهل التاويل في الجنب هل هو ممن دخل في رخصة التيمم اذا لم يجد الماء أم لا فقال جماعة من أهل التاويل من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين حكم الجنب فيما

في الآية عمر بن الخطاب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في اغواء الناس

تخاف ان لا نقوم به فنزل ان الله لا يغفر أن يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من أهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم قد خلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق وافتعل اثما عظيما لانه ادعى مالا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود أتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فنزل فيهم ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل أو قبول الطاعة والزلفى عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله اني لامين في السماء أمين في الارض وكفى باظهار المعجزات على يده تزكية له وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتل بين أصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير للذين يزكون أي يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو لمن يشاء أي يثابون على زكائهم من غير نقص شئ من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم عن فريتهم وادعاء زكائهم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به أي بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي

الطاهرة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ۞ القول في تاويل قوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) يعني بذلك جل ثناؤه فامسحوا منه بوجوهكم وأيديكم ولكنه ترك ذكر منه اكتفاء بدلالة الكلام عليه والمسح منه بالوجه أن يضرب المتيمم بيده على وجه الارض الطاهر أو ما قام مقامه فيمسح بما علق من الغبار وجهه فان كان الذي علق به من الغبار كثيرا فنفخ عن يديه أو نفضه جاز وان لم يعلق بيده من الغبار شئ وقد ضرب بيديه أو احداهما الصعيد ثم مسح بهما أو بها وجهه أجزأه ذلك لاجماع جميع الحجة على أن المتيمم لو ضرب بيديه الصعيد وهو أرض رمل فلم يعلق بيديه منها شئ فتيمم به أن ذلك مجز به لم يخالف ذلك من يجوز أن يعتد خلافا فلما كان ذلك اجماعا منهم كان معلوما ان الذي يراد به من ضرب الصعيد باليدين مباشرة الصعيد بهما بالمعنى الذي أمر الله بمباشرته بهما الاخذ تراب منه وأما المسح باليدين فان أهل التاويل اختلفوا في الحد الذي أمر الله بمسحه من اليدين فقال بعضهم حد ذلك الكفان الى الزندين وليس على المتيمم مسح ما وراء ذلك من الساعدين ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب سالم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن أبي مالك قال تيمم عمار فضرب بيده الى التراب ضربة واحدة ثم مسح بيديه واحدة على الاخرى ثم مسح وجهه ثم ضرب بيديه أخرى فجعل يلوي يده على الاخرى ولم يمسح الذراع حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ابن أبي خالد قال رأيت الشعبي وصف لنا التيمم فضرب بيده الى الارض ضربة ثم نفضهما ومسح وجهه ثم ضرب أخرى فجعل يلوي كفيه احداهما على الاخرى ولم يذكر أنه مسح الذراع حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن أبي مالك قال وضع عمار بن ياسر كفيه في التراب ثم رفعهما فنفخهما فمسح وجهه وكفيه ثم قال هكذا التيمم حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا سلام مولى حفص قال سمعت عكرمة يقول التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة للكفين حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي وعن سعيد وابن جابر أن مكحولا كان يقول التيمم ضربة للوجه والكفين الى الكوع ويتاول مكحول القرآن في ذلك فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وقوله في التيمم فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ولم يستثن فيه كما استثنى في الوضوء الى المرافق قال مكحول قال الله والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فانما يقطع يد السارق من مفصل الكوع حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا بشر بن بكير النسي عن ابن جابر انه رأى مكحولا يتيمم يضرب بيديه على الصعيد ثم يمسح بهما وجهه وكفيه بواحدة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال التيمم ضربة للوجه والكفين وعلة من قال هذه المقالة من الاثر ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة ومحمد بن بشر عن ابن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه عن عمار بن ياسر أنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التيمم فقال مرة بالكفين والوجه وفي حديث ابن بشار أن عمارا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن التيمم حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد بن سعيد القرشي عن شعبة عن الحكم عن ابن ابزى قال جاء رجل الى عمر فقال اني أجنبت فلم أجد الماء فقال له عمار أما تذكر انا في مسير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجنبت أنا وأنت فاما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما كان يكفيك وضرب كفيه الارض ونفخ فيهما ومسح وجهه وكفيه مرة واحدة وقالوا أمر الله في التيمم بمسح الوجه واليدين فما مسح من وجهه ويديه في التيمم أجزأه الا أن يمنع من ذلك ما يجب التسليم له من أصل أو قياس وقال آخرون حد المسح الذي أمر الله به في التيمم أن يمسح جميع الوجه واليدين الى المرفقين ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا أيوب عن نافع ان ابن عمر تيمم يريد النعيم فضرب ضربة فمسح وجهه وضرب ضربة الى المرفقين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عبيد الله عن نافع عن عبد الله أنه قال التيمم

انهم لا يؤتون أحدا مما يكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه تعالى جعل بخلهم

حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا مجالد عن الشعبي قال لا يصلي بالتيمم الا صلاة واحدة حدثنا المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سعيد عن قتادة قال يتيمم لكل صلاة ويتأول هذه الآية فلم نجد واما قال أخبرنا ابن المبارك قال ثنا الفريابي عن الاوزاعي عن يحيى بن سعيد وعبد الكريم بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قالوا التيمم لكل صلاة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران القطان عن قتادة عن النخعي قال يتيمم لكل صلاة * وقال آخرون بل ذلك أمر من الله بالتيمم بعد طلب الماء من لزمه فرض الطلب اذا كان محدثا فاما من لم يكن أحدث بعد تطهره بالتراب فلزمه فرض الطلب فليس عليه تجديد تيممه وله أن يصلي بتيممه الاول ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا سفيان بن حبيب عن يونس عن الحسن قال التيمم بمنزلة الوضوء حدثنا اسمعيل بن موسى السدي قال ثنا عمر بن شاكر عن الحسن قال يصلي المتيمم بتيممه ما لم يحدث فان وجد الماء فليتوضأ حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا هشام عن الحسن قال كان الرجل يصلي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم يحدث وكذلك التيمم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا هشام عن الحسن قال كان الرجل يصلي الصلوات كلها بوضوء واحد حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا أبي عن قتادة عن الحسن قال يصلي الصلوات بالتيمم ما لم يحدث حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا سفيان بن حبيب عن ابن جريج عن عطاء قال التيمم بمنزلة الوضوء * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال يتيمم المصلي لكل صلاة لزمه طلب الماء للتطهر لها فرضا لان الله جل ثناؤه أمر كل قائم الى الصلاة بالتطهر بالماء فان لم يجد الماء فالتيمم ثم أخرج القائم الى الصلاة من كان قد تقدم من قيامه اليها الوضوء بالماء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يكون قد أحدث حدثا ينقض طهارته فيسقط فرض الوضوء عنه بالسنة وأما القائم اليها وقد تقدم قيامه اليها التيمم لصلاة قبلها فغرض التيمم له لازم بظاهر التنزيل بعد ايجابه الماء اذا أعوزه ۞ القول في تأويل قوله (ان الله كان عفوا غفورا) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله لم يزل عفوا عن ذنوب عباده وتركه العقوبة على كثير منها مما لم يشركوا به كما عفا عنكم أيها المؤمنون عن قيامكم الى الصلاة التي فرضها عليكم في مساجدكم وأنتم سكارى غفورا يقول فلم يزل يستر عليهم ذنوبهم بتركه معاجلتهم العذاب على خطاياهم كما ستر عليكم أيها المؤمنون بتركه معاجلتكم على صلاتكم في مساجدكم سكارى يقول فلا تعودوا لمثلها فينالكم بعود كم لما قد نهيتم عنه من ذلك منكم ۞ القول في تأويل قوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) اختلف أهل التأويل في معنى قوله جل ثناؤه ألم تر الى الذين فقال قوم معناه ألم تخبر وقال آخرون معناه ألم تعلم والصواب من القول في ذلك ألم تر بقلبك يا محمد علما الى الذين أوتوا نصيبا وذلك أن الخبر والعلم لا يجعلان رؤية ولكنه رؤية القلب بالعلم لذلك كما قلنا فيه وأما تأويل قوله الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فانه يعني الى الذين أعطوا حظا من كتاب الله فعلموه وذكر ان الله عنى بذلك طائفة من اليهود الذين كانوا حوالي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل فهم أعداء الله اليهود اشتروا الضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه قال نزلت في رفاعة بن زيد بن السائب اليهودي حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن أبي اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظمائهم يعني من عظماء اليهود اذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الاسلام وعابه فانزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الى قوله فلا يؤمنون الا قليلا حدثنا ابن

كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان كما قيل بالبر يستعبد الحر والانسان عبد الاحسان والبخيل تنفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له أسباب المملكة وان اجتمعت بالندرة فسوف تضمحل وانما لم يعمل اذن لدخول الغاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فينخزم تصدره فكانه معتمد فترجح الغاؤه وارتفاع العمل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا بالاعمال وليس بقوي والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها نبتت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما يشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعى عدم ايتاء النقير على تقدير حصول الملك ويراد به الملك الظاهر كملوك الدنيا أو الباطن كما للعلماء الربانيين أو كلاهما كما للانبياء وحصول شئ من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شئ منها فما يديك لعل الشح يغلب عليهم حتى لا يشاهد منهم بذل نقير كما أخبر عنه علام الغيوب وأما على تفسير الاصم فلعل المراد انهم لا يبذلون شيأ نسبته الى ما تملكونه كنسبة النقير الى النواة أو انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله تعالى أعلم بمراده هذا بيان بخلهم أما بيان حسدهم فذلك قوله أم يحسدون وهي منقطعة والتقدير بل أيحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم الانسناس ومعنى الهمزة انكار الحسد واستقباحه والمراد بالفضل ما آتاهم الله من

واضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله أولئك الذين لعنهم الله وبالحرى اذ جعلوا من هو أضل من النعام وأقل من الانعام حيث رضوا بمعبودية الاصنام أهدى سبيلا وأفضل حالا من الذين هم أشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذى هو عبادة ذى الجلال والاكرام ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا وعيدلهم بلزوم الابعاد والطرد ولحوق العار والصغار ووعد لنبيه والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم الى يوم القيامة والخطاب فى فلن تجد للنبى أولكل طالب يغرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل يمنع ما أوتى من النعمة والحاسد يتمنى ان يزول عن الغير ما أوتى من الفضيلة وأم قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام فى المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين انهم أهدى سبيلا من المؤمنين قال أم من ذلك يتعجب أم من قولهم لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير ألهم نصيب والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل ألهم نصيب من الملك ومعنى الآية انهم كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم فى آخر الزمان ويخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعنى انهم انما يقدرون على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفى والاثبات وقال أبو بكر الاصم كانوا أصحاب بساتين وأموال وكانوا فى عزة ومنعة كما يكون أحوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الآية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على

لزمهم التيمم اذا لم يجد الماء حكم من جاء من الغائط وهاثر من أحدث ممن جعل التيمم له طهورا لصلاته وقد ذكرت قول بعض من تأول قول الله أو لامستم النساء أو جامعتموهن وتركنا ذكر الباقين لكثرة من قال ذلك واعتل قائلوهذه المقالة بان الجنب التيمم اذا لم يجد الماء فى سفره باجماع الحجة على ذلك نقلا عن نبيها صلى الله عليه وسلم الذى يقطع العذر ويزيل الشك وقال جماعة من المتقدمين لا يجزى الجنب غير الاغتسال بالماء وليس له أن يصلى بالتيمم والتيمم لا يطهره قالوا وانما جعل التيمم رخصة لغير الجنب وتأولوا قول الله ولا جنبا الا عابرى سبيل قالوا وقد نهى الله الجنب أن يقرب مصلى المسلمين الا مجتازا فيه حتى يغتسل ولم يرخص له بالتيمم قالوا وتاويل قوله أو لامستم النساء أو لامستموهن باليد دون الفرج ودون الجماع قالوا فلم نجد الله رخص للجنب فى التيمم بل أمره بالغسل ولا يقرب الصلاة الا مغتسلا قالوا والتيمم لا يطهره لصلاته ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق قال كنت مع عبد الله بن مسعود وأبى موسى الاشعرى فقال أبو موسى يا أبا عبد الرحمن أرأيت رجلا أجنب فلم يجد الماء شهرا فقال عبد الله لا يتيمم وان لم يجد الماء شهرا فقال أبو موسى فكيف تصنعون بهذه الآية فى سورة المائدة فتيمموا صعيدا طيبا فقال عبد الله ان رخص لهم فى هذا لاوشكوا اذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد فقال له أبو موسى انما كرهتم هذا لهذا قال نعم قال أبو موسى ألم تسمع قول عمار لعمر بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فاجنبت فلم أجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة قال فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انما يكفيك أن تصنع هكذا وضرب بكفيه ضربة واحدة ومسح بهما وجهه ومسح كفيه قال عبد الله ألم تر عمر لم يقنع لقول عمار حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن أبى مالك وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى قال كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين انا عمكث الشهر والشهرين لا نجد الماء فقال عمر أما أنا فلو لم أجد الماء لم أكن لاصلى حتى أجد الماء قال عمار بن ياسر أتذكر يا أمير المؤمنين حيث كنت بمكان كذا وكذا ونحن نرعى الابل فتعلم انا أجنبنا قال نعم فاما أنا فتمرغت فى التراب فاتينا النبى صلى الله عليه وسلم قال ان كان الصعيد لكافيك وضرب بكفيه الارض ثم نفخ فيهما ثم مسح وجهه وبعض ذراعيه فقال اتق الله يا عمار فقال يا أمير المؤمنين ان شئت لم أذكره فقال لا ولكن نوليك من ذلك ما توليت حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابراهيم فى ذكر مسلم الاعور فقلت أرأيت ان لم نجد الماء وأنت جنب قال لا أصلى * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن الجنب ممن أمره الله بالتيمم اذا لم يجد الماء والصلاة بقوله أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وقد بينا أن معنى الملامسة فى هذا الموضع الجماع ثم بنقل الحجة التى لا يجوز الخطأ فيما نقلته مجمعة عليه ولا السهو ولا التواطؤ والتشاعر بان حكم الجنب فى ذلك حكم سائر من أحدث فلزمه التطهر لصلاته مع ما قد روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار التى قد ذكرنا بعضها وتركنا ذكر كثير منها استغناء بما ذكرنا منها عما لم نذكر وكراهتنا اطالة الكتاب باستقصاء جميعه واختلف أهل التأويل فى تاويل قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا هل ذلك أمر من الله بالتيمم كل ما لزمه طلب الماء أم ذلك أمر منه بالتيمم كل ما لزمه الطلب وهو محدث حدثا يجب عليه منه الوضوء بالماء لو كان للماء واجدا فقال بعضهم ذلك أمر من الله بالتيمم كل ما لزمه فرض الطلب بعد الطلب محدثا كان أو غير محدث ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن الحجاج عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه انه كان يقول التيمم لكل صلاة حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن أبى اسحق عن الحرث عن على مثله حدثنى عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا عبد الوارث قال أخبرنا عامر الاحول عن نافع انه حدثه عن ابن عمر مثل ذلك

حدثنا

بالكلام التوراة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه تبديل اليهود التوراة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله عن مواضعه فانه يعنى عن أماكنه ووجوهه التى هى وجوهه ۞ القول فى تاويل قوله (ويقولون سمعنا وعصينا) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن الذين هادوا يقولون سمعنا يا محمد قولك وعصينا أمرك كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله سمعنا وعصينا قال قالت اليهود سمعنا ما تقول ولا نطيعك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سمعنا وعصينا قالوا قد سمعنا ولكن لا نطيعك ۞ القول فى تاويل قوله (واسمع غير مسمع) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود الذين كانوا حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصره انهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذونه بالقبيح من القول ويقولون اسمع منا غير مسمع كقول القائل للرجل يسبه اسمع لا أسمعك الله كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واسمع غير مسمع قال هذا قول أهل الكتاب يهود كهيئة ما يقول الانسان اسمع لا سمعت أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشتمه واستهزاء **حدثت** عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس واسمع غير مسمع قال يقولون لك واسمع لا سمعت وقد روى عن مجاهد والحسن انهما كانا يتأولان فى ذلك يعنى واسمع غير مقبول منك ولو كان ذلك معناه لقيل واسمع غير مسموع ولكن معناه واسمع لا سمع ولكن قال الله تعالى ذكره ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين يصفهم بتحريف الكلام بالسنتهم والطعن فى الدين بسب النبى صلى الله عليه وسلم وأما القول الذى ذكرته عن مجاهد واسمع غير مسمع يقول غير مقبول ما تقول **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واسمع غير مسمع قال غير مسمع قال ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد واسمع غير مسمع غير مقبول ما تقول **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واسمع غير مسمع قال كما تقول اسمع غير مسموع منك **وحدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال كان ناس منهم يقولون اسمع غير مسمع كقولك اسمع غير صاغ ۞ القول فى تاويل قوله (وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) يعنى بقوله وراعنا أى راعنا سمعك افهمنا عنا وافهمنا وقد بينا تاويل ذلك فى سورة البقرة بادلته بما فيه الكفاية من اعادته ثم أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليا بالسنتهم يعنى تحريكا منهم بالسنتهم بتحريف منهم لمعناه الى المكروه من معنييه واستخفافا منهم بحق النبى صلى الله عليه وسلم وطعنا فى الدين كما **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة كانت اليهود يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك يستهزؤن بذلك فكانت فى اليهود قبيحة فقال راعنا سمعك ليا بالسنتهم والليى تحريكهم بالسنتهم بذلك وطعنا فى الدين **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله راعنا ليا بالسنتهم كان الرجل من المشركين يقول ارعنى سمعك يلوى بذلك لسانه يعنى يحرف معناه **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى وطعنا فى الدين فانهم كانوا يستهزؤن ويلوون ألسنتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويطعنون فى الدين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا

الآلام اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم عذبهم بادخالهم النار وسؤال آخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ويؤيده قول أهل اللغة تبديل الشئ تغييره وان لم يأت ببدله وأبدلت الشئ تغيرته فالتبديل تغيير الصفة أو الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعله انما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة أعم من أن تكون فى الذات أو فى الصفات فما أدراك انها فى الآية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضده نقل صحيح فيكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزأ من ماهيته وانما هو سبب لوصل العذاب اليه أو يقال المراد الدوام وعدم الانقطاع ولا نضج ولا احتراق أى كلما ظنوا انهم احترقوا وأشرفوا على الهلاك أعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا انهم الآن حدثوا وجددوا وقال السدى يخرج من لحم الكافر جلد آخر وفى هذا التاويل بعد لان لحمه متناه فعند نفاده لا بد من طريق آخر فى تبديل الجلد فيعود أول السؤال وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر وان السرابيل لا توصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أى أدامك على عزك وزادك فيه أو ليذوقوا بهذه الجلود الجديدة العذاب والمراد بالذوق ان احساسهم بذلك العذاب فى كل حال يكون كاحساس الذائق

أوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شان محمد صلى الله عليه وسلم فقال فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد الكتاب الذي هو بيان الشرائع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بما يتضمن صلاح الدارين وآتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يؤتى انسان ما أوتي أسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثر تم له التسع وكان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم أي من اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر والمعنى ان أولئك الانبياء جرت عادة أممهم فيهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته وكفى بجهنم لعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا ثم أكد وعيد الكفار بقوله ان الذين كفروا بآياتنا وبدخل فيها كل ما يدل على ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وملائكته والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها آيات أو يغفلوا عنها ولا ينظروا فيها أو يلقوا الشكوك والشبهات فيها أو ينكروا مع العلم بها عنادا وحسدا وبغيا ولدادا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار

حيدقال ثنا سلمة عن ابن اسحق باسناده عن ابن عباس مثله ۞ القول في تاويل قوله (يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) يعني جل ثناؤه بقوله يشترون الضلالة اليهود الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يختارون الضلالة وذلك الاخذ على غير طريق الحق وركوب غير سبيل الرشد والصواب مع العلم منهم بقصد السبيل ومنهج الحق وانما عنى الله بوصفهم باشترائهم الضلالة مقامهم على التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وتركهم الايمان به وهم عالمون أن السبيل الحق الايمان به وتصديقه بما قد وجدوا في كتبهم التي عندهم وأما قوله ويريدون أن تضلوا السبيل يعني بذلك تعالى ذكره ويريد هؤلاء اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم أوتوا نصيبا من الكتاب أن تضلوا أنتم يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم المصدقين به أن تضلوا السبيل يقول أن تزولوا عن قصد الطريق ومحجة الحق فتكذبوا بمحمد وتكونوا ضلالا مثلهم وهذا من الله تعالى ذكره تحذير منه عباده المؤمنين أن يستنصحوا أحدا من أعداء الاسلام في شئ من أمر دينهم أو ان يسمعوا شيأ من طعنهم في الحق ثم أخبر الله جل ثناؤه عن عداوة هؤلاء اليهود الذي نهى المؤمنين أن يستنصحوهم في دينهم اياهم فقال جل ثناؤه والله أعلم باعدائكم يعني بذلك تعالى ذكره والله أعلم منكم بعداوة هؤلاء اليهود لكم أيها المؤمنون يقول فانتهوا الى طاعتي عما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فاني أعلم بما هم عليه لكم من الغش والعداوة والحسد وانهم انما يبغونكم الغوائل ويطلبون أن تضلوا عن محجة الحق فتهلكوا وأما قوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فانه يقول فبالله أيها المؤمنون فثقوا وعليه فتوكلوا واليه فارغبوا دون غيره يكفكم مهمكم وينصركم على أعدائكم وكفى بالله وليا يقول وكفاكم وحسبكم بالله متربكم وليا يليكم ويلي أموركم بالحياطة والحراسة من أن يستغركم أعداؤكم عن دينكم أو يصدوكم عن اتباع نبيكم وكفى بالله نصيرا يقول وحسبكم بالله ناصرا لكم على أعدائكم وأعداء دينكم وعلى من بغاكم الغوائل وبغى دينكم العوج ۞ القول في تاويل قوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) ولقوله جل ثناؤه من الذين هادوا يحرفون الكلم وجهان من التاويل أحدهما أن يكون معناه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا يحرفون الكلم فيكون قوله من الذين هادوا من صلة الذين والى هذا القول كانت عامة أهل العربية من أهل الكوفة يوجهون قوله من الذين هادوا يحرفون والآخر منهما أن يكون معناه من الذين هادوا من يحرف الكلم عن مواضعه فتكون من محذوفة من الكلام اكتفاء بدلالة قوله من الذين هادوا عليها وذلك أن من لو ذكرت في الكلام كانت بعضا لكن فاكتفى بدلالة من عليها والعرب تقول منا من يقول ذلك ومنا لا يقوله بمعنى منا من يقول ذلك ومنا من لا يقوله فتحذف من اكتفاء بدلالة من عليه كما قال ذو الرمة فطاوا ومنهم دمعه سابق له * وآخر ينبي دمعه العين بالهمل

يعني ومنهم من دمعه وكما قال الله تبارك وتعالى وما منا الا له مقام معلوم والى هذا المعنى كانت عامة أهل العربية من أهل البصرة يوجهون تاويل قوله من الذين هادوا يحرفون الكلم غير انهم كانوا يقولون المضمر في ذلك القوم كان معناهم عندهم من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم ويقولون نظير قول النابغة كأنك من جمال بني أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

يعني كأنك جمل من جمال بني أقيش فاما نحويو الكوفة فينكرون أن يكون المضمر مع من الامن أو ما أشبهها والقول الذي هو أولى بالصواب عندي في ذلك قول من قال قوله من الذين هادوا من صلة الذين أوتوا نصيبا من الكتاب لان الخبرين جميعا والصفتين من صفة نوع واحد من الناس وهم اليهود الذين وصف الله صفتهم في قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وبذلك جاء تاويل أهل التأويل فلا حاجة بالكلام اذ كان الامر كذلك الى أن يكون فيه متروك وأما تاويل قوله يحرفون الكلم عن مواضعه فانه يقول يبدلون معناها ويغيرونها عن تاويله والكلم جماع كلمة وكان مجاهد يقول عني

بالكلام

فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى فى قوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها قال نجعلها فى أقفائها فتمشى على أعقابها القهقرى حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية بنحوه الا أنه قال طمسها أن يردها على أقفائها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فنردها على أدبارها قال نحول وجوها قبل ظهورها وقال آخرون معنى ذلك من قبل أن نعمى قوما عن الحق فنردها على أدبارها فى الضلالة والكفر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها فنردها عن الصراط الحق فنردها على أدبارها قال فى الضلالة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن نطمس وجوها عن صراط الحق فنردها على أدبارها فى الضلالة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال الحسن نطمس وجوها يقول نطمسها عن الحق فنردها على أدبارها على ضلالتها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى يا أيها الذين أوتوا الكتاب الى قوله كما لعنا أصحاب السبت قال نزلت فى مالك بن الصيف ورفاعة بن زيد بن التابوت من بنى قينقاع اما أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها يقول فنعميها عن الحق ونرجعها كفارا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها يعنى أن نردهم عن الهدى والبصيرة فقد ردهم على أدبارهم فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به * وقال آخرون معنى ذلك من قبل أن نمحو آثارهم من وجوههم التى هم بها وناحيتهم التى هم بها فنردها على أدبارها من حيث جاؤه منه بدأ من الشام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها قال كان أبى يقول الى الشام وقال آخرون معنى ذلك من قبل أن نطمس وجوها فنمحو آثارها ونسويها فنردها على أدبارها بان نجعل الوجوه مثابت الشعر كوجوه القردة مثابت للشعر لان شعور بنى آدم فى أدبار وجوههم فقالوا اذا أثبت الشعر فى وجوههم فقد ردها على أدبارها بتصييره اياها كالاقفاء وأدبار الوجوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى قوله من قبل أن نطمس وجوها من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها فنسويها كالاقفاء فنردها على أدبارها فنجعل أبصارها فى أدبارها يعنى بذلك فنجعل الوجوه فى أدبار الوجوه فيكون معناه فنحول الوجوه أقفاء والاقفاء وجوها فيمشون القهقرى كما قال ابن عباس وعطية ومن قال ذلك وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه خاطب بهذه الآية اليهود الذين وصف صفتهم بقوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ثم حذرهم جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها الآية باسه وسطوته وتعجيل عقابه لهم ان هم لم يؤمنوا بما أمرهم بالايمان به ولا شك انهم كانوا لما أمرهم بالايمان به يومئذ كفارا واذ كان ذلك كذلك فبين فساد قول من قال تأويل ذلك أن نعميها عن الحق فنردها فى الضلالة فما وجه رد من هو فى الضلالة فيها وانما يرد فى الشئ من كان خارجا منه فأما من هو فيه فلا وجه لان يقال يرده فيه واذ كان ذلك كذلك وكان صحيحا ان الله قد تهدد الذين ذكرهم فى هذه الآية برده وجوههم على أدبارهم كان بينا فساد تأويل من قال معنى ذلك يهددهم برددهم فى ضلالتهم وأما الذين قالوا معنى ذلك من قبل أن نجعل الوجوه مثابت الشعر كهيئة وجوه القردة فقول لقول أهل التأويل مخالف وكفى بخروجه عن قول أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الخالفين على خطئه شاهدا وأما قول من قال معناه من قبل أن نطمس

يؤولونها على حسب ارادتهم ويقولون سمعنا ما فى القرآن بالمقال وعصينا بالفعال وينكرون على أرباب المقامات والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذى وجهين لبيا بالسنتهم وطعنا فى أهل الدين يا أيها الذين أوتوا علم الكتاب ظاهرا ولم يؤتوا علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان أهل العلم الدنى يصدقون أهل العلم الظاهر ولكن أهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل أن نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على أدبارها ناظرين الى الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين فى الميثاق الى يومها أو نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا أصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى أصعب من مسخ الصور لان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ان الله لا يغفر أن يشرك به الشرك ثلاث مراتب وكذا المغفرة فشرك جلى بالاعيان وهو للعوام فى عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفى بالاوصاف للخواص وهو شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد وشرك أخفى للخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية ألم تر الى الذين يزكون

بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال

والذين آمنوا الآية قال الواحدى الظليل ليس بمبنى على الفعيل حتى يقال انه بمعنى فاعل أو مفعول بل هو مبالغة فى نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل أليل قيل اذا لم يكن فى الجنة شمس تؤذى بحرها فما فائدة وصفها بالظل وأيضا المواضع التى لا يصل نور الشمس اليها فى الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك والجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى يوجد ضوء ثان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا أى منبسطا لا جوب فيه أى لا فرج لالتفاف الاغصان ودائما لا تنسخه الشمس وسجسا حالا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من أسبابها ولا سيما فى البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا عندهم صار موعودا لهم * التأويل لو تسوى بهم الارض أى يتمنون ان يخلوا فى عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع من الصلاة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى من غلبات الاحوال فان التكاليف حينئذ زائلة ولا جنبا بالالتفات الى غير الله فان الصلاة اذ ذاك باطلة وتستثنى من الحالة الاولى حالة الشعور ومن الثانية حالة العبور كن فى الدنيا كانك غريب أو كعابر سبيل فهذا القدر من الالتفات من المحظورات التى أباحها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا أو على سفر فى متابعة الهوى أو جاء أحد منكم من الغائط فى قضاء شهوة من الشهوات أو لامستم بحور الدنيا فى تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار

فى الدين الراعنا طعنا فى الدين وليهم بالسنتهم ليبطلوه ويكذبوه قال والراعن الخطأ من الكلام حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله ليا بالسنتهم قال تحريفا بالكذب ۞ القول فى تاويل قوله (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) يعنى بذلك جل ثناؤه ولو أن هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم قالوا للنبى الله سمعنا يا محمد قولك وأطعنا أمرك وقبلنا ما جئتنا به من عند الله واسمع منا واوا نظرنا ما نقول وانتظرنا فهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم وأقوم يقول لكان ذلك خيرا لهم عند الله وأقوم يقول وأعدل وأصوب فى القول وهو من الاستقامة من قول الله وأقوم قيلا بمعنى وأصوب قيلا كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم قال يقولون اسمع منا فانا قد سمعنا وأطعنا وانظرنا فلا تعجل علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد قوله وانظرنا قال اسمع منا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وانظرنا قال أفهمنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وانظرنا قال أفهمنا قال أبو جعفر وهذا الذى قاله مجاهد وعكرمة من توجيههما معنى وانظرنا الى اسمع منا وتوجيه مجاهد ذلك الى أفهمنا مما لا نعرف فى كلام العرب الا أن يكون أراد بذلك من توجيهه الى أفهمنا انتظرنا فهم ما تقول وانتظرنا نقل حتى تسمع منا فيكون ذلك معنى مفهوما وان كان غير تاويل الكلمة ولا تفسيرا لها فلا نعرف انظرنا فى كلام العرب الا بمعنى انتظرنا وانظرنا لنا فاما انظرنا فمنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم لو أن نظرتكم * يوما بحبى به مجدى وأساسى

وأما انظرنا بمعنى انظرنا لنا فمنه قول عبد الله بن قيس الرقيات

ظاهرات الجمال والحسن * ينظرن كما ينظر الاراك الظباء

يعنى ينظرن الى الاراك الظباء ۞ القول فى تاويل قوله (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى بذلك ولكن الله تبارك وتعالى أخزى هؤلاء اليهود الذين وصف صفتهم فى هذه الآية فاقصاهم وأبعدهم من الرشد واتباع الحق بكفرهم يعنى بجحودهم نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربهم من الهدى والبينات فلا يؤمنون الا قليلا يقول فلا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربهم ولا يقرون بنبوته الا قليلا يقول لا يصدقون بالحق الذى جئتهم به يا محمد الا ايمانا قليلا كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فلا يؤمنون الا قليلا وقد بينا وجه ذلك بعلله فى سورة البقرة ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) يعنى جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب اليهود من بنى اسرائيل الذين كانوا حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لهم يا أيها الذين أنزل اليهم فاعطوا العلم به آمنوا يقول صدقوا بما نزلنا الى محمد من الفرقان مصدقا لما معكم يعنى محققا للذى معكم من التوراة التى أنزلتها الى موسى بن عمران من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها * واختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم طمسه اياها محوه آثارها حتى تصير كالاقفاء * وقال آخرون معنى ذلك أن نطمس أبصارها فنصيرها عمياء ولكن الخبر خرج بذكر الوجه والمراد به بصره فنردها على أدبارها فنجعل أبصارها من قبل أقفائها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا الى قوله من قبل أن نطمس وجوها وطمسها أن تعمى فنردها على أدبارها يقول أن نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم فيمشون القهقرى ونجعل لاحدهم عينين فى قفاه حدثنى أبو العالية اسمعيل بن الهيثم العبدى قال ثنا أبو قتيبة عن

الله مفعولا ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم وان الله لا يغفر أن يشرك به فان الله لا يغفر الشرك به والكفر و يغفر مادون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام واذ كان ذلك معنى الكلام فان قوله أن يشرك به فى موضع نصب بوقوع يغفر عليها وان شئت بفقد الخافض الذى كان يخفضها لو كان ظاهرا وذلك أن توجيه معناه الى أن الله لا يغفر بان يشرك به على تاويل الجزاء كانه قيل ان الله لا يغفر ذنبا مع شرك أو عن شرك وعلى هذا التاويل يتوجه أن تكون ان فى موضع خفض فى قول بعض أهل العربية وذكر أن هذه الآية نزلت فى سبب أقوام ارتابوا فى أمر المشركين حين نزلت ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ذكر الخبر بذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ثنى مجبر عن عبد الله بن عمر انه قال لما نزلت ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال والشرك يانبى الله فكره ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنزل ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء قال أخبرنى مجبر عن عبد الله بن عمر انه قال لما نزلت هذه الآية ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال والشرك يانبى الله فكره ذلك النبى فنزل ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا آدم قال ثنا الهيثم بن حماد قال ثنا بكر بن عبد الله المزنى عن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نشك فى عذاب آكل مال اليتيم وشاهد الزور وقاطع الرحم حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقد أبانت هذه الآية ان كل صاحب كبيرة فى مشيئة الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه عليه مالم تكن كبيرته شركا بالله ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن يشرك بالله فى عبادته غيره من خلقه فقد افترى اثما عظيما يقول فقد اختلق اثما عظيما واثما جعله الله تعالى ذكره مفتريا لانه قال زورا وافكا بجحوده وحدانية الله واقراره بان لله شريكا من خلقه وصاحبة أو ولدا فقائل ذلك مفتر وكذلك كل كاذب فهو مفتر فى كذبه مختلق له ۞ القول فى تاويل قوله (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء) يعنى بذلك جل ثناؤه ألم تر يا محمد بقلبك الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرؤنها من الذنوب و يطهرونها واختلف أهل التاويل فى المعنى الذى كانت اليهود تزكى به أنفسها فقال بعضهم كانت تزكيتهم أنفسهم قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا وهم أعداء الله اليهود زكوا أنفسهم بامر لم يبلغوه فقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لا ذنوب لنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم قال هم اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وحدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك قال قالت يهود ليست لنا ذنوب الا كذنوب أولادنا يوم يولدون فان كانت لهم ذنوب فان لنا ذنوبا فانما نحن مثلهم قال الله تعالى ذكره أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم قال قال أهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا نحن على الذى يحب الله فقال تبارك

لهم فيها أزواج من تجلى صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله (ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن

يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى

أنفسهم من أهل العلوم الظاهرة تعاموا العلم ليباهوا به العلماء أو ليماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة أخرى مثل المباهاة والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والاندادبل الله تزكى من يشاء بتسليم نفوسهم الى أرباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله أديما فاذا سلموا أنفسهم اليهم وصبروا على تصرفاتهم رأوا أثر ذلك فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت يعبث النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من أهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بكل ما أمر الله به ورسوله ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد آتينا آل ابراهيم يعنى أهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن وآتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ان الذين كفروا بآياتنا وليا تنا الذين هم مظاهر آيات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نار الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم أى انقطعت بعض أمانى نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن استعارة الجلود لآثار الشئ من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فان دواعى الحرص والغضب والشهوة لا تنتهى البتة مادامت النفس على صفة الامرية فلن تزال أسيرة فى يد الشهوات ذائقة لعذاب التعلقات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم أى نجذبهم بجذبات العناية الى جنات

وجوههم التى هم فيها فنردهم الى الشام من مساكنهم بالحجاز ونجد فانه وان كان قولا لا فما وجه ما يدل على ظاهر التنزيل بعيد وذلك أن المعروف من الوجوه فى كلام العرب التى هى خلاف الاقفاء وكتاب الله يوجه تأويله الى الاغلب فى كلام من نزل بلسانه حتى يدل على انه معنى به غير ذلك من الوجوه التى يجب التسليم له وأما الطمس فهو العفو والدثر فى استواء منه يقال طمست أعلام الطريق تطمس طموسا اذا درست وتعفت فاندفنت واستوت بالارض كما قال كعب بن زهير

من أحل نصاحة الذفرى اذا عرقت * عرا سقها طامس الاعلام مجهول

يعنى طامس الاعلام ناثر الاعلام مندفنها ومن ذلك قيل للاعمى الذى قد تعفى عما بين جفنى عينيه فدثر أعمى مطموس وطميس كما قال الله جل ثناؤه ولو نشاء لطمسنا على أعينهم قال أبو جعفر العراسق الذى بين الخفين فان قال قائل فان كان الامر كما وصفت من تأويل الآية فهل كان ما يوعدهم به قبل لا لم يكن لانه آمن منهم جماعة منهم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد ومخيرق وجماعة غيرهم فدفع عنهم بايمانهم ومما يبين عن أن هذه الآية نزلت فى اليهود الذين ذكرنا صفتهم ما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤسا من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسد فقال لهم يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون أن الذى جئتكم به لحق فقالوا ما نعرف ذلك يا محمد وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فانزل الله فيهم يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة قال تذاكرنا عند ابراهيم اسلام كعب فقال أسلم كعب فى زمان عمر أقبل وهو يريد بيت المقدس فمر على المدينة المنورة فخرج اليه عمر فقال يا كعب اسلم قال ألستم تقرؤن فى كتابكم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وأنا قد حملت التوراة قال فتركه ثم خرج حتى انتهى الى حمص قال فسمع رجلا من أهلها حبرا وهو يقول يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها الآية فقال كعب يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فاتى أهله باليمن ثم جاءبهم مسلمين ۞ القول فى تأويل قوله (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) يعنى بقوله جل ثناؤه أو نلعنهم أو نلعنكم فنخسر يكم ونجعلكم قردة كما لعنا أصحاب السبت يقول كما أخزينا الذين اعتدوا فى السبت من أسلافكم قيل ذلك على وجه الخطاب فى قوله آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعن أصحاب الوجوه فجعل الهاء والميم فى قوله أو نلعنهم من ذكر أصحاب الوجوه اذ كان فى الكلام دلالة على ذلك وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب الى قوله أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أى نحولهم قردة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت يقول أو نجعلهم قردة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أو نجعلهم قردة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت قال هم يهود جميعا نلعن هؤلاء كما لعنا الذين لعنا منهم من أصحاب السبت وأما قوله وكان أمر الله مفعولا فانه يعنى وكان جميع ما أمر الله أن يكون كائنا مخلوقا موجودا لا يمتنع عليه خلق شئ شاء خلقه والامر فى هذا الموضع المأمور يسمى أمر الله لانه عن أمره كان وبأمره والمعنى وكان ما أمر الله

زكاه أولم يزكه فتيلا واختلف أهل التاويل فى معنى الفتيل فقال بعضهم هو ماخرج بين الاصبعين والكفين من الوسخ اذا فتلت احداهما الاخرى ذكر من قال ذلك حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الفتيل ماخرج من بين أصبعيك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التيمى قال سالت ابن عباس عن قوله ولا يظلمون فتيلا قال ما فتلت بين أصبعيك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يزيد بن دوهم أبى العلا قال سمعت أبا العالية عن ابن عباس ولا يظلمون فتيلا قال الفتيل هو الذى يخرج من بين أصبعى الرجل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا يظلمون فتيلا والفتيل هو أن تدلك بين أصبعيك فما خرج بينهما فهو ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله ولا يظلمون فتيلا قال الفتيل الوسخ الذى يخرج من بين الكفين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال الفتيل ما فتلت به يديك فخرج وسخ حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ولا يظلمون فتيلا قال ما تدلكه فى يديك فيخرج بينهما وأناس يقولون الذى يكون فى شق النواة * وقال آخرون الذى فى شق النواة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فتيلا قال الذى فى بطن النواة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال الفتيل الذى فى بطن النواة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى طلحة بن عمرو انه سمع عطاء بن أبى رباح يقول فذكر مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول الفتيل الذى فى شق النواة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا سفيان بن سعيد عن منصور عن مجاهد قال الفتيل فى النوى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا يظلمون فتيلا قال الفتيل الذى فى شق النواة حدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول الفتيل شق النواة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الفتيل الذى فى بطن النواة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال الفتيل الذى يكون فى شق النواة حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يظلمون فتيلا قال فتيل النواة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية قال الفتيل الذى فى بطن النواة قال أبو جعفر وأصل الفتيل المفتول صرف من مفعول الى فعيل كما قيل صريع ودهين من مصروع ومدهون واذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه انما قصد بقوله ولا يظلمون فتيلا الخبر عن انه لا يظلم عباده أقل الاشياء التى لا خطر لها فكيف بما له خطر وكان الوسخ الذى يخرج من بين أصبعى الرجل أو من بين كفيه اذا فتل احداهما على الاخرى وبالذى هو فى شق النواة وبطنها وما أشبه ذلك من الاشياء التى هى مفتولة مما لا خطر له ولا قيمة فواجب أن يكون كل ذلك داخلا فى معنى الفتيل الا أن يخرج شيا من ذلك ما يجب التسليم له مما دل عليه ظاهر التنزيل * القول فى تاويل قوله (أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا) يعنى بذلك جل ثناؤه أنظر يا محمد كيف يفترى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم من أهل الكتاب القائلون نحن أبناء الله وأحباؤه وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الزاعمون انه لا ذنوب لهم الكذب والزور من القول فيختلقونه على الله وكفى به يقول وحسبهم بقيلهم ذلك الكذب والزور على الله اثما مبينا يعنى انه تبين كذبهم لسامعيه ووضح لهم انهم أفكة فجرة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ألم تر الى الذين

وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى فقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه فلوى على بن أبى طالب رضى الله عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له مع السقاية السدانة فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدفعه الى العباس ثم قال يا عثمان خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك على رضى الله عنه فقال له عثمان يا على أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله فى شانك فقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأسلم فجاء جبريل عليه السلام وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة فى أولاد عثمان وقال خذوها يا بنى طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى أخيه شيبة وهو اليوم فى أيديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع أنواع الامانات فاولها الامانة مع الرب تعالى فى كل ما أمر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة فى الكل لازمة فى الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا أمانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان أن لا يستعمله فى الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وأمانة العين أن لا يستعمله فى النظر الى الحرام وأمانة السمع أن لا يستعمله فى سماع الملاهى والمناهى والفحش والاكاذيب وكذا القول فى سائر

لحركة همزة الوصل الساقطة لها أو اخرجوا بكسر الواو لالتقاء الساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر على أصل الاستثناء أو بمعنى الا فعلا أو أبوا الا قليلا الباقون بالرفع على البدل وهو أكثر * الوقوف الى أهلها الا ان التقدير يأمركم أن تؤدوا وأن تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل ط يعظكم به ط بصيرا * منكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واليوم الآخر ط تأويلا * أن يكفروا به ج بعيداه صدوداج ه الآية مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان ما بعده ابتداء القسم والاولى تعليق الباء بيحلفون وتوفيقا * بليغا * باذن الله ط رحيما * تسليما * قليل منهم ط تثبيتا * لا عظيما * لا لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما * والصالحين ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا * من الله ط عليما *

* التفسير لما شرح بعض أحوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وأيضا لما حكى عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق وقالوا للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أمر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات أو من باب الدنيا والمعاملات وأيضا قدم وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من أجلها الامانة فقال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها روى أن عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت

وتعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء حيث زعموا انهم يدخلون الجنة وانهم أبناء الله وأحباؤه وأهل طاعته حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا نزلت في اليهود قالت اليهود انا نعلم أبناءنا التوراة صغارا فلا تكون لهم ذنوب وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وقال آخرون بل كانت تزكيتهم أنفسهم تقديمهم أطفالهم لامامتهم في صلاتهم زعما منهم انهم لا ذنوب لهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يزكون أنفسهم قال يهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيوضؤنهم يزعمون انهم لا ذنوب لهم فتلك التزكية حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الاعرج عن مجاهد قال كانوا يقدمون الصبيان امامهم في الدعاء والصلاة يوضؤنهم ويزعمون انهم لا ذنوب لهم فتلك تزكية قال ابن جريج هم اليهود والنصارى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن أبي مالك في قوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم قال نزلت في اليهود كانوا يقدمون صبيانهم يقولون ليست لهاذنوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مكين عن عكرمة في قوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم قال كان أهل الكتاب يقدمون الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث يصلون بهم يقولون ليس لهم ذنوب فانزل الله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية * وقال آخرون بل تزكيتهم أنفسهم كانت قولهم ان أبناءنا سيشفعون لنا وتزكوننا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم وذلك أن اليهود قالوا ان أبناءنا قد توفوا وهم لنا قربة عند الله وسيشفعون ويزكوننا فقال الله لمحمد ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الى ولا يظلمون فتيلا وقال آخرون بل ذلك كان منهم تزكية من بعضهم لبعض ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله ان الرجل ليغدو بذنبه ثم يرجع وما معه منه شئ يلقى الرجل ليس يملك له نفعا ولا ضرا فيقول والله انك لذيت وذيت ويجعله ان يرجع ولم يحل من حاجته بشئ وقد أسخط الله عليه ثم قرأ ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معنى تزكية القوم الذين وصفهم الله بانهم يزكون أنفسهم وصفهم اياها بانها لا ذنوب لها ولا خطايا وانهم لله أبناء وأحباء كما أخبر الله عنهم انهم كانوا يقولونه لان ذلك هو أظهر معانيه لاخبار الله عنهم انهم انما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها وأما الذين قالوا معنى ذلك تقديمهم أطفالهم للصلاة فتاويل لا يدرك صحته الا بخبر حجة يوجب العلم وأما قوله جل ثناؤه بل الله يزكي من يشاء فانه تكذيب من الله المزكين أنفسهم من اليهود والنصارى المبرئها من الذنوب يقول الله لهم ما الامر كما زعمتم انه لا ذنوب لكم ولا خطايا وانكم برآء مما يكرهه الله ولكنكم أهل فرية وكذب على الله وليس المزكي من زكى نفسه ولكنه الذي يزكيه الله والله يزكي من يشاء من خلقه فيطهره ويبرئه من الذنوب بتوفيقه لاجتناب ما يكرهه من معاصيه الى ما يرضاه من طاعته وانما قلنا ان ذلك كذلك لقوله جل ثناؤه أنظر كيف يفترون على الله الكذب وأخبرانهم يفترون على الله الكذب بدعواهم انهم أبناء الله وأحباؤه وان الله قد طهرهم من الذنوب

* القول في تاويل قوله (ولا يظلمون فتيلا) يعني بذلك جل ثناؤه ولا يظلم الله هؤلاء الذين أخبر عنهم انهم يزكون أنفسهم ولا غيرهم من خلقه فينخسهم في تركه تزكيتهم وتزكية من ترك تزكيته وفي تزكية من زكى من خلقه شيأ من حقوقهم ولا يضع شيأ في غير موضعه ولكنه يزكي من يشاء من خلقه فيوفقه ويخذل من يشاء من أهل معاصيه كل ذلك اليه وبيده وهو في كل ذلك غير ظالم أحدا من

قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن بن عباس قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت الطاغوت كعب بن الاشرف والجبت حيى بن أخطب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال الجبت حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله الجبت والطاغوت قال الجبت حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال الجبت كعب بن الاشرف والطاغوت الشيطان كان فى صورة انسان قال ابو جعفر والصواب من القول فى تاويل يؤمنون بالجبت والطاغوت أن يقال يصدقون بمعبودين من دون الله يعبدونهما من دون الله ويتخذونهما الهين وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائنا ما كان ذلك المعظم من حجر أو انسان أو شيطان واذ كان ذلك كذلك وكانت الاصنام التى كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جبوتا وطواغيت وكذلك الشياطين التى كانت الكفار تطيعها فى معصية الله وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا فى أهل الشرك بالله وكذلك حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف لانهما كانا مطاعين فى أهل ملتهما من اليهود فى معصية الله والكفر به ورسوله فكانا جبتين وطاغوتين وقد بينت الاصل الذى منه قيل للطواغيت طاغوت بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تاويل قوله (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى بذلك جل ثناؤه ويقولون للذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هؤلاء يعنى بذلك هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر أهدى يعنى أقوم وأعدل من الذين آمنوا يعنى من الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم سبيلا يعنى طريقا وانما ذلك مثل ومعنى الكلام ان الله وصف الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والاذعان له بالطاعة فى الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما وانهم قالوا ان أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الايمان به وان دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله وذكر ان ذلك من صفة كعب بن الاشرف وانه قائل ذلك ذكر الآثار الواردة بما قلنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش انت خير أهل المدينة وسيدهم قال نعم قالوا ألا ترى الى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير منه قال فانزلت ان شانئك هو الابتر وأنزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله فلن تجد له نصيرا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فى هذه الآية ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ثم ذكر نحوه وحدثنى اسحق ابن شاهين قال أخبرنا خالد الواسطى عن داود عن عكرمة قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقال له المشركون احكم بيننا وبين هذا الصنبور الابتر فأنت سيدنا وسيد قومك فقال كعب أنتم والله خير منه فانزل الله تبارك وتعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى آخر الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنا أيوب عن عكرمة ان كعب بن الاشرف انطلق الى المشركين من كفار قريش فاستجابهم على النبى صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يغزوه وقال أنا معكم نقاتله فقالوا انكم أهل كتاب وهو صاحب كتاب ولا نامن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قالوا نحن أهدى أم محمد فنحن ننحر الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونصل الرحم ونقرى الضيف ونطوف بهذا البيت ومحمد قطع رحمه وخرج من بلده قال بل أنتم خير وأهدى فنزلت فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدى لذلك أن يتادب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالقاضى العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأين أعوان الظلمة فيجتمعون كلهم حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون فى النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة أو مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذى أو نعم شيا يعظكم به ذلك المامور من أداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه أعظم أسباب الوعد للمطيع وأشد أصناف الوعيد للعاصى ثم انه سبحانه أمر الرعاة بطاعة الولاة كما أمر الولاة فى الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله الآية عن على بن أبى طالب رضى الله عنه حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع فى ان المامور به كايمان أبى لهب هل يكون مرادا أم لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين فى تكليف أبى لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا يامر الا بما يريد والخلاف بين الفريقين مشهور قال فى التفسير الكبير هذه آية

الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم فى دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة وتشمل أمانة الزوجة للزوج فى ماله وفى بضعها وأمانة الزوج للزوجة فى ايفاء حقوقها وحفظ ظهرها وأمانة السيد للمملوك وبالعكس وأمانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهى اليهود عن كتمان أمر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو أنفع وأصلح فى الدين وفى الدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات الفانية فى التبعات الدائمة وقد عظم الله تعالى أمر الامانة فى مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له والامانة مصدر سمى به المفعول ولذلك جمع ثم لما أمر باداء ما وجب لغيرك عليك أمر باستيفاء حقوق الناس بعضهم من بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل وفى قوله واذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس أن يشرعوا فى الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شروط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والكفاية وأهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف أقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا واختلافا ويحل القياس ويفهمه ويصححه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا قال

يزكون أنفسهم قال هم اليهود والنصارى أنظر كيف يفترون على الله الكذب ۞ القول فى تاويل قوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) يعنى بذلك جل ثناؤه ألم تر بقلبك يا محمد الى الذين أعطوا حظا من كتاب الله فعلموه يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى يصدقون بالجبت والطاغوت ويكفرون بالله وهم يعلمون أن الايمان بهما كفر والتصديق بهما شرك ثم اختلف أهل التاويل فى معنى الجبت والطاغوت فقال بعضهم هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنى أيوب عن عكرمة انه قال الجبت والطاغوت صنمان وقال آخرون الجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الجبت الاصنام والطاغوت الذين يكونون بين أيدى الاصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس وزعم رجال أن الجبت الكاهن والطاغوت رجل من اليهود يدعى كعب بن الاشرف وكان سيد اليهود وقال آخرون الجبت السحر والطاغوت الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق عن حبان بن قائد قال قال عمر رضى الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن حبان بن قائد العنسى عن عمر مثله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن حدثه عن مجاهد قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان حدثنى يعقوب قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان فى صورة انسان يتحاكمون اليه وهو صاحب أمرهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان والكاهن وقال آخرون الجبت الساحر والطاغوت الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبى يقول الجبت الساحر والطاغوت الشيطان وقال آخرون الجبت الساحر والطاغوت الكاهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية الجبت والطاغوت قال الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رفيع قال الجبت الساحر والطاغوت الكاهن حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية انه قال الطاغوت الساحر والجبت الكاهن حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن داود عن أبى العالية فى قوله الجبت والطاغوت قال أحدهما السحر والآخر الشيطان وقال آخرون الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت كنا نحدث أن الجبت شيطان والطاغوت الكاهن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن وقال آخرون الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير قال الجبت الكاهن والطاغوت الساحر حدثنا ابن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا عوف عن محمد قال فى الجبت والطاغوت قال الجبت الكاهن والآخر الساحر وقال آخرون الجبت حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف ذكر من

يؤمنون بالجبت والطاغوت هم الذين لعنهم الله يقول أخزاهم الله فأبعدهم من رحمته بايمانهم بالجبت والطاغوت وكفرهم بالله ورسوله عنادا منهم لله ولرسوله وبقولهم للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ومن يلعن الله يقول ومن يخزه الله فيبعده من رحمته فلن تجد له نصيرا يقول فلا تجد له يا محمد ناصرا ينصره من عقوبة الله ولعنته التى تحل به فيدفع ذلك عنه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال كعب بن الاشرف وحيى بن أخطب ما قالا يعنى من قولهما هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا وهما يعلمان انهما كاذبان فانزل الله أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ۞ القول فى تأويل قوله (أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه أم لهم نصيب من الملك ثم لهم حظ من الملك يقول ليس لهم حظ من الملك كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أم لهم نصيب من الملك يقول لو كان لهم نصيب من الملك اذا لم يؤتوا محمدا نقيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال الله أم لهم نصيب من الملك قال فليس لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ولو كان لهم نصيب وحظ من الملك لم يكونوا اذا يعطون الناس نقيرا من نحاهم واختلف أهل التأويل فى معنى النقير فقال بعضهم هو النقطة التى فى ظهر النواة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله نقيرا يقول النقطة التى فى ظهر النواة حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال النقير الذى فى ظهر النواة حدثنى جعفر بن محمد الكوفى المروزى قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال النقير وسط النواة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فاذا لا يؤتون الناس نقيرا النقير نقير النواة وسطها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا يقول لو كان لهم نصيب من الملك اذا لم يؤتوا محمدا نقيرا والنقير النكتة التى فى وسط النواة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى طلحة ابن عمرو انه سمع عطاء بن أبى رباح يقول النقير الذى فى ظهر النواة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال النقير النقرة التى تكون فى ظهر النواة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال النقير الذى فى ظهر النواة وقال آخرون النقير الحبة التى تكون فى وسط النواة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله نقيرا قال النقير حبة النواة التى فى وسطها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاذا لا يؤتون الناس نقيرا قال النقير حبة النواة التى فى وسطها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان بن سعيد عن منصور عن مجاهد قال النقير فى النوى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول النقير نقير النواة التى فى وسطها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول النقير نقير النواة الذى يكون فى وسط النواة وقال آخرون معنى ذلك نقر الرجل الشئ بطرف أصابعه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى زرين رهم أبى العلاء قال سمعت أبا العالية ووضع ابن عباس طرف الابهام على ظهر السبابة ثم رفعهما وقال هذا النقير * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله وصف هؤلاء الفرقة من أهل الكتاب بالبخل بالبسير من الشئ الذى لا خطر له ولو كانوا ملوكا وأهل قدرة على

لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للاستاذ داخل فى طاعة الله وطاعة الرسول أما اذا حملناه على اجماع أهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل على حكم لا يوجد فى الكتاب والسنة وأيضا قوله فان تنازعتم فى شئ مشعر باجماع تقدم يخالف حكمه حكم التنازع وأيضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضى الاطلاق واذا ثبت ان حمل الآية على هذه الوجوه غير مناسب تعين أن يكون ذلك المعصوم كل الامة أى أهل الحل والعقد وأصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله وأولى الامر ما اجتمعت الامة عليه وهو المدعى وأما القياس فذلك قوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع والا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال وتفتقر الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها بنفى أو اثبات ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذا المراد ردها الى الاحكام المنصوصة فى الوقائع المشابهة لها وهذا معنى القياس فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن بعدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى الرسول بطاعة أهل الحل والعقد بطاعتهم ثم أمر أهل استنباط الاحكام من مداركها ان رفع

مشتملة على أكثر علم أصول الفقه لان أصول

وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على أمر الله ثم يعلم منه أمر الرسول لاحالة والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه أمر الله والاجماع والقياس وأشير الى الاجماع بقوله وأولى الامر لانه تعالى أمر بطاعتهم على سبيل الجزم ووجب أن يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه على الخطا والخطا منهى عنه لزم اعتبار اجتماع الامر والنهى فى الفعل الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة أو بعضها على ما يقوله الشيعة من أن المراد بهم الائمة المعصومون أو على ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون أو على ما روى عن سعيد بن جبير وابن عباس انهم أمراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمى أو كخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وكان معه عمار ابن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية أو على ما روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك أنهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الى الثانى اما ما زعمه الشيعة فلانا نعلم بالضرورة اننا فى زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفادة منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف مالا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الايجاب مشروطا وظاهر الآية يقتضى الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم أن تكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة مع أنه باطل وأيضا الامام المعصوم عندهم فى كل زمان واحد ولفظ أولى الامر جمع وأيضا انه قال

يؤمنون

يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال لما كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهود بنى النضير ما كان حين أتاهم يستعينهم فى دية العامريين فهموا به وباصحابه فاطلع الله رسوله على ما هموا من ذلك ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فهرب كعب بن الاشرف حتى أتى مكة فعاهدهم على محمد فقال له أبو سفيان يا أبا سعد انكم قوم تقرؤن الكتاب وتعلمون ونحن قوم لا نعلم فاخبرنا ديننا خير أم دين محمد قال كعب اعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن قوم ننحر الكوماء ونسقى الحجيج الماء ونقرى الضيف ونعمر بيت ربنا ونعبد آلهتنا التى كان يعبد آباؤنا ومحمد يامرنا ان نترك هذا ونتبعه قال دينكم خير من دين محمد فانتم اهدى منه سبيلا فانزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال نزلت فى كعب بن الاشرف وكفار قريش انه قال لكفار قريش أنتم أهدى من محمد عليه السلام قال ابن جريج قدم كعب بن الاشرف فجاءته قريش فسألته عن محمد فصغر أمره ويسره وأخبرهم انه ضال قال ثم قالوا له ننشدك الله نحن أهدى أم هو فانك قد علمت انا ننحر الكوم ونسقى الحجيج ونعمر البيت ونطعم ما هبت الريح قال أنتم أهدى وقال آخرون بل هذه الصفة صفة جماعة من اليهود منهم حيى بن أخطب وهم الذين قالوا للمشركين ما أخبر الله عنهم انهم قالوه لهم ذكر الاخبار بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن قاله قال أخبرنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة لحيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق أبا رافع والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق وأبا عمار ووحوح بن عامر وهودة بن قيس فاما وحوح وابن عمار وهودة فمن بنى وائل وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الاول فاسألوهم دينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه ومن اتبعه فانزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وآتيناهم ملكا عظيما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية قال ذكر لنا ان هذه الآية أنزلت فى كعب بن الاشرف وحيى بن أخطب ورجلين من اليهود من بنى النضير لقيا قريشا بمنى فقال لهم المشركون أنحن أهدى أم محمد وأصحابه فانا أهل السدانة والسقاية وأهل الحرم فقالا بل أنتم أهدى من محمد وأصحابه وهما يعلمان انهما كاذبان انما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه وقال آخرون بل هذه صفة حيى بن أخطب وحده واياه عنى بقوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى آخر الآية قال جاء حيى بن أخطب الى المشركين فقالوا يا حيى انكم أصحاب كتب فنحن خير أم محمد وأصحابه فقالوا نحن وأنتم خير منهم فذلك قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا وأولى الاقوال بالصحة فى ذلك قول من قال ان ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود وجائز أن يكون كانت الجماعة الذين سماهم ابن عباس فى الخبر الذى رواه محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد أو يكون حيى وآخر معه اما كعبا واما غيره ۞ القول فى تاويل قوله (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يعنى جل ثناؤه بقوله أولئك هؤلاء الذين وصف صفتهم انهم أوتوا نصيبا من الكتاب وهم

تسع نسوة ليس همه الا النكاح فاى ملك أفضل من هذا فقال الله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعنى محمدا ان ينكح ماشاء من النساء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وذلك ان اليهود قالوا ماشان محمد اعطى النبوة كما يزعم وهو جائع عار وليس له هم الا النكاح النساء فسدوه على تزويج الازواج وأحل الله لمحمد ان ينكح منهن ماشاء ان ينكح * وأولى التاويلين فى ذلك بالصواب قول قتادة وابن جريج الذى ذكرناه قبل ان معنى الفضل فى هذا الموضع النبوة التى فضل الله بها محمدا وتشرف بها العرب اذ آتاها رجلا منهم دون غيرهم لما ذكرنا من ان دلالة ظاهر هذه الآية تدل على انها تقريظ للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم على ما قد بينا قبل وليس النكاح وتزويج النساء وان كان من فضل الله جل ثناؤه الذى أتاه عباده بتقريظ لهم ومدح ۞ القول فى تاويل قوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى بذلك جل ثناؤه أم يحسدون هؤلاء اليهود الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات الناس على ما آتاهم الله من فضله من أجل انهم ليسوا منهم فكيف لا يحسدون آل ابراهيم فقد آتيناهم الكتاب ويعنى بقوله فقد آتينا آل ابراهيم فقد أعطينا آل ابراهيم يعنى أهله وتباعه على دينه الكتاب يعنى كتاب الله الذى أوحاه اليهم وذلك كصحف ابراهيم وموسى والزبور وسائر ما آتاهم من الكتب وأما الحكمة فما أوحى اليهم مما لم يكن كتابا مقروا وآتيناهم ملكا عظيما واختلف أهل التاويل فى معنى الملك العظيم الذى عناه الله فى هذه الآية فقال بعضهم هو النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب الحكمة وآتيناهم ملكا عظيما قال النبوة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال الملك النبوة وقال آخرون بل ذلك تحليل النساء قالوا وانما عنى الله بذلك أم يحسدون محمدا على ما أحل الله له من النساء فقد أحل الله مثل الذى أحله لهم من لداود وسليمان وغيرهم من الانبياء فكيف لم يحسدوهم على ذلك وحسدوا محمدا عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فقد آتينا آل ابراهيم سليمان وداود الحكمة يعنى النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فى النساء فما باله حل لاولئك وهم أنبياء أن ينكح داود تسعا وتسعين امرأة ويتزوج سليمان مائة ولا يحل لمحمد أن ينكح كما نكحوا وقال آخرون بل معنى قوله وآتيناهم ملكا عظيما الذى آتى سليمان بن داود ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتيناهم ملكا عظيما يعنى ملك سليمان وقال آخرون بل كانوا أيدوا بالملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن همام بن الحرث وآتيناهم ملكا عظيما قال أيدوا بالملائكة والجنود * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية وهى قوله وآتيناهم ملكا عظيما القول الذى روى عن ابن عباس أنه قال يعنى ملك سليمان لان ذلك هو المعروف فى كلام العرب دون الذى قال انه ملك النبوة ودون قول من قال انه تحليل النساء والملك عليهن لان كلام الله الذى خوطب به العرب غير جائز توجيهه الا الى المعروف المستعمل فيهم من معانيه الا أن تاتى دلالة أو تقوم حجة على ان ذلك بخلاف ذلك يجب التسليم لها ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه فمن الذين أوتوا الكتاب من يهود بنى اسرائيل الذين قال لهم جل ثناؤه آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها من آمن به يقول من صدق بما

انقراض العصر ومن اطلاق قوله فان تنازعتم فى شئ فردوه ان القياس يجوز اجراؤه فى الحدود والكفارات أيضا والمراد بالتنازع قال الزجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولى كأن كل واحد منهما ينزع الحق الى جانبه ذلك الرد أو المامور به فى الآية خير لكم وأحسن تاويلا أى عاقبة من آل الشئ اذا رجع وقيل الرد الى الكتاب والسنة خير مما تاولون أنتم ثم انه تعالى لما أوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين فى قلوبهم مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال ألم تر الى الذين يزعمون الآية قال الليث قولهم زعم فلان معناه لا نعرف انه صدق أو كذب ومنه زعموا مطية الكذب وقال ابن الاعرابى الزعم قد يستعمل فى القول المحقق لكن المراد فى الآية الكذب بالاتفاق قال أبو مسلم ظاهر الآية يدل على ان الزاعم كان منافقا من أهل الكتاب مثل أن يكون يهوديا أظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق أما سبب النزول ففيه وجوه والذى عليه أكثر المفسرين ما رواه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودى كان محقا وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يقضى الا بالحق لجلالة منصبه عن قبول الرشوة وكان كعب يبطل الحقوق بالرشى فما زال اليهودى بالمنافق حتى ذهبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه

الاشياء الجليلة الاقدار فاذ كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بمعنى النقير أن يكون أصغر ما يكون من النقر واذا كان ذلك أولى به فالنقرة التى فى ظهر النواة من صغار النقر وقد يدخل فى ذلك كل ماشا كلها من النقرة ورفع قوله ويؤتون الناس ولم ينصب باذا ومن حكمها ان تنصب الافعال المستقبلة اذا ابتدئ الكلام بها لان معها فاء ومن حكمها اذا دخل فيها بعض حروف العطف ان توجه الى الابتداء بها مرة والى النقل عنها الى غيرها أخرى وهذا الموضع مما أريد بالغاء فيه النقل عن اذا الى ما بعدها وان يكون معنى الكلام أم لهم نصيب فلا يؤتون الناس نقيرا اذا ۞ القول فى تاويل قوله (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعنى بقوله جل ثناؤه أم يحسدون الناس أم يحسد هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن جريج عن مجاهد فى قول الله أم يحسدون الناس قال يهود حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وأما قوله الناس فان أهل التاويل اختلفوا فيمن عنى الله به فقال بعضهم عنى الله بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم خاصة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال أخبرنا هشيم عن خالد عن عكرمة فى قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال الناس فى هذا الموضع النبى صلى الله عليه وسلم خاصة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد ابن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال الناس محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فذكر نحوه وقال آخرون بل عنى الله به العرب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أولئك اليهود حسدوا هذا الحى من العرب على ما آتاهم الله من فضله ☆ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات فقال لهم فى قيلهم للمشركين من عبدة الاوثان انهم أهدى من محمد وأصحابه سبيلا على علم منهم بانهم فى قيلهم ما قالوا من ذلك كذبة أم يحسدون محمدا وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان ما قبل قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يذم القائلين من اليهود للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا فالحاق قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله بذمهم على ذلك وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل أشبه وأولى بما فى الآيات دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك واختلف أهل التاويل فى تاويل الفضل الذى أخبر الله انه أتى الذين ذكرهم فى قوله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقال بعضهم ذلك الفضل هو النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله حسدوا هذا الحى من العرب على ما آتاهم الله من فضله بعث الله منهم نبيا فحسدوهم على ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج على ما آتاهم الله من فضله قال النبوة وقال آخرون بل ذلك الفضل الذى ذكر الله انه آتاهموه هو اباحته ما أباح لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من النساء ينكح منهن ما شاء بغير عدد قالوا وانما يعنى بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذكرت قبل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية وذلك ان أهل الكتاب قالوا زعم محمد انه أوتى ما أوتى فى تواضع وله

الخلاف واشتباه بين الناس فى حكم واقعنا (٨٢) ان يستخرجوا لها وجها من نظائرها وأشباهها فما أحسن هذا الترتيب ثم فى الطلاق

الآية دلالة على ان الكتاب والسنة متقدمان على القياس مطلقا سواء كان القياس جليا أو خفيا وانه لا يجوز معارضة النص ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب أيضا فى قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقرآن مقطوع فى متنه والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذى هو عرضة الخطأ والنسيان وقد أجمع العلماء على ان ابليس خصص بعموم الخطاب فى قوله اذ قلنا للملائكة اسجدوا بقياس هو قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس يقدم القياس على النص وفيه ما فيه ثم ان كان الامر للوجوب فقوله أطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب فههنا يدل على الوجوب ظاهرا لانه ختم الاوامر بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر انه قيد فى جميع الاوامر لا فى قوله فردوه وحده وأيضا مجرد الندبية وهو أولوية الفعل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للآية من فائدة خاصة فيحمل على المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن غيره كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه على العموم كانت الآية مبينة والا كانت مجملة والمبين أولى من المجمل وأيضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية دائمة فالوجوب دائم وانما كرر لفظ أطيعوا للفصل

كذا لم يسلم أبدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف وأسلم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الا ان كاهن أسلم قد أسلم وعلى هذا

الانسان ألم العذاب وأما الجلد واللحم فلا يألمان قالوا فسواء أعيد على الكافر جلده الذى كان له فى الدنيا أو جلد غيره اذ كانت الجلود غير آلمة ولا معذبة وانما المؤلمة المعذبة النفس التى تحس الالم ويصل اليها الوجع قالوا واذا كان ذلك كذلك فغير مستحيل أن يخلق لكل كافر فى النار فى كل لحظة وساعة من الجلود ما لا يحصى عدده ويحرق ذلك عليه ليصل الى نفسه ألم العذاب اذ كانت الجلود لا تألم وقال آخرون بل الجلود تألم واللحم وسائر أجزاء جرم بنى آدم واذا أحرق جلده أو غيره من أجزاء جسده وصل ألم ذلك الى جميعه قالوا ومعنى قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بدلناهم جلودا غير محترقة وذلك انها تعاد جديدة والاولى كانت قد احترقت فاعيدت غير محترقة فلذلك قيل غيرها الا انها غير الجلود التى كانت لهم فى الدنيا التى عصوا الله وهى لهم قالوا وذلك نظير قول العرب للصائغ اذا استصاغه خاتما من خاتم مصوغ يحوله عن صياغته التى هو بها الى صياغة أخرى صغ لى من هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ويصوغ له منه خاتما غيره والخاتم المصوغ بالصياغة الثانية هو الاول ولكنه لما أعيد بعد كسره خاتما قيل هو غيره قالوا فكذلك معنى قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لما احترقت الجلود ثم أعيدت جديدا بعد الاحتراق قيل هى غيرها على ذلك المعنى وقال آخرون معنى ذلك كلما نضجت جلودهم سرابيلهم بدلناهم سرابيل من قطران غيرها فجعلت السرابيل القطران لهم جلودا كما يقال للشئ الخاص بالانسان هو جلده ما بين عينيه ووجهه مخصوصا به قالوا فلذلك سرابيل القطران التى قال الله فى كتابه سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار لما صارت لهم لباسا لا تفارق أجسامهم جعلت لهم جلودا فقيل كلما اشتعل القطران فى أجسامهم وأحرق بدلوا سرابيل من قطران آخر قالوا وأما جلود أهل الكفر من أهل النار فانها لا تحرق لان فى احتراقها الى حال اعادتها فناءها وفى فنائها راحتها قالوا وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها قالوا وجلود الكفار أحد أجسامهم ولو جاز أن يحترق منها شئ فيفنى ثم يعاد بعد الفناء فى النار جاز ذلك فى جميع أجزائها واذا جاز ذلك وجب أن يكون جائزا عليهم الفناء ثم الاعادة والموت ثم الاحياء وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون قالوا وفى خبره عنهم أنهم لا يموتون دليل واضح أنه لا يموت شئ من أجزاء أجسامهم والجلود أحد تلك الاجزاء وأما معنى قوله ليذوقوا العذاب فانه يقول فعلنا ذلك بهم ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته بما كانوا فى الدنيا يكذبون آيات الله ويجحدونها ۞ القول فى تأويل قوله (ان الله كان عزيزا حكيما) يقول ان الله لم يزل عزيزا فى انتقامه ممن انتقم منه من خلقه لا يقدر على الامتناع منه أحد أراده بضر ولا الانتصار منه أحد أحل به عقوبة حكيما فى تدبيره وقضائه ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) يعنى بقوله جل ثناؤه والذين آمنوا وعملوا الصالحات والذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما أنزل الله على محمد مصدقا لما معهم من يهود بنى اسرائيل وسائر الامم غيرهم وعملوا الصالحات يقول وأدوا ما أمرهم الله به من فرائضه واجتنبوا ما حرم الله عليهم من معاصيه وذلك هو الصالح من أعمالهم سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار يقول سوف يدخلهم الله يوم القيامة جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى من تحت تلك الجنات الانهار خالدين فيها أبدا يقول باقين فيها أبدا بغير نهاية ولا انقطاع وانما ذلك لهم فيها أبدا لهم فيها أزواج يقول لهم فى تلك الجنات التى وصف صفتها أزواج مطهرة يعنى بريات من الادناس والريب والحيض والغائط والبول والحبل والبصاق وسائر ما يكون فى نساء أهل الدنيا وقد ذكرنا ما فى ذلك من الآثار فيما مضى قبل وأغنى ذلك عن اعادتها وأما قوله وندخلهم ظلا ظليلا فانه يقول وندخلهم ظلا كنينا كما قال جل ثناؤه وظل ممدود كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن وحدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن

القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان أهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم بترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم ان الطاغوت أى شئ كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا فى تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تشككا أو تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعى الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والالم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب فان لقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم وأردته منهم بل التعجب من هذا التعجب أولى وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيه وجهان أحدهما وهو قول الحسن واختاره الواحدى انه جملة معترضة وأصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يعنى انهم فى أول الامر يصدون عنك أشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما أرادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم الى

المنافق وقال ننطلق الى عمر بن الخطاب فانطلقا الى عمر فقال اليهودى اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم

أنزلنا على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم ومنهم من صد عنه ومنهم من أعرض عن التصديق به كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمنهم من آمن به قال بما أنزل على محمد من يهود ومنهم من صد عنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وفى هذه الآية دلالة على ان الذين صدوا عما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل الذين كانوا حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رفع عنهم وعيد الله الذى توعدهم به فى قوله آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا فى الدنيا وأخرت عقوبتهم الى يوم القيامة لا يمان من آمن منهم وان الوعيد لهم من الله بتعجيل العقوبة فى الدنيا انما كان على مقام جمعهم على الكفر بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلما آمن بعضهم خرجوا من الوعيد الذى توعده فى عاجل الدنيا وأخرت عقوبة المقيمين على التكذيب الى الآخرة فقال لهم كفاكم بجهنم سعيرا يعنى بقوله وكفى بجهنم سعيرا وحسبكم أيها المكذبون بما أنزلت على محمد نبيى و رسولى بجهنم سعيرا يعنى بنار جهنم تسعر عليكم أى توقد عليكم وقيل سعيرا أصله مسعورا من سعرت تسعر فهى مسعورة كما قال الله واذا الجحيم سعرت ولكنها صرفت الى فعيل كما قيل كف خضيب ولحية دهين بمعنى مخضوبة ومدهونة والسعير الوقود ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) هذا وعيد من الله جل ثناؤه الذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد من يهود بنى اسرائيل وغيرهم من سائر الكفار برسوله يقول الله لهم ان الذين جحدوا ما أنزل على رسولى محمد صلى الله عليه وسلم من آياتى يعنى من آيات تنزيله و وحى كتابه وهى دلالة وحجة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصدقوا به من يهود بنى اسرائيل وغيرهم من سائر أهل الكفر به سوف نصليهم نارا يقول سوف نغضهم فى نار يصلون فيها أى يشوون فيها كلما نضجت جلودهم يقول كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت بدلناهم جلودا غيرها يعنى غير الجلود التى قد نضجت فانشوت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن نوير عن ابن عمر كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال اذا احترقت جلودهم بدلناهم جلودا بيضاء أمثال القراطيس حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها يقول كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله كلما نضجت جلودهم قال سمعنا انه مكتوب فى الكتاب الاول جلد أحدهم أربعون ذراعا وسنه سبعون ذراعا وبطنه لو وضع فيه جبل وسعه فاذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلودا غيرها حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قال بلغنى عن الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تنضجهم فى اليوم سبعين ألف مرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا أبو عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن الحسن قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تنضج النار كل يوم سبعين ألف جلد قال فى غلظ جلد الكافر أربعون ذراعا والله أعلم باى ذراع فان سأل سائل فقال ما معنى قوله جل ثناؤه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وهل يجوز أن يبدلوا جلودا غير جلودهم التى كانت لهم فى الدنيا فيعذبوا فيها فان جاز ذلك عندك فاجز أن يبدلوا أجسادا وأرواحا غير أجسامهم وأرواحهم التى كانت لهم فى الدنيا فتعذب وان أجزت ذلك لزمك أن يكون المعذبون فى الآخرة بالنار غير الذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به ومعصيتهم اياه وأن يكون الكفار قد ارتفع عنهم العذاب قيل ان الناس اختلفوا فى معنى ذلك فقال بعضهم العذاب انما يصل الى الانسان الذى هو غير الجلد واللحم وانما يحرق الجلد ليصل الى

انه يخاصم اليك وتعلق بى فجئت معه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب اليهودى فنزلت الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدى كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية اذا قتل قرظى نضيرا قتل به وأخذ ديته مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا أكثر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيرى قرظيا واختصموا فى ذلك فقال بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه وقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وأنتم اليوم اخوة ودیننا واحد ولا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابى برزة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون لا بل الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا الى أبى برزة ليحكم بينهم فقال أعظموا اللقمة يعنى الرشوة فقالوا لك عشرة أوسق فقال لا بل مائة وسق دينى فانى أخاف ان نفرت النضيرى قتلنى قريظة وان نفرت القرظى قتلتنى النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة أوساق وأبى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه الآية فدعا النبى صلى الله عليه كاهن أسلم الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنيه أدركا أباكما فانه ان جاز عقبة

فانه لم يرخص لموسر ولا معسر ان يمسكها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها عن الحسن ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أدالامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك فتاويل الآية اذا كان الامر على ما وصفنا ان الله يأمركم يامعشر ولاة أمور المسلمين أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيتكم من فيئهم وحقوقهم وأموالهم وصدقاتهم اليهم على ما أمركم الله باداء كل شئ من ذلك الى من هو له بعد أن تصير فى أيديكم لا تظلموها أهلها ولا تستأثروا بشئ منها ولا تضعوا شيأ منها فى غير موضعه ولا تأخذوها الا ممن أذن الله لكم باخذها منه قبل أن تصير فى أيديكم و يأمركم اذا حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والانصاف وذلك حكم الله الذى أنزله فى كتابه و بينه على لسان رسوله لا تعدوا ذلك فتجوروا عليهم ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه يامعشر ولاة أمور المسلمين ان الله نعم الشئ يعظكم به ونعمت العظة يعظكم بها فى أمره اياكم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وأن تحكموا بين الناس بالعدل ان الله كان سميعا يقول ان الله لم يزل سميعا بما تقولون وتنطقون وهو سميع لذلك منكم اذا حكمتم بين الناس ولم تجاوزوهم به بصيرا بما تفعلون فيما ائتمنتكم عليه من حقوق رعيتكم وأموالهم وما تقضون به بينهم من أحكامكم بعدل تحكمون أو جور لا يخفى عليه شئ من ذلك حافظ ذلك كله حتى يجازى محسنكم باحسانه ومسيئكم باساءته أو يعفو بفضله ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه وأطيعوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فان فى طاعتكم اياه لربكم طاعة وذلك انكم تطيعونه لامر الله اياكم بطاعته كما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى أميرى فقد عصانى واختلف أهل التاويل فى معنى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فقال بعضهم ذلك أمر من الله باتباع سنته ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال طاعة الرسول اتباع سنته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعلى بن عبيد عن عبد الملك عن عطاء أطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة وحدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء مثله وقال آخرون ذلك أمر من الله بطاعة الرسول فى حياته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ان كان حيا والصواب من القول فى ذلك أن يقال هو أمر من الله بطاعة رسوله فى حياته فيما أمر ونهى و بعد وفاته فى اتباع سنته وذلك ان الله عم بالامر بطاعته ولم يخصص فى ذلك فى حال دون حال فهو على العموم حتى يخص ذلك ما يجب التسليم له واختلف أهل التاويل فى أولى الامر الذين أمر الله عباده بطاعتهم فى هذه الآية فقال بعضهم هم الامراء ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب سالم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى هريرة فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال هم الامراء حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم نزلت فى رجل بعثه النبى صلى الله عليه وسلم على سرية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبيد الله بن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى اذ بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى السرية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

يعاملهم فامره بثلاثة أشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر و يستمر على السخط أو انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم بكنه ما فى بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من آثار الفتنة الثانى ان يعظهم فيزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وفيه وجوه أحدها ان فى الآية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا فى أنفسهم مؤثرا فى قلوبهم يغتمون به اغتماما و يستشعرون منه الخوف الثانى وقل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما فى قلوبكم فان يغنى عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم عن دنس النفاق والا فسينزل الله بكم ما أنزل بالجاهرين بالشرك أو شرا من ذلك وأغلظ الثالث قل لهم فى أنفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح بين الملا تقريع وفى السر أنفع وأنجع قولا يؤثر فيهم وقيل القول البليغ يتعلق باللفظ وهو أن يكون كلاما حسنا وجيز المبانى عزيز المعانى يدخل الاذن بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة أخرى فى طاعة الرسول فقال وما أرسلنا من رسول أكثر النحاة على ان من صلة تفيد تاكيد النفى والتقدير وما أرسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف والتقدير وما أرسلنا من هذا الجنس أحدا قال الجبائى هذه الآية من أقوى الدلائل على بطلان مذهب المجبرة لكونها صريحة فى ان معصية الناس غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لا يجعل الطاعة لا بد منها فى كون المعصية مرادة لله تعالى على ان قوله باذن الله أى بتيسيره

الطاغوت وانهم يصدون ثم اتبعها ما يدل على شدة أحوالهم بسبب أعمالهم القبيحة فى الدنيا والآخرة والثانى انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول فى أوقات السلامة هكذا فكيف تكون نفرتهم اذا أتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك كرها يحلفون بالله على سبيل الكذب ما أردنا بتلك الجناية الا الخير والمصلحة أما المصيبة فقيل انها قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما أرادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال الجبائى هى ما أمر الله رسوله بها من أنه لا يستصحبهم فى الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك فى وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما أردنا بما كان منا من مواساة الكفار الا اصلاح الحال وقال أبو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تجتثهم اليه والى ان يظهر والايمان ومن عادة العرب عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف أنت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما أردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم واتتلافا بينهم فانهم لا يقدرون عند الرسول ان يرفعوا أصواتهم ويبينوا حجج أو ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للعطف مناسبة ظاهرة أو ما أردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط ويأمر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الآخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى تحصل بينهم الموافقة ثم أخبر الله سبحانه بما فى ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فانه

جعفر قالا جميعا ثنا شعبة قال سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد ۞ القول فى تأويل قوله (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها ولاة أمور المسلمين ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو اسامة عن أبى مكين عن زيد بن أسلم قال نزلت هذه الآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها فى ولاة الامر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن شهر قال نزلت فى الامراء خاصة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا اسمعيل عن مصعب بن معبد قال قال على رضى الله عنه كلمات أصاب فيهن حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله وان يؤدى الامانة واذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا وان يطيعوا وأن يجيبوا اذا دعوا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل عن مصعب بن سعد عن على بنحوه **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا موسى بن عمير عن مكحول فى قول الله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال هم أهل الآية التى قبلها ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها الى آخر الآية **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن زيد قال أبى هم الولاة أمرهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها وقال آخرون أمر السلطان بذلك أن يعطوا الناس ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها يعنى السلطان يعطون الناس وقال آخرون الذى خوطب بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى مفاتيح الكعبة أن يردها على عثمان بن طلحة ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها قال نزلت فى عثمان بن طلحة قبض منه النبى صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة ودخل بها البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فدفع اليه المفتاح قال وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية فداه أبى وأمى ما سمعته يتلوها بعد ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الزنجى بن خالد عن الزهرى قال دفعه اليه وقال أعينوه * وأولى هذه الاقوال بالصواب فى ذلك عندى قول من قال هو خطاب من الله ولاة أمور المسلمين باداء الامانة الى من ولوا أمره فى فيئهم وحقوقهم وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم فى القضية والقسم بينهم بالسوية فدل على ذلك ما وعظ به الرعية فى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فأمرهم بطاعتهم وأوصى الراعى بالرعية وأوصى الرعية بالطاعة كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال قال أبى هم السلاطين وقرأ ابن زيد تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ألا ترى انه أمر فقال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها والامانات هى الفىء الذى استأمنهم على جمعه وقسمه والصدقات التى استأمنهم على جمعها وقسمها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الآية كلها فأمر بهذا الولاة ثم أقبل علينا نحن فقال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وأما الذى قال ابن جريج من أن هذه الآية نزلت فى عثمان بن طلحة فانه جائز أن تكون نزلت فيه وأريد به كل مؤتمن على أمانة فدخل فيه ولاة أمور المسلمين وكل مؤتمن على أمانة فى دين أو دنيا ولذلك قال من قال عنى به قضاء الدين ورد حقوق الناس كالذى **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها

قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال كان مجاهد يقول أصحاب محمد قال وربما قال أولى الفضل والفقه ودين الله وقال آخرون هم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال ثنا حفص بن عمرو العدني قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال أبو بكر وعمر * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة كالذي حدثني علي بن مسلم الطوسي قال ثنا ابن أبي فديك قال ثني عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فان أحسنوا فلهم ولكم وان أساؤا فلكم وعليهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن عبيد الله قال أخبرني نافع عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فمن أمر بمعصية فلا طاعة حدثنا ابن المثنى قال ثني خالد بن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فاذ كان معلوما انه لا طاعة واجبة لاحد لغير الله أو رسوله أو امام عادل وكان الله قد أمر بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم بطاعة ذوي أمرنا كان معلوما ان الذين أمر بطاعتهم تعالى ذكره من ذوي أمرنا هم الائمة ومن ولوه المسلمون دون غيرهم من الناس وان كان فرض القبول من كل أمير يترك معصية الله ودعا الى طاعة الله أنه لا طاعة تجب لاحد فيما أمر ونهى فيما لم تقم حجة وجوبه الا للائمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيتهم مما هو مصلحة لعامة الرعية فان على من أمروه بذلك طاعتهم وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية واذ كان ذلك كذلك كان معلوما بذلك صحة ما اخترنا من التأويل دون غيره ۞ القول في تأويل قوله (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني بذلك جل ثناؤه فان اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمر دينكم أنتم فيما بينكم أو أنتم وولاة أمركم فاشجرتم فردوه الى الله يعني بذلك فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشجرتم أنتم بينكم أو أنتم وأولو أمركم فيه من عند الله يعني بذلك من كتاب الله فاتبعوا ما وجدتم وأما قوله والرسول فانه يقول فان لم تجدوا الى علم ذلك في كتاب الله سبيلا فارتادوا معرفة ذلك أيضا من عند الرسول ان كان حيا وان كان ميتا فمن سنته ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول افعلوا ذلك ان كنتم تصدقون بالله واليوم الآخر يعني بالمعاد الذي فيه الثواب والعقاب فانكم ان فعلتم ما أمرتم به من ذلك فلكم من الله الجزيل من الثواب وان لم تفعلوا ذلك فلكم الاليم من العقاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال فان تنازع العلماء ردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسوله ثم نزع مجاهد بهذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله فردوه الى الله والرسول قال كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ليث عن مجاهد في قوله فردوه الى الله والرسول قال الى الله الى كتابه والى الرسول الى سنة نبيه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث قال سال مسلمة ميمون بن مهران عن قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال الله كتابه ورسوله سنته فكاعما ألقمه حجرا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال أخبرنا جعفر بن مروان عن ميمون بن مهران فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى رسوله ان كان حيا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو أصغر من الجدار واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واعلم أن الحكم في هذا ان من كان أرضه أقرب الى فم الوادي فهو أولى بأول الماء وحقه تمام السقي والرسول صلى الله عليه وسلم أذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما أساء خصمه الادب ولم يعرف حق ما أمره به الرسول صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله أمره باستيفاء حقه وجعل خصمه على من الحق وفي قوله فلا وربك قولان أحدهما أن لا صلة لتأكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مغيرة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي أمر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وهذا الوجه لا يتمشى فيما اذا كان الجواب مثبتا ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجير لتداخل أغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق أو الشك لان الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا رسلا لامر الله أي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل أمر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور فاذن الحكم غير كلي والتقليد في جميع الاحكام غير

وتوفيقه واعانته يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول قيل في الآية دلالة على انه لا

عن ليث قال سأل مسلمة ميمون بن مهران عن قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال أصحاب السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال قال أبي هم السلاطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعة الطاعة وفي الطاعة وقال بلاء قار ولو شاء الله لجعل الامر في الانبياء يعني لقد جعل اليهم والانبياء معهم ألا ترى حين حكموا في قتل يحيى بن زكريا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر فسار واقبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا وأتاهم ذو العينتين فاخبرهم فاصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فاتاه فقال يا أبا اليقظان اني قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان قومي لما سمعوا بكم هربوا واني بقيت فهل اسلامي نافعي غدا والا هربت قال عمار بل هو ينفعك فاقم فاقام فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدا غير الرجل فاخذ واخذ ماله فبلغ عمارا الخبر فاتى خالدا فقال خل عن الرجل فانه قد أسلم وانه في أمان مني قال خالد وفيم أنت تجير فاستبا وارتفعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير فاستبا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد يا رسول الله أتترك هذا العبد الاجدع يسبني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فانه من يسب عمارا يسبه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله فغضب عمار فقام فتبعه خالد حتى أخذ بثوبه فاعتذر اليه فرضي عنه فانزل الله تعالى يعني قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وقال آخرون هم أهل العلم والفقه ذكر من قال ذلك حدثني سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال ثنا جابر بن نوح عن الاعمش عن مجاهد في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال أولى الفقه منكم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال أولى الفقه والعلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح وأولى الامر منكم قال أولى الفقه في الدين والعقل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم يعني أهل الفقه والدين حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد وأولى الامر منكم قال أهل العلم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء بن السائب في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال أولى العلم والفقه حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء وأولى الامر منكم قال الفقهاء والعلماء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله وأولى الامر منكم قال هم العلماء قال وأخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأولى الامر منكم قال هم أهل الفقه والعلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله وأولى الامر منكم قال هم أهل العلم ألا ترى أنه يقول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقال آخرون هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية

رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع أقوالهم وأفعالهم ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ردقضاء رسوله واستغفر لهم الرسول انتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ايذائه برد قضائه لوجدوا الله لعلموه توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات عن الخطاب الى ذكر الرسول تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالآية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال أبو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبريل فاخبره به فقال صلى الله عليه وسلم ان قوما دخلوا يريدون أمرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى أستغفر لهم فلم يقوموا فقال ألا يقومون فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا فقال الآن أخرجوا أنا كنت في بدء الامر أقرب الى الاستغفار وكان الله أقرب الى الاجابة أخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شان الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة والشريج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال

يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك يعنى الذى من الانصار وما أنزل من قبلك يعنى اليهودى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الى الكاهن وقد أمروا أن يكفروا به يعنى أمر هذا فى كتابه وأمر هذا فى كتابه وتلا ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وقرأ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى ويسلموا تسليما **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن المعمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن رجلا من اليهود كان قد أسلم فكانت بينه وبين رجل من اليهود مدارأة فى حق فقال اليهودى له انطلق الى نبى الله فعرف انه سيقضى عليه قال فابى فانطلقا الى رجل من الكهان فتحاكما اليه قال الله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الآية حتى بلغ ضلالا بعيدا ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى رجلين رجل من الانصار يقال له بشر وفى رجل من اليهود فى مدارأة كانت بينهما فى حق فتدارأيا بينهما فيه فتنافرا الى كاهن بالمدينة يحكم بينهما وتركانبى الله صلى الله عليه وسلم فعاب الله عز وجل ذلك وذكر لنا أن اليهودى كان يدعوه الى النبى صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وقد علم ان نبى الله صلى الله عليه وسلم لن يجور عليه فجعل الانصارى يابى عليه وهو يزعم انه مسلم ويدعوه الى الكاهن فانزل الله تبارك وتعالى ما تسمعون فعاب ذلك على الذى يزعم انه مسلم وعلى اليهودى الذى هو من أهل الكتاب فقال ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك الى قوله صدودا **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت قال كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية اذا قتل الرجل من بنى النضير قتلته بنو قريظة قتلوا به منهم فاذا قتل الرجل من بنى قريظة قتلته النضير أعطوا ديته ستين وسقا من تمر فلما أسلم ناس من بنى قريظة والنضير قتل رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة فتحاكموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النضرى يارسول الله انا كنا نعطيهم فى الجاهلية الدية فنحن نعطيهم اليوم ذلك فقالت قريظة لا ولكنا اخوانكم فى النسب والدين ودماؤنا مثل دمائكم ولكنكم كنتم تغلبوننا فى الجاهلية فقد جاءالله بالاسلام فانزل الله يعيرهم بما فعلوا فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فعيرهم ثم ذكر قول النضيرى كنا نعطيهم فى الجاهلية ستين وسقا ونقبل منهم ولا يقتلونا فقال أفحكم الجاهلية يبغون وأخذ النضيرى فقتله بصاحبه فتفاخرت النضير وقريظة فقالت النضير نحن أكرم منكم وقالت قريظة نحن أكرم منكم ودخلوا المدينة الى أبى برزة الكاهن الاسلمى فقال المنافق من قريظة والنضير انطلقوا الى أبى برزة يفرق بيننا وقال المسلمون من قريظة والنضير لا بل النبى صلى الله عليه وسلم يفرق بيننا فتعالوا اليه فابى المنافقون وانطلقوا الى أبى برزة فسألوه فقال أعظموا اللقمة يقول أعظموا الخطر فقالوا لك عشرة أوساق قال لا بل مائة وسق دينى فانى أخاف ان أفرق النضير تقتلنى قريظة أو أفرق قريظة فتقتلنى النضير فابوا أن يعطوه فوق عشرة أوساق وأبى أن يحكم بينهم فانزل الله عز وجل يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وهو أبو برزة وقد أمروا أن يكفروا به الى قوله ويسلموا تسليما وقال آخرون الطاغوت فى هذا الموضع هو كعب بن الاشرف ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به والطاغوت رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الاشرف وكانوا اذا ماداعوا الى ما أنزل الله والى الرسول ليحكم بينهم قالوا بل نتحاكم الى كعب فذلك قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل

الخطاب انه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك ونزلت الآية فالضمير فى قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فان لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمى التكليف وعظا لاقترانه بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم أى أنفع وأفضل من غيره أو خير الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا وأشد تثبيتا أقرب الى ثباتهم على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى أمثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل وأيضا الانسان يطلب الخير أولا فاذا حصل يطلب ثباته ودوامه ثم بين أن ما يوعظون به كما هو خير فى نفسه فهو أيضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما وثوابا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو أن نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما وفى ايراد صيغة التعظيم فى آتيناهم وفى قوله من لدنا وفى وصف الاجر بالعظم وفى تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق أو الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا أولى لانه مذكور بعد

استحقاق الاجر ثم أكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك أن الآية عامة فى جميع المكلفين الا أن المفسرين ذكروا فى سبب

مرضى واعلم ان الرضى بتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون رضى فى الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فقد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد أو يتوقف فى ذلك القبول فعدم الحرج اشارة الانقياد فى الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد فى الظاهر وفى الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطأ فى الفتاوى والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان فى النفس حرج قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصى بقضاء الله تعالى لزم التناقض لان الرضى بقضائه واجب فالرضا بالمعاصى واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب أن يحصل الرضا فى تركها ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال وأجيب بان المراد من قضاء الله التكوين والايجاد فالرضى بقضائه ان يعتقد كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول فان ذلك من هذا قوله ولو أنا كتبنا عليهم روى أن حاطبا لما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهب الزبير حقه فى صريح الحكم خرجا فرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال حاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه فغطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وأيم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا ما الى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس

فان قبضه الله اليه فالرد الى السنة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول يقول ردوه الى كتاب الله وسنة رسوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كان الرسول حيا والى الله قال الى كتابه ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك خير وأحسن تاويلا) يعنى بقوله جل ثناؤه فرد ما تنازعتم فيه من شئ الى الله والرسول خير لكم عند الله فى معادكم وأصلح لكم فى دنياكم لان ذلك يدعوكم الى الالفة وترك التنازع والفرقة وأحسن تاويلا يعنى وأحمد موئلا ومغبة وأجمل عاقبة وقد بينا فيما مضى ان التاويل التفعيل من تاول وان قول القائل تاول تفعل من قولهم آل هذا الامر الى كذا أى رجع بما أغنى عن اعادته وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأحسن تاويلا قال أحسن جزاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك خير وأحسن تاويلا يقول ذلك أحسن ثوابا وخير عاقبة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأحسن تاويلا قال عاقبة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك خير وأحسن تاويلا قال وأحسن عاقبة قال التاويل التصديق ۞ القول فى تاويل قوله (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) يعنى بذلك جل ثناؤه ألم تر يا محمد بقلبك فتعلم الى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل اليك من الكتاب والى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب يريدون أن يتحاكموا فى خصومتهم الى الطاغوت يعنى الى من يعظمونه ويصدرون عن قوله ويرضون بحكمه من دون حكم الله وقد أمروا ان يكفروا به يقول وقد أمرهم الله أن يكفروا بما جاءهم به الطاغوت الذى يتحاكمون اليه فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا يعنى ان الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين الى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى فيضلهم عنها ضلالا بعيدا يعنى فيجورهم جورا شديدا وقد ذكر ان هذه الآية نزلت فى رجل من المنافقين دعا رجلا من اليهود فى خصومة كانت بينهما الى بعض الكهان ليحكم بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت قال كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فكان المنافق يدعو الى اليهود لانه يعلم انهم يقبلون الرشوة وكان اليهودى يدعو الى المسلمين لانه يعلم انهم لا يقبلون الرشوة فاصطلحا أن يتحاكما الى كاهن من جهينة فانزل الله فيه هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك حتى بلغ وسلموا تسليما حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك فذكر نحوه وزاد فيه فانزل الله ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك يعنى المنافقين وما أنزل من قبلك يعنى اليهود يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت يقول الى الكاهن وقد أمروا أن يكفروا به أمر هذا فى كتابه وأمر هذا فى كتابه أن يكفر بالكاهن حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال كانت بين رجل ممن يزعم انه مسلم وبين رجل من اليهود خصومة فقال اليهودى أحاكمك الى أهل دينك أو قال الى النبى لانه قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ الرشوة فى الحكم فاختلفا فاتفقا ان يأتيا كاهنا فى جهينة قال فنزلت ألم تر الى الذين

إما والله إن الله ليعلم منى الصدق لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها وكذا قال ابن مسعود وعمار بن ياسر فقال

أنفسهم قولا بليغا) يعني جل ثناؤه بقوله أولئك هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم يعلم الله ما في قلوبهم في احتكامهم الى الطاغوت وتركهم الاحتكام اليك وصدودهم عنك من النفاق والزيغ وان حلفوا بالله ما أردنا الا احسانا وتوفيقا فاعرض عنهم وعظهم يقول فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم ولكن عظهم بتخويفك اياهم بأس الله أن يحل بهم وعقوبته أن تنزل بدارهم وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا يقول مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده ۞ القول في تاويل قوله (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) يعني بذلك جل ثناؤه لم نرسل يا محمد رسولا الا أفرضت طاعته على من أرسلته اليه يقول تعالى ذكره فانت يا محمد من الرسل الذين أفرضت طاعتهم على من أرسلته اليه وانما هذا من الله توبيخ للمحتكمين من المنافقين الذين كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم فيما اختصموا فيه الى الطاغوت صدودا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم تعالى ذكره ما أرسلت رسولا الا فرضت طاعته على من أرسلته اليه فمحمد صلى الله عليه وسلم من أولئك الرسل فمن ترك طاعته والرضى بحكمه واحتكم الى الطاغوت فقد خالف أمري وضيع فرضي ثم أخبر جل ثناؤه ان من أطاع رسله فانما يطيعهم باذنه يعني بتقديره ذلك وقضائه السابق في علمه ومشيئته كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الا ليطاع باذن الله واجب لهم أن يطيعهم من شاء الله لا يطيعهم أحد الا باذن الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وانما هذا تعريض من الله تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين بان تركهم طاعة الله وطاعة رسوله والرضى بحكمه انما هو لسابق لهم من خذلانه وغلبة الشقاء عليهم ولولا ذلك لكانوا ممن أذن له في الرضى بحكمه والمسارعة الى طاعته ۞ القول في تاويل قوله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) يعني بذلك جل ثناؤه ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين الذين اذا دعوا الى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدودا اذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم اياها العظيم من الاثم في احتكامهم الى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله اذ دعوا اليها جاؤك يا محمد حين فعلوا ما فعلوا من مصيرهم الى الطاغوت راضين بحكمه دون حكمك جاؤك تائبين منيبين فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم وسأل لهم الله رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وذلك هو معنى قوله فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول وأما قوله لوجدوا الله توابا رحيما فانه يقول لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنبهم لوجدوا الله توابا يقول راجعا لهم مما يكرهون الى ما يحبون رحيما بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه وقال مجاهد عني بذلك اليهودي والمسلم اللذان تحاكما الى كعب بن الاشرف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ظلموا أنفسهم الى قوله ويسلموا تسليما ان هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما الى كعب بن الاشرف ۞ القول في تاويل قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) يعني جل ثناؤه بقوله فلا فليس الامر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل اليك وهم متحاكمون الى الطاغوت ويصدون عنك اذا دعوا اليك يا محمد واستأنف القسم جل ذكره فقال ورب لا يؤمنون أي لا يصدقون بي وبك وبما أنزل اليك حتى يحكموك فيما شجر بينهم يقول حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم فالتبس عليهم حكمه يقال شجر يشجر شجورا وشجرا وتشاجر القوم اذا اختلفوا في الكلام والامر مشاجرة وشجارا ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

وشهيدا وصالحا أو الصديق شهيدا وصالحا وقد مر تفسير النبي صلى الله عليه وسلم في أوائل البقرة وأما الصديق فبالغة الصادق وهو من غلب على أقواله الصدق وانه لخصلة مرضية في جميع الاديان ومحققة للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بنقيضه مذمة ان الكفر ليس سوى التكذيب وذكر المفسرون أكثرهم ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وقال قوم هم أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة الناس كابي بكر وعلي وأمثالهما ولا واسطة بين الصديق والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك ان ترقيت من الصديقين وصلت الى النبوة وان نزلت من النبوة وصلت اليهم وأما الشهداء فالمراد بهم ههنا أعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله قال ان شهداء أمتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات بالبطن فهو شهيد وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان وأقول لا يبعد أيضا أن يدخل كل هذه الامة في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وأما الصالحون فالصالح هو

نزولها وجوها قال الكلبي نزلت في ثوبان

تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا أراك هناك لاني أعرف انك ترفع مع النبيين واني ان أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة فذاك حري أن لا أراك أبدا وقال معاتل نزلت في رجل من الانصار قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا خرجنا من عندك الى أهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شئ حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل الله هذه الآية فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أتى الانصاري ولده وهو في حديقة له فاخبره بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أعمني حتى لا أرى شيأ بعده فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في أعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآيتان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخرين وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا أو اذا أرادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع فيها ولا تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة اخوانا على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر أصنافا أربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا شك في تغايرها أنفسهم

الیك وما أنزل من قبلك قال تنازع رجل من المنافقين ورجل من اليهود فقال المنافق اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال اليهودي اذهب بنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تبارك وتعالى ألم تر الى الذين يزعمون الآية والتي تليها فيهم أيضا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك فذكر مثله الا أنه قال وقال اليهودي اذهب بنا الى محمد حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الى قوله ضلالا بعيدا قال كان رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بينهما خصومة أحدهما مؤمن والآخر منافق فدعاه المؤمن الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت قال تنازع رجل من المؤمنين ورجل من اليهود فقال اليهودي اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال المؤمن اذهب بنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك الى قوله صدودا قال ابن جريج يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك قال القرآن وما أنزل من قبلك قال التوراة قال يكون بين المسلم والمنافق الحق فيدعوه المسلم الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحاكمه اليه فيابى المنافق ويدعوه الى الطاغوت قال ابن جريج قال مجاهد الطاغوت كعب بن الاشرف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت هو كعب بن الاشرف وقد بينا معنى الطاغوت في غير هذا الموضع فكرهنا اعادته

القول في تاويل قوله (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعني بذلك جل ثناؤه ألم تر يا محمد الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك من المنافقين والى الذي يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتاب يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله يعني بذلك واذا قيل لهم تعالوا هلموا الى حكم الله الذي أنزله في كتابه والى الرسول ليحكم بيننا رأيت المنافقين يصدون عنك يعني بذلك يمتنعون من المصير اليك لتحكم بينهم ويمنعون من المصير اليك كذلك غيرهم صدودا وقال ابن جريج في ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قال دعا المسلم المنافق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وأما على تاويل قول من جعل الداعي الى النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي والمدعو اليه المنافق على ما ذكرت من أقوال من قال ذلك في تاويل قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك فانه على ما بينت قبل

القول في تاويل قوله (فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) يعني بذلك جل ثناؤه فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك اذا أصابتهم مصيبة يعني اذا نزلت بهم نقمة من الله بما قدمت أيديهم يعني بذنوبهم التي سلفت منهم ثم جاؤك يحلفون بالله يقول ثم جاؤك يحلفون بالله كذبا وزورا ان أردنا الا احسانا وتوفيقا وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العبر والنقم وانهم وان نالتهم عقوبة من الله على تحاكمهم الى الطاغوت لم ينيبوا ولم يتوبوا ولكنهم يحلفون بالله كذبا وجرأة على الله ما أردنا باحتكامنا اليه الا الاحسان من بعضنا الى بعض والصواب فيما احتكمنا فيه اليه

القول في تاويل قوله (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في

كانه هو الفضل وماعداه غير معتمد عليه وذلك الثواب المذكور هو من الله لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها

يحكموك فيما شجر بينهم في سياق قصة الذين أسدى الله الخبر عنهم بقوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم فالحاق بعض ذلك ببعض مالم تأت دلالة على انقطاعه أولى فان ظن ظان ان في الذي روى عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الانصاري في شراج الحرة وقول من قال في خبرهما فنزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم مما ينبئ على انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها فانه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين الى الطاغوت ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الانصاري اذ كانت الآية دالة على ذلك واذ كان ذلك غير مستحيل كان الحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى مادام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد الا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى ماقبله وأما قوله ويسلموا فانه منصوب عطفا على قوله ثم لا يجدوا في أنفسهم وقوله ثم لا يجدوا في أنفسهم نصب عطفا له على قوله حتى يحكموك فيما شجر بينهم ۞ القول في تاويل قوله (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) يعني جل ثناؤه بقوله ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ولو أنا فرضنا على هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك المحتكمين الى الطاغوت أن يقتلوا أنفسهم وأمرناهم بذلك أو أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين منها الى دار أخرى سواها ما فعلوه يقول ما قتلوا أنفسهم بايديهم ولا هاجروا من ديارهم فتخرجوا عنها الى الله ورسوله طاعة لله ولرسوله الا قليل منهم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم كما أمر أصحاب موسى عليه السلام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم كما أمر أصحاب موسى أن يقتل بعضهم بعضا بالخناجر لم يفعلوا الا قليل منهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من يهود فقال اليهودي والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا فقال ثابت والله لو كتب علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا فانزل الله في هذا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن اسمعيل عن أبي اسحق السبيعي قال لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال رجل لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتي لرجالا الايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي واختلف أهل العربية في وجه الرفع في قوله الا قليل منهم فكان بعض نحوي البصرة يزعم أنه رفع قليل لانه جعل بدلا من الاسماء المضمرة في قوله ما فعلوه لان الفعل لهم وقال بعض نحوي الكوفة انما رفع على نية التكرير كان معناه ما فعلوه ما فعله الا قليل منهم كما قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال رفع القليل بالمعنى الذي دل عليه قوله ما فعلوه الا قليل منهم وذلك ان معنى الكلام ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم فقليل ما فعلوه على الخبر عن الذين مضى ذكرهم في قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ثم استثنى القليل فرفع بالمعنى الذي ذكرنا اذ كان الفعل منفيا عنه وهي في مصاحف أهل الشام ما فعلوه الا قليلا منهم واذا قرئ كذلك فلا رد به على قارئه في اعرابه لانه المعروف في كلام العرب اذ كان الفعل مشغولا بما فيه كناية من قد جرى ذكره ثم استثنى منهم

وفيه ترغيب للمكلف على اكمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيه ۞ التأويل الوجود المجازي أمانة من الله تعالى كما أن وجود الظل أمانة من الشمس فلا حرم اذا تجلت شمس الربوبية لاظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاغيار وانمحت الآثار وبقي الواحد القهار وهذا أحد أسرار قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس أن تحكموا بآداب الطريقة فيراقب القلب شواهد اللقاء ويلازم الروح عقبة الفناء والسر وارد سلطان البقاء يا أيها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا على الحقيقة وطاعة القلب لله أن يحب الله وحده وطاعة الروح أن لا يلتفت الى غيره وطاعة السر أن لا يرى غيره في الوجود أما الرسول فهو الرسول الوارد من الحق في الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم لوابصة بن معبد استفت قلبك يا وابصة ولو أفتاك المفتون وأولى الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده أمر تربيتكم فان تنازعتم في شئ يعني منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة أو يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة نزاعا من قصور الفهم والدراية فردوه الى الله لمراقبة القلوب بشواهد الغيوب والى رسوله والى أولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده أمر تربيتكم فان تنازعتم في شئ يعني منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة أو يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة نزاعا من قصور الفهم والدراية فردوه الى الله لمراقبة القلوب بشواهد الغيوب والى رسوله

واردا الحق بصدق النية وصفاء الطوية بتذلك الايمان الا يقاني به بشهود النور الرباني خير من تعلم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم

الذى صلح فى اعتقاده وفى عمله وهذه مرتبة لا ينبغى أن يحط عنها مرتبة المؤمن ثم قال فى معرض التعجب وحسن أولئك رفيقا كأنه قيل وما أحسن أولئك والرفيق كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس فى باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق فى اللغة لين الجانب ولطافة الفعل فسمى الصاحب رفيقا لارتفاقك به وتصيبه ومنه الرفقة فى السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا له فبين الله تعالى أن الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء المطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله خبره أو ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره قالت المعتزلة ذلك اشارة الى الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا شئ تفضل الله به عليهم تبعا لثوابهم الواجب على الله أو أراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه أعطى العقل والقدرة وأزاح الاعذار والموانع لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب من غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز أن يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب وقال أهل السنة ذلك اشارة الى جميع ما تقدم ولا يجب على الله شئ البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شئ وانه هو الذى خلق القدرة والداعية وأيضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وانه ينافى الالهية وأيضا كل ما فرض من الطاعات فانه فى مقابلة النعم السالفة التى لا تعد ولا تحصى فيمتنع كونها موجبة الثواب فى المستقبل معنى الآية ان ذلك الثواب بكمال درجته

يقول لا يجدوا فى أنفسهم ضيقا مما قضيت وانما معناه ثم لا تحرج أنفسهم مما قضيت أى لا تأثم بانكارها ما قضيت وشكها فى طاعتك وان الذى قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حرجا مما قضيت قال شكا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله حرجا مما قضيت يقول شكا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت قال اثما ويسلموا تسليما يقول ويسلموا لقضائك وحكمك اذعانا منهم بالطاعة واقرارا لك بالنبوة تسليما واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفيمن نزلت فقال بعضهم نزلت فى الزبير بن العوام وخصم له من الانصار اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور ذكر الرواية بذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس والليث بن سعد عن ابن شهاب ان عروة بن الزبير حدثه أن عبد الله ابن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فأبى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى الى الجدر واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه * قال أبو جعفر والصواب استوعب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السعة له وللانصارى فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصارى استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم قال فقال الزبير ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية حدثنى يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن الزبيرى عن عروة قال خاصم الزبير رجل من الانصار فى شرج من شراج الحرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا زبير اشرب ثم خل سبيل الماء فقال الذى من الانصار من بنى أمية أعدل يا نبى الله وان كان ابن عمتك قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ان قد ساءه ما قال ثم قال يا زبير احبس الماء الى الجدر أو الى الكعبين ثم خل سبيل الماء قال ونزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم حدثنى عبد الله بن عبير الرازى قال ثنا عبد الله بن الزبير قال ثنا سفيان قال ثنا عمرو بن دينار عن سلمة رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة ان الزبير خاصم رجلا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير فقال الرجل لما قضى للزبير أن كان ابن عمتك فانزل الله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى المنافق واليهودى اللذين وصف الله صفتهما فى قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما قال هذا الرجل اليهودى والرجل المسلم اللذان تحاكما الى كعب بن الاشرف حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى نحوه الا أنه قال الى الكاهن * قال أبو جعفر وهذا القول أعنى قول من قال عنى به المحتكمان الى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما فى قوله ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أولى بالصواب لان قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى

وهم جمع صالح وهو كل من صلحت سريرته وعلانيته وأما قوله جل ثناؤه وحسن أولئك رفيقا فانه يعني وحسن هؤلاء الذين نعتهم ووصفهم رفقاء في الجنة والرفيق في لفظ واحد بمعنى الجميع كما قال الشاعر

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأسهم أعداء وهن صديق

بمعنى وهن صدائق وأما نصب الرفيق فان أهل العربية مختلفون فيه فكان بعض نحوي البصرة يرى انه منصوب على الحال وهو يقول هو كقول الرجل كرم زيد رجلا ويعدل به عن معنى نعم الرجل ويقول ان نعم لا تقع الا على اسم فيه ألف ولام وعلى نكرة وكان بعض نحوي الكوفة يرى انه منصوب على التفسير وينكر أن يكون حالا ويستشهد على ذلك بان العرب تقول كرم زيد من رجل وحسن أولئك من رفقاء وان دخول من دلالة على ان الرفيق مفسر قال وقد حكي عن العرب نعمتم رجالا فدل على ان ذلك نظير قوله وحسنتم رفقاء وهذا القول أولى بالصواب للعلة التي ذكرنا قائليه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لان قوما حزنوا على فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرا أن لا يروه في الآخرة ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال جاء رجل من الانصار الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان مالي أراك محزونا قال يا نبي الله شئ فكرت فيه فقال ما هو فقال نحن نغدو عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك غدا ترفع مع النبيين فلا نصل اليك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فاتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا قال فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فانك لو قد مت رفعت فوقنا فلم نرك فانزل الله ومن يطع الله والرسول الآية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين وذكر لنا أن رجالا قالوا هذا نبي الله نراه في الدنيا فاما في الآخرة فيرفع فلا نراه فانزل الله ومن يطع الله والرسول الى قوله رفيقا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية قال قال ناس من الانصار يا رسول الله اذا أدخلك الله الجنة فكنت في أعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فانزل الله ومن يطع الله والرسول حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن يطع الله والرسول الآية قال ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم له فضل على من آمن به في درجات الجنات ممن اتبعه وصدقه فكيف لهم اذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضا فانزل الله في ذلك فقال ان الاعلين ينحدرون الى من هم أسفل منهم فيجتمعون في رياضها فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويثنون عليه او ينزلهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون ومايدعون به فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه وأما قوله ذلك الفضل من الله فانه يقول كون من أطاع الله والرسول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الفضل من الله يقول ذلك عطاء الله اياهم وفضله عليهم لا باستيجابهم ذلك بسابقة سبقت لهم فان قال قائل أوليس بالطاعة وصلوا الى ما وصلوا اليه من فضله قيل له انهم لم يطيعوه في الدنيا الا بفضله الذي تفضل به عليهم فهداهم به لطاعته فكل ذلك فضل منه تعالى ذكره وقوله وكفى بالله عليما يقول وحسب العباد بالله الذي خلقهم عليما بطاعة المطيع منهم ومعصية العاصي فانه لا يخفى عليه شئ من ذلك ولكنه يحصيه عليهم ويحفظه حتى يجازي جميعهم جزاء المحسنين منهم بالاحسان والمسيئ منهم بالاساءة ويعفو عمن شاء من أهل التوحيد في القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) يعني بذلك

وكنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) القراآت ليبطئن ونحو مثل فلنبئن ولنبوئنهم بالياء الخالصة يزيد والشموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بياء الغيبة يغلب فسوف وبابه نحو وان تعجب فعجب اذهب فمن تبعك مدغما أبو بكر وحمزة غير خلف وعلي وهشام ولا يظلمون بالياء التحتانية ابن كثير وعلي وحمزة وخلف وهشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء الخطاب بيت طائفة مدغما أبو بكر وحمزة * الوقوف جميعا ه ليبطئن ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا ه عظيما ه بالآخرة ط عظيما ه أهلها ج وليا كذلك للتفصيل بين الدعوات بصيرا ه في سبيل الله ج للفصل بين القصتين بالمتضادتين أولياء الشيطان ج لاحتمال الابتداء وتقدير الفاء واللام ضعيفا ه الزكاة ط لان جواب فلما منتظر ولكن التعجب في قوله ألم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى القتال ج لان لولا أي

أصابتهم مصيبة ملامة من الخلق أو سياسة من السلطان فلا ورب لا يؤمنون فيه ان الايمان الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سيضرب على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع والنبوة لا البنوة والمولى لا الهوى وورد الحق لا موارد الخلق فيما اختلفت آراؤهم وتحيرت عقولهم ثم لا يجدوا في مرآة أنفسهم صورة كراهة من القضاء الازلي والاحكام الالهية والصديقين الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء أهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن أولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت وهم

القليل ۞ القول في تأويل قوله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) يعني جل ثناؤه بذلك ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وهم يتحاكمون الى الطاغوت ويصدون عنك صدودا فعلوا ما يوعظون به يعني ما يذكرون به من طاعة الله والانتهاء الى أمره لكان خيرا لهم في عاجل دنياهم وآجل معادهم وأشد تثبيتا وأثبت لهم في أمورهم وأقوم لهم عليها وذلك ان المنافق يعمل على شك فعمله يذهب باطلا وغناؤه يضمحل فيصير هباء وهو بشكه ويعمل على وناء وضعف ولو عمل على بصيرة لاكتسب بعمله أجرا ولكان له عند الله ذخرا وكان عمله الذي يعمل أقوى ولنفسه أشد تثبيتا لايمانه بوعد الله على طاعته وعمله الذي يعمله ولذلك قال من قال معنى قوله وأشد تثبيتا تصديقا كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا قال تصديقا لانه اذا كان مصدقا كان لنفسه أشد تثبيتا لعرضه فيه أشد تصحيحا وهو نظير قوله جل ثناؤه ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم وقد أتينا على بيان ذلك في موضعه فيما مضى من كتابنا ۞ القول في تأويل قوله (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما) يعني بذلك جل ثناؤه ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم لاثابتناياهم على فعلهم ما وعظوا به من طاعتنا والانتهاء الى ما أمرنا أجرا يعني جزاء وثوابا عظيما وأشد تثبيتا لعزائمهم وآرائهم وأقوى لهم على أعمالهم لهديناهم صراطا مستقيما يعني طريقا لا اعوجاج فيه وهو دين الله القويم الذي اختاره لعباده وشرعه لهم وذلك الاسلام ومعنى قوله ولهديناهم ولو فقناهم للصراط المستقيم ثم ذكر جل ثناؤه ما وعد أهل طاعته وطاعة رسوله عليه السلام من الكرامة الدائمة لديه والمنازل الرفيعة عنده فقال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية ۞ القول في تأويل قوله (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول بالتسليم لامرهما واخلاص الرضى بحكمهما والانتهاء الى أمرهما والانزجار عما نهى عنه من معصيته انه فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه وفي الآخرة اذا دخل الجنة والصديقين وهم جمع صديق واختلف في معنى الصديقين فقال بعضهم الصديقون تباع الانبياء الذين صدقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم فكان الصديق فعيل على مذهب قائلي هذه المقالة من الصدق كما يقال رجل سكير من السكر اذا كان مدمنا على ذلك وشريب وخمير وقال آخرون بل هو فعيل من الصدقة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو تأويل من قال ذلك وهو ما حدثنا به سفيان ابن وكيع قال ثنا خالد بن مخلد عن موسى بن يعقوب قال أخبرتني عمتي قريبة بنت عبد الله بن رهب بن زمعة عن أمها كريمة بنت المقدام عن متاعة بنت الزبير وكانت تحت المقداد عن المقداد قال قالت للنبي صلى الله عليه وسلم شيء سمعته منك شككت فيه قال اذا شك أحدكم في الامر فليسأل عنه قالت قلت قولك في أزواجك اني لا أرجو لهن من بعدي الصديقين قال من يعني الصديقين قلت أولادنا الذين يهلكون صغارا قال لا ولكن الصديقين هم المصدقون وهذا خبر لو كان اسناده صحيحا لم نستجز أن نعدوه الى غيره ولو كان في اسناده بعض ما فيه فاذ كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالصديق أن يكون معناه المصدق قوله بفعله اذ كان الفعيل في كلام العرب انما يأتي اذا كان ماخوذا من الفعل بمعنى المبالغة اما في المدح واما في الذم ومنه قوله جل ثناؤه في صفة مريم وأمه صديقة واذا كان معنى ذلك ما وصفنا كان داخلا من كان موصوفا بما قلنا في صفة الصديقين والمصدقين والشهداء وهم جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل والصالحين

لطلب الغنيمة وان تخلفوا عنها فلنشكّ الذى فى قلوبهم وأنهم لا يرجون لحضورها ثوابا ولا يخافون بالتخلف عنها من الله عقابا وكان قتادة وابن جريج يقولان انما قال من قال من المنافقين اذا كان الظفر للمسلمين ياليتنى كنت معهم حسدا منهم لهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما قال قول حاسد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولئن أصابكم فضل من الله قال ظهور المسلمين على عدوهم فاصابوا الغنيمة ليقولن ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما قال قول الحاسد ۞ القول فى تاويل قوله (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وهذا حض من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم غالبين كانوا أو مغلوبين والتهاون باحوال المنافقين فى جهاد من جاهدوا من المشركين وقبح جهادهم اياهم مغلوبين كانوا أو غالبين منزلة من الله رفيعة يقول الله لهم جل ثناؤه فليقاتل فى سبيل الله يعنى فى دين الله والدعاء اليه والدخول فيما أمر به أهل الكفر به الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة يعنى الذين يبيعون حياتهم الدنيا بثواب الآخرة وماوعد الله أهل طاعته فيها وبيعهم اياها بانفاقهم أموالهم فى طلب رضى الله كجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه وبذلهم مهجهم له فى ذلك أخبر جل ثناؤه بما لهم فى ذلك اذا فعلوه فقال ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما يقول ومن يقاتل فى طلب اقامة دين الله واعلاء كلمة الله أعداء الله فيقتل يقول فيقتله أعداء الله أو يغلبهم فيظفر بهم فسوف نؤتيه أجرا عظيما يقول فسوف نعطيه فى الآخرة ثوابا وأجرا عظيما وليس لما سمى جل ثناؤه عظيما مقدار يعرف مبلغه عباد الله وقد دللنا على ان الاغلب على معنى شريت فى كلام العرب بعت بما أغنى وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة يقول يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يشرون الحياة الدنيا بالآخرة فيشرى يبيع ويشرى يأخذ وان الخلق باعوا الآخرة بالدنيا ۞ القول فى تاويل قوله (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه ومالكم أيها المؤمنون لا تقاتلون فى سبيل الله وفى المستضعفين يقول عن المستضعفين منكم من الرجال والنساء والولدان فاما من الرجال فانهم كانوا قد أسلموا بمكة فغلبتهم عشائرهم على أنفسهم بالقهر لهم وآذوهم ونالوهم بالعذاب والمكاره فى أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم فحض الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدى من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار فقال لهم وما شأنكم لا تقاتلون فى سبيل الله وعن مستضعفى أهل دينكم وملتكم الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهم ابتغاء فتنتهم وصدهم عن دينهم من الرجال والنساء والولدان جمع ولدوهم الصبيان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها يعنى بذلك أن هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان يقولون فى دعائهم ربهم بان ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين يا ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها والعرب تسمى كل مدينة قرية يعنى التى قد ظلمتنا وأنفسها أهلها وهم فى هذا الموضع فيما فسر أهل التأويل مكة وخفض الظالم لانه من صفة الاهل وقد عادت الهاء والالف اللتان فيه على القرية وكذلك تفعل العرب اذا تقدمت صفة الاسم الذى معه عائد لاسم قبلها اتبعت اعرابها اعراب الاسم الذى قبلها كانها صفة له فتقول مررت بالرجل الكريم أبوه واجعل لنا من لدنك وليا يعنى أنهم يقولون أيضا فى دعائهم يا ربنا اجعل لنا من عندك وليا يلى أمرنا بالكفاية مما نحن فيه من فتنة أهل

والغرض النهى عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هى الداخلة فى خبر ان والثانية هى الداخلة فى جواب القسم وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا أى ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو دين المنافق عبد الله ابن أبى ثبط الناس يوم أحد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى أعتم أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى أوفق لقوله فان أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله فتح أو غنيمة ليقولن قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذى هو ليقولن وبين مفعوله وهو ياليتنى المنادى محذوف أى ياقوم ليتنى وجوز أبو على ادخال حرف النداء فى الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب باضمار ان أى ليت لى كونا معهم فافوز والخطاب فى قوله وان منكم للمذكورين فى قوله يا أيها الذين آمنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما أو متعديا كان منافقا فلعله جعله من المؤمنين من حيث الجنس أو النسب أو الاختلاط أو لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد يا أيها المؤمنون فى زعمكم ودعواكم كقوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض فى البين ان المنافقين كانوا يودون المؤمنين ويصادقونهم فى الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء لبتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه

جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله خذوا حذركم خذوا رماحكم وأسلحتكم التي تتقون بها من عدوكم لغزوهم وحربهم فانفروا اليهم ثبات وهي جمع ثبة والثبة العصبة ومعنى الكلام فانفروا الى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلحين ومن الثبة قول زهير

وقد أغدوا على ثبة كرام * نشاوى واجدين لما نشاء

وقد تجمع الثبة على ثبين أو انفروا جميعا يقول أو انفروا جميعا مع نبيكم صلى الله عليه وسلم لقتالهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله خذوا حذركم فانفروا ثبات يقول عصبا يعني سرايا متفرقين أو انفروا جميعا يعني كلكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فانفروا ثبات قال فرقا قليلا قليلا حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانفروا ثبات قال الثبات الفرق حدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي فانفروا ثبات فهي العصبة وهي الثبة أو انفروا جميعا مع النبي صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فانفروا ثبات يعني عصبا متفرقين ۞ القول في تأويل قوله (وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا) وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين نعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال وان منكم أيها المؤمنون يعني من عداد كم وقومكم ومن يتشبه بكم ويظهر انه من أهل دعوتكم وملتكم وهو منافق يبطئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم وقتالهم اذا أنتم نفرتم اليهم فان أصابتكم مصيبة يقول فان أصابتكم هزيمة أو نالكم قتل أو أحراح من عدوكم قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا فيصيبني جراح أو ألم أو قتل وسره تخلفه عنكم سلامته بكم لانه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الاجر والثواب وفي وعيده وهو غير راج ثوابا ولا خائف عقابا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة الى قوله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ما بين ذلك في المنافقين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منكم لمن ليبطئن عن الجهاد والغزو في سبيل الله فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا قال هذا قول مكذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج المنافق يبطئ المسلمين عن الجهاد في سبيل الله قال الله فان أصابتكم مصيبة قال بقتل العدو من المسلمين قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا قال هذا قول الشامت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فان أصابتكم مصيبة قال هزيمة ودخلت اللام في قوله لمن وفتحت لانها اللام التي تدخل توكيدا للخبر مع ان كقول القائل ان في الدار لمن يكرمك وأما اللام الثانية التي في ليبطئن فدخلت لجواب القسم كان معنى الكلام وان منكم أيها القوم لمن والله ليبطئن ۞ القول في تأويل قوله (ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) يقول جل ثناؤه ولئن أصابكم فضل من الله ولئن أظفركم الله بعدوكم فأصبتم منهم غنيمة ليقولن هذا المبطئ المسلم عن الجهاد معكم في سبيل الله المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معكم فأفوز بما أصيب معهم من الغنيمة فوزا عظيما وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين ان شهودهم الحرب مع المسلمين ان شهدوها

هلا استفهام آخر مع اتحاد المعمول قريب ط قليل ج للوصف للفصل بين وصف الدارين قتيلا ه مشيدة ط للعدول لفظا ومعنى من عند الله ط للفصل بين النقيضين من عندك ج من عند الله ط حديثا ه فمن الله ز فصلا بين النقيضين فمن نفسك ط رسولا ه شهيدا أطاع الله ج لحق العطف مع ابتداء لشرط آخر حفيظا ط لاستئناف الفعل بعدها طاعة ز لابتداء الشرط مع ان المقصود من بيان نفاقهم لا يتم بعد يقول ط بيتون ج لاختلاف الجملتين مع الاتصال أي اذا كتب الله ما يبيتون فاعرض ولا تأثم على الله ط وكيلا ه * التفسير انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه أشق الطاعات ولانه أعظم الامور التي بها تناط تقوية الدين فقال يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز عن المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه مما يتقى به ويحذر فان قيل أي فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والهم فضل قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب أن التكل يقع على نحو ما قدر فمن امتثل وترتب عليه الاثر كان بقدر ومن أهمل حتى فات عنه السلامة كان أيضا بقدر وهكذا شأن جميع التكاليف اذا اعتبر فانفروا الى قتال عدوكم انهضوا لذلك قال صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام وأصلها ثبي فعوضت الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب يدل على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي تطلب

لا يقاتلون رجاء ثواب ولا يتركون القتال خوف عقاب وانما يقاتلون حمية أو حسدا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله ويترك القتال ان تركه على خوف من وعيد الله فى تركه فهو يقاتل على بصيرة بماله عند الله ان قتل وبماله من الغنيمة والظفر ان سلم والكافر يقاتل على حذر من القتل وايأس من معاد فهو ذو ضعف وخوف ۞ القول فى تاويل قوله (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) ذكر ان هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد وقد فرض عليهم الصلاة والزكاة وكانوا يسألون الله أن يفرض عليهم القتال فلما فرض عليهم القتال شق عليهم ذلك وقالوا ما أخبر الله عنهم فى كتابه فتأويل قوله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ألم تر بقلبك يا محمد فتعلم الى الذين قيل لهم من أصحابك حين سألوك أن تسأل ربك أن يفرض علينا القتال كفوا أيديكم فامسكوها عن قتال المشركين وحربهم وأقيموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة التى فرضها الله عليكم بحدودها وآتوا الزكاة يقول وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم تطهيرا لابدانكم وأموالكم كرهوا ما أمروا به من كف الايدى عن قتال المشركين وشق ذلك عليهم فلما كتب عليهم القتال يقول فلما فرض عليهم القتال الذى كانوا سالوا أن يفرض عليهم اذا فريق منهم يعنى جماعة منهم يخشون الناس يقول يخافون الناس أن يقاتلوهم كخشية الله أو أشد خشية أو أشد خوفا وقالوا اجزعا من القتال الذى فرض الله عليهم لم كتبت علينا القتال لم فرضت علينا القتال هلا تركونا منهم الى الدنيا وايثارا للدعة فيها والحفظ عن مكروه لقاء العدو ومشقة حربهم وقتالهم لولا أخرتنا يخبر عنهم قالوا هلا أخرتنا الى أجل قريب يعنى الى أن يموتوا على فرشهم وفى منازلهم وبنحو الذى قلنا ان هذه الآية نزلت فيه قال أهل التاويل ذكر الآثار بذلك والرواية عمن قاله حدثنا محمد بن على بن الحسين بن شقيق قال سمعت أبى قال أخبرنا الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فقال انى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا فلما حوله الله الى المدينة أمر بالقتال فكفوا فانزل الله تبارك وتعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم عن الناس فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم نزلت فى أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جريج وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قال الى أن نموت موتا هو الاجل القريب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة فقر أحتى بلغ الى أجل قريب أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة قبل الهجرة تسرعوا الى القتال وسارعوا اليه فقالوا لنبى الله صلى الله عليه وسلم ذرنا نتخذ معاول فنقتل بها المشركين بمكة فنهاهم نبى الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال ثم أمر بذلك فلما كانت الهجرة وأمر بالقتال كره القوم ذلك فصنعوا فيه ما تسمعون فقال الله تبارك وتعالى متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قال هم قوم أسلموا قبل ان يفرض عليهم القتال ولم يكن عليهم الا الصلاة والزكاة فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية الآية الى أجل قريب وهو الموت قال الله متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وقال آخرون نزلت هذه الآيات بعدها فى اليهود ذكر من قال ذلك

وبقى بعضهم الى الفتح والولدان جمع ولد كبحر بان فى جرب وقيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالآباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات أيضا وعن ابن عباس كنت أنا وأمى من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى أهلها فتبع القرية فى الاعراب وهو مذكر لاسناده الى الاهل والاهل يذكر ويؤنث ولو أنث لالتأنيث لموصوف بل لجواز تانيث الاهل جاز وانما اشترك الولدان فى الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم ارغاما لآبائهم أولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس ووردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا أى كن أنت لنا وليا وناصرا وول علينا رجلا والينا يقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن أسيد أميرا لهم فكان الولى هو الرسول وكان النصير عتاب بن أسيد كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بهما من الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان أخبرهم انهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل غير الله وهو الطاغوت والشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان وان كيده أوهن شئ وأضعفه والكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان أن يعلم انه منذ كان كان موصوفا بالضعف والذلة ألا ترى ان أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حياتهم فى غاية الخمول والفقر وأما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض أثرهم

قد يتثاقل قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في

سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون أو يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطؤن وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق و يجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا الدنيا لاجل الآخرة والمراد ان أبطأ أهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول أيضا لان الانسان اذا أراد أن يبذل هذه الحياة الدنيا في سبيل الله بخلت نفسه فاشتراها من نفسه بسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله أو لعله أريد اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي أو المراد انهم كانوا يرجون الحياة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل أشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة من حاله على أي تقدير كان فيقدم ولا يحجم عز وزاد في تحريضهم فقال ومالكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين اما مجرور أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص أي وأخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين وهم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون والاعسار والضعف عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم أذلاء يلقون منهم أذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة

الكفر بك واجعل لنا من لدنك نصيرا يقولون واجعل لنا من عندك من ينصرنا على من ظلمنا من هذه القرية الظالم أهلها بصدهم ايانا عن سبيلك حتى تظفرنا بهم ونعلي دينك ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها قال أمر المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفي المؤمنين كانوا بمكة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الصبيان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها مكة أمر المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفين مؤمنين كانوا بمكة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها يقول ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين وأما القرية فمكة حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس في قوله ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين قال وفي المستضعفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع محمد بن مسلم بن شهاب يقول ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال في سبيل الله وسبيل المستضعفين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها قالا خرج رجل من القرية الظالمة الى القرية الصالحة فادركه الموت في الطريق فنأى بصدره الى القرية الصالحة فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فامروا أن يقدروا أقرب القريتين اليه فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر وقال بعضهم قرب الله اليه القرية الصالحة فتوفته ملائكة الرحمة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان فهم أناس مسلمون كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا منها للهاجر وافعذرهم الله وفيهم قوله ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها فهي مكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها قال ومالكم لا تفعلون تقاتلون لهؤلاء الضعفاء المساكين الذين يدعون الله بان يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها فهم ليس لهم قوة فمالكم لا تقاتلون حتى يسلم الله هؤلاء ودينهم قال والقرية الظالم أهلها مكة ۞ القول في تأويل قوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) يعني تعالى ذكره الذين صدقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود الله لاهل الايمان به يقاتلون في سبيل الله يقول في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت يقول والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لاوليائه من أهل الكفر بالله يقول الله معرفا عزم المؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم وتحريضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به فقاتلوا أيها المؤمنون أولياء الشيطان يعني بذلك الذين يتولونه ويطيعون أمره في خلاف طاعة الله والتكذيب به وينصرونه ان كيد الشيطان كان ضعيفا يعني بكيده ما كاد به المؤمنين من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الايمان به يقول فلا تهابوا أولياء الشيطان فانما هم حزبه وانصاره وحزب الشيطان أهل وهن وضعف وانما وصفهم جل ثناؤه بالضعف لانهم

والقتل فى سبيل الله واذا فى اذا فريق للمفاجاة وهو مجرد عن الظرفية والعامل فى لما معنى المفاجاة أى ففاجأ وقت خشية فريق زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف عليه من قوله أو أشد ثم نصب خشية على التمييز فالتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله أو أشد خشية من خشية أهل الله نعم لو قيل أشد خشية بالاضافة انتصب خشية الله على المصدر ولا يمكن أن يقول أشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية تمثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله أى لخشية الله أو لخشية أشد خشية منها وكلمة أو ليست للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال ولكنها بمعنى الواو أو المرادان كل خوفين فان أحدهما بالنسبة الى الآخر اما أن يكون أنقص أو مساويا أو أزيد فبين فى الآية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فيبقى اما أن يكون مساويا أو أزيد فهذا لا يوجب كونه تعالى شاكا فيه ولكنه يوجب ابقاء الابهام فى هذين القسمين على المخاطبين أو هذا نظير قوله فارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون يعنى ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ان كانت الآية فى المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحياة واستزادة فى مدة الكف واسنهالا الى وقت آخر كقوله لولا أخرتنى الى أجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا أخرتنا هلا

المشيدة الطويلة قال وأما المشيدة بالتخفيف فانه المزين وقال آخرون منهم نحو ذلك القول غير انه قال المشيد بالتخفيف المعمول بالشيد والشيد الجص وقال بعض أهل الكوفة المشيد والمشيد أصلهما واحد غير ان ما شدد منه فانما شدد لنفسه والفعل فيه فى جمع مثل قولهم هذه ثياب مصبغة وغنم مذبحة فشددلانها جمع يفرق فيها الفعل وكذلك مثله صور مشيدة لان القصور كثيرة تردد فيها التشييد ولذلك قيل بروج مشيدة ومنه قوله وغلقت الابواب وكما يقال كسرت العود اذا جعلته قطعا أى قطعة بعد قطعة وقد يجوز فى ذلك التخفيف فاذا أفرد من ذلك الواحد فكان الفعل يتردد فيه ويكثر تردده فى جمع منه جاز التشديد عندهم والتخفيف فيقال منه هذا ثوب مخرق وجلد مقطع لتردد الفعل فيه وكثرته بالقطع والخرق وان كان الفعل لا يكثر فيه ولا يتردد لم يجيزوه الا بالتخفيف وذلك نحو قولهم رأيت كبشا مذبوحا لا يجيزون فيه مذبحا لان الذبح لا يتردد فيه تردد التخرق فى الثوب وقالوا ولهذا قيل قصر مشيد لانه واحد فجعل بمنزلة قولهم كبش مذبوح وقالوا جائز فى القصر أن يقال قصر مشيد بالتشديد لتردد البناء فيه والتشييد ولا يجوز ذلك فى كبش مذبوح لما ذكرنا ۞ القول فى تاويل قوله (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) يعنى بقوله جل ثناؤه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان ينلهم رخاء وظفر وفتح ويصيبوا غنيمة يقولوا هذه من عند الله يعنى من قبل الله ومن تقديره وان تصبهم سيئة يقول وان تنلهم شدة من عيش وهزيمة من عدو وجراح وألم يقولوا لك يا محمد هذا من عندك بخطئك التدبير وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن الذين قالوا لنبيه ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبى جعفر قالا ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال هذه فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فقر أحتى بلغ وأرسلناك للناس رسولا قال ان هذه الآيات نزلت فى شان الحرب فقر أيا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفر وا ثبات أو انفروا جميعا فقر أحتى بلغ وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عند محمد عليه السلام أساء التدبير وأساء النظر ما أحسن التدبير ولا النظر ۞ القول فى تاويل قوله (قل كل من عند الله) يعنى جل ثناؤه بقوله قل كل من عند الله قل يا محمد لهؤلاء القائلين اذا أصابتهم حسنة هذه من عند الله واذا أصابتهم سيئة هذه من عندك كل ذلك من عند الله دونى ودون غيرى من عنده الرخاء والشدة ومنه النصر والظفر ومن عنده القتل والهزيمة كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قل كل من عند الله النعم والمصائب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كل من عند الله النصر والهزيمة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقول الحسنة والسيئة من عند الله أما الحسنة فانعم بها عليك وأما السيئة فابتلاك بها ۞ القول فى تاويل قوله (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يعنى جل ثناؤه بقوله فمال هؤلاء القوم فما شان هؤلاء القوم الذين ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك لا يكادون يفقهون حديثا يقول لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به من ان كل ما أصابهم من خير وشر أو ضر أو شدة أو رخاء فمن عند الله لا يقدر على ذلك غيره ولا يصيب أحدا سيئة الا بتقديره ولا ينال رخاء ونعمة الا بمشيئته وهذا اعلام من الله عباده أن مفاتيح الاشياء كلها بيده لا يملك شيا منها أحد غيره ۞ القول فى تاويل قوله (ما أصابك

ولا يبقى فى الدنيا رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه ألم تر الى الذين قيل لهم فيه قولان الاول انها نزلت فى المؤمنين نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا ويقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم الثانى قال ابن عباس فى رواية أبى صالح لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم أحد قال المنافقون الذين خلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان رغبتهم فى القتال أولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين أيضا كانوا يظهرون الرغبة فى الجهاد الى ان أمروا بالقتال فاجمعوا واحتج أصحاب القول الثانى بانهم كانوا يخشون الناس كخشية الله أو أشد وكانوا يعترضون على الله تعالى بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين وأجيب بان حب الحياة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعنى بالخشية والاعتراض محمول على تمنى التخفيف التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم أمر هذه الحياة والاقوى حمل الآية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله فى شأنهم بلا اختلاف وفى الآية دلالة على ان ايجاب الصلاة والزكاة كان مقدما على ايجاب الجهاد وهو أيضا ترتيب مطابق لما فى المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب

حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة الى قوله لا تبعثم الشيطان الا قليلا ما بين ذلك فى اليهود حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الى قوله لم كتبت علينا القتال نهى الله تبارك وتعالى هذه الامة أن يصنعوا صنيعهم ۞ القول فى تاويل قوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) يعنى بقوله جل ثناؤه قل متاع الدنيا قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب عيشكم فى الدنيا وتمتعكم بها قليل لانها فانية وما فيها فان والآخرة خير يعنى ونعيم الآخرة خير لانها باقية ونعيمها باق دائم وانما قيل والآخرة خير ومعنى الكلام ما وصفت من أنه معنى به نعيمها لدلالة ذكر الآخرة بالذى ذكرت به على المعنى المراد منه لمن اتقى يعنى لمن اتقى الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه فاطاعه فى كل ذلك ولا تظلمون فتيلا يعنى ولا ينقصكم الله من أجور أعمالكم فتيلا وقد بينا معنى الفتيل فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول فى تاويل قوله (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) يعنى بذلك جل ثناؤه حيثما تكونوا يدلكم الموت فتموتوا ولو كنتم فى بروج مشيدة يقول لا تجزعوا من الموت ولا تهربوا من القتال وتضعفوا عن لقاء عدوكم حذرا على أنفسكم من القتل والموت فان الموت بازائكم أين كنتم وواصل الى أنفسكم حيث كنتم ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة واختلف أهل التاويل فى معنى قوله ولو كنتم فى بروج مشيدة فقال بعضهم يعنى به قصور محصنة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو كنتم فى بروج مشيدة يقول فى قصور محصنة حدثنى على بن سهل قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا أبو همام قال ثنا كثير أبو الفضل عن مجاهد قال كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية قال أما ان هذه الجارية لا تموت حتى تبغى بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت قال فقال الاجير فى نفسه فانا أريد هذه بعد ان تفجر بمائة فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وعولجت فبرأت فشبت وكانت تبغى فاتت ساحلا من سواحل البحر فاقامت عليه تبغى ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل الساحل ابغينى امرأة من أجمل امرأة فى القرية أتزوجها فقالت هاهنا امرأة من أجمل الناس ولكنها تبغى قال ائتينى بها فاتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقد قال لى كذا فقلت له كذا فقالت انى قد تركت البغاء ولكن ان أراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينا هو يوما عندها اذ أخبرها بامره فقالت انا تلك الجارية وأرته الشق فى بطنها وقد كنت أبغى فاأدرى بمائة أو أقل أو أكثر قال فانه قال لى يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجا بالصحراء وشيده فبينما هما يوما فى ذلك البرج اذا عنكبوت فى السقف فقالت هذا يقتلنى لا يقتلنى أحد غيرى فحركته فسقط فاتته فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته وساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت فنزلت هذه الآية أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولو كنتم فى بروج مشيدة قال قصور مشيدة * وقال آخرون معنى ذلك قصور باعيانها فى السماء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وهى قصور بيض فى سماء الدنيا مبنية حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعيد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع فى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة يقول ولو كنتم فى قصور فى السماء واختلف أهل العربية فى معنى المشيدة فقال بعض أهل البصرة منهم

المشيدة

وعليهم شهيدا يقول حسبك بالله تعالى ذكره شاهدا عليك فى بلاغك ما أمرتك ببلاغه من رسالته ووحيه وعلى من أرسلت اليه فى قبولهم منك ما أرسلتك به اليهم فانه لا يخفى عليه أمرك وأمرهم وهو مجازيك ببلاغك ما وعدك ومجازيهم ما عملوا من خير وشر جزاهم المحسن باحسانه والمسيء باساءته) ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا وهذا اعذار من الله الى خلقه فى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ذكره لهم من يطع منكم أيها الناس محمدا فقد أطاعنى بطاعته اياه فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره فانه مهما يامركم به من شئ فمن أمرى يأمركم ومانهاكم عنه من شئ فمنى نهى فلا يقولن أحدكم انما محمد بشر مثلنا يريد أن يتفضل علينا ثم قال جل ثناؤه لنبيه ومن تولى عن طاعتك يا محمد فاعرض عنه فانا لم نرسلك عليهم حفيظا يعنى حافظا لما يعملوا محاسبا بل انما أرسلناك لتبين لهم ما نزل اليهم وكفى بنا حافظين لاعمالهم ولهم عليها محاسبين ونزلت هذه الآية فيما ذكر قبل أن يؤمر بالجهاد كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سالت ابن زيد عن قول الله فما أرسلناك عليهم حفيظا قال هذا أول ما بعثه قال ان عليك الا البلاغ قال ثم جاء بعد هذا يامره بجهادهم والغلظة عليهم حتى يسلموا ۞ القول فى تاويل قوله (ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون) يعنى بذلك جل ثناؤه بقوله ويقولون طاعة يعنى الفريق الذين أخبر الله عنهم انهم لما كتب عليهم القتال خشوا الناس كخشية الله أو أشد خشية يقولون لنبى الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرهم بامر أمرك طاعة لك منا طاعة فيما تامرنا به وتنهانا عنه واذا برزوا من عندك يقول فاذا خرجوا من عندك يا محمد بيت طائفة منهم غير الذى تقول يعنى بذلك جل ثناؤه غير جماعة منهم ليلا الذى تقول لهم وكل عمل عمل ليلا فقد بيت ومن ذلك بيت العدو وهو الوقوع بهم ليلا ومنه قول عبيدة بن همام

أتونى فلم أرض ما بيتوا * وكانوا أتونى بشئ منكر

لا ينكح الهم منذر فهل * ينكح العبد حر ٧ بحر

يعنى بقوله فلم أرض ما بيتوا ليلا أى ما أبرموه ليلا وعزموا عليه ومنه قول النمر بن تولب العكلى

هبت لتعذلنى بليلى * تبتك الملامة فاهجع

يقول الله جل ثناؤه والله يكتب ما يبيتون يعنى بذلك جل ثناؤه والله يكتب ما يغيرون من قولك ليلا فى كتب أعمالهم التى تكتبها حفظته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول قال يغيرون ما عهد نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد ابن عبد الله بن بزيغ قال ثنا يوسف بن خالد قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله بيت طائفة منهم غير الذى تقول قال غير أولئك ما قال النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول قال غير أولئك ما قال النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون قال هؤلاء المنافقون الذين يقولون اذا حضروا النبى صلى الله عليه وسلم فامرهم بامر قالوا طاعة فاذا خرجوا من عندك غيرت طائفة منهم ما يقول النبى صلى الله عليه وسلم والله يكتب ما يبيتون يقول ما يقولون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول قال يغيرون ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت

أجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لابد من استنادها الى الواجب بالذات ولهذا تعجب من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة بل هذه الآية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسال عما يفعل وأيضا المعارضة بالعلم والداعى وقالت المعتزلة أيضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الآيات المذكورة فى هذه المواضع فيلزم منه كون القرآن محدثا والجواب بعد تسليم ما ذكروا انه لا نزاع فى حدوث العبارات انما النزاع فى الكلام النفسى قوله عز من قائل ما أصابك من حسنة فمن الله قال أبو على الجبائى السيئة تارة تقع على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى أضاف السيئة الى نفسه فى الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله وأضافها فى هذه الآية الى العبد بقوله وما أصابك أى يا انسان خطابا عاما من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة فى هذه الآية فاضاف الحسنة التى هى الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كلهما من فعل العبد عندنا لان الحسنة انما تصل الى العبد بتسهيل الله وألطافه فصحت اضافتها اليه وأما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله تعالى لانه تعالى

من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) يعني جل ثناؤه بقوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ما يصيبك يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك يتفضل به عليك احسانا منه اليك وأما قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعني وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك يعني بذنب استوجبته به اكتسبته نفسك كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أما من نفسك فيقول من ذنبك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك عقوبة يا ابن آدم بذنبك قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يقول الحسنة ما فتح الله عليه يوم بدر وما أصابه من الغنيمة والفتح والسيئة ما أصابه يوم أحد أن شج في وجهه وكسرت رباعيته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يقول بذنبك ثم قال كل من عند الله النعم والمصيبات حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبي جعفر قالا ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قال هذه في الحسنات والسيئات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وما أصابك من سيئة فمن نفسك عقوبة بذنبك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك بذنبك كما قال لاهل أحد أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم بذنوبكم حدثني يونس قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قال بذنبك وأنا قدرتها عليك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا الذي قدرتها عليك حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا محمد بن بشر قال حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح بمثله * قال أبو جعفر فان قال قائل وما وجه دخول من في قوله ما أصابك من حسنة ومن سيئة قيل اختلف في ذلك أهل العربية فقال بعض نحوي البصرة أدخلت من لان من تحسن مع النفي مثل ما جاءني من أحد قال ودخول الخبر بالفاء لازما بمنزلة من وقال بعض نحوي الكوفة أدخلت من مع ما كما تدخل على ان في الجزاء لانهما حرفا جزاء وكذلك تدخل مع من اذا كانت جزاء فتقول العرب ما يزرك من أحد فتكرمه كما تقول ان يزرك من أحد فتكرمه قال واذا أدخلوها مع ما ومن ليعلم بدخولها معهما انهما جزاء قالوا واذا دخلت معهما لم تحذف لانها اذا حذفت صار الفعل رافعا شيئين وذلك ان ما في قوله ما أصابك من حسنة رفع بقوله أصابك فلو حذفت من رفع قوله أصابك السيئة لان معناه ان تصبك سيئة فلم يجز حذف من لذلك لان الفعل الذي هو على فعل أو يفعل لا يرفع شيئين وجاز ذلك مع من لانها تشبه بالصفات وهي في موضع اسم فاما ان فان من تدخل معها وتخرج ولا تخرج مع أي لانها تعرب فيبين فيها الاعراب ودخلت مع ما لان الاعراب لا يظهر فيها ۞ القول في تاويل قوله (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) يعني بقوله جل ثناؤه وأرسلناك للناس رسولا انما جعلناك يا محمد رسولا بيننا وبين الخلق تبلغهم ما أرسلناك به من رسالة وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة الى من أرسلت فان قبلوا ما أرسلت به فلانفسهم وان ردوا فعليها وكفى بالله عليك

تركتنا حتى نموت بآجالنا أزال الشبهة وأزاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان الكافر والفاسق هنا لك نيرانا وأهوالا ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأما ترجيح الآخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الآخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم الآخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائنين بانهم يدركهم الموت أينما كانوا ولو كانوا في حصون مرفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون وأصلها من الظهور ومنه تبرجت المرأة اذا أظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت فوقوعه على هذا الوجه أولى قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين أمسك الله تعالى عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالباساء والضراء فعند هذا قالت اليهود والمنافقون ما رأينا أعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت أسعارنا منذ قدم فقوله تعالى وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شؤم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقال قوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال أهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وكل ما ينتفع به فهو حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا وعاجلا

ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به يقول سارعوا به وأفشوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به يقول اذا جاءهم أمر انهم قد أمنوا من عدوهم أو انهم خائفون منهم أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوهم أمرهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به يقول أفشوه وشنعوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به قال هذا في الانجبار اذا غزت سرية من المسلمين تخبر الناس بينهم فقالوا أصاب المسلمين من عدوهم كذا وكذا فافشوه بينهم من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبرهم قال ابن جريج قال ابن عباس قوله أذاعوا به قال أعلنوه وأفشوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أذاعوا به قال نشروه قال والذين أذاعوا به قوم اما منافقون واما آخرون ضعفوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أفشوه وشنعوا به وهم أهل النفاق ۞ القول في تاويل قوله (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) يعني جل ثناؤه بقوله ولو ردوه الامر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أولى أمرهم يعني والى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذوو أمرهم هم الذين يقولون الخبر عن ذلك بعد ان ثبتت عندهم صحته أو بطوله فيصححوه ان كان صحيحا أو يبطلوه ان كان باطلا لعلمه الذين يستنبطونه منهم يقول لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به الذين يبحثون عنه ويستخرجونه منهم يعني أولي الامر والهاء والميم في قوله منهم من ذكر أولي الامر يقول لعلم ذلك من أولي الامر من يستنبطه وكل مستخرج شيأ كان مستترا عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب فهو له مستنبط يقال استنبطت الركية اذا استخرجت ماءها ونبطتها أنبطها والنبط الماء المستنبط من الارض ومنه قول الشاعر

قريب قراه ما ينال عدوه * له نبط أبي الهوان قطوب

يعني بالنبط الماء المستنبط ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر يقول ولو سكتوا ولو ردوا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم والى أولي أمرهم حتى يتكلم هو به لعلمه الذين يستنبطونه يعني عن الاخبار وهم الذين ينقرون عن الاخبار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم يقول الى علمائهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلمه الذين يفحصون عنه ويبحثون عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولو ردوه الى الرسول حتى يكون هو الذي يخبرهم والى أولي الامر منهم الفقه في الدين والعقل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم يتتبعونه يتحسسونه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد لعلمه الذين يستنبطونه منهم قال الذين يسألون عنه ويتحسسونه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يستنبطونه قال قولهم ما كان ماذا سمعتم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية الذين يستنبطونه قال يتحسسونه حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لعلمه الذين يستنبطونه منهم يقول لعلمه الذين يتحسسونه منهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول

ارساله ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون منافضا لما في الآيات الاخر كقوله يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ولقوله بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس أيضا باطل لانه يلزم اختصاص ارساله بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة التقديم ينفي الحكم عما يقابلها عرفا وهو حقيقة الجن أو ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من أفراد الانسان وتحصل موجبة كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يرجحه الضالة من سالبة جزئية هي انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة وعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الآية فلا دلالة دليل آخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا تكون منافية لدلالة هذه الآية لان التقديم قد استوفى حظه من الخاصة من غير تعرض الجن ثم لما بين انه لكل فرد فرد من أفراد الناس رسول أوجب طاعته بقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله لان طاعة الرسول لكونه رسولا فيما هو رسول لا تكون الا طاعة الله قال مقاتل في هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد غاذ الرجل الشرك هو ينهى أن يعبد غير الله ويريد أن نتخذه ربا كما اتخذت

ولا بانه أرادها ولا بانه أمر بها ولا بانه رغب فيها وقال في الكشاف ما أصابك من حسنة أي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روى عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله أكثر منه وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة بأي معنى فرض فانها من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين ان اضافة السيئة الى الله تعالى خروج عن قانون الادب فبين في الآية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو أقبح القبائح فان ذلك بتخليق الله تعالى وا لوجه فيه أن يقدر الكلام استغفارا على سبيل الانكار ليفيد ان شيأ من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته ويؤيده ما روي انه قرئ فمن نفسك بصريح الاستفهام ومما يدل دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الآيات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وأرسلناك للناس رسولا أي ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما تحصيل الهداية فليس اليك بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال من الكاف أي حال كونك ذا رسالة وللناس صفة رسولا لا متعلق بارسلناك والا قيل الى الناس فاصل النظم وأرسلناك رسولا للناس فلا بد للمتقدم من خاصية هو التخصيص أعني ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه على بقائه حقيقة أو عرفا لاعداما مطلقا وبعد تقديم هذه المقدمة فاللام في قوله للناس اما أن

طائفة منهم غير الذي تقول وهم ناس يقولون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بالله ورسوله ليامنوا على دمائهم وأموالهم واذا برزوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفوا الى غير ما قالوا عنده فعابهم الله فقال بيت طائفة منهم غير الذي تقول يقول يغيرون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله بيت طائفة منهم غير الذي تقول هم أهل النفاق وأما رفع طاعة فانه بالمتروك الذي دل عليه الظاهر من القول وهو أمرك طاعة وأما قوله بيت طائفة فان التاء من بيت بحركتها والفتح عامة قراء المدينة والعراق وسائر القراء لام الامر فعل وكان بعض قراء العراق يسكنها ثم يدغمها في الطاء لمقاربتها في المخرج قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ترك الادغام لانهما أعني التاء والطاء من حرفين مختلفين واذا كان كذلك كان ترك الادغام أفصح اللغتين عند العرب واللغة الاخرى جائزة أعني الادغام في ذلك محكية ۞ القول في تاويل قوله (فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعرض يا محمد عن هؤلاء المنافقين الذين يقولون لك فيما تامرهم أمرك طاعة فاذا برزوا من عندك خالفوا فيما أمرتهم به وغيروه الى ما نهيتهم عنه وخلهم وما هم عليه من الضلالة وارض لهم بي منتقما منهم وتوكل أنت يا محمد على الله يقول وفوض انت أمرك الى الله وثق به في أمورك وولها اياه وكفى بالله وكيلا يقول وكفالك بالله أي وحسبك بالله وكيلا أي فيما يامرك وليا لها ودافعا عنك وناصرا ۞ القول في تاويل قوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) يعني جل ثناؤه بقوله أفلا يتدبرون القرآن أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك وان الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتناصر بعضه بعضا بالتصديق وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق فان ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أي قول الله لا يختلف وهو حق ليس فيه باطل وان قول الناس يختلف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان القرآن لا يكذب بعضه بعضا ولا ينقض بعضه بعضا ما جهل الناس من أمر فانما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم وقرأ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال فحق على المؤمن أن يقول كل من عند الله ويؤمن بالمتشابه ولا يضرب بعضه ببعض اذا جهل أمرا ولم يعرفه أن يقول الذي قال الله حق ويعرف ان الله تعالى لم يقل قولا ولا ينقضه ينبغي أن يؤمن بحقيقة ما جاء من الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله أفلا يتدبرون القرآن قال يتدبرون النظر فيه ۞ القول في تاويل قوله (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به) يعني جل ثناؤه بقوله واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به واذا جاء هذه الطائفة المبيتة غير الذي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر من الامن فالهاء والميم في قوله واذا جاءهم من ذكر الطائفة المبيتة يقول جل ثناؤه واذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين غازية بانهم قد أمنوا من عدوهم بغلبتهم اياهم أو الخوف يقول أو تخوفهم من عدوهم باصابة عدوهم منهم أذاعوا به يقول أفشوه وبثوه في الناس قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أمراء سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم والهاء في قوله أذاعوا به من ذكر الامر وتاويله أذاعوا بالامر من الامن أو الخوف الذي جاءهم يقال منه أذاع فلان بهذا الخبر وأذاعه ومنه قول أبي الاسود

أذاع به في الناس حتى كأنه * بعلمهما في كل غار وواقد بثقوب

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد

و وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام أجلب للقلوب وأدخل فى عدم الانكار

الاحاطة واستشهدوا على ذلك بقول الطرماح بن حكيم فى مدح يزيد بن المهلب

أشم كثير يدى النوائى * قليل المثالث والقادحة

قالوا فظاهر هذا القول وصف الممدوح بان فيه المثالث والمعائب ومعلوم أن معناه انه لا مثالث فيه ولا معايب لان من وصف رجلا بان فيه معايب وان وصف الذى فيه من المعايب بالقلة فانما ذمه ولم يمدحه ولكن ذلك على ما وصفنا من نفى جميع المعايب عنه قالوا فكذلك قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا انما معناه لاتبعتم جميعكم الشيطان * وأولى هذه الاقوال بالصواب فى ذلك عندى قول من قال عنى باستثناء القليل من الاذاعة وقال معنى الكلام واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا ولو ردوه الى الرسول وانما قلنا ان ذلك أولى بالصواب لانه لا يخلو القول فى ذلك من أحد الاقوال التى ذكرنا وغير جائز أن يكون من قوله لاتبعتم الشيطان لان من تفضل الله عليه بفضله و رحمته فغير جائز أن يكون من اتباع الشيطان وغير جائز أن يحمل معانى كتاب الله على غير الاغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب فى كلام العرب فتوجيهه الى المعنى الذى وجهه اليه القائلون معنى ذلك لاتبعتم الشيطان جميعا ثم زعم أن قوله الا قليلا دليل على الاحاطة بالجميع هذا مع خروجه من تاويل أهل التاويل لاوجه له وكذلك لاوجه لتوجيه ذلك الى الاستثناء من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم لان علم ذلك اذا ورد الى الرسول والى أولى الامر منهم فنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم أولو الامر منهم بعد وضوحه لهم استوى فى علم ذلك كل مستنبط حقيقة فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم وخصوص بعضهم بعلمه مع استواء جميعهم فى ذلك واذ كان لا قول فى ذلك الا ما قلنا فدخل هذه الاقوال الثلاثة ما بينا من الخلل فبين ان الصحيح من القول فى ذلك هو الرابع وهو القول الذى قضينا له بالصواب من الاستثناء من الاذاعة ۞ القول فى تاويل قوله (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف باس الذين كفروا والله أشد باسا وأشد تنكيلا) يعنى بذلك جل ثناؤه فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك فجاهد يا محمد أعداء الله من أهل الشرك به فى سبيل الله يعنى فى دينه الذى شرعه لك وهو الاسلام وقاتلهم فيه بنفسك فاما قوله لا تكلف الا نفسك فانه يعنى لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك الا ما حملك من ذلك دون ما حمل غيرك منه أى انك انما تتبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك وانما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك ثم قال له وحرض المؤمنين يعنى وحضهم على قتال من أمرتك بقتالهم معك عسى الله أن يكف باس الذين كفروا يقول لعل الله أن يكف قتال من كفر بالله و بجحد وحدانيته وأنكر رسالتك عنك وعنهم ونكايتهم وقد بينا فيما مضى ان عسى من الله واجبة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع والله أشد باسا وأشد تنكيلا يقول والله أشد نكاية فى عدوه من أهل الكفر به منهم فيك يا محمد وفى أصحابك فلا تنكلن عن قتالهم فانى واسدهم بالباس والنكاية والتنكيل والعقوبة لاوهن كيدهن وأضعف باسهم وأعلى الحق عليهم والتنكيل مصدر من قول القائل نكلت بفلان فانا أنكل به تنكيلا اذا أوجعته عقوبة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأشد تنكيلا أى عقوبة ۞ القول فى تاويل قوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) يعنى بقوله جل ثناؤه من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها من يصر يا محمد شفعا لوتر أصحابك فيشفعهم فى جهاد عدوهم وقتالهم فى سبيل الله وهو الشفاعة الحسنة يكن له نصيب منها يقول يكن له من شفاعته تلك نصيب وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته ومن يشفع شفاعة سيئة يقول وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به فيقاتلهم معهم وذلك هو الشفاعة السيئة يكن له كفل منها يعنى بالكفل النصيب والحظ من الوزر والاثم وهو ماخوذ من كفل البعير والمركب وهو الكساء أو الشئ يهيأ عليه شبيه بالسرج على الدابة يقال منه جاء فلان مكتفلا اذا جاء على مركب قد

والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائف أعمالهم و يجازيهم عليه أو يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على أسرارهم فاعرض عنهم وتوكل على الله فى شانهم فان الله ينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام وعزت أنصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ بآية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة الى التزام النسخ والله تعالى أعلم * التاويل خذوا حذركم وهو ذكر الله فانفروا ثبات جاهدوا بالرياضات من عالم التفرقة وهو عالم الحيوانية أو انفروا جميعا من عالم الجمعية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم أيها الصديقون لمن ليبطئن من المدعين المتكاسلين فى السير القانعين بالاسم النازلين على الرسم مصيبة شدة وبعاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام يشترون الحياة الدنيا يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق أو يغلب عليها بالظفر فتسلم على مدة والمستضعفين من الرجال أى الارواح الضعيفة استضعفتها النفوس باستيلائها عليها والنساء أى القلوب فان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرف الروح فى القلب كتصرف الزوج فى الزوجة والولدان الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب من هذه القرية قرية البدن الظالم أهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا شفيعا مربيا ألم تر الى الذين قيل لهم من أهل السلامة كفوا أيديكم من الاعتصام بحبل أهل الملامة واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فانكم لستم أهل الغرام فاقنعوا بدار السلام والسلام لارباب الغرام من أصل الملام اذا فريق منهم يخشون الناس ويخافون لومة الناس ولو كان من

النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية وهى من أقوى الدلائل على أنه معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى تبليغه وفى افعاله

والالم تكن طاعته فيما أخطا طاعة لله ومن تولى قيل هو التولى بالقلب أى جعلك يا محمد على الظواهر وأما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولى بالظاهر ومعناه فلا ينبغى أن تغتم بسبب ذلك التولى فما أرسلناك لتحفظ الناس عن المعاصى فان من أضله الله لم يقدر أحد على ارشاده والمعنى فما أرسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولى كقوله لا اكراه فى الدين ثم نسخ بآية الجهاد ثم حكى سيرة المنافقين بقوله ويقولون أى حين ما أمرتهم بشئ طاعة أى أمرنا وشاننا طاعة والنصب فى مثل هذا جائز بمعنى أطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فلهذا لم يقرأ بغيره فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول أى دبرت خلاف ما أمرتك به وما ضمنت من الطاعة قال الزجاج كل أمر تفكر فيه كثيرا وتاملوا فى مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا أمر مبيت وفى اشتقاقه وجهان الاول ان أصلح الاوقات للفكران يجلس فى بيته فى الليل فهناك يكون الخاطر أصفى والشواغل أقل فلاجرم سمى الفكر المستقصى تبييتا الثانى قال الاخفش اذا أراد العرب قرض الشعر بالقوافى بالغوافى التفكر فيه فسمى الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من أبيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكر فى التخصيص وجهين أحدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد سهروا ليلهم فى التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلاجرم لم يذكروا قلت

أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يستنبطونه منهم قال يتتبعونه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به حتى يبلغ والى أولى الامر منهم قال الولاة الذين يكونون فى الحرب عليهم الذين يتفكرون فينظرون لما جاءهم من الخبر أصدق أم كذب باطل فيبطلونه أو حق فيحققونه قال وهذا فى الحرب وقرأ أذاعوا به ولو فعلوا غير هذا وردوه الى الله والى الرسول والى أولى الامر منهم الآية ۞ القول فى تاويل قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا) يعنى بذلك جل ثناؤه ولولا انعام الله عليكم أيها المؤمنون بفضله وتوفيقه ورحمته فانقذكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين الذين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرهم بامر طاعة فاذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذى تقول لكنتم مثلهم فاتبعتم الشيطان الاقليلا كما اتبعوه هؤلاء الذين وصف صفتهم وخاطب بقوله تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الذين خاطبهم بقوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ثم اختلف أهل التأويل فى القليل الذى استثناهم فى هذه الآية من هم ومن أى شئ من الصفات استثناهم فقال بعضهم هم المستنبطون من أولى الامر استثناهم من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم ونفى عنهم أن يعلموا بالاستنباط ما يعلم به غيرهم من المستنبطين من الخبر الوارد عليهم من الامن أو الخوف ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما هو لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاقليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا يقول لاتبعتم الشيطان كلكم وأما قوله الاقليلا فهو كقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاقليلا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد عن قتادة ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا قال يقول لاتبعتم الشيطان كلكم وأما الاقليلا فهو كقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاقليلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال نحوه يعنى نحو قول قتادة وقال لعلموه الاقليلا وقال آخرون بل هم الطائفة الذين وصفهم الله انهم يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة فاذا برزوا من عنده بيتوا غير الذى قالوا ومعنى الكلام واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الاقليلا منهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان فانقطع الكلام وقوله الاقليلا فهو فى أول الآية يخبر عن المنافقين قال واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الاقليلا يعنى بالقليل المؤمنين كقول الجد لله الذى أنزل الكتاب عدلا قيما ولم يجعل له عوجا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هذه الآية متقدمة ومؤخرة انما هى أذاعوا به الاقليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير وقال آخرون بل ذلك استثناء من قوله لاتبعتم الشيطان وقالوا الذين استثناهم قوم لم يكونوا هموا بما كان الآخرون هموا به من اتباع الشيطان فعرف الله الذين أنقذهم من ذلك موقع نعمته منهم واستثنى الآخرين الذين لم يكن منهم فى ذلك ما كان من الآخرين ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا قال هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا حدثوا أنفسهم بامور من أمور الشيطان الا طائفة منهم وقال آخرون معنى ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعا قالوا وقوله الاقليلا خرج مخرج الاستثناء فى اللفظ وهو دليل على الجميع والاحاطة وانه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحد من الضلالة فجعل قوله الاقليلا دليلا على

من رواها يقيت يعني من هو تحت يديه وفي سلطانه من أهله وعياله فيقدره قوته يقال منه أقات فلان الشئ يقيته اقاتة وقانه يقونه قيانة وقوتا والقوت الاسم وأما المقيت في بيت اليهودي الذي يقول فيه ليت شعري واشعرن اذاما * قربوها مطوية ودعيت
الى الفضل أم على اذا * حوسبت اني على الحساب مقيت

فان معناه فاني على الحساب موقوف وهو من غير هذا المعنى ۞ القول في تاويل قوله (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها) يعني جل ثناؤه بقوله واذا حييتم بتحية اذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة فحيوا باحسن منها أو ردوها يقول فادعوا لمن دعا لكم بذلك باحسن مما دعا لكم أو ردوها يقول أو ردوا التحية ثم اختلف أهل التاويل في صفة التحية التي هي أحسن مما حيي به المحيا والتي هي مثلها فقال بعضهم التي هي أحسن منها أن يقول المسلم عليه اذا قيل السلام عليكم وعليكم السلام ورحمة الله ويزيد على دعاء الداعي له والرد أن يقول السلام عليكم مثلها فاذا قيل له أو يقول وعليكم السلام فيدعو الداعي له مثل الذي دعا له ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها يقول اذا سلم عليك أحد فقل أنت وعليك السلام ورحمة الله أو تقطع الى السلام عليك كما قال لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها قال في أهل الاسلام حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج فيما اقرئ عليه عن عطاء قال في أهل الاسلام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن شريح أنه كان يرد السلام عليكم كما يسلم عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن عون واسمعيل بن ابي خالد عن ابراهيم أنه كان يرد السلام عليكم ورحمة الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عطية عن ابن عمر أنه كان يرد وعليكم وقال آخرون بل معنى ذلك فحيوا باحسن منها أهل الاسلام أو ردوها على أهل الكفر ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب ابن الشهيد قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال من سلم عليك من خلق الله فارددعليه وان كان مجوسيا فان الله يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سالم بن نوح قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها للمسلمين أو ردوها على أهل الكتاب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها للمسلمين أو ردوها على أهل الكتاب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها يقول حيوا أحسن منها أي على المسلمين أو ردوها أي على أهل الكتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها قال أي حق على كل مسلم حيي بتحية أن يحيي باحسن منها واذا حياه غير أهل الاسلام أن يرد عليه مثل ما قال * قال أبو جعفر وأولى التاويلين بتاويل الآية قول من قال ذلك في أهل الاسلام ووجه معناه الى أنه برد السلام على المسلم اذا حياه بتحية أحسن من تحيته أو مثلها وذلك ان الصحاح من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واجب على كل مسلم رد تحية كل كافر باحسن من تحيته وقد أمر الله برد الاحسن والمثل في هذه الآية من غير تمييز منه بين المستوجب رد الاحسن من تحيته عليه والمردود عليه مثلها بدلالة يعلم بها صحة قول من قال عني برد الاحسن المسلم وبرد المثل أهل الكفر والصواب اذا لم يكن في الآية دلالة على صحة ذلك ولا بصحة أثر لازم من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون الخيار في ذلك الى المسلم عليه بين رد الاحسن أو المثل الا في الموضع الذي خص شيأ من ذلك سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون مسلما لها وقد خصت

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد باسا وأشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شئ حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) القراآت ومن أصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزاي علي وروي ويس وحمزة غير الجعفي حصرت صدورهم وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل حصرت صدورهم بالنصب والتنوين * الوقوف القرآن ط لتناهي الاستفهام الى الشرط

وطئ له على ما بينا الركوب به وقد قيل انه عنى بقوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الآية شفاعة الناس بعضهم لبعض وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا ثم عم بذلك كل شافع بخير أو شر وانما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك لانه في سياق الآية التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بحض المؤمنين على القتال فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد لمن أبى اجابته أشبه منه من الحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض التي لم يجر لها ذكر قبل ولا لها ذكر بعد ذكر من قال ذلك في شفاعة الناس بعضهم لبعض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة فقال شفاعة بعض الناس لبعض حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن قال من يشفع شفاعة حسنة كان له فيها أجران لان الله يقول من يشفع شفاعة حسنة ولم يقل من يشفع حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الحسن قال من يشفع شفاعة حسنة كتب له أجره ما جرت منفعتها حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن قول الله من يشفع شفاعة حسنة يكن نصيب منها قال الشفاعة الصالحة التي يشفع فيها وعمل بها هي بينك وبينه هما فيها شريكان ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها قال هما شريكان فيها كما كان أهلها شريكين ذكر من قال الكفل النصيب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها أي حظ منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها والكفل هو الاثم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله يكن له كفل منها أما الكفل فالحظ حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يكن له كفل منها قال حظ منها فبئس الحظ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكفل والنصيب واحد وقرأ يؤتكم كفلين من رحمته ۞ القول في تأويل قوله (وكان الله على كل شئ مقيتا) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وكان الله على كل شئ مقيتا فقال بعضهم تأويله وكان الله على كل شئ حفيظا وشهيدا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وكان الله على كل شئ مقيتا يقول حفيظا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مقيتا شهيدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل اسمه مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مقيتا قال شهيدا حسيبا حفيظا حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنا أبي عن خصيف عن مجاهد أبي الحجاج وكان الله على كل شئ مقيتا قال المقيت الحسيب وقال آخرون معنى ذلك القائم على كل شئ بالتدبير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير وكان الله على كل شئ مقيتا قال المقيت الواصب وقال آخرون هو القدير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكان الله على كل شئ مقيتا أما المقيت فالقدير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان الله على كل شئ مقيتا قال على كل شئ قديرا المقيت القدير * قال أبو جعفر والصواب من هذه الاقوال قول من قال معنى المقيت القدير وذلك ان ذلك فيما يذكر كذلك بلغة قريش وينشد الزبير عن عمه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد المطلب

وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على مساءته مقيتا

أي قادرا وقد قيل ان منه قول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقيت في رواية

شرطهم أن لا يخافوا لومة لائم ولا يناموا نومة ناثم (١١٠) فبقوا عن فريقهم كالهائم وضلوا عن طريقهم كالهائم ولولا أخرتنا الى أجل قريب فنموت بالاجال فان لنا كل لحظة موتة في ترك حظه فيا أيها الطلبة في ذي البطالة الذين غلب عليكم حب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى أينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل أن تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة أجساد قوية مجسمة توان تصبهم يعني لاهل البطالة حسنة من فتوحات غيبية يقولوا هذه من عندك الله لا يرون للشيخ فيما عليهم حقا وان تصبهم سيئة من الرياضات والمجاهدات يقولوا للشيخ هذه من عندك أي بسببك وسعيك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرح والترح ما أصابك من فتح وموهبة فمن الله فضلا وكرما وما أصابك من سيئة بلاء وعناء فمن شؤم صفات نفسك الامارة والتحقيق فيه ان للاعمال أربع مراتب التقدير والخلق وهاتان من الله تعالى والكسب والفعل وهاتان من العبد وان كان العبد وكسبه وفعله كلها مخلوقة خلقها الله تعالى فافهم وأرسلناك للناس رسولا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين في صحبتك تنعكس أشعة أنوار النبوة عليهم ويصغون باذانهم الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت عليهم رياح الهوى عاد الطبع الميشوم الى أصله وهكذا حال أكثر مريدي هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب أي يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم وتوكل على الله فاعل الله يصلح بالهم (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به من

النفاق فئتين مختلفتين والله أركسهم بما كسبوا يعني بذلك والله ردهم الى أحكام أهل الشرك في اباحة دمائهم وسبي ذراريهم والاركاس الرد ومنه قول أمية بن أبي الصلت

فاركسوا في جحيم النار انهم * كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا

يقال منه أركسهم وركسهم وقد ذكرانا في قراءة عبد الله وأبي والله أركسوهم بغير ألف واختلف أهل التأويل في الذين نزلت فيهم هذه الآية فقال بعضهم نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانصرفوا الى المدينة وقالوا لرسول الله عليه السلام ولاصحابه لو نعلم قتالا لاتبعناكم ذكر من قال ذلك حدثني الفضل بن زياد الواسطي قال ثنا أبو داود عن شعبة عن عدي بن ثابت قال سمعت عبد الله بن يزيد الانصاري يحدث عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد رجعت طائفة ممن كان معه فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا فنزلت هذه الآية فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة انها طيبة وانها تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الفضة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو اسامة قال ثنا شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله ابن يزيد عن زيد بن ثابت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثني زريق بن السمحت قال ثنا شبابة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت قال ذكروا المنافقين عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال فريق نقتلهم وقال فريق لا نقتلهم فانزل الله تبارك وتعالى فما لكم في المنافقين فئتين الى آخر الآية وقال آخرون بل نزلت في اختلاف كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم كانوا قدموا المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين أنهم مسلمون ثم رجعوا الى مكة وأظهروا لهم الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد فما لكم في المنافقين فئتين قال قوم خرجوا من مكة حتى أتوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ثم ارتدوا بعد ذلك فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فاختلف فيهم المؤمنون فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون فبين الله نفاقهم فامر بقتالهم فجاؤا ببضائعهم يريدون على وهلال بن عويمر الاسلمي وبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم حلف وهو الذي حصر صدره أن يقاتل المؤمنين أو يقاتل قومه فدفع عنهم بانهم يؤمنون هلالا وبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال فبين الله نفاقهم وأمر بقتالهم فلم يقاتلوا يومئذ فجاؤا ببضائعهم يريدون هلال بن عويمر الاسلمي وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف وقال آخرون بل كان اختلافهم في قوم من أهل الشرك كانوا أظهروا الاسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فما لكم في المنافقين فئتين وذلك ان قوما كانوا بمكة قد تكلموا بالاسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا ان لقينا أصحاب محمد عليه السلام فليس علينا منهم باس وان المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا الى الخبثاء فاقتلوهم فانهم يظاهرون عليكم عدوكم قالت فئة أخرى من المؤمنين سبحان الله أو كما قالوا تقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم تستحل دماؤهم وأموالهم لذلك فكانوا كذلك فئتين والرسول عليه السلام عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شئ فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله الآية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل من تناقض واضطراب والذي تظن به التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم أجمعين أو كقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان ليس بذلك عند التدبر وملاحظة شروط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال أبو مسلم المراد صحة نظمه وكون كله بل كل جزء من أجزائه وأبعاضه بالغا حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد أن يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله تعالى وفي الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال أعني التدبر فيما اليه سبيل وقال الجبائي فيها دلالة على ان أفعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت ولا مختلف ان لا تكون أفعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه وهو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية قد يكون بحسب نظر ما لا بحسب الامر نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن أو من باب الخوف أذاعوا به وأفشوه يقال أذاع السر وأذاع به لغتان ويجوز أن يكون معنى أذاع به فعل به الاذاعة وهو أبلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهة أن الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان تلك الزيادات ان

كثيرا ه أذاعوا به ط منهم ط قليلا ه في سبيل الله ج ط لان قوله لا يكلف يحتمل الاستئناف والحال أي قاتل غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين ج لان عسى مستأنف لفظا ومتصل معنى لانه ان جئت بجميع ما أمر به كفروا ط تنكيلا ه نصيب منها ط لابتداء شرط آخر مع واو العطف كفل منها مقيتا ه نصف الجزء ردوها ط حسيبا ه الا هو ط لاريب فيه ط حديثا ه بما كسبوا ط من أضل الله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا ه في سبيل الله ط وجدتموهم ص نصيرا ه ط أو يقتلوا قومهم ط فلقاتلوكم ط السلم لالان ما بعده جواب فان سبيلا ه قومهم ط اركسوا فيها ج ثقفتموهم ط مبينا ه

* التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم أنه صلى الله عليه وسلم غير محق في ادعاء الرسالة أمرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور وأدبارها ومنه قول أكثم لا يدبروا اعجاز أمور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من أمري ما استدبرت أي لو عرفت في صدره ما عرفت من عاقبته وظاهر الآية يدل على أنه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والانقطاع النظم دلالة القرآن على صدق النبي من ثلاثة أوجه الفصاحة والاشتمال على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الآية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال أبو بكر الاصم معناه ان المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على أنواع كثيرة من المكايد والرسول كان يخبرهم عنها حالا بعد حال فلا يقبل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر أنواع

السنة أهل الكفر بالنهي عن رد الاحسن من تحيتهم عليهم أو مثلها الا بان يقال وعليكم فلا ينبغي لاحد أن يتعدى ما حد في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما أهل الاسلام فان لمن سلم عليه منهم في الرد من الخيار ما جعل الله له من ذلك وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تاويل ذلك بنحو الذي قلنا خبر وذلك ما حدثني موسى بن سهل الرملي قال ثنا عبد الله بن السري الانطاكي قال ثنا هشام بن لاحق عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك ورحمة الله فاتى آخر فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال له رسول الله وعليك ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال له وعليك فقال له الرجل يا نبي الله بابي أنت وأمي أتاك فلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت علي فقال انك لم تدع لنا شيئا قال الله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها فردودناها عليك فان قال قائل أفواجب رد التحية على ما أمر الله به في كتابه قيل نعم وبه كان يقول جماعة من المتقدمين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول ما رأيته الا يوجبه قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن رجل عن الحسن قال السلام تطوع والرد فريضة ۞ القول في تاويل قوله (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله كان على كل شئ مما تعملون أيها الناس من الاعمال من طاعة ومعصية حفيظا عليكم حتى يجازيكم بها جزاءه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد حسيبا قال حفيظا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأصل الحسيب في هذا الموضع عندي فعيل من الحساب الذي هو في معنى الاحصاء يقال منه حاسبت فلانا على كذا وكذا وفلان حاسبه على كذا وهذا حسيبه وذلك اذا كان صاحب حسابه وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة ان معنى الحسيب في هذا الموضع الكافي يقال منه احسبني الشئ يحسبني احسابا بمعنى كفاني من قولهم حسبي كذا وكذا وهذا غلط من القول وخطا وذلك أنه لا يقال في أحسبت الشئ أحسبت على الشئ فهو حسيب عليه وانما يقال هو حسبه وحسيبه والله يقول ان الله كان على كل شئ حسيبا ۞ القول في تاويل قوله (الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا) يعني جل ثناؤه بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم المعبود الذي لا تنبغي العبودة الا له هو الذي له عبادة كل شئ وطاعة كل طائع وقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة يقول ليبعثنكم من بعد مماتكم وليحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذي يجازي الناس فيه باعمالهم ويقضي فيه بين أهل طاعته ومعصيته وأهل الايمان به والكفر لا ريب فيه يقول لا شك في حقيقة ما أقول لكم من ذلك وأخبركم من خبري أني جامعكم الى يوم القيامة بعد مماتكم ومن أصدق من الله حديثا يعني بذلك واعلموا حقيقة ما أخبركم من الخبر فاني جامعكم الى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقينا فلا تشكوا في صحته ولا تمتروا في حقيقته فان قولي الصدق الذي لا كذب فيه ووعدي الصدق الذي لا خلف له ومن أصدق من الله حديثا يقول وأي ناطق أصدق من الله حديثا وذلك ان الكاذب انما يكذب ليجتلب بكذبه الى نفسه نفعا أو يدفع به عنها ضرا والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع فغير جائز أن يكون منه كذب لانه لا يدعوه الى اجتلاب نفع ولا دفع ضر عن نفسه أو دفع ضر عنها سواه تعالى ذكره فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه نظير ومن أصدق من الله حديثا وخبرا ۞ القول في تاويل قوله (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) يعني جل ثناؤه بقوله فما لكم في المنافقين فئتين فما شانكم أيها المؤمنون في أهل

فيه فعل و يفعل من المنصوب جاز نصب المعرفة منه والنكرة كما ينصب كان وأظن لانهن نواقص فى المعنى وان ظننت انهن تامات وهذا القول أولى بالصواب فى ذلك لان المطلوب فى قول القائل مالك قائما القيام فهو فى مذهب كان وأخواتها والظن وصواحباتها ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (والله أركسهم بما كسبوا) اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله والله أركسهم فقال بعضهم معناه ردهم كما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس والله أركسهم بما كسبوا ردهم وقال آخرون معنى ذلك والله أوقعهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس والله أركسهم بما كسبوا يقول أوقعهم وقال آخرون معنى ذلك أضلهم وأهلكهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة والله أركسهم قال أهلكهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة والله أركسهم بما كسبوا أهلكهم بما عملوا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى والله أركسهم بما كسبوا أهلكهم وقد أتينا على البيان عن معنى ذلك قبل بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله (أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعنى جل ثناؤه بقوله أتريدون أن تهدوا من أضل الله أتريدون أيها المؤمنون أن تهدوا الى الاسلام فتوفقوه للاقرار به والدخول فيه من أضله الله عنه يعنى بذلك من خذله الله عنه فلم يوفقه للاقرار به وانما هذا خطاب من الله تعالى ذكره للفئة التى دافعت عن هؤلاء المنافقين الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية يقول لهم جل ثناؤه اتبغون هداية هؤلاء الذين أضلهم الله فخذلهم عن الحق واتباعه للاسلام بمدافعتكم عن قتالهم من أراد قتالهم من المؤمنين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يقول ومن خذله عن دينه واتباع ما أمره به من الاقرار به وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عنده فأضله عنه فلن تجد له سبيلا يقول فلا تجد له طريقا تدبه فيها الى ادراك ما خذله الله ولا منهجا ۞ القول فى تاويل قوله (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) يعنى جل ثناؤه بقوله ودوا لو تكفرون كما كفروا يعنى أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون الذين أنتم فيهم فئتان أن تكفروا فتجحدوا وحدانية ربكم وتصديق نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم كما كفروا يقول كما جحدوا هم ذلك فتكونون سواء يقول فتكونون كفارا مثلهم وتستوون أنتم وهم فى الشرك بالله فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله يقول حتى يخرجوا من دار الشرك و يفارقوا أهلها الذين هم بالله مشركون الى دار الاسلام وأهلها فى سبيل الله يعنى فى ابتغاء دين الله وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم و يكون لهم حينئذ حكمكم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا حتى يصنعوا كما صنعتم يعنى الهجرة يقول حتى يهاجروا فى سبيل الله ۞ القول فى تاويل قوله (فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه فان أدبر هؤلاء المنافقون عن الاقرار بالله ورسوله وتولوا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ومن الكفر الى الاسلام فخذوهم أيها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم من بلادهم وغير بلادهم أين أصبتموهم من أرض الله ولا تتخذوا منهم وليا يقول ولا تتخذوا منهم خليلا ولا نصيرا ينصركم على أموركم ولا ناصرا ينصركم على أعدائكم فانهم كفار لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم وهذا الخبر من الله جل ثناؤه ابانة على صحة نفاق الذين اختلف المؤمنون فى أمرهم وتحذير لهم دافع عنهم عن المدافعة عنهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن

العلماء وأولوا الآراء بل هم المذيعون كما فى القول الثالث سلمنا لكن الآية نزلت فى الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط فى الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط فى الوقائع الشرعية فان قسم أحد البابين على الآخر كان اثباتا للقياس الشرعى بالقياس الشرعى سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية أو من تركيبات النصوص أو بالبراءة الاصلية أو بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل فى المنافع الاباحة وفى المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعى فى شئ سلمنا أن القياس الشرعى داخل فى الآية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع فى مثله انما النزاع فى أن القياس المفيد للظن هل هو حجة أم لا وأجيب بان عرف المستنبطين الى المذيعين ليس بالقوى اذ لو كان المراد ذلك لكان اللائق بنظم الكلام أن يقال ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر لعلموه من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثانى بان الامن أو الخوف عام فى كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف أحكام الحروب بالقياس الشرعى لزم جواز التمسك به فى سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق ألا ترى ان من قال القياس حجة فى باب البيع لا فى باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث أن شيا من ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع أن العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعى عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن أن حكم الله فى الاصل معلل بكذا غلب على الظن أن ذلك المعنى قائم فى الفرع حصل ظن أن حكم الله فى الفرع مساو لحكمه فى الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع فى طريق

كانت فى جانب الامن ولم تقع أو رث شبهة الخوف حصل اضطراب فى الضعفة وتعوا فى الحيرة وأيضا البحث عن الارجاف موجب ظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال أو تحصنوا وفى معنى الآية أقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أولى الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعانى والتدبير الثانى كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فتعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى أولى الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من أفواه بعض المنافقين شيأ من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى سمعوه من الرسول وأولى الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول وأولى الامر ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء فى الآية دلالة على ان القياس حجة لانهم أمروا أن يرجعوا فى معرفة الوقائع الى أولى الامر من المستنبطين فرواية النص لا تكون استنباطا فهو اذن رد وقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم

فما لكم فى المنافقين فئتين الآية ذكر لنا انهما كانا رجلين من قريش كانا مع المشركين بمكة وكانا قد تكلما بالاسلام ولم يهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقيهما ناس من أصحاب نبى الله وهما مقبلان الى مكة فقال بعضهم ان دماءهما وأموالهما حلال وقال بعضهم لا يحل لكم فتشاجروا فيهما فانزل الله فى ذلك فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا حتى بلغ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم **حدثنا** القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر بن راشد قال بلغنى ان ناسا من أهل مكة كتبوا الى النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قد أسلموا وكان ذلك منهم كذبا فلقوهم فاختلف فيهم المسلمون فقالت طائفة دماؤهم حلال وقالت طائفة دماؤهم حرام فانزل الله فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فما لكم فى المنافقين فئتين هم ناس تخلفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا بمكة وأعلنوا الايمان ولم يهاجروا فاختلف فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولاهم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منهم ولا يتهم آخرون وقالوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهاجروا فسماهم الله منافقين وبرأ المؤمنين من ولايتهم وأمرهم أن لا يتولوهم حتى يهاجروا وقال آخرون بل كان اختلافهم فى قوم كانوا بالمدينة أرادوا الخروج عنها نفاقا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا قال كان ناس من المنافقين أرادوا أن يخرجوا من المدينة فقالوا للمؤمنين انا قد أصابنا أوجاع فى المدينة وأتخمنا ها فلعلنا أن نخرج الى الظهر حتى نتماثل ثم نرجع فانا كنا أصحاب بر ية فانطلقوا واختلف فيهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالت طائفة أعداء الله المنافقون وددنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا فقاتلناهم وقالت طائفة لا بل اخواننا تخمتهم المدينة فاتخموها فرجوا الى الظهر يتنزهون فاذا برؤا رجعوا فقال الله فما لكم فى المنافقين فئتين يقول ما لكم تكونون فيهم فئتين والله أركسهم بما كسبوا وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر أهل الافك ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا حتى بلغ فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله قال هذا فى شأن بن أبى حين تكلم فى عائشة ما تكلم فقال سعد بن معاذ فانى أعرأ الى الله والى رسوله منه يريد عبد الله بن أبى ابن سلول * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى ذلك قول من قال نزلت هذه الآية فى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوم كانوا ارتدوا عن الاسلام بعد اسلامهم من أهل مكة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان اختلاف أهل التأويل فى ذلك انما هو على أحد قولين أحدهما انهم قوم كانوا من أهل مكة على ما قد ذكرنا الرواية عنهم والآخر أنهم قوم كانوا من أهل المدينة وفى قول الله تعالى ذكره فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا أوضح الدليل على انهم كانوا من غير أهل المدينة لان الهجرة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى داره ومدينته من سائر أرض الكفر فاما من كان بالمدينة فى دار الهجرة مقيما من المنافقين وأهل الشرك فلم يكن عليه فرض هجرة لانه فى دار الهجرة كان وطنه ومقامه واختلف أهل العربية فى نصب قوله فئتين فقال بعضهم هو منصوب على الحال كما تقول مالك قائما يعنى مالك فى حال القيام وهذا قول بعض البصريين وقال بعض نحوى الكوفيين هو منصوب على فعل مالك ؟ قال ولا يقال كان المنصوب فى ملك معرفة أو نكرة قال ويجوز فى الكلام أن يقول ملك السائر معناه لانه كالفعل الذى ينصب بكان وأظن وما أشبهها قال وكل موضع صلحت

؟ هكذا هذه العبارة الى آخرها بالاصل وهى غير ظاهرة والمقصد ان فئتين منصوب اما بكان أو بصار المقدرة تامل اه مصححه

مثل ذلك تقول ان فلانا ذهب عقله بمعنى قد ذهب عقله ومسموع منهم أصبحت نظرت الى ذات التنانير بمعنى قد نظرت ولا ضمار قد مع الماضى جاز وضع الماضى من الافعال فى موضع الحال لان قد اذا دخلت معه أدنته من الحال وأشبهه الامحاء وعلى هذه القراءة أعنى حصرت قراءة القراء فى جميع الامصار وبها يقرأ لاجماع الحجة عليها وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك أوجاؤكم حصرة صدورهم نصبا وهى صحيحة فى العربية فصيحة غير أنه غير جائزة القراءة بها عندى بشذوذها وخروجها عن قراءة قراء الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعنى جل ثناؤه ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ولو شاء الله لسلط هؤلاء الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق فيدخلون فى جوارهم وذمتهم والذين يجيؤنكم قد حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم عليكم أيها المؤمنون فقاتلوكم مع أعدائكم من المشركين ولكن الله تعالى ذكره كفهم عنكم بقول جل ثناؤه فاطيعوا الذى أنعم عليكم بكفهم عنكم مع سالما أنعم به عليكم فيما أمركم به من الكف عنهم اذا وصلوا الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أوجاؤكم حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم ثم قال جل ثناؤه فان اعتزلوكم يقول فان اعتزلكم هؤلاء الذين أمرتكم بالكف عن قتالهم من المنافقين بدخولهم فى أهل عهدكم أو مصيرهم اليكم حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم يقول وصالحوكم والسلم هو الاستسلام وانما هذا مثل كما يقول الرجل للرجل أعطيتك قيادى وألقيت اليك خطامى اذا استسلم له وانقاد لامره فكذلك قوله وألقوا اليكم السلم انما هو ألقوا اليكم قيادهم واستسلموا لكم صلحا منهم لكم وسلما ومن السلم قول الطرماح

وذاك ان تميما غادرت سلما * للاسد كل مصان وعثه اللبد

يعنى بقوله سلما استسلاما ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم قال الصلح وأما قوله فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فانه يقول اذا استسلم هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم صلحا منهم لكم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أى فلم يجعل الله لكم على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم طريقا الى قتل أو سبا أو غنيمة فاباحته منه ذلك لكم ولا اذن فلا تعرضوا لهم فى ذلك الاسبيل خير ثم نسخ الله جميع حكم هذه الآية والتى بعدها بقوله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الى قوله فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الى قوله وألقوا اليكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وقالا فى الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين وقال فيها انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم الى قوله فاولئك هم الظالمون فنسخ هؤلاء الآيات الاربعة فى شان المشركين فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين فجعل لهم أربعة أشهر يسيحون فى الارض وأبطل ما كان قبل ذلك وقال فى التى تليها فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ثم نسخ واستثنى فقال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة الى قوله ثم أبلغه مأمنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فان اعتزلوكم قال نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا همام بن يحيى قال سمعت قتادة يقول فى قوله الا الذين

لنركتم الدين الا القليل منكم وهم أهل البصائر والعزائم من أفاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة فى الدنيا فلا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا بل الامر ولا انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر فى كونه حقا وباطلا مبنى على الدليل وهذا أحسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل كأنه تعالى قال ان أردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ماذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا أديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين أن الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد أى الحث والاحماء عليه فاذا أتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شئ واعلم أن الجهاد فى حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب على الظن انه مفيد لم يجب خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله أن يكف باس الذين كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال فهو اطماع واطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه صلى الله عليه وسلم قال فى بدر الصغرى لاخرجن وحدى فخرج وتبعه سبعون راكبا ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده ثم انه تعالى كف باس المشركين وألقى الرعب فى قلوب أبى سفيان وأصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب فى تلك السنة وفى الآية دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الخلق لانه تعالى

الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال مهما غلب على ظنك كذا فى الواقعة الفلانية فاعلم قطعا أن حكمى فيها كذا أما قوله لا تبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضى اشكالا وهو أن قليلا من الناس لا يحتاج فى عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض فذكر المفسرون فى ازالة التناقض وجوها الاول أن الاستثناء راجع الى قوله أذاعوا به كانه تعالى أخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما أخرجهم فى قوله بيت طائفة الثانى انه عائد الى قوله لعلمه يعنى لعله الذين يستنبطونه منهم الا قليل قال الفراء والمبرد القول الاول أولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضى ضد ذلك قال الزجاج هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثرون يعرفونه الا البالغ فى البلادة والانصاف أن الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما مر فالحق ما ذكره الفراء والمبرد الثالث أن الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق النسق لان الفضل والرحمة مفسران بشئ خاص وفيه وجهان أحدهما قول جماعة من المفسرين أن المراد انزال القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وثانيهما قول أبى مسلم أن المراد بالفضل والرحمة ههنا مثل

ابن عباس فان تولوا فخذوهم واقتلوهم فان تولوا عن الهجرة فخذوهم واقتلوهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم يقول اذا أظهروا كفرهم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ۞ القول فى تاويل قوله (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) يعنى جل ثناؤه بقوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق فان تولى هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم فيهم عن الايمان بالله ورسوله وأبوا الهجرة فلم يهاجروا فى سبيل الله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم سوى من وصل الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد وميثاق فدخلوا فيهم وصاروا منهم ورضوا بحكمهم فان لمن وصل اليهم فدخل فيهم من أهل الشرك راضيا بحكمهم فى حقن دمائهم بدخوله فيهم لا تسبى نساؤهم وذراريهم لا تغنم أموالهم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول اذا أظهروا كفرهم فاقتلوهم حيث وجدتموهم فان أحد منهم دخل فى قوم بينكم وبينهم ميثاق فاجروا عليه مثل ما تجرون على أهل الذمة حدثنى يونس عن ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق يصلون الى هؤلاء الذين بينهم وبينكم ميثاق من القوم لهم من الامان مثل ما لهؤلاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق قال نزلت فى هلال بن عويمر الاسلمى وسراقة بن مالك بن جعشم وخزيمة بن عامر بن عبد مناف وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى قوله الا الذين يصلون الى قوم الا الذين يتصلون فى انسابهم لقوم بينكم وبينهم ميثاق من قولهم اتصل الرجل بمعنى انتمى وانتسب كما قال الاعشى فى صفة امرأة انتسبت الى قوم

اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل * وبكر نسبتها والانوف رواغم

يعنى بقوله اتصلت انتسبت ولا وجه لهذا التاويل فى هذا الموضع لان الانتساب الى قوم من أهل الموادعة أو العهد لو كان يوجب للمنتسبين اليهم ما لهم اذا لم يكن لهم من العهد والامان ما لهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتل قريشا وهم انسباء السابقين الاولين ولاهل الايمان من الحق بايمانهم أكثر مما لاهل العهد بعهدهم وفى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركى قريش بتركها الدخول فيما دخل فيه أهل الايمان منهم مع قرب أنسابهم من أنساب المؤمنين منهم الدليل الواضح ان انتساب من لا عهد له الى ذى العهد منهم لم يكن موجبا له من العهد ما لذى العهد من انتسابه فان ظن ذو غفلة ان قتال النبى صلى الله عليه وسلم من قاتل من انسباء المؤمنين من مشركى قريش انما كان بعد ما نسخ قوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق فان أهل التاويل أجمعوا على أن ذلك نسخ قراءة نزلت بعد فتح مكة ودخول قريش فى الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله (أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) يعنى جل ثناؤه بقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو الا الذين جاؤكم منهم قد حصرت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم فدخلوا فيكم يعنى بقوله حصرت صدورهم ضاقت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو أن يقاتلوا قومهم والعرب تقول لكل من ضاقت نفسه عن شئ من فعل أو كلام قد حصر ومنه الحصر فى القراءة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو جاؤكم حصرت صدورهم يقول رجعوا فدخلوا فيكم حصرت صدورهم يقول ضاقت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم وفى قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم متروك ترك ذكره لدلالة الكلام عليه وذلك ان معناه أو جاؤكم قد حصرت صدورهم فترك ذكر قد لان من شان العرب فعل

واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعني بذلك جل ثناؤه فان لم يعتزلوكم أيها المؤمنون هؤلاء الذين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم وهم كلما دعوا الى الشرك أجابوا اليه ويلقوا اليكم السلم ولم يستسلموا اليكم فيعطوكم المعاد ويصالحوكم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم قال الصلح ويكفوا أيديهم يقول ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم يقول جل ثناؤه فان لم يفعلوا فخذوهم أين أصبتموهم من الارض ولقيتموهم فيها فاقتلوهم فان دماءهم لكم حينئذ حلال وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يقول جل ثناؤه وهؤلاء الذين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم وهم على ما هم عليه من الكفر ان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم جعلنا لكم حجة في قتلهم أينما لقيتموهم بمقامهم على كفرهم وتركهم هجرة دار الشرك مبينا يعني انها تبين عن استحقاقهم ذلك منكم واصابتكم الحق في قتلهم وذلك قوله سلطانا مبينا والسلطان هو الحجة كما حدثني المثنى قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن رجل عن عكرمة قال ما كان في القرآن من سلطان فهو حجة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله سلطانا مبينا أما السلطان المبين فهو الحجة ۞ القول في تاويل قوله (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا) يعني جل ثناؤه بقوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ وما أذن الله لمؤمن ولا أباح له أن يقتل مؤمنا يقول ما كان ذلك له فيما جعل له ربه وأذن له فيه من الاشياء البتة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ يقول ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه من عهد الله الذي عهد اليه وأما قوله الا خطأ فانه يقول الا أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ وليس له مما جعل له ربه فاباحه له وهذا من الاستثناء الذي تسميه أهل العربية الاستثناء المنقطع كما قال جرير بن عطية

من البيض لم يظعن بعيدا ولم يطأ * على الارض الا ريط برد مرجل

يعني ولم يطأ على الارض الا أن يطأ ذيل الريط وليس ذيل البرد من الارض ثم أخبر جل ثناؤه عباده بحكم من قتل من المؤمنين خطأ فقال ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة مؤمنة في ماله ودية مسلمة يؤديها عاقلته الى أهله الا أن يصدقوا يقول الا أن يصدق أهل القتيل خطأ على من لزمته دية قتيلهم فيعفوا عنه ويتجاوزوا عن ذنبه فيسقط عنه وموضع ان من قوله الا أن يصدقوا نصب لان معناه فعليه ذلك الا أن يصدقوا وذكر أن هذه الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان قد قتل رجلا مسلما بعد اسلامه وهو لا يعلم باسلامه ذكر الآثار بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ قال عياش بن أبي ربيعة قتل رجلا مؤمنا كان يعذبه مع أبي جهل وهو أخوه لامه فاتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحسب ان ذلك الرجل كان كما هو وكان عياش هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا فجاءه أبو جهل وهو أخوه لامه فقال ان أمك تنشدك رحمها وحقها الا رجعت اليها وقال أيضا فيما أخذ أصحابه فيربطهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج عن عكرمة قال كان

بخلاف ذلك وعلى هذا فوجه النظم أن التحريض على الجهاد بعث على الفعل الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها قال أهل اللغة الكفل أيضا النصيب فهل لاختلاف اللفظين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الانسان ومنه يقال كفل البعير واكتفله اذا دار حول سنامه كساه وركب والكفيل الضامن لان الغريم اعتمد عليه والتقدير من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد عليه ويكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب أليم وكان الله على كل شئ مقيتا أي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق حاله ثم لما أمر المؤمنين بالجهاد أمرهم أيضا بان الاعداء لو رضوا بالسالمة أو يلقوا في المبارزة بالسلم قابلوهم بالاكرام وأيضا السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة من الحياة ويجيء الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية وتعزية لكنه أدغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب تقول عند التلاقي حياك الله دعاء له بالحياة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا أحسن لان الحياة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل لعل الموت خير منها ولان السلام اسم من أسماء الله تعالى فالابتداء به أولى ولان دفع الضرر أهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمن في الجنة

لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقيل كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان بمعزل عن تقية الموت والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلصه الله منه وعذاب الله لا يقدر أحد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذا طرف من الفرق والله أعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه نظمه يعرف من تفسيره وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفيعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد وأيضا التحريض وهو الحث على سبيل الرفق والتلطف والتهديد يجاري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في أن يأذن له الرسول في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث أن يحصل له عدة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة ههنا هي أن يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة أن يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة الله المسلم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي يجار حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جاب اليه واقتلاهم

يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الى قوله فلجعل الله لكم عليهم سبيلا ثم نسخ ذلك بعد في براءة وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقاتل المشركين بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال نسخ هذا كله أجمع نسخه الجهاد ضرب لهم أجل أربعة أشهر اما أن يسلموا واما أن يكون الجهاد ۞ القول في تاويل قوله (ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها) وهؤلاء فريق آخر من المنافقين كانوا يظهرون الاسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليامنوا به عندهم من القتل والسبا وأخذ الاموال وهم كفار يعلم ذلك منهم قومهم اذا لقوهم كانوا معهم وعبدوا ما يعبدونه من دون الله ليأمنوهم على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم يقول الله كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها يعني كلما دعاهم الى الشرك بالله ارتدوا فصاروا مشركين مثلهم واختلف أهل التاويل في الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم هم ناس كانوا من أهل مكة أسلموا على ما وصفهم الله به من التقية وهم كفار ليامنوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم يقول الله كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها يعني كلما دعاهم الى الشرك بالله ارتدوا فصاروا مشركين مثلهم ليامنوا عندهؤلاء وهؤلاء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم قال ناس كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء فيرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك أن يامنوا ههنا وههنا فامر بقتالهم ان لم يعتزلوا ويصلحوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها يقول كلما أرادوا أن يخرجوا من فتنة أركسوا فيها وذلك ان الرجل كان يوجد قد تكلم بالاسلام فيقرب الى العود والحجر والى العقرب والخنفساء فيقول المشركون لذلك المتكلم بالاسلام قل هذا ربي للخنفساء والعقرب وقال آخرون بل هم قوم من أهل الشرك كانوا طلبوا الامان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامنوا عنده وعند أصحابه وعند المشركين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم حتى كانوا بتهامة قالوا يا نبي الله لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا وأرادوا أن يامنوا نبي الله ويامنوا قومهم فابى الله ذلك عليهم فقال الله كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها يقول كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه وقال آخرون نزلت هذه الآية في نعيم بن مسعود الاشجعي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم ذكر نعيم بن مسعود الاشجعي وكان يامن في المسلمين والمشركين ينقل الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين فقال ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها يقول الى الشرك وأما تاويل قوله كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فانه كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها قال كلما ابتلوا بها عموا فيها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه والقول في ذلك ما قد بينت قبل وذلك ان الفتنة في كلام العرب الاختبار والاركاس الرجوع فتاويل الكلام كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر والشرك رجعوا اليه ۞ القول في تاويل قوله (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم

ذلك حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة عن ابراهيم في قوله فتحرير رقبة مؤمنة قال اذا عقل دينه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال في فتحرير رقبة مؤمنة لا يجزي فيها صبي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فتحرير رقبة مؤمنة يعني بالمؤمنة من قد عقل الايمان وصام وصلى فان لم يجد رقبة فصيام شهرين متتابعين وعليه دية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا بها عليه وقال آخرون اذا كان مولودا بين أبوين مسلمين فهو مؤمن وان كان طفلا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال كل رقبة ولدت في الاسلام فهي تجزي * قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال لا يجزي في قتل الخطأ من الرقاب الا من قد آمن وهو بعقل الايمان من الرجال والنساء اذا كان ممن كان أبواه على ملة من الملل سوى الاسلام وولد بين أبوين مسلمين وهو كذلك ثم لم يسلما ولا واحد منهما حتى أعتق في كفارة الخطأ وأما من ولد بين أبوين مسلمين فقد أجمع الجميع من أهل العلم انه وان لم يبلغ حد الاختيار والتمييز ولم يدرك الحلم فمحكوم له بحكم أهل الايمان في الموارثة والصلاة عليه ان مات وما يجب عليه ان حي ويجب له ان جني عليه وفي الملاعنة فاذا كان ذلك من جميعهم اجماعا فواجب له أن يكون له من الحكم فيما يجزي فيه من كفارة الخطأ ان أعتق فيها من حكم أهل الايمان مثل الذي له من حكم الايمان في سائر المعاني التي ذكرناها وغيرها ومن أبى ذلك عكس عليه الامر فيه ثم سئل الفرق بين ذلك من أصل أو قياس فلن يقول في شئ من ذلك قولا الا ألزم في غيره مثله وأما الدية المسلمة الى أهل القتيل فهي المدفوعة اليهم على ما وجب لهم موفرة غير منتقصة حقوق أهلها منها وذكر عن ابن عباس انه كان يقول هي الموفرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ودية مسلمة الى أهله قال موفرة وأما قوله الا أن يصدقوا فانه يعني به الا أن يتصدقوا بالدية على القاتل أو على عاقلته فادغمت التاء من قوله يتصدقوا في الصاد فصارتا صادا وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي الا أن يتصدقوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن الشرود في حرف أبي الا أن يتصدقوا

القول في تأويل قوله (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) يعني جل ثناؤه بقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فان كان هذا القتيل الذي قتله المؤمن خطأ من قوم عدو لكم يعني من عداد قوم أعداء لكم في الدين مشركين لم يأمنوكم الحرب على خلافكم على الاسلام وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يقول فاذا قتل المسلم خطأ رجلا من عداد المشركين والمقتول مؤمن والقاتل يحسب انه على كفره فتحرير رقبة مؤمنة واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه وان كان المقتول من قوم هم عدو لكم وهو مؤمن أي بين أظهرهم لم يهاجر فقتله مؤمن فلا دية عليه وعليه تحرير رقبة مؤمنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن سماك عن عكرمة والمغيرة عن ابراهيم في قوله وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن قال هو الرجل يسلم في دار الحرب فيقتل قال ليس فيه دية وفيه الكفارة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة في قوله وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن قال يعني المقتول يكون مؤمنا وقومه كفارا قال فليس له دية ولكن تحرير رقبة مؤمنة حدثنا المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن قال يكون الرجل مؤمنا وقومه كفارا فلا دية له ولكن تحرير رقبة مؤمنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن في دار الكفر يقول فتحرير رقبة مؤمنة وليس له دية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ولا دية لاهله

وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال لما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت منه يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم للملوك أنعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته في هذا دليل على ان هذا الدين أشرف الاديان وأكملها ومما يدل على فضيلة السلام عقلا أن الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر وأما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو أفضل أنواع التحية قال بعض العلماء فمن دخل بيتا وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقال صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب ولان السلام بشارة بالسلامة وازالة الضرر وهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعائر الاسلام واظهار شعائر الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي وأكثر العلماء ان السلام سنة وأما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وظاهر الامر الوجوب

وعن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه

الحرث بن يزيد بن نبيشة من بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل ثم خرج الحرث بن يزيد مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه عياش بالحرة فعلاه بالسيف حتى سكت وهو يحسب انه كافر ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ونزلت وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ الآية فقرأها عليه ثم قال له قم فحرر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ قال نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي فكان أخا لابي جهل بن هشام لامه وانه أسلم وهاجر في المهاجرين الاولين قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبه أبو جهل والحرث بن هشام ومعهما رجل من بني عامر بن لؤي فاتوه بالمدينة وكان عياش أحب اخوته الى أمه فكلموه وقالوا ان أمك قد حلفت أن لا يظلها بيت حتى تراك وهي مضطجعة في الشمس فانم التنظر اليك ثم ارجع واعطوه موثقا من الله لا يهيجونه حتى يرجع الى المدينة فاعطاه بعض أصحابه بعيرا له نجيبا وقال ان خفت منهم شيأ فاقعد على النجيب فلما أخرجوه من المدينة أخذوه فاوثقوه وجلده العامري فحلف ليقتلن العامري فلم يزل محبوسا بمكة حتى خرج يوم الفتح فاستقبله العامري وقد أسلم ولا يعلم عياش باسلامه فضربه فقتله فانزل الله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ يقول وهو لا يعلم انه مؤمن ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فيتركوا الدية وقال آخرون نزلت هذه الآية في أبي الدرداء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ الآية قال نزل هذا في رجل قتله أبو الدرداء نزل هذا كله فيه كانوا في سرية فعدل أبو الدرداء الى شعب يريد حاجة له فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله قال فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيأ فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا شققت عن قلبه فقال ما عسيت أجد هل هو يا رسول الله الا دم أو ماء قال فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بي يا رسول الله قال فكيف بلا اله الا الله قال فكيف بي يا رسول الله قال فكيف بلا اله الا الله حتى تمنيت أن يكون ذلك مبتدأ اسلامي قال ونزل القرآن وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ حتى بلغ الا أن يصدقوا قال الا أن يضعوها قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان يقال ان الله عرف عباده بهذه الآية ما على من قتل مؤمنا خطأ من كفارة ودية وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقتيله وفي أبي الدرداء وصاحبه وأي ذلك كان فالذي عنى الله تعالى بالآية تعريف عباده ما ذكرنا وقد عرف ذلك من عقل عنه من عباده تنزيله وغيرهم ائرهم جهلهم بمن نزلت فيه وأما الرقبة المؤمنة فان أهل العلم مختلفون في صفته فقال بعضهم لا تكون الرقبة مؤمنة حتى تكون قد اختارت الايمان بعد بلوغها وصلت وصامت ولا يستحق الطفل هذه الصفة ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي حيان قال سألت الشعبي عن قوله فتحرير رقبة مؤمنة قال قد صلت وعرفت الايمان حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فتحرير رقبة مؤمنة يعني بالمؤمنة من عقل الايمان وصام وصلى حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم قال ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة فلا يجزي الا من صام وما كان في القرآن من رقبة ليست مؤمنة فالصبي يجزي حدثت عن يزيد بن هرون عن هشام بن حسان عن الحسن قال كل شيء في كتاب الله فتحرير رقبة مؤمنة فمن صام وصلى وعقل واذا قال فتحرير رقبة فاشاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن ابراهيم قال كل شيء في القرآن فتحرير رقبة مؤمنة فالذي قد صلى ومالم تكن مؤمنة فتحرير من لم يصل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتحرير رقبة مؤمنة والرقبة المؤمنة عند قتادة من قد صلى وكان يكره أن يعتق في هذا الطفل الذي لم يصل ولم يبلغ

هاشم موضعا في الازل ولهذا سمى نفسه (١٢٠) بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك والمراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسلم على لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام قال المفسرون انه خاف على أمته أن يصيبوا مثل أمة موسى وعيسى قال الله تعالى لا تهتم بذلك فاني وان أخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبرائيل خليفة لك ينزل الى أمتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم عليك على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وأمر محمدا صلى الله عليه وسلم بالسلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمر المؤمنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على لسان ملك الموت الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل ان ملك الموت يسلم في أذن المسلم السلام يقرؤك السلام ويقول أجبني فاني مشتاق اليك واشتاقت الجنات والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت لا هدية أعز من روحي فاقبض روحي هدية لك وسلم عليك من الارواح الطاهرة وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان أهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام وسلم عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما أرادا كرام يحيى عليه السلام وعده بالسلام في مواطن ثلاثة هي أشد ذلك

وتحرير رقبة مؤمنة قال هذا الرجل المسلم وقومه مشركون لهم عقد فيكون ديته لقومه وميراثه للمسلمين ويعقل عنه قومه ولهم ديته حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن جابر بن زيد في قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهو مؤمن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن في قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق قال كلاهما مؤمن * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بتاويل الآية قول من قال عني بذلك المقتول من أهل العهد لان الله أبهم ذلك فقال وان كان من قوم بينكم وبينهم ولم يقل وهو مؤمن كما قال في القتيل من المؤمنين وأهل الحرب وعني المؤمن منهم وهو مؤمن فكان في تركه وصفه بالايمان الذي وصف به القتيلين الماضي ذكرهما قبل الدليل الواضح على صحة ما قلنا في ذلك فان ظن ظان ان قوله تبارك وتعالى فدية مسلمة الى أهله دليلا على انه من أهل الايمان لان الدية عنده لا تكون الا للمؤمن فقد ظن خطا وذلك ان دية الذمي وأهل الاسلام سواء لاجماع جميعهم على أن ديات عبيدهم الكفار وعبيد المؤمنين من أهل الايمان سواء فكذلك حكم ديات أحرارهم سواء مع أن دياتهم لو كانت على ما قال من خالفنا في ذلك فجعلها على النصف من ديات أهل الايمان أو على الثلث لم يكن في ذلك دليل على أن المعني بقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق من أهل الايمان لان دية المؤمنة لا خلاف بين الجميع الامن لا يعد خلافا انها على النصف من دية المؤمن وذلك غير مخرجها من أن تكون دية فكذلك حكم ديات أهل الذمة لو كانت مقصرة عن ديات أهل الايمان لم يخرجها ذلك من أن تكون ديات فكيف والامر في ذلك بخلافه وديانهم وديات المؤمنين سواء وأما الميثاق فانه العهد والذمة وقد بينا في غير هذا الموضع ان ذلك كذلك والاصل الذي منه أخذ بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي في قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول عهد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق قال هو المعاهدة حدثني المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة مثله فان قال قائل وما صفة الخطأ الذي اذا قتل المؤمن المؤمن أو المعاهد لزمته ديته والكفارة قيل هو ما قال النخعي في ذلك وذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم قال الخطأ أن يريد الشيء فيصيب غيره حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال الخطأ أن يرمي الشيء فيصيب انسانا وهو لا يريده فهو خطأ وهو على العاقلة فان قال فما الدية الواجبة في ذلك قيل أما في قتل المؤمن فمائة من الابل ان كان من أهل الابل على عاقلة قاتله لا خلاف بين الجميع في ذلك وان كان في مبلغ أسنانها اختلاف بين أهل العلم فمنهم من يقول هي أرباع خمس وعشرون منها حقة وخمس وعشرون جذعة وخمس وعشرون بنات مخاض وخمس وعشرون بنات لبون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علي رضي الله عنه في الخطا شبه العمد ثلاث وثلاثون حقة وثلاث وثلاثون جذعة وأربع وثلاثون ثنية الى بازل عامها وفي الخطا خمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وخمس وعشرون بنات مخاض وخمس وعشرون بنات لبون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فراس والشيباني عن الشعبي عن علي بن أبي طالب بمثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه بنحوه حدثني واصل بن عبد الاعلى قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن الشعبي عن علي رضي الله عنه انه قال في قتل الخطا الدية مائة أرباعا ثم ذكر

وصف الكمال ومن السنة أن يسلم الراكب الزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر احتراما للجماعة والقائم لانه الواصل ٧ على القاعد ولان القائم أهيب ومن السنة الجهر بالسلام لانه أقوى في ادخال السرور في القلب ومنها الابتداء به اظهارا للتواضع ومنها الافشاء والتعميم لان التخصيص ايحاش والمصافحة عند السلام عادة النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم عليهما رد السلام عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم وليكون كأنه سلام من الله على نفسه أو سلام على من فيه من مؤمني الجن أو طلب السلامة ببركة اسم السلام من في البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة أن يكون المبتدئ بالسلام على الطهارة وكذا المجيب روي ان واحدا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل يوم الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي أن يسلم لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد بعضهم فلا باس ولو اقتصر واعلى الاشارة كان أحسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين سلم عليهم فان لم يكونوا متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على

القارئ كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب وكذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة العلم أو بالاذان أو الاقامة ولا يسلم

السلام والرحمة زاد في جوابه البركة وان ذكر المجموع أعاد ها فقط فان منتهى الامر في السلام أن يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك يارسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني فأين قول الله فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله تعالى أو ردوها أي أجيبوها بمثلها ورد السلام كرة رجعة اما اشارة الى هذه السورة واما الى التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام به بعض سقط عن الباقين والاولى أن يقوم به الكل اكثارا للاكرام والاحسن أن يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب على الفور بقدر ما يعد بين الايجاب والقبول في العقود فان اخر عن ذلك كان ابتداء سلام لا جوابا واذا رد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتابة أيضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر اقرأ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل قال العلماء المبتدئ يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدئ فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا انه أولى من المعرف لان المنكر في القرآن أكثر وان المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت في تسليم الانسان على نفسه قال موسى

من أجل انهم كفار وليس بينهم وبين الله عهد ولا ذمة **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد قال أخبرنا عطاء بن السائب عن ابن عباس انه قال في قول الله وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن الى آخر الآية قال كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه فيقيم فيهم وهم مشركون فيمر بهم الجيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتل فيمن يقتل فيعتق قاتله رقبة ولا دية له **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة قال هذا اذا كان الرجل المسلم من قوم عدو لكم اي ليس لهم عهد يقتل خطأ فان على من قتله تحرير رقبة مؤمنة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فان كان في أهل الحرب وهو مؤمن فقتله خطأ فعلى قاتله أن يكفر بتحرير رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين ولا دية عليه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن القتيل مسلم وقومه كفار فتحرير رقبة مؤمنة ولا يؤدى اليهم الدية فيتقوون بها عليكم وقال آخرون بل عنى به الرجل من أهل الحرب يقدم دار الاسلام فيسلم ثم يرجع الى دار الحرب فاذا مر بهم الجيش من أهل الاسلام هرب قومه وقام ذلك المسلم منهم فيها فقتله المسلمون وهم يحسبونه كافرا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة فهو المؤمن يكون في العدو من المشركين يسمعون بالسرية من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيغيرون ويثبت المؤمن فيقتل ففيه تحرير رقبة مؤمنة ۞ القول في تاويل قوله (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعني جل ثناؤه بقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وان كان القتيل الذي قتله المؤمن خطأ من قوم بينكم أيها المؤمنون وبينهم ميثاق أي عهد وذمة وليسوا أهل حرب لكم فدية مسلمة الى أهله يقول فعلى قاتله دية مسلمة الى أهله يتحملها عاقلته وتحرير رقبة مؤمنة كفارة لقتله ثم اختلف أهل التاويل في صفة هذا القتيل الذي هو من قوم بيننا وبينهم ميثاق أهو مؤمن أو كافر فقال بعضهم هو كافر الا انه لزمت قاتله ديته لان له ولقومه عهدا فواجب أداء ديته الى قومه للعهد الذي بينهم وبين المؤمنين وانها مال من أموالهم ولا يحل للمؤمنين شئ من أموالهم بغير طيب أنفسهم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول اذا كان كافرا في ذمتكم فعلى قاتله الدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب قال سمعت الزهري يقول دية الذمي دية المسلم قال وكان يتاول وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن ادريس عن عيسى بن أبي المغيرة عن الشعبي في قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله قال من أهل العهد وليس بمؤمن **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن مهدي عن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وليس بمؤمن **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فقتله أي بالذي أصاب من أهل ذمته وعهده فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله الآية **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله يقول فادوا اليهم الدية بالميثاق قال وأهل الذمة يدخلون في هذا وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين وقال آخرون بل هو مؤمن فعلى قاتله دية يؤديها الى قومه من المشركين لانهم أهل ذمة ذكر من قال ذلك **حدثني** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله

تحمل على الندب بدليل أنه لو أثيب بما هو أقل منه سقطت مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الآية يقتضي ان يثاب بالاحسن ثم

الابل وهذا القول هو الحق في ذلك لما ذكرنا من اجماع الحجة عليه وأما من الورق على أهل الورق عندنا فاثنا عشر ألف درهم وقد بينا العلل في ذلك في كتابنا كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام * وقال آخرون انما على أهل الورق من الورق عشرة آلاف درهم وأما دية المعاهد الذي بيننا وبين قومه ميثاق فان أهل العلم اختلفوا في مبلغها فقال بعضهم ديته ودية الحر المسلم سواء ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بشر بن السري عن ابراهيم بن سعد عن الزهري ان أبا بكر وعثمان رضوان الله عليهما كانا يجعلان دية اليهودي والنصراني اذا كانا معاهدين دية المسلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بشر بن السري عن الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن الحكم بن عيينة عن ابن مسعود كان يجعل دية أهل الكتاب اذا كانوا أهل ذمة كدية المسلمين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد قال سألني عبد الحميد عن دية أهل الكتاب فاخبرته ان ابراهيم قال ان ديتهم وديتنا سواء حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن ابراهيم وداود عن الشعبي انهما قالا دية اليهودي والنصراني والمجوسي مثل دية الحر المسلم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال كان يقال دية اليهودي والنصراني والمجوسي كدية المسلم اذا كانت له ذمة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد وعطاء انهما قالا دية المعاهد دية المسلم حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا المسعودي عن حماد عن ابراهيم أنه قال دية المسلم والمعاهد سواء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب قال سمعت الزهري يقول دية الذمي دية المسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن أشعث عن عامر قال دية المذمي مثل دية المسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم مثله حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال ثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن عامر وبلغه أن الحسن كان يقول دية المجوسي ثمانمائة ودية اليهودي والنصراني أربعة آلاف فقال ديتهم واحدة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الشعبي قال دية المعاهد والمسلم في كفارتهما سواء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال دية المعاهد والمسلم سواء وقال آخرون بل ديته على النصف من دية المسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عمرو بن شعيب في دية اليهودي والنصراني قال جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف دية المسلم والمجوسي ثمانمائة فقلت لعمرو بن شعيب ان الحسن يقول أربعة آلاف قال لعله كان ذلك قبل وقال انما جعل دية المجوسي بمنزلة العبد حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله الاشجعي عن سفيان عن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز قال دية المعاهد على النصف من دية المسلم وقال آخرون بل ديته على الثلث من دية المسلم ذكر من قال ذلك حدثني واصل بن عبد الاعلى قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن أبي عثمان قال وكان قاضيا لاهل مرو قال جعل عمر رضي الله عنه دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف وأربعة آلاف حدثنا عمار بن خالد الواسطي قال ثنا يحيى بن سعيد عن الاعمش عن ثابت عن سعيد بن المسيب قال قال عمر دية النصراني أربعة آلاف والمجوسي ثمانمائة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن ثابت قال سمعت سعيد بن المسيب يقول قال عمر دية أهل الكتاب أربعة آلاف ودية المجوسي ثمانمائة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي المليح ان رجلا من قومه وحي يهوديا أو نصرانيا بسهم فقتله فرفع ذلك الى

احتج الشافعي على قوله بما روى عن ابن عباس وابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل أن يعطي عطية أو يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شئ حسيبا فيحاسبكم على محافظة حقوق الهبة وغيرها فكونوا على حذر من مخالفته ثم أكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كأنه تعالى يقول من سلم عليكم وحياكم فقابلوا سلامه وأكرموه وعاملوا معه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والآخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم والتقدير الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة أي ليضمنكم اليه ويجمعن بينكم وبينه بان يبعثكم فيه والقيام والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن أصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال الواجب أولى وأحق وأقدم وأتم من غيره والمتزلة تفوا عنه الكذب بناء على أنه قبيح ومن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى أن يكذب لجر منفعة أو دفع مضرة أو هو غني عنه لانه يجهل غناه أو هو باهل بقبح أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يتعالى بما هو منطق وربما كان الكذب أحلى على

حنكهم من الصدق وكل هذه الامور من ابليسكم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم أن المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى

على المشغول بالاكل هكذا أطلق وحمله بعضهم على ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال أبو يوسف ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومعاير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو في مساومة أو معاملة واذا دخل الرجل بيته سلم على امرأته فان حضرت أجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة أو فتنة لم يجب الرد بل الاولى أن لا يفعل وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه أتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبتدأ اليهودي بالسلام وعن أبي حنيفة أنه قال لا تبتدئه بسلام في كتاب ولا في غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس في الدعاء له بما يصلحه في دنياه و رخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة أما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغي أن تقول وعليك لما روى ان اليهود تقول للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز أن يقول للكافر وعليك السلام ولا يقل و رحمة الله وانها استغفار وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه عليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش واعلم ان مذهب أبي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا أثاب منها فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالآية وذلك ان التحية تشمل جميع أنواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يصر مقابلا بالاحسن لا أقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر

مثله وقال آخرون هي أخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنات لبون وعشرون بني لبون وعشرون بنات مخاض ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي مجلز عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود قال في الخطا عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنات لبون وعشرون بني لبون وعشرون بنات مخاض حدثني واصل بن عبد الاعلى قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن عامر عن عبد الله بن مسعود في قتل الخطا مائة من الابل اخماسا خمس جذاع وخمس حقاق وخمس بنات لبون وخمس بنات مخاض وخمس بنو مخاض حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا سليمان التيمي عن أبي مجلز عن أبي عبيدة عن عبد الله قال الدية أخماس دية الخطا خمس بنات مخاض وخمس بنات لبون وخمس حقاق وخمس جذاع وخمس بنو مخاض واعتل قائلو هذه المقالة بحديث حدثنا به أبو هشام الرباعي قال ثنا يحيى بن أبي زائدة وأبو خالد الاحمر عن حجاج عن زيد بن جبير عن الخشف بن مالك عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في الدية في الخطا أخماسا قال أبو هشام قال ابن أبي زائدة عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون ابنة لبون وعشرون ابنة مخاض وعشرون بني مخاض حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى عن أبيه عن أبي اسحق عن علقمة عن عبد الله انه قضى بذلك وقال آخرون هي أرباع غير انها ثلاثون حقة وثلاثون بنات لبون وعشرون بنت مخاض وعشرون بني لبون ذكور ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثني محمد بن بكر قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عثمان وزيد بن ثابت قالا في الخطا شبه العمد أربعون جذعة خلفة وثلاثون حقة وثلاثون بنات مخاض وفي الخطا ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وعشرون بنات مخاض وعشرون بني لبون ذكور حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت في دية الخطا ثلاثون حقة وثلاثون بنات لبون وعشرون بنت مخاض وعشرون بني لبون ذكور حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال وحدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن الجميع مجمعون ان في الخطا المحض على أهل الابل مائة من الابل ثم اختلفوا في مبالغ اسنانها وأجمعوا على أنه لا يقصر بها في الذي وجبت له الاسنان عن أقل ما ذكرنا من اسنانها التي حدها الذين ذكرنا اختلافهم فيها وانه لا يجاوز بها الذي وجبت عن أعلاها واذ كان ذلك من جميعهم اجماعا فالواجب أن يكون مجزيا من لزمته دية قتل خطا أي هذه الاسنان التي اختلف المختلفون فيها أداها الى من وجبت له لان الله تعالى لم يحد ذلك بحد لا يجاوز به ولا يقصر عنه ولا رسوله الا ما ذكرت من اجماعهم فيما أجمعوا عليه فانه ليس للامام مجاوزة ذلك في الحكم بتقصير ولا زيادة وله التخيير فيما بين ذلك بما رأى الصلاح فيه للغريقين وان كانت عاقلة القاتل من أهل الذهب فان لورثة القتيل عليهم عندنا ألف دينار وعليه علماء الامصار وقال بعضهم ذلك تقويم من عمر رضي الله عنه للابل على أهل الذهب في عصره والواجب أن يقوم في كل زمان قيمتها اذا عدم الابل عاقلة القاتل واعتلوا بما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أيوب بن موسى عن مكحول قال كانت الدية ترتفع وتنخفض فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ثمانمائة دينار فقضى عمر من بعده فجعلها اثني عشر ألف درهم أو ألف دينار وأما الذين أوجبوها في كل زمان من أهل الذهب ذهبا ألف دينار فقالوا ذلك فريضة فرضها الله على لسان رسوله كما فرض الابل على أهل الابل قالوا وفي اجماع علماء الامصار في كل عصر وزمان الامن شذ عنهم على انها لا تزاد على ألف دينار ولا تنقص عنها أوضح الدليل على انها الواجبة على أهل الذهب وجوب الابل على أهل الابل لانها لو كانت قيمة لمائة من الابل لاختلف ذلك بالزيادة والنقصان لتغير اسعار

المغيرة عن ابراهيم قال العمد ما كان بحديدة وشبه العمد ما كان بخشبة وشبه العمد لا يكون الا في النفس حدثني أحمد بن حماد الدولابي قال ثنا سفيان عن عمرو عن طاوس قال من قتل في عصبية في رمي يكون منهم بحجارة أو جلد بالسياط أو ضرب بالعصى فهو خطأ دية مغلظة الخطأ ومن قتل عمدا فهو قود يديه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير ومغيرة عن الحرث وأصحابه في الرجل يضرب الرجل فيكون مريضا حتى يموت قال أسأل الشهود أنه ضربه فلم يزل مريضا من ضربته حتى مات فان كان بسلاح فهو قود وان كان بغير ذلك فهو شبه العمد وقال آخرون كل ما عمد الضارب اتلاف نفس المضروب فهو عمد اذا كان الذي ضرب الاغلب منه أنه يقتل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة عن عبيد بن عمير أنه قال وأي عمد هو أعمد من أن يضرب رجلا بعصا ثم لا يقلع عنه حتى يموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن ابراهيم قال اذا خنقه بحبل حتى يموت أو ضربه بخشبة حتى يموت فهو القود وعلة من قال كل ما عدا الحديد خطأ ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن أبي عازب عن النعمان بن بشير قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كل شئ خطأ الا السيف ولكل خطأ أرش وعلة من قال حكم كل ما قتل المضروب به من شئ حكم السيف في ان من قتل به قتيل عمد ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا أبو لوليد قال ثنا همام عن قتادة عن أنس بن مالك أن يهوديا قتل جارية على أوضاح لها بين حجرين فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقتله بين حجرين قالوا فاقاد النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل بحجر وذلك غير حديد قالوا وكذلك حكم كل من قتل رجلا بشئ الاغلب منه أنه يقتل مثل المقتول به نظير حكم اليهودي القاتل الجارية بين الحجرين * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال كل من ضرب انسانا بشئ الاغلب منه أنه يتلفه فلم يقلع عنه حتى أتلف نفسه به أنه قاتل عمدا كان المضروب به من شئ للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها فان أهل التأويل اختلفوا في معناه فقال بعضهم معناه فجزاؤه جهنم ان جازاه ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هو جزاؤه وان شاء تجاوز عنه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن بشار عن أبي صالح ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال جزاؤه ان جازاه وقال آخرون عنى بذلك رجل بعينه كان أسلم فارتد عن اسلامه وقتل رجلا مؤمنا قالوا فمعنى الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا مستحلا قتله فجزاؤه جهنم خالدا فيها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أن رجلا من الانصار قتل أخا مقيس بن ضبابة فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله قال ابن جريج وقال غيره ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ديته على بني النجار ثم بعث مقيسا وبعث معه رجلا من بني فهر في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاحتمل مقيس الفهري وكان أيدا فضرب به الارض ورضخ رأسه بين حجرين ثم ألقى ينغي قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار أرباب فارع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أظنه قد أحدث حدثا أما والله لئن كان فعل لا أؤمنه في حل ولا حرم ولا حرب فقتل يوم الفتح قال ابن جريج وفيه نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية وقال آخرون معنى ذلك الا من تاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال نبئت سعيد بن جبير أو حدثني الحكم عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال ان الرجل اذا عرف الاسلام وشرائع الاسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال الا من ندم وقال آخرون ذلك ايجاب من الله الوعيد الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا أي بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيئته وهذا ظاهر في المقصود والمعتزلة يقولون قوله أركسهم بما كسبوا أي بسبب كسبهم وفعلهم ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فاذن المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم كما يقال فلان يكفر فلانا أي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك أو المراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكرانهم بالغوا في الكفر الى أن تمنوا أن تصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء أي في الكفر والمراد فتكونون أنتم وهم سواء الا أنه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا أي حتى يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية مثل قوله صلى الله عليه وسلم أنا بري من كل مسلم قام بين أظهر المشركين وأنا برئ من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى أن فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد ونية وعن الحسن ان حكم الآية ثابت في كل من أقام في دار الحرب فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام فانما قال المحققون الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال

وقع الدور ومنها غير ذلك كاثبات الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث فاعلم ثم عاد الى حكاية أحوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل معنوى مثل مالك قائما أى ما تصنع وقيل نصب على أنه خبر كان أى مالكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار أى لا تختلفوا في كفرهم ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاسلموا وأصابوا وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد أن نخرج الى الصحراء فائذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم أحد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بان نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة تكون من مكة لا الى المدينة وعن عكرمة هم قوم أخذوا أموال المشركين وانطلقوا بها الى اليمامة وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد نزلت في أهل الافك قال الحسن سماهم المنافقون وان أظهروا الكفر باعتبار حالهم التي كانوا عليها والله أركسهم الركس والاركاس رد الشئ مقلوبا

عمر بن الخطاب فاغرم ديته أربعة آلاف وبه عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال قال عمر دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف أربعة آلاف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا بعض أصحابنا عن سعيد بن المسيب عن عمر مثله قال ثنا هشيم عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن عمر مثله قال ثنا هشيم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار أنه قال دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف والمجوسي ثمانمائة حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا عبد الملك عن عطاء مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين الصيام لمن لا يجد رقبة وأما الدية فواجبة لا يبطلها شئ

القول في تاويل قوله (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما)

يعني تعالى ذكره فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يجد رقبة مؤمنة يحررها كفارة لخطاياه في قتله من قتل من مؤمن أو معاهد لعسرته بثمنها فصيام شهرين متتابعين يقول فعليه صيام شهرين متتابعين واختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم فيه بنحو ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قال من لم يجد عتقا أو عتاقة شك أبو عاصم في قتل مؤمن خطأ قال وأنزلت في عياش بن أبي ربيعة قتل مؤمنا خطأ وقال آخرون صوم الشهرين عن الدية والرقبة قالوا وتاويل الآية فمن لم يجد رقبة مؤمنة ولا دية يسلمها الى أهلها فعليه صوم شهرين متتابعين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن زكريا عن الشعبي عن مسروق أنه سئل عن الآية التي في سورة النساء فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين صيام الشهرين عن الرقبة وحدها أو عن الدية والرقبة فقال من لم يجد فهو عن الدية والرقبة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن زكريا عن عامر عن مسروق بنحوه * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان الصوم عن الرقبة دون الدية لان دية الخطا على عاقلة القاتل والكفارة على القاتل باجماع الحجة على ذلك نقلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يقضي صوم صائم عما لزم غيره في ماله والمتابعة صوم الشهرين ولا يقطعه بافطار بعض أيامه لغير علة حائلة بينه وبين صومه ثم قال جل ثناؤه توبة من الله وكان الله عليما حكيما يعني رحمة من الله لكم الى التيسير عليكم بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبة المؤمنة اذا أعسرتم بها بايجابه عليكم صوم شهرين متتابعين وكان الله عليما حكيما يقول ولم يزل الله عليما بما يصلح عباده فيما يكلفهم من فرائضه وغير ذلك حكيما بما يقضي فيهم ويدبر

القول في تاويل قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)

يعني بذلك جل ثناؤه ومن يقتل مؤمنا عامدا قتله مريدا اتلاف نفسه فجزاؤه جهنم يقول فثوابه من قتله اياه جهنم يعني عذاب جهنم خالدا فيها يعني باقيا فيها والهاء والالف في قوله فيها من ذكر جهنم وغضب الله عليه يقول وغضب الله عليه بقتله اياه متعمدا ولعنه يقول وأبعده من رحمته وأخزاه وأعد له عذابا عظيما وذلك ما لا يعلم قدر مبلغه سواه تعالى ذكره واختلف أهل التاويل في صفة القتل الذي يستحق صاحبه أن يسمى متعمدا بعد اجماع جميعهم على أنه اذا ضرب رجل رجلا بحد حديد يجرح بحده أو يبضع ويقطع فلم يقلع عنه ضربا به حتى أتلف نفسه وهو في حال ضربه اياه به قاصد ضربه به انه عامد قتله ثم اختلفوا فيما عدا ذلك فقال بعضهم لا عمد الا ما كان كذلك على الصفة التي وصفنا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء العمد السلاح أو قال الحديد قال وقال سعيد بن المسيب هو السلاح حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال العمد ما كان بحديدة وما كان بدون حديدة فهو شبه العمد لا قود فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن

المغيرة

عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير قال اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فدخلت الى ابن عباس فسألته فقال لقد نزلت في آخر ما أنزل من القرآن وما نسخها شئ حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اياس معاوية بن قرة قال أخبرني شهر بن حوشب قال سمعت ابن عباس يقول نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم بعد قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا بسنة حدثنا ابن المثنى قال ثنا سلم بن قتيبة قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن ابن عباس قال ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال نزلت بعد الا من تاب بسنة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اياس قال ثني من سمع ابن عباس يقول في قاتل المؤمن نزلت بعد ذلك بسنة فقلت لابي اياس من أخبرك فقال شهر بن حوشب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين عن سعيد عن ابن عباس في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا قال ليس لقاتل توبة الا أن يستغفر الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية قال عطية وسئل عنها ابن عباس فزعم انها نزلت بعد الآية التي في سورة الفرقان بثماني سنين وهو قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله غفورا رحيما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن مطرف عن أبي السفر عن ناجية عن ابن عباس قال هما المهجتان الشرك والقتل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله لان الله سبحانه يقول فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أشياخه الكوفيين عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال انها لمحكمة وما تزداد الا شدة حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان ابن سعيد قال ثني هياج بن بسطام عن محمد بن عمرو عن موسى بن عقبة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت قال نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر حدثنا ابن الرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال ثني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يأتي المقتول يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه وأوداجه تشخب دما يقول يا رب دمي عند فلان فيؤخذان فيسندان الى العرش فما أدري ما يقضي بينهما ثم تلا بهذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية قال ابن عباس والذي نفسي بيده ما نسخها الله جل وعز منذ انزلها على نبيكم عليه السلام حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن عيينة عن أبي الزناد قال سمعت رجلا يحدث خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت قال سمعت أبا لك يقول نزلت الشديدة بعد الهينة بستة أشهر قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية بعد قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن أبي الزناد قال سمعت رجلا يحدث خارجة بن زيد قال سمعت أبا لك في هذا المكان بمنى يقول نزلت الشديدة بعد الهينة قال أراه بستة أشهر يعني ومن يقتل مؤمنا متعمدا بعدان الله لا يغفر أن يشرك به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال ما نسخها شئ منذ نزلت وليس له توبة * قال أبو جعفر وأولى القول في ذلك بالصواب قول من قال معناه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه ان جزاه جهنم خالدا فيها ولكنه يعفو أو يتفضل على أهل الايمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها ولكنه عز ذكره اما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار واما أن يدخله اياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فان ظن ظان ان القاتل ان وجب أن يكون داخلا في

الذين لا يقاتلونكم وهذا أنسب بقوله في صفتهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى آخر الآية اذ بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدلالة قراءة من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال أي جاؤكم قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله أن يقاتلوكم أي عن أن يقاتلوكم ثم هؤلاء الجؤن من الكفار أو من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال أبو مسلم انه تعالى لما أوجب الهجرة على كل من أسلم استثنى من له عذر وهما طائفتان احداهما الذين قصدوا الرسول صلى الله عليه وسلم للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار غالبون فصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وأفاموا عندهم الى أن يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول ولا يقاتل الرسول ولا أصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار أيضا لانهم أقارب أو لانه بقي أولاده وأزواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم أن يقتلوا أولاده وأصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم أي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن أنفسهم ان أقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن

الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة
فحكمهم حكم سائر المشركين
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
في الحل أو في الحرم ولا تتخذوا منهم
في هذه الحالة وليا يتولى شيا من
مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على
أعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية
ثم لما أمر بقتل هؤلاء الكفار
استثنى عنه موضعين الاول الا الذين
يصلون أي ينتهون ويتصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان
من دخل في عهد من كان داخلا في
عهدكم فهم أيضا داخلون في عهدكم
قال المقال وقد يدخل في الآية أن
يقصد قوم حضرة الرسول صلى
الله عليه وسلم فيتعذر عليهم ذلك
المطلوب فيلتجئوا الى قوم بينهم
وبين المسلمين عهد الى أن يجدوا
السبيل اليه والقوم هم المسلمون
وذلك انه صلى الله عليه وسلم وادع
وقت خروجه الى مكة هلال بن
عويمر الاسلمي على أن لا يعينه ولا
يعين عليه وعلى ان من وصل الى
هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل
الذي لهلال وقال ابن عباس هم بنو
بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح
وقال مقاتل هم خزاعة وخزيمة
وههنا نكتة وهي أنه تعالى رفع
السيف عن التجا الى الكفار
المصالحين فلان يدفع النار عن التجا
الى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى
وعن أبي عبيدة المراد بالوصلة
الانتساب يقال وصلت الى فلان
واتصلت به اذا انتميت اليه واعترض
عليه بان أهل مكة أكثرهم كانوا
متصلين بالرسول صلى الله عليه وسلم
من جهة النسب مع أنه كان قد أباح
دم الكفار منهم الاستثناء الثاني

لقاتل المؤمن متعمدا كائنا من كان القاتل على ما وصفته في كتابه ولم يجعل له توبة من فعله قالوا فكل
قاتل مؤمنا عمدا فله ما أوعده الله من العذاب والخلود في النار ولا توبة له وقالوا نزلت هذه الآية بعد التي
في سورة الفرقان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن يحيى الجابر
عن سالم بن أبي الجعد قال كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فاتاه رجل فناداه يا عبد الله بن عباس
ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا فقال فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا
عظيما قال أفرأيت ان تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال ابن عباس ثكلته أمه وأنى له التوبة
والهدى فوالذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول ثكلته أمه رجل قتل رجلا
متعمدا جاء يوم القيامة آخذا بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرش الرحمن يلزم قاتله
بيده الاخرى يقول سل هذا فيم قتلني والذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من
آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم وما نزل بعدها من برهان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن
عمرو بن قيس عن يحيى بن الحرث التيمي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما
فقيل له وان تاب وآمن وعمل صالحا قال وأنى له التوبة حدثنا أبو كريب قال ثنا موسى بن
داود قال ثنا همام عن يحيى عن رجل عن سالم قال كنت جالسا مع ابن عباس فسأله رجل فقال
أرأيت رجلا قتل مؤمنا متعمدا أين منزله قال جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا
عظيما قال أفرأيت ان هو تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال وأنى له الهدى ثكلته أمه والذي
نفسي بيده لسمعته يقول يعني النبي صلى الله عليه وسلم يجيء يوم القيامة معلقا رأسه باحدى يديه اما
بيمينه أو بشماله آخذا صاحبه بيده الاخرى تشخب أوداجه حيال عرش الرحمن يقول يا رب سل عبدك
هذا علام قتلني فما جاء نبي بعد نبيكم ولا نزل كتاب بعد كتابكم حدثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة
قال ثنا عثمان بن زريق عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس بنحوه الا أنه قال في
حديثه فوالله لقد أنزلت على نبيكم ثم ما نسختها شيء ولقد سمعته يقول ويل لقاتل المؤمن يجيء يوم
القيامة آخذا رأسه بيده ثم ذكر الحديث نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد
عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قال عبد الرحمن بن ابزى سئل ابن عباس عن قوله ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم فقال لم ينسخها شيء قال في هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
وقال في هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا
يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما قال نزلت في أهل الشرك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن
جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال أمرني عبد الرحمن بن ابزى أن أسأل ابن
عباس عن هاتين الآيتين فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن
منصور قال حدثني سعيد بن جبير أو حدثت عن سعيد بن جبير ان عبد الرحمن بن ابزى أمره أن
يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين الملتين في النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الى آخر
الآية والتي في الفرقان ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى ويخلد فيه مهانا قال ابن عباس اذا دخل الرجل
في الاسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمنا متعمدا فلا توبة وأما التي في الفرقان فانها لما أنزلت قال
المشركون من أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق فما ينفعنا الاسلام قال
فنزلت الا من تاب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال ما نسختها شيء
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال هي من آخر ما نزلت ما نسختها شيء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة

قوله أو جاؤكم فيه في العطف وجهان أحدهما أن يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم

الليثي لشئ كان بينه و بينه فقتله وأخذ بعيره ومتبعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه الخبر نزل فينا القرآن يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية **حدثني** هرون بن ادريس الاصم قال ثنا المحاربي عبد الرحمن ابن محمد عن محمد بن اسحق عن زيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن أبي حدرد الاسلمي عن أبيه بنحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال لحق ناس من الناس رجلا في غنيمة له فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا تلك الغنيمة فنزلت هذه الآية ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا تلك الغنيمة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس بنحوه **حدثني** سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن عمرو سمع عطاء عن ابن عباس قال لحق المسلمون رجلا ثم ذكر مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في غنيمة له فسلم عليهم فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فعمدوا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الى آخر الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال كان الرجل يتكلم بالاسلام و يؤمن بالله والرسول و يكون في قومه فاذا جاءت سرية محمد أخبر بها حيه يعني قومه فهربوا وأقام الرجل لايخاف المؤمنين من أجل انه على دينهم حتى يلقاهم فيلقي اليهم بالسلام فيقول المؤمنون لست مؤمنا وقد ألقى السلام فيقتلونه فقال الله جل وعز يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الى تبتغون عرض الحياة الدنيا يعني تقتلونه ارادة أن يحل لكم ماله الذي وجدتم معه وذلك عرض الدنيا فان عندي مغانم كثيرة فالتمسوا من فضل الله وهو رجل اسمه مرداس جلا قومه هاربين من خيل بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها رجل من بني ليث اسمه قليب لم يجئ معهم اذا لقيهم مرداس فسلم عليهم فقتلوه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهله بديته و رد اليهم ماله ونهى المؤمنين عن مثل ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وهذا الحديث في شان مرداس رجل من غطفان ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا عليهم غالب الليثي الى أهل فدك وبه ناس من غطفان وكان مرداس منهم فغر أصحابه فقال مرداس اني مؤمن واني غير متبعكم فصبحته الخيل غدوة فلما لقوه سلم عليهم مرداس فدعاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وأخذوا ما كان معه من متاع فانزل الله جل وعز في شانه ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا لان تحية المسلمين السلام بها يتعارفون و بها يحيي بعضهم بعضا **حدثنا** محمد بن الحسين قال أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها اسامة بن زيد الى بني ضمرة فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك معه غنيمة له و جل أحمر فلما رآهم آوى الى كهف جبل واتبعه اسامة فلما بلغ مرداس الكهف وضع فيه غنمه ثم أقبل اليهم فقال السلام عليكم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فشد عليه اسامة فقتله من أجل جله وغنيمته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث اسامة أحب أن يثني عليه خيرا و يسأل عنه أصحابه فلما رجعوا اليه سألهم عنه فجعل القوم يحدثون النبي صلى الله عليه وسلم و يقولون يا رسول الله لو رأيت أسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا

ج متتابعين ز لاحتمال كون توبة مصدرا لفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله ط حكيما ه عظيما ه مؤمنا ج لان مابعده

الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا القرآت فتثبتوا من التثبيت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف والباقون فتبينوا من التبيين السلم مقصورا أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير بالنصب أبو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفاهم مشددة التاء البزي وابن فليح * الوقوف الاخطا ج يصدقوا ط لابتداء حكم آخر مؤمنة ط ذلك مؤمنة

قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير أو البدل قال الكعبي

انه تعالى أخبر انه لو شاء لفعل وهذا ينبئ عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه فعل الظلم وأرادوا النزاع فيه فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم وألقوا اليكم السلم أي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين أركسوا فيها أي ردوا مقلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في حفر منكوسا تعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا أي ولم يلقوا لم يكفوا أيديهم عن ايذائكم لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على أن المعلق بكلمتان على الشرط يعدم عند عدم الشرط أما قوله سلطانا فمعناه حجة واضحة لانكشاف حالهم في الكفر والغدر أو تسلط ظاهر حيث أذنا لكم في قتلهم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يا أيها الذين الى

هذه الآية فقد يجب أن يكون المشرك داخلا فيه لان الشرك من الذنوب فان الله عز ذكره قد أخبر انه غير غافر الشرك لاحد بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والقتل دون الشرك ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم اذا ضربتم في سبيل الله يقول اذا سرتم مسيرا لله في جهاد أعدائكم فتبينوا يقول فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره فلم تعلموا حقيقة اسلامه ولا كفره ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ولا تتقدموا على قتل أحد الا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام يقول ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا لكم انه من أهل ملتكم ودعوتكم لست مؤمنا فتقتلوا ابتغاء عرض الحياة الدنيا يقول طلب متاع الحياة الدنيا فان عند الله مغانم كثيرة من رزقه وفواضل نعمه فهو خير لكم ان أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فانابكم بها على طاعتكم اياه فالتمسوا ذلك من عنده كذلك كنتم من قبل يقول كما كان هذا الذي ألقى اليكم السلام فقتلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كذلك كنتم أنتم من قبل يعني من قبل اعزاز الله دينه بتباعه وأنصاره تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله بدينه من قومه أن يظهره لهم خوفا على نفسه منهم وقد قيل ان معنى قوله كذلك كنتم من قبل كنتم كفارا مثلهم فمن الله عليكم يقول فتفضل الله عليكم باعزاز دينه بانصاره وكثرة تباعه وقد قيل فمن الله عليكم بالتوبة من قتلكم هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله بعد ما ألقى اليكم السلام فتبينوا يقول فلا تعجلوا بقتل من أردتم قتله ممن التبس عليكم أمر اسلامه فلعل الله أن يكون قد من عليه من الاسلام بمثل الذي من به عليكم وهداه لمثل الذي هداكم له من الايمان ان الله كان بما تعملون خبيرا يقول ان الله كان بقتلكم من تقتلون وكفكم عمن تكفون عن قتله من أعداء الله وأعدائكم وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم خبيرا يعني ذا خبرة وعلم به يحفظه عليكم وعليهم حتى يجازي جميعكم به يوم القيامة جزاء المحسن باحسانه والمسيء باساءته وذكر ان هذه الآية نزلت في سبب قتيل قتلته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قال اني مسلم أو بعد ما شهد شهادة الحق أو بعد ما سلم عليهم لغنيمة كانت معه أو غير ذلك من ملكه فاخذوه منه ذكر الرواية والآثار بذلك حدثنا وكيع قال ثنا جرير عن محمد بن اسحق عن نافع ان ابن عمر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم محلم بن جثامة مبعثا فلقيهم عامر بن الاضبط فحياهم بتحية الاسلام وكانت بينهم احنة في الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع يا رسول الله سن اليوم وغير غدا فقال عيينة لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاقت نساؤي فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ليستغفر له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام فهو يتلقى دموعه ببرديه فما عرضت به سابعة حتى مات ودفنوه فلفظته الارض فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال ان الارض تقبل من هو أشر من صاحبكم ولكن الله جل وعز أراد أن يعظكم ثم طرحوه بين صدفي جبل وألقوا عليه من الحجارة ونزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن زيد عن عبد الله بن قسيط عن أبي القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحرث بن ربعي ومحلم بن جثامة بن قيس الليثي فخرجنا حتى اذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له معه متبع له ووطب من لبن فلما مر عامر بن الاضبط سلم علينا بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة

٧ هكذا هذه الزيادة هنا وليس لها معنى ولا هي موجودة في رواية الدراوردي صححه

القراءة في ذلك عندنا بمعنى من استسلم لكم مذعنا لله بالتوحيد مقرا لكم بملتكم وانما اخترنا ذلك لاختلاف الرواية في ذلك وروى وروى أنه استسلم بان شهد شهادة الحق وقال اني مسلم وروى وروى أنه قال السلام عليكم فحياهم تحية الاسلام ومن روى أنه كان مسلما باسلام قد تقدم منه قبل قتلهم اياه وكل هذه المعاني يجمعها السلم لان المسلم مستسلم والمحيي بتحية الاسلام مستسلم والمتشهد شهادة الحق مستسلم لاهل الاسلام فمعنى السلم جامع جميع المعاني التي رويت في أمر المقتول الذي نزلت في شانه هذه الآية وليس كذلك في السلام لان السلام لا وجه له في هذا الموضع الا التحية فلذلك وصفنا السلم بالصواب واختلف أهل التاويل في تاويل قوله كذلك كنتم من قبل فقال بعضهم معناه كما كان هذا الذي قتلتموه بعدما ألقى اليكم السلام مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم أنتم مستخفين بادیانكم من قومكم حذرا على أنفسكم منهم فمن الله عليكم بما ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عبد الله ابن كثير عن سعيد بن جبير في قوله كذلك كنتم من قبل تستخفون بايمانكم كما استخفى هذا الراعي بايمانه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير كذلك كنتم من قبل تكتمون ايمانكم في المشركين وقال آخرون معنى ذلك كما كان هذا الذي قتلتموه بعدما ألقى اليكم السلم كنتم كفارا فهداه كما هداكم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم كفارا مثله فتبينوا وأولى هذين القولين بتاويل الآية القول الاول وهو قول من قال كذلك كنتم تخفون ايمانكم في قومكم من المشركين وأنتم مقيمون بين أظهرهم كما كان هذا الذي قتلتموه مقيما بين أظهر قومه من المشركين مستخفيا بدينه منهم وانما قلنا هذا التاويل أولى بالصواب لان الله عز ذكره انما عاتب الذين قتلوه من أهل الايمان بعد القائه اليهم السلام ولم يقدموا قاتلوه للسر الذي كان دخل في أمره على قاتليه بمقامه بين أظهر قومه المشركين وظنهم انه ألقى السلام الى المؤمنين تعوذا منهم ولم يعاتبهم على قتلهم اياه مشركا فيقال كما كان كافرا كنتم كفارا بل لو جه ذلك لان الله جل ثناؤه لم يعاتب أحدا من خلقه على قتل محارب لله ولرسوله من أهل الشرك بعد اذنه له بقتله واختلف أيضا أهل التاويل في تاويل قوله فمن الله عليكم فقال بعضهم معنى ذلك فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز أهله حتى أظهروا الاسلام بعدما كانوا يكتمونه من أهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن سفيان عن حبيب عن أبي عمرة عن سعيد بن جبير فمن الله عليكم فاظهر الاسلام وقال آخرون معنى ذلك فمن الله عليكم أيها القاتلون الذي ألقى اليكم السلام طلب عرض الحياة الدنيا بالتوبة من قتلكم اياه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فمن الله عليكم يقول تاب الله عليكم وأولى التاويلين في ذلك بالصواب التاويل الذي ذكرته عن سعيد بن جبير لما ذكرنا من الدلالة على ان معنى قوله كذلك كنتم من قبل ما وصفنا قبل فالواجب أن يكون عقيب ذلك فمن الله عليكم بدفع ما كنتم فيه من الخوف من أعدائكم عنكم باظهار دينه واعزاز أهله حتى أمكنكم اظهار ما كنتم تستخفون به من توحيده وعبادته حذرا من أهل الشرك

القول في تاويل قوله (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم) يعني جل ثناؤه بقوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الايمان بالله وبرسوله المؤثرون الدعة والخفض والقعود في منازلهم على مقاساة حزونة الاسفار والسير في الارض ومشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله وقتالهم في طاعة الله الا أهل العذر منهم ذهاب أبصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لاهلها الى ضرر الذي بهم الى قتالهم وجهادهم في سبيل الله والمجاهدون في

بعدك وحلفت لا تاكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل يقتل منه أبو جهل في الذروة والغارب ويقول أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما أخرجاه من المدينة أوثقاه بنسعة وجلده كل منهما مائة جلدة ثم قدما به على أمه فقالت والله ما أحللتك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس فاعطاهم بعض الذي أرادوا فاتاه الحارث بن زيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش من مقالته وقال له هذا أخي يعني أبا جهل فمن أنت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان أقتلك ثم ان عياشا أسلم بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة وأسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس أي شئ صنعت انه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من أمري وأمر الحارث ما علمت وانى لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن أي ما صح له ولا استقام أو ما كان له فيما أتاه من ربه وعهد اليه أو ما كان له في شئ من الازمنة ذلك والغرض بيان أن حرمة القتل كانت ثابتة من أول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مغفورا له أو الا في حال الخطأ أو الا قتلا خطأ قال أبو هاشم وهو أحد رؤساء المعتزلة

التقدير وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا أن يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي نسمة

يصلح حالا واستغهاما الدنيا ز لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة ط فتبينوا ط خبيرا ه وأنفسهم الاولى ط درجة ط الحسنى ط عفا عنهما ه لالان مابعده بدل ورحمة ط رحيما ه فيم كنتم ط في الارض ط فتهاجروا فيها ط لتناهي الاستفهام بجوابه جهنم ط مصيرا ه للاستثناء سبيلا ه لاعنهم ط غفورا ه وسعة ط على الله ط رحيما ه من الصلاة ق والاصح انه شرط تغليب في حال المسافر كفروا ط مبينا ه * التفسير لم يكن بد في مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة وأمثالها في هذه الآيات أما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة ابن اليمان قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاخطأ المسلمون وظنوا ان أباه اليمان واحد من الكفار فضربوه بأسيافهم وحذيفة يقول انه أبي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك زاد وقع حذيفة عنده ونزلت الآية وقيل نزلت في أبي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيأ فذكر الواقعة للرسول صلى الله عليه وسلم فقال هلا شققت عن قلبه وندم أبو الدرداء والذي عليه أكثر المفسرين ماذكره الكلبي ان عياش بن أبي ربيعة المخزومي أسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم أتى أطما من آطامها فتحصن فيه فجزعت أمه جزعا شديدا وأقسمت لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل

القراءة

الله محمد رسول الله فشد عليه فقتله وهو معرض عنهم فلما أكثروا عليه رفع رأسه الى اسامة فقال كيف أنت ولا اله الا الله قال يارسول الله انما قالها متعوذا تعوذ بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه قال يارسول الله انما قلبه بضعة من جسده فانزل الله عز وجل خبر هذا وأخبره انما قتله من أجل دمه وغنمه فذلك حين يقول تبتغون عرض الحياة الدنيا فلما بلغ فمن الله عليكم يقول تاب الله عليكم فحلف أسامة أن لا يقاتل رجلا يقول لا اله الا الله بعد ذلك الرجل ومالقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قال بلغني ان رجلا من المسلمين أغار على رجل من المشركين فحمل عليه فقال له المشرك اني مسلم لا اله الا الله فقتله المسلم بعد ان قالها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال للذي قتله أقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال وهو يعتذر يا نبي الله انما قالها متعوذا وليس كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهلا شققت عن قلبه ثم مات قاتل الرجل فقبر فلفظته الارض فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامرهم أن يقبروه ثم لفظته الارض حتى فعل به ذلك ثلاث مرات فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض أبت أن تقبله فالقوه في غار من الغيران قال معمر وقال بعضهم ان الارض تقبل من هو شر منه ولكن الله جعله لكم عبرة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق ان قوما من المسلمين لقوا رجلا من المشركين في غنيمة له فقال السلام عليكم اني مؤمن فظنوا أنه يتعوذ بذلك فقتلوه وأخذوا غنيمته قال فانزل الله جل وعز ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا تلك الغنيمة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير قوله يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا قال خرج المقداد بن الاسود في سرية بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمروا برجل في غنيمة له فقال اني مسلم فقتله المقداد فنزلت هذه الآية ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا قال الغنيمة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نزل ذلك في رجل قتله أبو الدرداء فذكر من قصة أبي الدرداء نحو القصة التي ذكرت عن أسامة بن زيد وقد ذكرت في تأويل قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ثم قال في الخبر ونزل الفرقان وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فقرأ حتى بلغ لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا غنمه التي كانت عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة خير من تلك الغنم الى قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قال راعي غنم لقيه نفر من المؤمنين فقتلوه وأخذوا ما معه ولم يقبلوا منه السلام عليكم فاني مؤمن حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قال حرم الله على المؤمنين أن يقولوا لمن شهد أن لا اله الا الله لست مؤمنا كما حرم عليهم الميتة فهو آمن على ماله ودمه لا ترد واعليه قوله واختلفت القراء في قراءة قوله فتبينوا فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين وبعض الكوفيين والبصريين فتبينوا بالباء والنون من التبيين بمعنى التأني والنظر والكشف عنه حتى يتضح وقرأ ذلك عظماء قراء الكوفيين فتثبتوا بمعنى التثبت الذي هو خلاف العجلة والقول عندنا في ذلك انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد وان اختلفت بهما الالفاظ لان المتثبت متبين والمتبين متثبت فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك واختلفت القراء في قراءة قوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين والكوفيين السلم بغير ألف بمعنى الاستسلام وقرأه بعض الكوفيين والبصريين السلام بالف بمعنى التحية والصواب من

قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى عبد الكريم انه سمع مقسما يحدث عن ابن عباس انه سمعه يقول لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر حدثنا القاسم قال ثنا حسين قال ثنى حجاج قال أخبرنى عبد الكريم انه سمع مقسما يحدث عن ابن عباس انه سمعه يقول لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر لما نزل غزو بدر قال عبد الله ابن أم مكتوم وهو أحد بنى حبش بن تيس الاسدى ارسول الله انا أعميان فهل لنا رخصة فنزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فسمع بذلك عبد الله بن أم مكتوم الاعمى فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد أمرك الله فى الجهاد ما قد علمت وأنا رجل ضرير البصر لا أستطيع الجهاد فهل لى من رخصة عند الله ان قعدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت فى شأنك بشئ وما أدرى هل يكون لك ولاصحابك من رخصة فقال ابن أم مكتوم اللهم انى أنشدك بصرى فانزل الله بعد ذلك على رسوله صلى الله عليه وسلم فتال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير الضرر والمجاهدون فى سبيل الله الى قوله على القاعدين درجة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد قال نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله فقال رجل أعمى يانبى الله فانا أحب الجهاد ولا أستطيع ان أجاهد فنزلت غير أولى الضرر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عبد الله بن شداد قال لما نزلت هذه الآية فى الجهاد لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال عبد الله بن أم مكتوم يارسول الله انى ضرير كما ترى فنزلت غير أولى الضرر حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ثم عذر الله أهل العذر من الناس فقال غير أولى الضرر كان منهم ابن أم مكتوم والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله الى قوله وكلا وعد الله الحسنى لما ذكر فضل الجهاد قال ابن أم مكتوم يارسول الله انى أعمى ولا أطيق الجهاد فانزل الله فيه غير أولى الضرر حدثنى المثنى قال ثنا محمد بن عبد الله النفيلى قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع لى زيدا وقل له يأتى أو يجىء بالكتف والدواة أو اللوح والدواة الشك من زهير اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله فقال ابن أم مكتوم يارسول الله ان بعينى ضررا فنزلت قبل ان يبرح غير أولى الضرر حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصرى قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء بنحوه الا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لى زيدا وليجئنى معه بكتف ودواة أو لوح ودواة حدثنى المثنى قال ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن زياد بن فياض عن أبى عبد الرحمن قال لما نزلت لا يستوى القاعدون قال عمرو بن أم مكتوم يارب ابتليتنى فكيف أصنع قال فنزلت غير أولى الضرر وكان ابن عباس يقول فى معنى غير أولى الضرر نحوا مما قلنا حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله غير أولى الضرر قال أهل الضرر ۞ القول فى تاويل قوله (فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) يعنى بقوله جل ثناؤه فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولى الضرر درجة واحدة يعنى فضيلة واحدة وذلك بفضل جهاده بنفسه فاما فيما سوى ذلك فهما مستويان كما حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال

كهو فى المحدد والعلم الضرورى حاصل بان التفاوت فى آلة الاهدار غير معتبر حجة أبى حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم ألا ان قتيل العمد والخطا قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل وهذا عام سواء كان السوط أو العصا صغيرا أو كبيرا وأجيب بان العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطا فان من ضرب رأس انسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت أقصد قتله لم يعبا بقوله الثالثة قال أبو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط فى الآية أن يكون القتل خطأ وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعى يوجب لما روى ان واثلة بن الاسقع قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحب لنا أوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار وأيضا نص الله تعالى على الكفارة فى قتل الصيد عمدا فى الحرم وفى الاحرام فاوجبها على الخاطئ بالاتفاق فههنا نص على الخاطئ فان يوجب على العامد كان أولى لانه لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قبل الرق كاحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار كما أن الميت ممنوع من التصرف مطلقا ولتحقيق هذا المعنى أوجب أن تكون الرقبة كاملة الرق وأن تكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم وعمى وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبى والنخعى لا تجزى الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى أوجب تحرير الرقبة المؤمنة والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت عن الصبى وقال الشافعى ومالك وأبو حنيفة والاوزاعى يجزى الصبى اذا كان أحد أبويه مسلما

مؤمنة والحر العتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كالانوثة في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامها وحر الوجه أكرم

سبيل الله ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا المستغرغون طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم باموالهم انفاقا لها فيما أوهن كيد أعداء أهل الايمان بالله وبانفسهم مباشرة بها قتالهم بما تكون به كلمة الله العالية وكلمة الذين كفروا السافلة واختلفت القراء في قراءة قوله غير أولي الضرر فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ومكة والشام غير أولي الضرر نصبا بمعنى الا أولي الضرر وقرأ ذلك عامة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة غير أولي الضرر برفع غير على مذهب النعت للقاعدين والصواب من القراءة في ذلك عندنا غير أولي الضرر بنصب غير لان الاخبار متظاهرة بان قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم استثناء من قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ذكر بعض الاخبار الواردة بذلك حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي اسحق عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ائتوني بالكتف واللوح فكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون وعمرو بن أم مكتوم خلف ظهره فقال هل لي من رخصة يا رسول الله فنزلت غير أولي الضرر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق عن البراء قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين جاء ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال يا رسول الله كيف وأنا أعمى فما برح حتى نزلت غير أولي الضرر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب في قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر قال لما نزلت جاء عمرو بن أم مكتوم الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ضريرا البصر فقال يا رسول الله ما تامرني فاني ضرير البصر فانزل الله هذه الآية فقال ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة حدثني محمد بن اسمعيل بن اسرائيل الدلال الرملي قال ثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة قال ثنا مسعر عن أبي اسحق عن البراء انه لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين كلمه ابن أم مكتوم فانزلت غير أولي الضرر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابن اسحق انه سمع البراء يقول في هذه الآية لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله قال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها قال فشكى اليه ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر قال شعبة وأخبرني سعد بن ابراهيم عن أبيه عن رجل عن زيد في هذه الآية لا يستوي القاعدون مثل حديث البراء حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن أبي سنان الشيباني عن أبي اسحق عن زيد بن أرقم قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله جاء ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله ما لي رخصة قال لا قال ابن أم مكتوم اللهم اني ضرير فرخص فانزل الله غير أولي الضرر وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبها يعني الكاتب حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري عن سهل بن سعد قال رأيت مروان بن الحكم جالسا فجئت حتى جلست اليه فحدثنا زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله قال فجاءه ابن أم مكتوم وهو عليها على فقال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد جاهدت قال فانزل عليه وفخذه على فخذي فثقلت فظننت أن ترض فخذي ثم سري عنه فقال غير أولي الضرر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقال يا رسول الله اني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى قد ذهب بصري قال زيد فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم قال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله حدثنا الحسن بن يحيى

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل الصواب بان قوله غير أولي الضرر استثناء الخ اه مصححه

مرضع منه وعبر عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق ودية مسلمة الى أهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي مخصوصة ببدل النفس دون سائر المتلفات وقد تستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا أن يصدقوا أي يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد والتصدق الاعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف أو الحال والعامل مسلمة أو عليه كانه قيل يجب عليه الدية أو يسلمها الا زمان التصدق أو الا متصدقين وههنا مسائل الاولى القتل على ثلاثة أقسام عمد وخطا وشبه عمد أما العمد فهو أن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاءه الى الموت سواء كان ذلك جارحا أو لم يكن وأما الخطأ فضربان أحدهما أن يقصد رمي مشرك أو طائر فاصاب مسلما والثاني أن يظنه مشركا بان كان عليه شعار الكفار فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد وأما شبه العمد فهو ان يضربه مثلا بعصا خفيفة لا تقتل غالبا فيموت منه فهذا خطأ في القتل وان كان عمدا في الضرب الثانية قال أبو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ أو شبه عمد فيكون داخلا تحت الآية فيجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي انه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل عمد عدوان أما انه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يعني القبطي اذ كز موسى فقضى عليه وأما انه عمد عدوان فظاهر فلان من ضرب رأس الانسان بحجر الرحى أو صلبه أو غرقه أو خنقه ثم قال ما قصدت قتله عدما جنا واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب قال

الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) يعنى جل ثناؤه بقوله ان الذين توفاهم الملائكة ان الذين تقبض أرواحهم الملائكة ظالمى أنفسهم يعنى مكسبى أنفسهم غضب الله وسخطه وقد بينا معنى الظلم فيما مضى قبل قالوا فيم كنتم يقول قالت الملائكة لهم فيم كنتم فى أى شئ كنتم من دينكم قالوا كنا مستضعفين فى الارض يعنى قال الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم كنا مستضعفين فى الارض يستضعفنا أهل الشرك بالله فى أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم فيمنعونا من الايمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم معذرة ضعيفة وحجة واهية قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يقول فتخرجوا من أرضكم ودوركم وتغادروا من يمنعكم بها من الايمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم الى الارض التى تمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله فتوحدوا الله فيها وتعبدوه وتتبعوا نبيه يقول الله جل ثناؤه فاولئك مأواهم جهنم أى فهؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ماواهم جهنم يقول مصيرهم فى الآخرة جهنم وهى مسكنهم وساءت مصيرا يعنى وساءت جهنم لاهلها الذين صاروا اليها مصيرا ومسكنا وماوى ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم العجزة عن الهجرة بالعسرة وقلة الحيلة وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرض الشرك الى أرض الاسلام من القوم الذين أخبر جل ثناؤه ان ماواهم جهنم أن تكون جهنم ماواهم للعذر الذى هم فيه على ما بينه تعالى ذكره ونصب المستضعفين على الاستثناء من الهاء والميم اللتين فى قوله فاولئك ماواهم جهنم يقول الله جل ثناؤه فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم يعنى هؤلاء المستضعفين يقول لعل الله أن يعفو عنهم للعذر الذى هم فيه وهم مؤمنون فتفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة اذ لم يتركوها اختيارا ولا ايثارا منهم لدار الكفر على دار الاسلام ولكن للعجز الذى هم فيه عن النقلة عنها وكان الله عفوا غفورا يقول ولم يزل الله عفوا يعنى ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بتركه العقوبة عليها غفورا ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها وذكر ان هاتين الآيتين والتى بعدها نزلت فى أقوام من أهل مكة كانوا قد أسلموا وآمنوا بالله ورسوله وتخلفوا عن الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر وعرض بعضهم على الفتنة فافتتن وشهد مع المشركين حرب المسلمين فابى الله قبول معذرتهم التى اعتذروا بها والتى بينها فى قوله خبرا عنهم قالوا كنا مستضعفين فى الارض ذكر الاخبار الواردة بصحة ما ذكرنا من نزول الآية فى الذين ذكرنا انها نزلت فيهم حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا أشعث عن عكرمة ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قال كان ناس من أهل مكة أسلموا فمن مات منهم بها هلك قال الله فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الى قوله عفوا غفورا قال ابن عباس فانا منهم وأبى منهم قال عكرمة وكان العباس منهم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فاخرجهم المشركون يوم بدر معهم فاصيب بعضهم فقال المسلمون كانوا أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية قال فكتب الى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فاعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فقرحوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فادركهم المشركون ففتنوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى حيوة أو ابن لهيعة الشك من يونس عن ابى الاسود أنه سمع مولى

الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال أبو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية فى الخطأ أيضا تجب على القاتل كما أن تحرير الرقبة أيضا عليه ويؤيده عطف الدية فى الآية على التحرير وأيضا الجناية صدرت عنه فلا يعقل تضمين غيره كما فى سائر الاتلافات وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز وأجيب باجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب أكثر الفقهاء أن دية المرأة نصف دية الرجل باجماع المعتبرين من الصحابة ولان المرأة فى الميراث وفى الشهادة نصف الرجل وكذلك فى الدية وقال الاصم وابن علية دينها مثل دية الرجل لعموم قوله من قتل مؤمنا السابعة اذا لم يوجد الابل فالواجب عند الشافعى فى الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغة ما بلغت وانما يقوم بغالب نقد البلد لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم الابل على أهل القرى فاذا غلت دفع قيمتها واذا هانت نقص من قيمتها وقال أبو حنيفة الواجب حينئذ ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وعند مالك الدراهم اثنا عشر ألفا * الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الاموال فى انه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقى بين ورثته على فرائض الله لما روى ان امرأة جاءت فى أيام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا أعلم لك شيأ انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن ورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود ورث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم

النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل اليمن ان في النفس مائة من الابل وهذه المائة اذا كان القتل خطأ خمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون جذعة وعشرون حقة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في دية الخطأ بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وأبدل أبو حنيفة وأحمد ابناء اللبون بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الاصلية وقال غيرهما الأبناء المخاض غير معتبرة في باب الزكاة فيجب أن لا يعتبر في الدية التي سببها أقوى من السبب الموجب للزكاة واتفقوا على أن الدية في العمد المحض مغلظة من ذلك التثليث في الابل وهو أن يكون ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها ومنه الحلول على قياس ابدال سائر المتلفات خلاف دية الخطأ فانها مؤجلة الثلث في السنة الاولى والثلث الآخر في السنة الثانية والباقي في السنة الثالثة استغاض ذلك عن الخلفاء الراشدين ولم ينكره أحد فكان اجماعا ومنه ثبوتها في ذمة الجاني لا تحملها العاقلة خلاف دية الخطأ فانها تكون على العاقلة لما روي ان امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت احداهما الاخرى بحجر وروى بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد والتحمل في الخطأ أولى وجهات التحمل ثلاث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على حاشية النسب وهم الاخوة وبنوهم وقال أبو حنيفة ومالك يتحمل الآباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم

أخبرنا ابن المبارك انه سمع ابن جريج يقول في فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة قال على أهل الضرر ۞ القول في تاويل قوله (وكلا وعدالله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) يعني جل ثناؤه وكلا وعدالله الحسنى وعدالله الكل من المجاهدين باموالهم وأنفسهم والقاعدين من أهل الضرر الحسنى و يعني جل ثناؤه بالحسنى الجنة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكلا وعدالله الحسنى وهي الجنة والله يؤتي كل ذي فضل فضله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال الحسنى الجنة وأما قوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فانه يعني وفضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر أجرا عظيما كما حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة قال على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر ۞ القول في تاويل قوله (درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) يعني جل ثناؤه درجات منه فضائل منه ومنازل من منازل الكرامة واختلف أهل التأويل في معني الدرجات التي قال جل ثناؤه درجات منه فقال بعضهم بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة درجات منه ومغفرة ورحمة كان يقال الاسلام درجة والاسلام في الهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال آخرون بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه الدرجات هي السبع التي ذكرها في سورة براءة ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب فقرأ حتى بلغ أحسن ما كانوا يعملون قال هذه السبع الدرجات قال وكان أول شئ فكانت درجة الجهاد مجملة فكان الذي جاهد بماله له اسم في هذه فلما جاءت هذه الدرجات بالتفصيل أخرج منها فلم يكن له منها الا النفقة فقرأ لا يصيبهم ظمأ ولا نصب وقال ليس هذا لصاحب النفقة ثم قرأ ولا ينفقون نفقة قال وهذه نفقة القاعد * وقال آخرون عنى بذلك درجات الجنة ولا ينفقون نفقة قال وهذه نفقة القاعد ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن الحسن الازدي قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن هشام بن حسان عن جبلة بن سحيم عن أبي مجيز في قوله فضل الله المجاهدين على القاعدين الى قوله درجات قال الدرجات سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة وأولى التأويلات بتاويل قوله درجات منه أن يكون معنيا به درجات الجنة كما قال ابن مجيز لان قوله تعالى ذكره درجات منه ترجمة و بيان عن قوله أجرا عظيما ومعلوم ان الاجر انما هو الثواب والجزاء واذا كان ذلك كذلك وكانت الدرجات والمغفرة والرحمة مرجعة عنه كان معلوما ان لا وجه لقول من وجه معنى قوله درجات منه الى الاعمال وزيادتها على أعمال القاعدين عن الجهاد كما قال قتادة وابن زيد واذ كان ذلك كذلك وكان الصحيح من تاويل ذلك ما ذكرنا فبين أن معنى الكلام وفضل الله المجاهدين في سبيل الله على القاعدين من غير أولي الضرر أجرا عظيما وثوابا جزيلا وهو درجات أعطاهموها في الآخرة من درجات الجنة ترفعهم بها على القاعدين بما أبلوا في ذات الله ومغفرة يقول وصفح لهم عن ذنوبهم فتفضل عليهم بترك عقوبتهم عليها و رحمة يقول و رأفة بهم وكان الله غفورا رحيما يقول ولم يزل الله غفور الذنوب عباده المؤمنين فيصفح لهم عن العقوبة عليها رحيما لهم يتفضل عليهم بنعمه مع خلافهم أمره ونهيه و ركوبهم معاصيه ۞ القول في تاويل قوله (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى

سقوط ديته وههنا الاغرض في الانفراد فيكون تكرارا محضا وأيضا لو كان المراد ذلك لما كانت الدية متحملة الى أهله لان أهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما مجملا لانه لا يدرى انه منهم في أي أمر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما وأجيب بانه لما أفرد حكم المؤمن المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكرتم أعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين تنصيصا على الفرق بينه وبين ما قبله وتنبيها على التسوية بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام وأما أهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته اليهم وأما الابهام فيزول اذا جعل من بمعنى في كما في الآية المتقدمة عليه وههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان أبا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان أي المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا روى من قضاء الصحابة ولا يخفى أن استدلال أبي حنيفة لا يتم على الثاني من قولي المفسرين في الآية وعلى القول الاول أيضا يجوز أن يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الآية الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن أن يقال الفائدة فيه أن يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية وأيضا ليقع الافتتاح والاختتام بحق الله تعالى ويترتب على التحرير قوله فمن لم يجد أي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين ومتى يعتبر الاعسار ليجوز له العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب وأما الشهران فهما هلاليان البتة تم لو ابتدأ في خلال الشهر تم المنكسر ثلاثين والمراد بالتتابع أن

ولا يهتدون سبيلا أناس من أهل مكة عذرهم الله فاستثناهم فقال أولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا قال وكان ابن عباس يقول كنت أنا وأمي من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية قال هم أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرجوا معه الى المدينة وخرجوا مع مشركي قريش الى بدر فاصيبوا يومئذ فيمن أصيب فانزل الله فيهم هذه الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعني ابن زيد عن قول الله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فقرأ حتى بلغ الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فقال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وظهر ونبع الايمان نبع النفاق معه فاتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا يا رسول الله لولا انا نخاف هؤلاء القوم يعذبوننا ويفعلون ويفعلون لاسلمنا ولكنا نشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فكانوا يقولون ذلك له فلما كان يوم بدر قام المشركون فقالوا لا يتخلف عنا أحد الا هدمنا داره واستبحنا ماله فخرج أولئك الذين كانوا يقولون ذلك القول للنبي صلى الله عليه وسلم معهم فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة قال فاما الذين قتلوا فهم الذين قال الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية كلها ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وتتركوا هؤلاء الذين يستضعفونكم أولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا قال ثم عذر الله أهل الصدق فقال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا يتوجهون له لو خرجوا الهلكوا أولئك عسى الله أن يعفو عنهم اقامتهم بين ظهري المشركين وقال الذين أسروا يا رسول الله انك تعلم انا كنا نأتيك فنشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وأن هؤلاء القوم خرجنا معهم خوفا فقال الله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم صنيعكم الذي صنعتم بخروجكم مع المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل خرجوا مع المشركين فامكن منهم والله عليم حكيم حدثني محمد بن خالد بن خداش قال ثنى أبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس أنا من المستضعفين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قال من قتل من ضعفاء كفار قريش يوم بدر حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن علي بن زيد عن عبيد الله أو ابراهيم بن عبد الله القرشي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال مؤمنون مستضعفون بمكة فقال لهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هم بمنزلة هؤلاء الذين قتلوا ببدر ضعفاء مع كفار قريش فانزل الله فيهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه وأما قوله لا يستطيعون حيلة فان معناه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا

أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أن من قتل مؤمنا خطأ فعليه تحرير رقبة وتسليم الدية ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعنى بقوله من قوم عدو لكم اما أن يكون ان هذا المقتول من سكان دار الحرب أو انه ذو نسب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل هذا المسلم يوجب الدية البتة فتعين الاول وانما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب محوج الى أن يبحث الغازي عن كل شخص من أشخاص قطان دار الحرب هل هو من المسلمين أم لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي أهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم وأما الكفارة فانها حق الله تعالى لانه أهلك انسانا مواظبا على طاعته فيلزمه اقامة آخر مقامه يمكنه المواظبة عليها أما قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ففيه قولان أحدهما أن المراد منه الذمي فعن ابن عباس هم أهل الذمة من أهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق أي على دينهم ومذهبهم وثانيهما أن المراد منه المسلم لانه عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بلزوم عطف الشيء على نفسه لان المؤمن المقتول خطأ سواء كان من أهل الحرب أو من أهل الذمة داخل تحت قوله ومن قتل مؤمنا خطأ الا انه أفرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان من حكمه ولا

لابن عباس يقول عن ابن عباس ان ناسا مسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم فيأتي السهم يرمى فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فانزل الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم حتى بلغ فتهاجروا فيها حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبو عبد الرحمن المقبري قال أخبرنا حيوة قال أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الاسدي قال قطع على أهل المدينة بعث الى اليمن فاكتتبت فيهم فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال أخبرني ابن عباس ان ناسا مسلمين كانوا مع المشركين ثم ذكر مثل حديث يونس عن ابن وهب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فهم قوم تخلفوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا أن يخرجوا معه فمن مات منهم قبل أن يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ضربت الملائكة وجهه ودبره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم الى قوله وساءت مصيرا قال نزلت في قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن أسد وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبي العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن أمية بن خلف قال لما خرج المشركون من قريش واتباعهم لمنع أبي سفيان بن حرب وعير قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأن يطلبوا ما نيل منهم يوم نخلة خرجوا معهم بشباب كارهين كانوا قد أسلموا واجتمعوا ببدر على غير موعد فقتلوا ببدر كفارا ورجعوا عن الاسلام وهم هؤلاء الذين سميناهم قال ابن جريج وقال مجاهد نزلت هذه الآية فيمن قتل يوم بدر من الضعفاء من كفار قريش قال ابن جريج وقال عكرمة لما نزل القرآن في هؤلاء النفر الى قوله وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال يعني الشيخ الكبير والعجوز والجواري الصغار والغلمان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى قوله وساءت مصيرا قال لما أسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس افد نفسك وابن أخيك قال يا رسول الله ألم نصل قبلتك ونشهد شهادتك قال يا عباس انكم خاصمتم فخصمتم ثم تلا هذه الآية ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا فيوم نزلت هذه الآية كان من أسلم ولم يهاجر فهو كافر حتى يهاجر الا المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا حيلة في المال والسبيل الطريق قال ابن عباس كنت أنا منهم من الولدان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عكرمة يقول كان ناس بمكة قد شهدوا أن لا اله الا الله فلما خرج المشركون الى بدر أخرجوهم معهم فقتلوا فانزلت فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى قوله أولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة الى المسلمين الذين بمكة قال فخرج ناس من المسلمين حتى اذا كانوا ببعض الطريق طلبهم المشركون فادركوهم فمنهم من أعطى الفتنة فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة الى المسلمين بمكة فأنزل الله في أولئك الذين أعطوا الفتنة ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا الى غفور رحيم قال ابن عيينة أخبرني محمد بن اسحق في قوله ان الذين توفاهم الملائكة قال هم خمسة فتية من قريش علي بن أمية وأبو قيس بن الفاكه وزمعة بن الاسود وأبو العاص بن منبه ونسيت الخامس حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية حدثنا ان هذه الآية أنزلت في أناس تكلموا بالاسلام من أهل مكة فخرجوا مع عدو الله أبي جهل فقتلوا يوم بدر فاعتذروا بغير عذر فأبى الله أن يقبل منهم وقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة

المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان معيسا فوسوس اليه فقال أتحشى صنعت تقتل دية أخيك فيكونون عليك مسبة اقتل الذى معك فتكون نفس بنفس وفضل الدية فرمى الظهرى بصخرة فشدخ رأسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول فى شعره

قتلت به فهرا وحملت عقله
سراة بنى النجار أرباب فارع
وأدركت ثارى واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان أول راجع

فنزلت الآية فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثانى انه يجوز عندنا أن يخلف الله وعيد المؤمنين فان خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ماقبل الآية وما بعدها فى نهى المؤمن عن قتل المؤمن فكذا هذه الآية وبان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب أن يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد وبان الكفر بالاستقلال موجب لهذا الوعيد فاى فائدة فى ضم القتل اليه واذا لا أثر للقتل فى هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من تنفس فجزاؤه جهنم وزيف الوجه الثانى بان الوعيد قسم من أقسام الخبر واذا جاز الكذب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز فى القصص والاخبار وغير ذلك لغرض المصلحة وفتح هذا الباب يفضى الى الطعن فى الشرائع قال الغزالى الآية تدل على أن جزاء القتل العمد هو ماذكر وقد يقول الرجل لغيره جزاؤك انى أفعل بك كذا الا أنى لا أفعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لدلالة سائر الآيات كقوله من يعمل سوأ يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على أنه يوصل الجزاء الى المستحقين البتة

الله تبارك وتعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قال رجل من المسلمين يومئذ وهو مريض والله مالى من عذر انى لدليل بالطريق وانى لموسر فاحملونى فحملوه فادركه الموت بالطريق فنزلت فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عكرمة يقول لما أنزل الله فى الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآيتين قال رجل من بنى ضمرة وكان مريضا أخرجونى الى الروح فاخرجوه حتى اذا كان بالحصاص مات فنزل فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المنذر بن ثعلبة عن على بن أحمر اليشكرى قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله قال نزلت فى رجل من خزاعة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الضحاك فى قول الله جل وعز ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله قال لما سمع رجل من أهل مكة ان بنى كنانة قد ضربت وجوههم وأدبارهم الملائكة قال لاهله أخرجونى وقد أذنف للموت قال فاحمل حتى انتهى الى عقبة قد سماها فتوفى فانزل الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال لما سمع بهذه يعنى بقوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الى قوله وكان الله عفوا غفورا ضمرة بن جندب الضمرى قال لاهله وكان وجعا ارحلوا راحلتى فان الاخشبين قد غمانى يعنى جبلى مكة لعلى ان أخرج فيصيبنى روح فقعد على راحلته ثم توجه نحو المدينة فمات بالطريق فانزل الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وأما حين توجه الى المدينة فانه قال اللهم انى مهاجر اليك والى رسولك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية يعنى قوله ان الذين توفاهم الملائكة قال جندب بن ضمرة الجندعى اللهم أبلغت فى المعذرة والحجة ولا معذرة لى ولا حجة قال ثم خرج وهو شيخ كبير فمات ببعض الطريق فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات قبل أن يهاجر فلا ندرى أعلى ولاية أم لا فنزلت ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله حدث عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول لما أنزل الله فى الذين قتلوا مع مشركى قريش ببدر ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية سمع بما أنزل الله فيهم رجل من بنى ليث كان على دين النبى صلى الله عليه وسلم مقيما بمكة وكان ممن عذر الله كان شيخا كبيرا وضيئا فقال لاهله ما أنا بمبائت الليلة بمكة فخرج به مريضا حتى اذا بلغ التنعيم من طريق المدينة أدركه الموت فنزل فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة قال هاجر رجل من بنى كنانة يريد النبى صلى الله عليه وسلم فمات فى الطريق فضرب به قومه واستهزؤا به وقالوا الا هو بلغ الذى يريد ولا هو أقام فى أهله يقومون عليه ويدفن قال فنزل القرآن ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فكان بمكة رجل يقال له ضمرة من بنى بكر وكان مريضا فقال لاهله أخرجونى من مكة فانى أجد الحر فقالوا أين نخرجك فاشار بيده نحو المدينة فنزلت هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الى آخر الآية حدثنى الحارث بن أبى اسامة قال ثنا

هذا الجواب ايضا لدلالة سائر الآيات كقوله من يعمل سوأ يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على أنه يوصل الجزاء الى المستحقين البتة

لا يفطر يوما منهما فلو أفطر ولو بالمرض وجب الاستئناف الا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس وهن مسيرون ان الصوم بدل من

عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة في قوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا طريقا الى المدينة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يهتدون سبيلا طريقا الى المدينة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي الحيلة المال والسبيل الطريق الى المدينة وأما قوله ان الذين توفاهم الملائكة ففيه وجهان أحدهما أن يكون توفاهم في موضع نصب بمعنى المضي لان فعل منصوبة في كل حال والآخر أن يكون في موضع رفع بمعنى الاستقبال يراد به ان الذين تتوفاهم الملائكة فتكون أحد التاءين من توفاهم محذوفة وهي مرادة في الكلمة لان العرب تفعل ذلك اذا اجتمعت تاآن في أول الكلمة ربما حذفت احداهما وأثبتت الاخرى وربما أثبتتهما جميعا ۞ القول في تأويل قوله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) يعني جل ثناؤه بقوله ومن يهاجر في سبيل الله ومن يفارق أرض الشرك وأهلها هاربا بدينه منهما ومنهم الى أرض الاسلام وأهلها المؤمنين في سبيل الله يعني في منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه وذلك الدين القيم يجد في الارض مراغما كثيرا يقول يجد هذا المهاجر في سبيل الله مراغما كثيرا وهو المضطرب في البلاد والمذهب يقال منه راغم فلان قومه مراغما ومراغمة مصدر ومنه قول نابغة بني جعدة

كطود يلاذ بأركانه * عزيز المراغم والمهرب

وقوله وسعة فانه يحتمل السعة في أمر دينهم بمكة وذلك منعهم اياهم من اظهار دينهم وعبادة ربهم علانية ثم أخبر جل ثناؤه عمن خرج مهاجرا من أرض الشرك فارا بدينه الى الله والى رسوله ان أدركته منيته قبل بلوغه أرض الاسلام ودار الهجرة فقال من كان كذلك فقد وقع أجره على الله وذلك ثواب عمله وجزاء هجرته وفراق وطنه وعشيرته الى دار الاسلام وأهل دينه يقول جل ثناؤه ومن يخرج مهاجرا من داره الى الله والى رسوله فقد استوجب ثواب هجرته ان لم يبلغ دار هجرته باخترام المنية اياه قبل بلوغه اياها على ربه وكان الله غفورا رحيما يقول لم يزل الله تعالى ذكره غفورا يعني ساتر ذنوب عباده المؤمنين بالعفو لهم عن العقوبة عليها رحيما بهم رفيقا وذكر ان هذه الآية نزلت بسبب بعض من كان مقيما بمكة وهو مسلم فخرج لما بلغه ان الله أنزل الآيتين قبلها وذلك قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى قوله وكان الله عفوا غفورا فمات في طريقه قبل بلوغه المدينة ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله قال كان رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص او العيس بن ضمرة بن زنباع قال فلما أمروا بالهجرة كان مريضا فأمر أهله ان يغرشوا له على سريره ويحملوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ففعلوا فأتاه الموت وهو بالتنعيم فنزلت هذه الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير انه قال نزلت هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله في ضمرة بن العيص بن الزنباع أو فلان بن ضمرة بن العيص بن الزنباع حين بلغ التنعيم مات فنزلت فيه حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن العوام التيمي بحديث يعقوب عن هشيم قال وكان رجلا من خزاعة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة الآية قال لما أنزل الله هؤلاء الآيات ورجل من المؤمنين يقال له ضمرة بمكة قال والله ان لي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها وانى لا هتدي أخرجوني وهو مريض حينئذ فلما جاوز الحرم قبضه الله فمات فنزل

لا يفطر يوما منهما فلو أفطر ولو بالمرض وجب الاستئناف الا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس وهن مسيرون ان الصوم بدل من بمجموع الرقبة والدية توبة من الله أي شرع لكم ما شرع قبولا من الله ورحمة من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطأ أنه لا يخلو من ترك احتياط ومن ندم وأسف على ما فرط منه ويجوز أن يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه أي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم التوبة وكان الله عليما بأنه لم يقصد ولم يتعمد حكيما محكما الفعل لا يؤاخذ الانسان بما لا يختار ولا يتعمد وعند المعتزلة معنى الحكيم ان أفعاله واقعة على قانون الحكمة وقضية العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطأ أردفه ببيان حكم القتل العمد وله أحكام وجوب الدية والكفارة عند غير أبي حنيفة ومالك والقصاص كما مر في البقرة فلا حرم اقتصرنا ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الآية من التخويف والتهديد فلا حرم تمسكت الوعيدية بها في القطع بخلود الفاسق في النار وأجيب بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن مقيس بن ضبابة وجد أخاه قتيلا في بني النجار وكان مسلما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولا من بني فهر وقال له ائت بني النجار فاقرأهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام ابن ضبابة أن تدفعوه الى أخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا أن تدفعوا اليه الدية فأبلغهم الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه الدية فأعطوه مائة من الابل ثم انصرف راجعا الى

يدركه الموت فقد وقع أجره على الله انها حكم فى الغازى يخرج للغزو فيدركه الموت بعد ما يخرج من منزله فاصلا فيموت ان له سهمه من المغنم وان لم يكن شهد الوقعة كما حدثنى المثنى قال ثنا يوسف بن عدى قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ان اهل المدينة يقولون من خرج فاصلا وجب سهمه وتاولوا قوله تبارك وتعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ۞ القول فى تاويل قوله (واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) يعنى جل ثناؤه بقوله واذا ضربتم فى الارض واذا سرتم أيها المؤمنون فى الارض فليس عليكم جناح يقول فليس عليكم حرج ولا اثم أن تقصروا من الصلاة يعنى أن تقصروا من عددها فتصلوا ما كان لكم عدده منها فى الحضر وأنتم مقيمون أربعا اثنتين فى قول بعضهم وقيل معناه لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة الى عددها فى حال ضربكم فى الارض أشار الى واحدة فى قول آخرين وقال آخرون معنى ذلك لا جناح عليكم أن تقصروا من حدود الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا يعنى ان خشيتم أن يفتنكم الذين كفروا فى صلاتكم وفتنتهم اياهم فيها حملهم عليهم وهم فيها ساجدون حتى يقتلوهم أو ياسروهم فيمنعوهم من اقامتها وأدائها ويحولوا بينهم وبين عبادة الله واخلاص التوحيد له ثم أخبرهم جل ثناؤه مما عليه أهل الكفر لهم فقال ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا يعنى الجاحدون وحدانية الله كانوا لكم عدوا مبينا يقول عدوا قد أبانوا لكم عداوتهم بمناصبتهم لكم الحرب على ايمانكم بالله وبرسوله وتركيكم عبادة ما يعبدون من الاوثان والاصنام ومخالفتكم ما هم عليه من الضلالة واختلف أهل التأويل فى معنى القصر الذى وضع الله الجناح فيه عن فاعله فقال بعضهم فى السفر من الصلاة التى كان واجبا اتمامها فى الحضر أربع ركعات وأذن فى قصرها فى السفر الى اثنتين ذكر من قال ذلك حدثنى عبيد الله بن اسمعيل الهبارى قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ابن جريج عن ابن أبى عمار عن عبد الله بن بابيه عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت حتى سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ابن جريج عن ابن أبى عمار عن عبد الله بن بابيه عن يعلى بن أميه عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا محمد بن أبى عدى عن ابن جريج قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار يحدث عن عبد الله بن بابيه يحدث عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب أعجب من قصر الناس الصلاة وقد أمنوا وقد قال الله تبارك وتعالى أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال عمر عجبت مما عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته حدثنا ابن بشار قال ثنا هشام بن عبد الملك قال ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبى العالية قال سافرت الى مكة فكنت أصلى ركعتين فلقينى قراء من أهل هذه الناحية فقالوا كيف تصلى قلت ركعتين قالوا أسنة أو قرآن قلت كل ذلك سنة وقرآن قلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قالوا انه كان فى حرب قلت قال الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون وقال واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة فقرأ حتى اذا بلغ فاذا اطمأننتم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا يوسف عن أبى روق عن أبى أيوب عن على قال سأل قوم من التجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب فى الارض فكيف نصلى فانزل الله واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحى فلما كان بعد ذلك تحول النبى صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو أم كاذب قال وكنت أعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم عادوا فحفروا له فاعمقوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين أو ثلاثا فلما رأوا أن الارض لا تقبله ألقوا عليه الحجارة قال الحسن ان الارض تجن من هو شر منه ولكن وعظ القوم أن لا يعودوا وعن سعيد ابن جبير قال خرج المقداد بن الاسود فى سرية فاذا هم برجل فى غنيمة له فاراد وا قتله فقال لا اله الا الله فقتله المقداد فقيل له أقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ودلوفر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت فى واقعته وعن أبى عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أشرع أحدكم الرمح الى الرجل فان كان سنانه عند نقرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الآية وقال أبو حنيفة اسلام الصبى يصح لاطلاق الآية وقال الشافعى لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا فى الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يبلغ وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودى والنصرانى أنا مؤمن أو مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد أن الايمان والاسلام هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول

ولان قوله وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما صريح في انه تعالى سيفعل به ذلك لا سيما وقد أخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم أنه كالواقع ولنا كذا هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من أقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب محجو بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهملوا فيه عن غير روية ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام وهو والسلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية يعني سلام أهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك وأسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف أنت اذا خاصمك يوم القيامة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي أقتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله حتى تمنيت لو أن اسلامي كان يومئذ فنزلت الآية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم أوجره

عبد العزيز بن أبان قال ثنا قيس عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر قال رخص فيها قوم من المسلمين ممن كان بمكة من أهل الضرر حتى نزلت فضيلة لمجاهدين على القاعدين فقالوا قد بين الله فضيلة المجاهدين على القاعدين و رخص لاهل الضرر حتى نزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى قوله وساءت مصيرا قالوا هذه موجبة حتى نزلت الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فقال ضمرة بن بغيض الذبي أحد بني ليث وكان مصاب البصر انى لذو حيلة لي مال ولي رقيق فاحملوني فخرج وهو مريض فادركه الموت عند التنعيم فدفن عند مسجد التنعيم فنزلت فيه هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الآية واختلف أهل التأويل في تاويل المراغم فقال بعضهم هو التحول من أرض الى أرض ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله مراغما كثيرا قال المراغم التحول من الارض الى الارض حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله مراغما كثيرا يقول متحولا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله يجد في الارض مراغما كثيرا قال متحولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن أو قتادة مراغما كثيرا قال متحولا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يجد في الارض مراغما كثيرا قال مندوحة عما يكره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال مراغما كثيرا قال مزحزحا عما يكره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مراغما كثيرا قال متزحزحا عما يكره وقال آخرون مبتغى معيشة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يجد في الارض مراغما كثيرا يقول مبتغى للمعيشة وقال آخرون المراغم المهاجر ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله المراغم المهاجر * قال أبو جعفر وقد بينا أولى الاقوال في ذلك بالصواب فيما مضى قبل واختلفوا أيضا في معنى السعة التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال وسعة فقال بعضهم هي السعة في الرزق ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مراغما كثيرا وسعة قال السعة في الرزق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله مراغما كثيرا وسعة قال السعة في الرزق حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وسعة يقول سعة في الرزق وقال آخرون في ذلك ما حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة اي والله من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر ان من هاجر في سبيله يجد في الارض مضطربا ومتسعا وقد يدخل في السعة السعة في الرزق والغنى من الفقر ويدخل فيه السعة من ضيق الهم والكرب الذي كان فيه أهل الايمان بالله من المشركين بمكة وغير ذلك من معاني السعة التي هي بمعنى الروح والفرج من مكروه ما كره الله للمؤمنين بمقامهم بين ظهري المشركين وفي سلطانهم ولم يضع الله دلالة على انه عنى بقوله وسعة بعض معاني السعة التي وصفنا فكل معاني السعة التي هي بمعنى الروح والفرج مما كانوا فيه من ضيق العيش وغم جوار أهل الشرك وضيق الصدر بتعذر اظهار الايمان بالله واخلاص توحيده وفراق الانداد والآلهة داخل في ذلك وقد تاول قوم من أهل العلم هذه الآية أعني قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم

الاولى فعاقبوا السجود كما فعلوا أول مرة وقصر العصر الى ركعتين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان والمشركون بضجنان فتواقفوا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الظهر ركعتين ركوعهم وسجودهم وقيامهم جميعا فهم بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم فانزل الله تبارك وتعالى فلتقم طائفة منهم معك فصلى بهم صلاة العصر فصف أصحابه صفين ثم كبر بهم جميعا ثم سجد الاولون بسجوده والآخرون قيام لم يسجدوا حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم ثم كبر لهم وركعوا جميعا فتقدم الصف الآخر واستأخر الصف المقدم فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مرة وقصرت صلاة العصر الى ركعتين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد قال فصلينا الظهر فقال المشركون كانوا على حال لو أردنا لاصبنا غرة لاصبنا غفلة فانزلت آية القصر بين الظهر والعصر فاخذ الناس السلاح وصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلي القبلة والمشركون مستقبلهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبروا جميعا ثم ركع وركعوا جميعا ثم رفع رأسه فرفعوا جميعا ثم سجد وسجد الصف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونهم فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء ثم نكص الصف الذي يليه وتقدم الآخرون فقاموا في مقامهم فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم فركعوا جميعا ثم رفع رأسه فرفعوا جميعا ثم سجد وسجد الصف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونهم فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء الآخرون ثم استووا معه فقعدوا جميعا ثم سلم عليهم جميعا فصلاها بعسفان وصلاها يوم بني سليم حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان النحوي عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي وعن اسرائيل عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ثم ذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة عن سليمان اليشكري انه سأل جابر بن عبد الله عن اقصار الصلاة أي يوم أنزل أو أي يوم هو فقال جابر انطلقنا نتلقى عير قريش آتية من الشام حتى اذا كنا بنخل جاء رجل من القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قال نعم قال هل تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله يمنعني منك قال فسل السيف ثم هدده وأوعده ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح ثم نودي بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة من القوم وطائفة أخرى يحرسونهم فصلى بالذين يلونه ركعتين ثم تاخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا في مصاف أصحابهم ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم ثم سلم فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين فيومئذ أنزل الله في اقصار الصلاة وأمر المؤمنين باخذ السلاح * وقال آخرون بل عنى بما اقصر صلاة الخوف في حال غير شدة الخوف الا انه عنى به القصر في صلاة السفر لا في صلاة الاقامة قالوا وذلك ان صلاة السفر في غير حال الخوف ركعتان تمام غير قصر كما ان صلاة الاقامة أربع ركعات في حال الاقامة قالوا فقصرت في السفر في حال الامن غير الخوف عن صلاة المقيم فجعلت على النصف وهي تمام في السفر ثم قصرت في حال الخوف في السفر عن صلاة الامن فيه فجعلت على النصف ركعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا الى قوله عدوا مبينا ان الصلاة اذا صليت ركعتين في السفر فهو تمام والتقصير لا يحل الا ان تخاف من الذين كفروا أن يفتنوك عن الصلاة والتقصير ركعة يقوم الامام ويقوم جنده جندين طائفة تخلفه وطائفة توازن العدو فيصلي بمن معه ركعة ويمشون اليهم على أدبارهم حتى يقوموا في مقام أصحابهم وتلك المشية القهقرى ثم تاتي الطائفة الاخرى فتصلي مع الامام ركعة أخرى ثم يجلس الامام فيسلم فيقومون فيصلون لانفسهم

قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم أعاد الامر بالتبيين مبالغة في التحذير ثم حذر عن الاضمار خلاف الاظهار فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه ولما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم وبدر عنهم كان مظنة أن يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد فذكر من فضل الجهاد ما يزيح علتهم ويزيد رغبتهم أو نقول لما نهاهم عما نهاهم اتبعه فضيلة الجهاد ليبلغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم فكيف وأنا أعمى لا أبصر قال زيد فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فاتكأ على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان في البنية كعمى وعرج ومرض أو بسبب عدم الاهبة من قر أغير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين أو على الحال عنهم ومن قرأ بالرفع فعلى أنه صفة للقاعدين ويجوز أن يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز أن يكون رفعا على جهة الاستثناء والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون بدليل قوله صلى الله

هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها فى أثرها فانزل الله تبارك وتعالى بين الصلاتين ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الى قوله ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف قال أبو جعفر وهذا تاويل للآية حسن لو لم يكن فى الكلام واذا ولكن قوله واذا آذن بانقطاع ما بعدها عن معنى ما قبلها ولو لم يكن فى الكلام اذا كان معنى الكلام على هذا التأويل الذى رواه سيف عن أبى روق ان خفتم أيها المؤمنون أن يفتنكم الذين كفروا فى صلاتكم وكنت فيهم يا محمد فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية وبعد فان ذلك فيما ذكر فى قراءة أبى بن كعب واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا حدثنى بذلك الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثورى عن واصل بن حيان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه عن أبى بن كعب انه كان يقرأ أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا ولا يقرأ ان خفتم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن شرود عن الثورى عن واصل الاحدب عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى بن كعب انه قرأ أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم قال بكر وهى فى الامام مصحف عثمان رحمه الله ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وهذه القراءة تنبئ على ان قوله ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا موصول قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وان معنى الكلام واذا ضربتم فى الارض فان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وان قوله واذا كنت فيهم فصة مبتدأة غير قصة هذه الآية وذلك أن تاويل قراءة أبى هذه التى ذكرناها عنه واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن لا يفتنكم الذين كفروا فحذفت لا لدلالة الكلام عليها كما قال جل ثناؤه يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا ففيما وصفنا دلالة بينة على فساد التأويل الذى رواه سيف عن أبى روق وقال آخرون بل هو القصر فى السفر غير انه انما أذن جل ثناؤه به للمسافر فى حال خوفه من عدو يخشى أن يفتنه فى صلاته ذكر من قال ذلك حدثنى أبو عاصم عمران بن محمد الانصارى قال ثنا عبد الكريم بن عبد المجيد قال ثنى عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال سمعت أبى يقول سمعت عائشة تقول فى السفر أتموا صلاتكم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى السفر ركعتين فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى خوف وكان يخاف هل تخافون أنتم حدثنى محمد عن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنا ابن أبى ذؤيب عن ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لعبد الله بن عمر انا نجد فى كتاب الله قصر الصلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر فقال عبد الله انا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملا عملنا به حدثنا على بن سهل الرملى قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة كانت تصلى فى السفر ركعتين حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنى أبى قال ثنا ابن جريج قال قلت لعطاء أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتم الصلاة فى السفر قال عائشة وسعد بن أبى وقاص * وقال آخرون بل عنى بهذه الآية قصر صلاة الخوف فى غير حال المسايفة قالوا وفيها نزل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة قال قوم كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان والمشركون بضجنان فتواقفوا فصلى النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الظهر ركعتين أو أربعا شك أبو عاصم ركوعهم وسجودهم وقيامهم جميعا فهم هم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم فانزل الله عليه فلتقم طائفة منهم معك فصلى العصر فصف أصحابه صفين ثم كبر بهم جميعا ثم سجد السجدة الاولى بسجدة والآخرون قيام ثم سجد الآخرون حين قام النبى صلى الله عليه وسلم ثم كبر بهم وركعوا جميعا فتقدم الصف الآخر واستأخر

باطل وأن الدين الذى هو موجود فيما بين المسلمين حق تبتغون عرض الحياة الدنيا قال أبو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر يأخذ منها البر والفاجر سمى عرضا لانه عارض زائل غير باق ومنه العرض لمقابل الجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام متعوذا به لتأخذوا ماله وقيل يريد ما أعد لعباده من حسن الثواب فى الآخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا فى وجه الشبه فقال الاكثرون يريد انكم أول ما دخلتم فى الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان وان صرتم اعلا مما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين فى الاسلام مافعل بكم واعترض بان لهم أن يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا آمنا بالاختيار وهؤلاء أظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه أحدهما بالآخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم كما أخفى ايمانه هذا الراعى عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى أظهرتم دينكم وأورد عليه أن اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفى التفسير الكبير المراد انكم فى أول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف بسبب ضعف الاسلام فمن الله عليكم بتقوية دليل الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء قد حدث لهم ميل ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى أن يتكامل رغبتهم فيهم وقيل

للوعد وانتصب أجرا بنفضل لان التفضيل يدل على الاجر وهو مناسؤال وهو انه لم ذكر أولا
قال ثنا سعيد بن عبيد الهنائي قال ثنا عبد الله بن شقيق قال ثنا أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون ان لهؤلاء صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر فاجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلي ببعضهم وتقوم طائفة أخرى وراءهم فيأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم يأمر الاخرى فيصلوا معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم فيكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وقال آخرون عنى به القصر في السفر الا أنه عنى به القصر في شدة الحرب وعند المسايفة فابيح عند التحام الحرب للمصلي أن يركع ركعة ايماء برأسه حيث توجه بوجهه قالوا فذلك معنى قوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا ضربتم في الارض الآية قصر الصلاة ان لقيت العدو وقد كانت الصلاة ان تكبر الله وتخفض رأسك ايماء راكبا كنت أو ماشيا * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال التي ذكرناها بتاويل الآية قول من قال عنى بالقصر فيها القصر من حدودها وذلك ترك اتمام ركوعها وسجودها واباحة أدائها كيف أمكن أداؤها مستقبل القبلة فيها ومستدبرها راكبا وماشيا وذلك في حال الشبكة والمسايفة والتحام الحرب وتزاحف الصفوف وهي الحالة التي قال الله تبارك وتعالى فان خفتم فرجالا أو ركبانا وأذن بالصلاة المكتوبة فيها راكبا ايماء بالركوع والسجود على نحو ما روي عن ابن عباس من تاويله ذلك وانما قلنا ذلك أولى التاويلات بقوله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا لدلالة قول الله تعالى فاذا اطمانتم فاقيموا الصلاة على ان ذلك كذلك لان اقامتها اتمام حدودها من الركوع والسجود وسائر فروضها دون الزيادة في عددها التي لم تكن واجبة في حال الخوف فان ظن ظان ان ذلك أمر من الله باتمام عددها الواجب عليه في حال الامن بعد زوال الخوف وقد يجب أن يكون المسافر في حال قصره صلاته عن صلاة المقيم غير مقيم صلاته لنقص عدد صلاته من الاربع اللازمة كانت له في حال اقامته الى الركعتين وذلك قول ان قاله قائل مخالف لما عليه الامة مجمعة من ان المسافر لا يستحق أن يقال له اذا أتى بصلاته بكمال حدودها المفروضة عليه فيها وقصر عددها عن أربع الى اثنتين أنه غير مقيم صلاته واذا كان ذلك كذلك وكان الله تعالى قد أمر الذي أباح له أن يقصر صلاته خوفا من عدوه أن يفتنه أن يقيم صلاته اذا اطمان وزال الخوف كان معلوما ان الذي فرض عليه من اقامة ذلك في حال الطمانينة غير الذي كان أسقط عنه في حال الخوف واذ كان الذي فرض عليه في حال الطمانينة اقامة صلاته فالذي أسقط عنه في غير حال الطمانينة ترك اقامتها وقد دللنا على ان ترك اقامتها انما هو ترك حدودها على ما بينا ۞ القول في تاويل قوله (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني بذلك جل ثناؤه واذا كنت في الضاربين في الارض من أصحابك يا محمد الخائفين عدوهم أن يفتنهم فاقمت لهم الصلاة يقول فاقمت لهم الصلاة بحدودها وركوعها وسجودها ولم تقصرها القصر الذي أبحت لهم أن يقصروها في حال تلاقيهم وعدوهم وتزاحف بعضهم على بعض من ترك اقامة حدودها وركوعها وسجودها وسائر فروضها فلتقم طائفة منهم معك يعني فلتقم فرقة من أصحابك الذين تكون أنت فيهم معك في صلاتك وليكن سائرهم في وجوه العدو وترك ذكر ما ينبغي لسائر الطوائف غير المصلية مع النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعله لدلالة الكلام المذكور على المراد به والاستغناء بما ذكر عما ترك ذكره وليأخذوا أسلحتهم

درجة وثانيا درجات وأجيب بان اللام في قوله أولا على القاعدين للعهد والمراد بهم أولو الضرر وقوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنسها الذي يشمل الكثير بالنوع وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا رضي الله عنه أفضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون بما اشتهر من وقائعه وأيامه وشجاعته وجاسته أجاب أهل السنة بان جهاد أبي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا وأما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام في ذلك الوقت قويا والحق انه لا دلالة الآية الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين أما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا فالآية ههنا قد ظهر من الآية أن التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فان الثواب هو العمل ولهذا سمي أجرا وأجيب بان العمل علة الثواب لكن لا لذاته بل بجعل الشارع ذلك العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل أفضل من الاشتغال بالنكاح لان تركه وفضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح قاعد فالاشتغال بالجهاد المندوب أفضل منه

عليه وسلم عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم أولئك أقوام حبسهم العذر وعنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى أن يبرأ أو يعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال وذكر وافي معنى قوله نية المؤمن أبلغ من عمله أن ما ينويه المؤمن أبلغ من عمله انما ينويه المؤمن من دوامه على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي أبدا خيرا من عمله الذي أدركه في مدة حياته قيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وههنا أخر لان النفس أشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها أشد والبائع أخر تنبيها على ان المماكسة فيها أشد فلا يرضى ببذلها الا في آخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان تبيين ما بينهما من التفاوت ليهتم القاعد للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم ثم ان عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل مالهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة تدل على التفضيل وقيل حال أي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض أي بدرجة وقيل على الظرف أي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد أهلا قال

ركعة ثم يرجعون الى صفهم ويقوم الآخرون فيصيفون الى ركعتهم ركعة والناس يقولون لابل هي ركعة واحدة لا يصلي أحد منهم الى ركعته شيأ تجزيه وركعة الامام فيكون للامام ركعتين ولهم ركعة فذلك قول الله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الى قوله وخذوا حذركم **حدثني** أحمد بن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك الحنفي قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال ركعتان تمام غير قصر انما القصر صلاة الخافة فقلت وما صلاة الخافة قال يصلي الامام بطائفة ركعة ثم يجيء هؤلاء ويجيء هؤلاء مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة فيكون للامام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال كيف تكون قصرا وهم يصلون ركعتين انما هي ركعة **حدثني** سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثنا المسعودي قال ثني يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله قال صلاة الخوف ركعة **حدثني** أحمد بن عبد الرحمن قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث قال ثني بكر بن سوادة أن زياد بن نافع حدثه عن كعب وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعت يده يوم اليمامة ان صلاة الخوف لكل طائفة ركعة وسجدتان واعتل قائلها هذه المقالة من الآثار بما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني أشعث بن أبي الشعثاء عن الاسود بن هلال عن ثعلبة بن زهدم اليربوعي قال كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال أيكم يحفظ صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوف فقال حذيفة أنا فاقامنا خلفه صفا وصف موازي العدو فصلى بالذين يلونه ركعة وذهب هؤلاء الى مصاف أولئك وجاء أولئك فصلى بهم ركعة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن الركين بن الربيع عن القاسم ابن حسان قال سألت زيد بن ثابت عنه فحدثني بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاشعث عن الاسود بن هلال عن ثعلبة بن زهدم اليربوعي عن حذيفة بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثني يحيى قال ثنا سفيان قال ثني أبو بكر بن أبي الجهم عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بذي قرد فصف الناس خلفه صفين صفا خلفه وصفا موازي العدو فصلى بالذين خلفه ركعة ثم انصرف هؤلاء الى مكان هؤلاء وجاء أولئك فصلى بهم ركعة ولم يقضوا **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق الازرق عن شريك عن أبي بكر بن صخير عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس مثله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا أبو عوانة عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم عليه السلام في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنا** نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا المحاربي عن أيوب بن عائذ الطائي عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنا** يعقوب بن ماهان قال ثنا القاسم بن مالك عن أيوب بن عائذ الطائي عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام صف بين يديه وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا مقام أصحابهم وجاء أولئك حتى قاموا مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ثم سلم فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة **حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث ان بكر بن سوادة حدثه عن زياد بن نافع حدثه عن أبي موسى ان جابر بن عبد الله حدثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف يوم محارب وثعلبة لكل طائفة ركعة وسجدتين **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الصمد

سهل بن أبي حثمة قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في خوف فجعلهم خلفه صفين فصلى بالذين يلونه ركعة ثم قام فلم يزل قائما حتى صلى الذين خلفه ركعة ثم تقدموا وتخلف الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة ثم جلس حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا روح قال ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الخوف تقوم طائفة بين يدي الامام وطائفة خلفه فيصلي بالذين خلفه ركعة وسجدتين ثم يقعد مكانه حتى يقضوا ركعة وسجدتين ثم يتحولون الى مكان أصحابهم ثم يتحول أولئك الى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة وسجدتين ثم يقعد مكانه حتى يصلوا ركعة وسجدتين ثم يسلم ذكر من قال كانت الطائفة الثانية تقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ثم تقضي ما بقي عليها بعد **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال سمعت يحيى بن سعيد قال سمعت القاسم قال ثني صالح بن خوات بن جبير أن سهل بن أبي حثمة حدثه ان صلاة الخوف أن يقوم الامام الى القبلة يصلي معه طائفة من أصحابه وطائفة أخرى مواجهة العدو فيصلي فيركع الامام بالذين معه ويسجد ثم يقوم فاذا استوى قائما ركع الذين وراءه لانفسهم ركعة وسجدتين ثم سلموا فانصرفوا والامام قائم فقاموا ازاء العدو وأقبل الآخرون فكبروا وامكان الامام فركع بهم الامام وسجد ثم سلم فقاموا فركعوا لانفسهم ركعة وسجدتين ثم سلموا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يزيد عن هرون قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد ان صالح بن خوات أخبره عن سهل بن أبي حثمة في صلاة الخوف ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد الانصاري عن القاسم بن محمد عن صالح عن سهل بن أبي حثمة في صلاة الخوف قال يقوم الامام مستقبل القبلة وتقوم طائفة منهم معه وطائفة من قبل العدو وجوههم الى العدو فركع بهم ركعة ثم يركعون لانفسهم ويسجدون سجدتين في مكانهم ويذهبون الى مقام أولئك ويجيء أولئك فيركع بهم ركعة ويسجد سجدتين فهو له ركعتان ولهم واحدة ثم يركعون ركعة ويسجدون سجدتين قال بيدار سألت يحيى بن سعيد عن هذا الحديث فحدثني عن شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث يحيى بن سعيد وقال لي اكتبه الى جنبه فلست أحفظه ولكنه مثل حديث يحيى بن سعيد **حدثنا** نصر بن علي قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا عبيد الله عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن صالح بن خوات ان الامام يقوم فيصف صفين طائفة مواجهة العدو وطائفة خلف الامام فيصلي الامام بالذين خلفه ركعة ثم يقومون فيصلون لانفسهم ركعة ثم يسلمون ثم ينطلقون فيصفون ويجيء الآخرون فيصلي بهم ركعة ثم يسلم فيقومون فيصلون لانفسهم ركعة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة الخوف أن تقوم طائفة من خلف الامام وطائفة يلون العدو فيصلي الامام بالذين خلفه ركعة ثم يقومون فيصلون لانفسهم ركعة فيصلي القوم اليها ركعة أخرى ثم يسلمون فينطلقون الى أصحابهم ويجيء أصحابهم والامام قائم فيصلي بهم ركعة فيسلم ثم يقومون فيصلون اليها ركعة أخرى ثم ينصرفون قال عبيد الله فما سمعت فيما نذكره في صلاة الخوف شيأ هو أحسن عندي من هذا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك فهذا عند الصلاة في الخوف يقوم الامام وتقوم معه طائفة منهم وطائفة يأخذون أسلحتهم ويقفون بازاء العدو فيصلي الامام بمن معه ركعة ثم يجلس على هيئته فيقوم القوم فيصلون لانفسهم الركعة الثانية والامام جالس ثم ينصرفون حتى يأتوا أصحابهم فيقفون موقفهم ثم يقبل الآخرون فيصلي بهم الامام الركعة الثانية ثم يسلم فيقوم القوم فيصلون لانفسهم الركعة الثانية فهكذا صلى

هذا العذر فبكتوهم قائلين ألم تكن أرض الله واسعة تهاجروا فيها أراد وا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمتنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى أرض الحبشة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فسئل لم عد الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد ومن حق الاستثناء أن يدخل فيه المستثنى ولم يخرج وليس الولدان من أصحاب الوعيد لانهم ليسوا من أهل التكليف وأجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون أو المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض أو كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضار من حقه أن يعفو الله عنه بل يكون من العفو على ظن

وحسبان لا على حزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون في الواقع كذلك لان الخطام عن المالوف شديد والفراق عن

واختلف أهل التاويل فى الطائفة المامورة باخذ السلاح فقال بعضهم هى الطائفة التى كانت تصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومعنى الكلام وليأخذوا يقول ولتأخذ الطائفة المصلية معك من طوائفهم أسلحتهم والسلاح الذى أمروا باخذه عندهم فى صلاتهم كالسيف يتقلده أحدهم والسكين والخنجر يشده الى درعه وثيابه التى هى عليه ونحو ذلك من سلاحه وقال آخرون بل الطائفة المامورة باخذ السلاح منهم الطائفة التى كانت بازاء العدو دون المصلية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قول ابن عباس حدثنى بذلك المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فاذا سجدوا يقول فاذا سجدت الطائفة التى قامت معك فى صلاتك تصلى بصلاتك فغرغت من سجودها فليكونوا من ورائكم يقول فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم خلفكم مصافى العدو فى المكان الذى فيه سائر الطوائف التى لم تصل معك ولم تدخل معك فى صلاتك ثم اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم فقال بعضهم تاويله فاذا صلوا فغرغوا من صلاتهم فليكونوا من ورائكم ثم اختلف أهل هذه المقالة فقال بعضهم اذا صلت هذه الطائفة مع الامام ركعة سلمت وانصرفت من صلاتها حتى تاتى مقام أصحابها بازاء العدو ولا قضاء عليها وهم الذين قالوا عنى الله بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن تجعلوها اذا خفتم الذين كفروا أن يفتنوكم ركعتين ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى بطائفة صلاة الخوف ركعة ولم يقضوا وبطائفة أخرى ركعة ولم يقضوا وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى وفيما ذكرنا كفاية عن استيعاب ذكر جميع ما فيه وقال آخرون منهم بل الواجب كان على هذه الطائفة التى أمرها الله بالقيام مع نبيها اذا أراد اقامة الصلاة فيهم فى حال خوف العدو اذا فرغت من ركعتها التى أمرها الله أن تصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرها به فى كتابه أن تقوم فى مقامها الذى صلت فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصلى لانفسها بقية صلاتها وتسلم وتاتى مصاف أصحابها وكان على النبى صلى الله عليه وسلم أن يثبت قائما فى مقامه حتى تفرغ الطائفة التى صلت معه الركعة الاولى من بقية صلاتها اذا كانت صلاتها التى صلت معه مما يجوز قصر عددها عن الواجب الذى على المقيمين فى أمن وتذهب الى مصاف أصحابها وتاتى الطائفة الاخرى التى كانت مصافة عدوها فيصلى بها ركعة أخرى من صلاتها ثم هم فى حكم هذه الطائفة الثانية مختلفون فقالت فرقة من أهل هذه المقالة كان على النبى صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من ركعتيه ورفع راسه من سجوده من ركعته الثانية أن يقعد للتشهد وعلى الطائفة التى صلت معه الركعة الثانية ولم تدرك معه الركعة الاولى لاشتغالها بعدوها أن تقوم فتقضى ركعتها الثانية مع النبى صلى الله عليه وسلم وعلى النبى صلى الله عليه وسلم انتظارها قاعدا فى تشهده حتى تفرغ هذه الطائفة من ركعتها الفائتة وتتشهد ثم يسلم بهم وقالت فرقة أخرى منهم بل كان الواجب على الطائفة التى لم تدرك معه الركعة الاولى اذا قعد النبى صلى الله عليه وسلم للتشهد أن تقعد معه للتشهد فتتشهد بتشهده فاذا فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من تشهده سلم ثم قامت الطائفة التى صلت معه الركعة الثانية حينئذ فقضت ركعتها الفائتة وكل قائل من الذين ذكرنا قولهم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبارا بانه كما قال فعل ذكر من قال انتظر النبى صلى الله عليه وسلم الطائفتين حتى قضت صلاتها ولم يخرج من صلاته الا بعد فراغ الطائفتين من صلاتها حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مالك عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع أن طائفة صفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة وجاه العدو فصلى بالذين معه ركعة ثم ثبت قائما فاتموا لانفسهم ثم جاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم حدثنى محمد بن المثنى قال ثنى عبد الله ابن معاذ قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن

بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهد بن اتبعه وعيد القاعدين الراضين بالسكون فى دار الكفر فقال ان الذين توفاهم وأنه يحتمل أن يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قوما من المسلمين بمكة تخرجوا فى قوم من المشركين فى قتال فقتلوا معهم فنزلت الآية ويحتمل أن يكون مستقبلا بحذف احدى التاءين فيكون الوعيد عاما فى كل من كان بهذه الصفة قال الجهور ومعنى تتوفاهم تقبض أرواحهم عند الموت ولا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفاكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفى والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة الا أن الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة أى يحشرونهم الى النار أما قوله ظالمى أنفسهم فنصوب على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفا فصح وقوعه حالا والظلم قد يراد به الشرك لان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون أنفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فنهم ظالم لنفسه فالمراد الذين أسلموا فى دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفى خبر ان وجوه الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة أى قالوا لهم الثانى فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد الثالث ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم أى فى أى شئ كنتم من أمر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضى بالسكنى فى دار الكفر وهو بالحقيقة النعى عليهم بانهم ليسوا من الدين فى شئ ولهذا لم يجيبوا بقولهم كنا فى كذا أو لم نكن فى شئ بل أجابوا بقولهم كنا مستضعفين

وذلك لان الانف عضو فى غاية الغزة والتراب فى غاية الذلة ويمكن أن يقال ان من فارق أهل بلدته فاذا استقام أمره فى بلدة أخرى رغمت أنوف أهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه واعلم أنه سبحانه لما رغب فى الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمتنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه والمانع أمران الاول أن يكون له فى وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفا من أن تقع فى المشقة والمحنة فى السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية فى مهاجرك ما يكون سببا لرغم أنوف أعدائك ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم فى الآية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بدولته من حيث انها سبب رغم آناف الاعداء أشد من ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثانى ان الانسان يقول ان خرجت من بيتى فى طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله وفى معناه كل غرض دينى من طلب علم أو حج أو فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا فى الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه ورب عالم أصل اليه فالاولى أن لا يضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شئ مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله قال بعضهم ثبت له أجر قصده وأجر القدر الذى أتى به من ذلك العمل وأما أجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فان له ثواب تمام تلك الطاعة كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة فى حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك

الذين بازاء العدو فقاموا مقامهم وجاؤا فقضوا الركعة ثم ذهبوا فقاموا مقام أولئك الذين بازاء العدو وجاء أولئك فصلوا ركعة قال سفيان فيكون لكل انسان ركعتان ركعتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا مهران وحدثنى على قال ثنا زيد جميعا عن سفيان قال كان ابراهيم يقول فى صلاة الخوف فذكر نحوه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور وعن عمر بن الخطاب مثل ذلك * وقال آخرون بل كل طائفة من الطائفتين تقضى صلاتها على ما أمكنها من غير تضييع منهم بعضها ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن ان أبا موسى الاشعرى صلى باصحابه صلاة الخوف باصبهان اذ غزاها قال فصلى بطائفة من القوم ركعة وطائفة تحرس فنكص هؤلاء الذين صلى بهم ركعة وخلفهم الآخرون فقاموا مقامهم فصلى بهم ركعة ثم سلم فقامت كل طائفة فصلت ركعة **حدثنا** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن عن أبى موسى بنحوه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن أبى العالية ويونس بن جبير قالا صلى أبو موسى الاشعرى باصحابه بأصبهان ومابهم يومئذ خوف ولكنه أحب أن يعلمهم صلاتهم فصفهم صفين صفا خلفه وصفا مواجهة العدو مقبلين على عدوهم فصلى بالذين يلونه ركعة ثم ذهبوا الى مصاف أصحابهم وجاء أولئك فصفهم خلفه فصلى بهم ركعة ثم سلم فقضى هؤلاء وهؤلاء ركعة ثم سلم بعضهم على بعض وكانت للامام ركعتين فى جماعة ولهم ركعة ركعة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أبى العالية عن أبى موسى مثله **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن نافع عن ابن عمر انه قال فى صلاة الخوف يصلى طائفة من القوم ركعة وطائفة تحرس ثم ينطلق هؤلاء الذين صلى بهم ركعة حتى يقوموا مقام أصحابهم ثم تجىء أولئك فيصلى بهم ركعة ثم يسلم فتقوم كل طائفة فتصلى ركعة **حدثنا** نصر بن على قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر بنحوه **حدثنى** عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا ابن عياش قال ثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى صلاة الخوف فذكر نحوه **حدثنا** سعيد بن يحيى الاموى قال ثنى أبى قال ثنا ابن جريج قال أخبرنى الزهرى عن سالم عن ابن عمر انه كان يحدث انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد الله بن نافع عن نافع قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الخوف يقوم الامير وطائفة من الناس فيسجدون سجدة واحدة وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو ثم ذكر نحوه **حدثنا** محمد بن هرون الحربى قال ثنا أبو المغيرة الحمصى قال ثنا الاوزاعى عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة ثم ذكر نحوه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الى قوله فليصلوا معك فانه كانت تأخذ طائفة السلاح فيقبلون على العدو والطائفة الاخرى يصلون مع الامام ركعة ثم ياخذون أسلحتهم فيستقبلون العدو وترجع أصحابهم فيصلون مع الامام ركعة فيكون للامام ركعتين ولسائر الناس ركعة واحدة ثم يقضون ركعة أخرى وهذا تمام من الصلاة وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى صلاة الخوف والعدو يومئذ فى ظهر القبلة بين المسلمين وبين القبلة فكانت الصلاة التى صلى بهم يومئذ النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف اذا كان العدو بين الامام والقبلة ذكر الاخبار المنقولة بذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن النضر بن أبى عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلقى المشركين بعسفان فلما صلى الظهر فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه قال بعضهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بطن نخلة وقال آخرون بل تاويل قوله فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم فاذا سجدت الطائفة التي قامت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل في صلاته فدخلت معه في صلاته السجدة الثانية من ركعتها الاولى فليكونوا من ورائكم يعني من ورائك يا محمد وراء أصحابك الذين لم يصلوا بازاء العدو قالوا وكانت هذه الطائفة لا تسلم من ركعتها اذا هي فرغت من سجدتي ركعتها التي صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها تمضي الى موقف أصحابها بازاء العدو وعليها بقية صلاتها قالوا وكانت تاتي الطائفة الاخرى التي كانت بازاء العدو حتى تدخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقية صلاته فيصلي بهم النبي صلى الله عليه وسلم الركعة التي كانت قد بقيت عليه قالوا وذلك معنى قول الله عز ذكره ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم اختلف أهل هذه المقالة في صفة قضاء ما كان يبقى على كل طائفة من هاتين الطائفتين من صلاتها بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وسلامه من صلاته على قول قائلي هذه المقالة ومتاولي هذا التاويل فقال بعضهم كانت الطائفة الثانية التي صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية من صلاتها اذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته قامت فقضت ما فاتها من صلاتها مع النبي صلى الله عليه وسلم في مقامها بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته والطائفة التي صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الاولى بازاء العدو بعد لم تتم صلاتها فاذا هي فرغت من بقية صلاتها التي فاتتها مع النبي صلى الله عليه وسلم مضت الى مصاف أصحابها بازاء العدو وجاءت الطائفة الاولى التي صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الاولى الى مقامها التي كانت صلت فيه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضت بقية صلاتها ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا أبو عبيدة بن عبد الله قال قال عبد الله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فقامت طائفة منا خلفه وطائفة بازاء مستقبلي العدو فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالذي خلفه ركعة ثم نكصوا فذهبوا الى مقام أصحابهم وجاء الآخرون فقاموا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم رسول الله ثم قام هؤلاء فصلوا لانفسهم ركعة ثم ذهبوا فقاموا مقام أصحابهم مستقبلي العدو ورجع الآخرون الى مقامهم فصلوا لانفسهم ركعة حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا خصيف عن أبي عبيدة عن عبد الله قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فذكر نحوه حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا شريك عن خصيف عن أبي عبيدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال آخرون بل كانت الطائفة الثانية التي صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية لا تقضي بقية صلاتها بعد ما يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته ولكنها كانت تمضي قبل أن تقضي بقية صلاتها فتقف موقف أصحابها الذين صلوا مع رسول الله الركعة الاولى وتجيء الطائفة الاولى الى موقفها الذي صلت فيه ركعتها الاولى مع رسول الله فتقضي ركعتها التي كانت بقيت عليها من صلاتها فقال بعضهم كانت تقضي تلك الركعة بغير قراءة وقال آخرون بل كانت تقضي بقراءة فاذا قضت ركعتها الباقية عليها هنالك وسلمت مضت الى مصاف أصحابها بازاء العدو وأقبلت الطائفة التي صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية الى مقامها الذي صلت فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضت الركعة الثانية من صلاتها بقراءة فاذا فرغت وسلمت انصرفت الى أصحابها ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن حماد عن ابراهيم في صلاة الخوف قال يصف صفا خلفه وصفا بازاء العدو في غير مصلاه فيصلي بالصف الذي خلفه ركعة ثم يذهبون الى مصاف أولئك وجاء أولئك الذين بازاء العدو فيصلي بهم ركعة ثم يسلم عليهم وقد صلى هو ركعتين وصلى كل صف ركعة ثم قام هؤلاء الذين سلم عليهم الى مصاف أولئك

الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على العبد وأما من الرب فعسى اطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا أنه يرد على لفظ العفو انه لا يتقرر الا مع الذنب ولا ذنب مع العجز وجوابه أيضا يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج أي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة أو انه مع جميع العباد بهذه الصفة أي انه عادة أجراها في حق غيره وأيضا لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان أدل على كونه حقا وصدقا قالت الاشاعرة أخبر عن العفو والمغفرة مطلقا غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم ان الذين توفاهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الى الطريق فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فبلغ خبره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي في المدينة لكان أتم أجرا فانزل الله تعالى فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى قوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما أي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف ارغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك اياه فجعل ذلك وأصله من الرغام وهو التراب فان هاجر يريد انه وصل اليه شيء يكرهه

مذهب هؤلاء لم يسجدوا بسجودك فى الركعة الاولى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم يعنى الحارسة وأولى الاقوال التى ذكرناها بتاويل الآية قول من قال معنى ذلك فاذا سجدت الطائفة التى قامت معك فى صلاتها فليكونوا من ورائكم يعنى من خلفك وخلف من يدخل فى صلاتك ممن لم يصل معك الركعة الاولى بازاء العدو بعد فراغها من بقية صلاتك ممن لم يصل معك الركعة الاولى ولتات طائفة أخرى وهى الطائفة التى كانت بازاء العدو ولم يصلوا يقول لم يصلوا معك الركعة الاولى فليصلوا معك يقول فليصلوا معك الركعة التى بقيت عليك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم لقتال عدوهم بعدما يفرغون من صلاتهم وذلك نظير الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعله يوم ذات الرقاع والخبر الذى روى عن سهل بن أبى حثمة وانما قلنا ذلك أولى بتاويل الآية لان الله عز ذكره قال واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وقد دللنا على ان اقامتها اتمامها بركوعها وسجودها ودللنا مع ذلك على ان قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا انما هو اذن بالقصر من ركوعها وسجودها فى حال شدة الخوف فاذ صح ذلك كان بينا ان لا وجه لتاويل من تاول ذلك ان الطائفة الاولى اذا سجدت مع الامام فقد انقضت صلاتها لقوله فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم لاحتمال ذلك من المعانى ما ذكرت قبل ولانه لا دلالة فى الآية على ان القصر الذى ذكر فى الآية قبلها عنى به القصر من عدد الركعات واذ كان لا وجه لذلك فقول من قال أريد بذلك التقدم والتاخر فى الصلاة على نحو صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بعسفان أبعد وذلك ان الله جل ثناؤه يقول ولتات طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وكلتا الطائفتين قد كانت صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ركعته الاولى فى صلاته بعسفان ومحال أن تكون التى صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم هى التى لم تصل معه فان ظن ظان انه أريد بقوله لم يصلوا لم يسجدوا فان ذلك غير الظاهر المفهوم من معانى الصلاة وانما توجه معانى كلام الله جل ثناؤه الى الاظهر والاشهر من وجوهها مالم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له واذا كان ذلك كذلك لم يكن فى الآية أمر من الله عز ذكره الطائفة الاولى بتاخير قضاء ما بقى عليها من صلاتها الى فراغ الامام من بقية صلاته ولا على المسلمين الذين بازاء العدو فى اشتغالها بقضاء ذلك ضير ولم يكن لامرهما بتاخير ذلك وانصرافها قبل قضاء باقى صلاتها عن موضعها معنى غير ان الامر وان كان كذلك فانا نرى ان من صلاها من الائمة فوافقت صلاته بعض الوجوه التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلاها فصلاته مجزية عنه تامة لصحة الاخبار بكل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من الامور التى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ثم أباح لهم العمل باى ذلك شاؤا وأما قوله ودالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فانه يعنى تمنى الذين كفروا بالله لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم يقول لو تشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم التى تقاتلونهم بها وعن أمتعتكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يقول فيحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم حملة واحدة فيصيبون منكم غرة بذلك فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم يقول جل ثناؤه فلا تفعلوا ذلك بعد هذا فتشتغلوا جميعكم بصلاتكم اذا حضرتكم صلاتكم وأنتم موافقو العدو فتمكنوا عدوكم من أنفسكم وأسلحتكم وأمتعتكم ولكن أقيموا الصلاة على ما بينت لكم وخذوا من عدوكم حذركم وأسلحتكم ۞ القول فى تاويل قوله (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يعنى جل ثناؤه بقوله ولا جناح عليكم ولا حرج عليكم ولا اثم ان كان بكم أذى من مطر يقول ان نالكم من مطر تطرونه وأنتم موافقو عدوكم أو كنتم مرضى يقول جرحى أو أعلاء أن تضعوا أسلحتكم ان ضعفتم عن حملها ولكن ان وضعتم أسلحتكم من أذى مطر أو مرض فخذوا من عدوكم حذركم يقول احترسوا منهم أن يعيلوا عليكم وأنتم عنهم غافلون غارون ان الله أعد للكافرين

بالعجز والتخفيف حجة الجمهور وما روى عن يعلى بن أمية انه قال قلت لعمر ابن الخطاب كيف نقصر وقد أمنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على أنهم فهموا من القصر التخفيف فى اعداد الركعات ويزيده حديث ذى اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت وأيضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلاة يجىء بعد ذلك فحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار أولى بعد القصر بحالة الخوف فلان الآية نزلت على غالب أسفار النبى صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر فى حالة الامن ولا فى حالة الخوف بسبب آخر على ان كل محنة وبلية وشدة فهى فتنة ثم ان الشافعى قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء أتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب ولما روى عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابى أنت وأمى قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب على وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه وقال أبو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر أربعا ولم يقعد فى الثنتين فسدت صلاته لما روى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة أول ما فرضت الصلاة

الى أن يبرأ وأيضا من المعلوم ان كل من أتى بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى فى الآية فائدة الترغيب وأيضا لا تكون الآية جوابا عن قول الصحابة فى جندب لو وافى المدينة لكان أتم أجرا فان المعتزلة فى الآية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها أى وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يوذان ما قلنا وأجيب بانا لا ننازع فى ان الثواب يقع البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالآية على ان الغازى اذا مات فى الطريق وجب سهمه فى الغنيمة كما وجب أجره وردبان قسم الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال أجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية أداء الصلاة فى زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة يقال قصر صلاته وأقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا أنه ليس صريحا فى ان التخفيف فى كمية الركعات أو كيفية أدائها والجمهور على ان المراد القصر فى العدد وهو ان كل صلاة تكون فى الحضر أربع ركعات وهى الظهر والعصر والعشاء فانها تصير فى السفر ركعتين ويبقى المغرب والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلاة الحضر أربعا وصلاة السفر ركعتين وصلاة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعنه أيضا ان المراد التخفيف فى كيفية الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلاة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأى قوله ان خفتم أن يفتنكم الذين

ابعض يومئذ كان فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علموا بكم حتى توافوهم قال قائل منهم فان لهم صلاة أخرى أحب اليهم من أهلهم وأموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه عليه السلام واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الى آخر الآية وأعلمه ما أتى به المشركون فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر وكانوا قبالته فى القبلة فجعل المسلمين خلفه صفين فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبروا جميعا ثم ركع وركعوا معه جميعا فلما سجد سجد معه الصف الذين يلونه وقام الصف الذين خلفهم مقبلين على العدو فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سجوده وقام سجد الصف الثانى ثم قاموا وتأخر الذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الآخرون فكانوا يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ركع ركعوا معه جميعا ثم رفع فرفعوا معه ثم سجد فسجد معه الذين يلونه وقام الصف الثانى مقبلين على العدو فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سجوده وقعد الذين يلونه سجد الصف المؤخر ثم قعدوا فتشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم عليهم جميعا فلما نظر اليهم المشركون يسجد بعضهم ويقوم بعض ينظر اليهم قالوا لقد أخبروا بما أردنا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر قال ثنى مجاهد قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بعسفان والمشركون بضجنان بالماء الذى يلى مكة فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم الظهر فرأوه يسجد وسجد الناس قالوا اذا صلى صلاة بعد هذه أغرنا عليه فحذره الله ذلك فقام النبى صلى الله عليه وسلم فكبر وكبر الناس معه فذكر نحوه حدثنى عمران بن بكار قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا ابن عياش قال أخبرنى عبيد الله بن عمر عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقينا المشركين بنخل فكانوا بيننا وبين القبلة فلما حضرت صلاة الظهر صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جميع فلما فرغنا تذامر المشركين فقالوا لو كنا حملنا عليهم وهم يصلون فقال بعضهم فان لهم صلاة ينتظرونها تأتى الآن هى أحب اليهم من أبنائهم فاذا صلوا فيلوا عليهم فجاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر وعلمه كيف يصلى فلما حضرت العصر قام نبى الله مما يلى العدو وقمنا خلفه صفين فكبر نبى الله وكبرنا معه جميعا ثم ذكر نحوه حدثنى محمد بن معمر قال ثنا حماد بن مسعدة عن هشام بن أبى عبد الله عن أبى الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا مؤمل بن هشام قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن هشام عن ابن الزبير عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن منصور عن مجاهد عن أبى عياش الزرقى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وعلى المشركين خالد بن الوليد فقال المشركون لقد أصبنا منهم غرة ولقد أصبنا منهم غفلة فانزل الله صلاة الخوف بين الظهر والعصر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يعنى فرقتين فرقة تصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم وفرقة تصلى خلفهم يحرسونهم ثم كبر فكبر واجميعا وركعوا جميعا ثم سجد الذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام فتقدم الآخرون فسجدوا ثم قام فركع بهم جميعا ثم سجد بالذين يلونه حتى تأخروا هؤلاء فقاموا فى مصاف أصحابهم ثم تقدم الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم فكانت لكلهم ركعتين مع امامهم وصلى مرة أخرى فى أرض بنى سليم * قال أبو جعفر فتأويل الآية على قول هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ورووا هذه الرواية واذا كنت يا محمد فيهم يعنى فى أصحابك خائفا فاقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ممن دخل معك فى صلاتك فاذا سجدوا يقول فاذا سجدت هذه الطائفة بسجودك ورفعت رؤسها من سجودها فليكونوا من ورائكم يقول فليصر من خلفك خلف الطائفة التى حرستك واياهم اذا سجدت بهم أو سجدوا معك ولتات طائفة أخرى لم يصلوا يعنى الطائفة الحارسة التى صلت معه غيرانهم لم تسجد بسجوده فمعنى قوله لم يصلوا على

عطية العوفي في قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال فريضة مفروضة **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني علي عن ابن عباس ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال مفروضا الموقوت المفروض **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أما كتابا موقوتا ففرضا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد كتابا موقوتا قال مفروضا وقال آخرون معنى ذلك ان الصلاة كانت على المؤمنين فرضا واجبا ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال كتابا واجبا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كتابا موقوتا قال واجبا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن معمر عن أبي جعفر في قوله كتابا موقوتا قال موجوبا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا والموقوت الواجب **حدثني** أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا معمر بن يحيى قال سمعت أبا جعفر يقول ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال وجوبها وقال آخرون معنى ذلك ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا منجما يؤدونها في أنجمها ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال قال ابن مسعود ان للصلاة وقتا كوقت الحج **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن زيد بن أسلم في قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال منجما كلما مضى نجم جاء نجم آخر يقول كلما مضى وقت جاء وقت آخر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن زيد بن أسلم بمثله * قال أبو جعفر وهذه الاقوال قريب معنى بعضها من بعض لان ما كان مفروضا فواجب وما كان واجبا أداؤه في وقت بعد وقت فمنجم غير ان أولى المعاني بتاويل الكلمة قول من قال ان الصلاة كانت على المؤمنين فرضا منجما لان الموقوت انما هو مفعول من قول القائل وقت الله عليك فرضه فهو يقته ففرضه عليك موقوت اذا أخبر انه جعل له وقتا يجب عليك أداؤه فكذلك معنى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا انما هو كانت على المؤمنين فرضا وقت لهم وقت وجوب أدائه فبين ذلك لهم ۞ القول في تاويل قوله (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) يعني جل ثناؤه بقوله ولا تهنوا ولا تضعفوا من قولهم وهن فلان في هذا الامر يهن وهنا ووهونا وقوله في ابتغاء القوم يعني في التماس القوم وطلبهم والقوم هم أعداء الله وأعداء المؤمنين من أهل الشرك بالله ان تكونوا تألمون يقول ان تكونوا أيها المؤمنون تتجعون مما ينالكم من الجراح منهم في الدنيا فانهم يألمون كما تألمون يقول فان المشركين يتجعون مما ينالهم منكم من الجراح والاذى مثل ما تتجعون أنتم من جراحهم وأذاهم فيها وترجون أنتم أيها المؤمنون من الله من الثواب على ما ينالكم منهم مالا يرجون هم على ما ينالهم منكم يقول فالتم ان كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم به مكذبون أولى وأحرى أن تصبروا على جرحهم وقتالهم منهم على قتالكم وحربكم فان تجدوا من طلبهم وابتغائهم لقتالهم على ما تهنون هم فيه ولا تجدون فكيف على ما وجدوا فيه ولم يهنوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون منهم فانهم يألمون كما تألمون يقول لا تضعفوا في طلب القوم فانكم ان تكونوا تتجعون فانهم يتجعون كما تتجعون وترجون من الله من الاجر والثواب مالا يرجون **حدثنا** محمد قال ثنا أجد قال ثنا أسباط

القدسي دون أخواتها من الصفات فتصير رقبته مؤمنة وهي رقبة القلب تصير محررة عن رق حب الدنيا ولا دية بل لاهل القتيل وان كان من قوم

قلت كانهم ألفوا الاتمام فكان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح ليطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وأجيب بان هذا الاحتمال انما يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر أما اذا قال أوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا لصلاتكم فلا يخطر هذا الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعارضه الآية لان تقرير الصلاة على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهريين زعموا أن قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر أن القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال أنس بن مالك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى المدائن وهو ثلاثة أيام وهو قول أبي حنيفة قياسا على مدة جواز المسح للمسافر وأما أصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روى عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان والمراد بالبرد أربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهي أربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة أقدام خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه

عليه

عذابا مهينا يعني بذلك عذابا لهم مذلا يبقون فيه أبدا لا يخرجون منه وذلك هو عذاب جهنم وقد ذكر ان قوله أو كنتم مرضى نزل في عبد الرحمن بن عوف وكان جريحا ذكر من قال ذلك حدثنا العباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى عبد الرحمن بن عوف كان جريحا ۞ القول في تاويل قوله (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة) يعني بذلك جل ثناؤه فاذا فرغتم أيها المؤمنون من صلاتكم وأنتم موافقوا عدوكم التي بيناها لكم فاذكروا الله على كل أحوالكم قياما وقعودا ومضطجعين على جنوبكم بالتعظيم له والدعاء لانفسكم بالظفر على عدوكم لعل الله أن يظفركم وينصركم عليهم وذلك نظير قوله يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وكما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فاذكروا الله قياما يقول لا يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله فيقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وأما قوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة فان أهل التاويل اختلفوا في تاويله فقال بعضهم معنى قوله فاذا اطمأننتم فاذا استقررتم في أوطانكم وأقمتم في أمصاركم فاقيموا يعني فاتموا الصلاة التي أذن لكم بقصرها في حال خوفكم في سفركم وضربكم في الارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد في قوله فاذا اطمأننتم قال الخروج من دار السفر الى دار الاقامة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاذا اطمأننتم في أمصاركم فاتموا الصلاة وقال آخرون معنى ذلك فاذا استقررتم فاقيموا الصلاة أي فاتموا حدودها بركوعها وسجودها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فاذا اطمأننتم قال فاذا اطمأننتم بعد الخوف وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة قال فاذا اطمأننتم فصلوا الصلاة لا يصلها راكبا ولا ماشيا ولا قاعدا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة قال أتموها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وأولى التاويلين بتاويل الآية تاويل من تاوله فاذا زال خوفكم من عدوكم وأمنتم أيها المؤمنون واطمأننتم أنفسكم بالامن فاقيموا الصلاة فاتموها بحدودها المفروضة عليكم غير قاصر بها عن شئ من حدودها وانما قلنا ذلك أولى التاويلين بالآية لان الله تعالى ذكره عرف عباده المؤمنين الواجب عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين في حالين احداهما حال شدة خوف أذن لهم فيها بقصر الصلاة على ما بينت من قصر حدودها عن التمام والاخرى حال غير شدة الخوف أمرهم فيها باقامة حدودها واتمامها على ما وصفه لهم جل ثناؤه من معاقبة بعضهم بعضا في الصلاة خلف أئمتهم وحراسة بعضهم بعضا من عدوهم وهي حالة لا قصر فيها لانه يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الحال واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلوم بذلك ان قوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة انما هو فاذا اطمأننتم من الحال التي لم تكونوا مقيمين فيها صلاتكم فاقيموها وتلك حالة شدة الخوف لانه قد أمرهم باقامتها في حال غير شدة الخوف بقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية ۞ القول في تاويل قوله (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معناه ان الصلاة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن فضيل بن مرزوق عن

عن الخائن من خان مالا لغيره ان الله كان غفورا رحيما يقول ان الله لم يزل يصفح عن ذنوب عباده المؤمنين بتركه عقوبتهم عليها اذا استغفروه منها رحيما بهم فافعل ذلك يا محمد يغفر الله لك ما سلف من خصومتك عن هذا الخائن وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن خاصم عن الخائن ولكنه هم بذلك وأمره الله بالاستغفار مما هم به من ذلك وذكر ان الخائنين الذين عاتب الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم في خصومته عنهم بنو أبيرق واختلف أهل التأويل في خيانته التي كانت منه فوصفه الله بها فقال بعضهم كانت سرقة سرقها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله الى قوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فيما بين ذلك في طعمة بن أبيرق ودرعه من حديد التي سرق وقال أصحابه من المؤمنين للنبي أعذره في الناس بلسانك ورموا بالدرع رجلا من يهود بريئا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني قال ثنا محمد بن سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن عاصم ابن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان قال كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر و بشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب ثم يقول قال فلان كذا وقال فلان كذا فاذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا والله ما يقول هذا الشعر الا الخبيث فقال

أو كلما قال الرجال قصيدة * أضمروا وقالوا ابن الابيرق قالها

قال وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والاسلام وكان الناس انما طعامهم بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل اذا كان له يسار فقدمت قافلة من الشام بالدرمك ابتاع الرجل منهم فخص به نفسه فاما العيال فانما طعامهم التمر والشعير فقدمت قافلة من الشام وابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح له درعان وسيفاهما وما يصلحهما فعدا عدي من تحت الليل فنقب المشربة وأخذ الطعام والسلاح فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال يا ابن أخي تعلم انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بسلاحنا وطعامنا قال فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نراه الا على بعض طعامكم قال وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام فلما سمع بذلك لبيد اخترط سيفه ثم أتى بني أبيرق فقال والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة فقالوا اليك عنا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك انهم أصحابها فقال عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقلت يا رسول الله ان أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا الى عمي رفاعة فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا فاما الطعام فلا حاجة لنا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأنظر في ذلك فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له أسير بن عروة فكلموه في ذلك واجتمع اليه ناس من أهل الدار فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدوا الى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمدت الى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت قال فرجعت ولوددت اني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتيت عمي رفاعة فقال يا ابن أخي ما صنعت فاخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله المستعان فلم يلبث ان نزل القرآن انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما يعني أبيرق واستغفر الله أي مما قلت

تضيعون أعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري وفي أي واد من أودية الهوى تهيمون وفي أي روضة من رياض الدنيا تسرحون أ كنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتنسون الشراب الطهور والساقي مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى ألم تكن أرض الله أي أرض القلب واسعة فتهجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا يهتدون سبيلا الى صاحب ولاية وهؤلاء المستضعفون هم الخواص المقتصدون وأما خواص الخواص وهم السابقون فهم المجاهدون الجهاد الاكبر وقد هاجروا ومن يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في أرض الانسانية مراغما كثيرا ومتحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة في تلك العوالم من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني أرضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم يا بصير النظر كثير الفكر قليل العبر والله أجل وأكبر (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين

بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول أحكام الشرع ظاهرا وترك المحاربة مع القلب وأوصافه ذرية مسلمة على عاقلة الرجعة الى أهل تلك الصفة المقبولة وهم بقية صفات النفس كما قال تعالى الا ما رحم ربي وتحرير رقبة الروح بتحريرها محررة عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان تكون رقابهم قد حررت عن رق ماسوى الله فصيام شهرين متتابعين أي فعليه الامساك عن مشارب العالمين على التتابع والدوام مراقبا قلبه لا يدخل شيا من الدنيا والآخرة مراعيا وقته فلو أفطر بادنى شئ من المشارب كلها يستانف الصوم ولا يفطر بشئ دون لقاء الله تعالى قال قائلهم

لقد صام طرفي عن شهود سواكم
وحق له لما اعتراه قواكم
يعيد قوم حين يبدو هلالهم
ويبدو هلال الصب حين يراكم
توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا أي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية بينهما ففي حياة أحدهما موت الآخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيخوخة فتبينوا عن حال المريد في الرد والقبول ولا تقولوا له لست مؤمنا صادقا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تبتغون عرض الحياة الدنيا أي تشتغلون لاجل رزقه فان الضيف اذا نزل نزل برزقه كذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة في بدو الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكان الذين توفاهم الملائكة هم العوام الذين ظلموا أنفسهم بتدنيسها فيم كنتم أي في غفلة كنتم

عن السدى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون قال يقول لا تضعفوا في طلب القوم فان تكونوا تتوجعون الجراحات فانهم يتوجعون كما تتوجعون **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا تهنوا يقول لا تضعفوا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم قال يقول لا تضعفوا عن ابتغائهم ان تكونوا تالمون القتال فانهم يألمون كما تالمون وهذا قبل أن تصيبهم الجراح ان كنتم تكرهون القتال فتألمونه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون يقول فلا تضعفوا في ابتغائهم مكان القتال **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان تكونوا تالمون ترجون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ان تكونوا تالمون قال ترجون لما يصيبكم فانهم يوجعون كما توجعون وترجون أنتم من الثواب فيما يصيبكم ما لا يرجون **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل فجاء أبو سفيان فقال يا محمد ألا تخرج اليهم الحرب سجال يوم لنا ويوم لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان عزى لنا ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا له الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان أعل هبل أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا له الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلوم قال عكرمة وفيها أنزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت ان تكونوا تالمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان تكونوا تالمون فانهم يألمون كما تالمون قال يتوجعون كما تتوجعون وقد ذكرنا عن بعضهم انه كان يتأول قوله وترجون من الله ما لا يرجون وتخافون من الله ما لا يخافون من قول الله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله بمعنى لا يخافون أيام الله وغير معروف صرف الرجاء الى معنى الخوف في كلام العرب الا مع جحد سابق له كما قال جل ثناؤه ما لكم لا ترجون لله وقارا بمعنى لا تخافون لله عظمة وكما قال الشاعر الهزلي

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا ✻ أسبعة لاقت معا أم واحدا

وكما قال أبو ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ✻ وخالفها في بيت نوب عوامل

وهي فيما بلغنا لغة لاهل الحجاز يقولونها بمعنى ما أبالي وما أحفل ۞ القول في تأويل قوله (وكان الله عليما حكيما) يعني بذلك جل ثناؤه ولم يزل الله عليما بما صالح خلقه حكيما في تدبيره وتقديره ومن علمه أيها المؤمنون بمصالحكم عرفكم عند حضور صلاتكم وواجب فرض الله عليكم وأنتم موافقو عدوكم ما يكون به وصولكم الى أداء فرض الله عليكم والسلامة من عدوكم ومن حكمته نصركم ما فيه تأييدكم وتوهين كيد عدوكم ۞ القول في تأويل قوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما) يعني جل ثناؤه بقوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله انا أنزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن لتحكم بين الناس فتفصل بينهم بما أراك الله يعني بما أنزل الله اليك من كتابه ولا تكن للخائنين خصيما يقول ولا تكن لمن خان مسلما أو معاهدا في نفسه أو ماله خصيما تخاصم عنه وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه واستغفر الله يا محمد وسله أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك

قال أبو يوسف والحسن بن زياد صلاة الخوف كانت خاصة لظهر رسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم

وانما مبينا يعني السارق والذين يجادلون عن السارق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله الآية قال كان رجل سرق دروعا من حديد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وطرحه على يهودي فقال اليهودي والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن طرحت علي وكان الرجل الذي سرق جيران يبرؤونه ويطرحونه على اليهودي ويقولون يا رسول الله ان هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به قال حتى مال عليه النبي صلى الله عليه وسلم ببعض القول فعاتبه الله عز وجل في ذلك فقال انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله بما قلت لهذا اليهودي ان الله كان غفورا رحيما ثم أقبل على جيرانه فقال ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا قال ثم عرض التوبة فقال ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فأدخلكم أنتم أيها الناس على خطيئة هذا تكلمون دونه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وان كان مشركا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا فقرأ الى قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى قال أبى أن يقبل التوبة التي عرض الله له وخرج الى المشركين بمكة فنقب بيتا ليسرقه فهدمه الله عليه فقتله فذلك قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقرأ حتى بلغ وساءت مصيرا ويقال هو طعمة بن أبيرق وكان نازلا في بني ظفر وقال آخرون بل الخيانة التي وصف الله بها من وصفه بقوله ولا تكن للخائنين خصيما جحوده وديعة كان أودعها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما قال أما ما أراك الله فأوحى الله اليك قال نزلت في طعمة بن أبيرق واستودعه رجل من اليهود درعا فانطلق به الى داره فحفر لها اليهودي ثم دفنها فخالف اليها طعمة فاحتفر عنها فأخذها فجاء اليهودي يطلب درعه كافره عنها وانطلق الى ناس من اليهود من عشيرته فقال انطلقوا معي فاني أعرف موضع الدرع فلما علم بهم طعمة أخذ الدرع فألقاها في دار أبي مليك الانصاري فلما جاءت اليهود تطلب الدرع فلم تقدر عليها وقع به طعمة وأناس من قومه فسبوه وقال أتخونونني فانطلقوا يطلبونها في داره فاشرفوا على بيت أبي مليك فاذا هم بالدرع وقال طعمة أخذها أبو مليك وجادلت الانصار طعمة وقال لهم انطلقوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ينضح عني ويكذب حجة اليهودي فاني ان أكذب كذب على أهل المدينة اليهودي فأتاه أناس من الانصار فقالوا يا رسول الله جادل عن طعمة وأكذب اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فانزل الله عليه ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله مما أردت ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ثم ذكر الانصار ومجادلتهم عنه فقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يقول يقولون ما لا يرضى من القول ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ثم دعا الى التوبة فقال ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ثم ذكر قوله حين قال أخذها أبو مليك فقال ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ثم ذكر الانصار واتيانهم اياه أن ينضح عن صاحبهم ويجادل عنه فقال لقد همت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة يقول النبوة ثم ذكر مناجاتهم فيما يريدون أن يكذبوا عن طعمة فقال لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس فلما فضح الله طعمة بالمدينة بالقرآن هرب حتى أتى مكة فكفر بعد اسلامه ونزل

ولان تغيير هيئة الصلاة أمر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم لفضيلة الصلاة خلفه فيبقى لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان أئمة الامة قرأوا عقيبه في كل عصر ألا ترى ان قوله خذ من أموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول صلى الله عليه وسلم مخصوصا به دون أئمة أمته وذهب المزني الى نسخ صلاة الخوف محتجا بانه صلى الله عليه وسلم لم يصلها في حرب الخندق وأجيب بان ذلك قبل نزول الآية عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلاة أخرى هي أحب اليهم من أهليهم وأموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الآية أما شرح صلاة الخوف فهو أن الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي باحداهما ركعة واحدة ثم اذا فرغوا من الركعة سلموا عنها ويذهبون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى ويصلي بهم الامام ركعة أخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلاة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم تذهب تلك الطائفة الاخرى الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة أخرى ركعتين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وليس في هذه الصلاة الا اقتداء مفترض بمتنفل فان الصلاة الثانية

الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم

ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) القرآن عن أسلحتكم وأمتعتكم عباس باختلاس اطمأننتم وبابه بغير همزة أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بريثا بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف ألوقوف من وراكم ص وأسلحتهم ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واحدة ط أسلحتكم ج حذركم ط مهينا ٥ وعلى جنوبكم ط للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلاة ج لاحتمال فان أولان موقوتا ٥ القوم ط كما نالون لاحتمال الواو والاستئناف أو لما لا يرجون ط حكيما ٥ أراك الله ط لان ما بعده استئناف خصيما ٥ لا للعطف واستغفر الله ط رحيما ٥ لان الآية مع العطف أنفسهم ط اثما ٥ ج لاحتمال ما بعد الوصف من القول ط محيطا ٥ ط وكيلا ٥ رحيما ط على نفسه ط حكيما ٥ مبينا ٥ يضلوك ط من شيء ط تعلم ط عظيما ٥ * التفسير وانما

لقتادة ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم أي بني أبيرق ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس الى قوله ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما أي انهم ان يستغفروا الله يغفر لهم ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا قوله لهم لا بيد ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك يعني أسيرا وأصحابه وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الى قوله فسوف نؤتيه أجرا عظيما فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده الى رفاعة قال قتادة فلما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخا قد عسا في الجاهلية وكنت أرى اسلامه مدخولا فلما أتيته بالسلاح قال يا ابن أخي هو في سبيل الله قال فعرفت ان اسلامه كان صحيحا فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد فانزل الله فيه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بابيات من شعر فاخذت رحله فوضعته على رأسها ثم خرجت فرمته بالابطح ثم قال أهديت الى شعر حسان ما كنت تاتيني بخير حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله يقول بما أنزل الله عليك وبين لك ولا تكن للخائنين خصيما فقرأ الى قوله ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ذكر لنا ان هؤلاء الآيات أنزلت في شان طعمة بن أبيرق وفيما هم به نبي الله صلى الله عليه وسلم من عذره وبين الله شان طعمة بن أبيرق وعظ نبيه صلى الله عليه وسلم وحذره أن يكون للخائنين خصيما وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الانصار ثم أحد بني ظفر سرق درعا لعمه كان وديعة عنده ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يقال له زيد بن السمير فجاء اليهودي الى نبي الله صلى الله عليه وسلم يهتف فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاؤا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم وكان نبي الله عليه السلام قد هم بعذره حتى أنزل الله في شانه ما أنزل فقال ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم الى قوله ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة يعني بذلك قومه ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا وكان طعمة قذف بها بريئا فلما بين الله شان طعمة نافق ولحق المشركين بمكة فانزل الله في شانه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما وذلك ان نفرا من الانصار غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسرقت درع لاحدهم فاظن بها رجلا من الانصار فاتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان طعمة بن أبيرق سرق درعي فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى السارق ذلك عمد اليها فالقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني قد غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليدافعوا عنه فقالوا يا نبي الله ان صاحبنا بريء وان سارق الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤس الناس وجادل عنه فانه ان لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس فانزل الله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما يقول احكم بينهم بما أنزل الله اليك في الكتاب واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم الآية ثم قال للذين أتوا رسول الله عليه السلام ليلا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الى قوله أم من يكون عليهم وكيلا يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب ثم قال ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا

ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما يقول ان الله لا يحب من كان من صفته خيانة الناس في أموالهم وركوب الاثم في ذلك وغيره مما حرمه الله عليه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد تقدم ذكر الرواية عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم قال اختان رجل عمه له درعا فقذف بها يهوديا كان يغشاهم فجادل عنه الرجل قومه فكان النبي صلى الله عليه وسلم عذره ثم لحق بارض الشرك فنزلت فيه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ۞ القول في تأويل قوله (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا) يعني جل ثناؤه بقوله يستخفون من الناس يستخفي هؤلاء الذين يختانون أنفسهم ما أتوا من الخيانة وركبوا من العار والمعصية من الناس الذين لا يقدرون لهم على شئ الا ذكرهم بقبيح ما أتوا من فعلهم وشنيع ما ركبوا من جرمهم اذا اطلعوا عليه حياء منهم وخوفا من قبيح الاحدوثة ولا يستخفون من الله الذي هو مطلع عليهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم وبيده العقاب والنكال وتعجيل العذاب وهو أحق ان يستحيا منه من غيره وأولى أن يعظم بان لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه وهو معهم يعني والله شاهدهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يقول حين يسوون ليلا ما لا يرضى من القول فيغيرونه عن وجهه ويكذبون فيه وقد بينا معنى التبييت في غير هذا الموضع وانه كل كلام أو أمر اصلح ليلا وقد حكي عن بعض الطائيين أن التبييت في لغتهم التبديل وأنشد للاسود بن عامر بن جوين الطائي في معاتبة رجل

وبيت قولي عند المليك * فانالك الله عبدا كنودا

يعني بدلت قولي وروي عن أبي رزين انه كان يقول في معنى قوله يبيتون يؤلفون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي رزين اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال يؤلفون ما لا يرضى من القول حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال ثنا أبو يحيى الحماني عن سفيان عن الاعمش عن أبي رزين بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن أبي رزين مثله قال أبو جعفر وهذا القول شبيه المعنى بالذي قلنا وذلك ان التأثيم هو التسوية والتغيير عما هو به ونحويله عن معناه الى غيره وقد قيل عني بقوله يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الرهط الذين مشوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسئلة المدافعة عن بني أبيرق والجدال عنه على ما ذكرنا قبل فيما مضى عن ابن عباس وغيره وكان الله بما يعملون محيطا يعني جل ثناؤه وكان الله بما يعمل هؤلاء المستخفون من الناس فيما أتوا من جرمهم حياء منهم من تبييتهم ما لا يرضى من القول وغيره من أفعالهم محيطا محصيا لا يخفى عليه شئ منه حافظا ذلك عليهم حتى يجازيهم عليه جزاءهم ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) يعني جل ثناؤه بقوله ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ها أنتم الذين جادلتم يا معشر من جادل عن بني أبيرق في الحياة الدنيا والهاء والميم في قوله عنهم من ذكر الخائنين فمن يجادل الله عنهم يقول فمن ذا يخاصم الله عنهم يوم القيامة أي يوم يقوم الناس من قبورهم لمحشرهم فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم ومعاقبهم به وانما يعني بذلك انكم أيها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم وان دافعتم عنهم في عاجل الدنيا فانهم سيصيرون في آجل الآخرة الى من لا يدافع عنهم عنده أحد فيما يحل بهم من أليم العذاب ونكال العقاب وأما قوله أم من يكون عليهم وكيلا فانه يعني ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلا يوم القيامة أي ومن يتوكل لهم في خصومتهم يوم القيامة وقد بينا معنى الوكالة فيما مضى وانها القيام بامر من توكل له ۞ القول في تأويل قوله (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يعمل ذنبا وهو السوء أو يظلم نفسه باكتسابه اياه مما يستحق به العكس وان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز أن يفرقهم أربع فرق

وأما الثانية فلم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلاته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بهذه الصلاة في أوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل والاشد موافقة لظاهر الآية أي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي وأما عند أبي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى في الصلاة وما فرغوا منها وأيضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية مع الامام قال أصحاب أبي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلاة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة أجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من وراءكم لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية أو معنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وأيضا الذي اختاره الشافعي أحوط لامر الحرب فانها أخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلاة أهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن أيضا والانتظار الامام بالطائفة الثانية مرتين وان كانت الصلاة مغربا فيصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز

على الحجاج بن علاط السلمى فنقب بيت الحجاج فاراد أن يسرقه فسمع الحجاج خشخشة فى بيته وقعقعة جلود كانت عنده فنظر فاذا هو بطعمة فقال أضيفى وابن عمى وأردت أن تسرقنى فاخرجه فبات بحرة بنى سليم كافرا وأنزل الله فيه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الى وساءت مصيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال استودع رجل من الانصار طعمة بن أبيرق مشربة له فيها درع وخرج فغاب فلما قدم الانصارى فتح مشربته فلم يجد الدرع فسال عنها طعمة بن أبيرق فرمى بها رجلا من اليهود يقال له زيد بن السمين فتعلق صاحب الدرع بطعمة فى درعه فلما رأى ذلك قومه أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فكلموه ليدرأ عنه فهم بذلك فانزل الله تبارك وتعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم يعنى طعمة بن أبيرق وقومه ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا يحمد صلى الله عليه وسلم وقوم طعمة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما يحمد وطعمة وقومه قال ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه الآية طعمة ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا يعنى زيد بن السمين فقد احتمل بهتانا واثما مبينا طعمة بن أبيرق ولولا فضل الله عليك ورحمته يا محمد لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يا محمد صلى الله عليه وسلم لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف حتى تنقضى الآية للناس عامة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية قال لما نزل القرآن فى طعمة بن أبيرق لحق بقريش ورجع فى دينه ثم عدا على مشربة الحجاج بن علاط البهزى ثم السلمى حليف لبنى عبد الدار فنقبها فسقط عليه حجر فلما أصبح أخرجوه من مكة فاتى ركبا من بهراء من قضاعة فعرض لهم فقال ابن سبيل منقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا فسرقهم ثم انطلق فرجعوا فى طلبه فادركوه فقذفوه بالحجارة حتى مات قال ابن جريج فهذه الآيات كلها فيه نزلت الى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء أنزلت فى طعمة بن أبيرق يقولون انه رمى بالدرع فى دار أبى مليك بن عبد الله الخزرجى فلما نزل القرآن لحق بقريش فكان من أمره ما كان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله يقول بما أنزل عليك وأراكه فى كتابه ونزلت هذه الآية فى رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم فغضب له قومه وأتوا نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا خونوا صاحبنا وهو أمين مسلم فاعذره يا نبى الله وازجر عنه فقام نبى الله فعذره وكذب عنه وهو يرى انه برىء وانه مكذوب عليه وأنزل الله بيان ذلك فقال انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله الى قوله أن يكون عليهم وكيلا فبين الله خيانته فلحق بالمشركين من أهل مكة وارتد عن الاسلام فنزلت فيه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الى قوله وساءت مصيرا * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بما دل عليه ظاهر الآية قول من قال كانت خيانته التى وصفه الله بها فى هذه الآية جحوده ما أودع لان ذلك هو المعروف من معانى الخيانات فى كلام العرب وتوجيه تاويل القرآن الى الاشهر من معانى كلام العرب ما وجد اليه سبيل أولى من غيره ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا تجادل يا محمد فتخاصم عن الذين يختانون أنفسهم يعنى يخونون أنفسهم يجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله وهم بنو أبيرق يقول لا تخاصم عنهم من يطالبهم بحقوقهم وما خانوه فيه من أموالهم

الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا طمان وقت السجدة حرست فرقة ما صف أو فرقة من صف الى أن يفرغ الامام وغيرا الحارسة من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجدت الفرقة الحارسة ولحقت به حيث أمكنها واذا سجد الامام الركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة فى الركعة الاولى أو الفرقة الاخرى وهذه أولى فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام فى التشهد ليسلم بهم وليس فى هذه الصلاة الا التخلف عن الامام باركان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العذر و بمثله صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وأما ان لم يكن العدو فى وجه القبلة أو كانوا بحيث يمنعهم شئ من أنصار المسلمين صلى الامام فى الثنائية كالصبح أو الرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك أن يحاز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو فيصلى بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا وأخذوا مكان اخوانهم فى الصف وانحاز الصف المقابل الى الامام وهو ينتظر بهم واقتدوا به فى الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا وأتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلاة ذات الرقاع رواه أبو داود والنسائى عن صالح عن سهل ابن خيثمة عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلى بهم الامام ركعة و يعودون الى وجه العدو وتاتى الطائفة الثانية فيصلى بهم بقية الصلاة و ينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلاتهم بغير قراءة و ينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلاتهم بغير قراءة

وقد ذكرنا الرواية عمن قال ذلك فيما مضى وممن قال كان يهوديا ابن سيرين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن شعبة عن خالد الحذاء عن ابن سيرين ثم يرم به بريئا قال يهوديا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر قال ثنا شعبة بن خالد عن ابن سيرين مثله وقيل يرم به بريئا بمعنى ثم يرم بالاثم الذي أتى هذا الخائن ما غيره بريئا مما رماه به فالهاء في قوله به عائدة على الاثم ولو جعلت كناية من ذكر الاثم والخطيئة كان جائزا لان الافعال وان اختلفت العبارات عنها فراجعة الى معنى واحد بانها فعل وأما قوله فقد احتمل بهتانا واثما مبينا فان معناه فقد تحمل هذا الذي رمي بما أتى من المعصية وركب من الاثم والخطيئة من هو بري مما رماه به من ذلك بهتانا وهو الفرية والكذب واثما مبينا يعني وزرا وإثما مبينا يعني انه يبين عن أمر عمله وجراءته على ربه وتقدمه على خلافه فيما نهاه عنه ان يعرف أمره ۞ القول في تاويل قوله (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) يعني بقوله جل ثناؤه ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ان الله تفضل عليك يا محمد فعصمك بتوفيقه وتبيانه لك أمر هذا الخائن فكففت لذلك عن الجدال عنه ومدافعة أهل الحق عن حقهم قبله لهمت طائفة منهم يقول لهمت فرقة منهم يعني من هؤلاء الذين يختانون أنفسهم أن يضلوك يقول يزلوك عن طريق الحق وذلك لتلبيسهم أمر الخائن عليه صلى الله عليه وسلم وشهادتهم للخائن عنده بانه بري مما ادعي عليه ومسئلتهم اياه أن يعذره ويقوم بمعذرته في أصحابه فقال الله تبارك وتعالى وما يضل هؤلاء الذين هموا بان يضلوك عن الواجب من الحكم في أمر هذا الخائن درع جاره الا أنفسهم فان قال قائل ما كان وجه اضلالهم أنفسهم قيل وجه اضلالهم أنفسهم أخذهم بما في غير ما أباح الله لهم الاخذ بما فيه من سبله وذلك ان الله جل ثناؤه قد كان تقدم اليهم فيما تقدم في كتابه على لسان رسوله الى خلقه بالنهي عن ان يتعاونوا على الاثم والعدوان والامر بالتعاون على الحق فكان من الواجب لله فيمن سعى في أمر الخائنين الذين وصف الله أمرهم بقوله ولا تكن للخائنين خصيما معاونة من ظلموه دون من خاصمهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب حقه منهم فكان سعيهم في معونتهم دون معونة من ظلموه أخذا منهم في غير سبيل الله وذلك هو اضلالهم أنفسهم الذي وصفه الله فقال وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شئ وما يضرك هؤلاء الذين هموا لك أن يزلوك عن الحق في أمر هذا الخائن من قومه وعشيرته من شئ لان الله مثبتك ومسددك في أمورك ومبين لك أمر من سعى في اضلالك عن الحق في أمره وأمرهم ففاضحه واياهم وقوله وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة يقول ومن فضل الله عليك يا محمد مع سائر ما تفضل به عليك من نعمه انه أنزل عليك الكتاب وهو القرآن الذي فيه بيان كل شئ وهدى وموعظة والحكمة يعني وأنزل عليك مع الكتاب الحكمة وهي ما كان في الكتاب مجملا ذكره من حلاله وحرامه وأمره ونهيه وأحكامه ووعده ووعيده وعلمك ما لم تكن تعلم من خبر الاولين والآخرين وما كان وما هو كائن قبل ذلك من فضل الله عليك يا محمد منذ خلقك فاشكره على ما أولاك من احسانه اليك بالتمسك بطاعته والمسارعة الى رضاه ومحبته ولزوم العمل بما أنزل اليك في كتابه وحكمته ومخالفة من حاول اضلالك عن طريقه ومنهاج دينه فان الله هو الذي يتولاك بفضله ويكفيك غائلة من أرادك بسوء وحاول صدك عن سبيله كما كفاك أمر الطائفة التي همت أن تضلك عن سبيله في أمر هذا الخائن ولا أحد من دونه يتعذك من سوء ان أراد بك ان أنت خالفته في شئ من أمره ونهيه واتبعت هوى من حاول صدك عن سبيله وهذه الآية تنبيه من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على موضع حظه وتذكير منه له الواجب عليه من حقه ۞ القول في تاويل قوله (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يعني جل ثناؤه بقوله لا خير

والاصح انه واجب لان ظاهر الامر للوجوب ولان رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان أمكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة بحيث لا يتاذى به أحد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يأتي بصلاة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شئ من الروايات الواردة فيها على خلاف نص القرآن وكان الآية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا أنه تعالى رتب على هذا الحذر كون الكفار مخذولين مقهورين وكان كما أخبر أما قوله فاذا قضيتم الصلاة ففيه قولان الاول فاذا قضيتم صلاة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما أنتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع واللجأ اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلاة أي صلوا قياما حال اشتغالكم بالمسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال اشتغالكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح وأورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلاة مجاز وان المعنى يصير حينئذ فاذا قضيتم الصلاة فصلوا وفيه بعد اللهم الا أن يقال

ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلاة على الوجه المشروع ليست عزيمة بل لو صلى الامام بطائفة وأمر غيره فيصلي بالآخرين او صلى بعضهم أو كلهم منفردين جاز لكن كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة و يتنافسون أمرهم في الاقتداء به فامره الله تعالى بترتيبهم هكذا لحوز احدى الطائفتين فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله واذا كنت النبي صلى الله عليه وسلم أي اذا كنت أيها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم وأقمت لهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم ولياخذوا أسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فلياخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ويحتمل أن يكون أمر الغريقين بحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية ولياخذوا حذرهم وكانه جعل الحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي وفيه رخصة للخائف في الصلاة بان يجعل بعض فكره في غير الصلاة وانما أمر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في أول الصلاة لكون المسلمين في الصلاة بل يظنونهم قياما للمحاربة وأما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم وسجودهم الاولين فربما ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلاجرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير مرة واحدة شدة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا أصابه بلل المطر فيسود وتفسد حدته أو يثقل على المرء اذا كان محشوا وحين كان الرجل مريضا فيشق عليه حمل السلاح ولكنه أعاد وقد

عقوبة الله ثم يستغفر الله يقول ثم يتوب الى الله بانابته مما عمل من السوء وظلم نفسه ومراجعته ما يحبه الله من الاعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه يجد الله غفورا رحيما يقول يجد ربه ساترا عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه رحيما به واختلف أهل التاويل فيمن عنى بهذه الآية فقال عنى بها الذين وصفهم الله بالخيانة بقوله ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم وقال آخرون بل عنى بها الذين يجادلون عن الخائنين الذين قال لهم ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا وقد ذكرنا قائلي القولين كلاهما فيما مضى * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا انه عنى به كل من عمل سوأ أو ظلم نفسه وان كانت نزلت في أمر الخائنين والمجادلين عنهم الذين ذكر الله أمرهم في الآيات قبلها وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي وائل قال قال عبد الله كانت بنو اسرائيل اذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه واذا أصاب البول شيأ منه قرضه بالمقراض قال رجل لقد أتى الله بني اسرائيل خيرا فقال عبد الله ما آتاكم الله خيرا مما آتاهم جعل الله الماء لكم طهورا وقال والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا ابن عون عن حبيب بن أبي ثابت قال جاءت امرأة الى عبد الله بن معقل فسالته عن امرأة فجرت فحبلت فلما ولدت قتلت ولدها فقال ابن معقل مالها لها النار فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال ما أرى أمرك الا أحد أمرين من يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال فمسحت عينها ثم مضت حدثني المثنى قال ثنا عبيد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والارض والجبال ۞ القول في تاويل قوله (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يات ذنبا على عمد منه له ومعرفة به فانما يجترح و بال ذلك الذنب وضره وخزيه وعاره على نفسه دون غيره من سائر خلق الله يقول فلا تجادلوا أيها الذين تجادلون عن هؤلاء الخونة فانكم وان كنتم لهم عشيرة وقرابة وجيرانا برآء مما أتوه من الذنب ومن التبعة التي يتبعون بها فانكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتم بسببهم كنتم مثلهم فلا تدافعوا عنهم ولا تخاصموا أما قوله و كان الله عليما حكيما فانه يعني وكان الله عالما بما تفعلون أيها المجادلون عن الذين يختانون أنفسهم في جدالكم عنهم وغير ذلك من أفعالكم وأفعال غيركم وهو يحصيها عليكم وعليهم حتى يجازي جميعكم بها حكيما يقول وهو حكيم بسياستكم وتدبيركم وتدبير جميع خلقه وقيل نزلت هذه الآية في بني أبيرق وقد ذكرنا من قال ذلك فيما مضى قبل ۞ القول في تاويل قوله (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يعمل خطيئة وهي الذنب أو اثما وهو ما لا يحل من المعصية وانما فرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة قد تكون من قبل العمد وغير العمد والاثم لا يكون الا من العمد ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما فقال ومن يات خطيئة على غير عمد منه لها أو اثما على عمد منه ثم يرم به بريئا يعني بالذي تعمده بريئا يعني ثم يصف ما أتى من خطائه أو اثمه الذي تعمده بريئا مما أضافه اليه ونحله اياه فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يقول فقد تحمل بفعله ذلك فرية وكذبا واثما عظيما يعني وجرما عظيما على علم منه وعمدا ما أتى من معصيته وذنبه واختلف أهل التاويل فيمن عنى الله بقوله بريئا بعد اجماع جميعهم على ان الذي رمي البري من الاثم الذي كان أتاه ابن أبيرق الذي وصفنا شانه قبل فقال بعضهم عنى الله عز وجل بالبري رجلا من المسلمين يقال له لبيد بن سهل * وقال آخرون بل عنى رجلا من اليهود يقال له زيد بن السمين

فى عذابه والعفو عنه وكذلك حكم كل من اجترم جرما فالى الله أمره الا أن يكون جرمه شركا بالله وكفرا فانه عز وجل حتم عليه انه من أهل النار اذا مات على شركه فاما اذا مات على شركه فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وقال السدى فى ذلك بما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يقول من يجتنب الكبائر من المسلمين وأما قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا فانه يعنى ومن يجعل لله فى عبادته شريكا فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ذهابا بعيدا وزوالا شديدا وذلك انه باشراكه بالله فى عبادته فقد أطاع الشيطان وسلك طريقه وترك طاعة الله ومنهاج دينه فذلك هو الضلال البعيد والخسران المبين ۞ القول فى تاويل قوله (ان يدعون من دونه الا اناثا) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ان يدعون من دونه الا اللات والعزى ومناة فسماهن الله اناثا بتسمية المشركين اياهن بتسمية الاناث ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قال اللات والعزى ومناة كلها مؤنث حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك بنحوه الا أنه قال كلهن مؤنث حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان يدعون من دونه الا اناثا يقول سموهم اناثا لات ومناة وعزى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قال آلهتهم اللات والعزى ويساف ونائلة هم اناث يدعونهم من دون الله وقرأ ان يدعون الا شيطانا مريدا * وقال آخرون معنى ذلك ان يدعون من دونه الا موات لا روح فيه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان يدعون من دونه الا اناثا يقول ميتا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان يدعون من دونه الا اناثا أى الا ميتا لا روح فيه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن ان يدعون من دونه الا اناثا قال والاناث كل شئ ميت ليس فيه روح خشبة يابسة أو حجر يابس قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا الى قوله فليبتكن آذان الانعام وقال آخرون عنى بذلك ان المشركين كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قال الملائكة يزعمون انهم بنات الله وقال آخرون معنى ذلك ان أهل الاوثان كانوا يسمون أوثانهم اناثا فانزل الله ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن نوح بن قيس عن أبى رجاء عن الحسن قال كان لكل حى من العرب صنم يسمونها أنثى فانزل الله ان يدعون من دونه الا اناثا حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا محمد بن سيف أبو رجاء الحرانى قال سمعت الحسن يقول كان لكل حى من العرب فذكر نحوه * وقال آخرون الاناث فى هذا الموضع الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اناثا قال أوثانا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال ثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال كان فى مصحف عائشة ان يدعون من دونه الا أوثانا * قال أبو جعفر روى عن ابن عباس انه كان يقرؤها ان يدعون من دونه الا أثنا بمعنى جمع وثن فكانه جمع وثنا ثم قلب الواو همزة مضمومة كما قيل ما أحسن هذه الاجوه بمعنى الوجوه وكما قيل واذا الرسل أقتت بمعنى وقتت وذكر عن بعضهم انه كان يقرأ ذلك ان يدعون من دونه الا أنثا كانه أراد جمع الاناث فجمعها أنثا كما تجمع الثمار ثمرا والقراءة التى لا أستحسن القراءة بغيرها قراءة من قرأ ان يدعون من دونه الا اناثا بمعنى جمع أنثى لانهما كذلك فى

بل الواجب ان يحكم له وعليه بما أنزله تعالى على رسوله قال أكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر بن الحرث

المراد فاذا أردتم قضاء الصلاة فصلوا فى شدة المسافر والثانى بيان صلاة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل أن يراد به فاذا صرتم مقيمين فاقيموا الصلاة تامة من غير قصر البتة ويحتمل أن يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاقيموا الصلاة التى كنتم تعرفونها من غير تغيير شئ من هيئاتها ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أى مكتوبة موقوتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو فى شدة الخوف وفيه دليل للشافعى فى ايجابه الصلاة على المحارب فى حال المسايفة والاضطراب فى المعركة اذا حضر وقتها وعند أبى حنيفة هو معذور فى تركها الى أن يطمئن وأوقات الصلاة الخمس مشهورة وقد يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فان الوسطى يجب أن تكون مغايرة للصلوات الثلاث يلزم التكرار فهى زائدة على الثلاث ولو كان الواجب أربعا لم يوجد لها وسطى فاذا أقلها خمس وسوف يجىء آيات أخر دالة على الاوقات الخمس كقوله أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل أقم الصلاة لدلوك الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى فى مواضعها قال المحققون ان للانسان خمس مراتب سن النمو الى تمام سن الشباب وسن الوقوف وهو أن يبقى ذلك الشخص على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة ويظهر فيها نقصان خفى فى الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصانات جلية فيه الى أن يموت ويهلك وأما المرتبة الخامسة فهى أخباره وآثاره الى أن يندرس وينطمس ويصير كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياؤها الى طلوع نصف النهار فى

فى كثير من نجواهم لا خير فى كثير من نجوى الناس جميعا الا من أمر بصدقة أو معروف والمعروف هو كل ما أمر الله به أو ندب اليه من أعمال البر والخير أو اصلاح بين الناس وهو الاصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الاصلاح بينهما البتة راجعا الى ما فيه الالفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما يقول ومن يأمر بصدقة أو معروف من الامر أو يصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله يعنى طلب رضا الله بفعله ذلك فسوف نؤتيه أجرا عظيما يقول فسوف نعطيه جزاء لما فعل من ذلك عظيما ولا أحد لبلغ ما سمى الله عظيما يعلمه سواه واختلف أهل العربية فى معنى قوله لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة فقال بعض نحوى البصرة معنى ذلك لا خير فى كثير من نجواهم الا فى نجوى من أمر بصدقة كأنه عطف من على الهاء والميم فى مثل هذا الموضع من أجل انه لم ينله الجحد وقال بعض نحوى الكوفة قد تكون من فى موضع خفض ونصب أما الخفض فعلى قولك لا خير فى كثير من نجواهم الا فيمن أمر بصدقة فتكون النجوى على هذا التاويل هم الرجال المناجون كما قال جل ثناؤه ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وكما قال واذهم نجوى وأما النصب فعلى أن تجعل النجوى فعلا فيكون نصبا لانه حينئذ يكون استثناء منقطعا لان من خلاف النجوى فيكون ذلك نظير قول الشاعر

وما بالربع من أحد * الا أوارى لايا ما أبينها

وقد يحتمل من على هذا التاويل أن يكون رفعا كما قال الشاعر

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

وأولى هذه الاقوال بالصواب فى ذلك ان تجعل من فى موضع خفض بالرد على النجوى وتكون النجوى بمعنى جمع المتناجين خرج مخرج الشكوى والجرحى والمرضى وذلك ان ذلك أظهر معانيه فيكون تاويل الكلام لا خير فى كثير من المتناجين يا محمد من الناس الا فيمن أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس فان أولئك فيهم الخير ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) يعنى جل ثناؤه بقوله ومن يشاقق الرسول ومن يباين الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم معاديا له فيفارقه على العداوة له من بعد ما تبين له الهدى يعنى من بعد ما تبين له انه رسول الله وان ما جاء به من عند الله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ويتبع غير سبيل المؤمنين يقول ويتبع طريقا غير طريق أهل التصديق ويسلك منهاجا غير منهاجهم وذلك هو الكفر بالله لان الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم نوله ما تولى يقول نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الاوثان والاصنام وهى لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيأ ولا تنفعه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله نوله ما تولى قال من آلهة الباطل حدثنى ابن المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ونصله جهنم يقول ونجعله صلى نار جهنم نحرقه بها وقد بينا معنى الصلى فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وساءت مصيرا يقول وساءت جهنم مصيرا موضعا يصير اليه من صار اليه ونزلت هذه الآية فى الخائنين الذين ذكرهم الله فى قوله ولا تكن للخائنين خصيما الى أبى التوبة من أبى منهم وهو طعمة بن الابيرق ولحق بالمشركين من عبدة الاوثان بمكة مرتدا مغاضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الله لا يغفر لطعمة اذا شرك ومات على شركه بالله ولا لغيره من خلقه بشركهم وكفرهم به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يقول ويغفر ما دون الشرك بالله من الذنوب لمن يشاء يعنى بذلك جل ثناؤه ان طعمة لو انه أشرك بالله ومات على شركه لكان فى مشيئة الله على ما سلف من خيانته ومعصيته وكان الى الله أمره

فيجعلونها بحيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم بن أبي بزة عن عكرمة فليبتكن آذان الانعام قال دين شرعه لهم ابليس كهيئة البحائر والسيب

القول في تأويل قوله (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) اختلف أهل التأويل في معنى قوله فليغيرن خلق الله فقال بعضهم معنى ذلك ولآمرنهم فليغيرن خلق الله من البهائم بالخصاء وسم اياها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس انه كره الاخصاء وقال فيه نزلت ولآمرنهم فليغيرن خلق الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس انه كره الاخصاء وقال فيه نزلت ولآمرنهم فليغيرن خلق الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال هو الاخصاء يعني قول الله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف قال ثني رجل عن ابن عباس قال اخصاء البهائم مثلة ثم قرأ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال من تغيير خلق الله الاخصاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرني شبل انه سمع شهر بن حوشب قرأ هذه الآية فليغيرن خلق الله قال الخصاء قال فامرت أبا التياح فسأل الحسن عن خصاء الغنم فقال لا باس به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عمي وهب بن نافع عن القاسم بن أبي بزة قال أمرني مجاهد ان أسأل عكرمة عن قوله فليغيرن خلق الله فسالته فقال هو الخصاء حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن عبد الجبار بن ورد عن القاسم بن أبي بزة قال قال لي مجاهد سل عنها عكرمة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله فسالته فقال الاخصاء قال مجاهد ما له لعنه الله فوالله لقد علم انه غير الاخصاء ثم قال سله فسالته فقال عكرمة ألم تسمع الى قول الله تبارك وتعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال لدين الله فحدث به مجاهد فقال ما له أخزاه الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن ليث قال قال عكرمة فليغيرن خلق الله قال الاخصاء حدثني المثنى قال ثنا مسلم ابن ابراهيم قال ثنا هرون النحوي قال ثنا مطر الوراق قال سئل عكرمة عن قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال هو الاخصاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال الاخصاء حدثنا عمرو بن علي قال ثنا وكيع قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال سمعت أنس بن مالك يقول في قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال منه الخصاء حدثنا عمرو قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس بمثله قال حدثنا ابن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن عكرمة انه كره الاخصاء قال وفيه نزلت ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال آخرون معنى ذلك ولآمرنهم فليغيرن دين الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن وأبو أحمد قالا ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني قيس بن مسلم عن ابراهيم مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن القاسم بن أبي بزة قال أخبرت مجاهدا بقول عكرمة في قوله فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال

بالقياس عمل بالنص أيضا وكانه تعالى قال مهما اغلب على ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب أمر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك أن تعمل بموجب ذلك الظن ولا تكن للخائنين أي لاجلهم يريد بني ظفر خصيما لخاصمهم وأصله من الخصم بالضم والسكون وهو ناحية الشئ وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء صلى الله عليهم وسلم لولا ان الرسول أراد أن يخاصم لاجل الخائن ويذب والا لما ورد النهي عنه ولما أمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشئ لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوما طعمة لما التمسوا منه صلى الله عليه وسلم أن يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي ولعله أمر بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين أو لعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبراءة طعمة ولم يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على صدوق الحال أو لعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه وأخانه والعاصي خائن نفسه لانه يحرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خواانا أثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد النهي

أثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عنده فلم يوجد عنده وحلف لهم والله ما أخذها ومال بها من علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وكان هواه صلى الله عليه وسلم معهم وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده فأنزل الله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال أبو علي قوله بما أراك الله ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب والا اقتضى ثلاثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان أحدهما الكاف والآخر الضمير العائد المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد معناه بما علمك الله وسمى ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه والرأي مناطن ولكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جائزا له صلى الله فيجعلونها

مصاحف المسلمين ولاجماع الحجة على قراءة ذلك كذلك وأولى التأويلات التي ذكرت بتأويل ذلك اذ كان الصواب عندنا من القراءة ما وصفت تأويل من قال عنى بذلك الآلهة التي كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله ويسمونها بالاناث من الاسماء كاللات والعزى ومناة وما أشبه ذلك وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان الاظهر من معاني الاناث في كلام العرب ما عرف بالتانيث دون غيره فاذ كان ذلك كذلك فالواجب توجيه تأويله الى الاشهر من معانيه واذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان يدعون من دونه الا اناثا يقول ما يدعون الذين يشاقون الرسول ويتبعون غير سبيل المؤمنين شيأ من دون الله بعبادة الله وسواه الا اناثا يعني الا ما سموه باسماء الاناث كاللات والعزى وما أشبه ذلك يقول جل ثناؤه فحسب هؤلاء الذين أشركوا بالله وعبدوا ما عبدوا من دون الله من الاوثان والانداد حجة عليهم في ضلالتهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل انهم يعبدون اناثا ويدعونها آلهة وأربابا والاناث من كل شئ أخسه فهم يقرون للخسيس من الاشياء بالعبودة على علم منهم بخساسته ويمتنعون من اخلاص العبودية للذي له ملك كل شئ وبيده الخلق والامر ۞ القول في تأويل قوله (وان يدعون الا شيطانا مريدا) يعني جل ثناؤه بقوله وان يدعون الا شيطانا مريدا وما يدعون هؤلاء الذين يدعون هذه الاوثان الاناث من دون الله بدعائهم اياها الا شيطانا مريدا يعني متمردا على الله في خلافه فيما أمره به ونهاه عنه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان يدعون الا شيطانا مريدا قال تمرد على معاصي الله ۞ القول في تأويل قوله (لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعني جل ثناؤه بقوله لعنه الله أخزاه وأقصاه وأبعده ومعنى الكلام وان يدعون الا شيطانا مريدا قد لعنه الله وأبعده من كل خير وقال لاتخذن يعني بذلك ان الشيطان المريد قال لربه اذ لعنه لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني بالمفروض المعلوم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك نصيبا مفروضا قال معلوما فان قال قائل وكيف يتخذ الشيطان من عباد الله نصيبا مفروضا قيل يتخذ منهم ذلك النصيب باغوائه اياهم عن قصد السبيل ودعائه اياهم الى طاعته وتزيينه لهم الضلال والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق فمن أجاب دعاءه واتبع ما زينه له فهو من نصيبه المعلوم وحظه المقسوم وانما أخبر جل ثناؤه في هذه الآية بما أخبر به عن الشيطان من قيله لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ليعلم الذين شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى انهم من نصيب الشيطان الذي لعنه الله المفروض وانه ممن صدق عليهم ظنه وقد دللنا على معنى اللعنة فيما مضى فكرهنا اعادته ۞ القول في تأويل قوله (ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعني بقوله جل ثناؤه مخبرا عن قيل الشيطان المريد الذي وصف صفته في هذه الآية ولاضلنهم ولاصدن النصيب المفروض الذي اتخذه من عبادك عن محجة الهدى الى الضلال ومن الاسلام الى الكفر ولامنينهم يقول لازينهم بما أجعل في نفوسهم من الاماني عن طاعتك وتوحيدك الى طاعتي والشرك بك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يقول ولآمرن النصيب المفروض من عبادك لي بعبادة غيرك من الاوثان والانداد حتى ينسكوا له ويحرموا ويحللوا له ويشرعوا غير الذي شرعته لهم فيتبعوني ويخالفوك والبتك القطع وهو في هذا الموضع قطع أذن البحيرة ليعلم انها بحيرة وانما أراد بذلك الخبيث انه يدعوهم الى البحيرة فيستجيبون له ويعملون بها طاعة له ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فليبتكن آذان الانعام قال البتك في البحيرة والسائبة كانوا يبتكون آذانها للطواغيت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اما يبتكن آذان الانعام فيشقونها

الله وهذا الاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم أردف الوعيد

فعل كل ما نهى الله عنه من خصاء ما لا يجوز خصاؤه ووشم ما نهى عن وشمه ووشره وغير ذلك من المعاصي ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به لان الشيطان لا شك أنه يدعو الى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته فذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباد الله بتغيير ما خلق الله من دينه ولا معنى لتوجيه من وجه قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله الى أنه وعد الامر بتغيير بعض ما نهى الله عنه دون بعض أو بعض ما أمر به دون بعض فاذ كان الذي وجه معنى ذلك الى الخصاء والوشم دون غيره انما فعل ذلك لان معناه كان عنده انه عنى به تغيير الاجسام فان في قوله اخبارا عن قيل الشيطان ولآمرنهم فليبتكن أذان الانعام ما ينبئ ان معنى ذلك على غير ما ذهب اليه لان تبتيك أذان الانعام من تغيير خلق الله الذي هو أجسام وقد مضى الخبر عنه انه وعد الامر بتغيير خلق الله من الاجسام مفسرا فلا وجه لاعادة الخبر عنه به مجملا اذ كان الفصيح في كلام العرب أن يترجم عن المجمل من الكلام بالمفسر وبالخاص عن العام دون الترجمة عن المفسر بالمجمل وبالعام عن الخاص وتوجيه كتاب الله الى الافصح من الكلام أولى من توجيهه الى غيره ما وجد اليه السبيل ۞ القول في تاويل قوله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن حال نصيب الشيطان المفروض من الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى يقول الله ومن يتبع الشيطان فيطيعه في معصية الله وخلاف أمره ويواليه فيتخذه وليا لنفسه ونصيرا دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يقول فقد هلك هلاكا وبخس نفسه حظها فاوبقها بخسا مبينا بين عن عطبه وهلاكه لان الشيطان لا مال له ولا نصر من الله اذا عاقبه على معصيته اياه في خلافه أمره بل يخذله عند حاجته اليه وانما حاله معه ما دام حيا مهلا بالعقوبة كما وصفه الله جل ثناؤه بقوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعني بذلك جل ثناؤه يعد الشيطان المريد أولياءه الذين هم نصيبه المفروض أن يكون لهم نصيرا ممن أرادهم بسوء وظهيرا لهم عليه يمنعهم منه ويدافع عنهم ويمنيهم الظفر على من حاول مكروههم والصلح عابهم ثم قال وما يعدهم الشيطان الا غرورا يقول وما يعد الشيطان أولياءه الذين اتخذوه وليا من دون الله الا غرورا يعني الا باطلا وانما جعل عدته اياهم جل ثناؤه وما وعدهم غرورا لانهم كانوا يحسبون انهم في اتخاذهم اياه وليا على حقيقة من عدانه الكاذبة وأمانيه الباطلة حتى اذا محص الحق وصاروا الى الحاجة اليه قال لهم عدو الله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتموني من قبل وكما قال للمشركين ببدر وقد زين لهم أعمالهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان ومحص الحق وعاين حد الامر ونزول عذاب الله بخزيه نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب فصارت عدانه عدو الله اياهم عند حاجتهم اليه غرورا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ۞ القول في تاويل قوله (أولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) يعني جل ثناؤه بقوله أولئك هؤلاء الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله ماواهم جهنم يعني مصيرهم الذي يصيرون اليه جهنم لا يجدون عنها محيصا يقول لا يجدون عن جهنم اذا صيرهم الله اليها يوم القيامة معدلا يعدلون اليه يقال منه حاص فلان عن هذا الامر يحيص حيصا وحيوصا اذا عدل عنه ومنه خبر ابن عمر انه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيهم فلقينا المشركين فحصنا حيصة وقال بعضهم فحاصوا حيصة والحيص والحيص متقاربا المعنى ۞ القول في تاويل قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا) يعني جل ثناؤه بقوله والذين آمنوا وعملوا

بذكر التوبة فقال ومن يعمل سوأ قبيحا متعديا بسوئه غيره كفعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يجازى به كالحالف الكاذب وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ايصال الضر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه وقد يستدل باطلاق الآية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا أو قتلا عمدا أو غصبا للاموال بل على أن مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما أي له فحذف هذا الرابط لدلالة الكلام عليه لانه لا معنى للترغيب في الاستغفار الا اذا كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوأ من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة العلم بما يكون منه أو بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك والمقصود منه ترغيب العاصي في الاستغفار وكأنه قال الذنب الذي أتيت به انما يعود وباله وضرره اليك لا الي فاني منزه عن النفع والضر ولا تيأس من قبول التوبة وكان الله عليما حكيما تقتضي حكمته أن يتجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة أو انما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما حصل بسبب العمد ثم رمى به أي مالا ينبغي فعله سواء كان بالعمد أو الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد

ثنا هرون النحوى قال ثنا مطر الوراق قال ذكرت لمجاهد قول عكرمة فى قوله فليغيرن خلق الله فقال كذب العبد ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنا ابن وكيع وعمرو بن على قالا ثنا أبو معاوية عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد وعكرمة قالا دين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى وحفص عن ليث عن مجاهد قال دين الله ثم قرأ ذلك الدين القيم حدثنا محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فليغيرن خلق الله قال الفطرة دين الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فليغيرن خلق الله قال الفطرة الدين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله أى دين الله فى قول الحسن وقتادة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الملك عن عثمان بن الاسود عن القاسم بن أبى بزة فى قوله فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال أما خلق الله فدين الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فليغيرن خلق الله قال دين الله وهو قول الله فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله يقول لدين الله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله وقرأ لا تبديل لخلق الله قال لدين الله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله وقرأ لا تبديل لخلق الله قال لدين الله حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا قيس بن مسلم عن ابراهيم ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله حدثنا عمرو بن على قال ثنا معاذ قال ثنا عمران بن حدير عن عيسى بن هلال قال كتب كثير مولى ابن سمرة الى الضحاك بن مزاحم يسأله عن قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله فكتب انه دين الله وقال آخرون معنى ذلك ولآمرنهم فليغيرن خلق الله بالوشم ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن فى قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال الوشم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن نوح بن قيس عن خالد بن قيس عن الحسن فليغيرن خلق الله قال الوشم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم قال أخبرنا يونس عن عبيد أو غيره عن الحسن فليغيرن خلق الله قال الوشم حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو هلال الراسبى قال سال رجل الحسن ما تقول فى امرأة فشرت وجهها قال مالها لعنها الله غيرت خلق الله حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله لعن الله المتفلجات والمتنمصات والمتوشمات المغيرات خلق الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لعن الله الواشرات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لعن الله المتنمصات والمتفلجات قال شعبة أحسبه قال المغيرات خلق الله وأولى الاقوال بالصواب فى تاويل ذلك قول من قال معناه ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال دين الله وذلك لدلالة الآية الاخرى على ان ذلك معناه وهو قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم واذا كان ذلك معناه دخل فى ذلك

والعموم ليتناول طعمة وكل من كان بالافراط فى الخيانة وركوب الاثم وروى انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة أمره لا يشك فى حاله وقالت العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة وفى الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن فى معرض السخط من الله يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله أى لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية وكفى هذا زاجرا للانسان عن المعاصى اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه و يحلف ببراءته وتسمية التدبير وهو معنى فى النفس قولا ليس فيها اشكال عند القائلين بالكلام النفسى وأما عند غيرهم فمجاز أو لعلهم اجتمعوا فى الليل ورتبوا كيفية المكر فسمى الله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذى لا يرضاه الله أو المراد بالقول الحلف الكاذب الذى حلف به بعد أن بيتها أنتم هؤلاء ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم عنهم جملة موضحة للاولى كما يقال للسخى انت حاتم تجود بمالك أو المراد أنتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وقومه لانهم فى الظاهر مسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عنهم عن طعمة وقومه فى الدنيا فمن الذى يخاصم عنهم فى الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه أم من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من عذاب

وقالت النصارى مثل ذلك فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسمعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا فرد الله عليهم قولهم فقال ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ثم فضل الله المومنين عليهم فقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به تخاصم أهل الاديان فقال أهل التوراة كتابنا أول كتاب وخير هاونبينا خير الانبياء وقال أهل الانجيل نحوا من ذلك وقال أهل الاسلام لادين الادين الاسلام وكتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين وأمرنا أن نعمل بكتابنا ونؤمن بكتابكم فقضى الله بينهم فقال ليس بامانيكم ولا أماني أهل المكتاب من يعمل سوأ يجز به ثم خير بين أهل الاديان ففضل أهل الفضل فقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن الى قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب الى ولا نصيرا تحاكم أهل الاديان فقال أهل التوراة كتابنا خير من الكتب أنزل قبل كتابكم ونبينا خير الانبياء فقال أهل الانجيل مثل ذلك وقال أهل الاسلام لادين الا الاسلام كتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم فقال ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به وخير بين أهل الاديان فقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا حدثني المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا يعلى بن عبيد وأبو زهير عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال جلس ناس من أهل التوراة وأهل الانجيل فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فانزل الله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ثم خص الله أهل الايمان فقال ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن اسمعيل عن أبي صالح قال جلس أهل التوراة وأهل الانجيل وأهل الزبور فتفاخروا فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فانزل الله ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب قال افتخر أهل الاديان فقالت اليهود كتابنا خير الكتب وأكرمها على الله ونبينا أكرم الانبياء على الله موسى كلمه الله قبلا وخلا به نجيا ودينا أكرم الاديان وقالت النصارى عيسى بن مريم خاتم الرسل وآتاه الله التوراة والانجيل ولو أدركه موسى لاتبعه ودينا خير الاديان وقالت المجوس وكفار العرب ديننا أقدم الاديان وخير ها وقال المسلمون محمد نبينا خاتم النبيين وسيد الانبياء والفرقان آخر ما أنزل الله من الكتب من عند الله وهو أمين على كل كتاب والاسلام خير الاديان فخير الله بينهم فقال ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب وقال آخرون بل عنى الله بقوله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب أهل الشرك به من عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب قال قريش قالت لن نبعث ولن نعذب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليس بامانيكم قال قالت قريش لن نبعث ولن نعذب فانزل الله من يعمل سوأ يجز به حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قال قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات شك أبو

العناية على الدوام واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة أي أدمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلاة عبادة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء والمنكر فلتقم طائفة منهم أي من عوامهم معك أي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا يعني طائفة من بقية القوم أسلحتهم من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا يعني من معك ونزلوا مقامات القربة فليكونوا أي هؤلاء القوم من ورائكم في المرتبة والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنيوية لحوائجكم الضرورية للانسان ولتات طائفة أخرى لم يصلوا معك في الصحبة فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو آداب الطريقة وأسلحتهم وهي أركان الشريعة ودوا الذين كفروا هم عدو النفس وصفاتها ان كان بكم أذى من مطر يعني أشغال الدنيا وضروريات حوائج الانسان يطر عليكم في بعض الاوقات أن تضعوا أسلحة الطاعة والاوركان ساعة فساعة وخذوا حذركم من التوجه الى الخلق ومراقبة الاحوال وحفظ القلب وحضوره مع الله وتحاولوا السير عن الالتفات بغير الله ورعاية التسليم والتفويض الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدين والالتجاء الى ولاية النبوة ان الله أعد لهم هذه الاسباب للكافرين من كفار النفس والشيطان عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلاة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ان الصلاة كانت

في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا مؤقتا الى الابد كما أشار اليه بقوله انا فتحنا لك اى بابا من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله ما تقدم

بأحد المذكورين أو بالاثم أو بذلك لانه بكسب الاثم أثيم ورمى البرىء باهت فهو جامع بين الامرين فلا جرم يلحقه الذم فى الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل وهو النبوة وبالرحمة لهمت طائفة منهم من بنى ظفر أو طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر أن يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل وما يضلون الا أنفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان لان وبال ذلك عليهم وما يضرونك من شئ لانك انما تحكم بظاهر الحال وما أمرت الانبياء الا بالاحكام على الظواهر وهو وعد بادائه العصمة له مما يريدون فى الاستقبال من ايقاعه فى الباطل ثم أكد الوعد بقوله وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أى انه لما أمرك بتبليغ الشريعة الى الخلق فكيف يليق بحكمته أن لا يعصمك عن الوقوع فى الشبهات والضلالات وعلى الاول يكون المراد انه أوجب فى الكتاب والحكمة بناء أحكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك بناء الامر عليه وعلمك ما لم تكن تعلم من أخبار الاولين فيه معنيان أحدهما أن يكون كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أى أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وأطلعك على أسرارهما وأوقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك عالما بشئ منها الثانى أن يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب أى علمك ما لم تكن تعلم من أخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه مكايدهم ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها قليلا التأويل الصلاة صورة وقالت

الصالحات والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا له بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالنبوة وعملوا الصالحات يقول وأدوا فرائض الله التى فرضها عليهم سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار يقول سوف ندخلهم يوم القيامة اذا صاروا الى الله جزاء بما عملوا فى الدنيا من الصالحات جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا يقول باقين فى هذه الجنات التى وصفها أبدا انما وقوله وعد الله حقا يعنى عدة من الله لهم ذلك فى الدنيا حقا يعنى يقينا صادقا لا كعدة الشيطان الكاذبة التى هى غرور من وعدها من أوليائه ولكن عدة ممن لا يكذب ولا يكون منه الكذب ولا يخلف وعده وانما وصف جل ثناؤه وعده بالصدق والحق فى هذه لما سبق من خبره عن قول الشيطان الذى قصه فى قوله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن أذان الانعام ثم قال جل ثناؤه يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ولكن الله يعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنه سيدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعدا منه حقا لا كوعد الشيطان الذى وصف صفته فوصف جل ثناؤه الوعدين والواعدين وخبر بحكم أهل كل وعد منهما تنبيها منه خلقه على ما فيه مصلحتهم وخلاصهم من الهلكة والعطب لينزجروا عن معصيته ويعملوا بطاعته فيفوزوا بما أعد لهم فى جنانه من ثوابه ثم قال لهم جل ثناؤه ومن أصدق من الله قيلا يقول ومن أصدق أيها الناس من الله قيلا أى لا أحد أصدق منه قيلا فكيف تتركون العمل بما وعدكم على العمل به ربكم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وتكفرون به وتخالفون أمره وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قيلا وتعملون بما يأمركم به الشيطان رجاء لادراك ما يعدكم من عداته الكاذبة وأمانيه الباطلة وقد علمتم ان عداته غرور لا صحة لها ولا حقيقة وتتخذونه وليا من دون الله وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه فتكونوا له أولياء ومعنى القيل والقول واحد ۞ القول فى تأويل قوله (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب فقال بعضهم عنى بقوله ليس بأمانيكم أهل الاسلام ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق قال تفاخر النصارى وأهل الاسلام فقال هؤلاء نحن أفضل منكم وقال هؤلاء نحن أفضل منكم قال فانزل الله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

حدثنى أبو السائب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق فى قوله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قال احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال المسلمون نحن أهدى منكم وقال أهل الكتاب نحن أهدى منكم فانزل الله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قال أفلح عليهم المسلمون بهذه الآية ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن الى آخر الآيتين

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى بالله نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله فانزل الله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به الى قوله ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من أهل الاديان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قال التقى ناس من اليهود والنصارى فقالت اليهود للمسلمين نحن خير منكم دينا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا

فقال ما كنت أراك الا أفقه مما أرى النكبة والعود والخدش حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن هشام الدستوائي قال ثنا قتادة عن الربيع بن زياد قال لابي بن كعب قول الله تبارك وتعالى من يعمل سوأ يجز به والله ان كان كل ما عملنا لمجزيا به هلكنا قال والله ان كنت لاراك أفقه مما أرى لا يصيب رجلا خدش ولا عثرة الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر حتى اللدغة والنغخة حدثنا القاسم ابن بشر بن معرور قال ثنا سليمان بن حرب قال ثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب قال دخلت على عائشة فسألتها عن هذه الآية ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قالت ذلك ما يصيبكم في الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني خالد أنه سمع مجاهدا يقول في قوله من يعمل سوأ يجز به قال يجزى به في الدنيا قال قلت وما تبلغ المصيبات قال ما تكره وقال آخرون معنى ذلك من يعمل سوأ من أهل الكتاب يجز به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن من يعمل سوأ يجز به قال الكافر ثم قرأ وهل يجازى الا الكفور قال من الكفار حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل عن حميد عن الحسن مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازي عن يونس بن عبيد عن الحسن انه كان يقول من يعمل سوأ يجز به وهل يجازى الا الكفور يعني بذلك الكفار لا يعني بذلك أهل الصلاة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن في قوله من يعمل سوأ يجز به قال والله ما جازى الله عبدا بالخير والشر الا عذبه قال ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى قال أما والله لقد كانت لهم ذنوب ولكنه غفرها لهم ولم يجازهم بها ان الله لا يجازي عبده المؤمن بذنب اذا تاب منه ذنوبه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله من يعمل سوأ يجز به قال وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم ولم يعد أولئك يعني المشركين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن عاصم عن الحسن من يعمل سوأ يجز به قال انما ذلك لمن أراد الله هوانه فاما من أراد كرامته فانه من أهل الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك من يعمل سوأ يجز به يعني بذلك اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وقال آخرون معنى السوء في هذا الموضع الشرك قالوا وتاويل قوله من يعمل سوأ يجز به من يشرك بالله يجز بشركه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من يعمل سوأ يجز به يقول من يشرك يجز به وهو السوء ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا الا أن يتوب قبل موته فيتوب الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير من يعمل سوأ يجز به قال الشرك

* قال أبو جعفر وأولى التاويلات التي ذكرناها بتاويل الآية التاويل الذي ذكرناه عن أبي بن كعب وعائشة وهو ان كل من عمل سوأ صغيرا أو كبيرا من مؤمن أو كافر جوزي به وانما قلنا ذلك أولى بتاويل الآية لعموم الآية كل عامل سوء من غير أن يخص أو يستثنى منهم أحد فهي على عمومها اذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فان قال قائل وأين ذلك من قول الله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وكيف يجوز أن يجازى على ما قد وعد تكفيره قيل انه لم يعد بقوله نكفر عنكم سيئاتكم ترك المجازاة عليها وانما وعد التكفير بترك الغضيحة منه لاهلها في معادهم كما فضح أهل الشرك والنفاق فاما اذا جازاهم في الدنيا عليها بالمصائب ليكفرها عنهم بها اليوافوه ولا ذنب لهم يستحقون المجازاة عليه فانما وفى لهم بما وعدهم بقوله نكفر عنكم سيئاتكم وأنجز لهم ما ضمن لهم بقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم

نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا) القراآت يؤتيه بالياء أبو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون فواه ونصله مثل يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وأبو بكر وحماد الآخرون بالعكس ابراهام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان * الوقوف بين الناس ط عظيما ه جهنم ط مصيرا ه لمن يشاء ط بعيدا ه اناثا ج لابتداء النفي مع واو العطف مريدا ج لان ما بعده وصفة له لعنه الله م لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا ه لا للعطف خلق الله ط مبينا ط كيلا يصير بعدهم وصفا للخسران وعنهم ط غرورا ه محيصا ه أبدا ط حقا ط قيلا ه الكتاب ط يجز به لا للعطف نصيرا ه نقيرا ه حنيفا ط خليلا ه وما في الارض ط محيطا ه * التفسير ثم أشار الى ما كانوا يتناجون حيث يبيتون ما لا يرضى من القول والنجوى سر بين اثنين وكذا النجو يقال نجوته نجوا أي سارزته وكذلك ناجيته قال الفراء قد تكون النجوى اسما ومصدرا والآية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من أمر وفي محل من وجوه مبنية على معنى النجوى فان كان النجوى السر جاز أن يكون

من في موضع النصب لانه استثناء الشئ من خلاف جنسه كقوله الا ازارى ومعناه لكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير أو في موضع الرفع كقوله الا

بشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ليس بامانيكم قريش وكعب بن الاشرف من يعمل سوأ يجز به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى آخر الآية قال جاء حيي بن أخطب الى المشركين فقالوا له ياحيي انكم أصحاب كتب فنحن خير أم محمد وأصحابه فقال أنتم خير منه فذلك قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ثم قال للمشركين ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب فقرأ حتى بلغ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا قال وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم ولم يعد أولئك وقرأ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قال قالت قريش لن نبعث ولن نعذب وقال آخرون عنى به أهل الكتاب خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى أسيد قال سمعت الضحاك يقول ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب الآية قال نزلت فى أهل الكتاب حين خالفوا النبى صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك ما قال مجاهد من أنه عنى بقوله ليس بامانيكم مشركى قريش وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان المسلمين لم يجر لامانيهم ذكر فيما مضى من الآى قبل قوله ليس بامانيكم وانما جرى ذكر أمانى نصيب الشيطان المفروض وذلك فى قوله ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام وقوله يعدهم و يمنيهم فالحاق معنى قوله ليس بامانيكم بما قد جرى ذكره قبل أحق وأولى من ادعاء تاويل فيه لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اجماع من أهل التاويل واذ كان ذلك كذلك فتاويل الآية اذا ليس الامر بامانيكم يامعشر أولياء الشيطان وحزبه التى يمنيكموها وليكم عدو الله من انفاذكم من أراد كم بسوء ونصرتكم عليه واظفاركم به ولا أمانى أهل الكتاب الذين قالوا الاغترار بالله وبحلمه عنهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فان الله مجازى كل عامل منكم جزاء عمله من يعمل منكم سوأ ومن غيركم يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ومما يدل أيضا على صحة ما قلنا فى تاويل ذلك وانه عنى بقوله ليس بامانيكم مشركو العرب كما قال مجاهد ان الله وصف وعد الشيطان ما وعد أولياءه وأخبر بمحال وعده ثم اتبع ذلك بصفة وعده الصادق بقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا وقد ذكر جل ثناؤه مع وصفه وعد الشيطان أولياءه تمنيته اياهم الامانى بقوله يعدهم و يمنيهم كما ذكر وعده اياهم فالذى هو أشبه أن يتبع تمنيته اياهم من الصفة بمثل الذى اتبع عدته اياهم به من الصفة واذ كان ذلك كذلك صح ان قوله ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به الآية انما هو خبر من الله عن أمانى أولياء الشيطان وما اليه صائرة أمانيهم مع سيئ أعمالهم من سوء الجزاء وما اليه صائرة أعمال أولياء الله من حسن الجزاء وانما ضم جل ثناؤه أهل الكتاب الى المشركين فى قوله ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب لان أمانى الفريقين من تمنية الشيطان اياهم التى وعدهم أن يمنيهموها بقوله ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم ۞ القول فى تاويل قوله (من يعمل سوأ يجز به) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم عنى بالسوء كل معصية لله وقالوا معنى الآية من يرتكب صغيرة أو كبيرة من مؤمن أو كافر من معاصى الله يجازه الله بها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان زياد بن الربيع سأل أبى بن كعب عن هذه الآية من يعمل سوأ يجز به

فى الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا وما تاخر من ذنبك بان لا تكون مصليا و يتم نعمته عليك بان يجعل سيآتك وهى عدم صلاتك فى الازل أو الابد مبدلة بالحسنات وهى الصلاة المقبولة من الازل الى الابد و يهديك صراطا مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا فى ابتغاء القوم النفس وصفاتها أن تكونوا تالمون فى الجهاد بعناء الرياضات والعبادات فانهم يالمون فى طلب اللذات والشهوات كما تالمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية مالا يرجون لان همم النفس الدنية لا تجاوز قصورها الدنية المجازية الفانية بما أراك الله حين أوحى اليك بلا واسطة ما أوحى وأراك آياته الكبرى (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال

له فيفقدها فيقرع لها فيجدها في كمه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو عامر الخزاز قال ثنا ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قلت يارسول الله اني أعلم أشد آية في القرآن فقال ماهي ياعائشة قال فقالت هي هذه الآية يارسول الله من يعمل سوأ يجز به قال فقال هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الربيع بن صبيح عن عطاء قال لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر يارسول الله ما أشد هذه الآية قال يا أبا بكر انك تمرض وانك تحزن وانك يصيبك أذى فذاك بذاك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء بن أبي رباح قال لما نزلت قال أبو بكر جاءت قاصمة الظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي المصيبات في الدنيا ۞ القول في تاويل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) يعني بذلك جل ثناؤه ولا يجد الذي يعمل سوأ من معاصي الله وخلاف ما أمره به من دون الله يعني من بعد الله وسواه وليا يلي أمره ويحمي عنه ما ينزل به من عقوبة الله ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصره بما يحل به من عقوبة الله وأليم نكاله ۞ القول في تاويل قوله (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) يعني بذلك جل ثناؤه الذين قال لهم ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب يقول الله لهم انما يدخل الجنة وينعم فيها في الآخرة من يعمل من الصالحات من ذكور كم وانا ثكم وذكور عبادي واناثهم وهو مؤمن بي وبرسولي محمد مصدق ووحداني ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءه به من عندي لا أنتم أيها المشركون المكذبون رسولي فلا تطمعوا ان تحلوا وأنتم كفار محل المؤمنين بي وتدخلوا مداخلهم في القيامة وأنتم مكذبون برسولي كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قال أبى ان يقبل الايمان الا بالعمل الصالح وأبى ان يقبل الاسلام الا بالاحسان وأما قوله ولا تظلمون نقيرا فانه يعني ولا يظلم الله هؤلاء الذين يعملون الصالحات من ثواب عملهم مقدار النقرة التي تكون في ظهر النواة في القلة فكيف بما هو أعظم من ذلك وأكثر وانما يخبر بذلك جل ثناؤه عباده انه لا يبخسهم من جزاء أعمالهم قليلا ولا كثيرا ولكن يوفيهم ذلك كما وعدهم وبالذي قلنا في معنى النقير قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ولا يظلمون نقيرا قال النقير الذي يكون في ظهر النواة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية قال النقير الذي في وسط النواة فان قال لنا قائل ما وجه دخول من في قوله ومن يعمل من الصالحات ولم يقل ومن يعمل الصالحات قيل لدخولها وجهان أحدهما أن يكون الله قد علم ان عباده المؤمنين لن يطيقوا أن يعملوا جميع الاعمال الصالحات فاوجب وعده لمن عمل ما أطاق منها ولم يحرمه من فضله بسبب ما عجزت عن عمله منها قواه والآخر منهما أن يكون تعالى ذكره أوجب وعده لمن اجتنب الكبائر وأدى الفرائض وان قصر في بعض الواجب له عليه تفضلا منه على عباده المؤمنين اذ كان الفضل به أولى والصفح عن أهل الايمان به أحرى وقد يقول قوم من أهل العربية انما أدخلت في هذا الموضع بمعنى الحذف ويتاوله ومن يعمل الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وذلك عندي غير جائز لان دخولها لمعنى فغير جائز أن يكون معناها الحذف ۞ القول في تاويل قوله (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وهذا اقضاء من الله جل ثناؤه للاسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها يقول الله ومن أحسن دينا أيها الناس وأصوب طريقا وأهدى سبيلا ممن أسلم وجهه لله يقول ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة مصدقا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءه به من عند ربه وهو محسن يعني وهو عامل بما أمره به ربه محرم حرامه ومحلل حلاله واتبع ملة ابراهيم حنيفا يعني

قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الخ كيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا أجلى من وجود الصانع

ومعنى قوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه ونكاله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ بآية السيف ولا سيما في حق المرتد والظاهر أن المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها وساءت مصيرا وانتصب مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى أن الشافعي سئل عن آية في كتاب الله دالة على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الآية ووجه الاستدلال أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين أو النقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب كموالاة الرسول وفي الآية دلالة على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء باقواله وأفعاله والا وجب المشاقة في بعض من الامور وهي منهي عنها في الكل قيل في الآية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبيين الدليل فيكون تبيين الدليل معتبرا في صحة الدين وأقول الموقوف على النظر هو معرفة وجود الواجب لذاته وصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والبواقي يكفي في اعتقاده أخبار الصادق على ان اخبار الصادق أيضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة

اليعافير والاالعيس وأبو عبيد جعل لاخير في قيامهم الاقيام زيد أي في قيامه وعلى هذا يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذهم نجوى كان محله أيضا مجرورا من كثير أو من نجوى كما لوقلت لاخير في جماعة من القوم الازيدان شئت اتبعت زيدا لجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لاخير في كثير مع انه يصدق الحكم كليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله استجلابا للقلوب وليكون أدخل في الاعتراف به وليخرج عنه الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه واعلم أن قول الخير اما أن يتعلق بايصال المنفعة أو بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية أو العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الآية مشتملة على جوامع الخيرات ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر الا انها لا تقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما أمر كيلا يكون من زمرة أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم لم تقولون مالا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذه قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ويمكن أن يقال ان معنى ومن يفعل الامر أو المراد ومن يأمر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال أو المراد بقوله من أمر من فعل لان الامر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما أظهر الله من أمره ما دله على صحة نبوة محمد

جنات تجري من تحتها الانهار و بنحو الذي قلنا في ذلك تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار الواردة بذلك **حدثنا** أبو كريب وسفيان بن وكيع ونصر بن علي وعبد الله بن أبي زياد القطواني قالوا ثنا سفيان بن عيينة عن ابن محيصن عن محمد بن قيس عن مخرمة عن أبي هريرة لما نزلت هذه الآية من يعمل سوأ يجز به شقت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله أن يبلغ ذلك فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها **حدثني** عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور الرمادي قالا ثنا يزيد بن خباب قال ثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي قال ثنا محمد بن زيد بن قنفذ عن عائشة عن أبي بكر قال لما نزلت من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر يا رسول الله كل من يعمل يؤاخذ به فقال يا أبا بكر ألست تصيبك كذا وكذا فهو كفارته **حدثني** ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن زياد الخصاص عن علي بن زيد عن مجاهد قال نبئ عبد الله بن عمر أنه سمع أبا بكر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يعمل سوأ يجز به في الدنيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن اسمعيل عن أبي بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق أنه قال يا نبي الله كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أية آية قال يقول الله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به فما عملناه جزينا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تحزن ألست تصيبك اللاواء قال فهو ما تجزون به **حدثنا** يونس قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد قال أظنه عن أبي بكر الثقفي عن أبي بكر قال لما نزلت هذه الآية من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر كيف الصلاح ثم ذكر نحوه الا أنه زاد فيه ألست تنكب **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير ان أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف الصلاح فذكر نحوه **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو مالك الجنبي عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي قال قال أبو بكر يا رسول الله فذكر نحوه الا أنه قال فكل سوء عملناه جزينا به وقال أيضا ألست تمرض ألست تنصب ألست تحزن أليس يصيبك اللاواء قال بلى قال هو ما تجزون به **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي قال لما نزلت هذه الآية ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر يا رسول الله وانا لمجزي بكل شئ نعمله قال يا أبا بكر ألست تنصب ألست تحزن ألست تصيبك اللاواء فهذا مما تجزون به **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا ابن أبي خالد قال ثني أبو بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبي بكر فذكر مثل ذلك **حدثنا** أبو السائب وسفيان بن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم قال قال أبو بكر يا رسول الله ما أشد هذه الآية من يعمل سوأ يجز به قال يا أبا بكر ان المصيبة في الدنيا جزاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زوج ابن عبادة قال ثنا أبو عامر الخراز عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قلت انى أعلم أي آية أشد في كتاب الله فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أي آية فقلت من يعمل سوأ يجز به قال ان المؤمن ليجازى باسوأ عمله في الدنيا ثم ذكر أشياء منهن المرض والنصب فكان آخره ان ذكر النكبة فقال كل ذي يجزى بعمله يا عائشة انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا يعذب فقلت أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ذاك عند العرض انه من نوقش الحساب عذب وقال بيده على أصبعه كانه ينكته **حدثني** القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا سليمان بن حرب قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أمية قال سألت عائشة عن هذه الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به قالت ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال يا عائشة ذاك مثابة الله العبد بما يصيبه من الحمى والكبر والبضاعة يضعها في

تكون شريكته في ماله وهو أولى بها من غيره فيرغب عنها أن ينكحها ويعضلها لمالها ولا ينكحها غيره كراهية أن يشركه أحد في مالها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال كانوا لا يورثون في الجاهلية النساء والفتى حتى يحتلم فانزل الله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء في أول سورة النساء من الفرائض حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن شعبة قال كانوا في الجاهلية لا يورثون اليتيمة ولا ينكحونها ويعضلونها فانزل الله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الى آخر الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرني الحجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير انه سمع سعيد بن جبير يقول في قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن الآية قال كان لا يرث الا الرجل الذي قد بلغ لا يرث الرجل الصغير ولا المرأة فلما نزلت آية المواريث في سورة النساء شق ذلك على الناس وقالوا يرث الصغير الذي لا يعمل في المال ولا يقوم فيه والمرأة التي هي كذلك فيرثان كما يرث الرجل الذي يعمل في المال فرجوا أن يأتي من ذلك حدث من السماء فانتظروا فلما رأوا انه لا يأتي حدث قالوا لئن تم هذا انه لواجب ما منه بد ثم قالوا سلوا فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في أول السورة في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قال سعيد بن جبير فلما كان الولي اذا كانت المرأة ذات جمال ومال رغب فيها ونكحها واستأثر بها واذا لم تكن ذات جمال ومال أنكحها ولم ينكحها حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قال كانوا اذا كانت الجارية يتيمة دميمة لم يعطوها ميراثها وحبسوها من التزويج حتى تموت فيرثوها فانزل الله هذا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن قال كان الرجل منهم يكون له اليتيمة بها الدمامة والامر الذي يرغب عنها فيه ولها مال قال فلا يتزوجها ولا يزوجها حتى تموت فيرثها قال فنهاهم الله عن ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قال كانت المرأة اذا كانت عند ولي يرغب عنها حبسها ان لم يتزوجها ولم يدع أحدا يتزوجها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن قال كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيا كانوا يقولون لا يغزون ولا يغنمون خيرا فقرض الله لهن الميراث حقا واجبا ولليتامى أن يتناقص أولينقص الرجل في مال يتيمته ان تكن حسنة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني محمد بن سعد قال ثنا أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب يعني الفرائض التي افترض في أم النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قال كانت اليتيمة تكون في حجر الرجل فيرغب أن ينكحها أو يجامعها ولا يعظيها ما لها رجاء أن تموت فيرثها وان مات لها حميم لم يعط من الميراث شيا وكان ذلك في الجاهلية فبين الله لهم ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن حتى بلغ وترغبون أن تنكحوهن فكان الرجل يكون في حجره اليتيمة بها دمامة وله مال فكان يرغب عنها أن يتزوجها ويحبسها لمالها فانزل الله فيه ما تسمعون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ويستفتونك

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك قال أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث وههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق لما كانوا أكثر من حزب الله فلم أطلق عليهم لفظ النصيب مع أنه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر أما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وأيضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق قالت المعتزلة فيه دلالة على أصلين من أصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني أن الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال فان الشيطان بالاتفاق لا يقدر على ذلك وأجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسألة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله لاضلنهم لاغوينهم وأخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما أغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال واقتحام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يقدم على التوبة والاقبال على نهيتزادا الآخرة حتى يصير قلبه كالحجارة أو أشد قسوة ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع وسيف باتك أي صارم والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على أن المراد به

ههنا قطع آذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن اذا ساء

و وحدته والمطلوب كما كان أجلى
أى أوثانا وكانوا يسمونها باسماء
الاناث كاللات والعزى فاللات
تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال
الحسن لم يكن حى من أحياء العرب
الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه أنثى
بنى فلان و يؤيده قراءة عائشة الا
أوثانا وقراءة ابن عباس الا أثنا
جمع وثن مثل أسد وأسد الا ان
الواو ابدلت همزة كاجوه وقيل
المراد الا أمواتا لان الاخبار عن
الاموات يكون كالاخبار عن الاناث
تقول هذه الاحجار أعجبتنى كما تقول
هذه المرأة أعجبتنى ولان الانثى أخس
من الذكر والميت أخس من الحى
وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم
هن بنات الله وقيل ان بعضهم كان
يعبد الملائكة و يقولون الملائكة
بنات الله وان يدعون ما يعبدون
بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا
بالغا فى العصيان مجردا عن الطاعة
يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها
والامرد الذى لم تنبت له لحية قال
المفسرون كان فى كل واحدة من
تلك الاوثان شيطان يترآى للسدنة
يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت
طاعتهم للشيطان عبادة له لانه
هو الذى أغراهم على عبادتها
فاطاعوه والظاهر ان المراد
بالشيطان ههنا هو ابليس لانه
وصف بقوله لعنه الله وقال لاتخذن
وهو جواب قسم محذوف أى شيطانا
جامعا بين لعنة الله اياه و بين هذا
القول الشنيع وهو الاخبار عن
الاتخاذ مؤكدا بالقسم و يمكن أن
يقال المراد بلعنة الله ما استحق به
اللعن من استكباره عن السجود
كقولهم أبيت اللعن أى لا فعلت
ما تستحقه به ومعنى نصيبا مفروضا
حظا مقطوعا واجبا فرضته لنفسى وأصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع الاعذار وقد فرضتم لهن فريضة تكون

بذلك واتبع الدين الذى كان عليه ابراهيم خليل الرحمن وأمر به بنيه من بعده وأوصاهم به حنيفا يعنى
مستقيما على منهاجه وسبيله وقد بينا اختلاف المختلفين فيما مضى قبل فى معنى الحنيف والدليل على
الصحيح من القول فى ذلك بما أغنى عن اعادته و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل وممن قال ذلك أيضا
الضحاك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال فضل الله
الاسلام على كل دين فقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن الى قوله واتخذ الله ابراهيم
خليلا وليس يقبل فيه عمل غير الاسلام وهى الحنيفية ۞ القول فى تاويل قوله (واتخذ الله ابراهيم
خليلا) يعنى بذلك جل ثناؤه واتخذ الله ابراهيم وليا فان قال قائل وما معنى الخلة التى أعطيها ابراهيم
قيل ذلك من ابراهيم عليه السلام العداوة فى الله والبغض فيه والولاية فى الله والحب فيه على ما يعرف من
معانى الخلة وأما من الله لابراهيم فنصرته على من حاوله بسوء كالذى فعل به اذ أراده نمرود بما أراده به
من الاحراق بالنار فانقذه منها وأعلى حجته عليه اذ حاجه وكما فعل ملك مصر اذ أراده عن أهله وتمكينه مما
أحب وتصييره اماما لمن بعده من عباده وقدوة لمن خلفه فى طاعته وعبادته فذلك معنى خلالته اياه وقد
قيل سماه الله خليلا من أجل انه أصاب أهل ناحيته جدب فارتحل الى خليل له من أهل الموصل وقال
بعضهم من أهل مصر فى امتيار طعام لاهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من أهله مر بمفازة
ذات رمل فقال لو ملأت غرائرى من هذا الرمل لثلا أغم أهلى برجوعى اليهم بغير مرية وليظنوا انى قد
آتيتهم بما يحبون ففعل ذلك فتحول ما فى غرائره من الرمل دقيقا فلما صار الى منزله نام وقام أهله ففتحوا
الغرائر فوجدوا دقيقا فجنوا منه وخبزوا فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذى منه خبزوا فقالوا من
الدقيق الذى جئت به من عند خليلك فعلم فقال نعم هو من خليلى الله فقالوا فسماه الله بذلك خليلا
۞ القول فى تاويل قوله (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شئ محيطا) يعنى بذلك
جل ثناؤه واتخذ الله ابراهيم خليلا لطاعته ربه واخلاصه العبادة له والمسارعة الى رضاه ومحبته لا من
حاجة به اليه والى خلته ثم قال وكيف يحتاج اليه والى خلته وله ما فى السموات وما فى الارض من قليل
وكثير ملكا والمالك الذى اليه حاجة ملكه دون حاجته اليه يقول فكذلك حاجة ابراهيم اليه لا حاجته
اليه فيتخذه من أجل حاجته اليه خليلا ولكنه اتخذه خليلا لمسارعته الى رضاه ومحبته فكذلك فسارعوا
الى رضاى ومحبتى لاتخذكم أولياء وكان الله بكل شئ محيطا ولم يزل الله محيطا بكل ما هو فاعله عباده من
خير وشر عالما بذلك لا يخفى عليه شئ منه ولا يعزب عنه مثقال ذرة ۞ القول فى تاويل قوله
(ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن
ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) يعنى جل ثناؤه بقوله ويستفتونك فى النساء و يسألك يا محمد
أصحابك ان تفتيهم فى أمر النساء والواجب لهن وعليهن فاكتفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة
ما ظهر من الكلام على المراد منه قل الله يفتيكم فيهن قل لهم يا محمد الله يفتيكم فيهن يعنى فى النساء وما
يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن واختلف أهل التاويل فى
تاويل قوله وما يتلى عليكم فى الكتاب فقال بعضهم يعنى بقوله وما يتلى عليكم قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى
عليكم قالوا والذى يتلى عليهم هو آيات الفرائض التى فى أول هذه السورة ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم عن عمرو بن أبى قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب قال كان أهل الجاهلية لا يورثون
المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة فلما كان الاسلام قال ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما
يتلى عليكم فى الكتاب فى أول السورة فى الفرائض اللاتى لا تؤتونهن ما كتب الله لهن حدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء
اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قالت هذا فى اليتيمة تكون عند الرجل لعلها ان

والصلح خير ولفظ الحديث لابن المثنى قال أبو جعفر فعلى هذا القول الذى يتلى علينا فى الكتاب الذى قال الله جل ثناؤه قل الله يفتيكم وما يتلى عليكم وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا الآية والذى سأل القوم فاجيبوا عنه فى يتامى النساء اللاتى كانوا لا يورثونهن ما كتب الله لهن من الميراث عمن ورثنه عنه * وأولى هذه الاقوال التى ذكرناها عنه بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال معنى قوله وما يتلى عليكم فى الكتاب وما يتلى عليكم من آيات الفرائض فى أول هذه السورة وآخرها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الصداق ليس مما كتب للنساء الا بالنكاح فما لم تنكح فلا صداق لها قبل أحد واذا لم يكن ذلك لها قبل أحد لم يكن مما كتب لها فاذا لم يكن مما كتب لها لم يكن لقول قائل معنى بقوله وما يتلى عليكم فى الكتاب الا قسط فى صدقات يتامى النساء لان الله قال فى سياق الآية مبينا عن الفتيا التى وعدنا أن يفتينا اها فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن فاخبر ان بعض الذى يفتينا فيه من أمر النساء أمر اليتيمة المحولة بينها وبين ما كتب الله لها والصداق قبل عقد النكاح ليس مما كتب الله لها على أحد فكان معلوما بذلك أن التى عنى بهذه الآية هى التى قد حيل بينها وبين الذى كتب لها مما يتلى علينا فى كتاب الله أمره فاذا كان ذلك كذلك كان معلوما ان ذلك هو الميراث الذى يوجبه الله لهن فى كتابه فاما الذى ذكر عن محمد بن أبى موسى فانه مع خروجه من قول أهل التاويل بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل وذلك انه زعم ان الذى عنى الله بقوله وما يتلى عليكم فى الكتاب هو وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا واذا وجه الكلام الى المعنى الذى تاوله صار الكلام مبتدأ من قوله فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن ترجمة بذلك عن قوله فيهن ويصير معنى الكلام قل الله يفتيكم فيهن فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ولا دلالة فى الآية على ما قال ولا أثر عمن يعلم بقوله صحة ذلك واذا كان ذلك كذلك كان وصل معانى الكلام بعضه ببعض أولى ما وجد اليه سبيل فاذا كان الامر على ما وصفنا فقوله فى يتامى النساء بان يكون صلة لقوله وما يتلى عليكم أولى من أن يكون ترجمة عن قوله قل الله يفتيكم فيهن لقربه من قوله وما يتلى عليكم وانقطاعه عن قوله يفتيكم فيهن واذ كان ذلك كذلك فتاويل الآية ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى كتاب الله الذى أنزله على نبيه فى أمر يتامى النساء اللاتى لا تعطونهن ما كتب لهن يعنى ما فرض الله لهن من الميراث عمن ورثنه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا تؤتونهن ما كتب لهن قال لا تورثونهن حدثنى المثنى قال ثنا عمرو يعنى ابن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن قال من الميراث قال كانوا لا يورثون النساء وترغبون أن تنكحوهن واختلف أهل التاويل فى معنى قوله وترغبون أن تنكحوهن فقال بعضهم معنى ذلك وترغبون عن نكاحهن وقد مضى ذكر جماعة ممن قال ذلك وسنذكر قول آخرين لم نذكرهم حدثنا جيد بن مسعدة الشامى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبيد الله بن عون عن الحسن وترغبون أن تنكحوهن قال ترغبون عنهن حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ابن عون عن الحسن مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة قال قالت عائشة فى قول الله وترغبون أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن يتيمته التى تكون فى حجره حين تكون قليلة المال والجمال فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى مالها وجمالها من يتامى النساء الا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله يعنى ابن صالح قال ثنى الليث قال ثنى يونس عن ابن شهاب قال قال عروة قالت عائشة فذكر مثله وقال آخرون معنى ذلك وترغبون فى نكاحهن وقد مضى ذكر جماعة ممن قال ذلك قبل ونحن ذاكرو قول من لم يذكر منهم حدثنا جيد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا ابن عون عن محمد عن عبيدة وترغبون أن تنكحوهن قال وترغبون فيهن حدثنى يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا

بهما فعبدوهما فغير واخلق الله واعلم ان دخول الضرر فى الانسان انما يكون على ثلاثة أوجه التشوش والنقصان والبطلان فادعى الشيطان لعنه الله ألقاه أكثر الخلق فى ضرر الدين وهو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو الضرر من جنس التشويش لان صاحب الامانى يتشوش فكره فى استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة فى تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اشارة الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل فى طلب الدنيا صار فاتر الرأى ضعيف العزم فى طلب الآخرة فقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقى مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير قلبه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته أشرف المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم فيقول للشخص انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولى على أعدائه ويوقع فى قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت له كما تيسرت لغيره وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال مأموله على أحسن الوجوه فلابد أن يكون عند الموت فى أشد حسرة وأبلغ حيرة لان المطلوب كلما كان ألذ واشهى وكان الالف معه أدوم وأبقى كانت مفارقته آلم وأنكى وأيضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا

فهم يظنون ان ذلك عبادة مع أنه فى نفسه كفر وفسق قوله فليبتكن صيغة غاب للغائبين واللام لجواب قسم آخر أى فوالله ليبتكن وأصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت واو الجمع لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والغاء للتسبيب والايذان بتلازم ماقبلها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله ولآمرنهم ومثله فى الاعراب قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير اما المعنوى واما الحسى فى الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعى وقتادة والسدى انه تغيير دين الله بتبديل الحرام حلالا وبالعكس أو بابطال الاستعداد الفطرى فطرة الله التى فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثانى قال الحسن المراد ما روى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا أما وشم اليد فهو أن يعرزها بالابرة ثم يذر عليها النيل والوشر تحديد الاسنان والتنميص نتف شعر الحاجب وغيره وقال أنس وشهر بن حوشب وعكرمة وأبو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء وقطع الآذان وفقء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا أعور وأعين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء وأما فى بنى آدم فمحظور وعند أبى حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث تشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فالسحق أيضا داخل فى الآية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله

فى النساء قل الله يفتيكم فيهن قال كانت اليتيمة تكون فى حجر الرجل فيها دمامة فيرغب عنها أن ينكحها ولا ينكحها رغبة فى مالها **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن الى قوله بالقسط قال كان جابر بن عبد الله الانصارى ثم السلمى له ابنة عم عمياء وكانت دميمة وكانت قد ورثت عن أبيها مالا فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها رهبة أن يذهب الزوج بمالها فسال النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكان ناس فى حجورهم جوارى أيضا مثل ذلك فجعل جابر يسأل النبى صلى الله عليه وسلم أترث الجارية اذا كانت قبيحة عمياء فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول نعم فانزل الله فيهن هذا * وقال آخرون معنى ذلك يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم فى الكتاب فى آخر سورة النساء وذلك قوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة الى آخر السورة ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سلام بن سليم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال كان أهل الجاهلية لا يورثون الولدان حتى يحتلموا فانزل الله ويستفتونك فى النساء الى قوله فان الله كان به عليما قال فنزلت هذه الآية ان امرؤ هلك ليس له ولد الآية كلها * وقال آخرون بل معنى ذلك ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى فى الكتاب يعنى فى أول هذه السورة وذلك قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبه ماله وجماله فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال عروة قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فانزل الله ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قالت والذى ذكر الله انه يتلى فى الكتاب الآية الاولى التى قال فيها وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة مثله فعلى هذه الاقوال الثلاثة التى ذكرناها ما التى فى قوله وما يتلى عليكم فى موضع خفض بمعنى العطف على الهاء والنون التى فى قوله يفتيكم فيهن فكأنهم وجهوا تاويل الآية قل الله يفتيكم أيها الناس فى النساء وفيما يتلى عليكم فى الكتاب * وقال آخرون نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوم من أصحابه سألوه عن أشياء من أمر النساء وتركوا المسئلة عن أشياء أخر كانوا يفعلونها فافتاهم الله فيما سألوا عنه وفيما تركوا المسئلة عنه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع قال سفيان ثنا عبد الاعلى وقال ابن المثنى ثنى عبد الاعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبى موسى فى هذه الآية ويستفتونك فى النساء قال استفتوا نبى الله صلى الله عليه وسلم فى النساء وسكتوا عن شئ كانوا يفعلونه فانزل الله ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب ويفتيكم فيما لم تسألوا عنه قال كانوا لا يتزوجون اليتيمة اذا كان بها دمامة ولا يدفعون اليها ما لها فتنفق فنزلت قل الله يفتيكم فى النساء وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن قال والمستضعفين من الولدان قال كانوا يورثون الاكابر ولا يورثون الاصاغر ثم أفتاهم فيما سكتوا عنه فقال وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا

أيها المؤمنون من عدل فى أموال اليتامى التى أمركم الله أن تقوموا فيهن بالقسط والانتهاء الى أمر الله فى ذلك وفى غيره الى طاعته فان الله كان به عليما لم يزل عالما بما هو كائن منكم وهو محص ذلك كله عليكم حافظ له حتى يجازيكم به جزاءكم يوم القيامة ۞ القول فى تاويل قوله (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) يعنى بذلك جل ثناؤه وان خافت امرأة من بعلها بقول علمت من زوجها نشوزا يعنى استعلاء بنفسه عنها الى غيرها أثرة عليها وارتفاعا بها عنها اما لبغضة واما لكراهة منه بعض أشيائها اما دمامتها واما سنها وكبرها أو غير ذلك من أمورها أو اعراضا يعنى انصرافا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التى كانت لها منه فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا يقول فلا حرج عليهما يعنى على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو اعراضه عنها أن يصلحا بينهما صلحا وهو ان تترك له يومها أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه بذلك وتستديم المقام فى حباله والتمسك بالعقد الذى بينها وبينه من النكاح يقول والصلح خير يعنى والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتماسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد عن عرعرة ان رجلا أتى عليا رضى الله عنه يستفتيه فى امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فقال قد تكون المرأة عند الرجل فينبو عينا عنها من دمامتها أو كبرها أو سوء خلقها أو فقرها فتكره فراقه وان وضعت له من مهرها شيأ حل له وان جعلت له من أيامها شيأ فلا حرج حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة قال سئل على رضى الله عنه وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا قال المرأة الكبيرة أو الدميمة أو لا يجهاز وجها فيصطلحان حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الاحوص كلهم عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن على رضى الله عنه بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن خالد بن عرعرة ان رجلا سأل عليا رضى الله عنه عن قوله فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا قال تكون المرأة عند الرجل دميمة فتنبو عينه عنها من دمامتها أو كبرها فان جعلت له من أيامها أو مالها شيأ فليس عليه جناح حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن أشعث عن ابن سيرين قال جاء رجل الى عمر فسأله عن آية فكره ذلك وضربه بالدرة فسأله آخر عن هذه الآية وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فقال عن مثل هذا فسلوا ثم قال هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنها فيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز حدثنا عمرو بن على قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء من السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قال هى المرأة تكون عند الرجل حتى تكبر فيريد أن يتزوج عليها فيصطلحان بينهما صلحا على أن لها يوما ولهذه يومان أو ثلاثة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس بنحوه الا انه قال حتى تلد أو تكبر وقال أيضا فلا جناح عليهما أن يصالحا على ليلة والاخرى لليلتين حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير قال هى المرأة تكون عند الرجل قد طالت صحبتها وكبرت فيريد أن يستبدل بها فتكره أن تفارقه فيتزوج عليها فيصالحها على ان يجعل لها أياما والاخرى الايام والشهر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبى قيس عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قال هى المرأة تكون عند الرجل فيريد أن يفارقها فتكره أن يفارقها ويريد أن يتزوج فيقول انى لا أستطيع ان أقسم لك بمثل ما أقسم لها فتصالحه ان يكون لها فى الايام يوم فيتراضيان على ذلك فيكونان على ما اصطلحا عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان امرأة

أيمانكم لعبدة الاوثان وأمانيهم أن لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وان اعترفوا لكنهم يصفون أصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين وأمانيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر وأما أماني أهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودات واسم ليس مضمر فقيل أي ليس وضع الدين على أمانيكم وقيل ليس الثواب الذى تقدم الوعد به فى قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب أى أثر فيه وصدقه العمل ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لاحسنوا العمل ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فمن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد الفساق ونفى الشفاعة وأجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا أنه مخصوص فى حق المؤمن بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون جزاؤهم الآلام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روى انه لما نزلت الآية قال أبو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك اللاواء فهو ما تجزون عن عائشة ان رجلا قرأ هذه الآية فقال انا نجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن فى الدنيا بمصيبة فى جسده وبما يؤذيه وعن أبى هريرة لما نزلت

ولا يجدون عنها محيصا مغرا ومعدلا وله معينان أحدهما لابد لهم من ورودها والثاني التخليد بمعنى الدوام للكفار أو طول المكث للفساق ثم أردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قال أهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله أبدا مفيد للتابيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه تعالى ومضمونه هو مضمون وعد الله وأما حقا فمضمونه أخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل أن يكون حقا وان لا يكون فضمونا هما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء أمانيه الفارغة والتنبيه على ان قول أصدق القائلين أولى بالقبول من قول من لا أحد أكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسمان لا مصدران عن أبي صالح قال جلس أهل الكتب أهل التوراة والانجيل وأهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نحن أهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أهدى منكم وأولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم أفلج الله

ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال قلت لعبيدة وترغبون أن تنكحوهن قال ترغبون فيهن حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبدا فان كانت جميلة وهو بها تزوجها وأكل مالها وان كانت دميمة منعها الرجل أبدا حتى تموت فاذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه وأولى القولين بتاويل الآية قول من قال معني ذلك وترغبون عن أن تنكحوهن لان حبسهن أموالهن عنهن مع عضلهن اياهن انما كان ليرثوا أموالهن دون زوج أن يتزوجن ولو كان الذين حبسوا عنهن أموالهن انما حبسوها عنهن رغبة في نكاحهن لم يكن للحبس عنهن وجه معروف لانهم كانوا أولياءهن ولم يكن يمنعهن من نكاحهن مانع فيكون به حاجة الى حبس مالها عنها ليتخذ حبسها عنها سببا الى نكاحها نفسها منه ۞ القول في تاويل قوله (والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعني بذلك جل ثناؤه ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب وفي المستضعفين من الولدان وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط وقد ذكر الرواية بذلك عن قاله من الصحابة والتابعين فيما مضى والذي أفتاهم في أمر المستضعفين من الولدان أن يؤتوهم حقوقهم من الميراث لانهم كانوا لا يورثون الصغار من أولاد الميت أمرهم أن يقسطوا فيهم فيعدلوا ويعطوهم فرائضهم على ما قسم الله لهم في كتابه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله والمستضعفين من الولدان كانوا لا يورثون جارية ولا غلاما صغيرا فامرهم الله أن يقوموا لليتامى بالقسط والقسط أن يعطى كل ذي حق منهم حقه ذكرا كان أو أنثى الصغير منهم بمنزلة الكبير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن قال لا تورثونهن مالا وأن تقوموا لليتامى بالقسط قال فدخل النساء والصغير والكبير في المواريث ونسخت المواريث ذلك الاول حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأن تقوموا لليتامى بالقسط أمروا لليتامى بالقسط بالعدل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط قال كانوا لا يورثون الا الاكبر فالاكبر حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والمستضعفين من الولدان فكانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات فذلك قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن فنهى الله عن ذلك وبين لكل سهم سهمه فقال للذكر مثل حظ الانثيين صغيرا كان أو كبيرا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وذلك انهم كانوا لا يورثون الصغير والضعيف شيأ فامر الله أن يعطى نصيبه من الميراث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة فان كانت حسنة غنية قال له عمر زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك واذا كانت بها دمامة ولا مال لها قال لها قد تزوجها فانت أحق بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس بن عبيد عن الحسن قال جاء رجل الى علي ابن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين ما أمري وأمر يتيمتي قال في أي بالكما قال ثم قال علي أتتزوجها انت غنية جميلة قال نعم والاله قال فتزوجها دميمة لا مال لها ثم قال علي تزوجها ان كنت خيرا لها فان كان غيرك خيرا لها فالحقها بالخير قال أبو جعفر فقيامهم لليتامى بالقسط كان العدل فيما أمر الله فيهم ۞ القول في تاويل قوله (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعني بذلك جل ثناؤه ومهما يكن منكم

على عطية من ماله ونفسه فيطيب له ذلك الصلح **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا الآية فقرأ حتى بلغ فان الله كان بما تعملون خبيرا وهذا في الرجل تكون عنده المرأة قد خلا من سنها وهان عليه بعض أمرها فيقول ان كنت راضية من نفسي ومالي بدون ما كنت ترضين به قبل اليوم فان اصطلحا من ذلك على أمر فقد أحل الله لهما ذلك وان أبت فانه لا يصلح له أن يحبسها على الخسف **حدثت** عن الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار ان رافع بن خديج كان تحته امرأة قد خلا من سنها فتزوج عليها شابة فآثر الشابة عليها فابت امرأته الاولى أن تقيم على ذلك فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من أجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك حتى يخلو أجلك قالت بل راجعني وأصبر على الاثرة فراجعها ثم آثر عليها فلم تصبر على الاثرة فطلقها أخرى وآثر عليها الشابة قال فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله أنزل فيه وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا قال الحسن قال عبد الرزاق قال معمر وأخبرني أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة بمثل حديث الزهري وزاد فيه فان أضر بها الثالثة فان عليه أن يوفيها حقها أو يطلقها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من بعلها نشوزا أو اعراضا قال قول الرجل لامرأته أنت كبيرة وأنا أريد أن أتبدل امرأة شابة وضيئة فقري على ولدك فلا أقسم لك من نفسي شيأ فذلك الصلح بينهما وهو أبو السنابل بن بعكك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح من بعلها نشوزا أو اعراضا ثم ذكر نحوه قال شبل فقلت له فان كانت لك امرأة فتقسم لها ولم تقسم لهذه قال لا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر قال سألت عامرا عن الرجل تكون عنده المرأة يريد أن يطلقها فتقول لا تطلقني واقسم لي يوما والتي تزوج يومين قال لا بأس هو صلح **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير قال المرأة ترى من زوجها بعض الجفاء وتكون قد كبرت أو لا تلد فيريد زوجها أن ينكح غيرها فيأتيها فيقول اني أريد أن أنكح امرأة شابة أنسب منك لعلها ان تلدلي وأوثرها في الايام والنفقة فان رضيت بذلك والا طلقها فيصطلحان على ما أحبا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا يعني البغض **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فهو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوج عليها المرأة الشابة فيميل اليها وتكون أعجب اليه من الكبيرة فيصلح الكبيرة على ان يعطيها من ماله ويقسم لها من نفسه نصيبا معلوما **حدثنا** عمرو بن علي وزيد بن أخزم قالا ثنا أبو داود قال ثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني على نسائك ولا تقسم لي ففعل فنزلت وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا واختلفت القراء في قراءة قوله أن يصلحا بينهما صلحا فقرأ ذلك عامة قراءة أهل المدينة وبعض أهل البصرة بفتح الياء وتشديد الصاد بمعنى أن يتصالحا بينهما صلحا ثم أدغمت الياء في الصاد فصيرتا صادا مشددة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة أن يصلحا بينهما صلحا بضم الياء وتخفيف الصاد بمعنى أصلح الزوج والمرأة بينهما وأحب

أسلم وجهه لله وهو راجع الى اعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عائد الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق واظهار التبري من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كائنا من كان الوجه الثاني ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الخلق الى ما يشبه دين أبيه ابراهيم عليه السلام ومن المشهور فيما بين أهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع أجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها أن يعلم ان من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان تتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال أموره وأسراره وقد دخل حبه في خلال قلبه ولما أطلع الله تعالى ابراهيم عليه السلام على الملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد أخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى يوم الدين كان خليلا لله لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فبالغ ابراهيم عليه السلام في

خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير قالت هذا في ا أ تكون عند الرجل فلعله لا يكون يستكثر منها ولا يكون لها ولد وأنها صحبة فتقول لا تطلقني وأنت في حل من شأني **حدثني** المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة في قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت هذا الرجل يكون له امرأتان احداهما قد عجزت وهي دميمة وهو لا يستكثر منها فتقول لا تطلقني وأنت في حل من شأني **حدثني** المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه غير انه قال فتقول أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية في ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فتلك المرأة تكون عند الرجل لا يرى منها كثير ما يحب وله امرأة غيرها أحب اليه منها فيؤثرها عليها فامره الله اذا كان ذلك أن يقول لها ياهذه ان شئت أن تقيمي على ما ترين من الاثرة فاواسيك وأنفق عليك فاقيمي وان كرهت خليت سبيلك وان هي رضيت أن تقيم بعد ان يخيرها فلا جناح عليه وهو قوله والصلح خير وهو التخيير **حدثنا** الربيع بن سليمان وبحر بن نصر قالا ثنا ابن وهب قال ثني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزل الله هذه الآية في المرأة اذا دخلت في السن فتجعل يومها لامرأة أخرى قالت ففي ذلك أنزلت فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قال هي المرأة تكون مع زوجها فيريد أن يتزوج عليها فتصالحه من يومها على صلح قال فهما على ما اصطلحا عليه فان انتقصت به فعليه أن يعدل عليها أو يفارقها **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم انه كان يقول ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن مجاهد انه كان يقول ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة في قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا الى آخر الآية قال يصالحها على ما رضيت دون حقها فله ذلك ما رضيت فاذا أنكرت أو قالت غرت فلها أن يعدل عليها أو يرضيها أو يطلقها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الوهاب عن أيوب عن محمد قال سألت عبيدة عن قول الله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قال هو الرجل تكون له امرأة قد خلا من سنها فتصالحه من حقها على شئ فهو له ما رضيت فاذا كرهت فلها أن يعدل عليها أو يرضيها من حقها أو يطلقها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا فذكر نحو ذلك الا انه قال فان سخطت فله أن يرضيها أو يوفيها حقها كله أو يطلقها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة قال قال ابراهيم اذا شاءت كانت على حقها وان شاءت أبت فردت الصلح فذلك بيدها وان شاء طلقها وان شاء أمسكها على حقها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما قال قال على تكون المرأة عند الرجل الزمان الكثير فتخاف أن يطلقها فتصالحه على صلح ما شاء وشاءت يبيت عندها في كذا وكذا ليلة وعند أخرى ما تراضيا عليه وان تكون نفقتها دون ما كانت وما صالحته عليه من شئ فهو جائز **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن عبد الملك عن أبيه عن الحكم وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قال هي المرأة تكون عند الرجل فيريد أن يخلي سبيلها فاذا خافت ذلك منه فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا تدع من أيامها اذا تزوج **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا الى قوله والصلح خير وهو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة فينكح عليها المرأة الشابة فيكره أن يفارق أم ولده فيصالحها

في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الآخرة لكنه روى عن ابن عباس انه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوأ فكيف الجزاء فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده أعشاره وأيضا المؤمن الذي أطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن وأجيب بنحو قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا يحج عليه ولا جهاد ولا زكاة ولا صلاة في بعض الاحوال ومن في قوله من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا أو يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احدى الفريقين يغني عن ذكره عند الآخر والمسي مستغن عن هذا القيد فمن المعلوم ان أرحم الراحمين لا يزيد في عقابه وأما نقصان الفضل في الثواب فكان محتملا فازيل ذلك الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن أحسن دينا وبيان الفضل من وجهين

أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن والشح بذلك على ضرائرهن ونحو قلنا في معنى الشح ذكر عن ابن عباس انه كان يقول حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأحضرت الانفس الشح والشح هواه في الشيء يحرص عليه وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب من قول من قال عنى بذلك وأحضرت أنفس الرجال والنساء الشح على ما قاله ابن زيد لان مصالحة الرجل امرأته باعطائه اياها من ماله جعلا على أن تصفح له عن القسم لها غير جائز وذلك انه غير معتاض عوضا من جعله الذي بذله لها والجعل لا يصح الا على عوض اما على عين واما منفعة والرجل متى جعل للمرأة جعلا على أن تصفح له عن يومها وليلتها فلم يملك عليها عينا ولا منفعة واذا كان ذلك كذلك كان ذلك من معاني أكل المال بالباطل واذا كان ذلك كذلك فمعلوم انه لا وجه لقول من قال عنى بذلك الرجل والمرأة فان ظن ظان ان ذلك اذ كان حقا للمرأة ولها المطالبة به فللرجل افتداؤه منها بجعل فان شفعة المشفع في حصة من داراشتراها رجل من شريك له فيها حق له المطالبة بها فقد يجب أن يكون للمظلوم افتداء ذلك منه بجعل وفي اجماع الجميع على ان الصلح في ذلك على عوض غير جائز اذ كان غير معتاض منه المطلوب في الشفعة عينا ولا منفعة ما يدل على بطول صلح الرجل امرأته على عوض على أن تصفح عن مطالبتها اياه بالقسمة لها واذا كان ذلك كذلك صح ان تاويل الآية ما قلنا وقد أبان الخبر الذي ذكرناه عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار ان قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا الآية نزلت في أمر رافع بن خديج وزوجته اذ تزوج عليها شابة فآثر الشابة عليها فابت الكبيرة أن تقر على الاثرة فطلقها تطليقة وتركها فلما قارب انقضاء عدتها خيرها بين الفراق والرجعة والصبر على الاثرة فاختارت الرجعة والصبر على الاثرة فراجعها وآثر عليها فلم تصبر وطلقها في ذلك دليل واضح على ان قوله وأحضرت الانفس الشح انما عنى به وأحضرت أنفس النساء الشح بحقوقهن من أزواجهن على ما وصفنا وأما قوله وان تحسنوا وتتقوا فانه يعني وان تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم الى نسائكم اذا كرهتم منهن دمامة أو خلقا أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن وايفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف وتتقوا ما يقول وتتقوا الله فيهن بترك الجور منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم من القسمة له والنفقة والعشرة بالمعروف فان الله كان بما تعملون خبيرا يقول فان الله كان بما تعملون في أمور نسائكم أيها الرجال من الاحسان اليهن والعشرة بالمعروف والجور عليهن فيما يلزمكم لهن ويجب خبيرا يعني عالما خبرا يخفى عليه منه شيء بل هو به عالم وله محص عليكم حتى يوفيكم جزاء ذلك المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته ﴿القول في تاويل قوله﴾ (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) يعني جل ثناؤه بقوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء لن تطيقوا أيها الرجال أن تسووا بين نسائكم وأزواجكم في حبهن بقلوبكم حتى تعدلوا بينهن في ذلك فلا يكون في قلوبكم لبعضهن من المحبة الا مثل ما لصواحبها لان ذلك مما لا تملكونه وليس اليكم ولو حرصتم يقول ولو حرصتم في تسويتكم بينهن في ذلك كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فمال واجب أن لا تستطيعوا العدل بينهن فلا تميلوا كل الميل يقول فلا تميلوا باهوائكم الى من لم تملكوا محبته منهن كل الميل حتى يحملكم ذلك على أن تجوروا على صواحبها في ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق في القسم لهن والنفقة عليهن والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة يقول فتذروها التي هي سوى التي ملتم باهوائكم اليها كالمعلقة يعني كالتي لا هي ذات زوج ولا هي أيم ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ما قلنا في قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن

ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة أخرى فقال لا أذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت أشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك أولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا أحتاج الى مالك ولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبريل وميكائيل لما دخلا على ابراهيم في صورة غلمان حسان الوجوه فظن الخليل انهم أضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل انت خليل الله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي قلت وذكرت الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه أسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالمعارف القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا الله ولا يسكن الا الله فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لما أن محبة الله نوره تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا لم يجز اطلاق الابن على آخر لمثل ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك

ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ليعلم انه لم يتخذ ابراهيم

القراءتين في ذلك الى قراءة من قرأ الا أن يصالحا بينهما صلحا بفتح الياء وتشديد الصاد بمعنى يتصالحا لان التصالح في هذا الموضع أشهر وأوضح معنى وأفصح وأكثر على ألسن العرب من الاصلاح والاصلاح في خلاف الافساد أشهر منه في معنى التصالح فان ظن ظان ان في قوله صلحا دلالة على ان قراءة من قرأ ذلك يصلحا بضم الياء أولى بالصواب فان الامر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك ان الصلح اسم وليس بفعل فيستدل به على أولى القراءتين بالصواب في قوله يصلحا بينهما صلحا ۞ القول في تاويل قوله (وأحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) اختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معناه وأحضرت أنفس النساء الشح على انصبائهم من أنفس أزواجهن وأموالهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأحضرت الانفس الشح قال نصيبها منه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد وحدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان قالا جميعا ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأحضرت الانفس الشح قال في الايام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء وأحضرت الانفس الشح قال في الايام والنفقة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي وابن يمان عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال في النفقة حدثنا ابن وكيع قال ثنا روح عن ابن جريج عن عطاء قال في النفقة وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء وأحضرت الانفس الشح قال في الايام حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية وأحضرت الانفس الشح قال نفس المرأة على نصيبها من زوجها من نفسه وماله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بمثله حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير في النفقة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن الشيباني عن بكير بن الاخنس عن سعيد بن جبير قال في الايام والنفقة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن الشيباني عن سعيد بن جبير قال في الايام والنفقة حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله وأحضرت الانفس الشح قال المرأة تشح على مال زوجها ونفسه حدثنا المثنى قال أخبرنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال جاءت المرأة حين نزلت هذه الآية وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت اني أريد ان تقسم لي من نفسك وقد كانت رضيت ان يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها فانزل الله وأحضرت الانفس الشح حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأحضرت الانفس الشح قال تطلع نفسها الى زوجها والى نفقته قال وزعم انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سودة بنت زمعة كانت قد كبرت فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلقها فاصطلحا على أن يمسكها ويجعل يومها لعائشة فسمحت بمكانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون معنى ذلك وأحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وأحضرت الانفس الشح قال لا تطيب نفسه أن يعطيها شيأ فتحلله ولا تطيب نفسها ان تعطيه شيأ من مالها تتعطفه عليها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك أحضرت أنفس النساء الشح بانصبائهن من أزواجهن في الايام والنفقة والشح الافراط في الحرص على الشئ وهو في هذا الموضع افراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها فتأويل الكلام وأحضرت أنفس النساء

الطريق في الرمل فلما كان ابراهيم منقادا لكل ما أمر به ونهى عنه فكانه سايره وافق أوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق وأما من قبل أسباب النزول فعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل بم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى دخل ابراهيم فجأة فرأى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابراهيم عليه السلام باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال له ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابراهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال أكون خادما له حتى أموت قال فانه أنت وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أصاب الناس سنة جهد وا فيها فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريد للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء لبري الناس انا قد جئنا بميرة انا نستحي أن نمر بهم وأبلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر ثم انهم أتوا ابراهيم وسارة نائمة فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هي أجود حواري تكون فامرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين

وفيما تصيب من خيره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فلا تميلوا كل الميل يقول يميل عليها فلا ينفق عليها ولا يقسم لها يوما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فلا تميلوا كل الميل قال يتعمد الاساءة يقول لا تميلوا كل الميل قال بلغني انه الجماع حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الوهاب عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن زيد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن همام بن يحيى عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان يميل مع احداهما على الاخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقط ذكر من قال ما قلنا في تاويل قوله فتذروها كالمعلقة حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فتذروها كالمعلقة قال تذروها لا هي أيم ولا ذات زوج حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فتذروها كالمعلقة قال لا أيما ولا ذات بعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن مبارك عن الحسن فتذروها كالمعلقة قال لا مطلقة ولا ذات بعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتذروها كالمعلقة أي كالمحبوسة أو كالمسجونة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فتذروها كالمعلقة كالمحبوسة كالمسجونة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن أبي جعفر عن الربيع في قوله كالمعلقة يقول لا مطلقة ولا ذات بعل حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة لا مطلقة ولا ذات بعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد فتذروها كالمعلقة قال لا أيما ولا ذات بعل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح فتذروها كالمعلقة ليست بايم ولا ذات زوج حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي وأبو خالد وأبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال لا تدعها كأنها ليس لها زوج حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فتذروها كالمعلقة قال لا أيما ولا ذات بعل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتذروها كالمعلقة قال المعلقة التي ليست بمخلاة ونفسها فتبتغي لها وليست متهيئة كهيئة المرأة من زوجها لا هي عند زوجها ولا مفارقة فتبتغي لنفسها فتلك المعلقة * قال أبو جعفر وانما أمر الله جل ثناؤه بقوله فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة الرجال بالعدل بين أزواجهن فيما استطاعوا فيه العدل بينهن من القسمة بينهن والنفقة وترك الجور في ذلك بايثار احداهن على الاخرى فيما فرض عليهم العدل بينهن فيه اذ كان قد صفح لهم عما لا يطيقون العدل فيه بينهن مما في القلوب من المحبة والهوى ۞ القول في تاويل قوله (وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما) يعني بذلك جل ثناؤه وان تصلحوا أعمالكم أيها الناس فتعدلوا في قسمكم بين أزواجكم وما فرض الله لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف فلا تجوروا في ذلك يقول وتتقوا الله في الميل الذي نهاكم عنه بان تميلوا لاحداهن على الاخرى فتظلموها حقها مما أوجبه الله لها عليكم فان الله كان غفورا يقول فان الله يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك بتركه عقوبتكم عليه ويغطي ذلك عليكم بعفوه عنكم ما مضى منكم في ذلك قبل رحيما يقول وكان رحيما بكم اذ تاب عليكم فقبل توبتكم من الذي سلف منكم من جوركم في ذلك عليهن وفي ترخيصه لكم الصلح بينكم وبينهن بصفحهن عن

وقبل محمد صلى الله عليه وسلم ما سمعت قال الحبيب وكان محمد صلى الله عليه وسلم حبيبا خليلا أي فقيرا من الخلة الحاجة لانه افتقر بالكلية الى الله

ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض طائفة خلقهم الله أهلا للنار ولاضلنهم كذب عدو الله فانه مزين وليس اليه من الضلالة شيء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت مبلغا وليس الى من الهداية شيء وعدا الله حقا وهو قوله هؤلاء الى الجنة ولا أبالي ليس بامانيكم يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون أن يغفر الله لهم وقد قال وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا أماني أهل الكتاب علماء السوء الذين يغرون العوام بالرجاء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس من تمنى نعمته من غير أن يتعنى كمن تعنى في خدمته من غير ان يتمنى نعمته من بعمل سوأ يجزبه في الحال باظهار الرين على مرآة قلبه كما قال صلى الله عليه وسلم اذا أذنب عبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر أو أنثى أي من قلب أو نفس ومن أحسن دينا يعني من محمد صلى الله عليه وسلم حين أسلم سره وروحه وقلبه ونفسه وشيطانه كما قال أسلم شيطاني على يدي ومن اسلام نفسه يقول يوم القيامة أمتي أمتي حين يقول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن يعني انه من أهل المشاهدة يعبد الله كأنه يراه بل يراه ولانه أحسن خلقه العظيم الى ان بلغ حد الكمال واعلم واتبع ملة ابراهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا قيل لمجنون بن عامر ما اسمك قال ليلى

خليلا للحاجة أو الاحتياج ولكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان وفيه انه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له ذا نحلا تحت

ملكه وملكوفيه ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابراهيم أسلمت لرب العالمين وأيضا انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات أشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شئ محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل يحدوثه يدل على القدرة وبما فيه من الاحكام والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني وقال بعضهم الاحاطة أيضا ههنا بمعنى القدرة كقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل الا على مالك لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان فرضت خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما تنقطع بايجاده وتكوينه وابداعه * التأويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا فيمن أمر بالخيرات وهو الله بالوحي وبالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول أي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بان يتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر أن يشرك به ولو كان مغفورا لم يشرك به ومن يشرك بالله الآن فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فانهم ان يدعون وانما

عبيدة ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال بنفسه ٧ في الحب والجماع **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يونس عن محمد بن سيرين عن عبيدة ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال بنفسه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث وهشام عن ابن سيرين عن عبيدة سألته عن قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال في الجماع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال في الحب والجماع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل عن عمرو عن الحسن في الحب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال في الحب والجماع **حدثنا** الحسن بن يحيى قال قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة في قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال في المودة كأنه يعني الحب **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم أن تعدلوا بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة **وحدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول اللهم أما قلبي فلا أملك وأما سوى ذلك فارجو أن أعدل **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم يعني في الحب والجماع **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية **وحدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قالا جميعا ثنا أيوب عن أبي قلابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حسين بن علي عن زائدة عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة قال نزلت هذه الآية في عائشة ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال في الشهوة والجماع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال في الجماع **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء قال قال سفيان في قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال في الحب والجماع **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال ما يكون من بدنه وقلبه فذلك شئ لا يستطيع يملكه * ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله فلا تميلوا كل الميل **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن محمد قال قلت لعبيدة فلا تميلوا كل الميل قال بنفسه **حدثنا** سفيان قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة فلا تميلوا كل الميل قال هشام أظنه قال في الحب والجماع **حدثني** المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن عبيدة في قوله كل الميل قال بنفسه **حدثنا** بحر بن نصر الخولاني قال ثنا بشر بن بكر قال أخبرنا الاوزاعي عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قول الله فلا تميلوا كل الميل قال بنفسه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن فلا تميلوا كل الميل قال في الغشيان والقسم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تميلوا كل الميل لا تعمدوا الاساءة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد فلا تميلوا كل الميل قال يتعمد ان يسيء ويظلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تميلوا كل الميل قال هذا في العمل في ميتته غيرها

القراآت يصلحا من الاصلاح عاصم وعلى وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء فى الصاد ان نشأ حيث كان بغير همز الاعشى وأوقيه ورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون بالواوين نزل وأنزل كلاهما على مالم يسم فاعله من التنزيل والانزال ابن كثير وابن عامر وأبو عمر والباقون نزل وأنزل مبنيين للفاعل وقد نزل مشددا مبنيا للفاعل عاصم وتعقوب الباقون مبنيا للمفعول

* الوقوف فى النساء ط فيهن لا للعطف أى الله والمتلو يفتيكم الولدان لا للعطف أيضا أى فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى أن تقوموا بالقسط ط عليما ه صلحا ط خير ط الشح ط خبيرا ه كالمعلقة ط ورحيما ه سعة ط حكيما ه ومافى الارض ط أن اتقوا الله ط ومافى الارض ط حميدا ه ومافى الارض ط وكيلا ه يأخرين ط قديرا ه والآخرة ط بصيرا ه والاقربين ج

سعيد عن قتادة وكفى بالله وكيلا قال حفيظا فان قال قائل وما وجه تكرار قوله ولله مافى السموات ومافى الارض فى آيتين احداهما فى أثر الاخرى قيل كرر ذلك لاختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والارض فى الآيتين وذلك ان الخبر عنه فى احدى الآيتين ذكر حاجته الى بارئه وغنى بارئه عنه وفى الاخرى حفظ بارئه اياه وعلمه به وتدبيره فان قال أفلا قيل وكان الله غنيا حميدا وكفى بالله وكيلا قيل ان الذى فى الآية التى قال فيها وكان الله غنيا حميدا مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغنى وانه محمود ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير فلذلك كرر قوله ولله مافى السموات وما فى الارض ۞ القول فى تاويل قوله (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) يعنى بذلك جل ثناؤه ان شاء أيها الناس يذهبكم أى يذهبكم باهلاككم وافنائكم ويأت بآخرين يقول ويات بناس آخرين غيركم لموازرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونصرته وكان الله على ذلك قديرا يقول وكان الله على هلاككم وافنائكم واستبدال آخرين مكانكم قديرا يعنى ذا قدرة على ذلك وانما وبخ جل ثناؤه بهذه الآيات الخائنين الذين خانوا الدرع التى وصفنا شأنها الذين ذكرهم الله فى قوله ولا تكن للخائنين خصيما وحذر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا مثلهم وأن يفعلوا فعل المرتدة منهم فى ارتداده ولحاقه بالمشركين وعرفهم ان من فعل فعله منهم فلن يضر الا نفسه ولن يوبق بردته غير نفسه لانه المحتاج مع جميع مافى السموات ومافى الارض الى الله والله الغنى عنهم ثم توعدهم فى قوله ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين بالهلاك والاستئصال ان هم فعلوا فعل ابن أبيرق طعمة المرتد باستبدال آخرين غيرهم بهم لنصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته وموازرته على دينه كما قال فى الآية الاخرى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت ضرب بيده على ظهر سلمان فقال هم قوم هذا يعنى عجم الفرس كذلك حدثت عن عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال قتادة فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويات بآخرين وكان الله على ذلك قديرا قادروا والله ربنا على ذلك ان يهلك من يشاء من خلقه ويأتى بآخرين من بعدهم ۞ القول فى تاويل قوله (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه من كان يريد ممن أظهر الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل النفاق الذين يستبطنون الكفر وهم مع ذلك يظهرون الايمان ثواب الدنيا يعنى عرض الدنيا باظهاره ما أظهر من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا يعنى جزاؤه فى الدنيا منها وثوابه فيها وما يصيب من المغنم اذا شهد مع النبى مشهدا وأمنه على نفسه وذريته وماله وما أشبه ذلك وأما ثوابه فى الآخرة فنار جهنم فعنى الآية من كان من العاملين فى الدنيا من المنافقين يريد بعمله ثواب الدنيا وجزاءها من عمله فان الله مجازيه جزاءه فى الدنيا من الدنيا وجزاءه فى الآخرة من الآخرة من العقاب والنكال وذلك ان الله قادر على ذلك كله وهو مالك جميعه كما قال فى الآية الاخرى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وانما عنى بذلك جل ثناؤه الذين سعوا فى أمر بنى أبيرق والذين وصفهم فى قوله ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول ومن كان من نظرائهم فى أفعالهم ونفاقهم وقوله وكان الله سميعا بصيرا يعنى وكان الله سميعا لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيا باعمالهم واظهارهم للمؤمنين ما يظهرون لهم اذا لقوا المؤمنين وقولهم لهم آمنا بصيرا يعنى وكان ذا بصر بهم وبما هم عليه منطوون للمؤمنين فيما يكتمونه ولا يبدونه لهم من الغش والغل الذى فى صدورهم ۞ القول فى

اتخذ نفسه عدوا في الله وقال ليت رب محمد لم يخلق محمدا وهذا مقام الفناء في الفناء بل البقاء بعد الفناء فلا جرم يقول بالرب عن الرب (ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وايا كم أن اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب

حقوقهن لكم من القسم على أن لا يطلقن ۞ القول في تأويل قوله (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) يعني بذلك جل ثناؤه فان أبت المرأة التي قد نشز عليها زوجها أو اعرض عنها بالميل منه الى ضرتها لجمالها أو شبابها أو غير ذلك مما تميل النفوس به اليها الصلح لصعفها لزوجها عن يومها وليلتها وطلبت حقها منه من القسم والنفقة وما أوجب الله لها عليه وأبى الزوج الا خذ عليها بالاحسان الذي ندبه الله اليه بقوله وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا والحاقها في القسم لها والنفقة والعشرة بالتي هو اليها مائل فتفرقا بطلاق الزوج اياها يغن الله كلا من سعته يقول يغن الله الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله اما هذه فتزوج زوجا هو أصلح لها من المطلق الاول وأما برزق واسع وعصمة وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة أو عفة وكان الله واسعا يعني وكان الله واسعا لهما في رزقه اياهما وغيرهما من خلقه حكيما فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق وسائر المعاني التي عرفناها من الحكم بينهما في هذه الآيات وغيرها وفي غير ذلك من أحكامه وتدبيره وقضاياه في خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته قال الطلاق يغني الله كلا من سعته حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وايا كم أن اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا) يعني بذلك جل ثناؤه ولله ملك جميع ما حوته السموات السبع والارضون السبع من الاشياء كلها وانما ذكر جل ثناؤه ذلك بعقب قوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته تنبيها منه خلقه على موضع الرغبة عند فراق أحدهم زوجته ليفزعوا اليه عند الجزع من الحاجة والفاقة والوحشة بفراق سكنه وزوجته وتذكيرا منه له انه الذي له الاشياء كلها وان من كان له ملك جميع الاشياء غير متعذر عليه أن يغنيه وكل ذي فاقة وحاجة ويؤنس كل ذي وحشة ثم رجع جل ثناؤه الى عذل من سعى في أمر بني أبيرق وتوبيخهم ووعيد من فعل ما فعل المرتد منهم فقال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وايا كم يقول ولقد أمرنا أهل الكتاب وهم أهل التوراة والانجيل وايا كم بقولنا وأمرناكم وقلنا لكم ولهم اتقوا الله يقول احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه وان تكفروا بقولكم وان تجحدوا وصيته اياكم أيها المؤمنون فتخالفوها فان لله ما في السموات وما في الارض فانكم لا تضرون بخلافكم وصيته غير أنفسكم ولا تعدون في كفركم ذلك ان تكونوا أمثال اليهود والنصارى في نزول عقوبته بكم وحلول غضبه عليكم كما حل بهم اذ بدلوا عهده ونقضوا ميثاقه فغير بهم ما كانوا فيه من خفض العيش وأمن السرب وجعل منهم القردة والخنازير وذلك ان له ملك جميع ما حوته السموات والارض لا يمتنع عليه شئ أراده بجميعه وبشئ منه من اعزاز من أراد اعزازه واذلال من أراد اذلاله وغير ذلك من الامور كلها الان الخلق خلقه بهم اليه الفاقة والحاجة وبه قوامهم وبقاؤهم وهلاكهم وفناؤهم وهو الغني الذي لا حاجة تحل به الى شئ ولا فاقة تنزل به تضطره اليكم أيها الناس ولا الى غيركم والحمد الذي استوجب عليكم أيها الخلق الحمد بصنائعه الجمة اليكم وآلائه الجليلة لديكم فاستدعوا ذلك أيها الناس باتقائه والمسارعة الى طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه كما

حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف عن أبي روق عن علي رضي الله عنه وكان الله غنيا حميدا قال غنيا عن خلقه حميدا قال مستحمدا اليهم ۞ القول في تأويل قوله (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) يعني بذلك جل ثناؤه ولله ملك جميع ما حوته السموات والارض وهو القيم بجميعه والحافظ لذلك كله لا يعزب عنه علم شئ منه ولا يؤوده حفظه وتدبيره كما

حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله إلى آخر الآية قال لا يحملك فقرهذا على أن ترحمه فلا تقيم عليه الشهادة قال يقول هذا للشاهد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله الآية هذا في الشهادة فاقم الشهادة يا ابن آدم ولو على نفسك أو الوالدين وعلى ذوي قرابتك أو شرف قومك فانما الشهادة لله وليست للناس وان الله رضي العدل لنفسه والاقساط والعدل ميزان الله في الارض به يرد الله من الشديد على الضعيف ومن الكاذب على الصادق ومن المبطل على الحق وبالعدل يصدق الصادق ويكذب الكاذب ويرد المعتدي ويوبخه * تعالى ربنا وتبارك * بالعدل يصلح الناس يا ابن آدم ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما يقول أولى بغنيكم وفقيركم قال وذكر لنا ان نبي الله موسى عليه السلام قال يا رب أي شئ وضعت في الارض أقل قال العدل أقل ما وضعت في الارض فلا يمنعنك غناغني ولا فقر فقيرا ان تشهد عليه بما تعلم فان ذلك عليك من الحق وقال جل ثناؤه فالله أولى بهما وقد قيل ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما لانه أريد فالله أولى بغنى الغني وفقر الفقير لان ذلك منه لا من غيره فلذلك قال بهما ولم يقل به وقال آخرون انما قيل بهما لانه قال ان يكن غنيا أو فقيرا فلم يقصد فقيرا بعينه ولا غنيا بعينه وهو مجهول واذا كان مجهولا جاز الرد عليه بالتوحيد والتثنية والجمع وذكر قائلو هذا القول انه في قراءة أبي فالله أولى بهم وقال آخرون أو بمعنى الواو في هذا الموضع وقال آخرون جاز تثنية قوله بهما لانهما قد ذكرا كما قيل وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما وقيل جاز لانه أضمر فيه من كانه قيل ان يكن من خاصم غنيا أو فقيرا بمعنى غنيين أو فقيرين فالله أولى بهما وتأويل قوله فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا عن الحق فتجوروا وترك اقامة الشهادة بالحق ولو وجه الى أن معناه فلا تتبعوا أهواء أنفسكم هربا من أن تعدلوا عن الحق في اقامة الشهادة بالقسط كان وجها وقد قيل معنى ذلك فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا كما يقال لا تتبع هواك لترضي ربك بمعنى أنهاك عنه كيما ترضى ربك بتركه ۞ القول في تأويل قوله (وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم عنى وان تلوا أيها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الآخر أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ووجهوا معنى الآية الى انها نزلت في الحكام على نحو القول الذي ذكرنا عن السدي من قوله ان الآية نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا قبل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس في قول الله وان تلوا أو تعرضوا قال هما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الآخر وقال آخرون معنى ذلك وان تلوا أيها الشهداء في شهاداتكم فتحرفوها ولا تقيموها أو تعرضوا عنها فتتركوها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان تلوا أو تعرضوا يقول ان تلووا بالستكم بالشهادة أو تعرضوا عنها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله الى قوله وان تلوا أو تعرضوا يقول تلوي لسانك بغير الحق وهي اللجلجة فلا تقيم الشهادة على وجهها والاعراض الترك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان تلوا أي تبدلوا الشهادة أو تعرضوا قال تكتموها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان تلوا قال بتبديل الشهادة والاعراض كتمانها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان تلوا أو تعرضوا قال ان تحرفوا أو تتركوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تلوا أو تعرضوا قال تلجلجوا أو تكتموا

افتتاحه من الكتاب وثانيها وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الآية وان المخل بها ومقتضاها من رعاية حقوق اليتامى ظالم متهاون بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم لمعنى التعظيم أيضا كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو وراجعها ان يكون مجرورا على انه معطوف على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتي الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الاول صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن أو بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لاغير والاضافة في يتامى النساء قال الكوفيون انها اضافة الصفة الى الموصوف وأصله في النساء اليتامى وقال البصريون انها على تأويل جرد قطيفة وسحق عمامة وجوز بعضهم أن يكون المراد بالنساء أمهات اليتامى كما في قصة أم كحة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون أن تنكحوهن قال أبو عبيدة هذا يحتمل الشهوة والنغرة أي ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن أو ترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج أصحاب أبي حنيفة بالآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة وردبا حتمال أن يكون المراد وترغبون أن تنكحوهن اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت أخيه عثمان بن

لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى أن تعدلوا ج لذلك تجيرا ه من قبل ط بعيدا ه سبيلا ه ط أليما ه لالان الذين صفة

المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على الذم المؤمنين ط جميعا ه غيره ز لان مابعده كالتعليل مثلهم ط جميعا ه لالان مابعده صفة المنافقين لكم ج لابتداء الشرط مع انه بيان التربص معكم ز لترجح جانب العطف واتمام بيان النفاق نصيب لالان قالوا جواب ان المؤمنين ط القيامة ط سبيلا ه * التفسير أحسن الترتيبات اللائقة بالدعوة الى الدين الحق والبعث على قبول التكاليف هو ماعليه القرآن من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وضم الآيات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي قوى وكمل كأنه قوى ببيانه ما أشكل فشب وصار فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من أحوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيأ من الميراث كما مر في أول السورة نزلت في نور بنت عمهم وقيل انه في الاوصياء وقيل في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها وأكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها أما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه أحدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم أيضا ويجوز أن يكون رفعا على الفاعلية بأن يكون عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تأكيد للفصل أي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك أعجبني

حدثني

تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) وهذا تقدم من الله تعالى ذكره الى عباده المؤمنين به و برسوله أن يفعلوا فعل الذين سعوا الى رسول الله في أمر بني أبيرق أن يقوم بالعذر لهم في أصحابه وذبهم عنهم وتحسينهم أمرهم بانهم أهل فاقة وفقر يقول الله لهم يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط يقول ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط يعني بالعدل شهداء لله والشهداء جمع شهيد ونصبت الشهداء على القطع مما في قوله قوامين من ذكر الذين آمنوا ومعناه قوموا بالقسط لله عند شهادتكم أو حين شهادتكم ولو على أنفسكم يقول ولو كانت شهادتكم على أنفسكم أو على والدين لكم أو أقربيكم فقوموا فيها بالقسط والعدل وأقيموها على صحتها بان تقولوا فيها الحق ولا تميلوا فيها لغنى لغناه على فقير ولا لفقير لفقره على غنى فتجوروا فان الله الذي سوى بين حكم الغني والفقير فيما ألزمكم أيها الناس من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل أولى بهما وأحق منكم لانه مالكهما وأولى بهما دونكم فهو أعلم بما فيه مصلحة كل واحد منهما في ذلك وفي غيره من الامور كلها منكم فلذلك أمركم بالتسوية بينهما في الشهادة لهما وعليهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا يقول فلا تتبعوا أهواء أنفسكم في الميل في شهادتكم اذا قمتم بها لغنى على فقير أو لفقير على غنى الى أحد الفريقين فتقولوا غير الحق ولكن قوموا فيه بالقسط وأدوا الشهادة على ما أمركم الله بادائها بالعدل لمن شهدتم عليه وله فان قال قائل وكيف يقوم بالشهادة على نفسه الشاهد بالقسط وهل يشهد الشاهد على نفسه قيل نعم وذلك أن يكون عليه حق لغيره فيقر له بذلك قيام منه له بالشهادة على نفسه وهذه الآية عندي تأديب من الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عذر وابني أبيرق في سرقتهم ما سرقوا وخيانتهم ما خانوا من ذكر ما قيل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهادتهم لهم عنده بالصلاح فقال لهم اذا قمتم بالشهادة لانسان أو عليه فقوموا فيها بالعدل ولو كانت شهادتكم على أنفسكم وآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم فلا يحملنكم غنى من شهدتم له أو فقره أو قرابته ورحمه منكم على الشهادة له بالزور ولا على ترك الشهادة عليه بالحق وكتمانها وقد قيل انها نزلت تأديبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله قال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم واختصم اليه رجلان غني وفقير وكان ضلعه مع الفقير لرى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فقال ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا الآية وقال آخرون في ذلك نحو قولنا انها نزلت في الشهادة أمر الله المؤمنين أن يسووا في قيامهم بشهاداتهم لمن قاموا له بها بين الغني والفقير ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين قال أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا مسكينا لمسكنته وذلك قوله ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا فتجوروا والحق فتجوروا حدثني المثنى قال ثنا سويد ابن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن ابن شهاب في شهادة الوالد لولده وذي القرابة قال كان ذلك فيما مضى من السنة في سلف المسلمين وكانوا يتأولون في ذلك قول الله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما الآية فلم يكن يتهم سلف المسلمين الصالح في شهادة الوالد لولده ولا الولد لوالده ولا الاخ لاخيه ولا الرجل لامرأته ثم دخل الناس بعد ذلك فظهرت منهم أمور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم اذا كانت من أقربائهم وصار ذلك من الوالد والولد والاخ والزوج والمرأة لم يتهم الا هؤلاء في آخر الزمان

نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بمن قبل محمد من الانبياء والرسل وصدقوا بما جاؤهم به من عند الله آمنوا بالله ورسوله يقول صدقوا بالله وبمحمد رسوله انه لله رسول مرسل اليكم والى سائر الامم قبلكم والكتاب الذي نزل على رسوله يقول وصدقوا بما جاء به محمد من الكتاب الذي نزله الله عليه وذلك القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل يقول وآمنوا بالكتاب الذي أنزل الله من قبل الكتاب الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة والانجيل فان قال قائل وما وجه دعاء هؤلاء الى الايمان بالله ورسوله وكتبه وقد سماهم مؤمنين قيل انه جل ثناؤه لم يسمهم مؤمنين وانما وصفهم بانهم آمنوا وذلك وصف لهم بخصوص من التصديق وذلك انهم كانوا صنفين أهل توراة مصدقين بها ومن جاء بها وهم مكذبون بالانجيل والقرآن وعيسى ومحمد صلوات الله عليهما وصنف أهل انجيل وهم مصدقون به وبالتوراة وسائر الكتب مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان فقال جل ثناؤه لهم يا أيها الذين آمنوا يعني بما هم به مؤمنون من الكتب والرسل آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على رسوله فانكم قد علمتم أن محمدا رسول الله تجدون صفته في كتبكم وبالكتاب الذي أنزل من قبل الذي تزعمون انكم به مؤمنون فانكم لن تكونوا به مؤمنين وأنتم بمحمد مكذبون لان كتابكم يأمركم بالتصديق به وبما جاءكم به فآمنوا بكتابكم في اتباعكم محمدا والا فانتم به كافرون فهذا وجه أمرهم بالايمان بما أمرهم بالايمان به بعد أن وصفهم بما وصفهم بقوله يا أيها الذين آمنوا وأما قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فان معناه ومن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فيجحد نبوته فهو يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لان جحود شئ من ذلك بمعنى جحود جميعه وذلك لانه لا يصح ايمان أحد من الخلق الا بالايمان بما أمره الله بالايمان به والكفر بشئ منه كفر بجميعه فلذلك قال ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر يعقب خطابه أهل الكتاب وأمره اياهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم تهديدا منه لهم وهم مقرون بوحدانية الله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر سوى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الفرقان وأما قوله فقد ضل ضلالا بعيدا فانه يعني فقد ذهب عن قصد السبيل وجار عن محجة الطريق الى المهالك ذهابا وجورا بعيدا لان كفر من كفر بذلك خروج منه عن دين الله الذي شرعه لعباده والخروج عن دين الله الهلاك الذي فيه البوار والضلال عن الهدى هو الضلال ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم تأويله ان الذين آمنوا بموسى ثم كفروا به ثم آمنوا يعني النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وهم اليهود والنصارى آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت وآمنت النصارى بالانجيل ثم كفرت وكفرهم به تركهم اياه ثم ازدادوا كفرا بالفرقان وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال الله لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا يقول لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريق هدى وقد كفروا بكتاب الله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الذين آمنوا ثم كفروا قال هؤلاء اليهود آمنوا بالتوراة ثم كفروا ثم ذكر النصارى ثم قال ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يقول آمنوا بالانجيل ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل عنى بذلك أهل النفاق انهم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ازدادوا كفرا بموتهم على كفرهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

تمسك أصحاب أبي حنيفة في جواز الصلح على الانكار أو الصلح خير من الخيرات كما أن الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله وأحضرت الانفس الشح الا أنه اعتراض مؤكد للمطلوب محصل للمقصود والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا تسيل الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل أن يكون هذا تعريضا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها أو حقها أو بالزوج انه يشح بانه ينقضي عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص أولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كما لا جناح فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وحسم مادة الخصومة رأسا فقال وان تحسنوا أي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران ابن حطان الخارجي كان من آدم بني آدم وامرأته من أجملهم فاجالت يوما نظرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من أهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا أن تعدلوا ان تقدروا على التسوية بين النساء

ووصي أبيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه ليس في الآية أكثر من ذكر رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في أن تقوموا للائمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم قيل ويجوز ان يكون وأن تقوموا منصوبا أي ويأمركم أن تقوموا ومن جملة ما أخبر الله تعالى انه يفتيهم به في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت ارتفاع امرأة بفعل يفسره خافت أي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول الرجل لامرأته انك دميمة أو مسنة وانى أريد ان أتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه وينبغي نشوز الرجل ان يعرض عنها ويقبح وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عائشة انها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل أن يستبدل بها غيرها فتقول أمسكني وتزوج غيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله أنبتكم من الارض نباتا ان يصالحا على ان تطيب المرأة نفسا عن القسمة أو عن المهر والنفقة فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاءأم أبى أما الوطء فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على

وهذا في الشهادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان تلوا أو تعرضوا أما تلوا فتلوي بالشهادة فتحرفها حتى لا تقيمها وأما تعرضوا فتعرضوا عنها فتكتمها ويقول ليس عندي شهادة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان تلوا فتكتموا الشهادة تلوي تنقص منها أو تعرض عنها فتكتمها فتأبى أن تشهد عليه يقول أكتم عنه لانه مسكين أرحمه فيقول لا أقيم الشهادة عليه ويقول هذا غني أبقيه وأرجو ما قبله فلا أشهد عليه فذلك قوله ان يكن غنيا أو فقيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان تلوا أو تعرضوا تتركوا حدثنا محمد بن عمارة ثنا حسن بن عطية قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية في قوله وان تلوا قال أن تلجلجوا في الشهادة فتفسدوها أو تعرضوا قال فتتركوها حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله وان تلوا أو تعرضوا قال ان تلوا في الشهادة أن لا يقيمها على وجهها أو تعرضوا قال تكتموا الشهادة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا شيبان عن قتادة انه كان يقول وان تلوا أو تعرضوا يعني تلجلجوا أو تعرضوا قال تدعها فلا تشهد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان تلوا أو تعرضوا أما تلوا فهو ان يلوي الرجل لسانه بغير الحق يعني في الشهادة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله انه لي الشاهد شهادته لمن يشهد له وعليه وذلك تحريفه اياها لسانه وتركه اقامتها ليبطل بذلك شهادته لمن شهد له وعمن شهد عليه وأما اعراضه عنها فانه تركه أداءها والقيام بها فلا يشهد بها وانما قلنا هذا التأويل أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه قال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله فامرهم بالقيام بالعدل شهداء وأظهر معاني الشهداء ما ذكرنا من وصفهم بالشهادة واختلفت القراء في قراءة قوله وان تلوا فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى الكوفة وان تلوا بواوين من لوالي الرجل حقي والقوم يلوونني ديني وذلك ذا مطاوله لبا وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة وان تلوا بواو واحدة ولقراءة من قرأ ذلك وجهان أحدهما أن يكون قارئها أراد همز الواو لانضمامها ثم أسقط الهمزة فصار اعراب الهمز في اللام اذ اسقطه وبقيت واو واحدة كأنه أراد تلوؤا ثم حذف الهمز واذا عنى هذا الوجه كان معناه معنى من قرأ وان تلوا وابوا بين غير أنه خالف المعروف من كلام العرب وذلك ان الواو الثانية من قوله تلوا واو جمع وهي علم لمعنى فلا يصح همزها ثم حذفها بعد همزها فيبطل علم المعنى الذي له أدخلت الواو المحذوفة والوجه الآخر أن يكون قارئها كذلك أراد ان تلوا من الولاية فيكون معناه وان تلوا أمور الناس أو تتركوا وهذا معنى اذا وجه القارئ قراءته على ما وصفنا اليه خارج عن معاني أهل التأويل وما وجه اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون تأويل الآية فاذا كان فساد ذلك واضحا من كلا وجهيه فالصواب من القراءة الذي لا يصح غيره ان يقرأ به عندنا وان تلوا أو تعرضوا من اللي الذي هو مطل فيكون تأويل الكلام وان تدفعوا القيام بالشهادة على وجهها ان لزمكم القيام لها فتغيروها وتبدلوا أو تعرضوا عنها فتتركوا القيام لها بها كما يلوي الرجل دين الرجل فيدافعه بادائه اليه على ما أوجب عليه له مطلا منه له كما قال الاعشى

تلوونني دين النهار واقتضى * ليلي اذا وقد النعاس الرقدا

وأما تأويل قوله فان الله كان بما تعملون خبيرا فانه أراد فان الله كان بما تعملون من اقامتكم الشهادة وتحريفكم اياها واعراضكم عنها بكتمانكموها خبيرا يعني ذا خبرة وعلم به يحفظ ذلك منكم عليكم حتى يجازيكم به جزاءكم في الآخرة المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته يقول فاتقوا ربكم في ذلك ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي

فقال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب أي جنسه ليشمل التوراة والانجيل والزبور وغيرها من الصحف وقوله من قبلكم اما أن يتعلق بوصينا أو باوتوا وقوله وايا كم عطف على الذين ومعنى أن اتقوا بان اتقوا ويكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا عطف على اتقوا أي أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وهو خالقهم ومالكهم

والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصى يخشون عقابه ويرجون ثوابه أو قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وأرضه من الملائكة وغيرهم من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا تقريرا لانه أهل أن يتقى وتوكيدا لاستغنائه عن طاعات المطيعين وسيئات المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم يعذبكم أيها الناس ويأت بآخرين يوجد خلقا آخرين غير الانس أو من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك ولن يزال كذلك وفي الآية من التخويف والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي صلى الله عليه وسلم من العرب والمراد بآخرين ناس يوالونه يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد أبناء فارس ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب الاخس بالذات مع انه اذا طلب الاشرف تبعه الاخس فالتقدير فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فله

وهو الموجع وذلك عذاب جهنم ۞ القول في تأويل قوله (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) أما قوله جل ثناؤه الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فمن صفة المنافقين يقول الله لنبيه يا محمد بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والالحاد في ديني أولياء يعني أنصارا وأخلاء من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين أيبتغون عندهم العزة يقول أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم اياهم أولياء من دون أهل الايمان بي فان العزة لله جميعا يقول فان الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الاذلاء الاقلاء فهلا اتخذوا الاولياء من المؤمنين فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء فيعزهم ويمنعهم وأصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز وقيل قد استعز على المريض اذا اشتد مرضه وكاد يشفي ويقال تعززا للحم اذا اشتد ومنه قيل عز علي أن يكون كذا وكذا بمعنى اشتد علي ۞ القول في تأويل قوله (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) يعني بذلك جل ثناؤه بشر المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب يقول أخبر من اتخذ من هؤلاء المنافقين الكفار أنصارا وأولياء بعد ما نزل عليهم من القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني بعد ما علموا نهي الله عن مجالسة الكفار الذين يكفرون بحجج الله وآي كتابه ويستهزؤن بها حتى يخوضوا في حديث غيره يعني بقوله يخوضون يتحدثون حديثا غيره بان لهم عذابا أليما وقوله انكم اذا مثلهم يعني وقد نزل عليكم انكم ان جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فانتم مثله يعني فانتم ان لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فعلهم لانكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها كما عصوه باستهزائهم بآيات الله فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها فانتم اذا مثلهم في ركوبكم معصية الله واتيانكم مانهاكم الله عنه وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم وبنحو ذلك كان جماعة من الامة الماضية يقولون تأولا منهم هذه الآية انه مراد بها النهي عن مشاهدة كل باطل عند خوض أهله فيه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي عن أبي وائل قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس من الكذب ليضحك بها جلساءه فيسخط الله عليهم قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال صدق أبو وائل أوليس ذلك في كتاب الله أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن ادريس عن العلاء بن المنهال عن هشام بن عروة قال أخذ عمر بن عبد العزيز قوما على شراب فضربهم وفيهم صائم فقالوا ان هذا صائم فقال فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا من

ان أراده لعصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله جميعا لاقوال المجاهدين والطالبين بصيرا بطماع عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على نحو ذلك ثم بين ان كمال سعادة الانسان في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن ارتكاب الميل شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما أمرتم باقامتها ولو كانت تلك الشهادة وبالا على أنفسكم أو

في ميل الطباع ولو حرصتم واذا لم تقدروا على هذا بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا تفسير بيّن لمذهب المعتزلة من أن تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا كل الميل أي رفع عنكم تمام العدل وغايته ولكن ائتوا ما استطعتم بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم وبوجه آخر لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم ولا التسوية الكلية في نتائج الحب

من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار أي غير ذات بعل ولا مطلقة والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتائج الميل القلبي وأما الميل القلبي فمعفو بالكل و بالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان وانما هو بين اصبعين من أصابع الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة كانت أحب اليه وعنه صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا يرزق كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجته وعيشا أهنأ من عيشته وسعة الغنى والمقدرة وكان الله واسعا من الرزق والفضل والرحمة والعلم وأي كمال يفرض ولهذا أطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم وعظ وقال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف أو تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وهو كالتفسير لسعة ملكه وملكه وفيه وهو ان الذي أمر به من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان ليس لعجز أو افتقار وانما يعود فائدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن له في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغناءه تعالى بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الآتية

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال كنا نحسبهم المنافقين ويدخل في ذلك من كان مثلهم ثم ازدادوا كفرا قال ثوا على كفرهم حتى ماتوا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم ازدادوا كفرا قال ماتوا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ثم ازدادوا كفرا حتى ماتوا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين آمنوا ثم كفروا الآية قال هؤلاء المنافقون آمنوا مرتين وكفروا مرتين ثم ازدادوا كفرا بعد ذلك وقال آخرون بل هم أهل الكتاب بين التوراة والانجيل أتوا ذنوبا في كفرهم فتابوا فلم تقبل منهم التوبة فيها مع اقامتهم على كفرهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن داود بن أبي هند عن أبي العالية ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال هم اليهود والنصارى أذنبوا في شركهم ثم تابوا فلم تقبل توبتهم ولو تابوا من الشرك لقبل منهم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك أهل الكتاب الذين أقروا بحكم التوراة ثم كذبوا بخلافهم اياه ثم أقر من أقر منهم بعيسى والانجيل ثم كذب به بخلافه اياه ثم كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان فازداد بتكذيبه به كفرا على كفره وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية لان الآية قبلها في قصص أهل الكتابين أعني قوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ولا دلالة تدل على ان قوله ان الذين آمنوا ثم كفروا منقطع معناه من معنى ما قبله فالحاقه بما قبله أولى حتى تأتي دلالة دالة على انقطاعه منه وأما قوله لم يكن الله ليغفر لهم فانه يعني لم يكن الله ليستر عليهم كفرهم وذنوبهم بعفوه عن العقوبة لهم عليه ولكنه يفضحهم على رؤس الاشهاد ولا ليهديهم سبيلا يقول ولم يكن ليسددهم لاصابة طريق الحق فيوفقهم لها ولكنه يخذلهم عنها عقوبة لهم على عظيم جرمهم وجراءتهم على ربهم وقد ذهب قوم الى أن المرتد يستتاب ثلاثا انتزاعا منهم بهذه الآية وخالفهم على ذلك آخرون ذكر من قال يستتاب ثلاثا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن الشعبي عن علي عليه السلام قال ان كنت لمستتيب المرتد ثلاثا ثم قرأ هذه الآية ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر عن علي رضي الله عنه يستتاب المرتد ثلاثا ثم قرأ ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الكريم عن رجل عن ابن عمر قال يستتاب المرتد ثلاثا وقال آخرون يستتاب كلما ارتد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عمرو بن قيس عن سمع ابراهيم قال يستتاب المرتد كلما ارتد وفي قيام الحجة بان المرتد يستتاب المرة الاولى الدليل الواضح على ان حكم كل مرة ارتد فيها عن الاسلام حكم المرة الاولى في ان توبته مقبولة وان اسلامه حقن له دمه لان العلة التي حقنت دمه في المرة الاولى اسلامه فغير جائز ان توجد العلة التي من أجلها كان دمه محقونا في الحالة الاولى ثم يكون دمه مباحا مع وجودها الا أن يفرق بين حكم المرة الاولى وسائر المرات غيرها ما يجب التسليم له من أصل محكم فيخرج من حكم القياس حينئذ ۞ القول في تأويل قوله (بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما) يعني بذلك جل ثناؤه بشر المنافقين أخبر المنافقين وقد بينا معنى التبشير فيما مضى بما أغنى عن اعادته بان لهم عذابا أليما يعني بان لهم يوم القيامة من الله على نفاقهم عذابا أليما

والحاضر آمنوا في المستقبل أي دوموا على الايمان واثبتوا * الثاني يا أيها الذين آمنوا تقليدا آمنوا استدلالا * الثالث يا أيها الذين آمنوا استدلالا اجماليا آمنوا استدلالا تفصيليا * الرابع يا أيها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله آمنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك أحوال الملائكة وأسرار الكتب وصفات الرسل لا ينتهي اليها عقولكم * الخامس قال الكلبي (١٩٧) ان عبد الله بن سلام وأسدا وأسيدا ابني

لكم فتح من الله قال المنافقون يتربصون بالمسلمين فان كان لكم فتح قال ان أصاب المسلمون من عدوهم غنيمة قال المنافقون ألم نكن معكم قد كنا معكم فاعطونا غنيمة مثل ما تأخذون وان كان للكافرين نصيب يصيبونه من المسلمين قال المنافقون للكافرين ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين قد كنا نثبطهم عنكم واختلف أهل التاويل في تاويل قوله ألم نستحوذ عليكم فقال بعضهم معناه ألم نغلب عليكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ألم نستحوذ عليكم قال نغلب عليكم وقال آخرون معنى ذلك ألم نبين لكم انا معكم على ما أنتم عليه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ألم نستحوذ عليكم ألم نبين لكم انا معكم على ما أنتم عليه * قال أبو جعفر وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك ان من تاوله بمعنى ألم نبين لكم انما أراد ان شاء الله ألم نغلب عليكم بما كان منا من البيان لكم انا معكم وأصل الاستحواذ في كلام العرب فيما بلغنا الغلبة ومنه قول الله جل ثناؤه استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله بمعنى غلب عليهم يقال منه حاذ عليه واستحاذ يحيذ ويستحيذ وأحاذ يحيذ ومن لغة من قال حاذ قول العجاج في صفة ثور وكلب * يحوذهن وله حوذي * وقد أنشد بعضهم * يحوذهن وله حوذي * وهما مستقاران بالمعنى ومن لغة من قال أحاذ قول لبيد في صفة عير واتن

اذا اجتمعت وأحوذ جانبيها * وأوردها على عوج طوال

يعني بقوله وأحوذ جانبيها اغلابها وقهرها حتى حاد كلا جانبيها فلم ينسد منها شئ وكان القياس في قوله استحوذ عليهم الشيطان أن يأتي استحاذ عليهم لان الواو اذا كانت عين الفعل وكانت متحركة بالفتح وما قبلها ساكن جعلت العرب حركتها في فاء الفعل قبلها وحولوها ألفا متبعة حركة ما قبلها كقولهم استحال هذا الشئ مما كان عليه من حال يحول واستنار فلان بنور الله من النور واستعاذ بالله من عاذ يعوذ ونحو ذلك على أصله كما قال لبيد وأحوذ عليه ولم يقل وأحاذ عليه وبهذه اللغة جاء القرآن في قوله استحوذ عليهم الشيطان وأما قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فلا خلاف بينهم في ان معناه ولن يجعل الله للكافرين يومئذ على المؤمنين سبيلا ذكر الخبر عمن قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن ذر عن نسيع الحضرمي قال كنت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال رجل يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقاتلونا فيظهرون ويقتلون قال له علي ادنه ادنه ثم قال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يوم القيامة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن ذر عن نسيع الكندي في قوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال جاء رجل الى علي بن أبي طالب فقال كيف هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فقال علي ادنه فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله يوم القيامة للكافرين على المؤمنين سبيلا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ذر عن نسيع الحضرمي عن علي بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة قال سمعت سليمان يحدث عن ذر عن رجل عن علي رضي الله عنه انه قال في هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال في الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يوم القيامة حدثنا

كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني أهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فانزل الله هذه الآية فآمنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وانه حاصل في الكل فالخطاب لليهود والنصارى أو يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب فهم المنافقون أو يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي أنزل من قبل جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان أمورا ثلاثة الايمان بالله وبالرسل وبالكتب وذكر في مراتب الكفر أمورا خمسة أجيب بان الايمان بالثلاثة يلزم منه الايمان بالملائكة واليوم الآخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلاثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الآخر لتاويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما نص على ان منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتاب يعدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق وأما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب ويوجه آخر الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسول عام له ولغيره فلما خص ذكره أولا للتشريف جعل ذكره تاليا لذكر الله لمزيد التشريف ولبيان أفضليته صلى الله عليه وسلم ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد الايمان فقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكررمنهم الكفر

القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله وقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يقول ان الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار فوفق بينهم في عقابه في جهنم واليم عذابه كما اتفقوا في الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين وتوازروا على التخذيل عن دين الله وعن الذي ارتضاه وأمر به وأهله واختلفت القراء في قراءة قوله وقد نزل عليكم في الكتاب فقرأ ذلك عامة القراء بضم النون وتثقيل الزاي وتشديدها على وجه مالم يسم فاعله وقرأ بعض الكوفيين بفتح النون وتشديد الزاي على معنى وقد نزل الله عليكم وقرأ ذلك بعض المكيين وقد نزل عليكم بفتح النون وتخفيف الزاي بمعنى وقد جاءكم من الله ان اذا سمعتم وليس في هذه القراآت الثلاث وجه يبعد معناه مما يحتمله الكلام غير ان الذي أختار القراءة به قراءة من قرأ وقد نزل بضم النون وتشديد الزاي على وجه مالم يسم فاعله لان معنى الكلام فيه التقديم على ماوصفت قبل على معنى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الى قوله حديث غيره أيبتغون عندهم العزة فقوله فان العزة لله جميعا يعني التأخير فلذلك كان ضم النون من قوله نزل أصوب عندنا في هذا الموضع وكذلك اختلفوا في قراءة قوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل فقرأه بفتح نزل وأنزل أكثر القراء بمعنى والكتاب الذي نزل الله على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل وقرأ ذلك بعض قراء البصرة بضمه في الحرفين كلاهما بمعنى مالم يسم فاعله وهما متقاربتا المعنى غير ان الفتح في ذلك أعجب الى من الضم لان ذكر الله قد جرى قبل ذلك في قوله آمنوا بالله ورسوله

القول في تأويل قوله (الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) يعني جل ثناؤه بقوله الذين يتربصون بكم الذين ينتظرون أيها المؤمنون بكم فان كان لكم فتح من الله يعني فتح الله عليكم فتحا من عدوكم فافاء عليكم فيأ من المغانم قالوا لكم ألم نكن معكم بجهاد عدوكم ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة فانا قد شهدنا القتال معكم وان كان للكافرين نصيب يعني وان كان لاعدائكم من الكافرين حظ منكم باصابتهم منكم قالوا ألم نكن معكم يعني قال هؤلاء المنافقون للكافرين ألم نستحوذ عليكم ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين ونمنعكم منهم بتخذيلنا اياهم حتى امتنعوا منكم فانصرفوا فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني فالله يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل بادخال أهل الايمان جنته وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار ناره ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يعني حجة يوم القيامة وذلك وعد من الله المؤمنين أنه لا يدخل المنافقين مدخلهم من الجنة ولا المؤمنين مدخل المنافقين فيكون بذلك للكافرين على المؤمنين حجة بان يقولوا لهم ان ادخلوا مدخلهم ها أنتم كنتم في الدنيا أعداءنا وكان المنافقون أولياءنا وقد اجتمعتم في النار جميع بينكم وبين أوليائنا فاين الذي كنتم تزعمون انكم تقاتلونا من أجله في الدنيا فذلك هو السبيل الذي وعد الله المؤمنين أن لا يجعلها عليهم للكافرين ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فان كان

الوالدين والاقربين بان يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره وفي كلام الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق أنجى أو المراد الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان يقول أشهد ان لفلان على والدي كذا أو على أقاربي كذا وانما قدم الامر بالقيام بالقسط على الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات والاول مقدم على الثاني وأما في حق العباد فالعدالة مقدمة على الشهادة تقدم الشرط على المشروط فاعلم ان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني أو ترحما على الفقير فالله أولى بامورهما ومصالحهما وكان حق النسق ان لو قيل فالله أولى به أي باحدهذين الا أنه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله أولى بجنسي الفقير والغني أي بالاغناء والفقراء يريد بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير رأى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير وأنزل الآية وقوله ان تعدلوا يحتمل أن يكون من العدل أو من العدول فكأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو ارادة أن تعدلوا عن الحق واحتمال آخر وهو أن يراد اتركوا الهوى لاجل أن تعدلوا أي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك أحد النقيضين فقد حصل له الآخر وان تلووا أو تعرضوا من لوى يلوي اذا فتل وهو واحدة من الولاية والمعنى وان تلوا ألسنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل وتعرضوا عن الشهادة بما عندكم لكم أو ان وليتم اقامة الشهادة أو تركتموها واعلم ان الانسان لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا أردف ما ذكر بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا وظاهر هذا الامر يقتضي تحصيل الحاصل فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا أيها الذين آمنوا في الماضي

قلبه وقع واحتشام فالظاهر من حاله انه يموت على الكفر فليس المراد انه لو أتى بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كالفاسق يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا يهديهم سبيلا أي الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة الى الجنة أو محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن أبي الاشهب قال قرأ الحسن ولا يذكرون الله الا قليلا قال انما قل لانه كان لغير الله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يذكرون الله الا قليلا قال انما قل ذكر المنافق لان الله لم يقبله وكل ما رد الله قليل وكل ما قبل الله كثير ۞ القول في تاويل قوله (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعني جل ثناؤه بقوله مذبذبين مرددين وأصل التذبذب التحرك والاضطراب كما قال النابغة

ألم تر أن الله اعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

وانما عنى الله بذلك ان المنافقين متحيرون في دينهم لا يرجعون الى اعتقاد شئ على صحة فهم لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع المشركين على جهالة ولكنهم حيارى بين ذلك فمثلهم المثل الذي ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة لا تدري أيتهما تتبع وحدثنا به محمد بن المثنى مرة أخرى عن عبد الوهاب فوقف به على ابن عمر ولم يرفعه قال ثنا عبد الوهاب مرتين كذلك ثني عمران بن بكار قال ثنا أبو روح قال ثنا ابن عباس قال ثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله وبنحو الذي قلنا في تاويل ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يقول ليسوا بمشركين فيظهروا الشرك وليسوا بمؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يقول ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك قال وذكر لنا ان نبي الله عليه السلام كان يضرب مثلا للمؤمن والمنافق والكافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا الى نهر فوقع المؤمن فقطع ثم وقع المنافق حتى اذا كاد يصل الى المؤمن ناداه الكافر ان هلم الي فاني أخشى عليك وناداه المؤمن ان هلم الي فان عندي وعندي ويحصي له ما عنده فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرقه وان المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول مثل المنافق كمثل ناغية بين غنمين رأت غنما على نشز فاتتها فلم تعرف ثم رأت غنما على نشز فاتتها وشامتها فلم تعرف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مذبذبين قال المنافقون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يقول لا الى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى هؤلاء اليهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله مذبذبين بين ذلك قال لم يخلصوا الايمان فيكونوا مع المؤمنين وليسوا مع أهل الشرك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مذبذبين بين ذلك بين الاسلام والكفر لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأما قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا فانه يعني من يخذله الله عن طريق الرشاد وذلك هو الاسلام الذي دعا الله اليه عباده يقول من يخذله الله عنه فلم يوفقه له فلن تجد له يا محمد سبيلا يعني طريقا يسلك الى الحق غيره وأي سبيل يكون له الى الحق غير الاسلام وقد أخبر الله جل ثناؤه انه من يتبع غير هذا دينا

ثم حكم كقولهم عتا بك السيف وتحيته الضرب أيبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادون اليهود اعتقادا منهم ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم لا يتم وحينئذ يبتغون بودهم ان يحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله آمالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله تستتبع عزة الرسول والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وجميعا حال من العزة أي مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به وبين أظهرهم المسلمون ولا يتهيأ لهم حينئذ الانكار عليهم ظاهرا فنزلت اذا ذاك واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ويجالسهم بعض المنافقين فانزل الله تعالى في هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني آية الانعام أن اذا سمعتم آيات الله هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى اذا سمعتم آيات الله حال كونها يكفر بها ويستهزأ بها وقال الكسائي المعنى اذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ولكن أوقع فعل السماع على الآيات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع على الآيات يمكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم أيها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر واذن ههنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل أي اذن تكونون مثلهم وأفرد مثلهم لانها في معنى المصدر نحو أنؤمن لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا أمثالكم وانما لم يحكم بكفر المسلمين بمكة لمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة أحبار اليهود الخائضين لان مجالسة أولئك المسلمين كانت للضرورة وفي أوان ضعف الاسلام ولم يردعهم عن مجالسة هؤلاء

بعد الايمان تارات وأطوارا قال الفقال وليس المراد بيان العدد بل المراد تردده وتقلبهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون أظهروا الاسلام ثم كفروا ببغاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بحدهم

واجتهادهم فى استخراج وجوه المكايد فى حق المسلمين وقيل هم طائفة من أهل الكتاب قصدوا تشكيك المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر أخرى على ما أخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ثم انهم بالغوا فى ذلك وأزدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفى الآية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين بالموافاة وهى ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام وهم يجيبون عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان وفيها ان الكفر يقبل الزيادة والنقصان فيجب أن يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل أحدهما التفاوت فكذا الآخر وكيف يزداد كفرهم فيه وجوه أحدها انهم ماتوا على كفرهم وتأنيها بسبب ذنوب أصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعات وقت الايمان تكون زيادة فى الايمان * وثالثها استهزاؤهم بالدين أما قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فقيل عليه اللازم تفيد نفى التاكيد وهذا لا يليق بالموضع انما اللائق به تاكيد النفى وأجيب بان نفى التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم أفاد تاكيد النفى ثم أورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وحينئذ تضيع الشرائط المذكورة فى الآية بعد التوبة مغفور ولو بعد ألف مرة فكيف يصح النفى وأجيب بان

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال ذلك يوم القيامة وأما السبيل فى هذا الموضع فالحجة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال بحجة ۞ القول فى تاويل قوله (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) قد دللنا فيما مضى قبل على معنى خداع المنافق ربه ووجه خداع الله اياهم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع مع اختلاف المختلفين فى ذلك فتأويل ذلك ان المنافقين يخادعون الله باحرازهم بنفاقهم دماءهم واموالهم والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بالسنتهم من الايمان مع علمه ببواطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر استدراجا منه لهم فى الدنيا حتى يلقوه فى الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قال يعطيهم يوم القيامة نورا يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم فى الدنيا ثم يسلبهم ذلك النور فيطفيه فيقومون فى ظلمتهم ويضرب بينهم بالسور حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قال نزلت فى عبد الله بن أبى وأبى عامر بن النعمان وفى المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قال مثل قوله فى البقرة يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم قال وأما قوله وهو خادعهم فيقول فى النور الذى يعطى المنافقون مع المؤمنين فيعطون النور فاذا بلغوا السور سلب وماذكر الله من قوله انظرونا نقتبس من نوركم قال قوله وهو خادعهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحسن انه كان اذا قرأ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قال يلقى على كل مؤمن ومنافق نور يمشون به حتى اذا انتهوا الى الصراط طفئ نور المنافقين ومضى المؤمنون بنورهم فينادونهم انظرونا نقتبس من نوركم الى قوله ولكنكم فتنتم أنفسكم قال الحسن فتلك خديعة الله اياهم وأما قوله واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس يعنى ان المنافقين لا يعملون شيأ من الاعمال التى فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرب بها الى الله لانهم غير موقنين بمعاد ولا ثواب ولا عقاب وانما يعملون ما عملوا من الاعمال الظاهرة اتقاء أنفسهم وحذارا من المؤمنين عليها ان يقتلوا أو يسلبوا أموالهم فهم اذا قاموا الى الصلاة التى هى من الفرائض الظاهرة قاموا كسالى البهار ياء للمؤمنين ليحسبوهم منهم وليسوا منهم لانهم غير معتقدى فرضها ووجوبها عليهم فهم فى قيامهم اليها كسالى كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وانه والله لولا الناس ما صلى المنافق ولا يصلى الا رياء وسمعة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس قال هم المنافقون لولا الرياء ما صلوا وأما قوله ولا يذكرون الله الا قليلا فلسل قائلا أن يقول وهل من ذكر الله شئ قليل قيل له ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت انما معناه ولا يذكرون الله الا ذكرا رياء ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسبا وسلب الاموال لاذكرا موقنا مصدقا بثواب الله مخلصا له الربوبية فلذلك سماه الله قليلا لانه غير مقصود به الله ولا مبتغى به التقرب الى الله ولا مراد به ثواب الله وما عنده فهو وان كثر من وجه نصب عامله وذاكره فى معنى السراب الذى له ظاهر بغير حقيقتها

وبنحو اللازم فى الذين لعهود بن وهم قوم علم الله منهم انهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم على الكفر أو اللام للاستغراق وخرج الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان فى

على جهة الكل وقيل فى الآخرة وقيل عام فى الكل والشافعى بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم وأحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدلالة هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى والله تعالى أعلم التأويل النفس الروح كالمرأة للزوج و يتمنى النساء صفات النفوس وما كتب لهن ما أوجب الله للنفوس (٤٠١) من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك

قوله ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار يعنى فى أسفل النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال لى عبد الله بن كثير قوله فى الدرك الاسفل من النار قال سمعنا ان جهنم ادراك منازل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار قال توابيت من نار تطبق عليهم وأما قوله ولن تجد لهم نصيرا فانه يعنى ولن تجد لهؤلاء المنافقين يا محمد من الله اذا جعلهم فى الدرك الاسفل من النار ناصرا ينصرهم منه فينقذهم من عذابه و يدفع عنهم أليم عقابه ۞ القول فى تأويل قوله (الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) وهذا استثناء من الله جل ثناؤه استثنى التائبين من نفاقهم اذا أصلحوا وأخلصوا الدين لله وحده وتبرؤا من الآلهة والانداد وصدقوا رسوله ان يكونوا مع المصرين على نفاقهم حتى يوفيهم منا ياهم فى الآخرة وان يدخلوا مداخلهم من جهنم بل وعدهم جل ثناؤه ان يدخلهم مع المؤمنين محل الكرامة يسكنهم معهم مساكنهم فى الجنة ووعدهم من الجزاء على توبتهم الجزيل من العطاء فقال وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فتأويل الآية الا الذين تابوا أى راجعوا الحق وأبوا الاقرار بوحدانية الله وتصديق رسوله وما جاء به من عند ربه من نفاقهم وأصلحوا يعنى وأصلحوا أعمالهم فعملوا بما أمرهم الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه وانزجروا عن معاصيه واعتصموا بالله يقول وتمسكوا بعهد الله وقد دللنا فيما مضى قبل على ان الاعتصام التمسك والتعلق فالاعتصام بالله التمسك بعهده وميثاقه الذى عهد فى كتابه الى خلقه من طاعته وترك معصيته وأخلصوا دينهم لله يقول وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التى يعملونها لله فارادوه بها ولم يعملوها رياء الناس ولا على شك منهم فى دينهم وامتراء منهم فى ان الله محص عليهم ما عملوا فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته ولكنهم عملوها على يقين منهم فى ثواب المحسن على احسانه وجزاء المسىء على اساءته أو يتفضل عليه ربه فيعفو ومتقربين بها الى الله مريدين بها وجه الله فذلك معنى اخلاصهم لله دينهم ثم قال جل ثناؤه وأولئك المنافقون بعد توبتهم واصلاحهم واعتصامهم بالله واخلاصهم له مع المؤمنين فى الجنة لا مع المنافقين الذين ماتوا على نفاقهم الذين أوعدتهم الدرك الاسفل من النار ثم قال وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما يقول وسوف يعطى الله هؤلاء الذين هذه صفتهم على توبتهم واخلاصهم واعتصامهم بالله واخلاصهم دينهم له على ايمانهم ثوابا عظيما وذلك درجات فى الجنة كما أعطى الذين ماتوا على النفاق منازل فى النار وهى السفل منها لان الله جل ثناؤه وعد عباده المؤمنين ان يؤتيهم على ايمانهم ذلك كما أوعد المنافقين على نفاقهم ما ذكر فى كتابه وهذا القول هو معنى قول حذيفة بن اليمان الذى حدثنا به ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال حذيفة ليدخلن الجنة قوم كانوا منافقين فقال عبد الله وما علمك بذلك فغضب حذيفة ثم قام فتنحى فلما فرغوا مر به علقمة فدعاه أما ان صاحبك يعلم الذى قلت ثم قرأ الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ۞ القول فى تأويل قوله (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) يعنى جل ثناؤه بقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ما يصنع الله أيها المنافقون بعذابكم ان أنتم تبتم الى الله ورجعتم الى الحق الواجب لله عليكم فشكرتموه على ما أنعم عليكم من نعمه

فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير وأحضرت الانفس الشح فالروح تشح بترك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل فى رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوى والعالم السفلى وان يتفرقا أى الروح والنفس فالروح يجتذب بجذبة ادع نفسك وتعال الى سعة غنى الله فى عالم هويته فيستغنى عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس يجتذب عن الروح بجذبة ارجعى الى ربك الى سعة غنى الله فى عالم فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى يا أيها الذين آمنوا آمنوا للايمان ثلاث مراتب ايمان للعوام أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله و بالبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبى وايمان الخواص وهو انه تعالى اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته خضع له جميع أجزاء وجوده وآمن بالكلية وهذا ايمان عيانى وايمان للاخص وهو بعد رفع الحجب الانانية حين أفناه بصفة الجلال وأبقاه بصفة الجمال فلم يبق له الاين و بقى فى العين وهذا ايمان عينى ان الذين آمنوا أى بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد أصل ثم آمنوا بالاستدلال العقلى ثم كفروا اذ لم تكن عقولهم مشرقة بالنور الالهى ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله فى الازل غافرا لهم بنوره عند الرشد

 ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان الاصل لا يخطى بشر المنافقين أى بشرهم بان أصلهم من جوهر الكفار ولهذا اتخذوا الكافرين أولياء فان ائتلافهم ههنا نتيجة وتعارف أرواحهم وكما يعيشون معونون وكما يموتون يحشرون ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

المنافقين كانت في وقت الاختيار وقوة الاسلام وبعد ورود النهي قال أهل العلم في الآية دليل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر يراه وخالط أهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم تحقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود (٢٠٠) معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزأ بها

وأراد جامع بالتنوين لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من نصر أو اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا ألم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين أي اليهود نصيب استيلاء ما في الظاهر قالوا ألم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ الغلبة وهذا جاء بالواو وعلى أصله كما جاء استروح واستصوب وفي الآية وجهان الاول ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم ثم لم نفعل شيا من ذلك ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم فهاتوا لنا نصيبا لنا مما أصبتم الثاني ان أولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في الاسلام ثم ان المنافقين نفروهم وأطمعوهم انه سيضعف أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويقوى أمركم فالمراد ألسنا غلبنا كم على رأيكم في الدخول في الاسلام ومنعنا كم منه وأرشدنا كم الى مصالحكم فادفعوا الينا نصيبا مما وجدتم وفي تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تثبيت للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشان الكافرين وتوهين لامرهم فكان ظفر المسلمين أمر عظيم يفتح له أبواب السماء حين ينزل على أولياء الله وظفر الكافرين حظ دنيوي ينقضي ولا يبقى منه الا الاثم قوله

فلن يقبل منه ومن أضله الله عنه فقد غوى فلا هادي له غيره ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) وهذا نهي من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا باخلاق المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيكونوا مثلهم في ركوب مناهيهم عنه من موالاة أعدائه يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ولا تتوالوا الكفار فتوازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين ثم قال جل ثناؤه متوعدا من اتخذ منهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين ان هو لم يرتدع عن موالاته وينزجر عن مخالتته ان يلحقه باهل ولايتهم المنافقين ﴿ الذين آمنوا بنبيه صلى الله عليه وسلم بتبشيرهم بان لهم عذابا أليما أتريدون أيها المتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ممن قد آمن بي وبرسولي أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يقول حجة باتخاذكم الكافرين أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا منه ما استوجبه أهل النفاق الذين وصف لكم صفتهم وأخبركم بمعلهم عنده مبينا يعني يبين عن صحتها وحقيقتها بقول تعرضوا لغضب الله باتخاذكم الجتعلى أنفسكم في تقدمكم على ما نهاكم ربكم من موالاه أعدائه وأهل الكفر به وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وان لله السلطان على خلقه ولكنه يقول عذرا مبينا حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن رجل عن عكرمة قال ما كان في القرآن من سلطان فهو حجة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سلطانا مبينا قال حجة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تاويل قوله (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) يعني جل ثناؤه بقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ان المنافقين في الطبق الاسفل من أطباق جهنم وكل طبق من أطباق جهنم فيه لغتان درك بفتح الراء ودرك بتسكينها فمن فتح الراء جمعه في القلة والكثرة وان شاء جمعه في الكثرة الدرك ومن سكن الراء قال ثلاثة أدرك والكثير الدرك وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة في الدرك بفتح الراء وقرأته عامة قراء الكوفة بتسكين الراء وهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراءة الاسلام غير اني رأيت أهل العلم بالعربية يذكرون أن فتح الراء منه في العرب أشهر من تسكينها وحكوا سماعا منهم اعطني دركا أصل به حبلي وذلك اذا سأل ما يصل به حبله الذي عجز عن بلوغ الركية ونحو الذي قلنا في تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قال في توابيت من حديد مبهمة عليهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير عن شعبة عن سلمة عن خيثمة عن عبد الله قال ان المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عاصم عن ذكوان عن أبي هريرة ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قال توابيت ترتج عليهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في الدنيا والعقاب في الآخرة فانه يحكم بينكم يوم القيامة أي بين المؤمن والمنافق والغرض انه يقال ما وضع السيف على المنافقين في الدنيا ولكن أخر عقابهم الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي وابن عباس المراد في الدنيا ولكن بالحجة أي حجة المسلمين غالبة

في أنفسكم وأهاليكم وأولادكم بالانابة الى توحيده والاعتصام به واخلاصكم أعمالكم لوجهه وترك رياء الناس بها وآمنتم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فصدقتموه وأقررتم بما جاءكم به من عنده فعما تتم به يقول لا حاجة بالله ان يجعلكم في الدرك الاسفل من النار ان أنتم تبتم الى طاعته وراجعتم العمل بما أمركم به وترك مانهاكم عنه لانه لا يجتلب بعذابكم الى نفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا وانما عقوبته من عاقب من خلقه جزاء منه له على جزاءته عليه وعلى خلافه أمره ونهيه وكفران نعمه عليه فان أنتم شكرتم له على نعمه وأطعتموه في أمره فلا حاجة به الى تعذيبكم بل يشكر لكم ما يكون منكم من طاعته له وشكر بجازاتكم على ذلك بما يقصر عنه أمانيكم فلم تبلغه آمالكم وكان الله شاكرا لكم ولعباده على طاعتكم اياه بإجزاله لهم الثواب عليها واعظامه لهم العوض منها عليما بما تعملون أيها المنافقون وغيركم من خير وشر وصالح وطالح محص ذلك كله عليكم محيط بجميعه حتى يجازيكم جزاءكم يوم القيامة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما وان الله جل ثناؤه لا يعذب شاكرا ولا مؤمنا

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما

*(تم الجزء الخامس من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء السادس أوله ﴿ القول في تأويل قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء) *

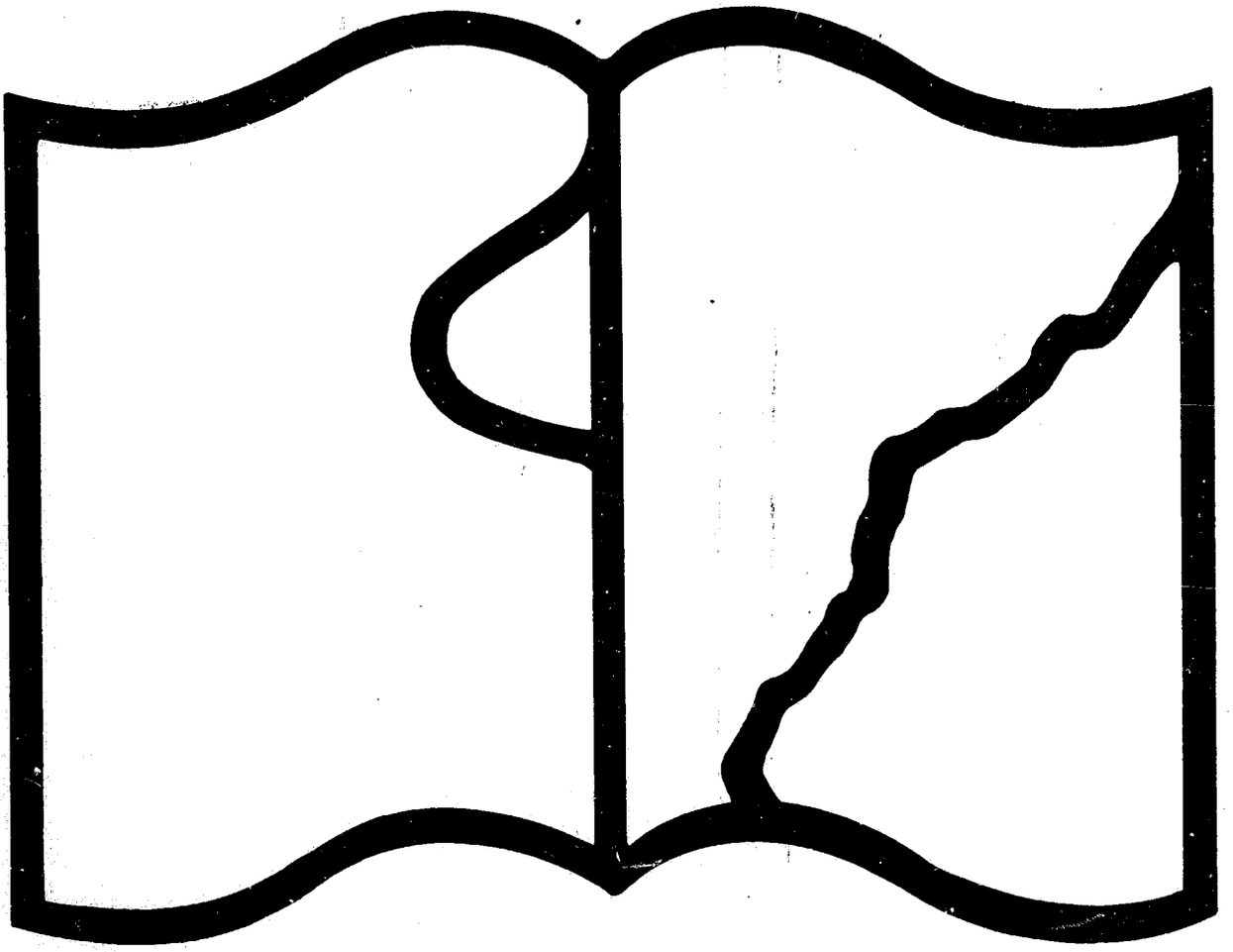

Texte détérioré — reliure défectueuse

NF Z 43-120-11